اِنْتَهَى زَمَنُ التَرقّبِ والخِيْفَة .. والآنْ بَدَأ انتِظَارُ الخَلِيْفَة

جمهوريةُ النبأِ العظيــمِ

المنظارُ القانوني لمكوناتِ دولةِ الخليفةِ

الجُزءُ الأوَّل

حكُوْمَةُ الإمَامِ الصَّالح وظُهُورُ الفرقَة النَّاجية

عشرون خطوة للوصول إلى دولــة الخلافة الإلهية

حكومة الخليفة .. شـعبهُ .. إقليمهُ

الخِلافة كـــعِلمٍ وكـــأمْرٍ إلـــهي

المـدْخَل لدِراسَة عِـلم الخِـلافة

مَـنْزلة الخَليفة ... مَودّة أم عِـبادة

الخليفة مَنْ ومَتى وكـيف ولمـاذا

مقوّمَـات الخِلافـة ومُـكـوّناتها

طرق الوصُـول والاتْصَال بالخليفة

لماذا تَأخّر الخليفة كُلَّ هَـذا الوقت

اِعلم أنّك لو امتلكتَ العزم لقراءة كل ما جاء في هذا الكتاب ، فقد أحرزت مكانك في دولة الخلافة ، لا من حيث إيمانك بما جاء فيه ، بل من حيث عزمك على قراءته

....

لطفـــاً – هذه النسخة مجانية ، فتلطّف علينا بإهدائها لشخص آخر بعد النفاذ من قراءتها أو زهدك بالاِطلاع عليها ، وبذلك تكسب الأجر مرّتين بإذن الله جـل جـلاله .

ما زلنا على عَهْدِنا الأوَّل مع القارئ ، بأن نضع سلسلة المواضيع (الفهرست) ، في مُقدمة الكتاب ، ليختار القارئ المواضيع وفق شهيته بالاطلاع ، على ما يرى فيه حاجته أولاً ، رُغْـم التأكيد بأهـميَّة المُـوالاة والترتيب في تناول المُـصنَّف .

الفهرست

تَوْطئـــــــة (١) ....: ٦
تَوْطئـــــــة (٢) ....: ٧
كلمَـةُ الكاتب ....: ١٤
المُقدِّمَـــــــةُ ....: ٣٣
الجزءُ الأول ... حكومة الإمام الصالح وظهور الفرقة الناجية ....: ٤١
البـــابُ الأول ... علـم الخلافـة ....: ٤٤
الفصــلُ الأول ... المدخل لدراسة علم الخلافة ....: ٤٦
المبحثُ الأول ... الخلافة في المنظور القرآني ....: ٥٨
المطلبُ الأول ... الخلافة بوصفها (علم) ....: ٦٠
المطلبُ الثاني ... الخلافة بوصفها (أمر) ....: ٧٧
المبحثُ الثاني ... الخلافة في المنظور الديني ....: ٨٧
المطلبُ الأول ... المفهوم الحقيقي للإشراك ـ كيف يعبد الشيطان.........: ٨٩
المطلبُ الثاني ... المفهـوم الحقيقي للإيمان ـ كيف يعبد ويعرف الله .....: ١٠٢
المطلبُ الثالث ... المفهوم الحقيقي للدين الإسلامي ....: ١٠٦
الفرعُ الأول ... معنى الإسلام الجديد ....: ١١٠
الفرعُ الثاني ... أسباب الإيمان بالغيب - لماذا يريد الله منَّا أن نؤمن بالغيب -: ١١٧
الفصلُ الثاني ... المدخل لدراسة دولة الخلافة الإلهية ....: ١٢٠
المبحثُ الأول ... الخلافة في ظل القوانين الوضعية ....: ١٢٣
المطلب الأول ... السلطة التشريعية ....: ١٢٤
المطلبُ الثاني ... السلطة القضائية والتنفيذيَّة ....: ١٣١
المبحثُ الثاني ... مقوِّمات دولة الخلافة ....: ١٣٥
المطلبُ الأول ... كتاب الله وشريعته ....: ١٣٦
المطلبُ الثاني ...الخليفة ....: ١٤١

المطلبُ الثالث ... علـــــم الكتاب ....: ١٤٤
المطلبُ الرابع ... الإعجاز والدعم الإلهي ....: ١٤٨
المبحثُ الثالث ... مكونات دولة الخلافة الإلهيَّة ....: ١٥٣
المطلبُ الأول ... أنصار وأعضاء دولة الخلافة ....: ١٥٤
الفرعُ (١-٧)... ما في الدولة من خدم ووزراء وعمّال وجيش وطلقاء: ١٥٤- ١٦٣
المطلبُ الثاني ...القائم بأمر الله -عزّ وجلّ-..: ١٦٤
المطلب الثالث ... الشخص المعني بأمر التنفيذ ... خليفة أم خلفاء......: ١٦٦
المطلبُ الرابع ... دخول أمر الخـلافة حيّز التنفيذ ....: ١٧٦
المطلبُ الخامس ... نهج الخليفة إثر إعلان دولة الخلافة ....: ١٨٠
الفرعُ الأول ... الخليفة والخلافة ....: ١٨٢
الفرعُ الثاني ... ما لا يخافه أعداء الخليفة ....: ١٨٥
الفرعُ الثالث ... سياسة الخالق مع الخلق في ظل دولة الخلافة ....: ١٩٠
الفرعُ الرابع ... نهج ذوي القربى .... **منزلة الخليفة مودة أم عبادة** ....: ١٩٣
المطلبُ السادس ... مراحل الظـهور ....: ١٩٩
الفرعُ الأول ... طرائق الاتصال بالخليفة ....: ٢٠١
الفرعُ الثاني ...زمكانية الظهور .... المرحلة التي نحن فيها.............: ٢٠٥
المطلبُ السابع ... **أسباب تأخر ظهور الخليفة** ....: ٢١٣
المبحثُ الثاني ... الفرقة الناجية ودولة الخلافة ....: ٢٢٣
المطلبُ الأول ... الفرقة الناجية – التعدديّة ....: ٢٢٦
المطلبُ الثاني ... الفرقة الناجية – الجمع والدمج ....: ٢٣٤
المطلبُ الثالث ... قيام الفرقة الناجية وفقاً للأديان والمذاهب ....: ٢٣٧
المبحثُ الثالث ... دين الخليفة وحزبه ....: ٢٦٣
المطلبُ الأول ... أشكال الحكم في دولة الخلافة ....: ٢٧٠
الفرعُ الأول ... دولة الخلافة والديمقراطية ....: ٢٧٢
الفرعُ الثاني ... دولة الخـلافة والدكتاتوريَّة ....: ٢٧٤
المطلبُ الثاني ... وحـدانية الله ووحـدانية المنهاج ....: ٢٧٥
المطلبُ الثالث ... وحدانيَّة الدين ....: ٢٨٠
الفصلُ الثالث ... الخلافة في المذاهب والأديان ....: ٢٨٢
المبحثُ الأول ... أسباب تعدد المذاهب والأديان ....: ٢٨٣
الفـرعُ الأول ... ما وراء دخول العرب في الإسلام ....: ٢٩٩

الفرعُ الثاني ... ما وراء اتباع بني إسرائيل لموسى ....: ٣٠٦
الفرعُ الثالث ... ما وراء اتباع الناس لعيسى ....: ٣١٠
الفرعُ الرابع ... **المغفلون** من **الشيعة** وأهل **الجماعة** ....: ٣١٤
المبحثُ الثاني ... المهدي في روايات الفرق ....: ٣١٧
البــابُ الثاني ... على أعتاب دولة الخلافة ....: ٣٢٠
الفصلُ الأول ... خطوات الوصول لدولة الخـلافة ....: ٣٢١
الخطوةُ الأولى ... **الصيحـــــــــة** ....: ٣٢٣
الخطوةُ الثانية ... **الرجعـــــــــة** ....: ٣٣١
الخطوةُ الثالثة ... ما قبل المسير ... التوبة المُسبقة ....: ٣٤٨
الخطوةُ الرابعة ... إمامـة الخليفة ....: ٣٥٩
الخطوة الخامسة ... نبوءة نصر الله ....: ٣٦٣
الخطوةُ السادسة ... كيف نتعرّف إلى يوم الظهور ....: ٣٧٣
الخطوةُ السابعة ... أسـباب الإيمان بالغيب ....: ٣٨١
الخطوةُ الثامنة ...ميزان عدالة الخليفة ....: ٣٨٥
الخطوةُ التاسعة ...علامات ما قبل علامات الظهـور ....: ٣٩٠
الخطوةُ العاشرة ... اِنقلاب الأنصار وتراجُع الأعداء ....: ٣٩٣
الخطوةُ الحادية عشرة ... مؤسسة الخلافة الإلهية ....: ٣٩٧
الخطوةُ الثانية عشرة ... مفهوم الحدود العائمة ....: ٣٩٨
الخطوةُ الثالثة عشرة ... شؤون الخـليفة ....: ٤٠٠
الخطوةُ الرابعة عشرة ... **عِصْمَةُ الخليفة** ....: ٤٠٩
الخطوةُ الخامسة عشرة ... مبادئ دولة الخلافة .... : ٤١٥
الخطوةُ السادسة عشرة ... شعبُ الخليفة ....: ٤١٧
الخطوةُ السابعة عشرة ... دورُ الشفاعة في دولة الخلافة ....: ٤١٩
الخطوةُ الثامنة عشرة ... الحكوماتُ الظالمة وليدة الشعوب الفاسدة ....: ٤٣٨
الخطوة التاسعة عشرة ... التقيَّةُ في نهج الخلافة .... : ٤٤١
الفرعُ الأخير ... الخطوةُ الأخيرة ... سِمَةُ الدُّخول ....: ٤٤٤
الفصلُ الثاني ... أطروحة النقدُ الوظيفي في الأديان . نقـدُ الأنبياء والتابعين.: ٤٥١
الخاتِمَـــــــــــــــــــــــةُ ....: ٤٧٧
المُلْحقُ الخاص بالنُّصوص القُرآنيَّة - أسباب غموض النصوص القرآنية ... : ٤٨٩
الهويَّةُ الشَّخْصِيَّة للمُؤَلِّف .... : ٤٩٩

الإهـــــــــــــــــــــــــداء

إلى الآمـلين بالله -جل جلاله- ، والمناصرين لدولـة عـــــدلـــهِ ،
إلى من بذلوا الغالي والنفيس لإعـزاز وإعـلاء كـلمة الله ،
إلى من سنلتقيهم عاجلاً أم آجلاً عند بوابة الجمهورية ،
لـهُم أهْـدي مِنْ ثوابِ شَـذَراتِ الفِـكْر وليَالي السَّـهَر .

....

المســـــاعــــــدات الفنـــــية

التصحيح اللغوي : - الدكتور : - سـيروان عبد الزهـــرة هاشـــم الجنابي .
مراجعة النصوص الدينية والتأريخية : - الأستاذة : - إيمان رمزي سلمان .
الطباعة والتنضيد والإخراج : - المهندس : - سالم محمود عبد الحكيم .
تصميم الغلاف الأمامي والخلفي : - الأستاذ : - قـــــصي الشمـــــــري .
الأرشفة في محركات كوكل : - الخبير الهندسي : - مجتبى عـــلاء الصائغ .

....

إشـــــــــــــــــــارات

= مِنَ الطُّرق الحديثة التي يسيرُ عليها الآن ، معظم الباحثين الغرب ، هي التخلص من عبارات الانتقال بين المواضيع المختلفة ، بإشارة تنبيه (=) ، لذا واحـــتراماً لوقت القارئ ، آثرنا اختيار هذه الطريقة ، بدل العبارات المطوَّلة لربط المواضيع مع بعضها بعضاً ، أو الانتقال من موضوع لآخر ، أو الإشارة رُبَّما لأهمية فقرة ما .

= ﴿ك،ك﴾ - تعني ما جاء في الكتابين السابقين من حديث مُشابه لما نحن بصدده .

﴿+﴾ - تعني : وفــق ما ورد في قامــوس المعاني الجامع ، ولا نذكـرهُ في الهامش .

= (أصحاب التفاسير الخمسة) : ونعني بهم (ابن كثير ، والسعدي ، والقرطبي ، والبغوي ، والطبري) حال تشابه ما جاء بتفاسيرهم ، والأخذ من نفس المصدر .

تـــوطـــئة (١)

= هذا هو المُصنَّف الثالث ، من سلسلة يوميَّات الفتَى الأوَّاب ، والكتاب الأول بجزءِهِ الأوَّل ، الذي يبحثُ في دولةِ الخلافة الإلهيَّة ، لكنَّني لم أبدأ بهِ بعد الكتاب الثاني ، بل قبل الكتاب الأوَّل بـ(١٥) سنة ، لأنَّ يوميَّات الفتى الأوَّاب بدأتْ منهُ وستنتهي به ، وتحْديداً ، في منتصف الشهر الثاني من سنة [١٩٩١] م ، وما أخَّرهُ من أن يكون مقدَّماً ، هو خطورة الكتابة في هذا الموضوع ، لكونهُ من أعظم علوم السماء ، وصعوبة العثور على روايات في زمن النظام البعثي في العراق ،

= فإلـهي لم أجِـــدْ أعْظم من هذا العلم ، لأتقرَّب بهِ إليك ، ولم أجدْ عِلماً سَبَقهُ ولا لحقهُ في العظمة إلا هـــــو ، فَبِحقِّك يا من لا إله إلا هو ، أنْ تزدني استِبْصَاراً به حتَّى تتوفَّاني ، وأنا أكتبُ فيه وعنهُ ، بحقِّ محمَّد وآل الأبرار عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين وأنتَ قُلتَ وقُولك الحق : -

(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ **كَسَبَتْ** فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

ولم أجــد للكسب في الإيمـان من طريق ، إلا طـريق التفكّر في دولة عَدْلِك ، ولم أجد لحياتي من أثرٍ إلّا على خُطاها ، فتقبل خطاي وفكري ، لترحمني يوم ينقطع عن الدنيا أثري ، وتبلى رسومي وصوري .

قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- :

((مَنْ سَلَك طَرِيْقاً يطْلُبُ فيهِ **عِلمَاً** ، سَلكَ اللهُ بهِ طَرِيْقاً إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الملائكة لتَضَعُ أجْنِحَتها لطالبِ العلم رضَى بهِ ، وإنَّهُ ليُسْتغفر لطالِبِ العِلمِ مَنْ في السَّماء ومَنْ في الأرض ، حتَّى الحُوْت في البَحْرِ ، وفضْلُ العالِم عَلى العابِدِ كَفَضْلِ القمَر عَلى سَائِرِ النُّجُوم ليلة البَدْر ، وإنَّ العُلمَاء وَرَثَة الأنْبياء ....)) ﴿١﴾ .

= سُئل أحد الحُـــكماء : من هــو العالِم ، قـال : من يقرأ ، قيل : ومن هو طالب العلم ، قال : من يقرأ ، قيل : ومن ذا ، يكتب إذاً ، قال : من يقرأ .

....

﴿١﴾ - بصائر الدرجات [٢٣ / ٢] - ثواب الأعمال [١٣١] - بحار الأنوار [١ / ٢/١٦٤] .

تـــوطـــئة (٢)

= الحَمْدُ لله الذي نُسْعدُ بحمدهِ ، فيُجزينا على ما أسعدَنا بهِ ، والحمدُ لله الذي علَّمَنا البيان ، وأشار لمن **تعلّم البيان بالإنسان** ، فنعلمُ ما علينا ، مِن خلال مَن أرسلَهُ إلينا ، (الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) ، **فعلّمَ القُرآن** تعني : جَعَل فيهِ العلامات والإشارات ، لفهم أسراره ، وجَعَل فيه العلوم المختلفة ، والأنباء المتفرقة ؛

لذا جاءَ قوله تعالى - علّم القُرآن - قبل قوله تعالى - خلقَ الإنسان - ، ولو كان المقصود بـ(علّمَ القرآن) ، علم القرآن للإنسان ، فيجب أن تسبق الآية (خلق الإنسان) قوله تعالى (علّم القُرآن) ،

ولنرى كيف تضاربتْ أقوالهُم مع القُرآن الكريم ، علاوةً على تضاربِ أقوال بعضهم ببعض ، فمنهُم من قال : (قال الزجاج : معنى [علّم القرآن] ، أي سهَّلهُ لأنْ يُذكر ويُقرأ) ﴿٢﴾ ، ومنهم من قال : (علَّمه من شاء من عباده ، فعلمه جبريل أولاً ، ثم نزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثانياً ، ثم بلغه محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثالثاً إلى جميع الناس) ﴿٣﴾ ، وقال آخر (علّم عباده ألفاظه ومعانيه ، ويسَّرها على عباده) ﴿٤﴾ ، وكل ما جاءوا به ، يخالف مراد النص ،

إذ يقول تعالى ، باسمي الرَّحْمن علّمتُ القرآن ، أيْ إنَّ مِنْ رَحْمَتي على عبادي أنْ جعلتُ في القرآن العلامات ، التي يُمكن للإنسان أن يُدركها ، لو تعلّم البيان ، لذا أعطى اللهُ الإنسانَ ، القدرة على البيان ،

كما إنَّ سُنَّتهُ تعالى ، أن يسبق الكتاب كمُقوِّم ، كلَّ مَنْ يَخُصُّهُ من الخلق ، كذا جعل كتاباً يخُصّ الأرض ، وكلّ من في الأرض من العباد ، من قبل أن يبرأ الأرض :

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي **كِتَابٍ** مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

وبالعودة لقوله تعالى علّمهُ البيان ، فهُنا بالتحديد ، جاءتْ الإشارة للإنسَان ، أي بعدَ أن أكملَ الباري -عزّ وجلّ- علوم القرآن ، خلقَ الإنسان ، وعلّمهُ البيان ، ليفهمهُ

....

﴿٢﴾ - تفسير القرطبي ص [٥٤٠] .

﴿٣﴾ - لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين / موقع -ن- للقرآن الكريم وعلومه .

﴿٤﴾ - تفسير السعدي ص [٥٣١] .

ولو كان المقصود بـ(علّم القرآن) ، علَّمهُ للإنسان كما قال أهل التفسير ، فما فائدة قوله تعالى (علّمهُ البيان) إذا كان تعالى قد علّمهُ القرآن ، وهذا يعني أن الله قد علّم الإنسان القرآن ، ثم علَّمهُ البيان ، إذ لم يلتفتوا لترتيب النص القرآني ،

ولذا نقول ، إنَّهُ تعالى لم يعلّم القرآن للإنسان ، بل علّمهُ ، بيان ما في القرآن من علاماتٍ وإشاراتٍ ، وبذلك ارتقى الفكرُ الإنساني ، إلى مسْتَوى سمو النصوص الرَّبّانيّة ، وخِتاماً لحديثنا هذا ، **نَصِل لمعلومةٍ هامةٍ** ، إن من يتعلَّم البيان ، هو الإنسان حقّاً عند الله ، وليس العكس ، أي ليس كلّ إنسانٍ من المفترض أن يعلم البيان ، ولكن كُنْيَةُ الإنسانيَّة ، فهْم البيان وتقبُّلهُ ، ولا نعني أن تعلم البيان ، أمر فطري لدى الإنسان ، بل إن دوافِع فهمِنا وتعلّمنا للبيان ، دوافِع فطريَّة ، فمَا أنْ نقرأ آياً من القُرآن ، حتَّى يتولَّد لدينا حبّ بيانه واستيْعَابه ، وفهْم أسراره ، وعظمة مَدْلولاته ،

أمَّا علامات القرآن ، فمنْها مَن يشير إلى كيفيَّة خَلق السَّماوات والأرض ، ومنْها إلى عظيم مخلوقاتهِ تعالى ، وإلى ما توصَّلنا إليهِ من علوم مُختلفة ، ومنْها الأنباء التَّي تحدثُنا عن الماضي لنتَّعظ ، أو تشير إلى المستقبل لنحذر ،

ومن تلك العلامات ما هي علامات لآيات أخرى ، فإذ نقرأ قوله تعالى : - (يَوْمَ يَأْتِي **تَأْوِيلُهُ** يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) ﴿٥٣﴾ الأعراف .

فما علينا إلا استحضار قوله تعالى : -

(وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا **تَأْوِيلُ** رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) ﴿١٠٠﴾ يوسف .

لنعلم أن معنى تأويله ، أي تحققه وبيانه للناس ، كما تحدثت به الرسل وأشارت له ، فنَسُوهُ بعضهم ، والتأويل كما أوضحناهُ في الكتاب الأول ، هو أيلولة الأمور إلى أصلها وحقيقتها ، وبالتالي تحققها وظهورها للناس ، فيكون معنى قوله تعالى : يوم يأتي تأويله – أي يوم ظهوره للناس ، بالحقائق التي جهلوها أو تجاهلوها ، وبهذه الآلية ننطلق للوصول لجمهورية النبأ العظيم ، بعد فهمها وإدراك كُنْهها .

= والحَمْدُ لله ، الذي خلقَ فيْنا الشجرة المُباركة ، ليرحَمنا بوجودِها بينَنا ، وخلق فينا الشجرة الملعُونة ، ليبلونا أيّنا يختار أيّهُما ، والحَمْدُ لله الذي ختم دُنيانا بعدلهِ ، إذ جـعل الأرض إرثاً للـمتقين ، وجـعل خِـتَامها مِـسْكاً وعَـدلاً ، وجَـزاءً للمؤمنين والمحسنين ، وَوَبالاً على المشركين والمنافقين .

= في هَذا الكتاب لم نجني ثمارنا ، برمي أشجار الآخرين بالنقد والتحقير ، إلا مَنْ رماهُم الله تعالى في كتابهِ ، أو مَنْ حاولوا المساس بقدسيَّة الآي الكريم ، ومَنْ يرى

خلاف ذلك ، فهو من تلك الفئتين أجارنا الله منهُما ، وكم حاولنا النقاش والحـوار مـعهُم ، بأي شـكل مـن أشـكال الـرُّقي والتـحضُّر ، غـيرَ أنَّ ما تستوطنهم من روح العصبيّة والجاهليّة ، منعتْ من كلِّ ذلك ، وسرعان ما يتحوّل الحوار ، إلى السبّ والشتم والتكفير ، لأجل الفرار من الوصـول إلى الحـقائق ، مرتدين زيَّاً من الغضب والغليان ، بحجّة خوفهُم على الموروث الإسلامي ، وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- : الحق لا يعرف بالرجال .. وإنما يعرف الرجال بالحق .. فاعرف الحق تعرف أهله) ﴿٥﴾ .

وحثيثاً سنرى معاً ، ما ذلك الموروث المُقدّس ، والأسباب الحقيقية ، لتمسُّكهُم به ، وأسباب إخفاء وصايا الله ورسوله ، والعداء لجمهورية النبأ العظيم ، وإنَّ من يناطح برأيهِ الآخرين دون الاستماع لهُم ، كمن يعطي لرأيهِ مقام الآيات السّماويّة .

= ما ذكرناه عن أهل الجماعة فمن كتُب أهلِ الجماعَة ، وما عن الشِّيعة فمِن كتُب الشِّيعة ، حتَّى المذاهب التي لم يعُد لها ذكر ، كالمرجئة والخوارج ، فما ذكرنا عنهُم ، إلّا مما ذكروا هُم عن أنفسهم ، كذلك ما ذكرهُ كلّ خصمٍ عن خصمه ، وتركنا للقارئ الحُكم واستنتاج الحقيقة ، عن طريق كشف الحوادث التأريخية ، التي أدت لاختلاف الفرق والمذاهب فيما بينها .

= ونعتذر لإخوتنا وأعزاءنا من بعض المذاهب ، لوجود قسم من الروايات والأقوال اللاتي تمُسُّ العظماء والمقدسين لديهم ، وبعض الأحكام المُجْحفة بحقِّهم ، وقد ذكرنا تلك الروايات ، لنقد رواتها وإدانتهم ، وإنَّنا أجـبنا عـنهُم كأفضل مـا يمكن أن يكون من جواب ، وكقول : الشاعر : وكل إناء بما فيه ينضَح .

= مباحثُ هذا المُصنَّف توغَّلتْ في شُؤونٍ مُختلفَةٍ ، وابحرتْ في قضايا جدُّ متفرقةٍ ، لكنَّها مصفوفَة ومرصوفَة بشكل يؤكّد لنا ، إن مَنْ سيقرأ المصنَّف دون المُوالاة في مباحثهِ ، ستلتبس عليه الكثير من الأمور المطروحة ، بالرغم من وجود وحدة الموضوع ، التي قد تخوِّلنا أنْ نضع عنواناً واحداً ، لجميع المباحث والمطالب تقريباً ، مع هـذا فإنّ ما جعل التوالي مطلوباً ، هـو التعرف المُسْبق على أدوات كلّ مـطلبٍ قبل الوقوف عليه ، والنصيحةُ الأكيدة بقراءتهِ بشكل مُتوالي ومُتتالي .

﴿٥﴾ مجمع البيان : [٢١١/١] – روضة الواعظين [٣٩] .

= لقد أدخل الكثيرُ من رجال الدين أنفسَهُم في أمورٍ ، لا ينبغي عليهم الدخول فيها ، كمسألةِ البعد بين كل سماءٍ وأخرى ، وحجم كل سماء ، فهذهِ العلوم وغيرها ، الكثير ، وضعها الله كُلاً لأهله ومن ضمن مجاله ، ومن الممكن أن يكون الرسول بنفسه غير مكلّف ببيانها ، بالرغم من يقيننا ، من أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يحملُ كل علوم القرآن ، ويلمّ بها هو وأوصياؤه ، ولكن لا ضير في حال غياب بيان الرسول لها ، أن يتصدى من هم أهل لتلك العلوم ، أمّا أن يكون هنالك رجل دين غير الرسول وأوصيائه ، على دراية بكل تلك العلوم ، فقد أدخل نفسه فيما لا قدرة له عليه ، ومن ثم أدخل الدين معه جبراً إلى المجهول ،
وحينما نجد فرصة للاعتراض على أمرٍ ما ، نواجه حرباً ضروساً ، بحجة إنّنا نعارض كلام الله ، لا كلام من فسّرهُ بتلك الصياغة ، فكان جلُّ اهتمام بعض رجال الدين ، هو البقاء على الموروث ، على أنّهُ بمنزلةِ كلام الله في كتابه الكريم ، بالرغم من اختلاف أهل التأويل ، إلى درجةٍ يمكننا القول معها بعدم اجتماعهم ، على رأي واحد في تفسير آية واحدة من القرآن ، **وهناك** من رجال الدين من وجدنا فيهم قبس من علوم السماء وورع الأنبياء ، ولكن حوربت نتاجاتهم بالتعتيم ،
ومن ثمّ هناك الكثير من رجال الدين ، وبمجرد اِرتدائهِ للزيِّ الإسلامي ، وإطلاق لحيتهِ ، أصبحتْ مهمته الوحيدة ، الدفاع عن الدين ، ضد أي رأي يكشف لنا مالم يكتشفهُ السّلف ، وإنه قد امتلك مفاتيح السّماء ، فيُدخُل من يشاء إلى الجّنان ، ويدخل من يشاء إلى الجحيم ، فمَن عاداهُ كافر يستحق القتل ، ومَن أيّدهُ مؤمن يستحق الحياة . إلا إنَّنا بالتأكيد لا نعني الأفاضل منهم ، وممن أشرقت بفكرهم آفاق العلوم القرآنية ، وحفظوا لنا الموروث الصادق والبيان الحق .

= في عام [٢٠٠٢] م ، كنتُ مُنشغلاً بتأليف رواية بعنوان مسلّة إبليس ، وكان عليّ أن أبحث عن كل ما يتعلق بهذا المخلوق (إبليس) ، وكنتُ كلّما مررتُ بتفسيرٍ يغالط فهمي لعظمة الله ودينه القيّم ، كان يقيّد سعيي في البحث عن التفسير المعقول والمقبول ، اعتقادي بأن أهل التفسير ، مرّت عليهم سنوات العمر ، في دراسة القرآن والتفقه في الدين ، ولا بد من أنهم يفهمون ما لا أفهمه ، وربما كان ما يتحدثون عنه مستنتجاً من أحاديث الرسول الأعظم ،
وحثيثاً حتى وصولي للعلم الذي كانت تجهلهُ الملائكة ، وعلّمهُ الله لآدم ، ثم أمرهُ بأن يُنبيء الملائكة به ، وكانت الصدمة فيما ذكر بتفاسير كل من ابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم لهذه الآية ، ونقلهم لحديث منسوب لابن عباس في شرحها ،

على أن هذه الأسماء هي أسماء الأشياء كلها ، كالبغال والحمير وحتى الفسوة والفسيّة والضرطة ﴿٦﴾ ، (راجع المدخل لدراسة علم الخلافة لاحقاً) ،
فما عساي وعساك أن يكون ردّ فعلِنا ، في دين يتحدث عن عظمة علوم الله ، وما لا تعلمه حتى ملائكة الله ، ومن ثم علينا أن نذعن أنها فسوة وفسيّة ، ويقيني أن هناك الكثير من الأحاديث نُسبت لبعض الصحابة ، لجعلها في مقام يبعدها عن كلِّ شُبهةٍ ، وهم كانوا رُبّما أبرياء عمّا روي عنهم ،
كما أن هناك أحاديثَ نسبت للرسول الكريم للسبب نفسهِ ، فنحن لا نجدُ أنفسنا في نزاع مع ابن عباس وغيره ، خصوصاً وإنَّ هناك من قال إن هذه الأسماء هي أسماء الملائكة ، أو كما قال ابن جرير إنها أسماء ذُرّيّة آدم ﴿٧﴾ ، وغيرهُ من قال الكثير ، وهذا يعني أن القضية يحكمها الرأي ، ولا يحدها ويقيدها حديث منسوب للرسول ، كي نؤمِن بأنّهُ التفسير الأمثل ، والذي لا يمكن أن ينافسه تفسير آخر ، وما يشلّ العقل عن التفكير ، أن هناك آيات سُجّلت بشرح الرسول الأعظم ، لكنها ذيّلتْ بشروحات وآراء أخرى نسبت للصحابة والتابعين ، وكأنهم يقولون ، إن هناك آراء أصدق بياناً في شرح الآية ، ولا علم لنا عن سبب امتعاضهم ، لو أن منّا من حاول البحث واكتشاف ، ما يعطي للنصوص القرآنية مكانة علمية جديدة ،

وقد تعتقد أن هناك عدداً قليلاً جدّاً من الآيات ، التي لم يقُم من أحدٍ بتدوين تفسير الرسول لها ، لكن الحقيقة المُرّة هي بخلاف ذلك تماماً ، فإن هناك القليل من الآيات ، التي نجد أن تفسير الرسول الكريم سُجّل لشرحها ، ولم تزد عن آية واحدة لكل سورة .

= بالمقابل أوجد البعض من المفسرين ، طُرُقاً لإهمال النظر في تفسير الكثير من الآيات ، لفهمهم أنها مُكرّرة ، أو ما يعتقدون أنها من المتشابهات ، ولأننا سنبحر في كل هذه القضايا ، سنختمُ قولنا ، بأنَّ ما لآيات القرآن من تأويل وتفسير إلا عند أهلهِ ، وهم الرسول وآله -صلوات الله عليهم أجمعين-،
وعليه سيكون واجبنا أمام الله وأمامهم ، هو **الكشف** عنهم وعن منازلهم ، وعن دورهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وإن من الشطط البقاء في سكونٍ لانتظار

....
﴿٦﴾ - تفسير ابن كثير والقرطبي والطبري لقوله تعالى : - (فعلم آدم الأسماء كلها) .
﴿٧﴾ - تفسير ابن كثير ص [٦] ، كما روى ابن جرير حديث ابن عباس المذكور .

خليفة الزمان ، **فهو** مَن يَنتظر منّا قدومنا إليه ، عن طريق الإيمان بدولة العدالة الإلهية ، وعن طريق توضيب كل منّا دورهُ في تلك الدولة ،
وكلُ هذا سيأتي بيانه بالتفصيل ، ولن ينتهي دورنا أمام النصوص القرآنية ، حتى نحارب الرأي الفاسد ، أو على أقل تقدير ، الرأي الذي لم يعد يتناسب وعظمة علوم القرآن ، والتي ظنُّوا بأنَّها علم واحد ، يمكن أن يحمله رجل واحد .
= لم يزل بعض رجال الدين ليومنا هذا ، يتعرّقون إذا ما سألهم من سائل ، كيف تُثبتْ لنا وجود الله ، فهم دائماً يضعون أنفسهم موضع المُدافع ، والله نبَّههم وعلّمهم ، وأراد لهم العزَّة ، فالقضية مع الفارق العظيم ، كمن يبني صرحاً شاهِقاً ، لا تصل العين آخره ، وفيه من الأبنية ، ما يدهش العقل من عظمتها ودقَّتها ، والآلاف من الأجرام التي تدور في سمائه ، دون أن تصطدم ببعضها ، ومخلوقات تخدم سُكان هذا الصرح ، لم تر مثيلاً لها ، وما يطول الحديث عنه ، ثم يأتيك من يسألك ، **اِثبت أن هناك** من بنى هذا الصرح ، واثبت أن الطبيعة لا دخل لها ببنائه وتصميمه وما فيه من عظيم الأبنية ، فهل له أن يسألك ، أم لك أنت أن تسأله على بيان الأدلة التي تُثبتْ أنَّ الطبيعة ، هي من خلقتْ آدم ، ثم اعتزلتْ عن أن تخلق مخلوقات مشابهة لهُ ، فالعلماء لا ينكرون ، أن أصل البشرية من رجلٍ واحد ، فلماذا خَلَقتْ الطبيعة -جلّ جلالها- ، شخصاً واحداً ، ما دام هذا الشخص هو التطوّر الطبيعي للضفدع أو القرد ، ، ثم لمَا لا نرى استمرارها ، أو ابتكارها أنواعاً أخرى من البشريَّة ، ويبدو أن داروين لم يُنجبْ طفلاً ، وقام بتربية ضفدعاً وقرداً ، متأملاً أنَّهُما سيصبحان مِنْ أبنائهِ ، وفقاً لنظرية التطوّر الذي جاءَ بها ،
أتعرفُ لما هُم يفترون مثل هذه الافتراءات ؛ لأنَّهم لم يشهدوا كيف فطر الله السماوات والأرض ، والمصيبة الأكبر ، أنَّهم لو شهدوا لافتروا أعظم مما قالوهُ ، لا بل لو شهد من آبائهم كيف فطر الله السماوات والأرض ، لنسبوا العظمة لهُم ، وجعلوا لله شركاء فيما خلق ، ولا تحسب أن المُلحد والكافر ، هُم فقط من يتبجحون ويفترون ، مثل هذه الافتراءات ، فلدينا نظراءً لهُم ، ومن قالوا أن الله يجلُس على كُرسيِّه الذي وسع السماوات والأرض ، فيبقى من الكرسي أربع أصابع ، هذه الافتراءات ، أفقدت الكثير أرواحهُم ، لمجرد التشكيك بها ، ونُقسم بالله ، أن نظريَّة داروين ، لا تختلف بفسادها ، عمّن يقول أن الله حين يتحرك أو يغضب على العرش ، يحدث **أطيطاً** ، وسيأتينا الحديث المُرُّ عن مثل هذه الافتراءات وغيرها ، والحــمدُ لله على نعمة العقل ، الذي أدرك الله لعظيم خلقه وصفاته .

وقفة تعريفيَّة

لَمْ يَكُ مِنْ نهْجِ سعْينا ، لإدراك دولة الخلافة ، التعرُّض لأهل التفسير ، والكتب التي نقلت الروايات بهذا الشَّأن ، فَنَحْنُ نعلمُ أنَّ هناك ألواناً وأطيافاً مُختلفة ، لأجل إدراك ذلك ، مع هذا فإن هناك ما يخالف المنطق السليم ، وما لا يُمكن أن نعقلهُ ، ونقبلُ بهِ من التفسير ، فهُم يجعلونَ ممَّا نعرفهُ من الطبيعة الماديَّة ، قياساً لتقبّل الروايات ، وأساساً لتفسير الآيات ، وكأنَّهم يتعاملون مع شخصيَّات بشريَّة ، وقد عاب أهل الجماعة ، الفرق الشيعيَّة ، لما نقلوهُ عن أئمَّتهُم -عليهم السلام- ، فيما يتعلَّق بغيبة المهدي -ع- ، ثم مجيئه في آخر الزمان ، وأنَّهُ لأمر شاذ عن منهاج السماء ، فيما يرى الشيعة ، أنَّ ذلك من منهاج السماء ، وعابوا على أهل الجماعة قولهُم ، أنَّ المهدي شخص عادي ، يصلحهُ الله بليلةٍ وضحاها ، وهذا هو المخالف لمنهاج السماء ، ونحن بين هؤلاء وهولاء ، لدينا قصص الأوَّلين لنختار الروايات ، التي تتفق ومنهاج السماء ، خاصة وإنَّهُ ممثل الله في الأرض ، أي يتَّفق مع عظيم ما عرفناهُ ، من معاجز الأنبياء ، وسنقف على أنَّ منزلة الخليفة ، وبالعظمة التي سيهبها الله له ، لا تعني أنَّهُ أعظم وأفضل من منازل الأنبياء ، ولكن ما أُسْندَ لهُ من عمل ، يتناسب وما أُسْنِدَتْ إليه من معاجز ، فما وقع فيه أهل الكتاب من مغالطات ، هي برؤية منزلة النبي من خلال ما وهبه الله من معاجز ، فكُلّما ازدادتْ واقتربتْ من قدرات الله ، كُلّما كان له شأن أعظم ، لدرجة إعطاء عيسى النبي منزلة الإله أو ابن الإله -عليه السلام- ، بسبب قدرته على احياء الموتى بإذن الله ، فما سيكون من ردٍّ فعل أهل الكتاب ، حين يرون الخليفة وهو يُحيي الموتى ، ويشفي كُلَّ المرضى ، ورد فعل اليهود ، حين يفلق البحر ويطوي الأرض ، ويُسلّط الآفات على من يقاتله ، مع كلِّ هذا فسَيُحاربونه كما حوربَ الأنبياء والأولياء من قبل ، ويُملي لهم الشيطان ما يُحاجُّون به خليفة الله ، وما يروهُ من ذريعة لمحاربتهِ ، حتَّى أولئك الذين يرجون من الله ظهور الخليفة ، بعد أن يجدون صعوبة النهج ، وتلاشي أحلامهم بأنهار العسل واللبن ، التي ستخُصُّ فئة قليلة ، كما سيمرّ بنا ، وتنكيس أعلام أعدائهم ، وانتصارهم على منافسيهم ، وكلُّ هذا سنبحثه وأنتُم معنا كشهودٍ ، بما تمتلكون من فراسة وهدى فطري ، أودعه الله -جل جلاله- فينا للبيان وادراك الحقائق ، وهذا ما ميَّزنا به عـن باقي مخلوقاته ، واجتبانا كشعب لدولته .

كلمة الكاتب

ما معنى المنظار القانوني لدراسة النصوص القرآنية

حينما يتناول بعض الباحثين نصاً قُرآنياً ، كقوله تعالى في الآية ﴿٢٤﴾ : -
(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) الإسراء .
تراهُ يوظّف الآية باتجاهٍ واحدٍ فقط ، وهو احترام الأبناء لآبائهم ، لكنَّنا لو استخدمنا المنظار القانوني لهذا النص ، نجد أنَّهُ تعالى يأمر الابن باحترام الأبوين ومعاملتهما بكلِّ رحمةٍ ، ولكن يهدّد الأبوين ويأمرُهُما ، بطريقة غير مباشرة على رعاية وحفظ أبنائهما ، فقوله تعالى : -
(اِرحـمهما **كما** ربياني صـغيراً) ، اِنذار وتحذير للأبَوين ليرحما أبنائهما ، وإلّا فلن يرحـمهما الله ، أي إن المـنظار يقول ، إذا أنتُما لـم تـرحَما أبناءكـما فـلن أرحـمكما ، وهنا يطرح الباري -عزّ وجلّ- ، معادلة متوازنة الأطراف ، أنت أِرحم أباك ليرحمك الله ، وأنتما إذا لم ترحما ابنكما لن يرحمكما الله ، ولا يخفى ذلك على الباحثين ، إنما وبعد أن ينتهي الباحث مـن سبر أغوار أبحاثه ، يكون قـد تـجاوز سـن الصبا والشباب ، وبات أباً ، وما يُهمهُ هو معاملة أبنائه لهُ ، وليس خلاف ذلك ، فلا يهمّهُ بعد ذلك ، أن يرى مـا عـليه من واجبات ، قـدر مـا يتطلع إليه من حقوق ، وعلى ما تقدَّم ، فهُناك مسؤوليَّة تقع على عاتق كل من يبحث في النصوص القرآنية ، إذا ما وجد ما يساعد به رجال الدين ، في استنباط احكام تخُصّ المجتمع ، وعلى عاتق من يستخدم المنظار القانوني من الأطباء والمهندسين ، فيما يكتشفونه من أمور علميّة من النصوص القرآنية ، فالمنظار القانوني ، هو زاويا العلوم المختلفة للقرآن الكريم ، فمن منّا يظنُّ أن هنالك من عالمٍ على وجه الأرض ، جامع للشرائط والأحكام الشرعيَّة ، وما في القرآن من علومٍ مُختلفة ، وإنْ كان جامعاً للشرائط ، فـهل يمكن أن يُـحتمل مـنهُ وقــوع الــزلل ، وهــو القــائد الـديني لأمّــة بكامـلها .

= قول الرسول الكريم الذي أكدناه في ﴿ص، ص﴾ : -

((إنَّما أتخوَّف على أمَّتي من بعدي **ثلاث** خصال : أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويلهِ ، أو يتّبعوا **زلّة العالم** ، أو يظهر فيهم المال حتَّى يطغوا ويبطروا ، وسأنبّئكم المخرج من ذلك ، **أمّا** القرآن فاعملوا بمُحكمه وآمنوا بمتشابههِ ، **وأمّا** العالم **فانتظروا فيئته** ، اي رجوعه إلى الصواب ، ولا تتبعوا زلَّته ، **وأمّا** المال فإن المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه)) .

وعن علي بن عبد الله الأسواري ، عن أحمد بن محمد بن قيس ، عن أبي يعقوب ، عن علي بن خشرم ، عن عيسى ، عن ابن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله : -
((أشدّ ما يتخوّف على أمَّتي ثلاث : زلّةُ عالم ، أو جدال منافق بالقرآن ، أو دنيا تقطع رقابكم ، فاتهموها على أنفسكم)) ﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ .
وهناك الكثير من رجال الدين ممَّن نظُنّهُم عُلماءً أعلاماً ، من حيث جهلنا المُطبق بالدين ، أمّا مِنْ حيثُ المستوى المطلوب ، لرجال الدين ، فهُم أخطر مما لدى الجاهل من جهلٍ ، لأنَّ دَفّةِ القيادة بيدهم ، زد علـى ذلك ما هـو مُتوقع وغير مُتوقع من كيد باقي الفرق المعادية ، التي يُمكن أن تدسّ رجال دين من قبلها ، لتشويه صورة المذهب الآخر ، أو شراء بعض الذمم للغرض نفسه ، واسقاط مكانة الفرقة بعيون أنصار تلك الفرقة ، وهذا ما تواجههُ الفرقة الناجية ، أكثر بكثير من باقي الفرق ، فقوله تعالى : -
(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) ﴿١١٢﴾ الأنعام .

ينطبق تمَامَاً على الفرقة الناجية ، بوصفها الفرقة التي تُمثّل منهاج الله ورسوله ، ومن ثُمَّ فهي من سيتكالب ضدَّها شياطين الإنس والجن ، ومن هنا أصبح دور كلّ فرد منّا ، مُساندة العالم الفقيه ، ومحاربة السفيه ، والمعادي والمغرض ، ممَّن قد ينتمي للفرقة الناجية ، لزرع الفتنة بين أنصارها ، فكيف نقف على التأويل الصادق والمطابق ، والحكم العادل والمُوافق لما أراده الله في كتابه الكريم ،
كان جواب معظم العلماء ، ألا يقوم بتفسير القرآن ، إلّا أهل الاختصاص من رجـالات الدين ، وجـواب بعضهُم الآخر أن نبقى على ما ورثناهُ من السّلف ، لكنَّ الشّـق الثاني من حديث الرسول الكريم في أعلاه ، يدُلّنا إلى عدم وجود فقيهٍ على وجه الأرض غير معرّض للزلل ، سواء فيمن مضى أم فيمن سيأتي ، وهذا هو الفرق بين النبي وإمام العصر ، وبين العالم الفقيه ، فما هو الحل ، إذا كان الفقيه بحاجة إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف من العمر ، كي يكون مُلمّاً بكافة العلوم ،
إن كِلا الشقّين من الحديث يؤكدان دور الجميع بتدبر القرآن ، لا باختيار المقبول

....

﴿٨﴾ وجاء في بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج [٨٩] - الصفحة ، [١٠٨] .
﴿٩﴾ - الخصال / الشيخ الصدوق - ج {١} ص [٧٨] ، تعليق علي أكبر الغفاري .

وترك غير المقبول ، بل باختيار المقبول والمحتمل القبول ، فما هو تكليفي أنا وغيري أمام الدين وأمام العالم الفقيه ،

= إنه تكليف سَلمان الفارسي -ﭬ-، حين بيّن للرسول مدى أهمية الخندق في معارك المُدن ، فبالرغم من أن النبيّ مُلهم من عندِ الله تعالى ، فقد تقبّل الشورى من أصحابه ، وإنّنا على يقينٍ ، أن النبي لو لم يُشر عليهِ سَلمان بفكرة بناء الخندق ، لكان أمَرَ أصحابه بالنتيجة بحفر الخندق ، ولكنْ هكذا يريد أن يُعلّمنا الله ورسوله ، على أن لكلّ منّا دوراً في ضمن تخصصه ، وفي ضمن ما يفهمه ، لا مجرد الرأي المعارض والموافق ، فقوله تعالى : -

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) ﴿٣٨﴾ الشورى .

لا يعني أن نقوم بتأييدنا لفلانٍ ، أو أن نبدي معارضتنا لفلانٍ ، مثلما نقوم به نحن الآن ، في الانتخابات واستطلاع الرأي ، فتلك مُشايعة وتحزّب وليستْ شورى ، فالشورى تعني تقديم المشوَرة والنصيحة ، على وفق تخصص أو استدلالات وخبرات مُختلفة ، يتسنّى لنا بعدها الوقوف على الحكم أو القرار المناسب ، وهذا ما أوضحتهُ قواميس اللغة ﴿١٠﴾.

تشاور القوم : شاور بعضُهم بعضاً ، تبادلوا الآراء والأفكار .

شاور فلاناً في الأمر : استشاره ، طلب رأيه ونصيحته فيه .

ونحوه شاور عقله : استرشد بشيء واتخذه هادياً له وموجهاً .

وكقول الشاعر : وإنَّ مشيراً قد أشار بما رأى .... مشيرٌ لعمري في الحقيقة ناصح الشاعر عبد الغفار الأخرس﴿١١﴾ .

وجاء في تفسير ابن كثير للآية ﴿٣٨﴾ من سورة الشورى : (لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه يتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها) ، لكنه بعد ذلك ذكر ما قام به عمر بن الخطاب ، وهو على فراش الموت ، إذ جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر ،

فهم إمّا فهموا أن الشورى انتخاب ، وإمّا أنهم عادوا لسجيتهم في الجاهليّة ، إذ يعمدون لاختيار سيدهم من بين سادة قريش وكبرائها ،

فالشورى : هي أن تقدم النصيحة لتفعيل دورك في المُجتمع ليس إلا ، كما في

....

﴿١٠﴾ - جامع المعاني / موقع الكتروني للخدمات البحثية والترجمة .

﴿١١﴾ - مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي / دار الكتاب العربي [٨١] .

(وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) ﴿١٥٩﴾ آل عمران ،
ولكن ما دخل الطبيب والمهندس والمحامي والمعلّم وحتى الحرفيّ بعمل الفقيه ،
الفقيه والعالم الإسلامي كما أسلفنا ، يفتقر إلى صحة القرار الذي لا يقبل الخطأ والزلل ، والمستوى الذي يريده الله تعالى لعباده ، ومع كلّ ذلك ، فعلى ما يبدو أن الله وعن طريق رسوله ، أعطاه قوة القرار الذي يصل إلى منزلة ما يقضي به الله تعالى ورسوله وأوصياؤه ، وقول الرسول (أما العالم فانتظروا فيئته) يدلنا على ذلك ، ويشير إلى البقاء على طاعة العالم حتى في حال زلّتهِ ، وذلك بانتظار أن يعود إلى جادة الصواب ، وكما يبدو أن الطاعة والسير وراء العالم الفقيه ، خير لنا حتى مما نراه بالرأي العلمي الصائب ، لأن وحدة الجمع خير من الشتات ، وهذا طبعا لا يعني المضي بالرأي الفاسد ، أو كما فتح أهل السلف الباب على مصراعيه ، وتركوا الحُكام والمفتين ، يعيثون في الأرض فساداً ، فالقضية تنحصر في كل ما يستحدث من الأمور ، ولا تمتّ لأصول الدين ، والأمور المهمة المتعلقة بحياة هؤلاء الجمْع ، ومن هنا يبرز دور أهل العلوم الطبيعية والتخصصات القانونية والسياسية والإدارية وغيرها ، فالمنظار القانوني الذي تختاره العلوم المختلفة لدراسة الدين ، ستفعّل دور الدين في الحياة ،
وعند قيام أهل الاختصاص بترجمة النص القرآني ، إلى ما يفهمونه ويعرفونه من علوم ، فإن الفقيه ، سيقف بهذا على كل الاستدلالات المختلفة ، التي يرونها ويستنبطونها من قراءتهم للنص ، وبذلك فبدل أن يقوم الفقيه بدراسة الطب والهندسة والقانون وباقي العلوم ، عليه أن يقرأ استنتاجات هؤلاء وبيانهم ، ليصدر أو يتأكد من صحة إصداره لفتواه أو قراره ،
ومع الأسف نجد استعلاء من بعض الفقهاء ، للأخذ برأي أهلِ التخصصات الأخرى ، كما نجد استعلاءً من أهل التخصصات لدراسة النصوص القرآنية ، بوصفه عملاً يخص رجال الدين ، وهذا هو سبب اختلاف الفتاوى من عالمٍ لآخر ، فمُعطيات كل منهم مُعطيات شخصيّة ومن ثم فهي غير موحّدة ، أي إن العلماء والفقهاء أنفسهم ، لا يتدارسون بينهم مستحدثات المسائل ، حتى في ضمن المذهب الواحد ، ونحن على هذه الحال منذ وفاة الرسول إلى يومنا هذا ، وكما يعني هذا - **إننا في المشايعة تشاورنا ، وفي الشورى تشايعنا ،**
وبعد .. فإننا لا نعني بالمنظار القانوني ، قياس النص القرآني بالقوانين المقننة ، بل استثمار القواعد والقوانين العلمية والعملية في الكشف عن مفاهيم النصوص

القرآنية ، فحين يقول الله -جلّ جلاله- في كتابه الكريم ، وكنتم أزواجاً ثلاثاً ، (السابقون) و (أصحاب اليمين) من جهة ، و (أصحاب الشمال) من جهة أخرى ، فما يعني هذا على وفق المنظار القانوني ،

يعني **أولاً** : نجاح النموذج الإنساني في الخلق ، فهناك فئتان في الجنة ، وفئة واحدة في النار .

ويعني **ثانياً** : إن الله لا يرانا بوصفنا أفراداً وأشخاصاً ، بل يرانا بوصفنا فئاتٍ وشرائح ، حتى يصل كل منا وفئته التي ينتمي لها إلى منزلهم الأخير ، وبعد ذلك يتفرقوا كلا بحسب تفاصيل أعماله ، والتي توصله إلى مقعده الأخير في ذلك المنزل .

ويعني **ثالثاً** : إن هنالك جناناً تخص السابقين ، وجناناً أخرى تخص أصحاب اليمين ،

وبالرغم من أن عدد السابقين وأصحاب اليمين قليل جداً ، موازنة بأصحاب الشمال ، فإنَّ لأصحاب الشمال جهنم واحدة ، لها طبقات مختلفة ، وجميع طبقاتها في مكان واحد ، ما يشبه الوادي أو الحفرة العملاقة الواحدة ، كما إن للسابقين منزلة ، لا يمكن لأصحاب اليمين أن يرتقوا اليها أبداً ، ومنزلة خاصة لأصحاب اليمين ، ولكن يمكن للسابقين أن يدخلوها ليروا ما أنعمه الله على من اتبعهم ، كما يروا ما أنعمه الله عليهم من النعيم ،

ويعني **رابعاً** : إن للسابقين دور القيادة والإمامة على أصحاب اليمين .

ويعني **خامساً** : عدم جواز تقديم أصحاب اليمين مهما كانت مناقبهم على السابقين ، وعدَّ السابقين أسوة كالرسول الكريم ، حتى باتوا مما يشار لهم كركبٍ واحد ، فالقضية لا تخص الآخرة وحسب ، وإنه تعالى بيّن لنا منزلة السابقين في الآخرة ، ليس من باب العلم بما سيجري يوم القيامة فقط ، بل من باب الأمر والإرشاد لمن علينا اتباعهم ، والوقوف حيث نصرتهم ، وعدم تقديم من هو أدنى منهم عليهم ، والآية : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) ﴿٤٦﴾ الرحمن .

فلو أننا نظرنا لهذه الآية ، بموجب ما بينه فقهاء الشيعة من قضية الرجعة ، فإنه سيكون لهذه الآية مفهوم زماني وليس بالمكاني ، أي إن من مات من أصحاب الرجعة يدخل الجنة فور مماته ، ثم يعود للحياة فيبلوا بلاءً حسناً ويمُتْ على ما مات عليه في حياته الأولى ، ليعود للجنة مرة أخرى ، إثر مماته بعد الرجعة ، وهي جنة المستقر ، التي تأتينا بعد يوم الحساب ، وإن لم يقل أحد من فقهاء الشيعة

ما تقدم ، فإن ما تقدم هو المنظار القانوني إذا ما جمعنا النصوص ، وهناك أيضاً نص آخر نجده يشر إلى ما توصلنا إليه ، وهو قوله تعالى : -

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ﴿١٦٩﴾ آل عمران .

فهذه الآية تدلنا أيضاً على أن مفهوم وجود الجنتين لمن خاف مقام ربه ، مفهوم زماني ، فيدخل الشهداء جنة معدّة لهم ، إثر استشهادهم مباشرة ، ومن ثم يدخلون جنة المستقر ، والتي تأتيهم يوم الحساب ، لذا فإن هناك منظاراً قانونياً يحكم الآيات بالآيات ، أو أن يعطي تعادلاً للآيات ، فتحتفظ كل آيةٍ باستقلاليتها ، وهذا ما سوف ندعوه بـ(ميزان تعادل الآيات) ، الذي سنتناوله في مطلب خاص ، فمثلاً قوله تعالى : -

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ﴿٥٣﴾ الزمر .

والذي تعادلها الآية في قوله تعالى : -

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) ﴿٤٨﴾ النساء .

و**معامل النص** للتعادل بين الآيتين ، جاء في كلمة (عبادي) ، فعندما يتكلم الله مع عباده ، فلا داعي أن يذكر الشرك ، كاستثناء من غفرانِ الذنوب ، وهذا جزء من عمل المنظار القانوني للنصوص ،

وكثيراً هي الآيات التي تكون مبهمة المعنى ، حتى نقرنها بآية أخرى أو حديث للرسول الأعظم ، فحين توصلنا من البحث إلى أن الوقت المعلوم يقع في اليوم الموعود بظهور خليفة الله (يوم الوقت المعلوم) ، فكيف يكون هناك من وقتٍ معلوم ، وهناك ما يشير بلعن من يحاول أن يوقّت ويحدّد يوم الظهور ، وبالبحث عن مزايا الظهور ، نكشف ما يؤكد أن الوقت المعلوم ، هو أول ما يقع من اليوم الموعود ، فالوقت المعلوم ، هو الوقت الذي نرى فيه علامات الظهور ، أي إن المعلوم يعني ما يشتمل عليه من علامات ، وما عُرّف به من علامات ، وهذا يعني أن الوقت المعلوم ليس هو الوقت المحدد ، بل ما عرفه الخلق بعلامات تخصهُ ، وحين نقول : دُلّني على مكاناً معلوماً ، أي معروفاً أو معرّفاً بعلامات واشارات تميّزهُ من باقي الأماكن ، (راجع علامات الظهور ما قبل علامات الظهور لاحقاً) .

أما بعد ، فلِمَ تراني أتكلم بالجمع ولا أشير لنفسي بأنا وإنني في كلمتي هذه ، وكل ما سنطرحه في بحثنا هذا ،

(ما نراه في خليفة الله) ، كان هذا هو العنوان المختار لهذا المصنف ، وما زال على ما هو عليه ، ولكن من ناحية الكاتب لا من ناحية الكتاب ، أي إنني سأكتب ما تراه أنت أيها القارئ العزيز ، وما أراه معك ، لذا سأشير بنحن وإننا ، بدل أنا وإنني ، لأن القارئ الذي يصل لإحساس المؤلف ، ويؤمن بفكرته ، سوف يصل لإثباتها وتطويرها ، أكثر ممن هو داخل حدود الأسطر والكلمات ، ويختصر بحثه في مجالٍ أو مجالين من العلوم ، ومن قال إني المكتشف الأول لكل ما سيُطرح من أفكار ، فكم من باحثٍ يكتشف أمراً ، قد أراني وغيري عرفناه وكشفناه قبلهُ ، لولا أنهُ ارتقى للإعلان عنهُ قبلنا ، لذا فأنا على يقين إن ما سأطرحه قد يكون في فكر الكثير من القارئين ، وعليه قررتُ ألّا أصادرَ حقّ القارئ وأجعلهُ معي ، كاشفاً لكل الحقائق التي سنقف عليها ، ونلج أغوارها ، ولولا مسؤولية النشر والتأليف لكتبتُ اسم المؤلِّف (كل من يؤمن بما جاء في الكتاب) ، كذلك فإن الأفكار التي أدعي التوصل لها ، لم أكن لأصلها إلا عن طريق علماءٍ أكفّاءٍ ، أشرقت آفاق الفكر بما كتبوهُ ونشروهُ ، وما بحثوا فيهِ من علومِ القرآن والكتب السّماويّة السّابقة ، فمهّدوا لمن خلفهم أنواراً وإشراقاً في كل دربٍ سلكوهُ ، وهذا على الخلاف من الفكر والمذهب النمطي ، الذين عبدوا الله بوصفه شخصية خيالية مبهمة ، عليك ألّا تسأل كيف ومَنْ يمثلهُ ، فهم لا يؤمنون إلا بما تراه أعينهم ، لا ما تراه عقولهم ، لذا ولهذه اللحظة ، يؤمنون أن الأرض قطعة منبسطة ، تقابل سماوات متراكمة على بعضها بعضاً ، وعند القمّة ، هناك عرش محمول بقوائمٍ ، يتحرك وله أطيط ، وفي الوقت نفسه يحمل العرش أربعة ملائكة ، أحدهم له وجه رِجل ، والبقية بأوجهٍ لحيوانات مختلفة ، ، وفوق العرش هناك كرسي يمثّل موضع قدمي الرب ، حتى نرى المشهد وكأننا حاشا لله أمام (سيرك) وعفوا لله على ما افترته خيالاتهم ﴿١٢﴾ ، هؤلاء نفر من أهل الكتاب ، ومن بعض المسلمين ، الذين صادقوا وصدّقوا بما ورثوه ، ممن اعتقدوا أنه الأولى بالحديث باسم الله وباسم أنبيائه وكتبه ،

جاء في الحديث : إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى ، فكانوا ثمانية على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء

....

﴿١٢﴾ - جاء في تفسير البغوي لهذه الآية ص [٥٦٧] ، اين ذكر الجزء .

، (أضافوا أربعة ليجمعوا بين رواية كعب الأحبار التي يقول فيها إنهم أربعة ، والآية التي جاءت (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) ﴿١٧﴾ الحاقة ،
وجاء في الحديث : لكل ملك منهم وجه ورجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ، ولم يأتِ بأي سندٍ للأحاديث المذكورة ، وجاءت منكرة بعبارة (وجاء في الحديث) ، ثم انتقل لروايةٍ عن الرسول إذ مرّت سحابة فأخبرهم عن عظم وقدر ملكوت السماء ، لكن الرواية لا تمت بصلة إلى أوجه الملائكة ولا عددهم ، ولا ما يحملون ، ولكن لم يفته أن يحشر بين أسطر الحديث عبارة وضعها بين قوسين ، وهذا نص الرواية ﴿١٣﴾ : -
((خبَّرنا أبو بكر بن الهيثم التُرابي ، أخبرنا أبو الفضل مُحمد بن الحسين الحدادي ، أخبَرنا مُحمد بن يحيى الخالدي ، أخْبَرنا إسحاق بن إبراهيم [الحنظلي] ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا يحيى بن العلاء ، عن عمه شعيب بن خالد ، حدثنا بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن العباس بن عبد المطلب قال : كُنَّا جُلُوساً عند النبي -ﷺ- بالبطحاء فمرَّتْ سحابةٌ فقال النبي -ﷺ-: أتدرونَ ما هذا ؟ قُلنا السحاب ، قال والمُزن ؟ قُلنا والمُزن ، قال : والعِنان ؟ فَسَكتْنا فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قُلنا الله ورسوله أعْلم ، قال : بينهما مسيرة خمسُمائة سنة ، وبين كل سماءٍ إلى سماءٍ مسيرة خمسمائة سنة ، وكذلك غُلظ كلّ سماءٍ خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاهُ وأسفله كما بين السماء والأرض [ثم بين ذلك **ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن** كما بين السماء والأرض] ، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك ، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء)) ، ويبدو أن قصة (بابا نويل) ﴿١٤﴾ ، مستوحاة من هذه الرواية (ﷺ) ، المَكذُوْبَة ، ولا نعرف سبب ايراد العبارة الخاصة بالأوعال الثمانية بين قوسين ، وفي وسط حديث الرسول ، فكما يبدو أنَّهُ نسي ما ذكره في الحديث المنسوب للرسول (أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء) ، لأنَّهُ في الحديث المتقدم ، ذكر بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والأرض .

....

﴿١٣﴾ - تحفة الأحوذي / باب تفسير سورة الحاقة / الجزء {٩} ص[١٦٤] .
﴿١٤﴾- Santa Claus
- تعود قصته للشاعر الأمريكي كلاك موريس الذي صورها من خلال قصيدة له بعنوان (الليل التي قبل عيد الميلاد) ، والتي وصف بها رجل بلحية بيضاء يجوب السماء .

= يعلم الله إن جبيني يتصبب عرقاً ، كلما اطلعتُ على مثل هذه الأحاديث المنسوبة للرسول الأعظم ظلماً وبهتاناً ،
ومن المؤكد أن الراوي قصدت بالأوعال الثمانية ما جاء بقوله تعالى عمن سيحمل العرش ، فإذا كان العــرش على ثمانية منذ الآن ، فما الداعي : لـ(يومئذ) في النص ، إلّا ليبين الله ويكشف عن حدث عظيم قادم ، وأين حديث الرسول آنف الذكر : (إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى ، فكانوا ثمانية) ، أضف لذلك أن الراوي ، لا يعلم أن طبيعة الأوعال سحب الأثقال ، إذ لا تحملها كما يحملها الجمل ، وأخرجه الترمذي ، قال إن الحديث (حسن غريب) ﴿١٥﴾ ، وطبعا قصد بـ(حسن غريب - تقييم الحديث ، وكنت أتمنى أن يكون حسن غريب هو اسم مؤلف هذا الحديث ، ونسبوه خطأ للرسول الأعظم -ﷺ-) .
وإذا ما أهدر البخاري آلاف من الأحاديث ، التي رأى أنها موضوعة ، فعلام اِحتفاظهم بمثل هذه الأحاديث التي يعترفون بأنها غريبة ، إذ يتعاملون مع بعض الروايات والمفاهيم والفتاوى ، معاملتهم للأنتيكات ، والتحف التأريخية ، بالرغم من أنهم على علم أنها جاءت عن طريق كعب الأحبار ، وسبق أن ذكرنا (ﷺ) أن كعباً لا يشترط أن نتهمه بالتدليس ، ومحاولة ادخال الروايات اليهودية لتشويه الإسلام ، بل يكفينا الإشارة إلى أنه من ضمن المُغرَّر بهم ، بما ورثه من تركةٍ مزيفة ، عن آبائه وأجداده ، وإنه لو كان عالماً بالروايات لاعتنق المسيحية ، قبل أن يأتي الإسلام ، ولم يبقَ على اليهودية ، فبقاؤه يؤكد أنه يؤمن بالروايات المُزيّفة ، وآيات التوراة المُحرّفة ، مع ذلك فإيمانه ونقله لتلك الروايات ، لدليل على أنه محدود الفكر ضيق الرؤى ، وهذه خصال الفكر النمطي ، ولو كان عالماً بالروايات حقاً ، لقَبَلَهُ الرسول في الدولة الإسلامية ، حتَّى وإن لم يكن مُعلناً لإسلامه ، لكنَّهُ لم يقدِم للمـدينة إلا في خلافة عمر بن الخطاب ﴿١٦﴾ ، فانتعـشت تجارته ، حيث تحدَّث عمّا لا يعلمه رجـال الدين الإسـلامي ، بعد فقد الرسول الأعظم - راجع ما ذكرناه عن قضية مناداة مـريم يا أخت هـارون (ﷺ) ،
لهذا فإننا نقول إن الفكر النمطي ، لا ينتمي لمذهبٍ أو ديانة معينة ، إنما هم جماعـة تفرقوا وانتشروا بذات العـقل وبذات القلوب ، كما أنَّـهم فرضوا أنفسهم

....

﴿١٥﴾ - الترمذي في تفسير سورة الحاقة [٩ / ٢٣٤] .
﴿١٦﴾ - الأعلام – خير الدين الزركلي – ج {٥} - ص [٢٢٨] - [٦] .

بوصفهم حُماة للدين ، وممثِّلين لسُنَّة الأنبياء والمرسلين ، فأمّا أنْ نؤمن بما ظنُّوه من تفسير أو حددوه من تقدير ، أو أن نكون من الملحدين أو المهرطقين ، وهناك من لا ننتمي له ، ولا يروم رُبَّما أن يكون متحاملاً علينا ، لكنه تاه في عالمٍ من الخيالات ، وتركيبٍ للمصطلحات ، التي رأى فيها إنقاذاً لموقفه ، وتنظيماً لأضغاثه المتناوشة من هنا وهناك ، وخلاصاً من أن يخوض في آيات الله بعلمية أو حتى نمطية ، عمّر صومعة لفلسفة جديدة ،

ألا وهم جماعة العرفان والتصوف ، وكلّ اشكال تيه الوجدان والمشاعر ، والمونولوج الديني ، والحديث الوهمي مع الغيبيات ، والتفاعل المصطنع مع الله جلّ وعلا ، باختلاق فرضيات أو نظريات هجينة على الدين ، أودتْ بالمُحصلة إلى ابتعادهم عن الله إلى ملكوت الوهم ، فلم يتعامل الله مع أنبيائه ولا الأنبياء مع أممهم ، بتلك الهلاوس والفرضيات الخرافية ، ومهمها اختلفت تسميتهم وما وضعوا لهم من أساسيات مفبركة ، فهم جميعاً ينطلقون من منطلق واحد ، ألا وهو التأرجح بالمفردات والالتفاف حول النصوص القرآنية ، والمفاهيم الدينية ، ليجدوا لأنفسهم مساحة في أنظار من حولهم ، إذ إن قواعدهم قواعد عائمة ، تعتمد الخروج عن الوعي إلى اللاوعي ، كما يفعل الشعراء ، وحقاً إنه لمذهبٍ لشعراء الدين ، إذ نجد أن معظم مؤسسي وزعماء تلك المدارس من كتبة الشعر ، ورواد الفلسفة على اختلاف أشكالها ، كالبهائي والميرداماد ﴿ ١٧ ﴾ وقطب الدين الأشكوري وأحمد السفرجلاني ﴿١٨﴾ ، وأمير خسرو ، وأبن باكويه وابن الفارض وإسماعيل الصفوي ، وقائمة تطول حتى تكاد تجمع المتصوفة بلا استثناء ، وخلاصة الحديث عنهم هو : إنه تعالى لو كتب علينا مثل ما يدعوه من التصوف ، لوجدناه في منهج الأنبياء ، فهم كقوله تعالى : -

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) ﴿٢٧﴾ الحديد .

....

﴿ ١٧ ﴾ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ميرزا محمد باقر موسوي الخونساري ، ج {٢} ، ص [٦٥] .

﴿١٨﴾ - إميل يعقوب --- في معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة --- المجلد الأول (الطبعة الأولى) بيروت / [٨٧] .

ففي أي آية ، وفي أي منهجٍ من مناهج الأنبياء وأقوالهم وما نقل عنهم من رواياتٍ وأحاديث ، وما بينوه لنا من العلم والحكمة ، جاء استنتاجهم بأن الله أراد لنا أن نعشقه ، بالكيفية التي تحدثوا عنها ، وأن نتوصّل إلى الاتصال بالسماء بالمنولوج والحديث مع النفس ، وما يسمونها بالتجلّيات ، والفيض الربّانيّ ،

إلا إذا كان هدفهم هو ابعاد الناس عن سبل الله ، التي أرادها لعباده ، بعد أن أوصاهم بالمودّة للرسول وآل بيته الكرام ،

فحبُّ الله وطرق التعبير عن حبّهِ ، ومودّة من يودّهم الله ، وطرق التقرب إليهم ، يأتي بالعمل على منهجهم الحق ، ولا يمكن الوصول إليه بحلقة ذكر ، أو أناشيد الدروشة ، وبعد ....

فإن كل ما سنكتبه ، سيكتبه معنا كل من يقرأ ويؤمن موقعاً ، ولو بالأحرف الأولى ، على أيّ فكرة ستطرح في هذا الكتاب ، ولأنّنا نؤمن بعظمة الآيات السّماويّة ، فعلينا أن نؤمن أنها كنوز وذخائر لكلِّ العلوم ، وإنها لا تموت بمرور الزمن ، بل تتجدّد وتتعدّد نتاجاتها العلمية ، فالعلم الذي حاربه الكثير ممن يسندون لبعضهم صفات الأئمة الهداة ، هو ما وضعه الله تعالى في خلق السماوات والأرض ، وهو الميزان ، ذلك الميزان الذي ظنوه أنه ميزاناً للفواكه والخضروات ، وهو كذلك العلم الذي جعل المليارات من الكواكب والنجوم ، تسير بأجمعها في أفلاكٍ منتظمة ، والعلم الذي أوصلنا إلى ما سيعدّه أجدادنا ، معاجز سماويّة ، لو أنهم عادوا للحياة في يومنا هذا ، فالمسيح الذي كان يعلم ما يدّخر قومهُ ، أصبح الجميع اليوم يرون ما يحدث في أقصى الأرض وهم في أدناها ،

وهذا ما أرادهُ الله لنا ، من أن نؤمن به ، وبما أتانا إياه من منّة العقل ، لذا نفهم أن التطور في حب الله -تبارك وتعالى- ، هو الإيمان به على وفق ميزان عدله وقوانين خلقه ، لا على وفق المعجزات التي جاء بها الأنبياء ، فتلك المعجزات جاءت لإثبات نبوتهم ، ومعرفتهم من غيرهم ، مِنَ الذين قد يدّعون النبوة بالباطل ، لا لإثبات وجود الله ، لكننا آمنا بالأسباب أشد من إيماننا بمن سبّبها ، ولهذا لم يؤمن بنو إسرائيل بنبي الله عيسى ، لأنه لم يأتِ بالمعجزات التي أتى بها نبي الله موسى ،

وكذلك فعل أهل الكتاب من اليهود والمسيح مع النبي محمد -صلى الله عليه وآله- ، بالمقابل فقد كره المسلمون أو امتعضوا من تلك المعاجز ، حتى أنهم حرّموا الايقونات التي تذكّر أهل الكتاب بأنبيائهم ، كالصليب ونجمة داوود والصليب المسجى برداء النبي يحيى ، وهو ما يحمله الصابئة المندائيون ،

وأن نؤمن بالغيب ، فالغيب ليس ما فهمه بعضهم على أنه المبهم ، إنما ما يغيب عن ادراكنا بالحواس الجسدية ، ويمكننا أن ندركه بحواسنا الفكرية ، لذا فإن من يؤمن بالغيب على أنه حالة علمية بحته ، وهو الميزان الذي وضعه الله وحكم به السماوات والأرض ، سيكون الغيب لديه حاضراً كالحقيقة واليقين ،
وفي المنظار العلمي والقانوني ، سنجد كما مرّ بنا ، أن قوله تعالى : -
(الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) أي وضع فيه العلامات والإشارات ليوصلنا إلى حيث نرى الغيب في كل ما خلق الله ، وفي كل من خلق ، لنصل اليقين ، حتى لا نطلب من بعده ، يقيناً أبداً ، فقد علّم القرآن ، قبل خلق الإنسان ، ثم أعطى للإنسان ، مفاتيح هذه العلوم والعلامات ، عن طريق تعلمه البيان ، فقد فطرنا الله على تعلّم البيان ، ما لم تبعدنا الحياة عن ذلك ، والأصدق ما لم نبتعد بحياتنا عن ذلك ،
أمّا من يعتقد أن الغيب هو مجرد إيمان بأمور مبهمة ، فسيناجي ويدعو إلهاً يجهله ويجهل كُنهَهُ ، وبذلك يكون اتصاله به اتصالاً بالمجهول ،
ونسي الجميع بأن المعاجز الإلهية ، جاءت لخللٍ في فهم بني آدم للدين ، في تلك الأزمنة الغابرة ، وينبغي أن يكون النبي محمد -ﷺ- قد أثبت ما أراده الله من سبلٍ للتواصل معه ومعرفته ، بالفهم والتفقه في الدين ، لا بالخوارق واختراق الأسس العلمية والمادية التي أحكمها الله تعالى ،
فالأسس العلمية هي الخوارق التي خلقها الله ، وكون البحر لا ينفلق بالعصى ، من الخوارق التي أحكمها الله ، أمّا إنه ينفلق بالعصى ، فهذا هو أمر شاذ ، جاء استثناءً مما أحكم من موازين ، وكون الإنسان لا يستطيع أن يخلق طيراً وينفخ فيه ليكون طيراً ، فهذه القاعدة هي من القواعد التي أحكمها الله كذلك ، لكننا ولسوء فهمنا ، تركنا المعاجز الحقيقية لله ، وتمسكنا بالشاذ والطارئ ، وترى بعض السُّذّج لا يرون ما أبدع الله تعالى ،
كخلق الملايين من أصناف النبات والحيوان ، بل يرون كيف تحولت العصى لأفعى ، وكأن قوة الله تكمن في هذه المعاجز ، لا بالأسس والقواعد التي نظّمت حياتنا ، حتى الجنة التي نعدها من الغيبيات ، فعلينا اعتبارها حاضرة أمامنا ،
وعلينا أن نقول (من هنا تبدأ الجنة) وعلينا ألّا نخرج منها ، كما بين لنا الله ذلك (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) ﴿٢٧﴾ الأعراف .

والشجرة ما زالت موجودة ، وما زال الشيطان يوسوس لنا ، ويغوينا بالملك والخلـود لنقربها ، ومـن يقربها الآن ، سيسكن الجحيم ، وتتشبث عيناه بملذات الحياة ،
وما إن يموت سيرى المكان الذي كانَ قلبهُ فيه من الجحيم ، ومن يمنَع النفسَ عن الهوى ، ولا يستكبر عن طاعةِ الله ، فسوف يدخل قلبه الجنة ويسكنها حتى تلتقي عينه بها ،
ومن هُنا ندخل (جمهورية النبأ العظيم) ، ومن هُنا يبدأ (التطور والرقي نحو السماء) ، وإن أسمى الأهداف التي نروم تحقيقها هنا ، هو حث الكاتب والباحث الأكاديمي ، على تناول البحث عن دولة الخلافة السامية ، بعيداً عن فلسفة افلاطون ، في إنشاء الدولة السعيدة ،
وبعيداً عن التقيّد بالأحاديث والمرويّات ، لا انكاراً لها ، لا سامح الله ، ولكن فقهاء الدين قد اوسعوها بحثا ودراسة وتكراراً ، حتَّى لنجد تشابه الكتب والبحوث ، إلى الدرجة التي أصبحت فيها مُملّة ،
وهذا لا يعني أن مجرّد قدمها والبقاء على منهاجها يجعلنا عازفين عنها ، بل إنَّهُ دورنا الذي تركناهُ مُنذُ عهد تلك الروايات ، فكما للنصوص القرآنية مَناظِر في العلوم المُختلفة ، فلتلك الروايات أيضاً مَناظِر في تلكُم العلوم ،
لكنَّنا جعلناها من نصيب فئة معينة وفي ضمن تخصصٍ واحد ، والروايات هي آيات لا تنفصل عن آيات القرآن ، متى ما لم ينفصل مفهومها عن مفهوم القرآن ، وهذا ما جرى في مختلف الأديان السّماويّة ، والمذاهب المتفرعة من تلك الأديان ، ولأسباب متعددة ستمرّ بنا ، كان أهمها إرضاء الأمراء واستمالة الحكام ، حتى نُسبتْ للرسول الكريم مـئات الأحاديث المكذوبة ، وإن تعارضـت صـراحة مع النصوص القرآنية وأحكامها ،
وبعد ....
فقد كانت تجربة كتاب (الإسلام على جرفٍ هارٍ) من حيث قلة الصفحات وغزارة المعلومات ، تجربة ناجحة لتدفع بالقارئ للاطلاع دون ملل ، بدل الحشو بتكرار الآيات والمصادر المتشابه ،
لكننا لا ننكر أن التلخيص قد أحدث بعض اللبس ، في فهم المراد لبعض فقرات المطالب ،
لذا وجب تكرار بعضها وتوضيح كل لبسٍ نتج عن التلخيص الشديد ، الذي اعتمدناه في الكتاب الثاني ،

ومن رجال دين حاربوه ، ابتداءً من العنوان حتى خاتمته ، إلى رجال دين تقبلوهُ بكل صدر رحب ، لا بل واسّسوا قواعداً ومفاهيم على ما تم طرحه ،

ويعد الشيخ غسان العتابي ﴿١٩﴾ ، الرائد لحركة التقبل للغير ، لا مجرد الصراخ بالتغيير ، أي إنه يعطي مساحة للرأي ، حتى وإن كان ذلك الرأي خارجاً عن ساحة آرائه ، ولا يقسم الأفق على قسمين (المقبول والمرفوض) ، كما اعتاد الجميع ، بل إلى ما قلنا عنه (المقبول والمحتمل أن يكون مقبولاً أو مرفوضاً) ، وهذا ما أثبته العلم ، في فشل الآراء القائلة ، بصحة النظريات والفرضيات بشكل تامٍ ومطلق وعلى مر الزمان ، إذ انهارت النظرية النسبية لإنشتاين امام ميكانيكا الكم ، ونقصد هنا علوم القرآن لا أحكامه ، وعبارة (أختلف أهل التأويل) ، التي نجدها في تفسير معظم الآيات القرآنية ، والتي جاءت في معظم كتب المفسرين ، لدليل على وجود مساحة لكل الآراء المعقولة والمقبولة ، والدليل على أن أهل التفسير والتأويل ، ليسوا أنبياءً ولا أوصياء ، ولا ينتمون لمدرسة النبوة ، لأن مدرسة النبوة ، ليس فيها من اختلافٍ في تأويل آية قط ، لذلك فمن المفترض تقبل الآراء المختلفة ، مثلما تقبّلنا السلف بآرائهم المختلفة ، بالرغم من تعارض الكثير منها مع بعضها بعضاً ، راجع (أطروحة النقد الوظيفي لاحقاً ، للوقوف على أمثلة كثيرة ووفيرة حول اختلاف أهل التفسير والتأويل) ،

فلماذا يرفض النمطية من السلف كل رأي ، قد يطابق مفهوم الآيات ، أكثر مما توصلوا له ، وخير مما جاء في بعض التفاسير ، كتفسير ابن كثير والطبري والقرطبي والبغوي والسعدي وغيرهم ، والذين سمَّيناهم بجملتهم (التفاسير الخمسة) ، ولا نقول ما خلا الصحابة والتابعين ، لأننا نعني موسوعة الفهم الزماني ، فلا يختلف اثنان على أن علوم القرآن ، تسبق علوم السابقين ، بآلاف وآلاف السنين ،

وأخيراً ، فإن المنظار القانوني سيكشف لنا دولة الخلافة الإلهية ، بكل مفرداتها ، وعلينا ترك الاعتقاد بأنها دولة الخوارق السّماويّة ، والآيات الاعجازيّة ، وإن كانت تلك الأمور ستحدث وتتحقق بالفعل ، لكن دولة الخلافة أقرب للنظام والأساس العلمي والواقعي منه للخوارق والقوى السّماويّة ، ودراسة نظام الحكم والسلطات العليا فيها ، لن يختلف عن دراستنا لنظام الحكم في بقية دول العالم ، حتى في

....

﴿١٩﴾ - الشيخ غسان العتابي : ماجستير في الفقه ، وأستاذ أكاديمي في جامعة المصطفى .

اصدار القوانين المقننة واللوائح التنظيمية لمؤسساتها ، والأمر لن يخلو من فوارق واختلافات في تلك القوانين والأنظمة ، بما ينسجم مع الشريعة السماوية ليس إلّا
= وعن سبب اختيارنا لجمهورية النبأ العظيم عنواناً لهذا الكتاب ، فهو أننا وجدنا ، أن دولة الخلافة ذات نظام جمهوري ، كما سنبحث في ذلك ، وعن تسمية الجمهورية بالنبأ العظيم ، فهو بالتأكيد إشارة لما ننتظره من نبأ عظيم ، وما ستكون عليه حكومة الخليفة من نبأ عظيم يهز اسماع العالم ،
(وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ) هود .
وحيث أننا سنبحث في أن يوم الظهور هو ما تحدثت عنه آيات كثيرة ، منها الآية أعلاه ، وحيث ظن الكثير أن الحديث هنا وفي مواضع أخرى يشير إلى يوم القيامة ، إذ أخفى الباري -عزوجل- أسرار يوم الظهور ، في حديثه عن يوم القيامة ، والسبب في ذلك ما ذكرناه في أسباب غموض النصوص القرآنية ، فلماذا لم نعنون هذا المصنف بجمهورية يوم الظهور ، أو جمهورية اليوم المشهود أو الأجل المعدود أو جمهورية يوم الخروج ،
والجواب : هو في أن هذه الأسماء تشرح نفسها بنفسها ، أمّا النبأ العظيم فلهُ قيمة قائمة بذاتها ، وإن كان متصلاً بيوم الظهور اتصالاً وثيقاً ، لكن الحديث عنه يكشف لنا الكثير مما حرّفه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأخفاه أهل التأويل من المسلمين ، لذا فإن الحديث عن النبأ العظيم قد يحتمل أكثر من جزء واحد ، كما أن هناك رواية شيعية بهذا الشأن ، سنتناولها بالبحث في الأجزاء القادم ، المهم أن نذكر بأن جمهورية النبأ العظيم ومن حيث الحدث الزماني ، هي الجمهورية التي ستتأسس في اليوم الآخر ،
لأننا نعتقد بأن اليوم الآخر ، هو اسم من أسماء يوم الظهور ، لقوله تعالى : -
(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) الإسراء .
هذه آية من الآيات التي يشير لنا بها الله ، إلى أن يوم الظهور جاء بأسماء مرادفة لأسماء يوم القيامة ، ولأنه بالفعل يوم لا ينفصل عن يوم القيامة ، وتكراراً نقول

، إنه تعالى بمكره الذي سبق مكر المشركين ، أخفى عيسى بمريم -عليها السلام- ، ثم أخفاه بأن لم يجعل لمريم من زوج (كما سيأتينا الحديث) ، وأخفى نبي الله موسى ، بأن تربى في بيت فرعون ، كذا أخفى الكثير من مفردات القرآن ، ليحفظهُ من أيدي أعدائه والمنافقين ، ممن تسللوا للدين للقضاء عليه ، ومن هنا سيدهشك أن تقرأ القرآن مرّة أخرى ، لتتمعن بالإشارات التي جاءت تتحدث عن يوم الظهور ، ولكن بمعاني مختلفة ، كالسّاعة ويوم الدين ويوم القيامَة ويوم الحساب ويومئذٍ ويوم الأشهاد ، بل حتى في الكثير مما جاء بعد مفردة (يوم) ، وسنطوف باحثين عن الكثير مما ذُكر ، غير أن ما يخص اليوم الآخر ، سنشهده في الجزء الثاني ، وستجد معنا متعة البحث عن دولة الخليفة ، **ومتعة الدخول إليها** ، ومتعة أشد في العمل بها ، منذ هذه اللحظات التي تقرأ بها المصنّف ،

فلا تأخذك الغفلة لتعتقد ، أن المواقف المشرفة وليدة اللحظة ، وما فعله بعض الصحابة من فداء للرسول والإيمان المطلق به ، وطاعته بكل ما أمر به ، كل ذلك لم يكن إلا عن طهارة في العقل والبدن ، وعن حبٍ استوطنهم للعدل والوحدانية بالله ، ونبذ الآثام والنجاسات ،

وما ذكرهُ الشيعة من مواقفٍ جرت في (واقعة كربلاء) ، كموقفٍ للحر الرياحي ، إذ يسمع نداءً من السماء يُبشّرهُ بالجنّة ، وهو يتبَع كوكبة الحُسين -ع- ، بأمر من عبيد الله بن زياد ، إذ كان من أمراء الجيش الأموي ، لكنه لم يفهم النداء كما يفهم النمطية ﴿٢٠﴾ ، ويعتقد أن موقفه سيُدخلهُ الجنّة ، بل قال مُتحدثاً مع نفسه ، ثكلت الحر أمّهُ .. أيخرج لقتال ابن رسول الله ويُبشّر بالجنّة ؟ ،

فأختار الجنة حقاً ، بأن كان أول من استشهد بين يدي الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهما السلام- ﴿٢١﴾ ،

فهل علمتَ سيدي ، كيف ستدخلك الكلمة التي تقرأها ، أو تقولها ، أو تبحث عنها ، دولة الخليفة ، وأنت بقراءة هذا الكتاب وغيرهُ من الكتب ، التي تتحدث عن أيام الله ، تلك الأيام التي سينصر الله فيها رسله من الأولّين والآخرين ، فإنَّك من هنا ترسمُ أوّلَ خطوة لدولة الخلافة ، وبات فيك ما يدعوك لنصرتها ، يوم

....

﴿٢٠﴾ - البلاذري ج {٢} ص [٤٧٢] ، الطبري الجزء {٥} ص [٤٠٠] ، الشيخ المفيد ج {٢} ص [٦٩] .

﴿ ٢١﴾ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي – ج {٤٤} – الصفحة [٣١٤] .

إعلانها ، ومن ههنا تبشّر بنصرة الخليفة ، ومن ههنا ستبحث عن وظيفتك ودورك الفعّال في حكومته ، فلا تقف عند حدٍ ، ولا يخذلك عزمك من أن تجد الكلمة التي تمنحك الموقف المشرف ، وهذا ما قاله تعالى ، وغفل عنه عباده ، إذ قال سبحانه وتعالى : (**إني جاعل في الأرض خليفة**) .

أي إنَّه موجود منذ أن خلقَ الأرض ، ومن يبحث عنه حقاً سيجده حقاً ، لذلك اختلف ميزان الكلمة عن ميزان الصدقات ، فالصدقة تعامل معها الله بالعدد ، (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ﴿٢٦١﴾ البقرة .

أما الكلمة الطيبة ، فتعامل معها بالأمد ، فللصدقة أعداد مضاعفة ، أمّا للكلمة فأمد طويل وبعيد ، كالعلم الذي ينفع والصدقة الجارية والابن الصالح الذي يدعو لك ، إذ قال تعالى : -

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ** أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ﴿٢٤﴾ إبراهيم .

لذا فالكلمة هي من ستستفز فيك الموقف ، ذلك الموقف الذي ستتهيأ له وأنتَ تقرأ هذا الكتاب وغيره باحثاً عن صاحب الأمر ، والذي ستصل إليه أشواق جنديٍ يبحث عن قائده ، ليوقّع قرار تعيينك ،

فمن أهم الإشارات التي أبلغنا الله بها ، قوله تعالى : -

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ **أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا** لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الإنعام .

وحذارِ من الاعتقاد أن هناكَ مَنْ سيؤمن ولا ينفعُ إيمانهُ ، فالآية جاءت بمعنى لا ينفع نفساً إيمانها (لو أنّها آمنت) ، لذا قال سُبحانه أو كسبت في إيمانها خيراً ، فلو أنَّهم حقَّاً سيؤمنون لمجرد رؤية معجزة سماويّة ، فلا داعي للروايات القائلة ، والتي نقلتها كل الفرق الإسلامية ، لحرب المهدي في مختلف بقاع العالم ،

أمّا ادعاءهم ، بأن الآية جاءت للحديث عن يوم القيامة ، فهؤلاء لا يهمهم أن تتضارب مفاهيم الآيات لدينا ، من أن يقروا بالحقائق ، خوفاً من نصرة الرأي الشيعي مثلاً حول الحديث عن الإمام القائم ، فأي تفاسيرهم لقوله تعالى : -

(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) ﴿٢﴾ الحج .

فأين الذهول من حلول علامات مخُوّفة ، من القدرة على الإيمان لظهور معجزة سماويَّة ، ستؤكد ما جاء به الأنبياء من قبل ، من أيام عدل الله ، وأين رؤية الناس وكأنَّهم سُكارى ، من رؤيتهم يؤمنون بما جاء من معجزة ، وآيات كثيرة في هذا الصدد ، كقوله تعالى : -

(فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) عبس .

أمّا قوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل) فالإيمان حالة تستدعي استقرار النفس وثبوت العقل ، سواء صح القول ، بوجود من يؤمن ، أو كان الحديث عن عظيم الندم الذي سيحل بمن كان يشاقق في آيات الله -جل جلاله- ،

وسنخلص للقول ، إن المشار له بالإيمان ، هو الإيمان بظهور الخليفة ، راجع لاحقاً المطلب الأول (خليفة أم خلفاء) ،

ولمّا كان اليوم الذي تظهر به إحدى آيات الله المؤكدة بظهوره المبارك ، نقول **ولمّا كان هذا يوم الحسرة** ، على من جادل في الظهور ، وسَخَرَ من قدرة الباري -عز وجل- من أن يحكم الأرض ، بواسطة من أعدهُ الله ، مـمثلاً ونائباً عنه سُبحانهُ ،

وما قضية قوله تعالى (أو يأتي ربُّك) فهل يمكن أن نشير بمجيء المسيح عيسى بن مريم ، وقبل أن تنتفض ، لنتذكر قوله تعالى : -

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا **اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) ﴿٤٢﴾ يوسف .

قلنا في المطلب الخاص بغموض النصوص القرآنية ، أن الله سبحانه وتعالى ، تكلَّم مع عباده ، بما يفهمون وبما يزعمون ، كقوله تعالى : -

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ) ﴿١٣٦﴾ النساء

فيعني يا من تدعون بأنكم آمنتم ، آمنوا حقاً ، أو يا أهل الكتاب ، أي يا من تدعون أنَّكم أهل الكتاب ، كونوا حقاً أهلاً للكتاب ، ولا نريد أن نحمل النصَّ القرآني ، على الاحتمال والرأي ، كما حملهُ أهل التفاسير الخمسة ،

لكننا نريد أن نؤكد ، إن ما جاءت به هذه الآية ، إشارات ورموز ، ولا يمكن التسليم بظاهر القول ، بأنه سبحانه -جل جلاله- ، سيأتي إلى الأرض ، كما يمكن الجزم ، بأن المعنى أن يأتي ممثل الرب ، بكلِّ دعم السماء ، ويفوّض لهُ الأمر للحكم باسم الله ، في كل شيء ، أي يأت ممثل الرب ومعه ، كتاب الرب وسلطة الرب وآيات الرب ، دون ذات الرب بالتأكيد ، ورغم إيماننا المطلق بما طرحناه أخيراً ، لكنَّنا نذكر ما تقدم

حول نبي الله عيسى ، لأننا نؤمن بجواز ، أن تحمل الآية المقصدين ، ولفئتين مختلفتين ، أي بالمعنى الذي أوردناه ليفهمهُ المسيحي ، وبالمعنى الأخير ليفهم المسلم ذلك ،

وبعد ... فهي توضح خطورة الإيمان بعد فوات الأوان ، وبعد أن كان الإيمان متاحاً ، والأخطر من ذلك ، من آمن به ، لكنهُ **لم يجهد** ، لتسجيل أيَّ موقفٍ لهُ ، ولم يسعَ لتفعيل علمهُ في عملهِ ، أيّاً كان تخصصه ، ولم يكتسب خيراً لا في سعيه ، ولا في دعوة الناس للإيمان بدولة الخلافة الإلهية ،

لذا فالدعاء بالظهور المجيد ، وإن كان واجباً ، لكونه دليل حتمي على الإيمان بالظهور ، إلَّا أنَّهُ تعالى يرشدُنا على أنه ، ليس بالأمر الكافي والوافي ، ما دُمتَ قادراً على أن تكتُبَ وتقرأ وتُفكّر وتُخطّط ، حتى تجد عنواناً لوظيفتك القادمة ، ودوراً في مهامك المقبلة ، وإن كنت تخشاً ألّا تدرك الظهور ، فَكُن واثقاً من استدعائك ، بالدور الذي رسمته لنفسك في دولة الخلافة ، أو أن يهبك الخليفة ذخائر البقاء ، لإعلاء كلمة الله ، تحت لواء الخلفاء الراشدين ،

ولم يتركنا الله -عزّوجلّ- في حيرة من أمرنا ، بل لم يترك لنا إشارة إلا وأودعها في آياته ، ولا أي سبيلٍ إلا ورسمه في النصوص القرآنية ، فانعم النظر في قوله تعالى : - (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ **حُقُبًا**) ﴿٦٠﴾ الكهف .

هكذا شَدَّ موسى -ع- الرِّحال مع صاحبهُ ، ليلتقي بمَنْ طلب أن يُعلِّمهُ الرُّشدَ ، وإن كلّفهُ (**حقباً**) من حياتهِ ﴿٢٢﴾ ، وهكذا أشار لنا الله -جلّ جلاله- ، لأجْلِ أن نطلب اللقاء بخليفته ، فإذا ما عزمتَ الرحيل لأيِّ وجهةٍ ، فما عليك إلّا أن يكون من طموحك اللقاء بالخليفة ، فلا شكَّ إنَّك ستلتقيه ، ما دمتَ قد تجهَّزتَ بما يشيّد دولة الخلافة الإلهيّة ، وامتلكتَ العزم لتكون ناصراً لها ، ومناصراً لمنهجها ،

فإن كنتَ ممَّن لا يسعى لذلك ، فاترُك لغيركَ هذا النداء ، وأسعى لمَا يشدّ اهتمامك ، وإن كنت من الساعين ، فعليكَ أن تُبحر مختاراً سفن النَّجاة ، على سفن الهلاك ، ولتبدأ بعد قرارك ، واستنفار عزيمتك :

ببسم الله الرحمن الرحيم وبالله -جلّ جلاله- ، وعليه توكلنا وهو رب العرش العظيم .

....

﴿٢٢﴾ - الحقبة تقدر بثمانين سنة ، وجاء في تفسير القرطبي ((حقبا بضم الحاء والقاف وهو الدهر ، والجمع أحقاب ، وقد تسكن قافه فيقال حقب ، وهو ثمانون سنة .

المُقَـــــدْمَـــــــةُ

البدَايَةُ حَيْثُ الْمَعاجِز الإلهيّة

مَاذَا سَأكتبُ فِي مُقدمَة هَـذا الكِتاب ، كِيْ أدفَع القارئ لِقِرَاءة مَباحثه كُلّها ، وما سـرّ إيماني بأنَّ من يفتَحُ عَينيهِ عَلى الأسْطرِ الأوْلى ، لَنْ يرتوي شَغَفَاً بقِراءته ، حتَّى ينتهي مِنهُ تَمَامَاً ، ذلك لأنّنا سَنكتبُ ما يبحثُ عنهُ الجّميع ، ونطرَحُ أسئلةً رُبَّمَا ظنَنْتَ أنّك ولمجرد أن تُفكّر فيها ، فإن الشّيطان قَد تسلّل لصدرِك ، ذلك الصّدر الذي طالمَا تَقبلَ الروايات عن كُنهِ الله وَتَمَادى بِاحتِباسِها ، دون أيِّ نفَحاتٍ من اليَقين ،

لذلك نقولُ ابتداءً ، فنَحْنُ لَم نكتبْ إلّا ما جالَ في خَاطركَ من أسئلةٍ ، ولم نُجبْ إلّا كما أجاب من أحَبَبْنا ، ممَّن سَبقَنا من أهلِ العلم ، ولكنَّ الفرق يكمُن في النتيجة واستنباطِها ، فقضيّتنا هُنا ، هي قضيّة النظر إلى آياتِ الله ، وما خَلَق ، على أنّهُ خلقَها على أساسٍ عِلمي وميزان عادل ، لا على أساس كُن فَيكون ، بالمعنى الذي فَهمهُ نمطية الفكر ، مُذ سَالفِ الأزمَان ،

كُنْ فَيكون ، تعني كُنْ فَيكون بأحسَن ما يُخْلَقُ فيهِ الخَلْق ، وبالمُدّةِ الّتي تؤهّل الخلقَ أنْ يَصِل ويتكوّن ، بموجب ما أرادَهُ لهُ الله -جلّ جلاله- أن يتصوّر ، وبأحسن الصّور وأحْسَن الخَلق ، فمَلايين السّنين التي مرّتْ على الارض مرّتْ ، لتتصوّر بالصّورةِ التي أرادها الله ، وهذا معنى كُنْ فَيكون ، وذَاكَ هو ميزان خَلقهِ كما هو مِيزَان عدلهِ ، حيث الوصول إلى منتهى الخَلْق ، الذي لا كمالَ في الخلق من بعده ، كما يكون منتهى العدل ، الذي لا منتهى في العدل من بعده ،

وهَذا الميزان هو مَا تَحتاجهُ السَّماوات والأرض ، لأجْل أن تَتكوّنا بأحسنِ ما يُمكن أن تتكونا فيهِ ، وبكلّ ما يحتاجهُ الخلق مِنها في العَيش ، إلى الأمَدِ الذي حَدَّدَهُ تعالى لهَا ولهُم ، وملايين السّنوات ورُبَّمَا المِليَارات ، الّتي وصَفَهَا الله بستّةِ أيامٍ ، فهَذه الأيام لم تكُن عَدداً ، بَل كانتْ على شكلِ مَراحِل ، فسُبحانهُ خالقُ الزّمن وجاعلُ الأوقات كُلاً بمِيزَان ، أي إنها خُلقَت بستّةِ مراحِل ، عبّر الله لنا عن كلِّ مَرحلةٍ بيوم ، وهذهِ هي لُغة العرب التي تَناسَاها بعضُهم واغفَلهَا ، ومن يفهم أن كُنْ فَيكون ، تعني الآن واللحْظة ، فهو يبحث عن إلهٍ لا يعلم حتى هو ، كيف خلق مخلوقاتهِ ، ومن أي شيء كانتْ وكيف تكوّنتْ ، إذْ حسبهُ أن يقول كن فيكون ،

أمّا حين نفقهُ عظمة الله ، سنفهم لماذا بيّنَ لنا سبحانهُ ، كيف خَلقَ وكيف فَلقَ ، على الرغم من استحالة فهمنا وتفهّمنا للكثير من أسرار خلقه ، فهو تعالى أجابنا قبل أن نسأل ، وأوضح لنا فيما حدثنا من آيات ، تقديراً لما وهبه لنا من عقول ، ولنعلم أن كل شيء كان بمشيته وضمن اختيارنا ، حتى مخلوقاته التي نظن أن لا إرادة لها ولا عزم : - (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا **قَالَتَا** أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ﴿١١﴾ فصلت .

فكان اختيارنا المعصية ، وكانت مشيته الرحمة والمغفرة ،

فحين نسأل : لماذا سخّر الله آلافاً من الملائكة ، في حربٍ واحدةٍ مع المُشركين ، أمَا يكْفي أن يكون هناك من مَلاكٍ واحدٍ ، ليقضي على كلِّ المُشركين لِوحدهِ ، أو بقولٍ واحدٍ منه سبحانه بكُن فيكون ،

أليس هذا لنَفهم أنَّ حربَ الله لمن عَاداه ، هي حرب تذكير وإفادة ، لا حرب دمارٍ شاملٍ وإبادة ، يفيدهُم بهذه الرّهبة ، أن يكفّوا أيديهم بدلاً عن سَفك الدِّماء وخسارة العِباد ، وبذلك يمتلكون الفُرصَة ، لفهم الدين أكثر ، والإيمان بالله ، وبالشكل الصحيح ، لا أن تُؤمنوا أو تُقتلوا ، وهذا ما نراه في ضيف إبراهيم الخليل (وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا **ثَلاَثَةُ رِجَال** وَاقِفُونَ لَدَيْهِ * فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ) ﴿١٨﴾ – سفر التكوين .

والقرآن أشار لهم بالقوم ، والقوم في اللغة ، جماعة من الناس ، والجماعة تبدأ بثلاثة أشخاص فما فوق ، ومن قيام إبراهيم بذبح عجلٍ واحدٍ ، وهو المعروف بشدّة كرمهِ ، نتقبل ما ورد في سفر التكوين ، بأنهم كانوا ثلاثة رجال فقط ، أي ثلاثة من الملائكة بهيئة رجال ،

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ **قَوْمٌ** مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فقربهُ إليهم قال ألا تَأكلونَ / الذاريات .

فهؤلاء الثلاثة ، جاءوا لإبراهيم -ع- بعد عودتهم من خسف أربعة قرى ﴿٢٣﴾ ، فكيف يرسل الله -جل جلاله- ثلاثة من الملائكة لخسف قرى كبيرةٍ ، ويُرسِل خمسة آلافٍ من الملائكة المسومين في حرب تكررت عشرات المرات خلال البعثة الشريفة ، ولم يقتل في تلك الحرب ، أكثر من سبعين شخصاً ، أي أكثر من واحدٍ وسبعين ملاكاً ، لكل شخص واحدٍ ،

....

﴿٢٣﴾ - قصة قوم لوط – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة .

(بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ **بِخَمْسَةِ آَلَافٍ** مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) ﴿١٢٥﴾ آل عمران .

بهذا علينا أن نعي ، أن قوم لوطٍ نزل عليهم العذاب الشامل ، فليس هناك من حاجة لآلافٍ من الملائكة ، كمن يفجر قنبلة نووية .

(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الذاريات .

أمّا في الحرب ، فالقضية لم تكن بدافع القتل والفناء أبداً ، وبالتأكيد لم تقتل الملائكة أي شخصٍ من السبعين رجلاً ، الذين قتلوا في الحرب ، على الرغم من أنها حاربتهم جميعاً ، وهذا يعني أن هناك مجموعة من الملائكة ، مُكلّفة بكلّ شخصٍ في حالةِ الحرب ، هذا الذي يصُبّ الرّعْب في قلب أحدهِم لعَلّهُ يرتدِع ، أو الخوف من الأسر لكي يتراجَع ، وذاك الذي يشككهُ في عدائه لهذا الدين ، وذاك الذي يحبّبهُ في الحياة ، ويُخيفهُ مِن أن يفقدَ عينيهِ أو يديهِ وما إلى ذلك ، وهذا كلّه من باب الرحمة ، لا من بابِ التعذيب ، وهو ما نعرفه ، من أنه تعالى تسبقُ رحمتهُ غضبهُ ، حتى وإن أعْلنَ الحربَ على من عاداهُ ، كما يعني أن إرهاب عدو الله ، التي جاءت في القرآن ، هي ليستْ كما روّجوا لفهمها ، أولئك المتعطشون للقتل باسم الإسلام ﴿٢٤﴾ ، بل تعني أن يتجهّزوا للعدو بكامل التجهيز ، كي يخاف العدو سَطوتهم ، لعلّهم يكفوا أيديهم ويتراجعوا ،

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمونَ) ﴿٦٠﴾ الأنفال .

(حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل من جهينة ، يرفع الحديث إلى رسول الله -ﷺ- ، ألا إنَّ الرمي هو القوة ، ألا إنّ الرمي هو القوة) ﴿٢٥﴾ .

لكنه تعالى كان يتحدث عن **إعداد الجيش** وتسليحه ، لا إلى الفتك ولا البطش ، إذ نرى بوضوح ، بأن النص أشار إلى النفقة ، وهذا يعني التحصين والتسليح ولا

....

﴿٢٤﴾ - صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم (الطبعة الاولى) ، بيروت : دار الهلال ، صفحة [٢٠٣] .

﴿٢٥﴾ - تفسير الطبري { ١٦٢٢٤} ، ص [١٨٤] .

يعني ما ذهبوا إليه ، من فتكٍ وترهيب ، (ومـا تنفقوا من شيء في ســبيل الله) ، إذ نسي الكثير من المسلمين ، ومُنذ عهدِ الرّسول ليومنا هذا ، إن الكفّار والمشركين ومن خالفوهم في الدين والمذهب ، هُم عباد الله وإن كانوا أعداء منهاجه ، وعليهم هدايتهم قبل القضاء عليهم إن لم يهتدوا ، ولو لم يتعرضوا ، قولاً أو فعلاً للدولة الإسلامية وللرسول الكريم ، لتركوا على ما هُم عليه من دين ، ونحن هنا ، لا نريد أن نحطّ من الرأي الآخر ، فتلك سجيتهم التي اعتادوا عليها ، وما كان على كل الذين أسلموا في زمن الرسول محمَّد -ﷺ- أو بعد فَقْده ، أن يفهموا كلّـما أراده الله بشكل مباشرٍ وسريـع ، وأوردنا ﴿﴾ ، إن الإنسان جُبل على امكانية الإيمان بما لا يرى أمامَه ، كوجود الله والملائكة وجهنّم والجنّة ، أما أن يؤمِن بخلافِ ما يَراه ، فهذا هو المستحيل بعينه ، أي إن الرسول محمّد -ﷺ- ، كان أهون عليه ، أن يؤمن الكثير الكثير من أمّتهِ ، بما جاء به من أنباء الغيب ، من أن يؤمنوا ، أنَّ الأرض كرويّة ، وهُم يرون بأعينهم أنها مُنبسطة ، فـهذا مالا يمـكن أن يعقلـوه ، أو أن الغَمَام يصدم بعضهُ بعضاً بما يحمل من شُحنات ، فينتج البرق والـرعد ، وتخرج الصواعق على إثـر هذا الاصطدام ، وإن القمر هو المسبب لما يعرف بظاهرة المدِّ والجّزر ، وإن باطن الأرض لهيب سائل ، وإن القمر لا يضيء ، بل ينير لأنهُ يعكس ضوء الشمس ، وليس هناك من ضوءٍ يخرج من المرآة ، والكثير من المعلومات التي عرفناها مؤخراً ، وأن المشكلة الأشدّ مرارةً هي اعتبار هذه العلوم من قواعد الدين وأساسياته ، على اعتبار أن الكتب السماويّة ذكرتْ أن الأرض مُنبسطة ، واكتشاف ما يخالف ذلك يُعد تكذيباً لله ، والحقيقة أنهم هم من غالطوا الفهم الصحيح للآيات ، ومفهوم النصوص ، وخوفاً عـلى منزلتهم أمـام الناس ، وتركتهم ومـكانة آبائهم وأجـدادهـم ، راحـوا يكفّرون ويقتلون من يتوصل لما يخالف الموروث الروائي ، كما بيّنا كل ذلك وكما سنبينه في أطروحة النقد الوظيفي ، كما كان المستحيل في أن يغيروا من طباعهم ، وما جبلوا عليه من أعرافٍ وعادات ،

وجنايتهم هذه يتحملونها هم أنفسهم ، ولا يتحملها ذلك الدين أو المذهب ، وهم في عين الحقيقة ، لا ينتمون لدين معين أو مذهب محدّد ، إنما هم جماعة من الأشخاص ، تجدهُم في كلّ الأديان والمذاهب على حدٍ سواء ، يمثّلون المستقبح من الفكر المظلم ، وندعوهم **بالنمطية** ، أولئك الذين يتوارثون الجهل والجاهليّة نفسها ، وكأنهم يمثلون شخصاً واحداً ، موجوداً عبر العصور ، فمرّة نراه في العهد

العثماني مُحرّماً للآلة الطابعة ، ولشرب القهوة ، وللتصوير الفوتوغرافي ، ومرّة نراهُ قد حارب العلم والعلماء وأفتى بقتلهم ، وبذلك فإن هؤلاء النّمطية ، كانوا وما زالوا في جهل لا ينتمي لأيِّ دين ، ومن عدم الإنصاف أن ننسب الضلال للدين المسيحي مثلاً ، على أساس تصرفاتٍ شخصية ، لو أنها رُفعتْ وكُشفتْ كل الحقائق من ورائها ، لمَا عاد من فرق بين الأديان ،

والكلّ يعترف أن الدين المسيحي ، دين سماوي صحيح ، غير أن هناك من الطامعين والمغرضين ، من تلاعبوا بالنصوص والأحاديث ، ليجعلوه دينا دنيوياً يخدم مصالحهم ، وكذا من الظلم أن ننسب تلك الفتاوى للمذهب السني ، فالمدعو (أبو سعود) شيخ الإسلام في عصر السلطان سليمان القانوني ، قد أفتى بحرمة قتل السلطان لمستعمرةٍ للنمل ، وهو نفسه من أحلَّ قيام السلطان ، بقتل اثنين من أبنائه ، بعد أن افتى بقتل وزيره الأعظم ، فهو وإن كان في زمنه ممثلا للمذهب السني ، غير أن المذهب لا يُدان على أساس تصرفات حمقاء ، وفتاوى شاذّة صدرتْ من شخص وصل مكانته بمداهنة السلاطين ، وخدمة عروشهم ، لذا فالقارئ عندنا أعز من أن نُدخله في جبهاتٍ عدّة ، لنجعلهُ يبغض كل عباد الله ، ويستثني فئة واحدة ومجموعة قليلة ، بل سنعمد إلى خلاف ذلك ، أي نتقرّب من كل الأديان ، ونستثني فئات قليلة من كل تلك الأديان ، ولولا تلك الفئات القليلة ، لأصبح كل أهل الأرض على دينٍ واحدٍ ، فهذه الفئات القليلة ولأنها وصلتْ وسيطرتْ على مقاليد الحكم ، استطاعتْ أن تدهن من هم دونهم بلونها الداكن المُظلم ، ولكيلا ندخل في تجاذبات في كل مبحث من مباحث هذا المصنّف ، أخترنا أن نجمع معظم تلك المشادات في مبحثٍ واحد ، سمَّيناه (أطروحة النقد الوظيفي) ، أي أننا نراهم هنا قد أخطأوا وظيفياً ، وليبقى تجريمهم بيد الله -جلّ جلاله- وألي الألباب من عباده .

= في قاعةٍ كبرى للاحتفالات ، دُعيتُ لحضور ندوة يقيمها قس كاثوليكي ، يدّعي أن لديه برهاناً على أن الدين المسيحي ، أكثر تقدماً من باقي الأديان ، ودليلهُ المقولة الشهيرة لسيدنا عيسى ابن مريم -عليه السلام-، أن أدر خدّك الأيسر لمن صفعك على خدك الأيمن ، وكان من المستهجن أن أقاطعه في الحديث ، حتى تسنى لي الاقتراب منه ، فما كان مني إلا أن سألته سؤالين فقط ،

الأول : متى أدار المسيحيون على مدى التأريخ ، خدهم الأيسر لمن صفعهم على خدهم الأيمن ؟

هل كان ذلك أيام فرسان الصليب ، الذين سفكوا الدماء بلا رحمة ولا عدل ، أو حين اندلعت الحروب إثر بدء الإصلاح البروتستانتي {١٥١٧} ، أم في حرب الثلاثين عاماً ، التي تسببت بانخفاض عدد سكان ألمانيا بنسبة :[٣٠ %] ، {١٦١٨} - {١٦٤٨} م ،

وللنصف في أراضي براندنبورغ ، ناهيك عن انتشار الأمراض والمجاعات التي لاحت كل سكان أوربا بسببها .

والثاني : أين صدى ما تأمنون به في تشريعاتكم ، منذ أن كانت الكنيسة المُشرّع الوحيد لقوانين دول أوربا ليومنا هذا ؟

وكم نعجب ، فمن قال لهؤلاء أن النصوص القرآنية ، تحددت بمبدأ العين بالعين وحسب ، فقوله تعالى : -

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ **عُفِيَ** لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ **فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ** وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ **بِإِحْسَانٍ** ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿١٧٨﴾ البقرة

وقوله تعالى :

(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ **تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ** فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) ﴿١٤٩﴾ النساء .

وقوله تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ **قُلِ الْعَفْوَ** كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) ﴿٢١٩﴾ البقرة .

وآيات يطول الحديث بذكرها ، جاءت في العفو والتسامح ، ولكن أولئك الذين اتخذوا من دينهم مغنماً وسبيلاً لتحقيق آمالهم ، وتفريغاً عن أحقادهم اتجاه الآخرين ، حتى من أهل دينهم ومن أبناء جلدتهم ، جاءت الانطباعات تلك عن الإسلام بهذا التصور ..... نحن أيّها القس ، ويا أيها المتصيدون لغفلة الناس ، لم نصل بعد منذ أول نداء للسماء حتى اليوم ، لتطبيق حتى مبدأ العين بالعين ، لأننا نُبعد رسائل السماء بعيداً عن أهلها ، ونحوزها لأنفسنا ،

ومن هنا تبدأ القضية ، قضية من أرادهُ الله أن يكون خليفةً له في أرضه ، وسلطاناً على عباده ، فأنزل شريعته قبل خليفته ، ليفهم العباد منهاج الربّ وعدله ، ويشيروا لخليفته ، قبل أن يُعرّفهم بنفسه حتى ، وبدل أن يحمدوا الله على نعمه ، وما بينه لهم من سننه ، تملّكوا الدين وحولوه إلى ممالك ، تأتيهم بالأموال والجواري وما لذّ وطاب ، حتى بدأ اتّبَاعُ الأديان ، باكتشاف زيف القائمين عليها ،

فظن الكثير أن الله لم يُبْق للأديان من راع ولا أمين ، وبقي بعضهم على يقينهم ، أن الراعي لقادم لا محال ، وإن الوارث الأمين لا يعاف إرثاً أمر به ربّ العالمين ، وإن مرّت بنا السنون ، بل نحن من تركنا دعوته ، ووقفنا ضد عودته ، وغرّتنا الحياة ، ونسينا المعاد ،

وأن نسأل ، أين نحنُ من الخليفة ، غائباً كان أم حاضراً ، وما أعددنا لأنفسنا من وظـائف في حـكومته ، وأدوار في دولته ، فالجواب أننا دائما في حـالة انتظار ، أم حسبنا جميعاً أن استعدادنا لحمل السلاح ، هو كل ما سنعدّه لخليفة الله ، لتكون الحرب الوسيلة ، ويكون الانتقام ممن عادانا هو الغاية ، وإذ بات الدعاء لظهوره ، أعظم ما نقدمه وننجزه ، والتأمل أعظم ما نبذله ،

أنا وأنت وكل من آمن بقضية الخليفة ، يتذكرون قصة الطير الذي حمل قطرات من الماء ، ليطفيء بها نار النمرود المشتعلة ، ضد إبراهيم -عليه السلام- ، وحين سُئِل ما أهمية ما تفعله ، قال إني أعمل بتكليفي على وفق قدرتي ، فيما لا نرى من أحدٍ منّا ، يتحرك ليجمع الماء ويخزنه ، للنيران التي ستشتعل ضد الخليفة ،

الطبيب والمهندس والكيميائي وغيرهم ، ينتظر الخليفة أن يكشف له عن المعاجز في العلوم ، لا أن يكتشفوا هم بما أعطاهم الله من عقلٍ ، وما خزنه لنا في كتبه السّماويّة ، وهذا شأن حتى رجال الدين ، فكلّ مهامهم الآن تنحصر في الاطلاع على الآراء ، فإمّا أن يؤيدوها وإمّا أن ينتقدوها ، بل يكترثون لما ينتقدونه أكثر ، على أن ذلك من مهام الدفاع عن الدين ، وإن كانت النتيجة ، الترويـج لتلك الأعمال الفاسدة ، وعليه قررت أن أسير بقافلة ملؤها النداء والاستعداد ، لتوضيب أعمال الدولة الحميدة السعيدة ، وتجهيز موظفي دولة الخلافة الإلهية ، كُلّاً على وفقَ مؤهّلاته ، وهذا لا يعني أسـماءً وشـخصيات ، بل مجرد هياكل وظيفية ومناصب تعبوية ، ليعلم الجميع دورهُ ، ويدرك مـكانهُ ، وبرنامج عـمله ، وهذا كلّه بعد البحث والتقصي عن العهدين والمراحل ، التي ستمر بها دولة الخلافة ، والوقوف على **المبهم والمجهول من أسرار الظهور** ، وأسباب ما خفي عنّا ، وما حرّفه بعض الباحثين ، وما زيفه بعض الكاتبين ، وهذه قصة بني آدم مع خليفتهم ، والتي ستصدمنا أحداثها وما سنبحر فيه من فصولها ، أمّا إبليس وقومه ، فقد اعتزلوا المشهد منذ البداية ، وكان إمهال الله له على أساس علم الله ، إن هناك فئة كبيرة من الإنس والجن سيتبعونه ، ولولا وجود فئة على خلاف ذلك ، آمنت بأنّ لله الأمر من قبل ومن بعد ، لما تأسس هذا الوجود بكامله .

وختاماً لهذه المقدمة فإننا على يقين لا يقاربه الشك مطلقاً ، أن من يطّلع على هذا الكتاب ، والكتاب الذي سبقه ، سيمتلك كل أدوات الدخول لجمهورية النبأ العظيم ، وسيحوز منصبه ،
ويختار دوره القادم ، بوصفه جندياً من جنودها ، وعضواً فعّالاً في مؤسساتها ، وآخر ما في جعبتنا من حديث ، حول أن كل ما خلقه الله هو معجزة ، لا كل ما خرج عن المألوف ، كما أن هناك معاجز للأنبياء أعظم من عصا موسى وخاتم سليمان ، فالرسول الكريم محمد -ﷺ- كانت لديه معاجز ذاتية كثيرة لم يرها أهل قريش ، فصبره وحلمه كانا معجزة ، ورأفته ورحمته بالمؤمنين كانتا معجزة ، لأنه خرق القانون الطبيعي لصبر الإنسان وحلمه ، وقوله تعالى : -
(لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) ﴿٢٧﴾ الأنبياء .
لا يترك في النفس من شكّ ، على أن هذه المجموعة من الأنبياء والأولياء ، يمتلكون العصمة ، بالدرجة التي يقولون فيها ما يقوله الله تعالى ، من حيث النص ومن حيث التوقيت ، فلا يسبقونه ولا يتأخرون عنه ، وما جاء في قصة معلّم موسى ، لدليل دامغ على ما تقدم ، ومن ظن أن هؤلاء هم جماعة من الملائكة ، فظنه ينافيه قول الملائكة ، الذي أخبرنا به تعالى : -
(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ﴿٣٢﴾ البقرة .
وهذا يعني أنهم لا يعلمون إلا من بعد أن يعلّمهم الله ، ولا يعملون إلا ما يأمرهم الله به ، فلا محل لإعمال قوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) ، لأنهم لا يملكون القول مطلقاً ، إلا بأمر الله -جل جلاله- فما الداعي لقوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) ، وهم لا يمتلكونه أصلاً ، ولا نعني إن هناك من يعلم دون أن يعلّمهُ الله ، ولكن نعني أن يوكله الله بأمرٍ فلا يتعجل بإصداره إلا في الوقت الذي يريد الله صدوره ، لذا وكّلهم بالأمر ، وحين يبين الله لنا علم الملائكة ، فهذا يعني علمهم وما يمتلكونه من أمر ، فليس هناك من داعٍ للنص : لا يسبقونه بالقول ، وهم لا يملكونه مطلقاً قبل أن يعلّمهم به الله ويأمرهم بذلك ،
(عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ﴿٦﴾ التحريم .
فما بالك بالأمر ، لأن معنى (لا يسبقونه بالقول) ، أي بالأمر ، كما في قوله : -
(فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) ﴿١٦﴾ الإسراء .
ومِنْ هُنا كان للخلفاء مكانة عَلَتْ مَكانَة الملائِكة ، وهَذا ما سَنبْحثهُ حتَّى ندركه .

الجــزء الأول

حُـــــكُومَةُ الإمَامِ الصَّالِـــــح

وظـــــــهُور الفــــــرْقَةَ النَّاجية

لا خلاف أبداً ، بين كل الأديان الإبراهيمية ، ومشتقاتها من المذاهب والملل ، على مجيء الحاكم المؤيَّد من الله تعالى ، الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن مُلیئة ظلماً وجوراً ،

ومِن غير المتصوّر ، أن ديناً من هـذه الأديان ، أو مذهباً من مذاهبها ، لا ولم يدَّعِ أن ذلك المنصور المؤيَّد لا ينتمي لمذهبهم ، وليسوا هم على نهجه ،

لكنَّ النَّتيجة المُـؤكّدة ، أن الأرض سـيحكمُها السُّـلطان العـادل ، أيّاً كان دينهُ والمذهب الذي ينتمي إليه ، وسنَنْعم بالعدل الإلهي ، وبما وعدنا الله من أيامه ، آجلاً أم عاجلاً ، وسيدرك الجميع المعاجز الإلهيّة ، التي يتحرّقون شوقاً لرؤيتها ، بغية التأكد من وجود الله تعالى ، بالرغم مـما خلقهُ الله لنا من معاجز في كل ما نراه ، وما نأكله وما نلبسه ، فإنَّ الجاهل يرى كلّ ما يخالف الطبيعة على أنهُ معجزة ، فعظمة ما خلق الله من النجوم والكواكب ، لا تثير في فكرهُ شيئاً ، لكنّه إذا رأى الشمس تشرق من مغربها ، يؤمن حينها بوجود إله ، وكأن اشراق الشمس من المشرق ، أمر يستطيع هو أن يقوم به ، وبهذا الفكر المتدني ، آثروا عدم الإيمان بأيِّ نبيٍّ ، إلّا إذا جـاء بالعمل الخـارق ، تاركين شـرع الله وعـدله خلف ظهورهم ، والغريب أنَّنا الآن نؤمن بأحزاب مختلفة المناهج ، من دون أن نطلب من مؤسّسيها أيّ معجزةٍ ما ، والله -عزّوجلّ- لم يطلب منا سوى الإيمان بمنهاج عدله واتباع شريعته ، وعلى الرغم مـما مـرّ على بني إسـرائيل من معاجز أتى بها موسى النبي ، وحارب بها فرعون ، راح بنو إسرائيل يؤمنون بموسى ، بوصفه إنساناً خارقاً ، وعادوا يشككون في الخالق : -

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ **حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ﴿٥٥﴾ البقرة .

وإذْ أفنى نبي الله نوح -ع- ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وهو يدعو قومهُ للإيمان بالله ، ولم يؤمنوا حتى جاءهم الطـوفـان ، ومن ثمّ أمدَّ الله أنبياءَهُ بالمعاجز والخوارق ، لكن النتيجة بقيتْ كما هي ، وبدلاً من أن يتغيّروا على وفق منهاج الله ، غيّروا منهاج الله على وفق تطلعاتهم ، وحرّفوا الكلِمَ عن مواضعه ، حتى انبرى

سيد الخلق أجمعين وحبيب رب العالمين ، الرسول الأمين محمد بن عبد الله -ﷺ- ، ليتصدى لإعلان دين الله الحنيف ، دونما الحاجة للخوارق ، حتى أكمل الدين فاستحقّ المكان العلي عند الله -عزّ وجلّ-، واستحقتْ البشرية أن تنعم من بعده بخلفاء الله تعالى ، وحكومة الائمة الصالحين ،

((عن العرباض بن سارية قال: [وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- موعظة بليغة، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة **الخلفاء الراشدين** ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة])) ﴿٢٦﴾ ،

ولكن هناك من أعادنا للمربع الأول ، وسنبحثُ لاحقاً بهذا ،

أمّا ما نعنيه هنا بظهور الفرقة الناجية ، فهو العلم بها والتعرف إليها من قبل كل من في الأرض ، حالها حال خليفة الزمان ، الذي ندعي وجودهُ ، ولم نلتقِ بهِ لحد الآن ، وربما لحد قيام الساعة المحددة لهُ ، سواء كان معرّفاً بالهوية والذات ، أم بالدلالة والصفات ، وذلك من قِبَل الفرق الإسلامية ، لكنهم أبداً لم يتّفقوا فيما بينهم على تسميته ، وقبل أن نستقل بالحديث عن كل أمر من هذه الأمور ، سنتحدث في هذا الجزء ، عن مفهوم الفرقة الناجية ،

وقد يفاجئك القول بأن الفرقة الناجية ، قد تتكون من شخص واحد فقط ، أو مجموعة قليلة ، ولكن من المؤكد أننا لا نعني الفرقة بوصفها منهجاً ، بل كما يقال العالمون العاملون ، أي من يعمل بذلك المنهج في كل مفردات حياته ، لا مجرد أن يكون لغطاً على اللسان ، ونذكر في هذا المنوال حديث الرسول الأكرم -ﷺ-

((عن سعيد بن زيد : قال سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وعـلى آله ، عن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ، فقال : يأتي يوم القيامة

....

﴿٢٦﴾ - جاء هذا الحديث في كتب الشيعة وأهل الجماعة على حدٍّ سواء ، كما في كتاب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين / للسيد عليّ الميلاني ما أخرجه الترمذي قائلاً : حدثنا عليّ بن حجر ، حدثنا بقيّة بن الوليد ، عن بحير بن سعيد ، عن خالد بن معمدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي ، عن العرباض بن سارية ، وذكر الحديث ، وقد روي كذلك عن ثور بن يزيد وهكذا ، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

أمة وحدة)) ، كما نُقل عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أسامة وأبيه ﴿٢٧﴾ ، وقد روى البخاري في مناقب الأنصار برواية مطوّلة خلاصتها ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، **أن زيداً يبعث أمة** ، وأجاز الاستغفار له ، بالرغم من وفاته قبل الهجرة بثمانية عشر عام ﴿٢٨﴾ ، لكن الروايات ، تذكر أنهُ كان حنيفاً مُسلماً وعلى ملّة إبراهيم ﴿٢٩﴾ ، وهكذا جاء قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ **أُمَّةً** قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، إن كنت بعد ، تشك بما نسب للرسول ، من أمر زيد ، لذا فلا تأنس فرقة ما ، على أنَّها الفرقة الناجية ، وإن كان منهجها منهج الحق ، حتَّى يكون أعضاؤها كلّهم من العالمين العاملين بمنهاج الله ، كما لا ييأس فرد من أي فرقةٍ ومن أي دين ، على أنَّهُ ليس من الفرقة الناجية ، وإن كان منهجه خلاف منهج الحق ، ما دام هذا الخلاف لم يكُ عن عمدٍ وعنادٍ منهُ ، وإنَّهُ جاهد للوصول إلى الحق والحقيقة ، ولم يترُك من سبيلٍ لإدراك كلّ ذلك ، وإنّ ما فيه من خلافٍ واختلاف ، كان خارجاً عن إرادته ، وهذا ما سنوسعهُ بحثاً ،

هذا وإن الاختبار الأعظم والبلاء الأكبر ، هو في اختيار الله ، أن يكون خلفاءه من بني آدم ، فلو كانوا من الملائكة أو الجن أو أي جنسٍ من غير جنس بني آدم ، لآمن القسم الأكبر من بني آدم بولايتهم ، على أنَّهم يمتلكون القدرات الخارقة ، والتي لا يمتلكها الإنس ، وعلى أنَّهُم تميزوا بمادة خلقهم عن باقي البشر ،

هذه النعرة التي فاقت حتى نعرة إبليس ، فالأخير وجد في مادة خلقه ما يُميّزهُ من آدم ، وإن كان واهماً فيما ظن واعتقد ، لكنَّ من رفض ولاية الخلفاء من بني البشر ، فبِمَ ستكون حجّتهم ، وعلامَ سيكون امتناعهم ، وهُم من مادة الخلق نفسها ، والآن ، كيف لنا أن نُمثّل عَمَدَاً من أعمِدَة حكومتهِ ، وصوتاً من أصوات دعوتهِ ، بعد التحرر من زيف ما وصل إلينا ، وقد أعددنا لأجل ذلك ، بابين بـ(٤٠) مطلباً .

....

﴿٢٧﴾ - سير أعلام النبلاء - للذهبي - ص [٧٩] ، وهو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ، يعدّه أهل الجماعة أحداً من العشرة المبشرين بالجنة ، رواه أبو يعلى وقال الشيخ حسين أسد اسناده حسن .

وذكر أن الرسول الأعظم -ﷺ- قد قال في شأن زيد بن نفيل والد سعيد بن زيد : دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين ، رواه ابن عساكر {٥١٢ / ١٩} وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة بالرقم : {١٤٠٦} .

﴿٢٨﴾ - محمد بن إسحق – كتاب سيرة رسول الله -ﷺ- .

﴿٢٩﴾ - سيرة أعلام النبلاء للذهبي ص [٧٩] ، كما في سيرة ابن هشام - ص [١١٧] .

الباب الأول

عـــــلـــم الخــلافـــة

الخلافة علم من أعظم العلوم ، والذي قُلنا إنَّهُ العلم الذي جهلتْهُ ملائكة السماء ، وبه أصبح آدم نبياً ، لكنَّنا (ونقصد الباحثين) تركنا البحث فيه ، رُبَّما لافتقارنا لأساسيَّاته ، أو لتخوُّف مُعظم الباحثين ، من أن يُمسَّ الخوضُ فيه عروش السلاطين ، ولسنا ممَّن ندَّعي الإلمَام به ، لكنَّهُ تعالى حين يقول : -

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا** سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ﴿١٩١﴾ آل عمران .

فنلاحظ إنَّهُ تعالى ذكر أهمَّ أعمال وصفات الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، أنَّهُم يتفكَّرون في خلق السماوات والأرض ، ولم يذكر قولهم (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) إلا بعد قوله يتفكرون في خلق السماوات والأرض ،

هكذا أمرنا الله سبحانه ، بالتفكر في كل ما في السماء والأرض ، ودحْض كلَّ ما نراه من الأباطيل التي تمس علياء الله وكنههُ ، وما عساهُ تعالى أن يقول بعد عظيم آياته لدفعنا للتفكر والتعقّل : (أولم يتفكروا في أنفسهم) ﴿٨﴾ الروم .

وآيات عديدة ، لم تترك لنا من سبيل إلا بالتفكر بآيات الله ، ولربما هناك من يظن أن آيات الله ، هي آيات القرآن فقط ، وهو القائل سبحانه : -

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ﴿٥﴾ الجاثية .

وآيات عديدة أخرى ، تخزي من لا يتفاعل مع آيات الله -جل جلاله- ، كقوله : -

(وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا) ﴿٧٣﴾ الفرقان .

فكيف نتمكن من إدراك مرادنا ، رغم قلة المورد وغياب المعين ، واختلاف أهل العلم ، وأتباعهم للفروع ، وتركهم الأصول ، حتى إننا سنمر بتفاسيرٍ للآيات ، أخذت عن الرسول الأعظم ، لكنهم تركوها ميلاً لتفاسير أهل الرأي ،

ولأننا نعلم علم اليقين ، إنه تعالى ما جعل من آية من آياته طلسماً يصعب فك رموزه ، وهو الذي دعا حتى أهل الشرك ، للتفكّر في آياته ،

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) ﴿٢٤﴾ محمد .

ولكن لماذا قـال تعالى على **قـلوبٍ أقـفالها** ، وهو يدعوهم ، لكي يتدبروا القرآن ولا يدعوهم للإيمان بآياته ابتداءً ، والمفروض أن يشير إلى العقول لا إلى القــلوب ، لذا فالإشارة هنا تدلنا ، على أنَّهم يرفضون قلباً تقبل القرآن والتدبُّر في آياته ، ولا يجدون مانع من فهم الآيات ، إنَّما رفضهم لقبول الحق ، هو ما يمنعهم من تدبّر القرآن ، وهذا يعني أن المشرك والكافر يمكنهُ تدبُّر القرآن ، وفهم آيات الله ، لكنَّهُ هو من يرفض تدبُّرَها ، لغايات دنيويَّة ، لا لصعوبة في إدراك مقاصدها ،

وبالعودة لهدفنا في الولوج لعلم الخلافة ، فما علينا إلّا فهم ، ما لدينا من أدوات ومفردات ، أشار لها الباري -عزوجل- ، في حديثه عن الخلافة ، وسنرى أن سبب استحداث منصب الخلافة ، هو مشيئة الله أن يُعْبَدَ في هذا الكون ، الذي كان الشيطان الساكن الأقدم فيه ،

لذا فهناك قوة ونظام استحدثه الله ليُعْبَدَ في هذا الكون ، مقابل قوة ونظام وجِدَ بوجود الشيطان ليُعْبَدَ في نفس هذا الكون ، وبذلك فإنَّنا أمام مُهمَّة استكشاف ، المفاهيم والعلامات ، التي قُلنا عنها ، إنَّها المفردات التي ستوصلنا للغاية المنشودة ، وبالخوض في فـهمها ، نحصل على أدوات البحث في عـلم الخـلافة ، هذا وبالرغم من محاولاتنا عدم تكرار ما جاء في الكتاب الثاني ، والذي اشتمل على أساسيات بحثنا هذا ، لكنَّنا نرى ضرورة المرور بها ، ولو بشكل سريـع ومقتضب ، خشية عـدم اطلاع القارئ على الكتاب الثاني ، أو صعُـوبة استذكاره ما جاء فيه ، وعلى هذا اخترنا البدء في المفهوم الحقيقي للإشراك ، لندرك أهمية أمر الله للإيمان بنهج خليفته ، وخطورة عدم الإيمان بهذا النهج ، ومن ثم فهم باقي الأدوات والمفردات ، حتى نقف على الخطوات ، التي وجدناها سلالم للوصول فكرياً وجسدياً ، إلى دولة الخلافة الإلهية ، وهذا كُلّهُ بعد أن نبحث فيما جاء عن الخلافة في كتاب الله ، أو ما مرّت به عبر الأديان ، وهذا يعني ، أنّنا سنبدأ من نقطة اللا شيء يسبقها ، وشعارنا ألّا نتقبّل ما لا يتقبّله العقل ، وما لا نراه مكافئاً لمنزلة الله وكنهه ، وربما تقول إن هناك من الأمور والشعائر التي أنزلها الله بكتابه ، وفرضها على عباده ، لا تتوافق مع العلمية والعقلية التي ندعيها ، وهذا قول مغالط ، لأنَّنا سنرى أن هذه الأمور والشعائر ذات ميزان علمي ، لأننا ينبغي ألَّا ننسى ، أنَّنا نتعامل مع إله عظيم الصفات ، هو من أوجد العلوم ، وإذا كان من المستحيل أن نرى رجلاً يطير دون واسطة ما ، فمن المستحيل أن نرى ملاكاً يمشي دون واسطة ما ، فالسماء بمخلوقاتها ، لها ميزان علمي يخصُّها ، ولا يعني اعتبار هذه المخلوقات كشواذ عن قواعد وموازين العلم ، لأنَّ لها قواعدها العلميَّة الخاصة بها ....

الفصل الأول

المدخل لدراسة علم الخلافة

دولة الخلافة في المنظار السماوي والقانوني (نظام الحكم)

يمكننا اعتبار علم الخلافة ، من العلوم التنظيمية ، كعلم الإدارة والعلوم التي تتفرع عنه ، فيمكننا دراسة علم الخلافة بموجب المنظار القانوني ، على أنه علم دولة الخلافة الإلهية ، فحين أبلغ الباري -عزوجل- ملائكته بجعل خليفة له ، أجابوا بالقول : (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ﴿٣٠﴾ البقرة .

وهذا يعني بالتأكيد حكم السلطان الذي سيحكم الأرض ، أي بناء دولة الله في الأرض من قبل خليفته ، الدولة التي لو قبلها كل بني آدم كما قبلتها الملائكة ، لتأسست منذ اليوم الأول لهبوط آدم على الأرض ، وَلَكنّا جميعاً ندين بدين واحد ، وما كُنَّا بحاجةٍ إلّا لنبي واحد وكتاب واحد ، وبعد أن مرّ علينا ما مر ، وبُتنا أمام مهمّة استكشاف دولة الخلافة ، فهل يمكننا أن نرسم صورة دقيقة لتلك الدولة..

نقول نعم ، خاصة في ضوء كلّ ما نمتلكه من الأحاديث والروايات ، المعقولة والمقبولة ، والتي تتناسب ومنهاجه تعالى ،

وما أن تنتهي من قراءة هذه الصفحات ، حتى تجد نفسك وقد وقفت في زاوية تريك وتوضح لك ، دولة الخلافة الإلهية بشكلها الحقيقي ، الذي عنته النصوص القرآنية .... وبداية حديثنا هو السؤال : -

ما هو نظام الحكم الذي أرادهُ الله تعالى لحكومته في الأرض ؟ هل هو جمهوري كما ندعي أم ملكي ، أم ربما نظام خاص لم تعرفه البشرية لحد الآن ،

ولنلقي أولاً ، نظرة على مفهوم الجمهورية ، ونظرة سريعة أخرى على تاريخ نشأتها وتطورها ،

الجمهوريّة : هي نظام من أنظمة الحكم ، التي عُرفتْ بوصفها مُصطلحاً ، يشير إلى الدولة التي يقوم شعبها باختيار رئيساً لهُ ، ويُدعى رئيس الجمهورية ، وهي نظام حكم الشعب لنفسه بنفسه ، على وفق دستور يضعه من يُمثّلون الشعب ﴿٣٠﴾ ، أو عن طريق جمعية تأسيسية مُنتخبة من قبل الشعب ، أو قادة تلك الثورة الذين جاءوا بالجمهورية ، وفيها يكون النظام مكوّن كما هو مُتعارف ، من سلطات

....

﴿٣٠﴾ – موقع موضوع - تعريف النظام الجمهوري - رزان صلاح - [٢٠١٩] .

ثلاثة وهي السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية ، والرئيس يتم انتخابه بعد ترشيحه من قبل الشعب ، أو من يمثلوهُ ، في ضمن ما يسمى بالبرلمان ويحكمها مبدأ الفصل بين السلطات ، ويتم وضع الأسس الحديثة لكل أنظمتها ، وتأتي كلمة جمهورية من المصطلح اللاتيني : -

res publica

الذي يعني حرفياً (الشيء العام) ، أو الشأن العام ، وقد تم استخدامه للإشارة إلى الدولة عموماً ، وغالباً ما تكون الجمهورية دولة ذات سيادة واحدة ، ولكن هناك أيضاً كيانات دولة ذات سيادة فرعية ، يشار إليها بالجمهوريات ، أو التي لديها حكومات توصف بأنها جمهورية بطبيعتها ، وعلى سبيل المثال : المادة الرابعة من دستور الولايات المتحدة (تضمن لكل ولاية في هذا الاتحاد شكلاً جمهورياً للحكومة) ، مثال آخر : هو الاتحاد السوفييتي ، الذي وصف نفسه بأنه مجموعة من (الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية) ، في إشارة لـ[١٥] جمهورية سواء كانت فيدرالية أم متعددة الجنسيات ، أو من المستوى الأعلى من كل ذلك ، ومصطلح جمهورية ﴿٣١﴾ ، نشأ وتطور في عصر اليونان وروما القديمة ، لا بل أقدم من هذا التأريخ بكثير ، حيث عُدَّ اتحاد بني إسرائيل خلال مدة القضاة ، بأنه شكل من أشكال النظام الجمهوري ﴿٣٢﴾ ،

وذلك قبل مدة من قيام مملكة إسرائيل الموحدة ، لذا تُعدّ الجمهوريّة ، الصورة المعاكسة والمضادة للنظام المَلَكي ، والذي ينفرد بموجبه شخص لحكم البلاد ، فيجمع بيده السلطات الثلاثة ، ويوزع مناصب حكومته ، على مقربيه ومناصريه ، والحزب والمذهب الذي ينتمي إليه ،

وقد يروم الحاكم المنتخب بشكل جمهوري ، تحويل نظام حكمه إلى نظام شبيه بالملكي ، عن طريق توريث نجله ، ليحفظ لأسرته دوام العرش ، وقد يتوصل لهذا بشكل ديمقراطي مُختلق ، بتزييف الانتخابات ، والقضاء على معارضيه ، خصوصاً

....

﴿٣١﴾ - "Republic" j, New Dictionary of the History of Ideas. Ed.

ماريان كلاين /هورروويتز .

Vol. 5. Detroit: Charles Scribner's Sons, 2005. p. 2099

﴿٣٢﴾ - الرقابة على دستورية الأنظمة والقرارات الإدارية ، أزهار هاشم أحمد الزهيري .

في الدول التي لا تعترف بالتعددية الحزبية ، أو تعترف بها بشكلٍ شكلي فقط ، كما حصل في سوريا وما أراد فعله ، الحزب الحاكم في مصر والعراق ، لولا سقوط أنظمتهما وتفكك أحزابهما ، ومن غير المتوقع حصول العكس ، أي قيام الحاكم بتغيير نظام حكمه ، من ملكي إلى جمهوري ، لذا فلا يأتي النظام الجمهوري ، بعد الملكي ، إلا في حال القيام بثورة جماهيرية ، تدعو لذلك ، كما هو الحال في معظم دول العالم في العصر الحديث ،

والجمهورية لغةً : اسم مؤنث ، وهي دولةٌ يرأسها حاكمٌ منتخبٌ من الشَّعب أو من مُمثِّليه ، وتكُون رياسته لمدَّةٍ محدَّدة ، وكلُّ حشد وتجمع للناس ، يسمى جمْهر ، ويدعى بالجمهور ، حتى ولو بأعداد قليلة ، كجمهور المسرح ﴿+﴾ ، هذه هي الجمهورية ، والمفهوم المتعارف عنها ، منذ نشوئها حتى الآن ،

فهل يعني أن دولة الخليفة ذات نظام ملكي ، وكيف لنا أن نحدد أنّ دولة الخليفة ذات نظام جمهوري ، فيما نرى أن الله -جل جلاله- قرر قراراً منفرداً ، بتعيين الخليفة ، دون الرجوع إلى رأي الجمهور من الإنس أو من الجن ، وسيكون جوابنا لهذا السؤال ، جواباً لأسئلة أخرى هامة ، أهمها أسباب تأخر الخليفة ، قبل بحثه في مطلب ، ولابد من أن الخالق أراد لمخلوقاته ، أن يعيشوا في ظلّ حكومته وينعموا بعدلها ، فلماذا لم تنعم البشرية بتلك الدولة ، وبالعدل الإلهي ، كل هذه العصور والدهور ، وماذا يريد منّا الله لكي يحققها لنا ،

= في زمن النبي سليمان -ع- تحققت تلك الدولة بطلبٍ من سليمان ، وموافقةٍ من الرب ، لكنها تحققت بالإرادة الإلهية لا بالمنهاج الواجب اتباعه ، لتأسيس دولة العدل ، أي ليست على وفق الشروط والضوابط التي وضعها الله لإرساء حكومته ، وهي أن ينتخب الشعب زعيمهم ، لا أن يُفرض عليهم ، دون طلبٍ منهم واختيار ، وهذا ما يؤكد لنا أن دولة الخلافة ذات نظام جمهوري وليس بنظام ملكي ،

فلأجل أن يحصلوا عليها ، عليهم طلبها ، وتقديم ما يثبت رغبتهم بها ، والتمسك بها ، من دون أن يكون هناك منحة أو هبة إلهية ، أمّا المُلك فلا يشترط فيه ذلك ، بل يمكن الحصول عليه عن طريق الهبة إلهية ، متى ما أراد الله منحها لعبدٍ من عباده ، وبذلك كانت دولة سليمان مملكة : -

(قَالَتْ إِنَّ **المُلُوكَ** إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهلِهَا أَذلَّةً وكذلِكَ يَفْعَلُونَ) ﴿٣٤﴾ النمل .

وكان هذا الملك تأسيساً لدعاء سليمان النبي -ﷺ-: -
(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي **مُلْكًا** لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) ﴿٣٥﴾ ص .
نلاحظ من الآية في أعلاه ، الإشارة بشكلٍ واضحٍ وبيّن ، إلى أن مُلك سليمان كان هبة ، ولم يكن بالجعل ، إذْ لم يكن طلب سليمان (اللهم اجعل لي) ، كما جاء على لسان زكريا بقوله : -
(قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ﴿٤١﴾ آل عمران .
ولم يكن جواب الرب مثلاً (إني جاعلك ملكاً) ، كإمامة إبراهيم التي جاءت في نصٍ قرآني واضح : -
(قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ﴿١٢٥﴾ البقرة .
وبذلك ، فإن المُلك كان هبة ، والهبة تعني استحقاق الموهوب لهذا المُلك باستثناءات ومُنحات إلهية ، أمّا النبوة والإمامة والخلافة ، فلا تكون إلا بالجعل والاستحقاق ، (ولنا عودة في خطوة الرجعة لهذا الأمر) .
وعليه نقول إن الدولة التي يريدها الله ، أن تمثّل سلطانهُ ، ينبغي أن تكون ذات نظام حُكم جمهوري ، من حيث اختيار الشعب لها ولسلطانها ، ولكن اختيار شخص الخليفة هو من اختصاص الربّ ،
أي نظام جمهوري ولكن بمرشحٍ واحد ، فالخليفة هو ممثل لله في الأرض وممثل للشعب أمام الله ، والله لن يرضى بممثلٍ فاسدٍ منحرفٍ ، لو ترك لعباده الاختيار ، وإنه تعالى أكّد لنا أن الأكثرية دائماً مع هوى النفس ، لذا يسقط معيار انتخاب الخليفة من قبل الشعب ،
ولأنه ممثّل الله على أرضه وخليفته فيها ، فعلى الشعب منحه ثقتهم ، لو أرادوا أن يولوه الحكم عليهم ، وهذا شأن الله حتى مع أنبيائه ، فهو لا بد من أن يختارهم ممن يرضى عنهم من عباده ، ودائما ما تكون أمّة هذا النبي أو ذاك ، غير متفقين أو منسجمين مع نبيهم أو ملكهم المختار ، وتبقى تلك الثّلّة التي تؤمن بنبيها ، هي المعوّل عليها بعمل النبي ،
فهل تعلم أن عدد من آمن بكارل ماركس منذ {١٩٥٠} حتى عام {١٩٩٠} هو أكبر من عدد من آمن بكلّ أنبياء الله من آدم حتى خاتمهم ، وإن كنت تظن أن هذه المقارنة غير عادلة ، لأن سكان الأرض في تلك الأزمنة لا يقارن بسكانها في العصر الحديث،

فدعنا نذكّرك بالأقوام التي أفناها الله ، والتي لو بقيت ، لربما لم نجد من مؤمنٍ بأي دين سماوي في عصرنا هذا ، وكم كان جميلاً لو كانت نظرية ماركس ، مستمدة من المنهاج السّماويّ ، لكنّ الأديان والمذاهب لم تواكب التقدم الاقتصادي والتجاري ، وانشغلت بالصراعات فيما بينها ،

وليت ماركس الذي حارب الدين وقال عنه أنه أفيون الشعوب ، يعلم أن بسببه وبسبب أمثاله ، أصبح الأفيون هو دين الكثير من الشعوب ،

لذا فإن الأغلبية من بني آدم ، يتمنون حياة الفساد واللهو ، على حياة العدل والمساواة ، وحتى بعضهم ممن يتمنون العدل السّماوي ، فلأنهم ربما ظلموا أو وقعوا في عوزٍ ، فمن المحتمل أن ينضمّوا للفئة الأكبر ، وهي فئة الفساد والانحلال ، وذلك ما أن يرفع هذا الظلم ، وينتهي ذلك العوز ،

وهذا ما نراه في قصة الملك طالوت ، الذي اختارهُ الله تعالى ، ملكاً على قوم نبي الله داود ، وما صرّحت به الآية ﴿٢٤٧﴾ من سورة البقرة : -

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ،

ولهذه الآية أهمية كبيرة في دراستنا هذهِ ، لمَا تشير لهُ وتوضّحهُ من شأن مملكة الله في الأرض ، واختيار المـلك على الخـلق من قبل الخـالق ، وتخبرنا الآية ، على أنهم كانوا يختارون ملوكهم ، على أساس ما يمتلكون من سعة من المال ، أو على أن يكون زعيماً ، لأكبر القبائل الموجودة في المنطقة ، أما مسألة العلم فلم تكن من ضمن اهتماماتهم أبداً ، وإن كانت فهي من أجل المال كذلك ، أي العلوم التي تدرّ عليهم بالمال ، فقد أبحر الكثير من العلماء في علم الكيمياء مثلا ، ظنّا منهم بإمكانية تحويل النحاس أو الحديد إلى الذهب ، أو الحصول على أي شيء يجلب لهم ما يتمنون من رفاهية العيش ، ولو كان طالوت يمتلك مثل هذه العلوم ، ويفعّلها لهم ، كتحويل النحاس إلى الذهب ، أو صناعة الجواهر مثلاً ، فلن يعترض من أحدٍ على أن يكون ملكاً عليهم ،

لذا فإن تحقق الجمهورية ، بمفهومها الحديث ، سيوصلنا لما يخالف ويعاكس مشيئة الله تعالى ، فالله يريد تجريدنا عن المنافع الذاتية والدنيوية ، التي تنتهي بنا للفساد ، وتِرْك إصلاح الأرض ، وتبلّد الفكر الذي أراد له الله أن يتطوّر ، لنجاح النموذج البشري ، ورُقيّهِ على باقي مخلُوقاتهِ ، فالصلاح والإصلاح في الأرض ، لا

يقتضي نشر الرفاهية المطلقة لأهلها ، أو الكسب دون سبب ، ودون عمل وتفكّر ، فهذه مملكة ابليس وحكومة الشيطان ،
فهل هذا يعني أن الجمهورية غير معترف بها في شرع الله ، وهل أن الله يدعو لنظام شبه ملكي ، بوصفه لا يرحّب بانتخاب الأمة لمن يحكمها ، وبوصف أنهُ هو من يفرض شخص الخليفة لقوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ، وكذلك كان منهاج الله تعالى في اختيار الأنبياء ،
والجواب لهذا السؤال يجب أن يكون بصورة دقيقة ، وملمّة بالكيفية التي يريدها الله أن تتحقق ، لهذه الجمهورية أو هذه الملكية ، على وفق ما سنرى ،
= لمّا كان الناس بأطماعهم وغواية الشيطان لهم ، لا يتفقون على الحق وميزان العدل ، رشّحَ الله لهم الخليفة من لدنه ، كما رشّحَ لهم الأنبياء ، وهذا ما سوف نستعرضه ، في مقومات الخلق ، ولكن بالمقابل فهو لن يدفعهم على الإقرار والاعتراف بخليفته قصراً ، وإنشاء مملكة العدل الإلهي كرهاً ،
وحين يتم الاعتراف من قبل الشعب ، سوف تتشكل الجمهورية الموعودة ، وما لم تتشكل بهذا الشرط ، وهو إقرار الشعب بها ، فهي لن تظهر للوجود ، وعدم إلزام الخلق بهذه الجمهورية ، هي تلك السّنّة التي عُرفتْ عن النبوة أيضاً ،
((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ **أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**)) ﴿٢٨﴾ هود .
وما دامت هناك مجموعة من الناس ، تؤمن بتلك الخلافة وبذلك الخليفة ، فإنها موجودة في كل عصر وزمان ، وإن دولة الخلافة الإلهية حقيقة قائمة ، ومن يبحث عنها ، هو من لم يجدها بعد ، ولم يهجر محيطهُ للالتحاق بها ، والعيش مع سكانها ، لكنَّها ولحدّ هذه اللحظة ، تفتقد لأركانها وشروط تمتعها بالشخصية القانونية ، التي تكتسبها بالوجود على سطح الواقع من قبل الجميع ، ولا نقصد هنا بالشخصية القانونية ، اعتراف بقية الدول بوجودها ، بل بالقانون الذي وضعه الله تعالى لتظهر للجميع ، وتنادي للجميع بالدخول إليها ممن يرغبون بالحكم العادل ، أي تجمعهم في ضمن إقليم واحد ،
وبذلك فإن دولة الخلافة الإلهية ذات نظام جمهوري ، وربما لم يلتفت أحد إلى أن أول دليل على قولنا هذا ، هو الجملة الاعتراضية التي قالتها الملائكة ،
(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٣٠﴾ البقرة .

فمعنى قولهم هذا ، اتجاه الرغبة لاختيار خليفة ، لا يفسد فيها ولا يسفك الدماء ، وهذه هي الجمهوريّة ، ولو كان الخليفة من الملائكة ، لتأسست أعظم دولة للخلافة الإلهية ، لكنه تعالى شاء أن يكون الخليفة من بني آدم ،
والآية أعلاه دليلنا على أن الملائكة اعتادت على النظام الجمهوري ، والحوار الديمقراطي مع جلالة الله ، ولم يكن جواب الله للملائكة جواباً زاجراً ، بل جواب المحقق لرغبتهم ، بأنه سيجعل فيها من لا يفسد فيها ولا يسفك الدماء ، أي إن الملائكة هم أوّل من طالبوا بالنظام الجمهوري ، وتلبية طلبهم بأن يكون الخليفة على وفق المواصفات التي يتمنّوها ، لو أنهم كانوا من ضمن شعب الخليفة ، وهم كذلك بالفعل ، كما سنقف على ما أشرنا إليه ،
فهم أوّل شعبٍ عمل في دولة الخلافة ، وهم الجنود المؤهّلون للدفاع عن خلافة الله في الأرض ، بعد أن علموا بأن الله لا يمكن أن يجعل فيها من يفسد فيها ، وإنهم لم يكونوا على علم بأن هناك من البشر ، من أعدهم الله لخلافة الأرض ، وهم ليسوا كبقية البشر ، فلا هم من المفسدين ، ولا هم من سفّاكي الدماء إلا بالحق ، ولو اعترض البشر كاعتراض الملائكة على كل حاكم يأتيهم من المفسدين وسفّاكي الدماء ، لكانت جمهورية الخليفة قد تحققت ، منذ اليوم الأول لبدء انتشار البشرية ، على وجه هذه الأرض ، ولكن جمهورية الظلم والشر ، واكبتْ بني آدم منذ اِبني آدم هابيل وقابيل ، ليومنا هذا ، ولكون الخير مغتالاً دائما ومقتول ، فالشر حي دائما ومنتشر ،
لذا كانت نهاية الرسائل السماوية كلها نهاية ابتلاء ، فلم تصل كل الرسائل إلى قمة النصر التام ، لكنها أيضاً لم تصل إلى الهزيمة التامة ، ابتداءً من رسالة نوح النبي إلى رسالة خاتم الأنبياء ، وربما سيصل عدل الخليفة إلى قمّة النصر بالعدل ، أي سيادة العدل السماوي في الأرض ، ولكن هذا لا يعني اعتراف الخلق جميعاً بهذا العدل ، وإلّا لوصل الأنبياء من قبل لهذه القمّة ، ولَمَا تحدثت الأخبار الأكيدة عن اغتيال الخليفة القادم ، ولَمَا كان الخليفة ليصل إلى قمّة النصر في نشر العدل السماوي في الأرض ، لولا كلمة سبقت من الله ، بأنه تعالى سيورث هذه الأرض لعباده المخلّصين ، ولولا كلمة سبقت من الله لبقينا دون الانموذج الأعظم لعدل الله -جلّ جلاله- ، أي لولاها لفشل الانموذج البشري كلّهُ ،
ولكنْ ما حصيلة ما لدينا الآن : حصيلتهُ أن لدينا جمهورية متكاملة ، ولكن سكانها من الملائكة ومكانها في السماء ، وهذه الحقيقة يجب أن نعترف بها أولاً ، بما أنه تعالى جعل خليفة كما تمنّتهُ الملائكة ، إذ أصبح خليفة عليهم منذ ذلك الأمد ،

والمشكلة عادت في أهل الأرض ، من الإنس والجن ، وبأنهم لا يتمنون ولا يختارون مثل ما اختارت الملائكة ، خليفة لا يفسد ولا يسفك الدماء ، بل على العكس تماماً ،

= (بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) ﴿٥﴾ القيامة ، كما جاء في الطبري ﴿٣٣﴾ ، ومهما شرّقوا وغرّبوا في تفسير هذه الآية ، وسواء قالوها أمَامَهُ أم إمَامهُ ، فيبقى الفجور هو المقدّم لدى الإنسان والعمل الصالح هو المؤخّر ، وسواء لديه أم لدى من يكون حاكماً عليه ، كما نرى محاولات الحاشية ، إفساد الحاكم ، وإن كان صالحاً ، أو مُصلحاً بعض الشيء ،

وإن دولة الخلافة الإلهية حقيقة قائمة ، فعدم تعدي نجم على نجم أو كوكب على كوكب ، أو حتى جرم على جرم إلّا لصالح الأرض التي تتوسط الكون بأسره ، وفق اعتقادنا ،

كل هذا دليل على أن الخليفة ، يباشر عمله في الأرض وفي السماء ، وأن الأمر الإلهي الصادر لآدم بأن يُنبّيء الملائكة أسماء الخلفاء كلهم ، هدفه تعرّف الملائكة إلى أسماء الخلفاء الجُدد ، الذين لا يفسدون ولا يسفكون الدماء ، وإن قال أحد ما ، وما دخل الخليفة بالسماء ، فليجبنا أولاً ، وما دخل الملائكة بالخليفة ، فليستْ الملائكة من سُكان الأرض ، لكي تكترث بصفات من سيكون خليفة في الأرض ، وهذا كُلّهُ بسبب غفلتنا عن الأرض المعنية بقولهِ تعالى : -

((إني جاعل في **الأرض** خليفة)) ،

لأن الأرض المشار لها ، هي كل الكون ، ولأن حديث الله مع الملائكة ، كان حيث الكون الملائكي ، أي إن الله حين كلّم الملائكة وقال لهم (إني جاعل في الأرض خليفة) ، كان الحديث من الكون الملائكي ، أي من المقر الرئيس للملائكة ، وهم خارج هذا الكون كُلّه ، ولم يكن بعدُ آدم قد سكن الأرض التي نحن عليها ،

لذا تكون الأرض المشار لها ، هي كل ما في الكون من خلق ومخلوق ، زد على ذلك فإنّنا لو أقررنا بأن الخليفة يحكم الأرض فقط ، كما يحكمها الملوك والزعماء لدينا ، فهذا يعني أن الجنّ يخرج عن نطاق حكمه ومملكته ، والأمر الإلهي قد خصص

....

﴿٣٣﴾ - جاء في الطبري : يقول تعالى ذكره : ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُماً في معاصي الله ، لا يثنيه عنها شيء ، ولا يتوب منها أبدا ، ويسوّف التوبة ، وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (ليفجر أمامه) يمضي أمامه راكباً رأسه .

الأرض بالخلافة ولم يخصص الجنس ، أي لم يقل الله إني جاعل في الأرض خليفة لبني آدم ، ولم يقل كذلك ، جاعل **على الأرض** خليفة ، وبما أن المعني بالأرض وخلافة الأرض ، هي السكن المخصص لمخلوقات الله ، فلا بد من أن يكون الجنّ ، من ضمن من سيحكمهم الخليفة ،

ونحن على دراية إن الجن يتجولون في السماء كما يتجولون في الأرض ، فضلا عن الملائكة ، فما أن تدخل الملائكة هذا الكون ، فلا بد من أن يدخلوا في حكم الخليفة ،

وبما أن الخليفة قد باشر عملهُ ، منذُ أنْ صدر الأمر الإلهي بالجعل ، وتقبّلته الملائكة ، فإن السماء قد باتتْ هي الإقليم الأول لدولة الخلافة ، ومن ثم يتسع ويتسع ليشمل الأرض التي نحن عليها ، ثم يتسع ويتسع ليشمل الأرض كُلّها ، هذا وإن دولة الخلافة إذا كانت في السماء ومن المحال الوصول إليها ، فهي كالشمس التي تصل إلى الجميع وتنير كل من حولنا ، إلّا من أغلق الأبواب والشبابيك لكيلا يراها ، لا بل سنرى كيف يمكننا الوصول إليها ، حيث نحن ، وفي أي مكان أو زمان ، وإنها هي من تنتظر منّا القدوم إليها ،

وكلَّما آمن من أحدٍ بحكومة الله والطاعة لخلفائه ، تتسع الدولة ويزاد عدد سكانها ، ولكن كيف لنا أن نوضّح هذا الإيمان بمثال مبسط للغاية ،

= حينما تقول إني مؤمن بالملائكة ، فالإيمان الصادق يقتضي ، إنك حين ترى ملاكاً بعين الحقيقة ، فعليك ألّا تُفزع ، وألّا يزداد بك اليقين ذرّة واحدة ، فتكون رؤيتك للملاك للتعرف إلى شكله ، لا للتعرف إلى صحة وجوده ، فإن زاد يقينك إذا ما رأيتَهُ فقد حصُلتَ على ما لم يحصُل عليه غيرك ، وهذا خلاف عدالة الله في خلقه ، لذا فإننا نؤمن بأن الأنبياء يرون ما في السماوات ، كما نرى نحن ما في الأرض ، لأن يقينهم ثابت بالله ، لا يُعمّده رؤية الملائكة ، أو ما في السماء من خلق ، بل قائم على إيمانهم المطلق بوجود الله ، وحين تؤمن بدولة الخلافة ، فإنك ستعيش بها كأنك تلامس كل شيءٍ فيها ، وتتفهم كل شيء من منهجها ،

حتى إذا أذِنَ لك بالدخول ، فسوف يطابق ما تراه بما عَلِمتهُ وآمنتَ به ، وتقرأ منهجها ، كأنّما سبق لك وأن سمعتهُ بأذنيك ،

وأسمى ما يمكننا ذكره ههنا ، هو مقولة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- ، ((لَوْ كُشِفَ الغِطَاء عَنّي مَا ازدَدَتُ يَقيْناً)) ﴿٣٤﴾ ،

....

﴿٣٤﴾ - شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- / عبد الوهاب . ص [٣] .

وعليك منذ هذه اللحظة ، أن تستعد للانضمام إلى شعب السماء ، الذين سبقونا بالاعتراف بدولة الخلافة ، وانتظرونا طويلاً للالتحاق بهم ، وقبل أن تستعدّ للسير بمثل هذه المسيرة العظيمة ، عليك أن تفهم **أولاً** ، لِمَا كنّا نشكو تأخر الخليفة ، ونحنُ مَنْ تأخّرنا عليه ، رغم أن هذه الإجابة لن تشفي شوقنا في البحث عن أسباب تأخّر الخليفة ، كما سيمرّ بنا ، ولماذا لم نلتق به ، ونحنُ من نختبيء عنه خلف جدران الشهوات والملذّات ، وعليك أن تفهم **ثانياً** ، هل تستحق شرف الدخول لدولة الخلافة ، وشرف البقاء فيها ، والعمل في حكومتها ،

والجواب : عن كل ما تقدم ، سيعرفهُ كل منّا على وفق استعداده لدخول مقام الجمهورية السامية (جمهورية النبأ العظيم) ، لأن الجمهورية مُعدّة بخليفتها منذُ أن خلق الله الوجود ، فتمعن مرّة أخرى بقوله تعالى : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ﴿٣٠﴾ البقرة .

فلماذا أختار الله أن يخبرنا بأنّهُ (جاعل في الأرض خليفة) ولماذا لم يقل إني سأجعل ، فاختياره لاسم الفاعل وبهذه الكيفية ، دون استعماله للفعل ، لدليل على ان الجمهورية موجودة ، وهي لا تحتاج إلّا إلى تسمية الخليفة ، والتعرّف عليه ، وقد حدث وأن نصّب الله سليمان ملكاً ، وبعث في بني إسرائيل ملكاً : -

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً) ﴿٢٤٧﴾ البقرة .

من هنا ، نتعرف إلى خصائص الخلافة التي أمر بها الله ، ولو أراد الله أن يبعث خليفته على انهُ ملك ، لأرسله منذُ بداية خلق البشرية ، فكل الملوك الذين بعثوا من قبل الله -جل جلاله- ، كانت الغاية منهم حثّ العباد للمطالبة بالجمهورية ، ونكرر للأهمية ، لكي يكون الأمر واضحاً ، بأن سبب تأخر إعلان دولة الخلافة ، هو عدم مطالبة العباد بخليفتهم ،

أي عدم تحقق شرط الجمهورية ، ونعتقد أن سبب ما يُسمّى بالرجعة ، وهي عودة بعض العباد إلى الحياة ، وسببها لملمة العدد الكافي لتحقيق المستوى الأدنى للجمهورية ، من الناحية العدديّة ، وإنه تعالى لو أراد فرض خليفتهُ علينا ، لقال للملائكة ، كما قال لبني إسرائيل ، إني باعث في الأرض ملكاً ، أو خليفة ملكاً ، فاختبارهُ سبحانه للفعل (جاعل) ، يشير لأمرين : -

الأول : إن الأمر قد صدر بالفعل ، وإن دولة الخلافة ، قد نشأت بالفعل ، وإنها موجودة في كل زمانٍ مرَّ بنا ، سواء ما مضى أم ما نمرّ به أو ما سيأتي بعدنا لاحقاً ، وإن كانت غير مُعلنة ، فعدم إعلانها هو الاتهام الموجه لنا نحن بوصفنا شعبه ، أو من المفترض أن نكون شعبه ،

الثاني : إنها جمهورية ، وليست مملكة أو جمهورية ملكية ، فدور الحاكم ليس دوراً شرفياً ، ولا هي بالدكتاتورية التي يُفرض على الشعب وجودها ، كما لا يمكن قبول فكرة ، أن تكون ملكية من ناحية تنصيب الحاكم من قبل الله ، وجمهورية من ناحية موافقة الشعب به ، لاختلاف النظامين ، بالرغم من أن هذا ما حصل بالفعل في خلافة الدولة الإسلامية ، فقد ابتكروا فكرة جديدة ، بإدخال نظام ولاية العهد ، ووراثة الملك في خلافتهم للرسول الكريم ،

فلا خلاف أبداً على أنها جمهورية ، لانتخاب الملائكة لخليفةٍ لا يفسد ولا يسفك الدماء ، وإن الملائكة قد رحّبت برئيس الجمهورية ، ولا نقاش بأنه تعالى ، اختار من لا يفسد ويسفك الدماء ، مما يعني أنها حيّت رئيس جمهورية النبأ العظيم ، وباركت تسلّمهُ لذلك المنصب ، وتكليفه من قِبل الله -جل جلاله- ، وليس من الغريب ألّا نجد لنظامها مثيلاً ، فهنا يتمّ التنصب من قبل الله ، لا من قبل المَلك ولا من الأسرة المالكة ، وهذا فرق كبير بين الخلافة والمملكة ، كما أن الملك يضع دستوره وقوانين حكمه بنفسه ، أو يختارها من بين ما يعرض عليه من أحكام وقوانين ، لكن الخلافة ذات دستور سماوي مُحدّد ، لا يجوز حتى للخليفة مخالفته ،

ومن البديهي ألّا يخالفهُ الخليفة أبداً ، لأنّه هو من يقوم على تنفيذه ، وتكون أسمى مهامّه هو تنفيذ دستور الله وإحْكام شريعته ، كما لا يشترط في الخلافة ، أن تكون وراثية ، لأنها تعيين من قبل الله ، وإن كانت بالفعل وراثية ، لكنَّ هؤلاء الورثة ، كُلّهم منصّبين من قبل الله ، لا من قبل الملك الأول للثاني ،

أمّا القضايا الفرعيّة ، التي تجعل الجمع بين المَلَكيّة والخلافة ، مُحالاً بشكل مُطلق ، فهي كثيرة ومتنوعة ، كما إن دولة الخلافة ، تكرّس مفهوم الجمهورية ، حتى لا نرى شبيهاً لها في كل ما عرفناه من الجمهوريات ، إذ إن حُب الشعب لخليفتهم يتخذوه عقيدة لهم ، والدفاع عن خليفتهم دفاعاً مقدساً ، لا يساويه في القدسيّة حتى الدفاع عن الوطن ، فسلطة الخليفة على رعاياه سلطة روحية كسلطة الله ، وطاعتهُ كطاعة الله ، وليس هناك من جمهورية ، سبقت هبوط آدم إلى الأرض ، غير دولة الخلافة الإلهية ،

وكما أكدنا ، بأنها موجودة في كل زمانٍ ، وإمكانية دخولها متاح ، لمن يريد حقاً دخولها ، والعيش في أجواء العدل والإنصاف ، وأيام الله التي نأملها ، ولكن بالعدل الذي أحكمه الله عدلا ، لا بالعدل الذي نفترضه عدلاً ، وقوله تعالى في سورة البقرة : - ((إني جاعل في الأرض خليفة)) ، هو عين قوله تعالى : -

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ **أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**) ﴿١٠٥﴾ الأنبياء
.
فلم يقل سبحانه (سيرثها) ، أو (ورثها) ، وهذا يعني أنها جاهزة لأن تورث من قبل عباده الصالحين ، فهم يرثونها متى شاءوا أن يرثوها ، ولو جاء النص القرآني ، بأني سأجعل في الأرض خليفة ، أو أن الأرض سيرثها عبادي الصالحون ، لكانَ علينا حقاً أن ننتظر علامات الظهور ، كما ننتظر علامات يوم القيامة ، وتأسيساً على ذلك ، يُحاسب كل حاكمٍ على وجه الأرض ، على أنه اغتصب الحكم من ورثتهِ الشرعيين ، وسنتناول الحديث عن هذا الأمر بشكل مفصّل وموسّع في الجزء الثاني ، ونرى كيف يمكن عَدَّ كل حاكمٍ من حكام الأرض مغتصباً للحكم ، كما تختلف جمهورية الخلافة عن مفهوم الجمهورية المعروف ، لأنَّ الجمهورية هي مذهب سياسي ،
أمّا النظام الجمهوري لدولة الخلافة ، فيُعدُّ من أصول الدين الحنيف ، ذلك بأنَّ الخلافة ههنا هي الإمامة ، والإمامة من أصول الدين وثوابت العقيدة لدى الشيعة ، واختيار الخليفة ينسجم ومشيئة السماء ، بل يُعدُّ من مشاريعها التي لن تتنازل عنه أبداً ،
ومـن هُــنا يرد التساؤل ، هـل تُعدُّ دولة الخلافة ، ذات طابع ديمـقراطي أم لا ؟ وقد يخلطُ الكثير مِمَّن لا يملُك الاطِّلاع الكافي ، على مفهوم الديمقراطيَّة ، في أنَّ الجمهوريَّة هي ذاتها الديمقراطيَّة ، على أساس إن الشعب يقوم بممارسة انتخاب الرئيس بشكل حُرٍّ ، ولاسيَّما أن الديمقراطية تعني سلطة الشعب ، ولكن الحقيقة ، أن الجمهوريّة لا تلتقي مع الديمقراطيّة ، إلا في هذه الممارسة حقيقة ، أي أن كل الجماهيريات التي شهدناها عبر التأريخ ، لا تمثل سلطة الشعب ، إلا في ممارسة الحرية في انتخاب الرئيس ، وبعد تسلّم الرئيس ، يتسلم الحزب الحاكم السلطة الفعليّة ، ولا يسمح للشعب حتى بسحب ثقته التي أعطاها للحاكم ، وغالباً ما تقترب الجمهورية إلى الدكتاتورية ، والأمثلة على ذلك وفيرة ، خاصة الجمهوريات العربية ، والتي لا يختلف الوضع العام للشعب عن حكم الملوك ، إن لم يكُ الأخير أقرب للديمقراطية من الحكومات الجمهورية ، واستكمالاً لحديثنا ، سنبحثُ إذا ما كانت دولة الخلافة ، دولة ديمقراطية أو دكتاتورية ، أو ذات طابع خاص ، وذلك بعد الفراغ من الحديث ، عن مفاهيم الخلافة ، ومفاهيم أخرى تخص الخلافة بشكل مباشر أو غير مباشر ، وعندها سنقف على نظام الحكم الذي ستتصف بهِ دولة الخلافة الإلهية .

المبحث الأول

الخلافة في المنظور القرآني

لا مجال للشك في أن أحلام البشرية بالمدينة الفاضلة ، جاءت من الوحي السّماويّ ، ومما أدلى به الأنبياء منذُ العصور الأولى في التأريخ ، فتطلعات البشر وهم بمعزلٍ عن السماء ، تتجه لبناء دولة ذات نفوذ قوي ، لا تنافسُها دولة أخرى في القوة والهيمنة ، وهذا ما حققه الكثير ممن حكموا الأرض ، ولأزمان طويلة ، كبريطانيا وأمريكا ، أو أرادوا تحقيقه ففشلوا ، كفرنسا في عهد نابليون ، وألمانيا في عهد هتلر ، ولا يمكننا القول إنَّ المدينة الفاضلة ، تحققت في ظل الدول التي كانت تمثل الأديان ، كالدولة الأموية والعباسية والعثمانية ، لأن شعوبها كانت تعاني ويلات الفقر والمرض والظلم والجريمة ،

والحلم بالمدينة الفاضلة ، والحياة بعدالة السماء على الأرض ، بقي قرين أحاديث الأنبياء ، ومن بعدهم بعض الصالحين والفلاسفة ومن ثم الفقراء ، وبقيتْ الكتب السّماويّة ، وأهمها القرآن ، تحتفظ ببشارة خلافة الله القادمة على الأرض ، وكذا الحال في مضامين بعض أحاديث الرسول الأعظم ،

ورغم إننا نجد الكثير من الإشارات التي تضمنها القرآن ، حول الخلافة ، لم يعترف النمطية إلا بآيتين فقط ، وهما : -

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ....

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ....

وهما ما سنسعهما بحثاً وتمعناً ، وبذلك سيكون حديثنا ههنا ، عن ثقل الخلافة في القرآن ، فهل نجد أن الخلافة بمستوى النبوة ، أم تقل عنها ، أم ربما تزيد ،

وبالتمعن في النصوص القرآنية ، ولو بالقليل المتفق عليه ، نجد إنه تعالى لم يبلغ الملائكة بإرسال الأنبياء والائمة ، كما أبلغهم عن الخليفة ، مع إن أمر الجعل موحّد بينهما ، كما جاء في الآية ﴿٤٩﴾ من سورة مريم :

(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا **جَعَلْنَا** نَبِيًّا)

كما إن الأنبياء ورثة لشرع الله ، ولم يأتِ ما ينص على أنهم ورثة الأرض ، أضف إلى ذلك كُلّهُ ، منزلة الخليفة والرسالة التي يحملها ، فمنزلة الأنبياء هي كمزلة الله

في الطاعة ، راجع (خليفة أم خلفاء) ، وبالطبع فإن الخليفة ، له من الطاعة ما للأنبياء ، لكنّ الفارق بينهما ، كلمة الله التي سبقتْ ، لتحقيق وعدهُ ، أي إن الأنبياء فرض علينا طاعتهم ، لكننا نجد الأغلب الأعم ، ممن لم يطيعوهم ، لا في حياتهم ، ولا من بعد وفاتهم ،

وهنا لا بد أن نشير إلى قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) ، فالطاعة بأمرِّ الله ، تستوجب استمرارَ طاعته ، حتى بعد أن يتوفاه الله -جلّ جلاله- ، أي إن طاعة الأنبياء التي أوجبها الله علينا ، مستمرة ومتوالية ، بمعنى إنها مستمرة بعد وفاة أيّ نبي ، فيما ترك من أحاديث ووصايا ، ومتوالية بطاعة من يمثّلون منهجه ، ويحافظون على وصاياه ، سواء النقباء والحواريين والائمة ، أو العلماء من المتبعين لأثرهم ،

أمّا طاعة الخليفة ، فهي وإن كانت مفروضة كطاعة الأنبياء ، لكن الخليفة يحققها بشكل جبري وقهري ، ليصلح الأرض بعد فسادها ، ولا نعني بالجبر والقهر ، أن سيقتل من لا يطيعه ، بل نعني أن لا يقبل ممن يتخذهم أنصاراً له ، أدنى شك أو تردّد ، في طاعته ، فمثلاً ما فعلهُ أحد الحواريين ، وغدرهُ بعيسى النبي ، أو ما فعله السامري مع نبي الله موسى ، كل هذه النماذج ، سوف تخلوا منها دولة الخلافة الإلهية ، لأن من أنصارها ممن سبق وإن مرّوا باختبار الولاء ، واستشهدوا من أجل الوفاء لدينهم ونبيهم ، ونعني بهم أصحاب الرجعة ، الذين أعددنا لهم مبحثاً خاصاً ،

كما إننا نرى أن رسالة الأنبياء تنتهي حيث يوصل تعاليم السماء إلى أمته ، وما يوصيهم به من تعاليم ، للحفاظ على ما جاء به من شرع ، لكن الخليفة سيبدأ من حيث انتهى الأنبياء ، وهذا سبب من أسباب تأخر الخليفة ، فهو يكمل ما بدأ به الأنبياء ، ويقوم بتفعيل كل ما جاءوا به ، لإصلاح الأرض بعد فسادها ، وهذا دليل على أن أيّ من أمم الأديان السماوية ، لم يحققوا تنفيذ وتطبيق ما أرسله لهم ربَّهم من شريعة ، وبذلك فسدت الأرض وملأت ظلماً وجوراً ، ولأجل قيام الخليفة بتفعيل ما جاء به الأنبياء ، سيرث الأرض حاكماً لها ، وسلطاناً على أهلها ، وبما إنه سيكمل ما بدأ به الأنبياء ، فلن يأتي بكتاب جديد أو دينٍ جديد ، بل سيأتي بتأويل الكتب السماويّة ، وبإسلام جديد ، تركهُ أهلهُ واختلفت عليهم المذاهب ،

وختاماً ، ومن حيث النصوص القرآنية ، سينقسم حديثنا عن موضوع الخلافة في القرآن على مطلبين .

المطلب الأول

الخِـــلافَـــةُ بوصْفِهَا (علْم)

للأهمية القصوى لهذا المطلب ، سوف نحاول أن نكرر بعض النتائج ، ونشرحها بكل اسهابٍ ورويّة ، وربما علينا أن نحدد منذ البداية ، فيما إذا كانت قضية الخلافة سنتعلمها بوصفها علماً ، أم أمراً إلهياً علينا تنفيذه ،

ولاختبار انتباه القارئ لما مرّ بنا من حديث ، من المفترض أن تكون الإجابة لديه واضحة وحاضرة ، فحديثنا عن المقومات والمكونات في الكتاب الثاني ، لم يَكُ مجرد فلسفة كلاميّة ، بل حقيقة من المُحال أن نجد ما يخالفها مطلقاً ، فسبحانه خلق حتى الملائكة الموكلين بتولّدنا ورزقنا ومَوْتِنا وبعثنا ، قبل آلاف وملايين السنين من خلق آدم ، ولن نجد أيَّ نقصٍ في حاجاتنا ، إلا بشيء واحد فقط ، ما جعلهُ الله مُوكّلاً بنا ، أي ما يجب علينا القيام به نحن واكتشافه ، كصنع الملابس واعداد الأطعمة ، بالشكل الذي يتناسب مع أذواقنا ، وكل ما اكتشفناه ، من وسائل الراحة والحياة المتطورة ، التي تضمن لنا سهولة العيش على وفق اعتقادنا بذلك ، وحتى هذه الحياة المتطورة ، خلق لنا الله أساسياتها قبل آلاف وملايين السنين ، كالنفط ، الذي أوجد لنا كل التطورات ، والأجهزة التي اكتشفت ، وكبقية المعادن والسوائل والغازات وما لها من خصائص ،

وعلى وفق ما بيّناهُ سابقاً ، وما سنتطرّق إليه لاحقاً ، فإنه تعالى يخلق **المقومات** قبل **المكونات** ،

إذن ، فما الذي يسبق خلق المقوّمات ..... والجواب سنوضحه في حـديثنا عن الكتاب الذي سبق خلق السماوات والأرض ، وما بينهُ النـص القـرآني : -

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ﴿٢٢﴾ الحديد .

وهذا بالضبط ما أطلق عليه بعضهم ، بـ (علم المنايا والبلايا) ، ويعدّ هذا الكتاب من أقدم الكتب السماوية على وفق ما أوضحهُ الله لنا ، لا على وفق ما عند الله حقيقة ، فقد يكون من قبله ألف كتاب ، فهل هذا كل شيء ،

(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) ﴿٢٢﴾ الأنعام .

فإذا كان هناك كتاب فيه كل مصيبة ستحدث في الأرض وفي أنفسنا ، فهناك كتاب فيه كل ما يجري ويحدث ، صغيرهُ وكبيرهُ ، وبهذا وذاك يبدأ مفهوم الخلافة بوصفه علماً ، كما يترسخ مفهوم الخلافة بوصفه علماً ، وذلك بيِّنٌ ابتداء من أسماء الخلفاء أنفسهم : -

(وَ**عَلَّمَ** آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا **عِلْمَ** لَنَا إِلَّا مَا **عَلَّمْتَنَا** إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي **أَعْلَمُ** غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ﴿٣١﴾ البقرة .

فقوله تعالى ، (فعلّم آدم الأسماء كلها) ، دليل واضح وصريح ، بالرغم من محاولة الكثير تحريف الكلم عن مواضعه ، واخفاء الحقيقة القائلة (إن أسماء الخلفاء هي أعظم العلوم التي كانت تجهلها حتى الملائكة) ، وكان المتوقع أن يكون الفعل أخبر بدلاً عن علّم ، لأنها مجرد أسماء ، أو كما جاء في قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) ، أو كسائر الحديث الذي يقع بين الله وأنبياءه بـ (قال له) ، فقوله تعالى (وعلّم آدم) ، تعني أن مجرد معرفة آدم بأسماء هؤلاء ، هو علم بحد ذاته ، وقيمة هذا العلم وثقلهُ ، يتجلى بأن آدم يحوز بسببه النبوة ، فالإشارة الوحيدة لنبوة آدم قوله تعالى (قَالَ يَا آدَمُ **أَنبِئْهُم** بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا **أَنبَأَهُم** بِأَسْمَائِهِمْ) وسيأتينا تفصيل ذلك ،

وقضية أن أنبأهم بأسمائهم ، تدعونا للبحث عن علّة ذلك ، إذ لا نرى فيها من مفهوم ، إلّا أن تكون كما ينبأ البشر بأنبيائهم وأوليائهم ،

وهذا ما بينته الملائكة لنا في سؤالهم لله ، فسؤالهم لله ليس كما فهم الكثير من أهل التفسير وما تأثروا به من الروايات الإسرائيلية ، أو ما أحبوا تفسيره ، كيلا نكتشف ما أخفوه من حقائق ، وما كرهوا الوصول إليه من نتيجة ، فقول الملائكة الذي جاء في الآية ﴿٣١﴾ من سورة البقرة : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

يعني أن الخليفة سيكون **ملكاً** على الملائكة وآمراً عليهم ، و(ملكاً) بمعنى مالكاً لشؤونهم ومتصرفاً بأحوالهم موجهاً لأعمالهم ، أي ممثلا لله على الملائكة ، كما هو ممثلاً لله في الأرض ، وهذا هو السبب الحقيقي لامتناع إبليس من السجود ، فإبليس ، ليس ذلك الأحمق الذي ضيّع طاعاته وعباداته ، وأبدلها بجنهم وذلك

لاستكباره وترفعه شأناً عن التراب ـ الذي خُلق منه آدم - أو الاستنكاف من الحمأ المسنون ، بل لأنه استكبر أن يكون خادماً للخليفة وتحت طاعته ، هو وذريته ، وأنه كان يأمل أن يكون كلّ الخلفاء من نسلهِ لا من نسل آدم ، وهذا ما كان واضحاً فيما قاله وقصده إبليس في حواره مع الرب في الآية ﴿٦٢﴾ من سورة الإسراء : -
(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي **كَرَّمْتَ عَلَيَّ** لَئِنْ أَخَّـرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ **لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ** إِلَّا قَلِيلًا) ،
فمعنى (هذا الذي كرمتَ عليّ) أن هناك منزلة وكرامة عظيمة منحها الله لآدم ، لا مجرد كرامة سجود الملائكة لآدم ، وكان إبليس أولى من آدم بهذه الكرامة على وفق ظنّه ،
والعداء الكبير الذي يحمله إبليس حتى لذرية آدم ، لا يمكن تسويغه بمجرد أن الله قد أمرهُ بالسجود ، كما ويتضح لنا من النص في أعلاه والنصوص الأخرى ، بأن هناك من سيتّبع سنّة إبليس بالتكبر إلى يوم القيامة ، بالرغم من أن آدم سيموت وتموت آلاف الذريات من نسله ، أي لو كانت القضية خلافاً بين آدم وإبليس ، لمَا توعّد إبليس ذرية آدم ، ولمَا طلب إبليس إنظاره ومن ثم تأخيره إلى يوم القيامة ، وهذا يعني أن العداء الحقيقي بات بين إبليس وذرية آدم ، وإن كان بدأ بين إبليس وآدم أولاً من حيث الزمن ،
(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) ﴿٦٢﴾ الإسراء .
وإذا كانوا قد فهموا أن إكرام الله لآدم في سجود الملائكة وسجود إبليس له ، فلم يحاولوا التوصل إلى ماهية ذلك السجود ، والذي نؤكد أنه طاعة ، حتى إنهم لم يتّفقوا بينهم ولحد الآن على طريقة السجود أكان تحية أم سجوداً حقيقياً ﴿٣٥﴾ ، وقول الملائكة (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ﴿٣٦﴾ لا يعني ما فهمه بعض ، المفسرين ، على أن الملائكة قد حسدت آدم ، أو ذريته ، وأنهم أرادوا الخلافة ،

....

﴿٣٥﴾ – جاء في القرطبي عن سجود الملائكة لآدم ، أن فيه عشر مسائل ، وجاء في الرابعة - واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة ، فقال الجمهور : كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض ، كالسجود المعتاد في الصلاة ، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع .
﴿٣٦﴾ – ويسفك الدماء جاء في السعدي - هذا تخصيص بعد تعميم ، لبيان مفسدة القتل ، وهذا بحسب **ظنهم** أن الخليفة المجعول في الأرض ، سيحدث منه ذلك .

لأنفسهم أو أنهم اغتابوا بني آدم ، وهناك من عارض قول المفسرين بما تقدم ، لكنه لم يأت بتفسير مقنع ، وقال بأن الملائكة سألت عن الحكمة من تنصيب خليفة ﴿٣٧﴾ ، لكنّنا يمكن أن نفهم إن سؤالهم يعني أنهم وبموجب أمر التنصيب للخليفة ، سيأتمرون بأمر ذلك الخليفة ويصبحون تحت نفوذهُ ، ولا يريدون أن يكونوا تحت إمرة حاكمٍ ظالمٍ وفاسدٍ ، فهم يتطلعون لمَلِكٍ عادلٍ ، عدالتهُ لا تختلف عن عدالة الله ، الذي يسبحون بحمدهِ ويقدّسوه ، وقولهم يرشدنا بأنهم كانوا يتطلعون أن يكونوا بخدمة الله والبقاء على طاعته ،
(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ، أو أن يتولّاهم من يمثّل الله في كل شيء ، والله لم يخيّب تطلعاتهم ، بل علّم آدم أسماء من لا يفسدون ولا يسفكون الدماء ، وعرض الأسماء على الملائكة ، أي إن آدم قد أنبأ الملائكة بأسماء هؤلاء ، **كردٍّ لهم** على استفسارهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ....) ،
وحين لم يتعرفوا على الأسماء (فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ، جاء أمر الله تعالى لآدم ، أن ينبئهم بأسماء الخلفاء ، الذين سيكونون من ذريته ويتناسلون من أبنائه ، ولم تكن الملائكة قد احتملتْ ، أن يكون الخلفاء من بني آدم ، ومن هم سيمثلون حقّاً وعدلاً حكومة الله على الأرض ، ولأن التعرف إلى أسماء الخلفاء ، لم يكن الرد المناسب لاستفسار الملائكة ، كأنْ يكون الردّ ،
إني سأجعل فيها من لا يفسد فيها ولا يسفك الدماء ، لذا كان من الطبيعي أن تلك الأسماء التي تعلّمها آدم وعلّمها للملائكة ، هي البديل جواباً لاستفسار الملائكة ، ليشفي تطلعاتهم بخليفة عادل وشامل للصفاة المأمولة لخليفة الله ، أي يصلح الأرض ويملأها عدلا ، إذْ إمتلأت ظلما وجوراً ، ولا يقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق ، وهذا الحق ما عرفهُ وتعلّمهُ من شرع الله ، والأمانة التي حمَّله إيَّاه ،
فالعلم الذي لم تكن تعرفهُ الملائكة ، أن هذه الأسماء يمكن أن يكونوا من بني آدم ، ويدخلوا في نسله ويمثّلون الله في عدله وشريعته ، لأن بني آدم ذكروا بالسوء في اخبار الجن ، وكذلك في أخبار الملائكة ، فقد بيّنّا أن الملائكة علمتْ وتعلمتْ ، أن كل خلق من **دون نور الله بالكلية يتخللهم الشيطان** ، ومن المؤكّد أنهم كانوا

....

﴿٣٧﴾ - جاء في تفسير ابن كثير : وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم ، كما قد يتوهّم بعض المفسرين وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ،

قد خالطوا الجن قبل خلق بني آدم ، وعرفوا غيّهم وبغيهم ، كما ذكرت الكثير من الروايات ، (راجع النشأة الأولى) ، وحين تطّلع على ما جاء في تفسير الأسلاف عن أسماء هؤلاء ، ترى أن هذه القصة ، وكأنها كانت مزحة بين الله وملائكته ، فأراد أن يُعْجِز ملائكته بأسماء الدواب والطيور ، واسم الحصير الذي يجلس عليه أبطال هذه التفاسير ، ولم يخبرنا من أحدٍ هل أخبر آدم الملائكة ، بأسماء الخيول باللغة العربية أو العبرية أو بأي لغةٍ من لغات العالم ، أمّا لو كانتْ الأسماء لأشخاصٍ ، فمن المؤكد أنها لا تتغير من لغة إلى لغةٍ أخرى ، وماذا بعد أن علمت الملائكة بأسماء الدواب ، هل اطمأنت بأن الله سيجعل فيها خليفة ، لا يفسد ولا يسفك الدماء ، حاشا لله ونستغفره عمّا فهم بعضهم ، ثم ما فهموا من قوله تعالى : -

أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ

هل إن غيب السماوات والأرض هي أسماء الدواب -ﷻ- ، فلو أن هؤلاء تنعّموا بقليل من الفهم لآيات الله ، والمفردات التي جاءت فيها لفهموا عظمة ما أشار الله له من الأسماء ، فلاحظ معي ما استخدمه الله من إشارة لعظم شأن هذه الأسماء ، في قوله تعالى : -

وَ**عَلَّمَ** آدَمَ الْأَسْمَاءَ **كُلَّهَا** ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ ...

قد اختار الله -ﷻ- الفعل (**علّم**) ، ولم يقل (أخبرَ آدم) أو (قالَ لآدم) أو (أبْلغَ آدم) ، ويبدوا لنا أن تعلّم آدم لهذه الأسماء فيه قداسة ، فالإشارة إلى تعلم الأسماء **كلها** ، يعني أن العلم لن يكتمل إلا بها جميعا ، كما يبدو لنا ، أنها ذات منازل وأدوار عظيمة ، في تاريخ البشرية ، لأن التعلم جاء كمراسيم مُنظّمة لا يمكن تخطيها إلا بعد إكمالها ،

وهذا نفْع استخدام (ثم) في النص ، فـ(ثم) وإن كانت أدت غرضها بالترتيب بين فعل وآخر ، لكنها دائما ما تشير إلى زمنٍ يزيد كثيراً عن استخدام واو العاطفة ، فحين يكون القول : -

وعلم آدم الأسماء كلها (و) بدل (ثمّ) عرضهم على الملائكة ، ستقع أحداث القصة في زمن واحدٍ ، أمّا باستخدام (ثمّ) ، فإن لم تبين مدة طويلة جداً ، فهي تبين أن الحدثين وقعا في مرحلتين مختلفتين أو ظرفين مختلفين ، كما تعني أنه تعالى لم يعرضهم على الملائكة ، إلّا بعد أن علّم آدم الأسماء كُلّها ، ولنعد الآن الاطلاع على كامل النص ، وكم مرّة وردت الأداة (ثم) فيه ،

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا **ثُمَّ** عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تكتمونَ) البقرة .

تلاحظ أنها وردت **مرة واحدة** لا غير ، بالرغم من وجود عدة أفعال وأحداث متعاقبة ، كأن يكون النص - ثمّ - قال أنبئوني بأسماء هؤلاء أو - ثمّ - قال يا آدم أنبئهم .... أو - ثمّ - نبأهم بأسمائهم ، لكنها وردت حيثُ علّم الله آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة ،

وهذا ما يؤكد أن مدّة تعليم آدم قد استمرت زمناً طويلا ، تلقى فيها آدم كل ما يخص تلك الأسماء من علوم ، ولو أننا تدارسنا النص في أعلاه ، بكل دقة وعلمية ، فإننا سنقف على حقيقة لا يمكن نكرانها أبداً ، وهي أن هذه الأسماء هي من أعظم علوم السماء ، وهي من غيب السماوات والأرض ، وبعد هذا كلّه استخدم تعالى الفعل (أنبئوني) ، وهذا يعني جهلهم التام عن أسماء هؤلاء ، أمّا بخصوص قوله تعالى : - (قال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) ،

فهل يعني أن الملائكة كانوا يكذبون ؟

قوله تعالى إن كنتم صادقين ، يعني الجزم ، بأن لا علم لكم عن أسماء هؤلاء ، ولو كنتم تعلمون أسماء هؤلاء ، لمَا قلتُم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، والملائكة يفترض بها العلم التام ، بأن الله لن يجعل له خليفة ممن يفسدون ويسفكون الدماء ، لكن هناك معلومة خطيرة تعلمها الملائكة ، قد اصطدمت بخبر تنصب خليفة على الأرض ، وهي أن بني آدم يفسدون حقاً ويسفكون الدماء ، لذا خفيت عنهم معلومة واحدة ، وهي أسماء من لا يفسدون ولا يسفكون الدماء ، فالصدق هنا يعود على قول الملائكة ، (قالوا أتجعل فيها من ي ......) وهذه حقيقة ، أي إن الصدق هنا بمعنى القول عن علم ، وعكسه القول عن جهل ، فيكون القصد : إن كنتم حقاً تدّعون بأن الله سيجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فأسماء هؤلاء هو الدليل الأكيد ، أنه تعالى سيجعل فيها من لا يفسد فيها ولا يسفك الدماء ، والملائكة لم تكن تكْذِبْ ، بأن قالت عن بني آدم أنهم سيفسدون ويسفكون الدماء ، والدليل قولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما **علمتنا)**

، فقولهم نابع عن علم الله الذي علّمهم إياه ، لا بِاستنتاجاتهم ولا عن حسدٍ أو غيبة اغتابوها لبني آدم ، ولكنهم جهلوا فقط أسماء الخلفاء ، الذين ذخرهم الله لخلافته في الأرض ، وهذا ما يؤكد بأن أسماء الخلفاء هو علم ، كان خفياً حتى عن الملائكة ، فلا عجب حين نجهد للتعرف إليهم ، فعظمة مثل هذا العلم ، جعلت من آدم نبياً ، إذ نكرر القـول بعدم وجود أي إشارة لنبوّة آدم إلّا في قوله تعالى : -
(قَـــالَ يَا آدَمُ **أَنْبِئْهُـــــمْ** بِأَسْمَـــائِهِـــمْ فَـلَـــمَّا **أَنْبَـأَهُـــمْ** بِأَسْـــمَائِهِـــمْ) ،
فمن يُنبأ بني آدم ما يعلّمهُ الله لهُم ، غير الأنبياء كما نعلم ، فلا وجود لأدنى شك في أن من ينبأ الملائكة ، هو نبيّ ، أي إن حركة قيام آدم بأن ينبأ الملائكة ، جعلتْ منهُ نبياً ، بعد أن أعدّهُ الله للنبوة ، بتعليمه أسماء هؤلاء ، ولمدّة طويلة كما ذكرنا ، ويبدو أنك تسأل ، ما هذه الأسماء التي تحتاج مدة طويلة لتعلمها ،
فالأسماء في اعتقادنا ، لم تتجاوز الأربعة عشر اِسما ، أي ليست بالعدد الكبير ، لتحتاج مدة طويلة لتعلّمها ،
الجواب : تَعَلّم الأسماء ، يعني العلم بنهجهم الواحد ، والذي يمثّل منهاج الباري وسنته ، وما يملكونه من حكمةٍ وعدل ، وما منحهم الله من مكانة ، ولأجل فهم القضية أكثر ، فتعال لما نسب من حديث للرسول -صلى الله عليه وآله- :
(من أحصى أسماء الله الحسنى دخل الجنة) ،
فقد أجمع الفقهاء ، على إن من أحصاها ، أي من تفاعل معها وآمن بوجودها بوصفها أسماء لله عزوجل ، ولا يمكن أن يكون المعنى ، من عدّها أو حفظها ، وإلا أصبح عدد من سيدخل الجنة أكثر من نفوس الصين الشعبية ، وعلينا هنا أن نسجل دليل آخر على مجيء الخليفة وحكمه في الأرض ، ألا وهو ما جاء في الآية : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٣١﴾ البقرة .
فإنَّ من يظنُّ أنَّهُ تعالى لن يرسل لنا خليفة فقد كذب ، فعدم الصدق كما قلنا هو الكلام عن جهل ، أما القول بالنفي بعد العلم ، فيعني الكذب والافتراء على الله ، لذا فمن جاء من المفسرين بالقول ، إن الخلفاء هم بني آدم كلهم ، فكأنما قال لله حاشاه ، لقد جعلت فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، لعلمنا بالخليفة وسير الأنبياء والمصلحين ، أما الملائكة ، فلا يُمثّل قولهم ذنباً أو جريرة ، إلا بعد علمهم بما يجهلوه ، ولا يمكن افتراض إصرارهم على ما قالوه ، بعد علمهم ، وسجودهم

ابتداءً لآدم ، يعني أن الشرف الذي نالهُ آدم ، بخدمة الملائكة لهُ ولأبنائه ، قد ضاعفهُ اختيار الخليفة من نسل آدم ، راجع (ماهية السجود في الكتاب الثاني) ، وبهذا فالملائكة علمتْ وتعلّمتْ ، فصادقَ عِلمهم تعلّمهم ، وآمالهم بخليفة لا يفسد ولا يسفك الدماء ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هل كان سجود الملائكة لآدم ، قبل أم بعد قرار الله بجعل خليفة في الأرض ، وهذا ما سنناقشه لاحقاً في الجزء الثاني ، لأنه يخرج عن نطاق ما سنبحثه في هذا الجزء ، لكنّنا ننوه بشكل مختصر ، لما يراهُ بعضهم من أن القضية تشرح نفسها بنفسها ، لأن سجود الملائكة كان بشكل مباشر بعد خلق آدم ،

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) ص ،

لكننا حين نعلم ، بأن هناك سبع سجدات لآدم ، تختلف لدينا الصورة ، وهي كما ذكرها القرآن في سبع نصوص ، جاءت في سبع سور ، فلم تكُن على سبيل التكرار ، بل على سبيل ذكر ما حدث من سجود بالفعل (راجع السجود لآدم في الكتاب الثاني) ، ولم يأت نص قرآني يؤكد أن السجود كان قبل قرار تعيين خليفة أو بعده ، وبعد أن جرى ما جرى في الجنة ، وهبوط آدم على الأرض ، بدأت الحقبة الثانية ، لآدم وبنيه على الأرض ، وذلك بأن أرسل لنا الله رسلهُ ، بشرعه ودستوره ، وبشارتهِ بمجيء أيام الله التي سيحكم فيها الخلفاء ، أي بمجيء من سيطبق ذلك الدستور وتلك الشريعة ، كما أرادها الله تعالى ، والمحنة كانت في أن كل من تسلّم نبأ مجيئهم ، حرّفهُ على هواه ، وكما سنرى أن ما جاء في الكتاب المقدس ، حرّفهُ أهل الكتاب ، بأن أشاروا على أن الخلفاء ، مجرد رؤساء قبائل من أبناء إسماعيل ﵇ ، وأنهم ليسوا من الأئمة المصلحين - السفر الأول - سفر التكوين : الإصحاح السابع عشر النص رقم [٢٠] الكتاب المقدس ، العهد القديم : -

﴿ وامّا إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه ، ها أنا اباركه وأثمرهُ وأكثره كثيراً جداً إثني عشر رئيسا يلد وأجعلهُ أمّة كبيرة ﴾ - ﴿٣٨﴾ - كما نقلت في مواضع أخرى بصيغة مقاربة ﴿٣٩﴾ : -

(وقد أجبت دعاءك في إسماعيل وقد سمعتك ما باركته وسأكثره جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيما اجعلهم أئمة كشعب عظيم) { ١٢ – ١٥ } ،

....

﴿٣٨﴾ - سفر التكوين الاصحاح ١٧ – الرقم ٢٠١٨ .

﴿٣٩﴾ - كما جاء بكتاب : (معالم المدرستين) ج ١ص ٥٣٩ ، لإثبات الإمامة .

وذكرت أسماءهم :
((وليشمعيل شمعتيخا هني برختي اوتو وهفرتي اوتو وهربيتي اوتو بمئد مئد شنيم عاسار نسيئم يولد ونتتيوا لغوي غادول)) ،
كما جاء في شرح الأصحاح يولد له اثنا عشر ابناً ، والذين أصبحوا آباء القبائل العربية الإسماعيليين وفق ادعائهم ، وهنا حسم اليهود قضية الإثني عشر ، واعتبروهم زعماء للقبائل العربية ، وهذا ما رحّب به النمطية من أحباب السلف ، إذ جمعوا ما يرونه قريباً لطموحاتهم ، واعزازاً لعشائرهم ، من دون أن يجمع الخلفاء المشار إليهم ، أي رابط منهجي أو حتى عصبي أو نسبي ، راجع (خليفة أم خلفاء) ،
وسندخل الآن بأمرٍ يوضح لنا ، بشكل دقيق كيفية تطبيق المنظار القانوني ، لفهم النصوص القرآنية ، وبعض النقد لما قاله أهل التفسير ، وهذا التطبيق يخص ما نحن بصدده من أن الأسماء التي تعلمها آدم ، وهو **العلم** الذي تعلمه من ربّ العباد ، فكل هذا العظيم من الأسماء ، يراه بعضهم أسماءً للأشياء ، وإذا كان أهل الكتاب يخافون أن تكون الإشارة ، لأنبياءٍ سيأتون بعد أنبيائهم ، وأولياء بعد أوليائهم ، فما كان يخاف منه العرب لكي يغيّروا الحقائق ، والنبي الأعظم هو خاتم الأنبياء ، وكما بيّنا في الكتاب السابق إن من المضحك ، أن بعضهم فهم أن أسماء هؤلاء ، هي أسماء مقدّسة فأرادوا أن لا يمسوا قداستها ، فقالوا بأنها أسماءً للملائكة ، على اعتبار أن الله أراد أن يسخر من ملائكته حاشاه وحاشاهم ، ويثبت للملائكة كيف أن آدم يعلم أسماءهم ، وهم لا يعلمونها ، فكيف لهم أن يقولوا ، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ويتهمون بني آدم دون علم ، ولكن فات عليهم قول الملائكة (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا **إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا** إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ، أي إنهم لا يقولون إلا عن علم من الله تعالى ، وهذا ما جاء في تفسير ابن كثير والطبري ﴿٤٠﴾ : -
((وقال الربيع في رواية عنه : أسماء الملائكة ، وقال حميد الشامي : أسماء كل النجوم ، وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم ، واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية ، لأنه قال (ثم عرضهم) وهذه عبارة **عمّا يعقل** ،
وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن

....

﴿٤٠﴾ - جاء في الطبري ص[٦٥٠ - ٦٥٣ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٣ - ٦٦٥ - ٦٦٦] .

الجميع بصيغة من يعقل للتغليب . والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وأفعالها ؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية . يعني أسماء الذوات والأفعال ، المكبر والمصغر ، ونقل البغوي عن الربيع أسماء الملائكة)) ،
ونلاحظ كيف أنه أشار بجواز الجمع بين العاقل وغير العاقل ، لكنه لم يذكر لنا أيّ ذاتٍ عاقل ، في أسماء الأشياء فأين قوله : ((لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم)) ، وجاء في الطبري عن تفسير الأسماء التي تعلمها آدم ، ومن ثم أنبأ الملائكة بها : ((حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شَريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : علّمهُ اسمَ كلّ شيء ، حتى **البعير** و**البقرة** و**الشاة** ....
وحدثنا علي بن الحسن ، قال: حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد بن مُصعب ، عن قيس ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن مَعبد ، عن ابن عباس في قول الله (وعلم آدم) ، علمه اسم كل شيء حتى الهَنة والهُنَيَّة ....
وقال آخرون : علم آدم الأسماء كلها ، **أسماء الملائكة كلّها** ،
حُدِّثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : - أسماء الملائكة)) ،
ولم نذكر بهد الهنيَّة ما قالهُ ، لسبق وذكرها في مواضع عدّة ، وكي لا يصاب القارئ بالامتعاض ،
وليثبت الطبري عبقرية خاصة ، أفتى وأختار الرأيين معاً ، ((وأولى هذه الأقوال بالصواب ، وأشبهها بما دلّ على صحته ظاهر التلاوة ، قول من قال في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) ، إنها أسماءُ ذرِّيَّته وأسماءُ الملائكة ، دون أسماء سائر أجناس الخلق وعن قوله تعالى ثم عرضهم ، قال الطبري : - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أسماء ذريته كلَّها ، أخذهم من ظهره ، قال : ثم عرضهم على الملائكة -
وحدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد (ثم عرضهم) ، عرض أصحاب الأسماء على الملائكة ، كما جاء عنه أنها **الحمامة** و**الغراب**)) ،
ولكنَّ كلّ ذلك أهون من قول ابن عباس ، إن علم الله الذي علّمه لآدم ما ذكرهُ (أجلكم الله) ، لكنّ آدم كان يؤهّل لدخول الجنة ، لا لدخول المرافق الصحية يا ابن عباس ، ولا نجد والله ردّاً بمستوى ما نطّلع عليه من رأي ، أمّا عبد الرحمن بن زيد ، فمن المؤكد أنّهُ لا يعلم بلوغ عدد سُكان الأرض الآن أكثر من سبع مليارات ونصف [٧،٦٧٤] وفق آخر اِحصائيّة لعام {٢٠١٩} ،

وبموجب ما طرحتهُ الأبحاث ، فإن عدد سكان العالم منذ بدء الخليقة ليومنا هذا ، هو مالا يقل عن [١٠٨] مليار ، ولو كان آدم ينطق الاسم الواحد خلال ثانية واحدة ، فإن الوقت الذي استغرقه لقراءة الأسماء كُلّها ، ما يقرب من ستة وثلاثين ألف سنة ، أي مازال لحد الآن يقرأ على الملائكة أسماء ذريته ، ونحن لا نعترض على شيء ، بل نقول هل حفظهم أو كتبهم ، وما الفائدة من ذلك كُلّه ، والامر نفسه يمكن أن يقال ، لمن يقول بتعلم آدم الأشياء كلّها ، فقد لا يعلم القائل ، إن هناك [٣٢٠٠] ، نوعاً من أنواع الأسماك ، [١٠٠٠٠] ، ومن الزواحف ما يقرب من عدد الأسماك ، أمّا أنواع الحيوانات البريّة فيقدّر بـ[٣٠] مليون نوع ، أضف إلى ذلك الحشرات ، ولا نعلم شأن البكتريا والفايروسات والجراثيم ، كل هذا ولم نصل إلى أنواع .... أكرمكم الله ،

أمَا يعتريهم الحياء ، مما فسروه واستنتجوه من عظيم آيات الله -عزوجل- ، هل نحن أمام العلماء الأعلام ، ومصابيح الهدى في الظلام ، أم نحن أمام كُتّاب (وال دزني) للأطفال ، فتخيل آدم وهو يقول للملائكة أسماء اليابانيين والصينيين والهنود ، أم حسبوا أنَّهم هُم فقط أبناءً لآدم ،

هذا إذا كُنتَ تسألني ، عن سبب عدم الاكثار من كتابة مصادر من أهل التأويل ، فلا ، لأنَّنا نُعارض ما يقولوه ، بل لأنَّنا نجدهُ مضيعة للوقت ، ولا تستحق الوقت الذي يكتبُ فيها ،

فضلاً عمّا يعترينا من فتور ، في البحث والتقصي ، لما نجدهُ من طرائف ، لا تنتمي حتى لأدب الحديث ، وكم نتمنى أنَّنا عشنا بعهدهم ، لنعُدّ لهم مثالب ما قالوه ، بعدد ذرية بني آدم ،

لكنّا نعود للقول ، بأن فارق التطور الحضاري ، يمنعنا بعض الشيء من الانتقاص من قدر ما كتبوهُ ،

ولنعد إلى النص الذي جاء في سورة البقرة ، لنستنتج ما قضية هذه الأسماء : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تكتمون) ،

ولننتبه لقوله تعالى : - (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) ﴿٣١﴾ .
فماذا عرض الله على ملائكته ،
لو كان سبحانه وتعالى قد عرض الأسماء فقط ، لكان النص جاء بهذا الشكل - وعلم آدم الأسماء كلها ثم **(عرضها)** على الملائكة ، ولكن لمّا جاءت بهذه الصياغة **(عرضهم)** ، فهذا يعني ، أنه تعالى عرض أصحاب الأسماء ، بذواتهم على الملائكة ، وهذا بعض ما فات على المفسرين في أعلاه ، وليت كل مذاهب وملل العالم ، تعلم ما فعله بعض من أمة الرسول الكريم ، بدين الله ، ليفهموا ما فعلهُ من قبل ، بعض من أمّة النبي موسى وعيسى -عليهما السلام- ، ولو أمعنا النظر بكل ما جاءت به تفاسير القوم ، سنجد من زلاتهم ، بعض ما يشير ، بأنهم على علم كافٍ بما استعرضناه ، وجاء بابن كثير ص [٦] في تفسير الآية ﴿٣١﴾ البقرة : -
((إني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ، فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم **تشاهدونهم** ، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا غير عالمين)) ،
فكيف كان تفسيرهم أن هذه الأسماء هي أسماء الأشياء ، فهل رءوا كل المؤثثات المنزلية ، أم الفسوة والفسيّة (نعتذر لتكرارها ولكن لزم ذكرها هنا) ،
أم رءوا ، كلّ أبناء بني آدم إلى يوم الدين ، أم رءوا أنفسهم كملائكة ، على وفق من قال إن هذه الأسماء ، هي أسماء الملائكة ،
وبما أن النص بهذه الصعوبة التي جعلت قسم من الصحابة والتابعين ، يخمّنون ما هي تلك الأسماء ، فلنعرضها وكأننا نسرد قصة يمكن أن نعقلها بموجب النص - قال الله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة ، فتعجبت الملائكة وقالت : وهل من الممكن أن تجعل فيها من المفسدين وسفّاكي الدماء خلفاء على الأرض ، أجابهم الله ، أنا أعلم بما تجهلوه أنتم ، ولأجل أن يبدأ آدم تعاملهُ مع الملائكة بوصفه نبياً ، علّم اللهُ آدمَ الأسماء كُلّها ، ثم عرضهم الله على الملائكة ، أي عرض الأسماء والشخصيات ، ولمّا رأتهم الملائكة ، سألهم الله هل تعلمون من هؤلاء ، قالوا سبحانك ، إن كلّ ما نعلمه ، علمتهُ أنت لنا ، ولم تُعلّمنا من قبلُ أسماء هؤلاء ، ثم أمر آدم أن يُنبّأ الملائكة ، بالأسماء التي عرضتْ عليهم ،
فيما ترى ، ما هي الأسماء التي يتوقّعها في هذه القصة ، لو عرضناها على تلميذ في المراحل الأولى من التعلّم ،

وما رأيك أن نتوقّع أمراً في غاية الغرابة ، أمراً لم يتوقعه علماء الغرب ولا حكماء الفرس ، ما رأيك أن نتوقع إنه تعالى علّم آدم ، أسماء الخلفاء الذين سيحكمون الأرض بالعدل ، دون أن يفسدوا فيها ويسفكوا الدماء ، بما أن الملائكة كانت تتكلم على الخليفة ، فقد جاء الله بخلفائه وعلّم آدم أسماءهم ، ثم عرضهم على الملائكة وقال لهم ، هيا انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، بقولكم أني سأجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فلو كنتم تعلمون أسماء هؤلاء ، لمَا قلتُم ما قلتُم ، أو إنكم تعلمون أسماء هؤلاء ، فأنتم لم تقولوا الصدق ، لأن هؤلاء لا يفسدون ولا يسفكون الدماء ، والآن ماذا تعتقد ، هل إن اقتراح أسماء الخلفاء يعدُّ شذوذاً عن المُراد ، أو هو المُراد بعينه ، أو على الأقل من المحتمل قبوله ، أليست أقرب مما أسندوه من أسماء البغال والحمير ،

أستغفر الله وحاشاه وحاشا أولياءه الصالحين ، والآن هل تظنّ حقّاً أن هذا الرأي يحتاج لعالمٍ أو حكيم ، وهل تظُنّ أنّ من الصعب على أهل التفسير التوصل لهذا الرأي ، ولو باحتمال واحد إلى المائة ، لكن القضية ليست قضية صعوبة في التفسير ، أو النظر بدقة للنص القرآني ، أو تظنني قد أتيت بما لم تأت به الأوائل ، فكل أهل التفسير يعلمون علم اليقين أن المقصود بأسماء هؤلاء ، هم أسماء الخلفاء من نسل الرسول المصطفى ، والدليل واضح وجلي ، أن لا أحد منهم ، قال على أقل تقدير ، بأنها أسماء الأنبياء جميعاً ، فكيف يقولون بأنها أسماء الملائكة ، وثم يقولون أسماء ذرية آدم ، ولا يخطر على بالهم ، أن يجمعوا على أنها أسماء الأنبياء ، والسبب هو خوفهم من أن يتعرف الناس على حقيقة الخلفاء ، فلو قالوا بأنها أسماء الأنبياء ، أصبح المطّلع قريباً للتعرف إلى المصطفى وآله الأبرار ،

والقضية قضية ملك بني أميّة ، ومن ثم مُلك بني العباس ، ومن ثم ملك الدولة العثمانية ، ومن بعد كل ذلك ملوك وزعماء لا يمتون للدين الإسلامي بصلةٍ ، ففي أي عهد من هذه العهود ، يستطيع من أحدٍ أن يقول إن أسماء هؤلاء هي : أسماء الخلفاء ، الذين أمر الله بتعيينهم خلفاءً لهُ ، مُذ بداية الخلق حتى اللحظة ، وبالتفاتةٍ أخرى للنص ، ولمزيد من التأكد ، فهل إن الحوار الذي دار بين الله وملائكته ، بعد أن قال تعالى إني جاعل في الأرض خليفة ، له أي علاقة بتعلم آدم لأسماء هؤلاء ، فانعم النظر في قوله تعالى : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة .

نعود لهذه العبارة المهمة جداً ، والتي لم يليها أهل التفسير أي اِهتمام ، فلولا عبارة (إن كُنتُم صادقين) ، لكان هناك من احتمال ، إن الآية الأولى غير متعلقة بالآية الثانية ، ولكن بوجود هذه العبارة ، نكون على يقين بأن الحوار ما زال قائماً ، وإن موضوع الخليفة مازال مستمراً ، وإن تعلّم آدم للأسماء كلّها جاء في الوقت نفسه ، الذي دار فيه الحوار بين الله وملائكته ، حول موضوع الخليفة ، والدليل هو العبارة التي أشرنا إليها (إن كنتم صادقين) ، فليس من المعقول أن هذه العبارة لا تتعلق بما حدث في الآية الأولى ، وأنها جاءت اعتراضية ، تتعلق بحدث لم يذكرهُ النص ، وليس هذا فقط ، بل ما زالت هناك إشارة ، تجمع الآية الأولى بالثانية ، وتربط موضوع الخليفة بالأسماء التي تعلمها آدم ، وهي عبارة (قال إني أعلم ما لا تعلمون) ، فعبارة أعلم ما لا تعلمون ، اتصلت مباشرة بالعبارة التي تليها (وعلّم آدم) ، أي ما علمه الله لآدم ، هو العلم الذي لا تعلمه الملائكة ،

أنحن لنا حاجة إلى المزيد من الأدلة ، لنجزم بأن الأسماء التي علمها الله لآدم ، ترتبط بالخليفة ، لا بل تعال نسخف من عقولنا أكثر ، ونترجم النص في أعلاه إلى قصة ، أرجو من الله أن يأذن لنا بهذه الموازنة ، فكل ذلك كرامة لعظمة آياتهِ الشريفة ، قال زيدٌ إني سأرسم صورة جميلة ، قال أصدقاءه ، وكيف ستكون جميلة ولديك ألوان سوداء ، قال إنكم لا تعلمون ما عندي ، فأعطى لأخيه (----) وقال له اعرض (----) عليهم ، فلما رءوا ما لديه من (----) ، عجبوا وقالوا لم نكن نعلم بوجودها لديك ، فقال لهم ، ألم أقل لكم ، إني أكثر علماً واستعداداً مما تعلمون ، = وما عليك الآن عزيزي القارئ ، إلا أن تملأ الفراغات الموجدة بين الأقواس ، (البرتقال ، الحمير ، البغال ، الألوان ، الطابوق ، اسم أبيه ، الحمامة) ، لديك الآن ثمان كلمات ، عليك اختيار كلمة واحدة فقط لملء الفراغات ، فماذا تختار ، وسيكون جوابك ، هو الجواب عن معنى الأسماء التي علمها الله لآدم ، فإن اخترت مفردة (الألوان) ، فهذا يعني أن الأسماء ، التي تعلمها آدم ، كانت تنتمي لحوار الله مع الملائكة عن الخليفة ، وبذلك تكون أسماء هؤلاء ، هي أسماء الخلفاء الذين لا يفسدون ولا يسفكون الدماء .

وننتقل الآن إلى اِسم الإشارة (هؤلاء) ، الذي ورد في القرآن الكريم مرات عدة ، كقوله تعالى : - (قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) ﴿٦٨﴾ الحجر .

(كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ﴿٢٠﴾ الإسراء .

= إن لم تكن اللغة العربية عرّفتنا ، لأي شيء يمكن استخدام (هؤلاء) ، فإن النصوص القرآنية كلّها ، تشير على أن هؤلاء لا تستخدم للإشارة للبهيمة أو المبهم غير العاقل مطلقاً ، وقد وردت (هؤلاء) في القرآن [٤٧] مرة ، و [٤٦] مرة أشارت للرجال الذكـور فقط ، وواحدة أشـارت للـنساء في قوله تعالى : - (قال هؤلاء بناتي) ﴿٧١﴾ الحجر ، وبما أنه تعالى ذكر (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فهذا يعني أنهم ذكور ، زد على ذلك أنه تعالى جاعل في الأرض خليفة ، فمن المؤكد أن الخلفاء من الذكور ، كما يمكن استخدام هؤلاء للذوات غير العاقل ، ونعني هنا الإشارة إلى كنه الأصنام باعتبارها آلة ، فلا يمكن أن نقول (هؤلاء الأصنام) بل (تلك الأصنام) ، ولكن حينما تكون الأصنام معرفة بذات ، ومعروفة بأسماء ، على أنها آلهة للجمال أو الأمان ، وما إلى ذلك ، لا بل من الممكن الإشارة إلى الأحصنة بهؤلاء ، إذا كانت مُعرّفة بأسماء خاصة بها ، وهذا ما جاء في القرآن الكريم بموجب آيتين : - (لَوْ كانَ **هَؤُلاءِ** آلهة ما وردُوها وكلّ فيها خَالدون)﴿٩٩﴾الأنبياء .

كما جاءت في سورة الأنبياء ، للإشارة إلى ذات الآلة التي كان يعبدها قوم إبراهيم الخليل -ﷺ-بقوله تعالى : -

(فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا **هَؤُلَاءِ** يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) الأنبياء .

وبذلك فإن اسم الإشارة (هؤلاء) ، لم يأتِ أبداً للإشارة إلى ما ذكروه من أجناس ، وهذا ما فهمناهُ في اللغة ، فكيف تغيّرت هذه القواعد عند هذه الآية ،

وباستعراض كل المعطيات التي مرّت علينا آنفاً ، نجد إن غيب السماوات والأرض هو أسماء هؤلاء ،

والآن أمَا علينا أن نسأل ، لماذا أخبر الله ملائكته بقرار جعل خليفة على الأرض ، ولماذا كان رد الملائكة ، بأن الخليفة ينبغي أن يكون غير مفسد ولا سفّاكا للدماء ، إلّا لأنّ الملائكة كان عليهم خدمة الخليفة القادم ، فانعم النظر في النص : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٣٠﴾ البقرة .

فنرى أن الملائكة تكشف وظيفتها ، وبأنها تقوم بالتسبيح بحمد الله والتقديس له ، فـمَا عـرضتْ الملائكة طبيعة وظيفتها أمام الله ، إلّا لأنها تعلم أن وظيفتها القادمة هي خدمة الخليفة ، الذي أمر الله بجعله ممثلاً له على الأرض ، وبهذا

التمثيل تنتقل خدمة الملائكة من التسبيح بحمد الله إلى الامتثال لأوامر الخليفة ، وإذا لم يكن المفهوم هكذا ، فعلينا أن نؤمن بآراء النمطية القائلة بأن الملائكة أرادت المُلك لنفسها أو معرفة الحكمة التي أرادها الله من ذلك ، وهذا رأي غير معقول ومقبول ، لأن الملائكة تعلم جيداً أنها لم تخلق لأجل الخلافة على الأرض ، ولا يمكن جعل الملائكة كلها بمنصب الخليفة ، وقد أوضح الله لنا أن الملائكة لو نزلت على الأرض ، سترتدي أجساد الرجــال : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) ﴿٩﴾ الأنعام .

وماذا بعد وراء اِخبار الله تعالى الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة ، قبل أن يسكن آدم وذريته الأرض ، فـهذا ما قـلنا فيه بأن سـبحانه ، خلق المقوّم قبل المكوّن ، أي إن الخليفة قد صدر الأمر بتنصيبه ، قبل أو أثناء خلق آدم ، كما أن من المؤسف أن نجد ، أن هناك من توصّل للكثير من الحقائق ، عن طريق الميزان العلمي لمفاهيمها ، لكنهُ حينما يصل إلى هذه الحقيقة ، يعود إلى فكر النمطية وآرائهم ، ويحيد عن تسليط الأضواء على أسماء هؤلاء ، خوفاً لاتهامه بالمبالغة في حب محمد وآل محمد ، لأن حبهم يعني اتهامهُ باعتناق المذهب الشيعي ، راجع (الخليفة بين المودة والعبادة) ، وكما جاء في البغوي : -

((والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفة لأنه خلفَ الجن ، أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيرهُ والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه - قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها - بالمعاصي - ويسفك الدماء - بغير حق أي كما فعل بنو الجن فقاسوا الشاهد على الغائب وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب - ونحن نسبح بحمدك - قال الحسن : نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما - سوى الآدميين وعليها يرزقون)) ،

ولكن البغوي اِلتبس عليه الأمر ، فآدم وبنوه لم يخلفوا الجن بل شاركوهم العيش على الأرض ، لأن الجن ما زالوا يعيشون معنا ، ولأن آدم وبنيه ، لم يغيّروا شيئاً في حياة الجن ،

= ابن كثير (([وليس المراد ههنا بالخليفة آدم -عليه السلام- فقط] ، كما يقوله طائفة من المفسرين ، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل ، وفي ذلك نظر ، بل الخلاف في ذلك كثير ، حكاه فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره ، والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة - أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء - فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل

ذلك ، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون)) ،

ومن الحسن قول ابن كثير عن الطبيعة البشرية ، فحقاً أن ما تعلمه الملائكة عن المخلوقات أنها تفسد وتسفك الدماء ، لذا من الغريب قول بعضهم إن الملائكة اغتابت بني آدم ، لأنّ علمها وما تنطق به ، هو من بعض علم الله ، ونقوم بتكرار النتائج وبمختلف الصور ، لكيلا يبقى لدينا من شك ، أن ما جاء به أصحاب التفاسير من النمطية ، كله مغالط للحقائق : -

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ﴿٣٢﴾ البقرة .

ومن يُسبِّح بحمْد الله ويُقدِّسَهُ ، لا يُمكن أن يقول المُنكر من القول ، وما قام به الجنُّ قبل خلق آدم ، لابُدَّ مِنْ أَنَّهُ إشارة واضحة للملائكة ، لتعلم ما سيقوم به أبناء آدم ، وهذا دأب كل المخلوقات ، حتى النباتات ، غير أن حركتها قُيّدت ، كما يقيد الإنسان بسلاسل مع جدار السجن ، فلا يملك الإفساد أو سفك الدماء ، أمّا الحيوان فشأنه خير من شأن من لا يعرف له إله ، بل يرتفع الحيوان عمن لا إله له ولا ولياً ، إذ تسبّح لله -جل جلاله- ،

إذ عاش الملايين مِن الناس ، دون حتَّى أن يُسألوا هل لدَيْهم ربّ أو لا ، فماذا سيكون جوابهُم ، لو قُلنا لهؤلاء ، إن لديكُم إماماً عليكم أن تعرفوهُ وتقتدوا بهِ ، ومهما يكُن جوابهم ، فهُم لنْ يقتلوا من يخبرهم بما تقدَّم ، لكنَّ المصيبة ، بمن يدعي الإيمان بالله وبما أنزلهُ تعالى ، لكنَّهُ يُفتي بقتلك ، لو زدتَ رأياً إلى آرائهم المتنوعة والمتعددة والمختلفة ، مادام رأيك فيه حسّ التهديد لعرش سلاطين الدولة الإسلامية ، ففي أيِّ مستوى من مستويات الخلق يمكن وضعهم ، وهذا السبب ، من أهمِّ الأسباب التي أدتْ ، إلى هجرِ البحث عن خليفة الله ، والتخوف من الاقتراب لهذهِ النصوص ، فالحديث عنها يعني لهم التخطيط للانقلاب على حكم السلطان ، ومن ثم لو أنَّهم ، درسوا الخلافة كعلم ، فلربَّما كانت المصيبة أعظم ، ونرى آراء كالأطيط والأصابع الأربعة في كرسي العرش ، هي التي تسود في الساحة ، وهذا بالفعل ما جرى ، من اعتبار الخليفة شخص عادي ، لا يعرف حتَّى هو أنَّهُ الخليفة ، ثم يفاجأ هو وكل أهل الأرض ، أنَّه هو الخليفة ، إذ يصلحه الله في ليلة وضحاها ، ولا تعجب مما توصَّلُوا لهُ ، فهُم يظنُّون حتَّى بالرسول الأعظم -ﷺ- ، مثل هذا الظَّن ، إذ كان ضالاً ﷺ ، وهداهُ الله في الأربعين من عمرهِ ، ومن المؤكد إنَّ ما قالوه عن الرَّسـول ، هو ما أوصلهُم لما قالوهُ الآن .

المطلب الثاني

الخلافةُ بوصْفِهَا (أمْر)

مــن المـؤكد أنه تعالى ، حـين يصدر أمراً ما ، فـسيصدره تامّاً ومتكاملاً ومكتملاً ، فحين كان أمرهُ أن يخلق الأشجار بأنواعها ، تمّمها بما تثمرهُ وما تنتجهُ من أخشاب ، كل ثمرةٍ وكيف تخدم الإنسان ، وتمُـدّهُ بالفـوائد المختلفة ، والعناصر الغذائية المتنوعة ، بالـرغم من أن كلّ الأشجار تتغذى من التربة ، وتحتاج الماء والهواء والشمس ، ولابد من أن يكون أمرهُ متكاملاً ، بأن هيأ لها التربة المناسبة والهواء والماء والشمس ، ولابد من أن يكون أمرهُ مكتملاً أيضاً ، فتنتج الشجرة البذور التي تزرع منها أشجار أخرى ، وكأنها تبيض لتنتج ذريةً لها ، وكما يزوّدها بما يحمي وجودها ، كالجذور التي تغذيها وتمُدّها بقوة الثّبات على الأرض ، واللحاء الخشن ، والسَّاق الصَّلبة ، وكل هـذا ، نُسميها المقومات ، التي تخدم المكونات وإن كانت هي أيضاً مكونات ، قد تحتاج إلى مقومات أخرى لعملها ،

وكما مرّ بنا الحديث ، فإنه تعالى يخـلق المقومات وما يحتاجهُ المخلوق قبل أن يدرك المخلوق الحياة ، والذي نسميه بـ(المكوّن) ، وهذا يعني أنه تعالى قد أوجد الخلافة وخلق مقومات الخلافة قبل أن يخلق الخليفة ، وقبل أن يأمر بأن يجعل في الأرض خليفة ،

كما يعني هذا أن الخليفة كان مؤهلاً لتسَلّم الخلافة ، قبل صدور أمره تعالى بجعله خليفة في الأرض ، وهذا ما لم يتقبله الكثير من أهل التفسير والبحث ، في أن يكون الخليفة مؤهلاً لخلافة الأرض ، وهو بعد لم يولد إنساناً من بني آدم ، وإنه من الممكن أن ينزل الخليفة ، في أي زمان ، وفي أي مكان ، وبأي شكل من أشكال الرجال ، فهل يمكن أن يعقل هذا التصوّر ؟ .

نحن نقول : إننا إمّا أن نتكلم على عظمة الله وجبروته ، وعن منزلة خليفتهِ ، وإمّا فحاشا لله ، إننا نتكلم على مخلوقات تسري عليهم الطبيعة المادية للأشياء ، والقوانين الطبيعية للمخلوقات ،

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ) ﴿١٧٢﴾ الأعراف .

وهذا يعني أننا جميعاً أقررنا بالربوبية ، ومن موجبات الربوبية ، خلافة الله في الأرض ، وبما إنّنا نتحدث بالمقبول والمعقول ، فليس من المقبول والمعقول أنّنا

أقررنا بالربوبيّة دون حضور ممثل الله تعالى ، إلا في حالةٍ واحدةٍ ، وهي أن نفهم كما فهم البعض من أهل التفسير ، أن الله -ﷻ- يدخل الكون ويتكلم معنا وجاهة ، فنحن أمام أمرين اثنين لا ثالث لهما ،

أولاً : أن يكون الله -ﷻ- قد تمثّل لنا وأشار لنفسه بنفسه ، ليخبرنا بأنهُ الرب ، ولكن السؤال الذي نطرحه بهذا الخصوص هو : ما فائدة تمثل الله تعالى أمامنا ليشير لنفسه بنفسه -ﷻ- ، ونحن لن نرى الله في الحياة الدنيا أبداً ، ولا حتى في الآخرة ، على وفق اعتقادنا ، ولو كنّا قد رأيناه في عالم الذر ، فما الفائدة من التعرف إلى الرب ، والنظر إليه -ﷻ- ، ونحن لن نراه في الحياة الدنيا على الأقل .

ثانياً : أن يكون المشهد كلّهُ بحضور خلفاء الله في الأرض ، معرَّفينَ بأشكالهم وعظيم نهجهم ، على أنهم هم من يمثّلون حكومة الله ، وهم من سيحكمون الأرض نيابة عن الرب ، وبذلك يصحّ القول ، وينسجم فهم الآية ، بأننا تعرفنا إلى الخلفاء في عالم الذر ، وسوف ينكرهم معظم أهل الأرض ، وحتى هذا الإنكار والغفلة ، حذرنا منها الله تعالى في عالم الذر ، كما جاء في نص الآية أعلاه ،

وتعقيباً للفقرة أولاً ، وزيادة في التوضيح ، نحاول تمثيل المشهد من بعد إذن الله تعالى ، جمع الله الذراري في مشهد عظيم ، وقال لهم ألست بربكم ، أي شاهدوا وأبصروا من لو رأوه لعرفوه ، وإلّا ما فائدة أنهم لا يرون شيئاً ، ويقول لهم الله ألست بربكم ، أي ما علّة السؤال (ألست بربكم) ﴿٤١﴾ ،

وكيف يقرّون بما لا يرونه ، وما هي الآلية للإقرار ، إذا لم تكن عن طريق الرب أو من يمثلون الرب ، وبما إنّا ننكر حضور الرب في كل مشهدٍ في الدنيا أو الآخرة ، فإنّا بذلك قد رأينا خلفاء الله تعالى ، وأقرّ كل منا بولايتهم علينا ، بحضور حكومة الله ، والمتمثلة بالخلفاء والملائكة وبشهادة الله السميع البصير ، كما نقول حضر الولي ، إذا ما حضر الرسول أو من خصته الآية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ......) ، فيكون الرسول ومن خصته الآية ممثلاً لله بالولاية على المؤمنين ، فهل يمكننا القول ، إن من الممكن الإشارة للخلفاء بالرب ، كرب المنزل ورب الأسرة ، أي الرب الذي بمعنى السيد الأعلى والقائد المطلق اليد .

....

﴿٤١﴾ - قال أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير ، ويعني ابن حازم ، عن كلثوم بن جابر عن سعيد بن جبير .

وبذلك يكون فهم الآية على أن كل خليفة من خلفاء الله ، شـهدنا له بالربوبية ، بعد أن أثبت لنا ربوبيته ، فيكون السؤال بصيغة الجزم والإثبات ، ويكون القول : (ألست بربكم) ، أو يكون السؤال بعد اثبات الربوبية ، لمن وفيمن ،
((عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ، عليه السلام ، بنعمان ، يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم **كلمهم قبلا** قال : (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) إلى قوله [المبطلون])) ﴿٤٢﴾ ،

فإن تقول إن الله ولي المؤمنين أو إن الرسول وليهم سيان ، وقوله صل الله عليه وعلى آله ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)) ، لن يكون من الخطأ ، لو قـلنا أليس الله ((أولى بالمؤمنين من أنفسهم)) ، فهل يعني حاشا لله أننا نصف الرسول بالإله ،
والجواب : طبعاً لا ، إنما نبيّن تمثيل الرسول لله في الولاية على أنفس المؤمنين ، ولنعد لقراءة الحديث ، ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم)) ، نجد أنه طبقاً لقوله تعالى (ألست بربكم) ، أي صاحب الربوبية على أنفسكم ، كما نقول أخذ الله روح الرجل ، أو أخذ عزرائيل روح الرجل ،
ونحن بهذا نجزم ، أن ما جرى في بيعة الرضوان أو ما تسمى ببيعة الشجرة في السنة السادسة للهجرة ﴿٤٣﴾ والتي حضرها ألف وأربعمائة من الصحابة فقط ﴿٤٤﴾ ، رغم أن عددهم ساعة استشهاد الرسول الأعظم قد بلغ مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ﴿٤٥﴾ ، **فكيف قالوا** بأن الله قد رضي عن كل الصحابة بموجب قوله تعالى : (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) ﴿١٨﴾ الفتح ،
وهم لم يبلغوا ثلاث رجال لكل مائتين منهم ، أي نسبة واحد ونصف بالمائة ، وهذه البيعة هي صورة مصغرة لمبايعتنا لله -جل جلاله- في عالم الذر ، فالأخيرة كانت

....

﴿٤٢﴾ - تفسير ابن كثير ص [١٧٣] ، وقد رواه النسائي في كتاب التفسير من سننه .
﴿٤٣﴾ – ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، دار المعرفة / بيروت .
﴿٤٤﴾ - تفسير الطبري - سورة الفتح ج{٢١} ص[٢٢٣] وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في فضل من بايع تحت الشجرة ، حديث رقم [٣٨٦٠] ،
﴿٤٥﴾ - جزم الحافظ أبو زرعة الرازي (شيخ مسلم) بأن عدد الصحابة (١١٤٠٠٠) مائة وأربعة عشر ألفاً . رواه عنه الخطيب البغدادي في الجامع { ٢٩٣/ ٢ } .

مبايعة للألوهية والوحدانية ، أمّا بيعة الرضـوان ، فللنبوة والإخـلاص والطاعـة ، وتجدر الإشارة ، إن الطلقاء مع سادة قريش ، لم ينالوا شرف هذه البيعة إذ حدثت قبل فتح مكة ، وكأنما أراد لهم الله هذا ، بتعجيل البيعة قبل حلول الفتح ،
كما إن ما ذكرهُ كتب الشيعة والسنة على حدًّ سواء ، عن واقعة الغدير (بيعة الغدير) في السنة العاشرة للهجرة ﴿٤٦﴾ ، هو عين ما حدث لنا في عالم الذر وفي بيعة الرضوان ، من شهادة وبيعة لله ورسوله ، ومن ثم تنصيب الولي ،
لذا فالخلافة كأمر ، تعني الربوبية كطاعة ، فما معنى الربوبية كطاعة ؟
لقد أطاع القسم الأكبر من الصحابة نبينا الأكرم ، كطاعة سيد القوم ، إن لم تكن أدنى من ذلك ، وهــذا ما أشارت له الآيات ، من رفع أصواتهم ومناداته من خلف الحُجُرات ، ومعارضتهم قسمته لغنائم الحرب ، والمئات من المـواقف التي ذُكــرتْ ، وحتى على افتراض طاعتهم له ، كطاعة سيد القوم ، فهذه لا تحتاج إلى إذنٍ من الله تعالى ، لأنه -ﷺ- ، هو المفكر والمنفذ الأعظم ، لما وصلوا إليه من مكانة بين بقية البلدان ، مع ذلك فلم يحظ منهم ، بما حظي به سادة قريش من قبل ، والذين كانوا يذيقون صحابة الرسول الويلات ، من قبل حتى إسلامهم ، فما بالك بالطاعة التي أمرنا بها الله -جل جلاله- ، والتي فرضت للرسول بإذنه تعالى ،
حينما يقول الله تعالى : (إلا ليطاع بإذن الله) ، فهذا الإذن هو الطاعة التامة للرسول بما لله علينا من طاعة ، فطاعة الرسول يجب أن تكون بقدر طاعتنا لله ولو كان الرسول بين أناس تتجاوز نسبة العلماء فيهم عن النصف ، لسمعنا منه أحاديث ، لو سمعها بعضاً من الصحابة ، الذين لم تتركهم بعدُ خصال الجاهلية ، لكفّروهُ واتهموهُ بادعاء الألوهية ،
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) ﴿٦٤﴾ النساء .
فالرسول هو الله في شريعته وسنته ، وهو الله في طاعتنا له ، وليس بعد ذلك من شيء ، أي إننا لا نعــرف عن الله -جل جلاله- ، غير شريعته وسنته وطاعته ، لكننا حين

....

﴿٤٦﴾ - البداية والنهاية / ابن كثير / الجزء السابع / حديث غدير خم / ص[٣٨٦] .
وكذا رواه ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة ، أن النبي -ﷺ- ، أخذ بيد عليٍّ قائلاً ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعادي من عاداه . وعن أبي هريرة قال : (من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهرا وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي -ﷺ- ، بيد علي بن أبي طالب.....) ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب .

نريد أن نتحدث عن الله ، فالله هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي له الأسماء الحسنى ، وحين نتحدث عن الرسول ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وهو العبد المبعوث من قبل الرب ، إلى عباده رحمة وهدى وبشرى للمؤمنين ، وهكذا يمكننا استيعاب منزلة الخليفة ، الذي حصل على خلافته بالجعل وتملكها بالأمر ، فإن كنّا نرى الخلافة علماً ، فهي العلم الذي علا كل العلوم ، وإن كنّا نراه أمراً ، فهو أمر الله تعالى ، الذي لا يعلوه من أمرٍ ، ومنزلة الخليفة ، تختلف تماماً عمّا نفهمه عن السلطان ، بالرغم من أننا أوضحنا تكامل عناصر دولة الخلافة ، قبل قضية الظهور المعلن لخلافة الله على الأرض ، أنعم النظر في قوله تعالى : -
(يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ **الْحُكْمَ** صَبِيًّا) ﴿١٢﴾ مريم .
أجْمَعَ العلماء والباحثون ، على أن يحيى لم يتسلّم حكماً ، ولم يمارس دوره بوصفه حاكماً ، وأن المقصود بالحكم ، هو الحكمة ، وقد جاء في الطبري : -
((-آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا- يقول تعالى ذكره : وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال)) ﴿٤٧﴾ ،
وهذا المفهوم غير مُستبعد قطّ ، عن مفهومنا لخليفة الله تعالى ، لكنّ الخلافة بوصفها أمراً ، يستدعي لتنفيذه ، ما يستدعي لبقية الأوامر ، أي **تامة** و**متكاملة** و**مكتملة** ، فتامة توجب تفعيل أمر الخلافة وتسلّم السلطة من قبل الخليفة وإنشاء حكومة ، ومتكاملةً ، فيجب توفر عناصر تشكيل دولة الخلافة ، من دستور وإقليم وشعب ، ومكتملة ، بتحقيق أهداف إنشائها ، بأن تملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلأت ظلماً وجوراً ، كذا الخليفة بوصفه أمراً ، فهو تام ومتكامل ومكتمل ، في حد ذاته ، فالخليفة يمتلك الإجازة للعمل بوصفه خليفة ، وهو يمتلك القدرة الكافية والكفاءة ، لتمثيل شرع الباري -عزّ وجلّ- ، وأخيراً ، يمتلك الشرع والعدل الذي ينتج إزالة الظلم ، كما إنه محاطاً بخدمة هذا الأمر من قبل الله وملائكته ، وهذا ما تثبتهُ النصوص القرآنية ، دون أن نبحث على دليل عملي على كل ما تقدم ، فإسماعيل -عليه السلام- لم يمارس نبوته بتبليغ أم القرى ، والقرى المحيطة بها ، كما فعل الرسول الأكرم ، بل اقتصرتْ رسالته بتبليغ أهلهُ وحسب ، كما جاء في قوله تعالى : - (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) ﴿٥٥﴾ مريم .
وقبل أن نكمل حديثنا عمّا تركه نبي الله إسماعيل من أثر ، علينا فهم ما جـاء في

....

﴿٤٧﴾ – تفسير الطبري للآية ﴿١٢﴾ ، من سورة مريم ص[٣٠٦] .

الآية أعلاه ، لأن معنى أنه كان يأمر أهله بالصبر والصلاة ، بعد مقارنتها بقوله : - (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ﴿١٣٣﴾ البقرة .

وهذا يعني أن كلّ أبناء إسماعيل -ع- ، كانوا من الموحّدين ، هم والمقربين من أهله ، وهم ومن آمنوا بما جاء به ، فسُنّة الله في أنبيائه ، أن يوصي كل نبيٍّ أولاده ، بما سوف يعبدونه من بعده ، فإذا كان أهل قريش توارثوا عبادة الأصنام من آبائهم وأجدادهم ، فهل من المعقول أن يترك النبي رسالته في أهله ، ويقتصرها على ذريته فقط ، وهذا ما يؤكد أن الرســول الأعظم ، تنقل في الأرحام ، والأصلاب الطاهرة المطهــرة ، من نســلٍ لنســل ، وما دخل من آبائه ، على زوجة له ، إلا وفــق سُنّة الله وملّة إبراهيم وإسماعيل ، أمّا بخصوص ، ما تركه إسماعيل من أثر ، فقد فقدت خاصة في ضوء ما كان يعيشه أهل قريش من وثنية ،

ونذكر أن اليهود لم يفتهم استغلال ، عدم وجود أخبار وآثار لنبي الله إسماعيل ، للادعاء بعدم نبوة إسماعيل ، أو أنه ليس بالذبيح والذي يأتي من نسله المنقذ للبشرية ، لحيازة رسائل السماء ، وحصرها فيهم ، وفي نطاق البلدان التي نزل فيها أنبياء بني إسرائيل ، وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد نبوته : -

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) ﴿٥٤﴾مريم ....

لذا فلا حاجة لتفعيل رسالته ليكون نبياً أو رســولاً ، فعلينا أن نفهم أن هذا التكليف قائم ، وإن لم يجد أمة ليبلغها برسائل الرب ، فـما لهُ من ذنب بعدم تكليفه أو بعدم ايمان قومـه ، كما حدث في قـصة إدريس -ع- ، نزيد على ذلك ، التقيد بأوامر الله في نشر الرسالة ، فقد أمــر الله إبراهيم -عليه السلام- ، المـولود في العراق ، بنشر رسالته في بلاد الشام ، بعيداً عن قومه ، وهذا حال لوط -ع- ، كما انتقل موسى بقومه من مصر إلى بلاد الشام ، فمن المؤكد ، أن ما قام به إسماعيل من اقتصار رسالته بأمر أهله بالصلاة ، كان بأمر سماوي ، ولم يكلّف بنشر رسالات السماء لمن حوله من القرى والقبائل ،

وهذا يدلنا على أن الخليفة ، متمتع بسلطة الخلافة ، منذ اللحظة الأولى لتنصيبه ، سواءً اكتملت دولة خلافته أم لم تكتمل ، وسواء آمن بها أحد أم لم يؤمن ، وإن كنا لا نؤمن بوجود دولة في الأرض أو في السماء ، فلا بد أن نؤمن بوجود الخليفة

ووجود عرشه **في الأرض** كما أمر الله -جل جلاله- ، فما قضية وجود دولة الخلافة في الأرض أو في السماء ، التي قلنا عنها قبل هُنيهة ،
لو أنعمنا بما جاء في المشهد الخاص بتنصيب الله خليفةً لهُ ، نستنتج أن الملائكة هم أول جنوده وشعبه ، وبما إنهُ خليفة الله في الأرض ، فكلّ ما في الأرض من خلقٍ تحت قيادته ، بشرط الإيمان به ،
ولمّا كانت الملائكة ، مؤمنة بالخليفة الذي لا يفسد ولا يسفك الدماء ، فهُم كُلّهُم تحت قيادة الخليفة ،
كما يبقى الإيمان به ، نصاً ورد في كل الكتب السماوية ، منوطاً بمَنْ يؤمن به من الإنس والجن ، بناءً على إيمانهم بالآيات القرآنية ، حتى يُعلن الظهور مدعوماً بالمعاجز الإلهية ، هذا فيما يخص عنصر الشعب ، الخاص بعناصر دولة الخلافة ، أمّا فيما يخص الإقليم ، فقوله تعالى (في الأرض خليفة) ، يعني وجودها في كل ما في الأرض من بحار وفضاء وبر ،
وإن كنا نسأل ، أين هي ولم يترك الإنسان من مكاناً على الأرض ، إلّا وأحاط به علماً ، فنقول : فأين الجن ، وأين الملائكة التي تنزل في ليلة القدر ، والتي قيل إنها لا تُعدّ ولا تُحصى ، أضف اصرارنا أن الأرض هنا ، تعني الكون بما أشتمل عليه من أجرام سماوية ، وبما فيه من مخلوقات نعلم بها ، أم لم نعلم ،
وعن حديث نسب للرسول الأعظم ((الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى)) ﴿٤٨﴾ ، كما قيل إنه : ((ثبت في الصحيح ، أن البيت المعمور منذ خلقه الله -عز وجل- يطوف كل يوم حوله **سبعون ألف** ملك ثم لا يعودون له مرة أخرى)) ، وبعيداً عن هذه الأرقام المهولة ، فإن دولة الخلافة بجنودها من الملائكة ، ليست لها حاجة إلى مساحة من الأرض لتعيش فيها ، لأن الجن بأعدادهم الهائلة ، يعيشون معنا على الكوكب نفسه ، ويمتلكون ما يمتلكون من القصور والمنشآت ، فلا نراهم ولا نزدحم معهم على أرض ،
عن حديث **لو وقع حجر من تحت** عرش الله تعالى ، لوقع فوق الكعبة مباشرة ، وأخرج الطبري عن ابن عباس إنه قال : - والبيت المعمور هو بيت **حذاء العرش** ، تعمّره الملائكة ، يصلي فيه كل يوم **سبعون ألفًا** من الملائكة ، ثم لا يعودون إليه . ولا يعنينا الحديث حالياً عمّا جاءوا به من رأي يخالف كل منطق ، عن مكان العرش

....

﴿٤٨﴾ - الحديث رواه ابن خزيمة ، وحسّنه ابن حجر ، كما حسّن إسناده الألباني .

الذي تقع منه الأحجار على بيت الله ، أو أن البيت المعمور هو بيت حذاء العرش ، وما يهمنا أن نعرف أن المـلائكة مهما جـالتْ في الأرض ، فلا يمكن أن ندركها ، وخلاصة المبحث الذي نحن فيه ، أن الخليفة ، كان لـهُ شـعب وإقليم ، أم لم يكن ، فهو خليفة الله في الأرض ، لكن دولة الخلافة ، لا تعلن إلا بعناصر قيامها ، التي نعرفها قانوناً ، لتمتلك الشخصية القانونية بين باقي الدول ، حتى يتشكل شعب الخليفة بالعدد والعدة المطلوبة ، ويتجمع في إقليم يستوطنه ،
مع كل هذا ، فستشهد دولة الخلافة الإنكار والتهميش ، واعتبارها كيان غير شرعي ، حتى يكون لأنصارها الدور الفاعل لإثبات وجودها .
والآن لنرى ما دعانا بعد ، لاعتبار الخلافة جاءت كأمر إلهي وما قضية الزبور ﴿٤٩﴾
(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ﴿١٠٥﴾ الأنبياء
وبالاطلاع على ما جاء في المزمور ، نرى التطابق التام ، بين ما جاء فيه والأحاديث النبوية الشريفة ، وما نقلته الروايات الشيعية ، وما جاء عن أحبار اليهود نقلاً عن أنبيائهم ، كما سنطلع على كل ذلك ،
ليس هذا فقط ، بل يتطابق حتى مع ما جاء في آيات القرآن الكريم ، فمثلاً قوله

....

﴿٤٩﴾ - مما ذكر في المزمور [٧٢] من مزامير داوود -؏- ، وفق (كتاب المقدس) الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط : -
((اللهم أعط شريعتك للملك وعدلك لابن الملك .. ليحكم بين شعبك بالعدل ولعبادك المساكين بالحق ... فلتحمل الجبال والآكام السلام للشعب في ظل العدل ... ليحكم المساكين الشعب بالحق ويخلص البائسين ويسحق الظالم ... يخشونك ما دامت الشمس وما أنار القمر على مرّ الأجيال والعصور ... سيكون كالمطر يهطل على العشب وكالغيث الوارف الذي يروي الأرض العطشى ... يشرق في أيامه الأبرار ويعم السلام إلى يوم يختفي القمر من الوجود ... ويملك من البحر إلى البصر ومن النهر إلى أقاصي الأرض ... أمامه يجثوا أهل الصحراء ويلحس أعداؤه التراب ... ملوك ترسيس والجزائر يدفعون الجزية ، وملوك سبأ وشبا يقدمون الهدايا ... يسجد له كل الملوك ، وتخدمهُ كلّ الأمم ... لأنهُ ينجّي الفقير المستغيث به والمسكين الذي لا معين له ... يشفق على الضعفاء والبائسين ويخلص أنفس الفقراء ... ويحررهم من الظلم والجور وتكرم دماؤهم في عينيه ... فليعش طويلاً وليعطى له ذهب سبأ ، وليصل عليه دائماً وليبارك كل يوم ... فليكثر القمح والبر في البلاد حتى أعالي البلاد! ولتتمايل سنابل القمح كأشجار جبل لبنان! وليشرق الرجال في المدينة كحشائش الحقول! ... ويبقى اسمه أبد الدهر ، وينتشر ذكره واسمه أبداً ما بقيت الشمس مضيئة! وليتبارك به الجميع ، وجميع الأمم تنادي باسمه سعيدة)) .

تعالى : - (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) ﴿١﴾ القمر . وفي آيات من ســورة (القيامة) ، تبيِّن بوضوح فناء الشمس والقمر : -
(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) ......

إذ جاء في المزمور (يشرق في أيامه الأبرار ويعم السلام إلى يوم **يختفي القمر** من الوجود) ، أمّا من هو هذا الخليفة ، أو منهم هُم الخلفاء ، فإذا لم تكُ أحاديث الرسول الأكرم -ﷺ- ، أشارت لهم ، فلا بأس أن يعرّفنا إبليس بهم ، فيما جاء بقوله تعالى : -
(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ص .
ولو جمعت كُلَّ أمَّة محمد -ﷺ- ، حتى يومنا هذا ، فمن ستجد منهم بعد الرسول المصطفى ، يمكن أن نقول إن إبليس لم يغوه ، ولم يسجد لصنم قط ، ولم يغيِّر في سنة الباري -عز وجل- ،
فعليك أن تبحث ، إن كنت تشتاق التعرف عليهم ، ونحن من بحثنا وما بحثهُ العلماء الأعلام ، لم نجد إلا أمير المؤمنين وزوجه فاطمة الزهراء -عليهما السلام- ، أهلاً للإشارة لهم ، دون أي تردُّد ، وبذلك فهُم ونسلهم الطاهر ، يتقدمهُم الرسول الأعظم ، من يمكن أن نبحث عن ضالتنا فيهم ،
ولك مُطلق الحُريّة في أن تجد نظراءهم وتقوم بتسميتهم ، ثمّ تتَّبع نهجهم بعد ما رأيته ، من عدلٍ في نهجهم السابق ، وتؤمن بعودتهم ، لو حصلتَ على رواية ، جاءت بذلك ،
وبالتأكيد لم ولن ينتهي كلامنا عند ما ذكرناه آنفاً ، فالحديث عنهم وعن نهجهم ، سيستمر لآخر ما سيمُنّ الله -جل جلاله- ، علينا من العمر ،
وبالعودة لقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) ، فلنرى ما جاء في هذه الآية من تفاصيل ومن إشارات ، يريد لنا تعالى أن ننتبه لها ، ونتفكّر في كل تفاصيلها ، (**كتبنا**) هنا ، بمعنى ثبّتنا ، أي أمر لا فصال فيه ، ولا بداء إلّا في حيثياته ، لا في أصل حدوثه من عدمه ، وهذا شأن ما حصل في كلّ الأوامر ، التي نعتقد بحدوث ما يسميه الشيعة بالبداء ، فمجيء مريم العذراء بدلاً عن عيسى -على نبينا وآله وعليه السلام- ، أخّر المجيء ولم يلغيه أو يوقفه ، حتى في قضية الرؤيا التي رآها إبراهيم الخليل بذبح ابنه -عليهما السلام- ، فقد أجل تنفيذها ولم يُلغ : -

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) الصافات .

وحين نقرأ قوله تعالى : -

(سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) ﴿٥٤﴾ الأنعام ، وكذلك قوله تعالى : -

(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) ﴿٢١﴾ المجادلة .

نعلم أنّ ما من أمر يصدرهُ تعالى ، إلا والرحمة في جوهره ، حتى وهو ينتقم ممن عاداه كما مرّ بنا الحديث ، وكما أمر سبحانه مُعلم موسى بقتل الغلام : -

(وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) ﴿٨٠﴾ الكهف .

لذا فمن يقول إنَّهُ تعالى سوف لن يورث الأرض لعباده ، كمن يقول إن الله -جل جلاله- لم يكتب الرحمة على نفسه ، هذا إذا كنّا نقول ، على قدر فهمنا القاصر ، إنه تعالى لم يورث الأرض لحدٍّ هذه اللحظة لعباده ، لأنَّنا بعيداً عن كل الروايات ، وما نقلتهُ الفرق الإسلامية ، نعتقدُ ونؤمن إيماناً قاطعاً ، بأن الأرض قد أورثها الله لعباده الصالحين ، منذ صدور أمره تعالى بجعل خليفة في الأرض ، ومن ثمّ تأهَّب الخلق وتأهَّلوا لولاية الخلفاء ، بعد ختام الرسالة النبوية ، وإن كُنَّا لم نحظَ بولايتهم ، فالخلافة شيء وسلطانها على كل العباد شيء آخر ، ولا ينبغي أن نعيد ما سبق وأن تحدثنا فيه ، ومن أن هناك من الأنبياء ، مالم يكلّفوا بمهام تبليغ القرى التي من حولهم ، كاقتصار تبليغ نبي الله إسماعيل الرسالة السماويّة على أهله فقط ، بل هناك من الأنبياء من لم يعرفوا على أنهم أنبياء ، لعدم وجود أثر لهم ، وقد تكون نبوَّتهم تقتصر على من حولهم ، ضمن محيط الدار الواحدة ، التي كانوا يعيشون بها ، وربَّما أقل من ذلك ، المهم بأننا لسنا بحاجة لدليل ، على أن النبوة والخلافة قضية ، لا تثبتها علم الناس بها ، مع هذا فسنخوض بالأدلة ، وما سنستنتجه من براهين ، لأهميَّ هذا الموضوع ، ولأننا ينبغي أن نفهم جيداً ، إن الخلافة كأمر ، قامت منذ أمر الله بالجعل ، ولازالت وستبقى حتى حلول يوم القيامة ، مروراً بظهور خلافتهم جهاراً نهاراً ، معززة بالمعاجز الإلهيَّة ، على قدر الحاجة لإرساء وتثبيت أعمدة حكومتهم ، ووفق ما ستجابه به من صدٍّ وحرب ، وعلينا أن نعلم في ختام هذا المطلب ، أن الخلافة كعلم كان لحظة صدور أمر الخلافة ، لا بل أنَّ أمر الخلافة ، جاء كعلم ونُفِّذَ كأمر ، وهو أعظم مقوِّمٍ لكل ما في هذا الكون من مكوِّنات ، ولولاه لساخت الأرض بأهلها ، وفُتقَتْ السَّماوات بأستارها ، وإنَّنا فصلناهما لأجل البحث والدراسة ليس إلَّا .

المبحث الثاني

الخلافة في المنظور الديني

تمكَّنا من البحث عن الخلافة بواسطة المنظور القرآني ، إذ جاءت على شكل نصوص قرآنية ، وصفَتْ الخلافة على أنّها الأمر والعلم الإلهي ، أمّا الخلافة في المنظور الديني ، فيؤثر عـلى مفردات الخلافة ، كل ما يؤثر عـلى مفردات الدين ، ولمّا كان الخليفة ، مُمثل الله في الأرض ، فسيوصلنا إليه ، تعرُّفنا على المفردات الحقيقية للدين الذي سينادي به ، وحينما نقول إنه سيتخذ الدين الإسلامي منهجاً لدولته ، فقد تعرفنا أن الدين الإسلامي ، هو دين الله الذي لم يتغير منذ الأزل ، وهو ما جاء به نبي الله إبراهيم في صحفه ، وموسى وعيسى والذي أمله الرسول الأعظم محمد بن عبد الله -صلوات الله عليه أجمعين- ، فقوله تعالى : -

(...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...) ﴿٣﴾ المائدة .

فسبحانه يتكلم مع كلِّ عباده ، ويعني كل ما أنزل من رسالات ، وربما نسأل ، هل كان الدين ناقصاً -حاشا لله- ، أيام إبراهيم وموسى وعيسى ،

والجواب سيكون بالنفي طبعاً ، لأن الدين الإسلامي كان زمن أنبياء الله إبراهيم وموسى وعيسى ، مكتملاً كأحكام ومنهاج ، فيما يخصهم كأمم ، أمّا زمن الرسول الأعظم ، فوصل الدين للعالمية المنشودة ، بسبب اختياره تعالى لأمة تتوسط العالم ، وهذا هو معنى قوله تعالى : -

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ **أُمَّةً وَسَطًا** لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .....) ﴿١٤٣﴾ البقرة .

وقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ، أي لتكونوا أمناء بتبليغ كلَّ ما جاء به الرسول ، لكلِّ الناس ، كما إن الرسول كان أميناً بتبليغ رسالته ،

وبما إنَّكم وسط هذا العالم ، فستشهدون على ما يفعلهُ الشرق والغرب ، إذا ما أبلغتموهم رسالة السماء ،

لكنَّ المُخزي ما مرّتْ به الدولة الإسلامية من نزاعات طائفية ، وما اتخذوهُ من سُبل للهجوم على البلدان المجاورة ، بدل أن يعرضوا عليهم الإسلام بما يحمل ، من سلام ، والأخطر ما حرفوه من كلم ، وما أبدلوه من وصايا الرسول الأعظم ، لذا كان عليّ وعليك أن نبدأ من جديد ، بالبحث والتقصي لإدراك المفهوم الحقيقي

لما في الدين من أساسيات ، وبشأن دولة الخلافة ، والإيمان بنهج الخليفة ، والذي يعبّر عن منهاج الله ، ولا نظن أنّنا نجد حتى فيمن يدعون مناصرة الخليفة ، استعداداً للقراءة والبحث ، فقد اعتادت الفرق الإسلامية ، أن يكون التبليغ بالسيف والحديد ، ولأن تلك الفرق ، استولت على الحكم وكان حكام الدولة الإسلامية ، من أبنائها ، فقد صبغت حتى الفرق المعادية ، بشيء من أصباغهم ، وأثر نهج تلك الفرق ، على كل الفرق الإسلامية ، وانتقلت مفاهيم الدين ، المغايرة للدين ، إلى كل تلك الفرق ، وهذا ما نفهمه مما نقل من روايات ، ومما يؤكد إن موقف الخليفة من معظم الشيعة ، هو ذاته الموقف المعادي لفرق أهل الجماعة ، وهذا مما نقله الشيعة أنفسهم : -

((دلائل الإمامة ص [٢٤١] ، عن أبي الجارود أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام متى يقوم قائمكم؟

قال : يا أبَا الجَارُود لا تدْركُون ، فقلتُ : أهل زمَانه؟ فَقَال : ولن تُدرِك أهَل زمانهِ ، يقومُ قائمُنَا بالحقِّ بعد **إياسٍ مِنَ الشِّيْعة** يدعو الناس ثلاثاً فلا يُجيبُهُ أحد ، فإذا كانَ اليوم الرابع تَعلَّقَ بأسْتار الكعبة ، فَقَال : يا ربِّ انصُرْني ، ودعوتهُ لا تَسْقُط ، فيقولُ تباركَ وتَعَالى للملائكةِ الذين نَصَرُوا رسول الله يومَ بدرٍ ولمْ يحطُّوا سرُوجهم ولَمْ يَضَعُوا أسْلِحَتَهُم، فَيُبَايعُونَه ، ثُمَّ يبايعهُ مِنَ الناسِ ثلاثمائة وثلاثة عشَر رجُلاً ! يسيرُ إلى المدينة فيسيرُ النَّاس.... ويسيرُ إلى الكوفَةِ فيَخْرُج مِنْها ستةَ عشر ألفاً من **البترية** شاكين في السلاح ، قُرَّاء القرآن فُقَهاء في الدِّين ، قد قَرحوا جباهَهم وسمَّروا ساماتهم وعمَّهم النِّفاق ، وكُلهُم يقولون : يا بن فَاطِمَة اِرجع لا حاجةَ لنَا فيك ، فَيَضع السَّيفَّ فيهِم على ظهرِ النَّجف عشيَّة الاثْنَيْن مِنَ العصر إلى العِشَاء ، فيَقْتُلهم أسرع من جزر جزور ، فلا يفوت مِنْهُم رجل)) .

فماذا ننتظر من الفرق المعادية لمنهجه ، ومن هنا اخترنا الخوض في ثلاث من المفاهيم الأساسيّة ، التي نَرى أن معرفتها ، ستُقرِّبنا من فهم نهج الخليفة ، ومن نهج من عاداه ، وتدلّنا على كيفية التعرف بالخـليفة ، قبل حـتَّى أن نلتقي به .

وهذه المفاهيم هي : -

المفهوم الحقيقي للإشراك – كيف يعبد الشيطان .

المفهوم الحقيقي للإيمان – كيف يعبد ويعرف الله -جل جلاله-.

المفهوم الحقيقي للدين الإسلامي .

المطلب الأول

المفهوم الحقيقي للإشراك

كيف يعبد الشيطان

كيف لنا أن نفهم بأن الإيمان بالشيطان ، يقتضي الإشراك به ، كما جاء في قوله تعالى : (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ **يَتَوَلَّوْنَهُ** وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ **مُشْرِكُونَ**) ﴿١٠٠﴾ النحل .....

فكيف يكون ذلك ، أي كيف يكون سلطان الشيطان علينا ، حين نتولاهُ ونشركُ به في آنٍ واحد ، هذه البذرة التي زرعناها في الكتاب الثاني ، وسنسقيها بحثاً ودراسة حتى تؤتى أُوكلها ، وتثمر في أذهاننا استبصاراً في دين الله -جل وعلا- ، لنرى بوضوح نهج أعداء الخليفة ، الذي يمثل الله -عز وجل- ، في منهاجه ، وسنكثّف المطلب مع الأمثلة ، للأهمية العظمى لهذا الموضوع ، فهو الحجر الأساس لكل المواضيع الدينية ، والصورة التي من المفترض أن تشرح نفسها بنفسها ، هي أن عليك عبادة أو تولّي مخلوقا ما ، من أهم صفات هذا المخلوق ، اتباعه لخطوات الشيطان ، لكي يقال إنك تعبدُ الشيطان ، فالشيطان طاقة من الشر ، متحررة ومتطيّرة ، تتمثل في كلّما ومن خُلق من دون نور الله ، أو من دون نور الله بالكليّة ، ويتجسّد في الميول الشهواني للمخلوقات ، فلا يمكن ايجاده في الطبيعة كذات ، إلا أن يكون هناك تجسيم وتجسيد له أو موالاة ، والتجسيد والتجسيم يمكن أن يطال كل حجر ومدر أو حتى فضاء ، ولا يتحقق إلا بقوى عظمى ، كأمرٍ من الله تعالى : -
(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) ﴿٨٣﴾ مريم .
أو بسلطان بيد أحدٍ من الأنبياء : - كما جاء في الآية ﴿٨٢﴾ من سورة الأنبياء : -
(وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) .
أمّا التولي أو موالاة الشيطان ، فهو موضوع بحثنا هذا ، ويفترض في تحققه ثلاث عناصر ،

العنصر الأول : وهو الشيطان ، و**العنصر الثاني** : وهو الولي أو الولاة الذين سنعبّر عنهم بـ(أ) ، ومن ثم **العنصر الثالث** : وهو المكوَّن من الموالي ، أو مجموعة من الموالين ونعبر عنهم بـ(ب) ، لذلك فسلطان الشيطان سلطان انتقالي ، وعبادته لا تكون إلا بالواسطة ، أي إن ذلك الولي (أ) ، يتبع شيطانه ، الذي يملي له تحريف آيات الكتب السّماويّة مثلاً ، ومن ثم خيانة الرسل ، وما إلى ذلك من انحرافات

جسيمة ، تخل بسنة الله ، فيأتي الموالي أو الموالون (ب) ، ليجعلوا من ذلك الشخص ولياً لهم ، يتبعونه اتباعاً حرفياً ، بما يعتقدونه من الدين ، وبذا يفضّلونه حتى على النبي ويقدمونه عليه ، فهؤلاء المجموعة هم من يملُك الشيطان سلطاناً عليهم ، وهم من يتولونه وهم به مشركون ، أي ولايتهم للولي (أ) جعلتهم يعبدون الشيطان من خلال مولاهم (أ) ، لأن الشيطان تمثل في شخص الولي (أ) وأشرك فيه ، فجعلوه والياً عليهم ، رغم علمهم أو عدم بذلهم الجهد المطلوب ، ليكتشفوا أن (أ) هو عدو الله ، لا ولياً من أوليائه ، وهذا الدليل الذي حملته الآية أعلاه من أعظم الأدلة ، على أن الإشراك بالله ، يبدأ من ولاية من يخالف منهاج الله ، لا عبادة إله مع الله ، لأن القول بعبادة الله ، ينافي عبادة غيره ، فحين يقال إن فلاناً يعبد الله ، فمنهاج عبادة الله ، هو توحيدهُ ، فمن غير المقبول ، أن نجد من يعبد الله ثم يعبد غيره في الوقت نفسه ، إلا من خلال تولّي من اتبع منهاجاً يغاير منهاج الله -جل وعلا- ، وعبادة الله إذا لم تكن بالتوحيد ، فهذا يعني أنه لم يعبد الله قط ، ليعبد معه إلهاً آخر ، ومن يعبد اِلهين ، فلا يمكن أن نتصور أن أحد الإلهين هو الله ، لأن عبادة الله تنافي عبادته دون توحيده ، لذا فمن يعبد اِلهين ، ليس بمشركٍ ، إنما كافر وملحد بالله -جل جلاله- ، لأن كلا الإلهين ليسا من الله في شيء ، كما تؤكد لنا الآية أعلاه ، على أن إبليس لم يكن الشيطان الذي زعموا أنه دخل في بطن الحية إلى داخل الجنة ، بل كان الشيطان في طينة آدم وزوجه ، وفي الوقت نفسه ، فإن هذا الدليل من الفوائد التي سنجنيها من التفريق بين الشيطان وإبليس ، إن كان هناك من يظن ، أن التفريق بينهما لا يجدي نفعاً ،

وبعد ما تقدم فمن الطبيعي أن نشير إلى كل مخلوق من الإنس والجن على أنه الشيطان ، ما دام قد خالف شرع الله وسنته ، كما جاء في الآية التي ذكرت شياطين الإنس والجن ،

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) ﴿١١٢﴾ الأنعام .

وقوله تعالى يؤكد استنتاجاتنا ، فالشيطان صفة تلازم المخلوق من الإنس أو الجن ، أمّا إبليس فهو جنس ، ولا يمكن ملازمة الجنسين ، أي القول بأن هذا الإنس جان ، أو هذا الجان إنس ، وهم قد قالوا الصدق ، في أن إبليس بعد معصيته ، أصبح اسمهُ الشيطان ، لأن كل من يعصي أمر الله ، ويكون من المطرودين من

رحمة الله ، هو شيطان ، لكنهم ظنوا أن إبليس هو نفسه الشيطان ، فمن أغوى إبليس ، ومن أدخل الكبر في نفسه ،
عليه لابد لنا من العودة إلى الوراء حيث الأسس التي وضعناها في الكتاب الثاني ، لنتحدث بصورة مقتضبة عن الكيفية التي وجد بها الشيطان ،
= وجد الشيطان منذ النشأة الأولى لهذا الكون ، فهو أول سكان هذا الكون ، وأول من خالف الصفات الملائكية للكون الملائكي ، فلمّا كان الكون الملائكي على يمين العرش ، اتخذ هذا الكون يسار العرش ، والذي يقع شمال الكون الملائكي ، فكان الظلم والظلام والشر والموت والاندثار وكل ما يخالف الطبيعة الملائكية ، صفة لهذا الكون المستحدث ، حتى كانت مشيئة الله أن يعبد في هذا الكون ، وجعل خلفاءً له يمثلون نهجه وشرعه ،
فأشرقت السماوات والأرض بنورهم ، وبما حباهم الله من الهدى ، وما أن أرسل من نوره تعالى ، حدث الانفلاق الأعظم لهذا الكون ، ومثالنا في الكتاب الثاني ، هو أن الظلام الذي يسكن الكون ، حاول أن يتقي النور ، ونعلم أن النور لا يمكن صدّهُ إلا بأجسام سميكة ، فتجمع الغبار الكوني ليشكل أجراماً سماوية عظمى ، وليتقي بها نور الله ، فانفلقت ستة مراتٍ في لحظة واحدة وفي مكانٍ واحد ، بعد أن وصل نور الله منتصف هذا الكون ، إذ تكونت المجرات والأجرام السماوية ، مشتعلة بنيران الانفلاق الأعظم ، متخذة الشكل الكروي نتيجة لحركتها الدائرية ، التي نجمت عن شدة الانفلاق ، واتخذت أرضنا وسط هذا الكون مكاناً لها ، حيث استقر نور الله -جل جلاله- ، وبذلك فإن كل شيء في هذا الوجود ، يمتلك الحس الشيطاني ، إثر إقامة الشيطان فيه ، ويمتلك الحس النوراني ، إثر دخول نوره تعالى ، ويمكننا استنتاج ذلك من قوله تعالى : -
(ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ﴿١١﴾ فصلت .
فمن قوله تعالى نجد احتمال رفضهما متاح ، وفق ما أشار له تعالى ، فالحس الشيطاني موجود ، وإن أتيا طوعاً ، وهذا هو المتوقع علمياً ، لأن الحس الشيطاني لدى الجماد غير متحرك ، بمعنى أنه غير نشط ، لأن الجماد لا يملُك الحراك ، كما هو في النبات أيضاً ، والمكون الوحيد الذي لم يخالط الشيطان في هذا الكون ، هو الماء ، لأن الماء خلق إثر الانفلاق الأعظم ، فالانفلاق أحدث تفاعل الغازات المكونة للماء ، والذي تجمع على حدود الكون الملائكي ، ومن ثم أجراه الله على أرضنا ، حيث يقول تعالى : -

(وأنزل من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض) ﴿١٨﴾ المؤمنون .
(وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر) ﴿١٢﴾ القمر .
أمّا من يخالف نهج الشيطان في كل شيء ، فهو نوره تعالى ونور خلفاءه في الأرض ، ولكون هذا الوجود مادي النشأة ، فجلّ تعالى وتقدّس من أن يدخل فيه ، فحاشا لله ، لو دخل هذا الكون ، لاحتاج حيّز مكاني ، ولو كان محتاجاً لحيز مكاني ومادي ، وجب حاشاه أن يخلق الحيز المكاني قبل أن يظهر لأجل أن يظهر ، وأستغفر الله -جلّ وعلا- ، مما اخترناه من مثال ، لكننا نريك ، كيف أن عدم رؤية الله في هذا الوجود ، هو أعظم دليل على وجود الله وعظمته ، وكما أشرنا ، بأن من يرى الله حاشاه ، فليكن متأكداً ، بأن هذا ليس هو الله تقدست أسماءه ، وبفكرة مبسطة ، فإننا لا يمكن أن نصنع أي شيء ، قبل أن نهيأ الحيز المكاني الذي سيشغله ، لذا فكل ما سمعته وتسمعه عن مساحةٍ للعرش والكرسي كفر وبهتان ، وهذه فتوى علمية دون الحاجة لفقيه متبحر في الدين ، لأن من يجرؤ على تجسيد الله شخصاً وكذا مكاناً ، سيمُس الذات الإلهية والأسماء الحسنى له تعالى ، كمن يجعل له ولداً -جلّ شأنه- أو زوجة ،
والأهون من هذا ، هو تجسيدهم للشيطان ، على أنه هو إبليس ، وإكمالاً لحديثنا ، فلو كان الشيطان هو إبليس أي من الجن ، لجاز أن نقول جن من الإنس ، كما أن الوسواس والإيحاء بالباطل ، من صفات الشيطان ، لا من صفات إبليس ، وإلا كان للجن سلطة على عقولنا ، ومن ثم على أفعالنا وتصرفاتنا ، أي لكنا نعاني من التحريض لا مجرد الإلهام ، وهـذا يعني أننا أدوات إبليس الذي خالوه الشيطان ، وللتبسيط أكثر تعال لنأخذ آية أخرى لنفهم قضية عبادة الشيطان من خلال الإشراك به ، ولنعيد التمعن في قوله تعالى : -
(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) ﴿١١٢﴾ الأنعام .
فما معنى شياطين الإنس ، ولماذا أكد الله أن لكل نبي أعداءً من الإنس والجن ، بدل أن يبين لنا أن الملائكة تحرسهم وتنجيهم من كيد الشياطين .
= شـياطين الإنس هـم الإنس الذين تصرفوا ، ومكروا مكر الشياطين ، من خـلال اتباع خطوات الشيطان ، وهذه الخـطوات ، هي ما توحي لهُـم أذهانهـم ، من مكائد لتحقيق اطماعهم ،
وكمثال حيٍّ ، ذكرتهُ الكتب السّماويّة عن إشراك بني إسرائيل ، بعبادتهم العـجل

بناءً على تلفيقٍ من بعضهم ، على أن الربّ ، سيتجسّد بصورة العجل ليعبدوه ، ومثالنا الآن عمَّن يتبعون الوليّ الضّال ،

فجرائم الإشراك بالله تعالى ، جرائم كثيرة ومتنوعة ، لكنَّها تحمل النتيجة نفسها والمقت الإلهي ، ولنرى ما فعله (السامري) ، في قضية العجل ، فقد قاموا بداية بعدم الإصغاء لأوامر هارون ، وترك طاعته : -

(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرحمن فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ) طه .

وهـذا هـو الكفر ، والمراحل الأولى من الإشراك ، الذي سـيحصل بعد قيامهم بالمضي على نهج السامريّ ، وما جاء به من بدعة ، وهذا هو الإشراك ، وهذه هي نتيجة الإشراك ، أي نتيجة تركهم ولاية هارون عليهم ، اتجهوا لتولِّي السَّامري ، والذي يعد العامل المشترك الأكبر بينهم وبين الشيطان ، والذي تجسّد في نهج السامري ، لأنه يعني عبادة السامريّ وطاعته ، وترك طاعة خليفة موسى ، لذا عشقوا العجل ، الذي جاء بمستوى تفكيرهم السطحي لكُنْه الرب ، وجـاء النص القرآني : (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ﴿٩٣﴾ البقرة .

وحين نسأل ، لماذا قال سبحانه وتعالى (بكفرهم) ولم يقل بشركهم ، بالرغم من أنهم عبدوا العجل ، فماذا ننتظر لإدانتهم بالشرك ،

وعلينا قبل كل شيء ، أن نفهم سمو اللغة القرآنية ، ودقة الألفاظ والتعابير ، فلو قال تعالى (بشركهم) ، فهذا يعني الجمع بين عبادة العجل وعبادة الله حاشاه ، ولمّا توصلنا إلى قاعدة ما فيها من شواذ ، وهي أن عبادة الله توجب توحيده ، ومن لم يوحّد الله في عبادته ، فقد خرج إلى الكفر والإلحاد ، لا إلى الإشراك ، لكنهم كما أوضحنا ، أشركوا لأتباعهم نهج السامري ، وتركهم نهج هارون -ع- ،

ولو أخفينا شخصية هارون والسامريّ من القصة ، فقد نعتقد أن بني إسرائيل أبرياء جميعا مما جرى لهم ، وهذا عين ما يسمى لدى الحقوقيين ، تفسير الشك لصالح المتهم ، أي يمكننا حملهم على البراءة ، باعتبار أنهم وجدوا قوماً أضلوهم وأوهموهم ، بأنه من الممكن أن يكون لله صورة مجسدة ، للتقرب إليه وتقديم القربان ، والتوسل عنده ، وهذه الصورة قريبة مما جال في تفكير نبي الله إبراهيم ، وهو يبحث عن ربه :

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) ﴿٧٦﴾ الأنعام .

ولو أدخلنا شخصية السامريّ في القصة ، فسيبقى الأمر كما هو ، عدى أن السامريّ ، سوف يتم تجريمه بما أغوى وما كذّب على بني إسرائيل ، ولكن بإدخال شخصية هارون في القصة ، تتبدل كل الموازين ، وتتغير كل أدلة الاتهام ، وتتحول المخالفة إلى جرم ، وهو جرم الإشراك بالله ، لأن الخليفة كان حاضراً وموجوداً ، وسبيل الهداية كانت حاضراً ، ولا مسوغ لهم بعبادة العجل ، فالأمر لم يكن صادراً من خليفة موسى ، وموسى وهارون يمثلان سبل الله لبني إسرائيل ، والذي مفردها سبيل ، أي أنهم باتباعهم السامريّ قد صدوا عن سبيل الله ،

(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) ﴿٦٧﴾ الأحزاب .

والسبيل هو طريق الله من خلال شرعه ، ولكن هل رأى من أحد منّا هذا الطريق ، وهل استطاع من أحد المشيَ عليه دون أن يقتدي بأحد أنبياء الله وأولياءه ، فمن يكتفي بالقول ، أن السبيل هو الهدى ، والشرع الذي أنزله الله في كلّ كتبهِ السّماويّة ، فسيكتفي بجعل الرسالة السّماويّة ، مجرد فلسفة كلاميّة دونما تطبيق ، ولولا الأنبياء ومن اتبعهم من الأولياء ، لأصبحت الشرائع السّماويّة ، مجرد مثاليات ونظريات موقوفة على التطبيق ، وعند التطبيق فسيطبقها كل منّا على هواه واجتهاده ، ومن يتبع هواه أو يوالي من اتبع هواه ، فقد أشرك بالله ، وخير ما يبين لنا ذلك ، قول عن أبي جعفر -عليه السلام- عن الحسين بن مُحمد ، عن معلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأرمني ، عن الحسن بن علي بن يقطين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : -

((من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله -عز وجل- فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)) - ﴿٥٠﴾ .

وهذا النص هو خلاصة كل ما تقدم من حديث ، فكما استنتجنا مما تقدم في أعلاه ، لذا فأن عبادة الشيطان لا تتمثل بقيام قوم موسى بعبادة العجل ، بل تتمثل بإشراكهم في سبل الله ، كما أنه تعالى أشار إلى تلك الحالة وأهميتها في قضية طلب موسى أن يتعلم الرشد من معلمه ، إذ لم يكتف بتعلم ذلك الرشد عن طريق الحديث والمقال ، وكان من الأيسر على معلم موسى ، لو حدثه عن أنه سيضطر أن يحدث عيباً في سفينةٍ ، لو أن هناك من يريد أن يأخذها من أصحابها ، ولو قال ذلك لما أعترض موسى ، ولو أن موسى لم يعش حالة التخريب ، أو القتل ، أو أن

....

﴿٥٠﴾ - الكافي - الشيخ الكليني – ج { ٦ } – الصفحة [٤٣٤] .

يقيم معلمه جداراً دون أن يطلب أجراً ، لما ستفهم وتساءل عن هذه الأفعال التي تحتاج إلى تعليل كي يعرف السبيل سبيلا حقا من معلمه ومرشده اليه ،

وهذا ما يؤكد أن أحكام الله وآياته طبّقها المخلصون من عباده ، ولم تبقَ مجرد أحكام مكتوبة ، بل عرّض أنبياءه للتعامل معها بوصفها حقيقة حقة ثابتة، ومرّوا بضنك العيش قبل أن يقولوا للناس ، أن السرقة حرّمها الله ، لكن مشرع القوانين قد يكتب هذا التشريع ، وهو غير مُعَرَّضٍ لضنك العيش ، الذي يثبت اِنّهُ جَرّمَ السرقة وهو في أمس الحاجة لكي يسرق ،

أما فيما يخص العرب فبالكاد استقبلوا النبي بالطاعة والامتثال لأوامره ، ولكن الخلف اتبعوا السلف حتى فيما خالف أحاديث النبي ووصاياه ، لأنهم أرادوا أن يضفوا على دينهم صبغة الطاعة المثالية لحكام الدولة الإسلامية ، وأعانهم على ذلك أن النبي خاتم الأنبياء ،

فلولا أنه خاتم الأنبياء ، لعَلِمْنا ممن تلاه ، مدى انحراف أمة الرسول محمد ، من مدى اِلتزامها بوصايا الرسول الأكرم ، ولأنه خاتم الأنبياء ، ظن الكثير أنهم أفلحوا ونجحوا بحمل الرسالة التي أرادها الله ، وجعلوا ختام الرسالة ، الدليل الذي يؤكد أنهم أوصلوا ما لم تستطع الأنبياء ايصاله ، على مدى مئات وآلاف من السنين ، مع كل ذلك فقد جاءت في القرآن آيات طوال وإشارات كُثُر ، بشكل مباشر وغير مباشر تشير إلى جملة عظيمة من انحرافات أمة الرسول سواء الذين عاصروه (الصحابة) أم من لم يعاصروه (التابعون) : -

(لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يس .

والحقيقة المخيفة ، أن السبب في اختتام النبوة ، وقطع التواصل مع الرب ، هو موعد تولي الخليفة مقاليد الولاية والحكم ، وهو اليوم الذي انتظرته السماوات والأرض طويلاً بكل مخلوقاتها ، وكان من ضمن هذه المخلوقات إبليس ، فمجيء الخليفة يعني القضاء عليه ، لذا جيّش جيوشه وحرّك خيوله لتأجيل مجيء الخليفة وممثل الله ، أي إن الخليفة (قد يكون) قد عاش بعد فَقْد الرسول وقبل بعثته ، لكنّهُ عاش سلطاناً من دون سلطنةٍ وحاكماً من دون ولاية ، لأن ميزان السنة يقضي بذلك ، ومعنى ميزان السنة ، هو عدالة الله ورحمته مع عباده ، في

أن يمدهم بالرسل والرسائل ، التي توجههم وتقوّم مسيرتهم على الأرض ، حتى يدركوا صراطه المستقيم ، فمثلما وضع سبحانه لنا حاجاتنا على مدى آلاف وآلاف من السنين ، وكل ما نحن له حاجه له ، من هواء وماء وطعام ومواد أولية ، لنا ولكل مخلوقات هذه الأرض ،

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) ﴿٥٣﴾ طه .

نقول فمثلما وضع سبحانه حاجاتنا ، فهناك سبل وضعها الله لهدايتنا ، بالأهمية نفسها التي نحتاج فيها إلى الهواء والماء والطعام ، بل أهم منها بكثير ، لأننا من دونها ، قد تعرفنا على ما فعلناه بأنفسنا وبالأرض من مفاسد ، ناهيك عن الحروب العالمية والمحلية ، وأسلحة الدمار الشامل ، فإن هناك الكثير من الأوبئة التي قتلت الملايين ، وكنا نحن السبب المباشر لنشوئها ، أما عن طريق الإهمال والتجارة النفعية ، التي لا تهتم بمصائر الناس ،

كما جرى في انتشار الطاعون والأمراض التي تطورت من جراء نقل الزنوج عن طريق البر والبحر ، وبطرق لا تليق حتى بنقل الحيوانات ، أو عن طريق التجارب الكيميائية والمختبرية ، عموماً ليس هذا بالأمر الذي نحتاج أثباته ، وإدراك إننا لا يمكن أن نكون مؤهلين لحكم الأرض ، إن لم يفتقر بعضنا حتى عن إدارة أسرته ، بشكل صحيح وآمن ، ما لم ننهج منهاج الشارع المقدس ،

فهل سألنا الله يوماً وابتغينا فعلاً التوصل لحاكمٍ عادلٍ ، والعيش مع الآخرين وإن اختلفوا في الدين والقومية ،

نحن غير عادلين حتى في التعامل الإنساني ، وليس فقط بالكره والعداء فنرى مثلاً ، حكام العرب ، أمّا أن يظهروا البغضاء لدرجة المقاطعة لمن حولهم من الدول العربية أو الأعجمية ، أو أنهم يتوددون لهم لدرجة العمالة لخدمتهم على حساب شعبهم ، أو على حساب شعوب أخرى معادية لتلك الدول العربية أو الأعجمية ، هذه هي خطوات الشيطان التي خطاها إبليس ، والتي منعتهُ من السجود لآدم والامتثال لأمر الله ، ولو كنت تظن بأن الملائكة احتجت ورفضت أن يكون خليفة الأرض فاسداً وسفّاكاً للدماء ، فعليك أن تكون متيقناً أننا رفضنا إلّا أن يكون الخليفة الذي يتولانا فاسداً وسفّاكا للدماء ،

ومن المؤكد أن هذا اليقين لا يشمل كل البشر ، لكن الغالبية العظمى منّا من تمنوا ذلك وجاهدوا للقيام به ، في الوقت الذي علينا أن نفعل خلاف ذلك ،

أي نجاهد في سبيل التوصل لسبل الله -جل جلاله- : -
(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ﴿٦٩﴾ العنكبوت ....
وكما قال الله فإننا الآن ، علينا أن نجاهد لمعرفة سبل الله ، والجهاد هنا في البحث عنهم والوصول إليهم ، لاتباعهم منهاجا وأشخاصا ،
فما هي تلك السبل وكيف نقترب ولو بشيء بسيط من الفهم لمنهاجهم : -
(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ﴿١٦﴾ المائدة .
(سُـبُل السّلام) مـا أجمل ما صوره لنا تعالى من تعبير ، ومـا أشدّ حبّنا لهذه الصورة الرائعة والمُختصرة ، لخلفاء الله ومُمثلي منهاجه ، ولكن ألّا يُذكّرنا هذا الاسم بشيء سبق وأن مرّ علينا في القرآن الكريم أيضاً ، فلنتمعن في قـوله تعالى :
(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ﴿٣٥﴾ النور .
الشجرة المباركة ، التي نعتقد أنَّها العترة المباركة من آل المصطفى ، قد اختار لها الله نوعاً عرفناه وجعلناه رمزاً للسلام ، وهو الزيتون ، وهذا السلام ، لا هو بالسلام على وفق الفكر الشرقي ، الذي عُرف بالتشدد والإكراه ، ولا هو بالسلام على وفق الفكر الغربي ، الذي عُرف بالتسويف والمكر ، وبالجمع بين فحوى الآيتين ، نجد كيف أن الله يهدينا لنورهِ ، ويخرجنا من الظلمات إلى النور بإذنه ، ذلك النور الذي أرسله الله مع الرسول المصطفى -ﷺ- ، وهم آل بيته الأشراف ، وفق قوله تعالى :
(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ** ۙ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ﴿١٥٧﴾ الأعراف .
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ **نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**) ﴿١٥﴾ المائدة .
خلاصة مطلبنا هذا ، إن الإشراك بالله يبدأ من حيث نبدأ بالتعرف إلى الله ، وذلك من خلال من نتبعه من وليّ ، ليرشدنا عن كنه الله ، فيما يحمله من نهج ، إذ قال تعالى : - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) ﴿٣٥﴾ المائدة ......
فالإيمان بالله يبدأ وينتهي من حيث الوسيلة التي نبتغيها للإيمان به ، والوسيلة أو السبيل ، هو الولي الذي نتولاه ، قاضياً وحاكماً ومرشداً ، وهو من نأخذ عنه تركة الرسـول المُـصطفى صلوات الله عليه وعلى آله وسلّم ، وما ذخـرهُ لنا مـن أثر ،

فأهل قريش كانوا من المشركين ، لأنهم جعلوا الأصنام أولياء لهم ، واتخذوها الوسيلة والسبيل لعبادة الله -جل جلاله- ، وقوله تعالى : - (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً) ﴿٣٨﴾ الكهف .

قال ابن سعدي ﴿٥١﴾ (حقيقة الشرك أن يُعبَد المخلوق كما يعبَد الله ، أو يعظَّم كما يعظَّم الله ، أو يصرَف له نوع من خصائص الربوبية والالوهية) ،

ونتفق تماماً مع هذا التعريف ، ونختلف فقط في مفردة (يعبد) لتكون يتّبع ، أي (أن يتبع المخلوق كما يتبع الخالق) وطبعاً اتباع المخلوق بنهج مخالف لمنهاج الله ، فهذا هو الإشراك بعينه ، وهذه أوضح صوره ، حتى لو أضفنا لها أن يعبد ، غير أننا لم نجدها كحقيقة تاريخية .

وقال الدهلوي ﴿٥٢﴾ ((إن الشرك لا يتوقف على أن يعدِل الإنسان أحداً بالله ، ويساوي بينهما بلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال – خصها الله تعالى بذاته العلية ، وجعلها شعاراً ، للعبودية – لأحد من الناس ، كالسجود لأحد والذبح باسمه ، والنذر له ، والاستعانة به في الشدة)) ،

أمّا قضية قولهم ((الشرك على اسمه هو تشريك غير الله مع الله في العبادة ، كأن يدعو الأصنام أو غيرها ، يستغيث بها أو ينذر لها أو يصلي لها أو يصوم لها أو يذبح لها ، ومثل أن يذبح للبدوي أو للعيدروس أو يصلي لفلان أو يطلب المدد من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، أو من عبد القادر أو من العيدروس في اليمن أو غيرهم من الأموات والغائبين ، فهذا كله يسمى شركاً)) ﴿٥٣﴾ ،

فهذا كله كلام لا أساس له من الصحة أو من الواقع ، وهم أنفسهم يقرون بأن المشركين كانوا يعترفون بالله الواحد ، ويتقربون لله عن طريق الأصنام ،

وأقوال السلف تنم عن فطرتهم ببغض من يعطه الله أي كرامة أو منزلة مشرفة ، ويرون حتى من طلب الشفاعة بالأنبياء والأولياء ، ضرباً من ضروب الشرك ، ولا يفهمون أو يتفهمون معنى الشفاعة ، ويرون أن لا شفيع عند الله إلّا هو ، رغم ما للآيات من دلائل وبراهين على إنه تعالى يقبل الشفاعة من أولياءه المقربين : - (............ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ....) ﴿٢٥٥﴾ البقرة .

....

﴿٥١﴾ تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٤٩٩) .

﴿٥٢﴾ - رسالة التوحيد (ص ٣٢ ، ٣٣) .

﴿٥٣﴾ - فتاوى ابن باز – موقع ابن باز الرسمي – توضيح معنى الشرك بالله .

.
(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا) ﴿٨٥﴾ النساء .

ولنا حديث عـــن الشفاعة ، إذ سنرى أهمية الشفاعة ، في نهج الخليفة القادم ، ولكل ما تقدم فالشهادة بوحدانية الله ، يجب أن تكون كاملة مكتملة ، بالنبوة والولاية ، والشهادة المنقوصة هي ضرب من ضروب الإشراك بالله -جل جلاله- ، ومن أغرب ما سمعتُ من فتوى ، ما صرح بها وكيل أحد المراجع الشيعية ، بأن التشهد في الصلاة ، وهو الذي يقع بعد الركعة الثانية عقب السجود ، يجب أن يخلو من ذكر الولاية وإلا بطلت الصلاة ، ونحن لا ندعي الاجتهاد ، ولسنا من المتصديين أجارنا الله ، ولكننا ندّعي التفكر للوصول إلى حقائق السبل ، فكما وجب قول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وجب ركنها الثالث وهو الشهادة بالولاية ، فالنبوة والولاية متلازمتان كتلازم النبوة والوحدانية ، فإن كان التشهد بالولاية مبطلا للصلاة ، فكأنما نقول إن التشهد بالنبوة وبوحدانية الله مبطل للصلاة ، ولا أظنني اختلفت مع الأفاضل من رجال الدين ، سواء من الشيعة أم الجماعة ، مثل اختلافي معهم على هذه الفتوى ، التي تزعزع مفهوم الإيمان ، وتخالف صراحة قوله تعالى : -

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .

فالتشهد هو تطبيق لهذه الآية من الناحية القولية ، واعتناق أيّ مذهب هو تطبيق لها من الناحية الفعلية ،

ولو كان هناك من يتفكر بعدل وإنصاف ، سيجد أن الآية في أعلاه ، تعطي الولاية عظمة النبوة ، كما تعطي النبوة عظمة التوحيد بالله ، ولو استعرضت بعض الروايات التي ذكرت شخصيات زمن الرسول المصطفى ، إذ آمنت بالله ولكنها لم تؤمن بنبوة الرسول -صلى الله عليه وآله- ، إثر خلافات شخصية وأضغان عشائرية ، كما ذكر عن بجاد زوج الشيماء بنت الحارث ﴿٥٤﴾ ، فمثل هذا الإيمان يعد كـفراً وعـــداءً لله (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) ﴿٩٨﴾ البقرة .

بل نص سبحانه وتعالى على ذلك بنص خاص ، يؤكد كفر من يؤمن ببعض ويكفر

....

﴿٥٤﴾ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد -صلى الله عليه وآله- - محمد بن يوسف الشامي .

ببعض : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَـقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) النساء .

لمّا كان إبليس من الفاسقين قبل تناسل بني آدم ، فهو كذلك من المؤمنين بوحدانية الله قبل تناسلهم كذلك ، والصورة الدقيقة التي أشار لها الباري -عزّ وجلّ- للإيمان والإشراك ، لم يتفهمها لحد هذه اللحظة الكثير ممن ينتسبون للإسلام ، بل وممن جعلوا أنفسهم من المتحدثين بِاسم الإسلام ،

فهم من جهة ، لم يتفهموا الإيمان ، ومن جهة أخرى لم يتفهموا الإشراك ، وظنُّوا كما ظنَّ إبليس ، أن الإيمان هو الوقوف عند وحدانية الله ،

وبدافع التكبّر والترفّع عمّن يكرمهم الله بدرجات وكرامات ، حاربوا تشريف الأنبياء والأولياء ، بحجة أن العزّة لله جميعاً ، كما جاء في قوله تعالى : -

(وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ﴿٦٥﴾ يونس .

ولو تجردوا عن الاستكبار لفهموا قوله تعالى ، كما أراد الله أن نفهم ، إذ إن العزة لا تجمع حتى تتوزع ، وحين تتوزع على الأشخاص ، يشار إليهم على ما لهم من عزة بالجمع ، لذا فمعنى قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم إن العزة لله) هو : إن العزة لله ولك أيّها الرسول ، ولأولياء الله جميعاً ، ولنعد لقراءة الآية مع ما سبقتها من آيات : -

(أَلَا إِنَّ **أَوْلِيَاءَ** اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ **جَمِيعًا** هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يونس .

فــجميعاً هنا تنصرف لله ولأولياء الله جميعاً ، ولا تنصرف لمفردة العزة ، كما في (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ﴿١٠٣﴾ آل عمران .

وبذلك يكون معنى قوله تعالى : -

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُـــبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ﴿١٦٥﴾ .

لكن المفسرين الخمس يفسرون (جميعاً) بمعنى (فقط) ، أي إن القوة لله فقط ، فجاء في الطبري : -

((إن القوة لله جميعاً - في الدنيا والآخرة ، دون من سواه من الأنداد والآلهة وإن الله شديد العقاب – لمن أشرك به ، وأدعى معه شركاء وجعل له ندا)) ،

من المصائب الكبرى ، تحويل وتحوير مفهوم الآية إلى ما يخالف المقصود ، لأنهم يخوضون لجعل مقصد الآية التفريق بين الله وبين أنبيائه وأوليائه ، بحجة أن العزة لله وحده ، في حين لم يترك له تعالى من سبيل لإفهامهم ، إذ نص بقوله : -
(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ﴿٨﴾ المنافقون .

أرأيت حقاً كيف أنهم لا يعلمون كما وصفهم الله ، بإن العزة لله ولأوليائه ، **فكيف قالوا إن العزة لله فقط** ، ولم يتكلفوا حتى الانتباه والإشادة بالآية من سورة (المنافقون) ومن جهة أخرى فتعال لنرى ما سطروه عن قوله تعالى : -

(وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ﴿٦٥﴾ يونس .
أذ يقول الطبري ص ٢١٦ من تفسيره : -
((فإن الله هو **المنفرد بعزة الدنيا والآخرة ، لا شريك له فيها** ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون)) ،

فما لا يفهمونهُ ، أنَّهُ تعالى جل عن أن يقوم بأي عمل ، إلّا بواسطة مخلوقاته من الملائكة والصالحين من بني آدم ، وحين نقول إن ميكائيل ، هو الذي يوزّع أرزاق الخلق بإذن الله تعالى ، فهذا ليس بإشراك ، إنما الإشراك ، هو اسناد العمل إلى عبدٍ من دون الله ، أي إن نقول حاشا لله وملائكته ، إن ميكائيل هو الرزاق من دون الله ، ومن المفروض أن تكون هذه المفاهيم ، من البديهيات التي لا تحتاج حتَّى لوقفةٍ عابرة ، ولكنَّ المؤسف أن من يريد اعتناق الدين الإسلامي ، فعليه أن يبدأ من جديد ، وأن يبحث في كلِّ مفردة من مفرداته التعريفيِّة ، وإلَّا وجد نفسه في طريق العودة للأديان السابقة (اليهودية والمسيحيَّة) ، لا بل من المؤكد أنَّه سيجد في الأديان السابقة ، ما لا يجده في الإسلام من سلام ، وبعد أن تخلص الإسلام من العهود الدمويَّة (الأمويَّة والعباسيَّة والعُثمانيَّة) ، عادت الحركات وليدة تلك العهود ، بالظهور باسم الدين الإسلامي ، وبأنهم ممثلي الإسلام ، فعادت الغدة الخبيثة للانتشار باسم القاعدة والتنظيم ، وحركات مماثلة لبعضها ، وإن اختلفت التسمية واختلفت الشخصيات ، وبات على الخليفة ، إذا ما ظهر في زمن استفحال هذه الحركات ، أن يتخلص منها ، قبل أن يتخلص حتى من الدول التي من المتوقع أن تكون ، من أبرز معاديه ، ونحن الذين ندعي مناصرة الخليفة نستصعب حتّى أن نعود لفهم الدين ، فمن ذا الذي سيقبل منَّا أن ندله على مفهوم الإشراك بالله ، قبل أن يدعي هو الإيمان به ، فما أن يولد المسلم منَّا ، حتى تراه يزعم فَهْم الدين على أتمِّه ، وعلى أتمِّ الاستعداد لتبليغه ونشره .

المطلب الثاني

المفهوم الحقيقي للإيمان بالله

(كيف يعبد الله ﷻ)

ليكُن مدخلنا لهذا المطلب ، من خلال الحديث عن أنصار خليفة الله -عليه السلام- فمن هُم أنصار الخليفة وكيف هُم ، وهل اجتمعوا في فرقةٍ ومذهبٍ واحد ، أو رُبَّما اتخذوا عملاً واحداً ، كدراسة الدين والتفقه فيه ، أو رُبَّما بعيداً عن ذلك ، لكيلا يُعرفوا من هُم وكيف هُم ، وهل يعني ذلك أنَّهم يعرفون أنفسهم على أنَّهم أنصار الخليفة القادم ، وهل يلتقون ببعضهم بعضاً ، وهُم بذلك يتواصلون مع الخليفة ، أو هناك من بينهم وكلاء يلتقون به ثُمَّ بالآخرين ، فإذا كان للخليفة من أنصار ، فهل يعملون معه أم لا ، بما إنَّنا على يقين من وجود الفرقة الناجية ، وفق أحاديث الرسول المصطفى -ﷺ- التي وصلت الثقة بصحتها درجة اليقين حتماً ، وبما إن الخليفة لهُ علوم وإمكانيات نسميها نحن بالخوارق والمعاجز ، وتعلو كُلّ ما لدينا من علوم وقدرات ، فمن المتوقع أن لأنصاره ، أعمال مُدعمة من قبل الخليفة ، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ، أو ربَّما عن طريق توسط الملائكة ، ولنرى ، من خلال أنصار الأنبياء ، من هُم أنصار الخليفة ، أو ما هو ، خُلُق أنصار الخليفة على أقل تقدير ،

فمن المؤكّد وجودهم ، لأنَّنا الآن لسنا من المشركين ، وسيدخل الإسلام فجأة لنا ، إنَّما من المفترض أن نكون متواصلين مستمرين على إسلامنا وإيماننا ، حتى يظهر الخليفة ، ويدعو أنصاره ومواليه لنصرته ، كما سنتفهّم هذا الأمر من خلال مفهوم الدين الإسلامي في المطلب الثالث ،

= قول أمير المؤمنين علـيّ بن أبي طالب صلوات الله على محمد وآل محمد ، (لو كشف لي الغطاء ، ما ازددتُ يقيناً) ، نرى إن فيهِ إشارة ، توصلنا وتخبرنا عن عظمة قائله ، وتمام يقينه بالله ، ومن خلال المنظار القانوني نرى أن من يصل يقينه بالله يقيناً تامَّاً ومُطلقاً ، فسيرى عن فوره ملكوت السماوات والأرض ، وإن كان في جُبّ يمتدُّ إلى جوف الأرض ، أي إن الحكمة مما لا نراهُ ولا نشهدهُ ، من آيات السماء وسكانها ، هي **حكمة اختبارية** ، فإن تجاوز القلب والعقل كلّ مراحل الاختبار ، فهو بذلك وصل درجة اليقين في الآن واللحظة ،

أما أصحاب موسى وعيسى -عليهما السلام- ، وحتى الكثير من أمة الرسول الكريم ، فطلبوا **العكس تماماً** ، أي طلبوا أن يروا اليقين ليؤمنوا ، لا أن يؤمنوا ليروا اليقين : -
(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ﴿١١٤﴾ المائدة .
وبالتمعن في قوله تعالى في الآية أعلاه ، نعلم سبب قوله تعالى : -
(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ **لَا يَنفَعُ** نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الإنعام .
أي إننا نستنتج من اجتماع الآيتين في أعلاه ، أن ظهور الخليفة سيتزامن معه معجزات إلهية ، تدعو البعض للإيمان بما سبق وأن أنكروه ،
لذا يقف الله تعالى بالعزة الإلهية ، رافضاً إيمان هؤلاء ممن لم يؤمنوا حكم من اختارهم خلفاء في أرضه ، وانتظروا الشواذ من المعجزات ليؤمنوا به ، وهذا ما ذكرناه دائما ، أي إن معجزات الله فيما خلق ، لا فيما طلبه المشككون من معاجز ، وإن خلق الماء أعظم من انفلاق البحر بعصى موسى ، وإن ما خلق لهو أعظم من كل ما جاءت به الأنبياء من معاجز ، لكن العباد اعتادوا على اعتبار الخارق هو الاعجاز الإلهي وحسب ،
كما نستنتج من الآية الشريفة ، ومن رفض الله -جل جلاله- لما يبدون هؤلاء من الإيمان ، أن الغاية من إيمانهم ، هو حث الناس على الإيمان بمجيء أيام عدل الله ، فإذا ما أتت فما يفعل الله بإيمانهم ، إذ ما نفع الوسيلة بعد أن انتفت الغاية ، وهذا أيضاً من أسباب قوله تعالى بلزوم أن الكسب في ذلك الإيمان ، فإذا ظهر الخليفة ينتهي الكسب ، وليست هناك من حاجة ، لتذكيرهم الناس بأيام الله ،
(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ﴿٥٥﴾ البقرة .
فبالرغم من أن كل ما هو من حولنا يدلنا على وجود الله-جل جلاله- وعظمته وقدرته ، وبسبب عدم تفكرنا وتعقلنا ، لأجل استنتاج وجود وعظمة الله -جل جلاله- ، من خلال خلقه ، نطلب ما يخرج عمّا وضعه الله من موازين علميّة دقيقة ، وبذلك فإنهم يطلبون من الله ، أن يخالف تلك الموازين والقواعد التي خلق بها الخلق ، ليثبت لهم وجوده ، كذا ما حدث في القرآن ، فهؤلاء أنفسهم ومن شابههم ، خاطبهم الله تعالى : -

(فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) ﴿١٢﴾ هود .

وفي آيةٍ أخرى على غرار ذلك : -

(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) الفرقان .

وبالتمعن في النصوص القرآنية ، نجد أنه تعالى ، علم بعدم قدرتنا على الوصول لكنهه سبحانه ، فأعطى بعض الإشارات والأمثلة والتشبيهات ، لأمور تخص كنهه ، كنوره وأسماءه ، لكنه ولأجل أن يقرّب الصورة ، لمعرفة منهاجه وشرعه ، بعث الأنبياء واصطفى الأولياء ، ليمثّلوا الله في ذلك ، إذ لن يكتمل بنا منهاج الإيمان الحقيقي ، حتى نعتزل خطى الشيطان ، وندرك خطى الأنبياء والأولياء .

والسؤال هنا ، لماذا لم يختر الله أنبياءه وخلفاءه من الملائكة ، لكان من المحتمل حصولهم على نتائج أكثر فلاحاً ، مما حصل عليه الأنبياء من بني البشر ،

وثانيا كيف يمكن أن نجعل الأنبياء أسوة لنا ، وهم من الملائكة ، لذا فلم يأمرنا الله أن نجعله سبحانه وتعالى أسوة لنا ، بل يجب أن يكون المقتدي والمقتدى نظراء في الخلق ، كيلا تكون هناك من حجة بترك الاقتداء والتأسي لاختلاف الجنس ،

ولا شك إن ما قام به نبي الله نوح -ﵺ- ، هو عين ما سيقوم به نبي الله موسى وعيسى -عليهما السلام- ، لو عاش مع قومه وفي ظل ذات الظروف ، لكننا نستثني الرسول الأعظم محمد الأمين -ﷺ- من بينهم ، لا تحيزاً لكونه نبي الإسلام ، فدين الله واحد كما سنرى وكُلّهُم جاءوا بذات الدين ، وإن اختلفت الشرائع لاختلاف المستوى الفكري لدى بني البشر ، بتتابع الأزمنة ، ولكننا نجد إن الميزان العلمي ، يقتضي أن من يصل لتحقيق إتمام رسالته ، **من دون أن يستعين بمعاجز إلهية** ، هو الأكثر فلاحاً ، فهناك من الأنبياء من استخدم الكثير من المعاجز الإلهية ، ولم يصل لتحقيق رسالات الله ، أي إننا نفهم الأمر ، **خلاف ما فهمه الأوائل من أهل الكتاب** ، الذين يفضّلون **أصحاب المعاجز الكبرى** على بقية الأنبياء ، باعتبار ما حباهم الله من آيات ، وبما خصهم من معجزات ، على أنهم من المفضلين عند الله -جل جلاله- ، والقضية ليست خلاف ذلك ولا وفق ذلك ، فكلٌّ نبي فُضّل بالآيات وفق ما يتناسب وعصره وأبناء قومه ،

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .....) ﴿٢٥٣﴾ البقرة .

ونرى أن الآية تشرح نفسها بنفسها ، وإنه تعالى فضّل بعضهم بعضاً ، بما أعطاهم من الآيات ، فمنهم من كلّمهُ ومنهُم من رفعهم درجات ، كما أعطى عيسى ابن مريم البينات ، أي فضَّل بعضهم على بعض بالآيات والمعاجز ، التي حملوها وأعلنوها للناس ، كما ذكرنا في ﴿﴾ ، إن آية العصى أعطاها لنبي الله موسى -ع- ، لأنها تنفع مع بني إسرائيل ، إذ كانوا في زمن الأعمال السحرية الخارقة ، وأعطى آية الشفاء لعيسى النبي -ع- ، لأنها تنفع قومه الذين أبدعوا في الطب وشفاء المرضى ،

فالقضية ليست وفق عظمة المعاجز من عدمها ، إنّما لم يك لينفع مع قريش أي نبيٍّ ، مهما كانت معاجزه ، وإلّا لآمنوا باليهودية أو المسيحية ، وفقاً لما جاء به أنبياءهم من معاجز ، فكان لا بد من نبي يحوز الفلاح في نشر دعوة السماء من دون اللجوء لمعاجزٍ سماوية ، وبذلك يمكن ابدال أي نبيٍّ مكان آخر ، لاستعمالهم المعاجز ، ولكن لا يمكن ابدال النبي الأعظم بأحدٍ ممَّا سلف من الأنبياء ،

وحين نتجه لكتب التفسير بخصوص التفضيل ، فستجد وكأنهم أعلنوا الحرب فيما بينهم ، وفيما يخص جواز التفضيل بين الأنبياء أنفسهم استناداً للآية أعلاه ، أم عدم جواز التفضيل ، استناداً لما روي للرسول من حديث (لا تفضلوا بين الأنبياء) ﴿٥٥﴾ ،

أو استناداً لقوله تعالى : - (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) ﴿٢٨٥﴾ البقرة .

....

﴿٥٥﴾ - حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبي هريرة قال : بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئا كرهه ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي -ﷺ- بين أظهرنا فذهب إليه فقال : أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب النبي ص وآله ، حتى رئي في وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أنبياء الله ، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث فإذا موسى آخذ فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي)) وقد رواه البخاري في أحاديث الأنبياء { ٢٦- ٣ } ، ومسلم في الفضائل { ٤٢- ٥ } .

المطلب الثالث

المفهوم الحقيقي للدين الإسلامي

يمكننا القول بإيجاز بأنّ الدين الإسلامي ، يمكن أن يعرف على أنَّ ، الدين : - هو تسديد حقوق الربّ من قبل العبد ، من خلال العبادات وما شرّعه الله من طرقٍ للمعاملات ، أمّا الإسلام فهو : اتباع الله ومن والاه من الأنبياء والأولياء ، أي الطريق الذي نسلكه ، لتطبيق الدين ، والأشخاص الذين نتبعهم ، لفهمه وإدراك سبل الله ، ونرى مدى التطابق بين هذا المفهوم ، وبين مفهوم الحديث الشريف (إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي آل بيتي) ، فالدين هو ما جاء في كتاب الله ، والإسلام هو المضي على خطى الرسول الأعظم وعترته الطاهرة المطهرة ، لذا فالإسلام هو الدين ، والدين هو الإسلام ،

تمعن في قوله تعالى : -

(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ﴿١٣٣﴾ البقرة .

فالإسلام هو تسليم وجهك لله ، دون أن تحيد لمخلوق ، يخالف ما أمر الله به عن طريق رسله ، فمنهاج الله -جلّ جلاله- ، هو ما أتى به الأنبياء والأولياء ، ولا من أحدٍ يعرف منهاج الله إلا هُم ، وللإسلام ديمومة واستبصار ، ولا يُقبل اسلام امرئ إلا بهما ، ولأجل ذلك كان التقليد واجباً ، والقضية كما قال من يدّعون بـ(المولوية) ، يجب اِتباع من هو حجّة ، لكنهم اغفلوا من يوصلك لفهم من قولهم حجّة ، ولا نرى في مجادلتهم نفعاً ، لأنهم إذا توصّل منهم من يفقه الأحكام الشرعية ، فلا داعي أن يكون مُقلداً ، وهذا ما يرضي الطرفين ، أي إن الفقه الجعفري استقرّ على أن المكلّف أمّا أن يكون مُقلداً أو مُحتاطاً أو مُجتهداً ، فمن يتفقّهُ في الدين ، يصل لمرتبة المُحتاط ، أو المُجتهد ، وهما ليسا بحاجة إلى تقليد ،

أمّا أن يترك التقليد وهو لا يفقه شيئاً في أحكام الله وشرعه ، فكما نوهنا في الكتاب الثاني ، مثلهُ كمثل قابيل حين اضطر أن يُقلّد الغُراب ، ليعرف كيف يدفن أخاه ، فهؤلاء (المولويَّة) ، إن لم يتفقهوا في دينهم حتى بلوغ درجة الاحتياط أو الاجتهاد ، أو أن يعودوا للتقليد ، فحاجتهم كبيرة لغرابيب كثيرةٍ تعلمهم أحكام دينهم ، ولنتمعن بقوله تعالى : -

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ﴿١١٦﴾ المائدة .

ولننتبه لجواب عيسى النبي (إن كنتُ قلتُهُ فقد علمتهُ) ، فما عسانا نفهم من سؤال الله لعيسى ، وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ،

فمن خلال الآية يعلمنا الله -جل جلاله- ، أن كل حدث وكل تشريع وكل ما يصل العباد من اعتقاد ، يحدد الله مَنْ مِنَ المفروض أن يمثّل شرع الله لدى عباده ، فإن يكن من يمثله ليس من أهلها ، فمصيرهُ جهنم وبئس المصير ، إن أتى بالشر ، وما لـه من فضلٍ وإن جاء بالخير ، لأن ميزان الخير والشر حـددهُ الباري -عز وجل- وحدد أهله ، فيما أبعد غيرهم من التصدي لما يظنوه ويحسبوه من الخير : -

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِـقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْـمَالُهُمْ فَـلَا نُقِيمُ لَـهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) الكهف .

ولنسأل عن قوله تعالى : -

(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) الضحى .

هـل حـقاً إن معناها كما نستشفّهُ من ظاهر القول ، أي أن الرسـول الكريم -صلى الله عليه وآله- ضالاً فهداهُ الله ، وعائلاً فأغناهُ الله ، أم هي كما جاء عن أئمة الشيعة ، من آل بيت الرسول المصطفى ، بأن قومهُ هم من كانوا على ضلال ، فهداهم الله لاتباع الرسول ، وأغناهم بعد أن كانوا يتناوشون بعضهم بعضاً ، ويتعرضون للقوافل والقبائل ، **فما** ذنب فهمنا لظاهر النص ، **ولماذا** لم تأت الآية ، بالمعنى الصريح الذي أراده الله -جل جلاله- .

الجواب : الذنب يكمن في مخالفة أوامر الله بعدم اتباع أولي الأمر ، واتباع ما يبينوه ، وإذا ما أتت بالمعنى الصريح ، فمن المؤكد أنّها ستتعرض للتحريف .

فأمّا أن يأتي النص ، بأن قومك كانوا على ضلالٍ وهداهم الله لك ، وكانوا لا يجدون ما يأكلوه إلا بالنهب والسلب والتعدي على مال الآخرين ، والنتيجة أن يحرّفوا القرآن كما حرّفه أهل الكتاب من قَبْل ، أو أن يقتلوا أئمة الهدى بعد أن يبيّنوا للناس ، ويكشفوا ما جاء في النصوص القرآنية من غموض ،

وهذا ما اختارهُ أئمة الهدى ، بأن تُحرّف حياتهم وتُسلب منهُم ، بدل أن تحرّف آيات الله ، فَحُفِظَ القرآن دوناً عن بقية الكتب السابقة ، وسبق وأن أوضحنا أن

آيات الله -جل وعلا- ، هي التي حمتْ نفسها بنفسها ، وذلك من خلال المتشابهات من الآيات ، والتي جاءت بصياغات مختلفة مع احتفاظها بالمعنى المطلوب بشكل ضمني ، وكان لبلاغة اللغة العربية دوراً عظيماً في تحقيق ذلك ،

والآن نكمل حديثنا المتقدم ، لنكشف عمّا قدمهُ المصطفى وآله ، من قربانٍ لأجل ذلك كله ،

= وبعد أن عرفنا بأن الإسلام ، هو اتباع الله ومن والاه ، فهل لنا أن نعرف لما اختار الله هذه التسمية (الإسلام) ، وهذا المعنى لدينه الحنيف ،

= لمّا كان سبحانه في علياءه وجبروته ، أعظم من أن يكون شيئاً من هذا الكون وجسماً من أجسامه ، فلا بُدَّ مِن أن يختار من يُمثّله ، سواء في عبادة الخلق له ، أو في تنفيذ ما يديم حياتهم في الأرض ومراعاة شؤونهم ،

والمشكلة الكبرى التي أصابت فهم بني آدم ، أنهم يعاملون الأنبياء كحكماء ، وكمنبع للرشد وللنصيحة ، لكن الله تعالى يرى هيبته وعزته في الأنبياء ، بوصفهم ممثلي الله ، ولأجل طاعتهم ، ينبغي معاملة النبيّ ، بوصفه نائباً لله وسفيراً له ، لا كساعي للبريد ، لأن مهمة الأنبياء لا تنحصر بإيصال آيات وأحكام الله ، ومرّتْ بنا الكثير من الآيات ، التي تبين لنا وتثبت ما تقدم من حديث ، كالأمر بالطاعة التامة للرسول ، وأن يوقّر ويكلّم بكلِّ أدبٍ ، وأن يحكموهُ ، فيما شجر بينهُم ، ويسلّمُوا لحكمه تسليماً : -

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ﴿٦٥﴾ النساء .

والتهاون في طاعة الأنبياء ، من أهم أسباب انفلاق الدين إلى مذاهب أخرى ، إن لم يكن هو السبب الوحيد ، وكن على ثقة تامة ، إن أعظم الخلافات بين أهل الجماعة والشيعة ، هي أن الشيعة ، أعطوا منزلة مهيبة للرسول الأعظم ، يرون أنها المنزلة التي تليق به ، وأن بعضاً من الصحابة اعتدوا على هذه المنزلة ونالوا منها ، فيما أعتبر أهل الجماعة ، أن تصرفات هؤلاء ، لا تعدَّ انتهاكاً لمنزلة الرسول ، ولا تمسّ بمكانته ، هذا كُلّهُ بموجب المرويات التي نقلها أهل الجماعة أنفسهم ، عن أولئك الصحابة ، ومن هنا بدأ الخلاف والاختلاف بين الفرق الإسلامية ، وبدأت مفاهيم المفردات الدينية ، تتغيّر من فرقة لأخرى ، وشملتْ حتى أصول الدين بين كل فرقة وأخرى ، وأخذ كل منهم ، باحتضان وموالاة من يرونه الأولى بأن يؤخذ منه الدين وتعاليم الرسول الأعظم ، وانتهى إلى ما انتهى إليه المذاهب

الدينية للأديان السماويّة سابقاً ، والتي من المفروض أننا فهمنا الآن ، إنها شرائع سماوية سابقة ، وليست أديان سابقة ، لأن الدين عند الله واحد ، لم يتغير بل تجدد وتمدد ، ليصار إلى التنافس المطلوب ، فلو بقيت رسالة السماء على أنبياء بني إسرائيل ، لانحصرت رسالة السماء ليومنا هذا ، بالثلّة التي تتبنّى اليهوديّة ، والذين يمنعون الناس من الدخول فيه ، ويجعلونه الدين الذي خصه الله لهم فقط ، ولولا إرسال الله للنبي عيسى -ﷺ- ، والأنبياء الذين جاءوا مناصرين له ، ومصادقين لما جاء به ، ولولا إرسال النبي الأعظم ، لكان الدين السماوي ديناً واحداً ، أي شريعة واحدة ، ولكن لأجل بني إسرائيل حصراً ،
وما يهمنا هنا ، إن الخلاف والاختلاف ، وبرغم المآسي التي سببتها ، لكنه في الوقت ذاته ، جاء ليحفظ انتشار الدين السماوي ، وبات للإنسان أن يستخدم ما منَّ الله عليه من فطنة وفراسة ، ليأخذ بالدين الحق ،
وبذلك فإنه تعالى لم يأمرنا بالخلاف والاختلاف ، وإن عاد بالصالح للدين ، إنما نحن من اخترناه ، كلٌّ منّا بطريقته وموقفه ، والنتيجة أن هناك أكثر من مائتين مفهوم للدين ، وفقاً لعدد المذاهب في الأديان الثلاث ، وأكثر من مائتين مفهوم لمفردات الدين ، ووفقاً للحديث الشريف ، الذي جاء عن الفرقة الناجية ، فإن في كلّ دين ، مفهوماً واحداً هو المطابق لمنهاج الله ، وأكثر من سبعين مفهوماً مغالطاً لمنهاج الله ، وأصبح البحث عن الحقيقة شاقّاً ومضنياً ، ولكنَّ بالتأكيد ، فإن المكافئة لمن يجهد في العثور على الدين الحق ، ستكون عظيمة ، وهذا هو معنى الأجر على قدر المشقة ، وهذا هو سبيل العمل بمفهومها ،
وبالتأكيد سيأتينا المفهوم الحقيقي للدين ، مع ممثل الله ، وفي أيام الله ، ولا بأس أن نأخذ فكرة عن الإسلام الجديد الذي سيأتينا به الخليفة ، وفقاً للروايات القائلة بذلك ، وفكرة أخرى عن الإيمان بالغيبيات ، التي أمرنا الله -جل جلاله- أن نؤمن بها ، وهل يعدُّ الخليفة ، من تلك الغيبيات ، التي تخلُّ بإيمان أحدنا ، إن لم نؤمن به ، أم أنَّ الإيمان به من قبيل النصح والرشد للمؤمنين .
المهم ألَّا يكون فهمنا لكل ذلك ، مخالفاً بالكليَّة للمفهوم الحقيقي لها ، وإلّا كُنَّا أعداء الخليفة قبل أن نلقاه ، والأهم أنْ لا يكون من مَنْهَجِنا ، شنّ الحرب على مخالفينا بالمنهج ، فهؤلاء هم الأعداء حقاً ، وبهذا نقول فيمن لقيهم الخليفة ، أول ما لقيهم في الكوفة ، وقالوا له ارجع يا بن فاطمة -ﷺ- ، أنَّهم قد اعتنقوا سُنَّة أعدائهم التاريخيين ، الذين يُكفِّرون ويقاتلُون من خالفهم في المنهج .

الفرع الأول

معنى الإسلام الجديد

من الغريب أن هناك فرقة ناجية ، ثمّ نعلم أن الخليفة سيأتي بإسلامٍ جديد ، وهذا يدلُّ على عدم وجود فرقة من الفرق الإسلامية ، على النهج الصادق والصحيح ، وسنجيب عن هذا الإشكال ، في ختام هذا الفرع ،

= كل أوامر الله تعالى ، لا يمكن الخوض في مناقشتها ، فسبحانه وتعالى لا يسأل عمّا يفعل ، ومن هم دونه يسألون ،

هذا يعني أنه تعالى حين أمرنا بالوضوء ، فلا يمكن أن نسبّب الأمر مُطلقاً ، كأن نقول إن سبب الوضوء هو النظافة لأجل الصلاة ، وبذلك فمن يلقي نفسه في حوض السباحة ، جاز له أن يصلي من دون الحاجة للوضوء ، لكنَّ أوامر الله لها ذاتيّة مقدّسة ، أي تنفّذ حرفياً ، ولا يجوز البحث في العلاقة السببيّة ، بين الأمر الإلهي ، والدوافع المحتملة لإصداره ، لأن ذلك ينافي طاعة العبد لربّهِ ، وهو ما وقع به إبليس ، في أن حاول تسبيب أمره تعالى ، فهل وقعت الملائكة في هذا المحذور ، إذ عجبت من تنصيب خليفة من بني آدم ، فيما علّمهم الله تعالى بفساد بني آدم وميلهم لسفك الدماء ، والجواب فيما علّمه الله لآدم وأمره في أن يُنبأ الملائكة به ، فيعني هذا ، إن الملائكة سألت حرصاً وزيادة لخوفها على خلق الله -جلّ جلاله- ،

وهذه المزية يجب أن تخص أوامر الشارع المقدّس وأحكامه وحسب ، وما يؤسفنا عدم تقبّل الكثير من رجال الدين ، سواء من الشيعة أم الجماعة ، لما توصلنا إليه ، وأوضحوا أن الفقيه أياً كان ، وزعيم الحوزة ، لا يُطلبُ منه تسبيب ما أصدرهُ من فتوى ، لأنَّهُ سيصدرها بناءً على الحصيلة العلمية والمعطيات التي يجهلها الجميع ، ما عدا الفقهاء ، وبما أنَّهُ بمكانة الأستاذ والمرشد الأعلى لهم ، فهم لا يمتلكون مساءلتهُ ، ومن الأولى أن لا يحقّ لعامة الناس ، طلب تسبيب الفتوى ، وإن قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ، مفادها أنه تعالى فقط ، من له الحقّ بمساءلتهم يوم القيامة ،

ولكن ... لنرى ما جعل الفقيه فقيها ، وما الذي يميزه من عامة الناس ،

= التقديس المُفرط للعظماء من رجال الدين ، حالة صحية جداً ، ومطلوبة على مرّ الأزمان ، فهو بما أفناه من سنين عمره في البحث والدراسة ، يكون قد قدمها لخدمة المجتمع ، والحفاظ على بيضة الإسلام ، ولكن ....

لا أظنك عزيزي الباحث ، قد نسيت حديث الرسول الأعظم ، عن زلّة العالم ، ولا داعي لإعادته ، فقد أوردناه في مواضع عدَّة ،
فمتى وكيف ، سنتعرف إلى مواضع الزلل ، ومتى سنعرف أنَّهُ قد فاء من زلّته ، والحديث الشريف ، لا يمنع ، أو رُبَّما ، يشير لتقبل الفتوى ابتداءً ، للخروج من الحادث المسبّب لإصدار الفتوى ، لكنَّهُ يؤكِّد وجوب المداخلة لمعرفة أسباب إصدار المفتي لفتواه ،
وفي حادثٍ غير مسبوق ، أصدر السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) ، فتواه التي خالف بها كلَّ آراء العلماء واجتهاداتهم ، بحلّيةِ التدخين ، في شهر رمضان ، وهو بذلك أوَّل من أفتى بطريقة غير مباشرة ، بوجوب أن يبيّن الفقيه سبب إصدار فتاواه ،
لأنَّهُ جاء لعلَّة الفتوى بتحريم التدخين وأبطلها ، أو أفنى وجودها ، إذْ لم يثبت لديه اعتبار دخان السجائر من الغبار الغليظ ، أو مما هو يؤكل أو يشرب ،
وقد يأتي من يخالف هذه الفتوى ، معتمداً أيضاً على علّة التحريم ، فيجد أن هناك الكثير ، مما هو محرّم ومكروه القيام به في رمضان ، وهو ليس من المأكولات والمشروبات ، كاستنشاق المخدرات ، أو العطور الحديثة ، التي تدفع الإنسان للنشوى ، وإن هناك الكثير مما نتناوله ولا يفسدُ الصيام ، كالأدوية الخاصة بالأمراض المزمنة وبعض مما يُحقن ، ولا نريد هنا أن ندخل بتفاصيل فقهية تخرجُ عن تخصّصنا ، لنبقى حيث العتبات العامة ، التي نشترك بها مع الفقيه ، بموجب التخصّص ،
هذا وإن السيد الصدر لم يكتف بالفتوى المذكورة في أعلاه ، بل بدأ بتفعيل كافة التخصّصات ، وإصدار الفتاوى بناءً على آراء واجتهادات المتخصّصين ،
وهذا عين ما فعله الرسول المصطفى في استشارة سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ، وهذا ما نرى الكثير والكثير من رجال الدين على مدى الدهر ، يأنفون من فعله ، ويرى أن قضية الاستدلال بأهل التخصّصات ، ينقص من شأنه ،
وقد مرّ بنا الحديث عن خطبة السيد مهدي الكربلائي ، وكيف أصدر رأياً لم يكن من ضمن تخصصه ، حتى وإن كان تدخله في الأمر بشكله العام محمود ،
وعلينا الآن أن نبيّن سبب ما تقدم من الحديث ، وعلاقته بعنوان البحث ،
= أوضح الفقهاء جانباً من نهج الخليفة ، وأنه سيكشف ما حرّف وزيّف من الدين ، لكن الجانب الأهم ، هو الاِنطباع العام للدين الإسلامي لدى المسلمين وغير المسلمين ،
فنعلم جيداً أن الاِنطباع العام لدى معظم شعوب العالم ، من غير المسلمين ، أنه دين يحظ على الإرهاب ، ويدعو للعنف والحرب والتكفير ،

لكنّنا نجده لدى المسلمين يختلف ، خصوصا أولئك الذين في خلاف من الفرق والملل التي صوّرت الإسلام بهذه الصورة ، وأعطت عنه هذا الإِنطباع ،
ويرون أنه دين الرحمة والتسامح ، ومنهم من يراه ديناً يثقل على متبعيه ، بالعبادات والحدود في المعاملات ، وآراء كثيرة ووفيرة ومتغيرة ، كان سبب تغيرها ، ما يصدر عن فقهاء الدين من فتاوى وتشريعات ،
إلاّ إنّنا لم نجد ذات مرّة ، صورة للدين الإسلامي ، وباقي الأديان الإبراهيميَّة ، على أنها أديان علميّة ، تجعل للفكر الإنساني مكانة تساوي مكانة العبادات ،
ويكفيك ما استعرضناه من حوادث في محاربة حتى من يسأل مجرد السؤال ، لمعرفة دينه ، أو التعمق في فهم آية ، وفتاوى التكفير ضد الاستكشافات الجديدة ، والتي أدت إلى نتائج عكسية ، تسببت في تراجع المراجع في الوقت الحالي عن التصدي للكثير من الأمور التي ربما كان من الواجب تحريمها ، كبعضٍ من مواقع التواصل الاجتماعي ، أو أجهزة التجسس على الهواتف المحمولة ،
لذا فالإسلام الجديد ، لن يقتصر على الكشف عمّا حرّف وزيّف ، بل بتفعيل روح الدين الإسلامي ،
ولا خلاف فيما قاله بعض الباحثين ، عن أن سبب المعاجز التي أعطيت لنبي الله موسى ، هو ما كانوا يمتلكونه من قدرة في السحر والشعوذة ، لذا التهمت الأفعى كل ما جاءوا به من سحر ، أما ما أعطي نبي الله عيسى من المعاجز ، فكانت تتناسب مع ما كان عليه قومه ، من معرفة وقدرة على التطبيب ، وبعض القدرات السحرية الخارقة ،
حتى قيل إن القرآن جاء ليناسب في إعجاز قريش لما يمتلكونه من بلاغة وفصاحة في القول ،
ولكن ... هناك أمر مهم ، جاءت الأديان كلها لتحظ عليه ، ألا وهو تفعيل الفكر الإنساني ،
فلم تفعل العباد ، ما فعلته ملائكة الله ، في تفعيل علومها بالأوامر الإلهيَّة ، فكما أشرنا ، أن ما كان من سؤال الملائكة لله ﷻ ، لم يكن من قبيل الاعتراض والامتناع ، بل على سبيل تفعيل ما يعلمونه مع ما علموا به مؤخراً ،
(سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا) ، فالله تعالى هو من علمهم ، أن من يخلقهُ من غير نور الله بالكلية ، سيفسد ويسفك الدماء ، مالم يتبع منهاجه تعالى ويتبع أنبياءه وأولياءه ، وكون الرسول الأعظم خاتم الأنبياء ، يؤكد أنه تعالى أراد نزول رسالته ، بالكيفية التي جاء بها الرسول ﷺ ، أي من دون معجزة خارقة لما خلق الله من ميزان مخلوقاته ،

وبعضهم يريد الرجوع للمربع الأول ، حيث الإيمان بالله عن طريق الخوارق ، وقد غاب عن اذهانهم ، أن مجيء الخليفة بالمعجزات هذه المرة ، لن يكن في صالح المعاندين والجاحدين ، لما نعرفه من قوله تعالى : -
(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .
بل سيكون لصالح من أغفل المسلمون دعوتهم ، بالكيفية التي أمرنا بها الله ورسوله من قبل ، لتكون الحجة بالغة ، ليس كمثلها حجة ، وليس من بعدها حجة ،
وبالرغم من أن الفرقة الناجية ، هي الفرقة المناصرة والموالية لخليفة الله ، والمتبعة لنهجه الموسوي العيسوي المحمدي ، والذين لا يرون في إسلامهم من كرامة لهُـم من عـند الله ، قدر ما هو ابتلاء وأمانة ، عليهم تبليغها لكلِّ بني آدم ، نقولُ وبالرغم من كلِّ هذا فإن نهج الخليفة ، لن يُطابق ما هُم عليه بالكلّيّة ، لذا نتوقَّع انفلات بعضهم وزيغ البعض ، ولذا نقول ، إن الفرقة الناجية ، هي نهج وجداني ، قد يتناسب ومن هم على خلافٍ مع نهج الخليفة ، ولا يتناسب مع من ظنُّوا أنهم على نهجه ، لأنَّ ساحة الاختبار هي الكفيلة بكشف المنهج الحق ، كما كشف الله لنا إبليس ، بعد آلاف من سنوات عبادته ، وهذا ما قيل من حقائق موثّقة بالأحاديث والروايات ، عمّن هم أحق الناس بالحديث عن أخبار السماء ، أي إنّنا نُمثّل ظهور الخليفة ، كأمر الله لملائكته ومن هم في ذلك المشهد ، بالسجود لآدم ،
ومما لا شك فيه ، أن اختلاف الفرقة الناجية ، عن نهج الخليفة القادم ، لم يكُ بزيفٍ وتحريفٍ منها ، بل ما تراكم من حرب الشياطين ضد الدين القيم ، ولنعطي مثالاً لنفهم الفكرة ،
لن يكون من المتوقع أن يكون اختلاف نهج الخليفة ، عن باقي الفرق الإسلامية ولا عن الفرقة الناجية ، في صلاة أو صيام ، أو ما هو متفق عليه من عبادات ، وطرق في المعاملات ،
فالغالب أن يكون الخلاف ، في نقطة قد يراها بعضهم ليست بذات أهمية ، أو من الأجدر عدم الخوض بها ، كالتشهير ببعض الشخصيات الدينية ، التي نبجلها اليوم ، والتي اتفق الجميع تقريباً على عدم المساس بها ، لعدم اثارة الخلاف بين الفرق ، وما يسمى بالوحدة والتآخي بين المذاهب الإسلامية ، وإذا بالخليفة يعمد على اثارتها ، والوقوف عندها ، حتى لتكون الفيصل بين من يتبعه ممن يحاربه ، وليس من المستغرب حدوث هذا ، فسبحانه وتعالى أشار لنحو ذلك ،

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) ﴿٥٨﴾ البقرة .

فهل من المتوقع أن مجرَّد عدم قول حطَّة ، ستقلب موازين بعضهم من الفرقة الناجية ، أو أن يشربوا من الماء شرفتين ، من بعد عناء السفر وحرارة الجو ، والاقبال على الحرب ، وعلى عدوٍ شرس مثل ....

وكلمة لم يقلها صاحب الجنة ، وأخرى آمن بها ، أدَّت إلى سُخْطِ الله عليه ، فأضاع دنياه وأخراه ، وسجدة لم يؤدها إبليس ،

(ولولا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا) الكهف .

ما كان على صاحبه إلّا أن يقول (مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ) ، لينجو من غضب الله وسخطه ، وهذه القصة أعظم دليل وأصدق برهان ، على أنه تعالى ، يزن أقوالنا وأفعالنا بميزان الذرة ،

ولا يفوتنا أن مجرد قلقلة اللسان لا تغني قط عن النية ، بل لا تقاس ولا توزن إلا بالنية ، أي إن صاحبه لم تك له حاجة حتى إلى القول ، لو كانت نيته تقول ما لم يقله لسانه ،

هذه الأمور التي تراها ، ليست بذات أهمية لاختبار قوة الإيمان ، والميل إلى الكفر والطغيان ، يعلم الباري عزّ وجلّ ، أنها ميزان الذرة ، وحدود الشعرة ، بين البقاء مع الله ، والانقلاب على الأعقاب ،

من هنا كان مفهوم الإسلام الجديد ، الذي سيأتي به خليفة الله ، وإذ يراه النمطية ، والذين لم يتفهَّموا غاية الله من خلقه ، ومن دعوتهم لدينه ، بأنه منهاج مخالف لتعاليم الله وما يدعون بأنه سنته وسنة رسوله ، كما يرون الطاعة للخليفة عبادة لغير الله ، ومناجاته استعانة بغير الله ،

أمّا الذين تبصر أذهانهم ما لم تبصره عيونهم ، فيفهمون ما هو الإسلام الجديد ، الإسلام الجديد هو قراءة لحيثيات الدين من جديد ، وتفعيل ما عُطّل منه ، وما شلّ فيه من أحكام ،

وهو ولادة لمفاهيم خلّاقة من رحم الحقيقة ، حيث تستقل الآيات مواكب جديدة ، لتطوف بنا في سماء الهدى والبيان ،

وحيث نزهد بكلّ ما كتب ، ولا يبقى بين أيدينا ، إلّا كتاب الله ، لنلقاه بمنظارٍ جديد ، ويستقبلنا بآفاقٍ نقية الصورة وواضحة الرؤية ، لا تمرُّ بنا عبارة اختلف

العلماء ، ولا ما حلّ من جدالٍ بين الحكماء ، وحيث لا تسخر فرقة من أخرى ، ولا يكفّر أحد أخاه ، وحيث لا يُفترى على الرسول الكريم بحديثٍ ، ولا على أحدٍ من كل الأنبياء بقولٍ أو بفعلٍ ، ولا يستهجن من شعائر الله ، ولا يُفلت من زيّف وحرّف من الدين شيئاً من الأولين أو المعاصرين ، ويبقى الدين لله ، وللجاحدين الحجر ،

فالقول إن حلاله حلال وحرامه حرام ، يقضي عدم حلّيّة الفعل حتى لأغراض الحرب والعداء ، فنشهد اليوم الكثير من الفتاوى التي تبيح ما يسمى بـ(الهكر) ، من أجل التخلص من المواقع المعادية ، أو المخالفة بالرأي لمذهبٍ ما ، وحلّيّة الكذب والتلفيق والبهتان ، للسبب نفسه وللغاية نفسها ،

لا بل من المخزي إصدار فتوى بحلية اللواط ، لتوسيع منطقة (الشرج) ، بغية وضع قنبلة ناسفة ، والكثير مما هو على غرار هذه الفتوى ،

وما أعظم ذلك الموقف المشرف لمسلم بن عقيل ، وهو في بيت هاني ابن عروة ، وما كان عليه إلّا أن يخرج لعبيد الله بن زياد ، ليقضي عليه وعلى فتنته التي أدت لوقوع أعظم مصائب التأريخ ، ألا وهي معركة الطف ، لكنه التزم بقول الرسول والكريم ﷺ : (إن الإيمان قيد الفتك) ﴿٥٦﴾ ، فلم تدفعه رغبته بالقضاء على فاسق ، من مخالفة النهج السامي ، والتشبث بالضرورات تبيح المحظورات ، حين يكون ذلك المحظور ، يمس خلق الأنبياء والأوصياء ،

فنحن لا نتصور أو نحاول الاجتهاد لوصف نهج خليفة الله ، بل نحكم بالجزم ، على أنه سلام الله عليه ، لن يخرج عن سنّة الله قطعاً ، لا مع عدو ، ولا مع حبيب ، وبذلك استقر الفقهاء واجمعوا ، على أن خليفة الله لن يأتي بدين جديد ، إنما إسلام جديد ، بناءً على المتواتر من الروايات المنقولة عن المصطفى وآل بيته الطاهرين ، وهذا الإسلام الجديد ، هو ما جاء به أنبياء الله موسى وعيسى وخاتمهم الأعظم ، فهو الإسلام الذي حرفته أطماع الطامعين والمغرضين ، وبات يهودياً ونصرانياً ، وهو الإسلام الذي انتهجه إبراهيم الخليل وذريته إسماعيل وإسحاق سلام الله عليهم أجمعين ، ومن المؤسف أن هذا الإسلام لم نعشه ، ولم يصل إلينا بوجهه التام وقوامه المكتمل ، ومن يدعي خلاف ذلك ، فعليه أن ينكر نبأ الظهور ، وبشرى إعلان دولة الخلافة على كل الملأ ، من الإنس والجن ، ولا يرى أن لله أياماً يُرينا عدلهُ وقسطهُ ، وخلافته في الأرض ،

فقد أشار لنا الله في محكم كتابه ، وعلى لسان رسوله الأعظم ، ما سيواجه أعداءه من انتقام ، وما يناله أحبابه وأنصاره من نعمة وسلام ، وترك لعقولنا ، أن تكمل

....

﴿٥٦﴾ ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج {٣} – الصفحة[٢٣٥٨] .

الصورة ، من خلال المصادر نفسها التي أشار بها ، ولكن بفراسة المؤمن ، ومن التعايش الحقيقي لطباع الرسل ،
ولا يمكن قبول ما صوّره بعضهم ، من أن أيام الله ، ستكون حرباً ودماراً لكل من لا يؤمن بدولة الخلافة ، ما لم يشهر سلاحه ضدها ، وما لم يتوهم أن الحق فيما يعتقده ، فنحن نتكلم على من يمثل الله في منهاجه ، لا من يمثل الجمهوريين أو الديمقراطيين أو الإشتراكيين ، والذين تدفعهم السياسة لفعل ، وتنهاهم المصالح عن فعلٍ آخر ، فما أعظم قوله تعالى : -
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ﴿١٥٩﴾ آل عمران .
فسبحانه وتعالى وبالرغم من وصفه للرسول الكريم على أنه : -
(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ **حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**) ﴿١٢٨﴾ براءة .
تجد لطفهُ وعطفهُ على كلِّ خلقه ، من المؤمنين والمشككين ، لكيلا يبق لأحدٍ من حجة ، ولا يغلق لهم من سبيل ،
فهذا هو الإسلام الجديد علينا ، والأزلي بأحكامه منذ أن خصه الله لخلقه ، وهذا هو نهج العدل والانصاف ، وحاشا خليفة الله ، أن يزيد الأرض ظلماً وجوراً كما توهم بعضهم ؛ بل سيزيدها أمناً وسلاماً وازدهاراً وتطوراً مورقاً لا تطوراً محرقاً .
والآن علينا أن نبر بالتزامنا ، في أن نجيب عن السؤال الذي طرحناه في مقدمة هذا الفرع ، وهو كيف أن هناك فرقة ناجية ، والخليفة سيأتي بإسلام جديد لم تشهده ، الفرقة الناجية ، والجواب سيكون بسؤالٍ آخر ، وهو ما شأن من ماتوا واستشهدوا في بداية البعثة ، ولم ينطقوا سوى الشهادتين ، أو بالكاد أدوا فريضة الصلاة ، ورُبَّما لم تكن باتجاه الكعبة ، حتى وإن قلنا برجوع معظمهم مع الإمام ، والجواب هو الجواب عن سؤالنا الأول ، فلا ذنب للفرقة الناجية بفقد إمامها ، أضف إلى ذلك ، إن الإسلام الجديد ، لا يعني المنهاج ولا المنهج ، بل جزء من النهج ، وهو الطريقة المثلى للتبليغ ، أي تصحيح نهج ما نسميها بالفتوحات الإسلامية ، وهذا يعني أن الخليفة سيأتي بالطريقة الإسلامية الجديدة لمفاتحة عباد الله بالإسلام ، وفقاً لما وصل إليه الخلق من طرق للتواصل ، والتي لا تمتلك الفرقة الناجية سبيلاً لها ، أو تصريحاً سماويّاً باستخدامها ، كما لا تمتلك الوسيلة لإثبات أن نهجها هو النهج الحق ، أو تمتلكها ولا تمتلك التصريح باستِخْدامها ، كالجهاد ضد الفرق الإسلامية ، جِهَاداً علنيّاً ، وموافقاً لمنهاج الباري -عزوجل- ، أو دعـوتهم باللين والمحبة ، دون الإقرار والاعتراف بما هم عليه وبمن أخذوا عنه .

الفرع الثاني

أسباب الإيمان بالغيب

لماذا يريد الله لنا أن نؤمن بالغيب

قد يرى بعضنا أنه لو رأى ملاكاً في السماء ، لآمن أشد من إيمانه بما سمعه من معاجز وآيات ، ولو أنه تعالى أنزل القرآن على قريش بواسط الملائكة ، لآمن كل القريشيين ، بدل أن ينزلهم تعالى في المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين ، ولمَا كان هنالك من حرب ولمَا كان هناك من مشرك ،

أو أن نرى مرة في العام ، ملائكة الله وهي تصلي في السماء ، لا بل مرة في العمر ، وبعد ذلك يأمرنا الله بما يريده ، فلا من أحدٍ يجرؤ على انكار ما يراه ،

ومن المؤكد أن كل هذا أهون بكثير ، مما مرَّ به الأنبياء من تكذيب وتعذيب وقتل وحرب دائمة ،

لكنه تعالى أبداً لا يبحث عن إيمان عباده به عن طريق الخوارق ، وما هو على خلاف ما خلق ، فهو من لم يجعل للعصا قدرة أن تتحرك وتكون أفعى ، وحين جعل من عصا موسى أفعى ، فهذا هو الشاذ الذي يريده عباده ليؤمنوا به ، وهو من جعل البحر متصلا غير منفصل ، وإن كنت لا تؤمن بعظمة خلق الله بموجب ميزانه ، **فلا داعي لأن تؤمن بوجود إله يخرق موازين خلقه** ،

وحين يكون إيمانك بالله قد بُني على اختراق موسى للبحر بعصاه ومن معه ، فإنك آمنت بحالة مرحلية ، سرعان ما تتلاشى مع الواقع ، كما تلاشت عند بني إسرائيل ، عندما هجرهم موسى أربعين ليلة ،

الله يريدك أن ترى كيف خلقك وخلق هذا الكون فتؤمن به على هذا الأساس ، وبهذا المقياس ، ولو أردت أن تبحث عن معجزات لتؤمن بوجود الله وعظمته ، فما عليك إلا أن تقل بصرك نحو ما خلق ، ولك ألّا تؤمن بالله لو وجدت أن ما خلقه الله لا يفي بأن تعطيه منزلة الالوهية ،

الآن وبعد كل ما تقدم ، فهناك جهة أخرى علينا طرحها ، وهي حالة الغيب ، فالأساس أن لكل مخلوق ومصنوع حالة من الغيب ، سببها كونه مخلوقاً ومصنوعاً ، ولن يدركها حتى يصبح خالقاً أو صانعاً ،

هذه الحقيقة يجب علينا أن نضعها قبالة أي فكرة تطرح في الحديث عن كنه الخالق ، وبما إن كل هذا الكون مخلوق ، فهو ومن فيه يعيشون في حالة من الغيب عمن خلقهم ، وعمن يتحكم في تسييره ، وعلى من يريد التفاعل مع مخلوقات هذا الكون ، أن يتجسد لهم بأجساد مخلوقاته ،

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا **لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا** وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) الأنعام .

ومن يدعي أن الله جل جلاله ينزلُ إلى الأرض ، فقد اتهم جلالته بالتجسيد ، واخرجه من صفات الخالق إلى صفات المخلوق ، وجاءوا برواية متفق عليها كما يدعون : -

((**ينزلُ** ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ، حتى ينفجر الفجر)) ﴿٥٧﴾ ، (أستغفر الله العلي العظيم) .

لكن مؤلف هذه الرواية لم يكن يعلم بعد ، بأن الأرض كروية وأن ثلث الليل الآخر ، يمرُّ على مدى [٢٤] ساعة ، ولا ينتهي أو ينقطع عن الأرض أبداً ، أم تراه ينزل على العرب ويترك ما بقي من عباده ،

وهناك الكثير من الروايات التي نعدها مؤلمة ، وتشعرنا بالأسف ، إذ نرى مخلوقاً ما ، يتهم خالقه بهذه الاتهامات ،

وسواء وافق رأينا مذهباً ما أم لم يوافق ، فنحن ننزه الرب عن كل هذه الاتهامات ، كالنزول وحالات الغضب واهتزاز العرش ، حتى فيما أجمعت عليه كل الفرق ، من أن الله بنفسه استوى على العرش ،

أولا لنفهم أن الله تعالى لم يكن خارج عرش السماوات والأرض ثم انتقل لعرش السماوات والأرض ، بل إنه تعالى جل عن الدخول في هذا الكون ، إنما يجعل مقاليده في يد من يساويه ، ولنشرح الأمر بشكل أدق ،

مرّ علينا كيف أنه تعالى يخلق المقومات قبل المكونات ، لذا فأينما وجدنا **كلمة استوى ، أي خلق مقوماتها وجمع مقاليدها بيد من يوكلهم أو يجعلهم خلفاءه**

فما هو الغيب الذي أرادنا الله تعالى الإيمان به ، فإن كان الغيب هو المبهم ، فهل أمرنا الله أن نؤمن بالمبهم حاشاه ، ثُمّ ما نطاق ذلك الغيب ،

هناك أعداد لا تحصى من الكواكب التي هي في علم الغيب ، فهل عليّ أن أؤمن بها ، أو ينحصر الغيب في القيامة واليوم الآخر ، كما أوضح معظم الفقهاء ،

حين أخبر الله سبحانه ملائكته بتنصيب خليفة في الأرض ، فما كان العلم الذي كان يغيب عن الملائكة ،

....

﴿٥٧﴾ - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ، برقم [١١٤٥] ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة ، برقم[٧٥٨] .

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ﴿٣٢﴾ البقرة .
وما أن تعلم آدم الأسماء كلها ، حتى امتلك منزلة النبوة ، إذ قال له تعالى : -
(قَالَ يَا آدَمُ **أَنبِئْهُم** بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ﴿٣٣﴾ البقرة .
فالفعل أنبئهم يعني ، أن يتصرف تصرف الأنبياء بعد أن أوحى له الله وعلمه أسماءهم ، وبهذا أصبح آدم نبياً ،
(تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿٤٩﴾ هود .
فالإيمان بالغيب يعني اليقين الثابت ، بما ندركه عقلاً ولا نراه عيناً ، **فما هو الغيب ؟**
فتعال لنرى أول غيب تحدَّثت عنه النصوص القرآنية ، وأشار له تعالى على أنه غيب السماوات والأرض ، والذي طالما سلطنا الضوء عليه : -
(قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي **أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ﴿٣٣﴾ البقرة .
هذا الغيب الذي لم تدركه حتى ملائكة الله -جل جلاله- ،
(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى **لِلْمُتَّقِينَ** ﴿٢﴾ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) البقرة .
فأوّل صفة من صفات المتقين هي أنهم يؤمنون بالغيب ، ولكن حذار أن تعتقد أن الغيب هو المبهم ، بل أن الإيمان بالغيب يعني الكشف عن المبهم ، حتى يصبح بحكم اليقين ، كمعرفة الذات الإلهية من تصوّر عظمة الله ، من هذا التصوّر ، نصل إلى أنه تعالى لا يمكن أن يدخل هذا الكون ، وإن دخل ﷻ ، فهذا يعني أنَّهُ ليس الله الذي نؤمن به ،وهذا عين ما يجعلنا نؤمن أو لا نؤمن بما نقل عن الرسول من أحاديث ، ففي حديث للإمام علي بن أبي طالب -؏- ، أن نعرض الأحاديث والروايات على عقولنا لنعرف صحتها من تزييفها ، فما يفرّق العقول عن العقول ، بحيث إن هناك من عرض حديثاً على عقله فآمن به ، وهناك من عرضه فأنكره ، والجواب أن العقول التي تعرف الصحيح من المزيف ، هي من قرأت وأحست بمنهج الرسول الأعظم مثلاً ، بحيث أن لها القدرة على أن تصدّق أو تكذب ما يعرض عليها من أحاديث ،
ومن المؤكد أن هناك من نقل لك فعل أو قول لقريب أو صديق ، فلم تصدّقه ، لأنك تعرف خلق ذاك القريب أو الصديق ، وتعرف إذا ما كان من الممكن أن يأتي بذلك الفعل أو ينطق بذلك القول ، فإن ثبت أنه فعل أو قال ما نسب له ، فالعلّة في معرفتك بذلك الشخص ، وبالتالي عقلك ، الذي غفل عن اكتشاف الحقيقة .

الفصل الثاني

المدخل لدراسة دولة الخلافة الإلهية

من الفوارق التي نراها ، بين مهام الأنبياء ومهام الخلفاء ، إن الأنبياء جميعاً جاءوا ليُمهّدوا الطريق ، لإنشاء دولة الخلافة الإلهية ، خاصة النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله- ،
أمّا مهام الخلفاء ، فهي إرساء دولة العدل ، وتحقيق ما جاء به الأنبياء من قبل ، مع تزويدهم بكل المعاجز الإلهية ، التي جاء بها الأنبياء من قبل ، وما لم يجيئوا بها ، لكنَّنا ينبغي ألّا نعتقد ، إن دولة الخلافة دولة تعتمد على الخوارق ، لأجل نشأتها وتأسيس بُنيتها ، بل على العكس فأنصارها من الأقل عدداً والأضعف عدّة ، إذا ما قورنت ، ببقية مناصري الدول والأحزاب في العالم ، ولا يتميزون إلّا بالصبر وقوة الإيمان ، واللذان سيوجبان المعونة الإلهية ، وبالتالي مؤازرة الملائكة :
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) ﴿٦٥﴾ الأنفال .
ولمّا كان علم الخلافة ، ما جاء إلّا لينظم حياة الخلق ، وهو المقوّم الذي اختاره الباري -عزّ وجلّ- لذلك ، ولهذا فدولة الخلافة ستتميّز ، بالهياكل واللوائح التنظيمية ، في تشكيل مؤسساتها ، حالها في ذلك حال ما نعرفهُ عن الدول الحديثة ،
لذا سنقوم بتصوّرها ، كتصوّر أي دولة حديثة النشأة ، ابتداءً من الدعوة لتشكيلها ، ومن ثم إعلان قيامها ، حتى استقلالها وامتلاكها كل مقومات السيادة ، لكنَّنا من الواجب أن نضيف للخلطة الخاصة بولادة الدولة ، بعضاً مما وصلنا من روايات مؤكدة ، عن حال وزمان نشوئها ،
ومن الطبيعي ألّا نتوقع نشؤها على أرضٍ مهجورة ، ومن قبل شعب غير سكان الأرض الحاليين ، بل ستنشأ ضمن حياض دولة قائمة بالفعل ، وشعبها من مواطني تلك الدولة القائمة ، وهذا يعني أن أول الصرعات المتوقعة لحظة الدعوة لإنشائها ، ستكون مع دولة تتمتع بكامل الجهوزية ، ومستعدة للدفاع عن وجودها ، لكن الروايات تخبرنا عمّا سيكون فرصة مؤاتيه لقيامها ، ويخفف من عبئ الصراع المتوقّع مع الدولة الأم ، وهو الوضع السياسي الذي سيكون قرين الدولة الأم ، إبان الظهور المبارك ، فقد صار من المؤكد إن الدولة الأم هي العراق ، وإنه سيمر بعدما ذُكر عن حكم الجبابرة وحكم الصبية ، بتعدديّة طائفيّة وحزبيّة ، حتى لترفع

العشرات من الرايات ، في كل مدينة من مدنه ، وتحكمه عدد مما نسميه اليوم بالكيانات السياسيّة ، وهو ما يجري بالفعل على الساحة ، وكيف استطاع الشارع بقليل من الصخب والفوضى ، من تغيير رئيس الحكومة ، فيما احتشدت العديد من الدول الكبرى ، لإزالة النظام السابق ، وفي خضم ما ذُكر من أوضاع ، سيكون لقيام دولة الخلافة ، ما يخفف عن كاهل العراق ، كلّ التشتت الذي يعانيه ، وما يعطي للشعب الفرصة الأمثل للخلاص من معاناته ، ببزوغ حكومة توحّدهم ، وتمنّ على الشعب ، بعزّة العدل الإلهي قبل شعوب العالم أجمع ،

ولا يغيب عن فكرنا أبداً ، أن في العراق ممن يدعون الله ليلاً نهاراً ، من أجل ظهور الخليفة ، ويعتقدون كباقي الفرق ، بأنه على نهجهم وهم على نهجه ، وبأنه من سيرفع الظلم عن عقيدتهم ، وينصفهم من جور من نصبوا العداء لآل المصطفى ، طيلة المئات من السنين ، ومنذ فقده صلوات الله عليه وعلى آله ،

والشيعة دوناً عن كلِّ المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية ، يعتقدون بمعرفته ، وعلى أنَّهُ الإمام الثاني عشر من أئمتهم ، والتاسع من ولد الحسين -عليه السلام- ،

أمّا أهل الجماعة ، فلا يعانون ما يعانيه الشيعة ، كما إن دول الخليج لا تعاني من الفقر والفاقة ، ولا يشعرون بظلم الملوك والحكام ، ما داموا من مذاهب أهل الجماعة ، مع هذا فهم يعتقدون أنه سيأتي لنصرتهم ومحاربة أهل الشرك والإلحاد ، ومن ثم أهل الكتاب ، ويتفقون مع الشيعة على أنه من نسل عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء -عليهما السلام- ، إلا إنّهُ من مواليد هذا العصر ، وليس بالإمام الغائب ، وكلّ هذا لنا عليه وفيه وقفات ،

ومع إنَّنا نذكر إن الشيعة أكثر الفرق إيماناً وحديثاً عن الخليفة ، إلّا إنَّهم لم يتعاملوا مع الأمر ، كحقيقة قادمة ، ولم يهيئوا ما يحتمل أن يكون دعائماً ، لقيام دولة الخلافة ، ولم يضعوا أيّ خُطّة استباقية لاستقبال الخليفة ومناصرته ، بل شغلهم ما جاءتْ به الروايات ، من القوى الخارقة والمعاجز الفارقة ، وبدل انهماكهم بالتخطيط لبناء دولة الخلافة ، راحوا يتطلعون للحياة الرغدة بمجيء الخليفة ، وعزفوا عن تقديم أيّ مساعدة فكرية أو عينية ، وما يكرّس جهودهم لنصرته سلام الله عليه ، وسيمر بنا الحديث الذي يبين لنا ، وكأنهم ينتظروه لمناصرتهم لا لكي يناصروهُ هُم ، وربَّما كان ذلك نتيجة ما مرَّ به الشيعة من أنواع العذابات والمعاناة ، التي سببتها سياسة حكام وولاة الدولة الإسلامية ، واستخدامهم القمع والتشريد ، حتى لمن يقيم أيَّ شعيرة من شعائر التشيّع ،

أو ربَّما لم يسجّل التأريخ أن أمّة ، استعدت عملياً وعلمياً لاستقبال زعيماً ، يتوقف مجيئه على أمرٍ سماويٍّ ، ولم يتعاملوا مع الغائب معاملة الحاضر ، وبالكاد نعثر على قرية آمنت بعد كفرها ، وبعدما وصل الخطاب معها ، مستوى التهديد بنزول العذاب ، فأدركت وتداركت مصيرها : -
(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) ﴿٩٨﴾ يونس .

وقوله تعالى (كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، أي إنَّهم وصلوا حدود القول وحق عليهم العذاب لولا برحمة من الله وبلاغ من نبيهم ، استأنفوا حياتهم دون نزول العذاب المخزي في الحياة الدنيا ، وربَّما تعارضنا بالقول ، إننا من المسلمين الآن ، ومنّا من يدعوا الله ليل نهار بظهور الخليفة ، وإن الثلَّة التي التقاها الخليفة في الكوفة ، لا تشير لفساد الجميع ، وهذا ما نقوله نحن ، بعد أن نسأل ، كم من الخلق وممن أشرت إليهم ممن يدعون الله ليل نهار ، يفهمون ما تفهمه ، وإن فهموا فكم منهم على استعداد للتضحية بخططه الحياتية ، ليكتب الخطط المستقبلية لدولة الخليفة ، لا بل من فكر حتى لدقائق معدودة بذلك ، وكلمنا بمن لم تدفعه الحاجة والعوز للدعاء بالظهور ، وما أن منَّ الله عليه بالأوراق المالية ، ترك شأن الظهور لصاحب الظهور ، ولمن لم يحظ بالأوراق المالية بعد : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) ﴿١٨﴾ التوبة .
ألم تسأل ، كيف يعمر مساجد الله من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ...... ، فمفهوم النمطية إن كل من يعمِّر مساجد الله هو ممن آمن بالله و.... ، والحقيقة أنه تعالى قصد في ألّا يقبل حتَّى ممَّن يعمر مساجد الله ألّا يفقه الإيمان بالله ، وتسبقها :
(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا **يَعْلَمِ** اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ) ﴿١٦﴾

فيعلم الله تعني ، أن يريكُم ما تعلمون وما تختارون من الله أم من دون الله ، وقد ضل عنهُ فكرهُ ، من ظنَّ أنَّهُ تعالى بحاجة لاختبارنا ليعلم ما بصدورنا ، إنَّما ليُلقي الحجةَ علينا يوم الدين ، لذا فـ(ولمّا يعلم) أي يكشف لنا ويوصله حيث علمنا ، لذا نجهد بما منّ الله علينا من تفكّر ، حتَّى ولو لتخطيط وإنشاء الهياكل التنظيمية ، وقد نلتقي في الأجزاء القادمة ، بمن يطوّر هذا التخطيط ، بشكلٍ علميٍ ووفق التخصصات المختلفة ، لأنَّنا نؤمن أن دولة الخلافة لابُدَّ أن تتأسَّس ، وفق أحدث ما توصلنا إليه من علوم ، وأفْضَل ما توصَلنا إليه من إدارة .

المبحث الأول

الخلافة في ظل القوانين الوضعية

تمتلك معظم دول العالم ، في عصرنا الحديث ، وطبقاً لأغلب دساتيرها ، ثلاث سلطات هي : التشريعية والقضائية والتنفيذية ، لكنَّها تختلف اِختلافاً واسعاً من دولة لأخرى ، وفقاً لنظام وشكل الحكم ، إذا ما كان ملكياً أو جمهورياً أو شكلا آخر ، كما إن نظام الحكم للملكية ، يختلف أيضاً من شكلٍ لآخر ، إذ تختلف السلطة الحاكمة للملك من حيث نوع تلك الملكية ، فهناك ملكية مقيدة متمثلة بالملكية الدستورية ، مثل الكويت ، وملكيّة رمزيّة متمثّلة بالملكيّة الجمهوريّة ، مثل المملكة المتحدة البريطانية ، وملكية مستبدة ، متمثلة بالملكية المطلقة ، وهي التي تجمع بين السلطات الثلاثة ، كما في المملكة السعودية ﴿٥٨﴾ ، وسندرس تلك السلطات في مبحثين فقط ، لأنَّنا سنرى إن السلطة القضائية من الناحية العملية لا تختلف كثيراً عن السلطة التنفيذية كما سنوضحه في المبحث الثاني .

والأكثر من هذا ، أن تتمثّل كل هذه السلطات بشخصٍ واحد ، وهو ما نراه واضحاً في النظام الدكتاتوري ، حيث يتولى الحاكم بمفرده ، اصدار التشريعات والمراسيم ، بما في ذلك القوانين الجزائية ، المُتعلِّقة بالعقوبات والمـوقف القانوني للمـجرم ، وقد يكون من المبكر ، أن نتصدى بالدفاع عن دولة الخلافة ، ضدَّ من يعْتقِد بدولة الخلافة ، أنها دكتاتورية ، لكون الخليفة ينفرد بكلِّ التشريعات ، ولكن فات على هذا المُدعي ، أن نهج الخليفة ، مُعلن ومعروف ، لحظة افتتاح أبوابها ،

لذا من سيدخل دولة الخلافة ، سيكون مختاراً لنهجها ولكل أحكامها ، الذي والتي لن تتغير قط ، كسنة الله تماماً ، لا بل من المخالط للحقيقة ، التشبيه بأداة التشبيه (كـ) لأن نهج الخليفة هو الجانب التنفيذي لمناج الله ،

هذا ، وطبعاً لا نتوقّع أن القوانين الوضعية ، درستْ الخلافة واعترفتْ بوجودها ، حتى ولو على سبيل الافتراض ، ولكن يمكن فهم موقف القانون بشكل تقريبي ، أمّا الخلافة الإسلامية ، ورغم مرورها بثلاث عهود (الأموي والعباسي والعثماني) وبزمن تجاوز الألف سنة ، فقد بقيت في نطاق توارث المُلْك ، وتحت طاعة ما سُمِّي بوليِّ أمر المسلمين ، والذي يتغير نهجهم ، حتى في ضل الحكومة الواحدة .

....

﴿٥٨﴾ - كتاب مبادئ العلوم السياسية / د . غازي الربابعة .

المطلب الأول

السلطة التشريعية

لكي تتأسس الدولة الحديثة ، فلابد لها أن تمتلك جهازاً تشريعياً ، يُترجم هذا الجهاز نظامها الداخلي والخارجي ، على شكل قوانين ، يعلوها الدستور ، الذي يمثل شهادةً لولادتها وهويتها الشخصية ، بكل تفاصيلها الدقيقة بين الدول ، كدولة رئاسية أو برلمانية وما إلى ذلك ، تعترف بالتعددية الحزبية أو لا تعترف ، مروراً بالحريات والحقوق التي تمنحها للشعب ، والواجبات التي تدعي الالتزام بها أمامه ، وعلى أساس هذا الدستور وتلك القوانين يتم تكليف بعضاً من رجال القانون ، بتطبيق ما تم سنّهُ من قوانين ، لحفظ النظام العام وحماية كافة مؤسساتها ممن يحاول التعدي على النظام ، الذي أقرته وأقره الشعب حقيقة أو حكماً ، وذلك من خلال السلطة القضائية ، ولكي يتم ضمان ما أقرته السلطة القضائية من أحكام وقرارات ، تلعب السلطة التنفيذية دورها لتحقيق كل ذلك ، والتي تتمثّل بوزارة خاصة تسمى وزارة الداخلية ، وهيئات ومديريات متعددة تابعة لها ، وهذا ما يخص الشؤون الداخلية للبلد .

= يعاني المجتمع أولاً ، من التشريعات التي تصدر بحقه ، ومن ثم يعاني من الجهاز القضائي ، الذي يقوم بتطبيق تلك التشريعات ، إذ ربما تزيد معاناة المجتمع ، من خلال التطبيق غير العادل لتلك التشريعات ، ومن ثم معاناته من الجهاز التنفيذي الذي يقوم بتطبيق قرارات الجهاز القضائي ، وهو أيضاً من المتوقع أن يضيف معاناة أخرى للمجتمع ، من خلال التنفيذ غير العادل لقرارات الجهاز القضائي ، كل تلك الأجهزة أمّا أن تكون ظلمات ثلاثة ، أو أنوار ثلاثة ، ولو تمعنا بقوله تعالى في سورة الزمر ﴿٦﴾ .

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) .

هذه الظلمات سواء كما فهمها السلف قديما ، على أنهنَّ الأطوار الثلاثة للجنين في بطن أمهِ ، أو كما بينها أهل العلم ، أنها تعني البطن والرحم والمشيمة ، فهي لا تعني كما يشير الله دائما للظلمات ، على أنهنَّ ما يخالف النور والهدى ويوافق الضلالة والتيه ، بل بالعكس جاءت هنا للحماية والوقاية من ظروف الحياة القاسية ، التي لن يتحملها الجنين إلا وسط هذه الظلمات ، ولن يكتمل الجنين إلا بها ، فهي ظلمات لكنها بالتعبير المعنوي لعملها ، تعد أنواراً ثلاثة ، ويبدو أن هذه

الظلمات التي تقينا من الموت ، والتي هي أنوار في حقيقة عملها كما أشرنا ، سوف تستمر معنا بعد أن نخرج من بطون أمهاتنا ، ولكن بشكلها الحقيقي ، كأنوار وهدى ، وهي المقومات التي أعدها لنا الله ،

وعلينا الآن أن نختارها نحن ، ونتجه إليها نحن ، وندخل إليها بإرادتنا ، كي لا يصيبنا ما يصيب الجنين ، لو خرج عن دروع الحماية الثلاث ، قبل أوانه ،

وهذه الأنوار ، تتمثل بالشرع والقضاء والتنفيذ ، المتمثل بالشارع والنبي والولي ، فالشارع هو الله تعالى ، والنبي هو من يحمل التشريع للناس ويبين لهم قضاء الله تعالى كما أراده الله تعالى ، ومن ثم يأتينا دور الولي المنفّذ للشرع والقضاء ، بالصيغ والطرق التي حددها الشرع والقضاء ، ولا انفصال لأي درع من هذه الدروع ، إذا ما أردنا أن نقي المجتمع من الفساد والظلم ،

فهل نحتاج ما يثبت بأنه تعالى هو الشارع الأعظم ، ورسوله القاضي بما يشرعه الله من أحكام ، والولي هو المنفذ لقضاء الرسول ،

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .

هذه الآية هي الدليل القطعي ، للسلسلة التي لا تنفك ، للسلطات الثلاثة ، لدولة العدل الإلهية، ومن يؤمن بشرع الله تعالى فقط ، ويقول حسبنا كتاب الله ، فهذا من يريد أن يصطدم بقوله تعالى :

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ﴿٦٥﴾ النساء .

وهذا ما سوف نبحثه في السلطة القضائية فما علينا أن نبحثه الآن ، هو انه بعد مرور مئات السنوات من الابتعاد عن الشريعة وأحكامها من جهة ، وتطور قضايا القضاء وتنوع أجهزته من جهة أخرى ، فهل نتوقع أن يعترف الخليفة بما توصلنا إليه من أجهزة لكشف الجريمة مثلاً ، ومن أبحاث في الأدلة الجنائية ومن نظريات حول علم النفس الجنائي ،

= والقرآن كما جاء في قوله تعالى ، جاء مصدقاً للكتاب الذي بين يدي الله تعالى ، والذين يؤمنون بالآخرة ، يؤمنون بما جاء في القرآن ، من خلال محافظتهم على الاتصال بأهل القرآن ،

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) ﴿٩٢﴾ الأنعام .

فالاتصال بالله من خلال الصلاة ، هو ذاته الاتصال برسوله وآل رسوله من خلال اتباع نهجهم ، فالقرآن لا يمكن أن يترجم بمعزلٍ عن أهله ، وأهل القرآن ليس من وجد نظريةً وبحثاً وتعمق في الدين ، أو من اجتهد ليصلَ لفكرةٍ يرتقي بها عن غيرهِ من الدارسين والباحثين ، وإلا فليس من الصعب أن يلبس كل الأحبار لباس الأنبياء ، فأهل القرآن هم من أعطاهم الله مفاتيحه وبيانه وجمعه وقرآنه : -

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) القيامة .

و (علينا) ، تعني أهل الله وحكومة الله ، وهم الأنبياء والأوصياء ، والسبب في ذلك طهرهم ، وتطهرهم عن دنس الحياة الدنيا وأطماعها ، لذا كان لهم أن يمسوه بالترجمان والبيان ، (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ﴿٧٩﴾ الواقعة .

وكما بيّنا مراراً بأن للمطهرين وصفاً واحداً ، وهم الذين طهرهم الله من كل رجسٍ ، وأبعدهم عن كل نجسٍ ونزههم عن كل دنس ،

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ﴿٣٣﴾ الأحزاب .

فعزا الشيعة أسباب انحراف الأمة الإسلامية عن سنة الله ورسوله ، في التعتيم العام والخاص لأهل البيت ، الذي بدأ اعتباراً من الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ، حتى آخر الأئمة الإثني عشرة لديهم ، وهم أهل القرآن والبيان ، فيما عزا أهل الجماعة أسباب تدهور الدولة الإسلامية ، لظروف خارجية ، أهمها غزو المغول وسقوط بغداد ، واعتبروا أن الدولة الإسلامية كانت في عصرها الذهبي في فترة حكم الدولة الأموية والعباسية ، أما كيف ، فالجواب أنها امتدتْ واتسعتْ عبرَ بقاع العالم ، أمّا كيف امتدتْ واتسعتْ ، ففي ثنايا التأريخ جواباً عن هذا السؤال ، وكيف ما كان حال الأمة الإسلامية في العهود التي تلت فَقْد الرسول الكريم ، فإنها بدأت تعزف عن تطبيق شرع الله ، وتخشى اتهام الإسلام بالشدة ، وعدم احترام ما نسميها بحقوق الإنسان ، لذا أبدل الحبس والسجن ، بدل الجلد وقطع اليد ، وأصبحت جريمة الزنا موقوفة على رضا الزانية ،

= في عام [٢٠٠٣]م وصل عدد المسجونين بتهمة السرقة في أرجاء العراق ، قبل أن يطلق النظام البعثي العفو العام ما يتجاوز النصف مليون ،

والسؤال هنا ، هل كان هذا العدد متوقعاً ، لو كانت العقوبة قطع اليد ، ولو كانت عقوبة قطع اليد انتهاك لحقوق الإنسان ، فما عسانا أن نقول عن عقوبة الإعدام

شنقاً ، للسارق زمن الحرب ، والتي أصدرها مجلس قيادة الثورة العراقية ابان الحرب العراقية الإيرانية ، أم قطع أرنبة الأذن لمن يهرب من الخدمة العسكرية ، ورغم تشديدهم للعقوبة زمن الحرب ، لم توقف جرائم السرقة ، بل أصبحت هناك زيادة في عدد جرائم القتل ، حيث ما كان للسارق من سبيل ، إلا قتل صاحب الدار قبل أن يكشف أمره ويصل السارق للمشنقة ، فهل كان ينبغي لهم اصدار عقوبة قطع اليد ، بدلاً عن عقوبة الإعدام ، لو أرادوا أن يتبعوا شرع الله ، وهل سيعود بنا الخليفة لتلك الأحكام ، وما قيل عن أنهُ سيعيدُ ما عطّلَ من كتاب الله وأحكامه وسُنّته ، ولا ننسى عقوبة الإعدام لتجّار المُخدرات والأسلحة ، التي أقرتها معظم الدول العربية ،

ونتعرض لموضوع الساعة والمثال الحي ، للتعرف على أن أهل الاختصاص الذين يصلون إلى التشريع الأمثل خير من رجال الدين الأفاضل ، في ذلك التشريع فقط ، لا لضعف قدرات رجال الدين ، بل للخبرة التي اكتسبها رجال القانون من خلال عملهم ، وهذا أبداً لا يمس بشأن رجال الدين ،

فلو قلتُ لرجلٍ ما ، من رجال الدين صلاتك باطلة ، فإن كان ممن يمتلكون أدب الحديث والخلق النبيل ، وممن نفتخر بأنهم من رجالات الدين حقاً ، فلن يسبني ولن يشتمني ، بل سوف يسألني وما الذي تمتلكه من فقهٍ لتدعي عليّ ذلك ، فهاتني ببرهانك ، فما الحال لو كانت القضية تخص أمراً قانونياً أو اجتماعياً ، ولا يخص العبادات والمعاملات .

= بتاريخ (٥) يوليو نُشرت خطبة لأحد الفضلاء من رجال الدين في العراق ، حول موضوع تنامي ظاهرة المخدرات ، وكان رأي فضيلته أن على المشرع العراقي تشديد العقوبة ، لتكون رادعا مناسبا لما للمخدرات من آثار وخيمة على المجتمع ، ولكن ، وبعد تسجيل اعتراضي التام على طرح فضيلته ، بأن تشديد العقوبة ليس من سبل الردع لهذه الجريمة ، أو من الحلول المقترحة للمشكلة ، وأقول لسماحة الشيخ ، لا أرى ضيراً من أن تعطي اقتراحاتك لأهل الاختصاص ، فيما يتعلق باختصاصهم ، مثلما تطلب من الآخرين عدم الإفتاء في الدين دون تفقهٍ ، وأبين أسباب اعتراضي : -

١- لأن مواد القانون المشددة للعقوبة ستتحول إلى دافع لارتكاب جرائم أخطر ، وهذا ممّا جناه المشرع العراقي في الثمانينيات ، بعد ان أصدر مجلس القيادة المنحل ، قرارا بإعدام كل من يقوم بالسرقة اثناء الحرب ، لذا لجأ السارق لقتل صاحب الدار ، قبل ان يقوم بسرقته ، لأنه يعلم ان صاحب الدار إذا انتبه له

وامسك به سيعْدَم ، وهذا الأمر من أخطر الأمور التي دفعتني للاعتراض ، فالمجرم سوف يلجأ لقتل رجال الشرطة ، وقتل كل الشهود ، لأنه يعلم أن نهايته الاعدام أو السجن المشدد ، ناهيك عن خلق المكيدة للآخرين بزرع المخدرات في بيوت أو محلات الجهات المعادية لبعضها .

٢ - رفع قيمة المتاجرة بالمخدرات ، فبدل ان يحصل مثلاً على مليون دولار لتهريبه المخدرات ، فبسبب تشديد العقوبة ، أصبح التاجر يحصل على مليوني دولار وأكثر ،

وبذلك قمنا بتنشيط عمل تُجّار المخدرات ، وزيادة مكاسبهم ، ولقد جرّب المشرع المصري مختلف العقوبات ومختلف الوسائل في تشديد العقوبة ، وإلى هذه اللحظة لم يأت بتشريع يمنع انتشار المخدرات ، بل بالعكس كانت التشريعات دافعا لانتشارها أكثر كما ، بينتُ في أعلاه ، وبالعودة لمسألة انتشار المخدرات في العراق نجد :

أ – كانت قد انتشرت هذه الظاهرة منذ الثمانينيات في السجون وفي كل معسكرات الجيش ، وبالطبع لم تكن بهذه الكمية والنوعية ، فكانت عبارة عن حبوب للهلوسة ، والتي تستخدم للحالات النفسية وحبوب للنوم ، لذا فهي ليست جديدة أبداً .

ب – لو نظرنا لأسباب انتشارها في السجون والمعسكرات سوف نتفهم أن السبب ، هو قتل الفراغ والخروج من حالة الهم والحزن الذي يعاني منها السجين أو الجندي ، كما يتوهم .

جـ – لذا فنحن أمام جماعةٍ كبيرة من الشعب ، تعاني من فراغٍ ، بعد ان مرّت عليه سنون من اللعب وهدر الوقت ، بما ينشّط لديه روح الانتقام أو الفوز بسهولة كما كان يفوز في تلك الألعاب ، لا كما يرى الفوز في المجتمع من مثابرة وجهد .

وهذه الحالة استشرت في دول الخليج بشكل مهولٍ ، وغير مسبوق في دول العالم ، لكنهم لا يصرحون إعلاميا بما يجري ، باعتبارهم من الدول التي تدعي التقدم والالتزام الديني في الوقت نفسه .

فما الحل الذي توصل إليه رجال القانون ، غير أنهم شددوا ثم شددوا من العقوبات على التجارة وحتى على التعاطي ،

= في عقود خلت ، كانت مدينة شيكاغو التابعة لولاية إلينوي الأمريكية ، تعاني من ويلات تجارة المخدرات وتعاطيها ، بشكل يفوق كل مدن العالم ، وفاقت حتى دول أمريكا اللاتينية ، وأول تجاربهم كانت تشديد عقوبة الاتجار والتعاطي ،

والذي سبب لهم كما أوضحنا ، ازدياد نسبة جرائم القتل لأفراد الشرطة ، أثناء مداهمتهم لأوكار هؤلاء التجار ، فما كان لرجال القانون ، إلا أن قاموا بتشريع يخالف النتائج التي حصلوا عليها ، فأصدروا قراراً بالحبس مدة ثلاثة أشهر ، لمن يتاجر بالمخدرات ، وشهر واحد للمتعاطين ، مع فرصة لإيقاف التنفيذ ، لمن لم يسبق له ارتكاب مثل هذه الجريمة ، بحجة اتاحة الفرصة لمعالجة المتعاطين للمخدرات ، وامتلاء السجون بتجار المخدرات ، إذ كان الشرطة عندما تداهم وكراً من أوكار تجار المخدرات ، فان اولئك التجار كانوا يسلمون أنفسهم من دون أي مقاومة ، لأن العقوبة لا تستحق مواجهة أفراد الشرطة وقتلهم ، وبذلك تعرفة الحكومة على كل القائمين على تجارة المخدرات ، وقيدت تحركاتهم حتى تخلصت شيكاغو بكاملها ، من كل شبكات التجارة بالمخدرات ،

أمّا ما نعتقده في نهج الخليفة ، فللخليفة طريق ثالث غير أن يشدد الأحكام أو يقوم بتخفيفها ، وهو أنه سيقتلع الظروف المؤدية لارتكاب الجرائم من جذورها ، أي إنه سيحكم الظروف والحاجات ، التي تدفع معظم الناس للسرقة والرشوة والاختلاس ، وتجارة أو تعاطي المخدرات ، قبل أن تحكمنا هي ، وقبل أن يقطع يد السارق ، سيقطع كل حاجةٍ تدفعه للسرقة ، فمن لا يجد الدواء الذي يحتاجه ابنه ، ليس من العدل أن تقطع يده ، إذا ما قام بسرقة هذا الدواء أو سرقة ثمنه ، ولو أن قوم لوط لم يجدوا نساءً ليتزوجوا بهنَّ ، لمَا عاقبهم الله بعقوبةٍ أفنتهم ، لذا قال لهم لوط وفي آخر الساعات قبل نزول الغضب عليهم ،

(قَالَ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ﴿٧١﴾ الحجر .

أمّا القوانين الوضعية فتسير عكس هذا المسار ، وشهد التأريخ أحكاماً عاتية ، في وقت المجاعات والحروب ، وكلما ازدادت السرقة ازدادت العقوبة ، دونما أي اكتراث للأسباب ، ودونما أي حلول جذرية للجرائم ، لذا فليس من المتوقع أن يقوم الخليفة بتفعيل الأحكام التي تم اصدارها ، بل يقوم بتفعيل طرق العمل لرفع معاناة الشعوب ، وعن مقولةٍ مشهورة نسبت لعلي بن أبي طالب أو لأبي ذر الغفاري ،

(عجبتُ لِمنْ لم يَجد قُوتَ يومه كيف لم يخرُج شاهراً سيفهُ) ، ولو صحت لأحدهما ، فمن المؤكد أن تكون من نهج الخليفة ، وإن لم تصح فلا عجب ألّا ينكرها خليفة الله ، ولا ينكر التفاعل معها ، وإنهُ لن يقف أمامَ أمرئٍ يُريدُ سَدّ رمَقهُ حتّى يكفيهِ حاجتهُ ، حتى لو كلفه ترك الخلافة ، فهل تتخيل أن يخذله الله

في أن يحقق العدل والانصاف في رعيته ، وسبحانه الذي بشّر به في كتبهِ السَّماويّة ، وجعله النبأ العظيم الذي سنعلمه ولو بعد حين :

(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) ص .

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) ص .

وقوله تعالى (معرضون) لا تعني أنهم معرضون بعدم الاستماع إليه ، فلا بد أن هناك من يريد حقاً الاستماع للنبأ العظيم ، لكنَّ الأمر يتعلق بقبوله لا بالاستماع له ، أي إن الاعراض هنا اعراض قلبي ووجداني ، وعدم قبوله ، يعود لصعوبة المضي على خطاه ،

فلماذا لا يكون النبأ العظيم ، إشارة إلى يوم القيامة ، فلا أشد منها كحدث ، ولا أعظم منها كنبأ ،

القضية لا تتكشف حقيقتها بمحض الظن ، فمن الممكن أن ننسب الكثير من المقاصد ، وفق هذا المنوال ، لغير من عناهم الله سبحانه وتعالى ، ونكون بهذا أفلتنا مُرادنا ، وهذا ما جاء بتفاسير مُعظم الصحابة ، فمِنْهُم من قال هو القرآن ، ومنهم من قال يوم البعث ، ومنهم من قال نبأ البعثة الشريفة ،

وجاء في روايات الشيعة ، أن النبأ العظيم ، هو شخص أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب -ع- ، وشخص عليٍّ ، يعني منهجه وحكومته ، ووفق ما مرّ بنا من مطلب (خليفة أم خلفاء) ، فإن نهج عليٍّ هو نهج الخليفة القادم ، وهو يعني حكومة الله ، فمعنى (جمهورية النبأ العظيم) وفق المفهوم الشيعي ، هو جمهوريَّة حكومة الإمام عليّ بن أبي طالب -ع- ، ممثلة بأحد أولياء الله من نسل عليٍّ ، والذي أوْكلتْ إليه مهمة ، تأسيس دولة الله في الأرض ،

ويبقى الفيصل ، في صدق ما جاء به كل فريق ، هو الوصول لما أشار له تعالى ، من خلال مفاهيم المفردات القرآنية ، والتي ستناولها بالتفصيل المجزي لاحقا ، لأن مطلبنا هنا ، هو السلطة التشريعية ، وهي أعظم السلطات ، والوجه المُعبِّر عن نهج الخليفة ، وهي سبب اختيار الله لخلفاءٍ ، حدَّدهم بالذَّات وبالشَّخصيات ، وأشارَ لهُم بالخليفة الواحد ، للإشارة إلى النَّهج الواحد ، أيْ السلطة التشريعية الواحدة ، وليس لأنصار دولة الخلافة ، أن يعيدوا انتخاب خليفتهم الثاني ، بعد فقد الأول ، لأنَّهم باختيارهِم للخليفة الأول ، فقد اختاروا الخُلفاء التسعة ، ومن ثُمَّ الخلفاء الثلاث ، في المرحلة الثانية من دولة الخلافة .

المطلب الثاني

السّلطة القضائيّة والتنفيذيّة

كانت سلطة القضاء وتطبيق نصوص التشريع الإسلامي على الوقائع ، لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إذْ أنَّهُ استمدَّها من الله سبحانه بقوله تعالى : - (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) ﴿٤٨﴾ المائدة .

وكان منصب القضاء يتولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، في بادئ الأمر بنفسه ، لأنه المرجع الوحيد لتلقي الأحكام الشرعية فيما يحدث من المسائل ، فإذا شجر بين الناس نزاع أو عرض لهم حادث ، وأرادوا معرفة حكم الإسلام فيه لينفّذوه ، ذهـبوا من تلقاء أنفسهم ليحتكموا إلى النبي صـلى الله عليه وعلى آله ، إذ يحكم بينهم بما ينزل الله عليه من الوحي روى أحمد في مسنده عن أم سلمه هند زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنَّها قالت : -

((جـاء رجـلان يختصمان في مواريث بينهما ، قد درست ليس بينهما بينة ، فقال الرسـول إنكم تختصمون إلى رسـول الله وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته مـن بعض [أي أفطن وأقدر على البيان] .

وإنما أقضي بينكم على نحو ما أســمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شـيئاً فـلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ، فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما حقي لأخي ، فقال رسول الله -ﷺ- ، أما إذاً فقوما فأذهبا ، فلتقتسما ثم توخيا الحق ثم أستهما (أي اقترعا) ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه – فكان)) ،

باطلاع بسيطٍ وسريع على تفاسير أهل الشعث ، الذي لابد أن يبدأ بعبارة اختلف أهل التأويل ، ستكون على يقينٍ ، من أن تولي القضاء لا بد أن يكون من قبل النبي حصراً ، وإن من ينفّذ حكمه وقضاءه ، لا بد أن يكون مكلفاً من قبل النبي ، كما كلّف الله النبي بالقضاء ،

من المؤكد إننا في ظل مفهوم الدولة الحديثة ، والتي تتمتع بسلطات ثلاثة ، كل منها يمثل ركناً وثيقاً من أركان قبة العدالة ، وجزءاً من المنظومة الأمنية ، التي

توفرُها الحكومة لأبناء شعبها ، وتستطيع الحكومة ومن خلال هذه السُّلطات ، أن تفرض شخصيتها ونفوذها على مواطنيها ،
لكنك لو كنت في تماس مع هذه السلطات ، سترى أن جميع هذه السلطات هي سلطات تنفيذية ، فالسلطة التشريعية تقوم بسن القوانين ، ولكن تنفيذاً لسياسة الحكومة وتوجهاتها ، وليس لها أن تشرع ما ليس في مصلحة الحكومة ، حتى وإن رأتْ عدالة التشريع الذي تريد أن تقوم بإصداره ، أمّا السلطة القضائية فقيدها أشد وحدودها أضيق ، ولا يتمتع القاضي بأي مساحة لاختيار القرار ، وفقاً لما يراه من قرارٍ عادلٍ ، خاصة بوجود المدعي العام (وكيل النيابة) ، ومحامي الدفاع ومحامي الخصم ،
وكـل هــؤلاء يعلمون عـلم اليقين ، بما سـوف يصدره القاضي من قرار ، وبعكسه فيمكنهم وبكل سـهولة ، الطعن تمييزاً أو استئنافاً بالـقرار ، فـلا يغدو القاضي إلا مـذياعاً لإعـلان القرار المنصوص عليه في القوانين المقننة ، مع بحبوحة صغيرة أعـطاها القانون للـقاضي ، وهي الحـكم بأدنى العـقوبة أو بأقــصاها ، وحتى هذه البحبوحة مـشروطة ومـحددة ، بمـا نسميها بالظروف المـخففة أو المـشددة للعقوبة ، وخلو صحيفة المشكو منه من جرمٍ مماثل ،
وكل ما تقدم من الحديث عن السلطة القضائية ، لا نخاله بالأمر السيئ ، ففقهاء القانون لم يتوصلوا لهذه الآلية ، إلا لأنهم رأوا أن فيها ضماناً لتحقيق العدل ، إذ وصل عدد القضاة الآلاف ، وعشرات الآلاف في البلد الواحد ، ولا يمكن السيطرة على هوى كل منهم ، دون أن يكون هنالك ميزان واحد ، يحكم الجميع ويراهم بعينٍ واحدة ، حتى وإن كان هناك عدد من الضحايا ، نتيجة تطبيق هذه الآلية ، فيمكننا المحافظة على المستوى الأدنى للعدل ، وهو أن يُحكم الجميع بقانونٍ واحدٍ ، ويستمتعوا بذات الحقوق كافة ،
لكن هذا المستوى الأدنى للعدل ، لن نراه يَمُتّ للعدل بصلةٍ ، والعدل الذي سيأتي به الخليفة ، هو عدل الذرة التي لا تكون عليك ولا تكون لك ، وقيد الشعرة الذي لا يتجاوز عليك ولا يسمح لك بالتجاوز عليه ،
العدل الذي جاء به الرسول المصطفى ، وعلّمه لآل بيته والمقربين الذين ساروا على خطاه ، وما لنا من حادثة ودليلٍ على ذلك ، إلا بما قضى به الرسول وآل بيته ، واخترنا ذكر ما قد جرى ، في معركة النهروان ، تلك التي تعتبر أعظم حادثة على عدل القضاء ودقة التنفيذ ، فقد حكم أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب بحكم الله ورسوله ، ولم يخش لومة لائم ،

ففي شرح ابن أبي الحديد ((روى أبو عبيدة انّ عليا -ع- استنطق الخوارج بقتل عبد الله بن خبّاب فأقرّوا به ، فقال : انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة ، فتكتّبوا كتائب ، فأقرّت كلّ كتيبة بما أقرّت بها الأخرى من قتل ابن خبّاب ، وقالوا : ولنقتلنّك كمّا قتلناه ، فقال -ع- : والله لو أقرّ أهل الدّنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم ، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم : شدّوا عليهم ، فأنا أوّل من يشدّ عليهم)) ﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾ .

= ((فصل الخوارج : هم الذين خرجوا عن الدين ، بخروجهم على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -ع- ، وقد أنكروا عليه التحكيم الذي اضطرّوه إليه ، وكانوا ثمانية آلاف أو أكثر ، فاستدعاهم إليه ؛ ليذكّرهم بالله تعالى والدار الآخرة ، وليبيّن لهم خطأهم فيما رأوه ، ويزيل شبهتهم التي تشبّثوا بها ،

فأبوا أن يأتوه ، وكلّفوه بأن يقرّ بالكفر على نفسه ثمّ يتوب إلى الله منه ، ولمّا لم يأتوه أرسل إليهم عبد الله بن العبّاس ، فلم يأل جهداً ولم يدّخر وسعاً في الاحتجاج عليهم وتسفيه رأيهم بكلّ حجّة بالغة وبيان ناصع ....

وفيما احتجّ به عليهم ممّا يوجب رجوعهم إليه ، وفيما أنذرهم به إذْ أصرّوا على البغي من سوء العاقبة في الدنيا وفي الآخرة ....)) ﴿٦٢﴾ .

وهكذا فقد أفتى عليّ بن أبي طالب في أمرهم ، وقضى بشأنهم ، ومن ثم نفّذ ما قضى ، فلم يفلت من أحدٍ من العقوبة ، ولم يدان إلا بعد إقراره ،

ومن هنا نفهم سرّ قوله تعالى : -

(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ﴿٩٧﴾ التوبة .

فمثل هذا الواقعة ، تشرح لنا وتبيّن ، أسباب التنزيل **المستمرّة** ، فلو كنت قد اطلعت على ﴿ك.ك﴾ ، بخصوص ما جاء في أسباب غموض النصوص القرآنية ، حيث قُلنا إن آيات الله أزلية الإحكام ، ومستمرّة التفعيل ما استمرّت الحياة الدنيا ، وما يزال حكمها سارٍ على الأعـراب ، ممن يغلّبون القومية العربية على رابطة الدين ،

....

﴿٥٩﴾ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : [٢ / ٢٨٢] .

﴿٦٠﴾ - مستدرك الوسائل : [١٨ / ٢١٣ / ٢٢٥٣٤] .

﴿٦١﴾ - ميزان الحكمة ، ج{١}، محمد الريشهري ، ص[٧٣٦] .

﴿٦٢﴾ - موسوعة السيد عبد الحسين شرف الدين ، ج{٢} ، السيد عبد الحسين شرف الدين (اعداد منذر حكيم) - ص[١٠٢] .

ويرون تشريف أسيادهم من العرب ، على من يشرفهم الله -جل جلاله- ، من الأولياء ، ومن هنا نسأل ، لماذا لم تحدث مثل هذه الحوادث ، في حكم من سبقوا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين -ع-، وفي بعضٍ ممَّن جاءوا بعده ،
وربّما يظنّ النمطي بأنَّنا سنحاول ، تصوير الأمر لصالح نهج أمير المؤمنين -ع-، إذ أنَّ موالاتهم لمن سبقه عظيمة ، وتمسِّكهم بهم منقطع النضير ، ولكن لندع المنطق السلم يُجب عن هذا السؤال ، فما سيكسبهُ أمير المؤمنين -ع- ، من شنِّ الحرب على جماعات كبيرة ، من أجل شخص قُتل وزوجته (عبد الله بن الخباب) ، ألم يسبق أن قتل خالد بن الوليد ، مالك بن النويرة ، أو كما جاء في الكامل في التأريخ ، الجزء الثالث ص [٢١٧] ، إن من قتل مالكاً ، هو ضرار بن الأزور ، وخالد هو من تزوَّج بأرملته ليلة مقتله ، وجرت هذه الأحداث زمن حكم أبي بكر ، فلم يلمهُ حتَّى ، رغم اعتراضه على ما حدث ، إلّا إن عمر بن الخطاب ، أشار على أبي بكر ، بضرورة الإبقاء على خالد لحاجة الجيش إليه ، والانتصارات التي حققها لهم ، فهل تتوقع أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- ، كان ليعفو عن دم مالك ، لو حدث ما حدث زمن خلافته ،
وختاماً لمبحثنا هذا ، فإن السلطة التشريعية ، سيعود الخليفة لتمثيلها أولاً ، لإعادة ما شرعه الله حقاً ، ثم يعود لتمثيل السلطة القضائية ، لبيان ما قضى به الرسول المصطفى وآله الأطهار ، ثم يتولى السلطة التنفيذية ، لتنفيذ شرعه تعالى وقضاء الرسول الأكرم ، بعد أن يستقر حدود الشرع ، وتستقر الأحكام القضائية ، ونصل الآن إلى التعرف على ما تملكه دولة الخلافة من مقومات ومكونات ، بشكل يعطينا فكرة موسعة عن دولة الخلافة .

المبحث الثاني

مقومات دولة الخلافة

كما إن الخلافة من مقومات الخليقة ، فالخلافة ذاتها تحتاج إلى مقومات ، وهي ذاتها مكونات دولتها وأدوات خلافتها ، ولكنَّنا قبل أن نبحثها ، علينا أن نبحث في أسباب قيام هذه الدولة ، وأسباب القرار الإلهي بجعلها ، ولأجل ذلك سنبحث في :

الفرع الأول : كتاب الله وشريعته .
الفرع الثاني : الخليفة .
الفرع الثالث : علم الكتاب .
الفرع الرابع : الإعجاز والدعم الإلهي .

وهذه المقومات الأربعة ، تميِّز كل واحدة منها ، دولة الخلافة الإلهي ، عن باقي دول العالم ، ويلتقي علم الكتاب ، بالإعجاز الإلهي ، من حيث كونهما ، من خوارق الطبيعة ، إلا أن تدخل الملائكة في نصرة المسلمين ، يختلف عن قيام أنس عنده علم الكتاب ، بنقل قصر بلقيس من مكان لمكان ، وجاري الحديث عن كل هذا .

المطلب الأول

كـــتاب الله وشريعته

(وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هل يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) الأعراف .

لو حاولت أن تسير مع شخص مسافة طويلة ، فتُفاجأ ، إنَّهُ يمشي عكس اتجاهك ، فهل من الممكن أن تلتقيه أبداً ، حتى تدورا دورة كاملة حول الأرض ، هكذا هُم أصحاب التفاسير الخمسة ، آثروا المشي عكس الاتجاه ظنّاً منهم ، أنه الاتجاه الصحيح ، أو لغايات لسنا بصددها ، والنص في أعلاه كبقية النصوص التي يخبرنا الله تعالى ، عن أيامٍ قادمة ، لكنَّهُ تعالى ، ولأجل حفظ القرآن ، مما فعله أهل الكتاب قديماً ، أضفى **الغموض** والتشفير لآيات القرآن الكريم ، فكيف لا نكون على يقين أنه تعالى ، لو جاء بأي مفردة تتحدث عن خلفائه ، فما كان مصير القرآن ، إلا كمصير بقية الكتب السماوية من قبل ،

ولكي يكون السَّـادة القُرَّاء ، ممَّن لم يطلعوا على الكتاب الثاني ، عـلى علم بأسباب غموض النصوص القرآنية ، فقد ألحقناه مع مطالب أخرى في ملحقٍ خاص يأتيكم مؤخرة الكتاب ، ليتسنى الاطلاع عليه ، والتعرف على أسباب وحالات غموض النصوص القرآنية ، والتي ذكرنا أن من أهمها ، ما قام به الباري -عزّ وجلّ- من نقل بعض الآيات القرآنية ، من الكتب السماوية السابقة ، دون ذكر الأسماء والأخبار التي قام الأحبار والقساوسة بتحريفها سابقاً ، كيلا يقوم المشركون والمنافقون ، بفعل ما فعله أولئك الأحبار والقساوسة ، وبذلك يحفظ القرآن مما مرّتْ به الكتب السَّماويّة السَّابقة من تحريف ،

لكنه تعالى جعل الهدى لإدراك آياته ، وذخرها للمتفكرين والمتطهرين ، الذين لا تجرهم الغايات للابتعاد عن مقاصد القرآن الكريم ، إذ وضع فيه العلامات والإشارات ، لفك شفراته ، وهذا ما مرّ بنا عن قضية (علّم القرآن) ، ومن بين تلك الشفرات ، جمْعه بين يوم الظهور ويوم القيامة ، باعتبارهما أيام الله ، والأيام التي تنهي معالم الحياة الدنيا بهما ،

فيوم الظهور هو البرزخ الذي فيه ما ينتمي للحياة الدنيا من حيث زمانه ، وفيه ما ينتمي للآخرة ، وبالتاي فهو لا ينتمي بالكليّة للحياة الدنيا ولا للآخرة ، فحين نقول إنه يوم من أيام الحياة الدنيا ، فقولنا صادق وموافق للآيات والروايات ، كذلك حين نقول إنه يوم من أيام الآخرة ، بما يحمل من معاجز وآيات لظهور خلافة الله ، والقدرة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، لذا علينا الآن إعادة التمعن في الآية أعلاه على ضوء ما تقدم : -

(هل يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) الأعراف .

فإذا كان يوم تأويله هو يوم الظهور ، فلا يعني ذلك وجوب أن يكون الذين نسوه أحياءً ، لكي يقولوا قد جاءت رسل ربنا بالحق ، أي كثيراً ما يخبرنا الباري -عزوجل- ، بلسان حالهم ، سواء كان ذلك يوم القيامة أو يوم الظهور ، وسواء قالوه حقاً أم تعبيراً عن لسان حالهم ، لو أنهم شهدوا الظهور ، لأنه تعالى يكشف لنا عن حقيقة ما في ضمائرهم ، حيث إن المشرك والمنافق ، من المؤكد أنه سيكذب ويراوغ حتى يوم القيامة ، لذا فحين يذكر لنا قولهم بشكل مباشر ، يكشف لنا تعالى تدليسهم وعنادهم وهم في أشد ساعات الحساب ، كما جاء في قوله تعالى : -

(يَوْمَ يَقُـولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) ﴿١٣﴾ الحديد .

ولنعد لقوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

بداية فإن كل الباحثين تقريباً ، أجمعوا على أن (أو) تأتي بمعنى (بل) إذا ما جاءت لتخبر عن أمور غيبية ، لكنهم لم يلتزموا بهذه القاعدة في كثيرٍ من الآيات ، كقوله تعالى : أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ،

لأن الآية تعني بذلك ، أنتم ستقولون مات ، والحقيقة (بل قتل) ، وهذه الحقيقة قد تكشف لنا بعض الشخصيات الإسلامية التي نجلها ، ويتضح لنا أنهم هم القتلة ، كما حاول بعضهم ذلك مئات المرات ، أخطرها ما جرى في معركة تبوك من أحداث ، وفي مسجد قباء ، وما بعد رجوعهم ، من محاولات متعددة لقتله صلوات الله عليه وعلى آله ،

هذا وإن الآية التي نحن بصددها ، من الآيات التي لم يتم تفعيل قاعدة (أو) فيها ، لذا فالآية تؤكد على أنه ستأتي بعض آيات ربك ، (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) ، ففي هذا المقطع تأكيد لمرتين بخصوص يوم تأتي بعض آيات ربك ، بداية في (أو) التي قلنا عنها إنها (بل) للتأكيد ، والمرة الثانية بشرح ماذا سيجري يوم تأتي بعض آيات ربك ، من أنه لا ينفع نفساً إيمانها ، ولكننا نسأل ، ما نفع بيان مجيء الملائكة ، و(أو يأتي ربك) ، إذا كان هناك تأكيد على بعض آيات الرب ،

الجواب طبعاً بخصوصية الأمرين ، أي ستأتي الملائكة ، ولكن لن نراها كملائكة ، كما لم ير أي مسلمٍ الملائكة ، حين زودهم الله بآلافٍ منها في الحرب ، أو لربما يأتون كرجال ، كما أشار الله -جل جلاله- لذلك في قوله تعالى : -

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) ﴿٩﴾ الأنعام .

كذا بالتأكيد القول في (يأتي ربك) ، فلن يأتي حاشاه بكنهه ، بل سيأتي من يمثله ، ومن هنا قلنا إن (الرب) ، من الممكن أن تكون إشارة لمن يمثل الله من الملائكة والأنبياء والخلفاء ، وسيمر بنا الحديث عن ذلك ، هذا يعني أن الآية تحدثت فعلاً عما سيجري ، ولكن بالعلامات والإشارات ،

فتعال نرى سرّ اصرارهم ، على أن كل حديثٍ عن القادم من الأيام ، في الحياة الدنيا ، ينسبونه إلى يوم القيامة ،

يحدثنا الله تعالى ، عن كتابه الكريم في الآية ﴿٥٢﴾ ، وفي الآية التي تليها ، يخبرنا (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) ، بأن هناك يوماً ، سيأتي فيه تأويل الكتاب ، وهذا يعني ، إن هناك من سيأتي لتأويله ، لكن أهل التفاسير الخمسة ، نقلوا اجتهادات ، تخالف نهجهم الذي حاربوا معظم الفرق من أجله ، ألا وهو الأخذ بظاهر القرآن ، لكنهم هنا جاؤوا باستثناء ، ليجتهدوا بعيداً عن ظاهر القرآن ،

ذكر الطبري ص[١٥٧] : ((حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : يوم يأتي تأويله ، أي ثوابه {١٤٧٦١})) وعن حديث نقل عن قتادة حديث آخر ، ولكن بوسطاء آخرين : -

((حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر، عن قتادة : : يوم يأتي تأويله ، أي عاقبته {١٤٧٦٢} ، أمّا مجاهد فقال ((جزاءه)) ، أمّا ابن عباس فقد قطع كل طريق ، خوفاً من الرجوع لخليفة الله ، ويوم الظهور ، فقال : يوم يأتي تأويله ، أي يوم القيامة ،

فكيف تحول تأويل القرآن ، إلى ثوابه وعاقبته وجزاءه ، أما ابن عباس فهو المفاجأة ، فإذا قال إن تأويله تعني (يوم القيامـة) ، فأين الأخذ بظاهـر القرآن مما تقدم ، وإذا كانت تأويله تعني ثوابه أو عاقبته أو جزاءه ، فلماذا أشار لنا الله بقوله : (يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) ، فهنا يوضح لنا ، أن هناك تفسيراً للقرآن ، مقابل الندم ، حول حالة النسيان التي مر بها المنافقون ، أي فوجئ أولئك بالتفسير الذي نسوه من قبل ،

لذا فـهم عـلى عـلم بهذا التفسير ، لكنهم نسوه لأغراض دنيوية ، وحين يسمعون تفسيره ، يصادقون على مـا جـاء به رسـل الله بالحق ، وهم بالتأكيد خلفاء الله ، وعما قاله ابن عباس ، صراحة ، وما أشار له الجميع ضمناً ، من أن هذه الآية تشير إلى يوم القيامة ، لا إلى يوم من أيام الحياة الدنيا ، فلو قالوا ، إن تأويله هو تفسيره ، فمن المحال أن نعقل ، أن تفسير القرآن سيأتي يوم القيامة ، إلا أن يكون هناك يوم من أيام حياتنا الدنيوية ، سيأتي فيه تفسير القرآن ، و(يأتي فيه) ، أي يأتي من يقوم بتفسيره وتأويله ، وهذا يعني أن هناك جماعة من أهل القرآن ، سيكشفون زيف الكثير من التفاسير التي جاءت إلينا ، وهذا ما يخافونه هم وحكامهم ، ثم ما الحكمة التي يستشفونها ، من أنه تعالى أبدل ثوابه وعاقبته وجزاءه ، بتأويله ، فتخيل الكارثة الكبرى ، لو أن تأويله كان معناها ما قالوه في الآية :

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ﴿٧﴾ آل عمران .

لـضمنا مـقاعدنا جـميعاً في جـهنم ، أجارنا الله تعالى مما اتهموا الله به حـاشاه ، لأن المعنى سيكون ، وما يعلم ثوابه وجزاءه إلا الله ، ولا اعتراض من أن كل شيء من عند الله ولا يعلمه حقيقة إلا الله ، ولكن كيف لنا ألّا نعلم ثواب أعمالنا وجزاء أعمالنا ، والقرآن الكريم لم يترك من عملٍ ، إلا أشار بهذا جزاء ما كانوا يعملون ، ولا من عملٍ صالحٍ إلا أشار لأجره وجزاءه ،

وكتفسير لم يسبق له من مثيل ، قالوا بقولين لتفسير تأويله ، والأولى أي (تأويله) تختلف عن الثانية ، (هل ينظرون إلا **تأويله** يوم يأتي تأويلهُ) ،

، فتأويله الأولى فسَّروها بقولهم :

((يقول : إلا ما يؤول إليه أمرهم ، من ورودهم على عذاب الله ، وصِلِيِّهم جحيمه ، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به)) – الطبري – ص [١٥٧].

فيكون المعنى وفق تفسير قتادة ومجاهد – هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم ، يوم يأتي جزاءه ،

= وكي لا نهدر الوقت فيما راحوا إليه ، نقول بما أشار إليه تعالى صراحة ، بأنَّ يوم تأويل القرآن لقادم ، وهو يوم تفسيره وتفعيل كل آياته ، وهو يوم قيام القرآن بكل علومه وأحكامه ،

= تخيل معنا ، لو أن الرسول الكريم ، قال (إني تارك فيكم الثقلين ، عترتي آل بيتي ، وكتاب الله) ، فلن يكون منهم ، إلا الصريخ بما تكتمه صدورهم ، واتهام الرسول بتفضيل آل بيته على القرآن ، فالحق أن أهل القرآن هم أبدى من القرآن لإصلاح العباد ، لأننا لو فقدنا القرآن ، فهم حملتْ القرآن ، وحملت تطبيقه ، أمّا إذا فقدنا أهل القرآن ، فهذا هو حالنا اليوم .

مع ذلك فلا تذهب أذهاننا ، إلى أنه صل الله عليه وآله وسلم ، قال (إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي آل بيتي) خوفاً أو مجاملة لأحد ، لأن التطبيق العملي للحديث الشريف يقضي بذلك ، فيجب أن نتعرف على كتاب الله ، لكي نتعرف على النهج المطابق لخليفة الله ، ومن خلال ذلك نتعرف عليه ، بما إننا فقدنا المرشد الأعظم للدولة الإسلامية ، وغاب خليفة الله عنّا ، فما لنا إلا أن نفهم كتاب الله ، وخصوصاً ما جاء فيه عن خليفة الله ، وتصورنا لنهجه ، فمن يدعي أنه خليفة الله ، أو مرسل من خليفة الله ، فعليه أولاً أن يأتي بتأويله ،

فقبل أن ننتظر شروق الشمس من مغربها ، علينا فهم الإشارات التي وضعها الله تعالى ، لبيان كنه خليفته ، ومن هذه الإشارات ، ما جاء في نص الآيتين أعلاه ، وهو أنه سلام الله عليه يأتي بتأويل القرآن ، كما وإن علينا أن لا نثق بالمعنى الظاهر للروايات التي تحدّثت ، عن خروج الشمس من مغربها ، ونحن لنعجب خاصة من المؤمنين بالتفسير الباطن ، عدم اقرارهم باحتمالية الأخذ بالمعنى غير الظاهر للروايات ، فمثلاً أن يكون القصد من الشمس هي الإمام ، فيكون ظهوره في دول الغرب ، بدل ظننا بدول الشرق ، أو ظهور شمس الحقيقة من دول الغرب أو المغرب ، وهذا ما نراه في انتشار القنوات الفضائية ، حتى إن اختلافهم فيه حكمة ، بأن يكن لكل منهم لونه الخاص ومتابعيه ، فتزداد شمس الحقيقة ضياءً ونوراً ، كما ومن المحتمل أن تكون تلك القنوات هي الصيحة ، التي تفزع الفرق المنافقة ، ومن هم خدم للملوك وأهل الفساد ، لأن الحديث على أنها تأتي من السماء ، لا ينافي تلك القنوات الفضائية ، فكيف يمكن لأئمة الهدى توضيح الأمر ، للسابقين والذين يجهلون حتى أن يتصوّروا إمكانية الحديث مع كل العالم ، بطريقة متلفزة ، وقد استعرضنا لكم بعض من حديثنا في الجزء الثاني ، الخاص بيوم الظهـور .

المطلب الثاني

الخليفة

الخليفة : المقوّم والمكوّن الأهم في دولة الخلافة الإلهية في الأرض ، وهو من يتمناه بعض الخلق ، ولا يبالي به بعضهم ، فيما يرفضه ويحاربه بعضهم الآخر ، الأكثر عدداً والأكبر قدرةً ،

وبالعودة لقصة ابني آدم الّذين عُرفا باسم هابيل وقابيل ، فقد قَتَلَ قابيل هابيل رفضاً للخلافة والإمامة التي منحهما الله تعالى لهابيل دون قابيل ، ورغم أن هابيل ليس هو الخليفة الموعود إلا أن نهج قتل الإمام وعدم الاعتراف بخلافة الله على الأرض ، نشأ من هذه الحادثة ، لذا قال الله تعالى :

(مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) ﴿٣٢﴾ المائدة .

فمن قتل نفساً بغير حق ، سيسن سنة القتل ، حتى تصل لأنبياء الله وأولياءه ، بل وصلت حتى لناقة ، أرسلها الله لمنفعة عباده ، ولتكون آية لهم ، كما طلبوها هم ، وقوله الموجه لبني إسرائيل ، لدليل لا يقبل الشك مطلقا ، أن بني إسرائيل هم أول من سيكونون في عداء الخليفة ، كعداوة قابيل لهابيل ، وبما أن هذه الآية وهذا البيان ذكره الله في القرآن ، فبالنتيجة أن مِن أمّة محمد من سوف ينهجوا نهج بني إسرائيل ، وما نراه من تسفيه وعداء من قبل بعض المذاهب الإسلامية لشخص الخليفة ، لهو دليل على ذلك ، كما لا يشترط أن يكون العداء لشخص الخليفة بالذات ، بل لأنصاره والمؤمنين بحكومته ،

= نعرفُ الآن الكثير عن الخليقة ، ولا نعرفُ إلا القليل عن الخلافة ، بالرغم من أن الخلافة وجدتْ بأمر الله تعالى قبل الخليقة بألف أو ربما الآلاف من السنين ، ورغم أن الخلافة من أول وأهم المقومات الخاصة بالخليقة ،

فبمجرد أن تسبق الخلافة الخليقة بيوم واحد ، فهذا يعني أن هناك ألف سنة بينهما ،

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) ﴿٤٧﴾ الحج .

وسيمر بنا مفهوم اليوم الذي عناه الله كألف سنة مما نعرفه ونعده ، وذلك إثر دراستنا للخليفة ،

وقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة .

يشير لنا ، بما أطلنا الحديث فيه ، والذي نلخصه بنقاط كما يأتي :

﴿١﴾ - إن الخليفة من بني آدم ، استدلالاً لقول الملائكة (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدماء) ولقيام آدم بتعلم الأسماء التي أنبأ بها الملائكة .

﴿٢﴾ - إن الملائكة لم تك تحط خبراً بأسماء الخلفاء قبل أن يتم أخبارهم بذلك .

﴿٣﴾ - إن أي خليفة لا يتم تنصيبه إلا بقرار سماوي ، ويجب أن يكون قد سمي من قبل الله ، بدليل علم الله دون ملائكته ، في بادئ الأمر ، بأسماء هؤلاء .

﴿٤﴾ - إن كل حاكم حكم الأرض منذ آدم ليوم القيامة ، هو مغتصب لكرسي الحكم وسفاك للدماء ومفسد في الأرض ، ما لم يتم تعينه من قبل الله تعالى ، وكل أنبياء الله على علم بأسماء الخلفاء ، عن طريق أبينا آدم ، وهذا ما علمته الملائكة أيضاً ، بعد أن أنبأهم آدم بأسمائهم .

﴿٥﴾ - لم يسبق أن كان في الأرض خليفة ، قبل أمر تعيين الخليفة أو الخلفاء المشار إليه في الآية .

﴿٦﴾ - بموجب أمر الله بتنصيب خليفة له على الأرض ، فينبغي أن تكون الملائكة ، من أول الطائعين لهذا الأمر والممتثلين لأوامر الخليفة ، فقول الملائكة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك ....) يعني أنهم يشيرون لكيفية طاعة من يفسد فيها ويسفك الدماء ، أي كيف يا رب سنطيع من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي إنهم يطلبون خليفة يمتلك صفات الله في العدل والرحمة ، وهذا سر تدخل الملائكة في قضية الخليفة ، وهو سر اخبار الله للملائكة عن أمر جعل خليفة في الأرض ، وبالتالي فهو سر قيام آدم بإنبائهم أسماء الخلفاء ، كما هو سر سجود الملائكة لآدم ، وكل هذا قد عرضناه في الكتاب الأول والثاني .

﴿٧﴾ - إن هالة الغموض التي أحاطها الله سبحانه وتعالى حول أسماء الخلفاء ، وما ذكرناه في ﴿ﯖ ﯗ﴾ ، من أنَّهُ لا يوجد أي دليل على نبوة آدم ، إلا بقيامه بأمر الله أن ينبيء الملائكة بأسمائهم ،
(قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ﴿٣٣﴾ البقرة .
أي إن آدم ، قد أصبح نبياً ، لقيامه بموجب أمر الله بأن يُنبيء الملائكة ، بتلك الأسماء ، وهذه كلها أدلة على عظمة الخلفاء ، والمخاطر التي تحيط بهم من قبل أعداء الله سبحانه ، وخصوصاً أولئك المنتمون زيفاً للأديان السماوية ،
وكان من المفترض أن يخبرنا الرسول الكريم بأسماء الخلفاء ، كونه خاتم الأنبياء ، ونهاية لطرق التواصل مع الله عزوجل ، بل إن من المؤكد أن الرسول قد أبلغ أهل بيته ، ومن حوله من المسلمين بأسمائهم ، لكن المدلسين والمزيفين من خدم السلاطين ، حالوا دون وصلها لكل الفرق الإسلامية بشكل واضح وصريح ، وهذا ما يفسر لنا محصلةً سرية الحديث عن أسماء الخلفاء في النصوص القرآنية ، وسبب عدم وصول خطبة الرسول عن أسماء الخلفاء ، بشكل كامل ، بحجة أن الصحابي الذي سمعه ، لم ينتبه لبقية الحديث ،
رغم وجود المئات من الصحابة في المسجد ، الذي خطب فيه تلك الخطبة ، وسيمر علينا قريباً ، ولن نكتفي بالحديث عن أمر تنصيب الخليفة بما تقدم ، بل لنا عودة أخرى ، لنرى جوانب أخرى من قضية الخليفة ،
= في معجم المعاني الجامع ، نجد أن المعنى الفقهي لمفردة خليفة ، من يخلف غيره ويقوم مقامه ، وهو من ولي الإمامة العامة للمسلمين ، وهو بذلك يعد الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية ، أما اصطلاحاً ، فهو من تم تعيينه من قبل الله -جل جلاله- ، وهذا ما جاءت به الآية الشريفة .

المطلب الثالث

عـــــلم الكـــتاب

ذكرت مفردة كتاب في القرآن عدة مرات ، كان معظمها يدل على الكتب السماوية (القرآن ، التوراة ، الإنجيل ، الزبور) ، ولكن بعضها أشار إلى كتبٍ أخرى ، مر بنا بحث أهمها ،ككتاب ما كان وما سيكون ، وهو ما ذكرته الآية ﴿٢٢﴾ من سورة الحديد .

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي **كِتَابٍ** مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) .

وهذا ما قلنا عنه هو الدليل على أن الله يعلم بقدرته ، على أنه تعالى يخلق ما يشاء قبل أن يخلق ما يشاء ، ولكن ماذا عن ذلك الإنس الذي يعلم شيئاً من الكتاب ، واستطاع نقل عرش بلقيس بطرفة عين ، فيما لا تستطيع أحدث الآليات والصناعات الحديثة ، نقل غرام واحد كل هذه المسافة بهذه السرعة ، ومن المحال نقل قصر بهذه السرعة ولا بهذه الكيفية ، فهل سيملك الخليفة ، ما يملكه على الأقل ذلك الإنس ،

فنحن لا نقصد هنا كتاب الله والدستور الذي سيحكم به الخليفة ، ولا نقصد أيضاً الدعم الإلهي المُتمثِّل بالملائكة مثلاً ، والذي سنبحث فيه لاحقاً ، بل نقصد ما يملكه الخليفة من إعجاز علمي ، فالإعجاز الإلهي ، هو القوى الخارقة للطبيعة ، أمَّا الإعجاز العلمي ، فهو ما نطلق عليه الاختراع ، أي العلوم يميل للعلمية ،

ولمّا كان الخليفة هو أهم وأول من يجب معرفته في علم الخلافة ، فمن المهم التعرف على قدراته وصفاته ، فما عسانا أن نعلمه ونتعلمه من تلك القدرات والصفات ، من دون اللجوء إلى التخمين والتكهنات ، أو الروايات المختلفة والمتضاربة ، التي ادعت بعض المذاهب صحتها وأنكرتها مذاهب أخرى ، على أساس روايات أخرى جاؤوا بها ، ومن خلال منظارنا القانوني في قراءة النصوص القرآنية ، سنتعرف على الكثير من الروايات الصائبة والمغالطة ،

= يرتقي منصب الخليفة ، على كل المناصب والمراتب ، التي سجلتها القوانين الوضعية ، ونتمنى ألّا نكون بحاجة للتذكير ، إن ما نعنيه هو حجم المسؤولية ، أي التكليف وليس التشريف ، ولا داعي للتمسك بالقول ، إن النبوة هي أعلى مراتب الخلق للخالق ، فهي حقاً كذلك ، أمّا الخلافة فهو منصب تنفيذي ، أي هو وزير

الداخلية الذي يهابه كل الشعب ، فيما قد لا يكترثون للمشرع ، ولمجلس شورى الدولة ، كما يكترثون حتى للضباط والمراتب في وزارة الداخلية ،

وتعتبر الإمامة والتي هي ذاتها الخلافة ، المنصب الأعلى لدى المذهب الشيعي الإثني عشري ، ويليه ما يسمى بولاية الفقيه ، حيث يعتبرها الفقهاء ولاية وحاكمية الفقيه الجامع للشرائط ، والمرجعية الدينية المعبر عنه بالمجتهد ، في الأحكام الشرعية في عصر غيبة الإمام الحجة ، إذ ينوب الولي الفقيه عن الإمام الغائب في قيادة الأمة ، وإدارة شؤونها والقيام بمهام الحكومة الإسلامية ،

وإقامة حكم الله على الأرض ﴿٦٣﴾ ، وهذا كله يقتصر على الشيعة إذ تعترف بولاية الفقيه في عصر الغيبة ، فيما تنكرها معظم الفرق الشيعية الأخرى ،

وقد أرسى العلّامة الخميني في زمن قيادته للثورة ضد الشاه بهلوي ، دعائم ولاية الفقيه ، مما جعله رئيساً فعلياً للدولة ، دون الحاجة لانتخابات ، والخطير في الأمر ، إنه أصبح وكيلاً للخليفة ، دونما وكالة حقيقية منه ،

والحقيقة أنَّه يعلو مراتب كثيرة ، عن كونه رئيساً للدولة ، فسلطته ليست قانونية وحسب ، إنما سلطة روحي ، لا يمكن أن ينافسه من أحد عليها ،

ومع ما تراه من شأن عالي ومرتبة كبيرة للولي الفقيه ، فالخليفة ينبغي أن يكون أعلى من ذلك بكثير ، ولأجل الوقوف على صورة واضحة وجلية عن تلك المراتب التي اختص بها الله وحده بتوزيعها واسنادها إلى خلقه ، علينا معرفة ما تلك الدرجات ، وكيف لنا أن نتصورها ، ولا نعتقد أن القارئ بعد لم يصل للتعرف إلى تلك الدرجات ،

والآن كيف نؤكد على أن هذه الدرجات ، لا يمكن القول عنها بالتفضيل ، وعن فهمهم خطأً ، أن الإمامة هي أعلى من النبوة ، حيث فهم الكثير ، قوله تعالى : - (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ﴿١٢٤﴾ البقرة .

إذ ظن البعض ، أن منصبه تطور ، وارتفع مستواه من نبي لإمام ، بدليل الآية التي تبين نجاحه في الابتلاء ،

لكننا وكما سبق وان اوضحنا ، أن قوله تعالى يعني امتلاك إبراهيم **لأدوات الإمامة** ، كما لو أن وزير الخارجية ، أخذ دورة لتطوير إمكانياته في الشأن الداخلي ، ليصبح

....

﴿٦٣﴾ - العقيدة الإسلامية ، معنى ولاية الفقيه .

وزيراً للداخلية ، فهو بقي بذات المنزلة ، لأنه مهما فعل ، فقد وصل إلى المرحلة التي لا مرحلة من بعدها ، أي سيبقى وزيراً وإن اختلفت وزارته ، لكنه وبالتأكيد ستختلف واجباته ،

الغريب حين نجد تقسيما للإمامة والنبوة ، على أن الأخيرة من تعيين الله والأولى من تعيين النبي ، متناسين أن قيام النبي بتعيين الإمام ، أو أن يوصي بإمامة أحد ، فإن كل ذلك ، إنما هو كائن بأوامر من السماء ، وأن استنتاجهم هذا ، هدفه الطعن بمن أوصى الرسول له ، وكأنما يقولون إن النبي ينطق عن رغبته الخاصة ، إذ يقول تعالى في سورة الأنبياء : -

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} ﴿٧٣﴾ .

ويقول تعالى في سورة السجدة : -

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } ﴿٢٤﴾ .

ألا يكفي ما بينه الله تعالى في هذه الآيات ، لنفهم أن الإمامة لا يمكن أن تسند إلّا من قبل الله ، وبجعل من قبله ، فعلى أي أساس ، ندعو من هب ودب بالإمام ، ولنتمعن في الآيات الشريفة ، وكيف اختار تعالى ، الفعل جعل لتنصيب النبي أو الإمام أو الخليفة ، ومن خلال قوله تعالى : -

(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا **جَعَلْنَا** نَبِيًّا) ﴿٤٩﴾ مريم .

(**وَجَعَلْنَاهُمْ** أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) ﴿٧٣﴾ الأنبياء .

(قَالَ إِنِّي **جَاعِلُكَ** لِلنَّاسِ إِمَامًا) ﴿١٢٤﴾ البقرة .

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي **جَاعِلٌ** فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)﴿٣٠﴾ البقرة .

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ **جَعَلَ** فِيكُمْ أَنبِيَاءَ....) ﴿٢٠﴾ المائدة .

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا **وَاجْعَل** لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) ﴿٧٥﴾ النساء .

فماذا بعد كل ما تقدم ، لنفهم أن الخلافة والإمامة والنبوة لا تُنال إلّا بقرار إلهي ، وقد أوضح لنا الباري عزّوجل غير مرّة ، سبب اختياره لأنبيائه وأوصياءه وخلفائه ،

{ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى} ﴿٣٥﴾ يونس .

{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} ﴿٢٢﴾ الملك .

هذا بالإضافة لقول الملائكة ، وتحديدهم لصفات الخليفة ، على أنه لا يفسد ولا يسفك الدماء ،

وبعد كل ما تقدم ، نعود لنرى ما نتوقعه من علوم وعلامات سيحملها لنا خليفة الله ، وأول ما علينا تذكره ، هو خروج الشمس من مغربها ، فكل الأنبياء من أصحاب المعاجز ، الذين ذكروا في القرآن أو لم يذكروا ، لم يستقبلوا بمعجزة مثل هذه قط ، وبعد هذا الاستقبال المهيب ، يُفعّل خليفة الله ، أول علومه في ارجاع من انتظروه سنين حياتهم ، وماتوا قبل مجيئه الشريف ، ثم يخطب في الناس ويدعوهم ، ويكشف لهم ما زُيِّفَ وحُرِّفَ من القرآن ، وثم يظهر علومه التي قيل إنها سبعة أبواب ، لم ندخل نحن لحد هذا اليوم ، إلا من باب واحدة ،

وما نحن على يقين منه ، أن الخليفة سيمتلك كل معاجز الأنبياء السابقين ، الذين ذكرهم القرآن ومن لم يذكرهم ،

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) ﴿٧٨﴾ غافر .

فهو من وزعها عليهم ابتداءً ، وأعطى لكل نبي ما ينفع قومه من معجزة ، وهذا ما لا يمسُّ بعلياء الله ، لأن خليفة الله يجب أن يمثل عظمة الله في الأرض ، مثلما يمثل شرع الله وعدله ، وإذا كان وزير سليمان ، يعلم شيئاً من علم الكتاب ، فالخليفة يعلم علم الكتاب بأكمله ، ويحمل قدرة الكتاب بأكمله ، فليس بعد خليفة الله من مرتبة ، وليس بعد أيام الله من أيام .

المطلب الرابع

الإعجاز والدعم الإلهي

= تتحدث الأخبار التي نُقلتْ عبر سالف الزمان ، وعن طريق الكثير من الأديان عن المعونة الإلهية ، والمساعدات الإعجازية ، وفي الفرع السابق ، تحدثنا عن علوم الخليفة ، والتي هي بالتالي معاجزه التي يحملها إلينا ،
فلا يكاد يكون من فرق بين الفرعين ، إلا من خلال ماهية المعاجز ، كما تحدثنا عن إيماننا المطلق ، بأنه سوف يحمل معه كل معاجز الأنبياء ،
ولكن لِمَ لا نرى الخليفة إلا من خلال ما سيأتينا به من معاجز ، ولِمَ نتخلّ عن دورنا اتجاهه ، ونعلن عجزنا أمامه ، ومثلما قلنا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا ، فكأنما نقول للخليفة تعال أنت وربك لتنشرا العدل في الأرض ، بعدما ملأت ظلماً وجوراً ، إنا ها هنا قاعدون ، ولِمَ نظن أنه سيأتينا حتى باللوائح التنظيمية ، وكل القوانين التي تستوعب جميع مفاصل الحياة ، وإلى متى سنقف وقفة المتفرج على الروايات بأحداثها ، ونتوقع قيامها بالشكل الذي يرتئيه كل منّا ،
سياتي لنا من المكان المذكور ، بعد حدوث الحدث المشهور ، ومرة نراهُ على أبواب الظهور ، وإن الإشارات والعلامات كلها تحققت ، ومرّة نراهُ تأخّرت ، فنشكك في اكتمال تلك العلامات والمعاني التي تحملها ،
وسياستنا هذه ، أدت إلى امتلاك الكثير من الناس ، الحجج المختلفة للعزوف عن قضية السماء والنبأ العظيم ، وعلى أقل تقدير ، فهي حياة سنعيشها ، كما تحدثت كل أديان السماء عنها ، وليس من المهم ابتداءً ما اسمه وشكله ، وأي الروايات هي الأصدق ، ومتى وكيف ستتحقق ،
المهم هو أن يكون استعدادنا له ، كاستعدادنا للحياة التي نعيشها الآن ، أو كتحضيرنا للآخرة التي سنلتقي بها بعد الموت ،
والمهم أن أرسم دوري وأرى مكاني ، فإن أتت فقد نظمتُ عملي لدخولها ، وكنتُ من أسباب مجيئها ، كما سيمر بنا ، وإن لم تأتِ فلن يجعل الله علينا من لائمة ، كما لم يجعل الله على المحسنين من سبيل ، ولو أخذنا بالقول المتفق عليه في كل الروايات التي نقلتها الأديان السّماويّة ، والمنهاج الذي يتبعه الله مع عباده في مساعيهم ، فمن المؤكد أن من يرسم دوره في دولة الخلافة الإلهية ، لا بد أن يُبعثَ ليعيشها ، كما أن من يرسم دوره في جنة الله ، فسيبعث ليحيا فيها ،

وهذا وعد من الله حقا ، ومن أصدق من الله وعداً وقيلاً ،
وهذا ما نص القرآن عليه ، من جـزاء للعاملين ، لا للـمتأملين والراجين والداعين ، إن كان في أيديهم ما يقومون به من عمل ، وفي أذهانهم ما يخططون له ويبحثون لمشروع الله الأعظم ،
(وَالَّذِينَ آمـَنُوا **وَعَـمِلُوا الصَّالِحَاتِ** لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُـرَفًا تَجْرِي مِـنْ تَـحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) ﴿٥٨﴾ العنكبوت .
وقوله تعالى : -
(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) ﴿٧٤﴾ الزمر .
إن تأخر عيسى بالمجيء ، وولادة مريم العذراء بدلا عنه ، لم يكل بسبب احتمال قتله من المترصدين له من الرومان واحبار اليهود فقط ، بل لسبب أكثر أهمية ، وهو عدم جاهزية أنصاره ومحبيه ، لحمايته واستقبال المُخلّص الذي كانوا ينتظرونه بكل ودٍّ وشوق ، لقد كانت أمّة المسيح عيسى بن مريم شبيهة بنا اليوم ، إذ ظنوا أن الله سينزل الملائكة لحماية المُخلّص ، والنتيجة لاقت الصّديقة مريم العذراء ما لاقته من عذابات ، وحين جاءهم المُخلّص ، التفوا متفرجين على أقواله وافعاله ، حتى رفعه الله إلى السماء وحيداً ، دون أي مناصر ونصير ، إلا الحواريين الذين لم يتجاوز عددهم الإثني عشر رجلاً ، لقد ظنت تلك الأمة كما نظن نحن الآن ، أن الخليفة سيأتي لإنقاذنا من ظلم الظالمين ،
فنمتلك البحبوحة في العيش والرزق الوفير ، فلم نَجْهز ولم نتجهّز حتى بتصورٍ علمي بسيط ، نرى من خلاله الأدوار التي نأمل القيام بها ، حالنا في ذلك حال الظالم ، الذي ننتظر الخليفة أن يخلصنا منه ، فالظالم لم يتجهز لمجابهة الخليفة ، لعدم إيمانه بمجيئه ، فما سبب عدم تجهزنا نحن ،
وقد نرى في تمنينا والدعاء لله بظهوره ، لمن أعظم الأدوار ، لكنه دور غير مكتمل وغير كافٍ ، إلا للعاجز المقعد ، والمعاق جسدياً وفكرياً ، فما دام الفكر واليد ينبضان بالعطاء ،
فدولة الخلافة لها حاجة لكل إشارة والتفاتة ، تحتاج إلى الكلمة والعمل الصادق لبنائها ، وتحتاج إلى سماءٍ ومناخٍ مليء بالحب والمودة ، لا البغضاء والكراهية والحقد والحسد ، فهذه الأعشاب لا تنمو إلا بدولةٍ أرضها مليئة بالفساد ، ومن هنا يبدأ العدل بالانتشار ،

ليأتي الخليفة حاملا لواء ما فهمناه من العدل ، لا لواء الحرب على أعدائنا وإن كانوا أعداء الله ، فربما نحن السبب ببقاء هذا العداء ، في تصرفاتنا أو اهمالنا وتقصيرنا ، في نشر مفهوم العدل الإلهي ، وسيرته العطرة ،
أما المساعدة التي تقدمها السماء بشكل اعجازي ، فتتناسب طردياً مع العزم والإقدام للعنصر البشري ، فتوجد في حال قلة العنصر البشري ، وتختفي وتفقد في وجوده ، لكنها تزداد بازدياد إيمانهم ، وتقل بضعف الإيمان ، والأمثلة كثيرة وعلى مرّ الزمان ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) ﴿٦٦﴾ الأنفال .
(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) ﴿٢٥﴾ التوبة .

وهذه سُنّة الله في كل ما أنزله علينا من أمور اعجازية ، لذا نرى أن جيوش الملائكة التي تحارب مع المؤمنين ضد المشركين والكافرين ، بقيادة أنبياء الله تفوق عدد المشركين ،
لكننا لا يمكننا أن نرى تلك المساعدة ما لم يبرزوا لهم ، أي لا يمكن لنبي الله داوود ولا لرسوله محمد أن يخرجوا دون جيوش وإن آزرتهم أعداد كبيرة من الملائكة ، وذلك ليعطي الفرصة لاختبار عباده من جهة ، وليقيم ميزان عدله من جهة أخرى ،
كما نرى ذلك فيما مرّ على الصديقة مريم ، التي أُمرتْ أن تهز بجذع الشجرة لتأكل وهي حبلى ومقرب أتاها المخاض ، لكن ملائكة الله كانت تأتيها بالطعام وهي في مكان سكنها ، حين ضيّق سكان قدس الأقداس عليها سبيل تحصيل الطعام ، ليجبروها على ترك المكان ،
فلمّا رفع عنها الحرج بخروجها من قدس الأقداس إلى الفضاء خارج بناية قدس الأقداس ، وكان هنالك ما يجعلها قادرة على الحصول على الطعام بقدرتها الذاتية ، فعليها الآن أن تحصل على طعامها بنفسها ، وكالحادثة التي رويت عن أبي جهلٍ ، إذ أراد أن يضع قدمه على العنق الشـريف لـرسول الله -ﷺ- وهو يصلي ﴿٦٤﴾ .

....

﴿٦٤﴾ - وهذا ما جاء في التفاسير الخمسة للآية : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) .

وهذه إهانة كبيرة ، لا يرضى بها الله على رسوله الجليل ، وستكون ذات أثر شديد في نفس المؤمنين لو فعلها ، حتى لو قُتل المدعو بأبي جهل بعدها ، فلمّا عجز العنصر البشري ، تدخل العنصر الملائكي ، وعجز أصحاب الرسول لم يكن عجزاً بالقدرة أو ضعفاً بالإيمان لكن العدل الإلهي يقتضي ألّا يعاقب المجرم قبل القيام بجرمه ، ولا من فائدة في إنزال العقاب عليه بعد فعله كما ذكرنا ، فضلاً عن أن البعثة النبوية كانت بعد في مهدها ، ولو تعرضوا لأبي جهلٍ ، لكان أنصار أبي جهل لم يبقوا على أحدٍ من أنصار الرسول ،

وهذا عين ما حصل مع أصحاب الفيل ، الذين أرسل الله عليهم طيراً من الملائكة ، أو هم وفق تصورنا من الجن الصالح ، لتقذفهم بحجارةٍ من سجيل ، وتقضي عليهم نهائياً ، حين عجز من في مكة عن صدهم ، وهذا ما مرّ به موسى في عبور البحر هو وقومه : -

(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ﴿٥٠﴾ البقرة .

لكنّ موسى حين توجه لمجمع البحرين مع صاحبٍ له ، لم يُسمح له بفعل ذلك ، ولم يفرق البحر ليصل إلى الضفة الأخرى ، كما تدلنا الآية ﴿٦٣﴾ من سورة الكهف .

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) ،

نفهم مما تقدم ، أن التدخل الإلهي ، يأتي في انقطاع أو ضعف العنصر البشري ، كما أن التدخل الإلهي يجب أن يرافق التدخل البشري على ضعفه وعجزه ، أي إن التدخل الإلهي الذي تحدث عنه سبحانه في معركة بدر ، لم يكن ليحدث لولا خروج المسلمين فعلاً لقتال المشركين ، وهكذا هو المتصور حتى فيما يصيبنا من أمراض ، وهذا يعني أننا يجب أن نتناول الدواء أو نجري العملية التي من المتوقع أن تساعدنا على الشفاء ، ومن خلال الدواء والعملية يكون التدخل الإلهي ، ومن المؤسف أن الكثير من المسلمين يفهمون عكس ذلك ، لذا يرفضون إجراء العمليات مثلاً أو تناول العلاجات ، ظناً منهم أن الايمان بالله يملي عليهم عدم الركون لغير الله ، وأن العلاج أو العملية ، عمل يخالف مشيئة الله والتوكّل عليه ، فيرفضون الوسائل التي يمكنهم من خلالها تلقي العناية الإلهية ، ومسألة الأخذ بالأسباب التي أقرها الفقهاء المسلمون ، هي القاعدة الأساس لما نتحدث عنه ، وعليه فمن يرفض العلاج ، فإنه بالتالي يرفض العناية الإلهية ، لأنها غالباً لا يمكن أن تتحقق إلا بالتزامن مع التدخل البشري أو بالتأكيد بعد أن تعجز العناية البشرية

ويمكننا تمثيل المسألة كما في أسس الاستخارة بالقرآن ، فعلينا أولاٍ بذل العناية الفكرية والجسدية للوصول إلى الحل الأمثل ، وبعد ذلك استشارة أهل الاختصاص والمعرفة ، في المجال محل الاستخارة ، ومن ثم وبعد عجر السبيلين السابقين ، يمكننا اللجوء للاستخارة ، لأنه سبحانه يريد من عباده تفعيل نعمه ، التي وهبنا إياها ، وهي العقل والإرادة والطموح ، وما إلى ذلك من قدرات بشرية ، وكما أوضحنا من أن خروج جيش المسلمين في معركة بدر ، هو السبب في الدعم الملائكي ، ولو أنهم لم يخرجوا ، لما حصلوا على ما حصلوا عليه ، على ألّا يكون الركون للعلم يشعرنا بعدم أهمية التمسك بقدرة الله ، حتى مع وجود القدرة البشرية لما نحتاج إليه ، كما يجب أن يكون التمسك بالله عن طريق الطرق الطيبة والسبل المباركة التي يحب الله أن نأتيه من خلالها ، ونعني هنا شفاعة المصطفى وآل بيته ، وشفاعة الأنبياء جميعاً والصديقات الأربعة ، فكإنك تعطي لائحة طلبك إلى حبيب أو مقربٍ لله ، ليرفعه هو ومن خلاله لله ، وقد ظن الكثير من النمطية أن التوسل بالأنبياء والأوصياء أعمال تمس بعظمة الله ، أو أن تعطي عظمة الله إلى عباده ، فيما قال بعض فقهاء المسلمين ، على أن آدم توسل بالرسول محمد وآله الأطهار ليتوب الله عليه ،

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) ﴿٣٧﴾ البقرة .

جاء في القرطبي (وقالت طائفة رأى مكتوبا على ساق العرش – محمد رسول الله – فتشفع بذلك فهي الكلمات ، وأجمع فقهاء الشيعة على أن من توسل بهم ، هم أصحاب الكساء (فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها -صلوات الله عليهم أجمعين-) ،

ومن الطبيعي أن هذا القول لم يلقَ اجماع الفقهاء ، فنحن أشدُّ الأمم محاربةً لآثار نبيها وكراماته ، وطمس هالة القداسة التي شرفهُ الله بها ، فيما نسمع من المسيح ، عن كراماتٍ وزيارات يقومون بها حتَّى لحافر حمار عيسى ، ورهبانية ابتدعوها ، فإمّا افراط وإمّا تفريط ، وهذا هو الفرق بين أمّة موسى وعيسى -عليهما السلام- وبين أمَّة الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- ، وبقيت الأمة الوسط ، تتمثَّل بخلفاء الله وحسب ، وهذا ما نفهمه من سبب ، اختيار الله تعالى لخلفائه تحديداً .

المبحث الثالث

مكونات دولة الخلافة

مع أن الخليفة من أهم مقومات دولة الخلافة ، فهو أيضاً أهم مكوّن من مكوّنات هذه الدولة ، كما أنه ممثل الشارع -عزّوجلّ- وهو القاضي والمنفّذ لشرع الله في دولة الخلافة في آن واحد ،

أمّا من هم دون خليفة الله ، فهم من فئات مختلفة ، سنتناول الحديث عنهم بإيجاز ، هذه المكونات البشريّة لدولة الخلافة ، أمّا مكوناتها التي تحتاجها لكي يعترف بها كدولة ، فهي الإقليم الذي سيعيش عليه شعب الخليفة ، والتي سيأتينا الحديث عن في الجزء الثاني المختص بدولة الخلافة ، زمانيّاً ومكانيًّا ، ومن بعد ذلك ، تأتي الحكومة ، التي ستتألّف ابتداء من الخليفة ، ونائبه ووزراءه السبعة ، (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) ﴿١٧﴾ الحاقة .

والثمانية هم الوزراء ، والخليفة ليس هو الرب المذكور في الآية -جلّ جلاله- ، إنَّما الآية عنت عرشُ الرب ، ولم تَعْني الرب محمولاً ، لنقول إن الخليفة هو الرب -جلّ جلاله- ، فالثمانية وهم النائب وسبع وزراء ، ووفق الروايات الشيعية ، نستنتج أنهم من التسعة المعصومين من ذرية الحسين سيد الشهداء -ع- ، وتاسعهم الخليفة الذي يميّز بأنَّهُ عرش الرب ، أي ممثل الرب ومُمثِّل عرشهُ ، و(يحمل) بمعنى يرفع على عاتق الوزراء ، أي كحمل القضية وحمل الفكر المعيَّن ، وبذلك فهم جميعاً يحملون عرش الرب (أي التسعة) ، وهم جميعاً يُمثِّلون الله في شرعه وتطبيق شريعته ، فعليك أن تفهم الطامة الكبرى ، لو أنك واليت أحداً ، لا يمثّل منهاج الله ، كحكام الدولة الأموية والعباسية والعثمانية ، فأنت تجعل مثلاً ، من الحجّاج بن يوسف الثقفي ، ممثِّلاً لله وقائلاً باسمه ، فيكون كل ما قام به من سفكٍ للدماء واعتداء على الأموال والأعراض ، من ضمن منهاج الله -جلّ وعلا- ،

أمّا وفق روايات أهل الجماعة ، فلا نجد لهذه الآية تفعيل ، لذا قالوا إن هذه الآية تتكلم عن يوم القيامة .

المطلب الأول

أنصار وأعضاء دولة الخلافة

من واقع الروايات التي مرّت بنا ، وهي تتحدَّث عن يوم الظهور ، ومن سيرافق الخليفة من خلق ، يمكن إيجاد تصور عن أنصاره وأعضاء دولته الكريمة ، وهم دون الالتزام بتسلسل خاص .

الفرع الأول

خدمُ الخليفة

مرَّ بنا الحديث على أن أنصار الخليفة ، ينتمون إلى كل المذاهب الإسلامية ، والمذاهب لباقي الأديان الأخرى ، كما ينتشرون في كل أقطار العالم ، دون استثناء تقريباً ،

وهذا لا يعني أبداً ، أن الخليفة ينتمي بذلك لكل المذاهب والأديان ، بل إلى منهج ونهج فرقة معينة بالذات ، ومن أهمِّ علامات التعرُّف عليها ، عداء اليهود لها ومحاربة الكثير من المذاهب والأديان لوجودها :

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) ﴿٨٢﴾ المائدة .

أما قضية السواد الأعظم ، فسوف نتناولها بكلِّ اسهاب وسنرفضها لعدة أسباب ، إذ أنَّها تخالف الأسُس ، التي بيَّنها لنا الله مُنذُ أوَّل خلقه ، ولا يُمكنُّنا أن نعقل بأنَّ المذهب السلفي ، يطمح أن يكون ضمن الفرقة الناجية ، ولو كان كذلك ، فعلام خروج الخليفة ، والفرقة الناجية يتمتعون بالقصور والجزر السياحية ، وينفقون المليارات على القنوات الإباحية ، ويكفي ما يفعله أمراؤهم من مجون واستهتار بنعمة الله ، والتطاول على دول الجوار ، والتدخل في مصائر الدول المجاورة كافة

، ولصالح أمريكا التي اتخذت في أرضها قواعد عسكرية بموافقتها وترحيبها ، حتى وصل الأمر بهم إلى فتح صالات اللهو والقمار في الدولة المحمدية ،
فتخيل أن الخليفة يأتي لإنقاذ أهل القصور المنتشرة في مختلف أرجاء العالم ، وأصحاب اليخوت العملاقة ، وأصحاب مناجم ومحلات الذهب والماس ، يأتي لإنقاذ الفرقة ، التي فاضت بهُم الأموال ، إلى الدرجة التي راحوا يموّلون بها الإرهاب والمنظمات الإجرامية ، وإذا ما جاءهم صيفاً ، فعليه انتظار الفرقة الناجية ، لكي يعودوا من دول أوربا التي يصطافون فيها ،
أليس من العقل ، أن يسأل أصحاب المذهب الفلاني ، أو الفرقة الفلانيّة ، هل نستحق فعلا أن يأتي الخليفة لينقذنا ، لابل هل في أصحاب الفرق المترفة ، من يُفكِّر أو يدعو الله ليظهر خليفة الله ، وعلامَ ولماذا ،
فمن المفروض أن ما يقوم به الخليفة ، من عدل وإنصاف ، ليضمن لكلِّ شخص إنسانيته وكرامته ، وهي الحجة الملقاة على كلِّ الأمم ، ليتعرفوا على عدل الخالق ، ويتعرفوا على وجوده ، من خلال منهاجه ودستوره السامي ، فلا يمكن التعرف على منهاج الله إلّا من خلال منهج أنبياءه ونهج أوصياءه وخلفاءه ،
وبعد ما تقدَّم نُكرِّر شعارنا الذي نتمنى أن يكون قد ترسَّخ لدى القارئ ، وهو أن علينا أن نرى الأنبياء والأولياء ، من خلال وظائفهم لا من خلال منازلهم ، لأنَّنا بذلك من الممكن أن نرى الملائكة منزهين عن خدمة بني آدم ، ولكن الحقيقة أن خدمة الملائكة لبني آدم ، هي من وظائف الملائكة دون المساس بمنازلهم ، وعليه حينما نقول إن من خدم الخليفة ، آلاف وآلاف من الملائكة ، فكلامنا يقوم على ما عهدناه من منهاج الباري -عزّ وجلّ- ، إذ يعزز الصابرين من المؤمنين برهط من الملائكة يتناسب مع قوة إيمانهم وصبرهم ، ولا داعي لإعادة حديثنا عن هذا الشأن ، وقد يكون من المناسب الاستشهاد بالروايات الشيعية ، التي لم تترك شأناً من شؤون دولة الخلافة ، إلا وتحدثت عنه ، من خلال أئمة الهدى من ولدي عليّ وفاطمة -عليهما السلام- ،
((عن الباقر -عليه السلام- ، قال : كأني بالقائم -عليه السلام- على نجف الكوفة ، وقد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة : جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه ، وهو يفرق الجنود في البلاد)) ﴿٦٥﴾ .

....

﴿٦٥﴾ بحار الأنوار - العلامة المجلسي .. ج {٥٢} ، ص [٣٣٧] الارشاد ، ص [٣٤١]

وهناك من البشر من هم أنصار الخليفة وأصحاب مناصب في حكومته ، فلا يعني أبداً أن منازل البشر من أنصار الخليفة وحلفائه ، تعلوا على منازل الملائكة ، فلكلٍّ منهُم دوره ووظيفته ، بما أن هناك من الخدمات التي تقوم بها الملائكة ، لا يتمكن أحد من البشر القيام بها ، وهذه علَّة الوظيفة والخدمة ، التي تقوم بها الملائكة ، فالملائكة حاربت مع المؤمنين ، وسارت مع لوط والمؤمنين خارج البلدة ، وأتت لمريم بالطعام ، وجاءت مرّة لتبشّر إبراهيم بالغلام فقط – سورة الذاريات : -
(فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)

تخيل وأنت تقول عند مقام النبي ، أو أحد من الأولياء ، أنا عبدك وابن أمتك ، يستهجن الكثير هذا القول على أساس أنه نوع من أنواع العبادة ، فهل سألوا هؤلاء أنفسهم ، ما الفائدة المُرجاة من أن أقول للنبي ، أنا عبدك وابن عبدك ، إلَّا بأن أوضح بأني متبع له اتباع العبد للسيد ، فهل أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم أم لتعبد آدم عبادة الرب ، فالسجود هو خدمة آدم وذريته كما أوضحنا ﴿ع﴾ ، لا عبادته ولا حتى طاعته ، وهكذا قدّمنا لكم صورة ، عن خدم الخليفة وجنوده ، وهما نوعان من الملائكة ، والنوع الأول رافق الخليفة منذ تولّيه الخلافة مروراً بظهوره ، أما النوع الآخر فسوف يرافقونه ساعة ظهوره حتى استشهاده ، فهل نتوقع أن هنالك خدم للخليفة من الإنس والجن ، بما أنّهم من جنده ،
الجواب : نعم من الجن ، هناك الكثير من الخدم ، أمّا من الإنس فلا ، لأنَّ معنى الخدم هنا ، أن يقوم الخادم بتحقيق ما يخدم الخليفة وأنصاره ، ويعد عملاً خارقاً إذا ما قورن ، بأعمال أنصار الخليفة من بني البشر ، وطبعاً لو تحدثنا عن خدم الخليفة من بني البشر ، فإمّا نحن نعني كل أنصاره ، أو من يعملون بخدمة التنظيف ، وبهذا فلا داعي من مناداتهم بالخدم ، بما أنهم أنصار ، مهما اختلفت أعمالهم ، كما وإن الخدم من الملائكة ، هم من واكبوه ، منذ بداية الأمر الإلهي بجعل خليفة ، حتى آخر يوم ، من أيام خلافته سلام الله تعالى عليه ، وهذا ما لا يصدق على بني آدم ، أمّا بالنسبة للجن ، فقضية بدء خدمتهم للخليفة ، لا يمكننا الجزم بتحديدها ، لأننا لا نعلم الحال الذي هم عليه ، ولكن يمكن القول بأنهم سيبدؤون نصرته مع بني آدم ، ورُبّما بعدهم ، لما أشارت له النصوص القرآنية ، من أن الجن يسمعون ويتعلمون من بني آدم .

الفرع الثاني

وزراءُ الخليفة

للخليفة سبعة وزراء ونائب واحد ، يمثل النائب الخليفة تمثيلاً كلياً في حال أرساله من قبل الخليفة إلى جهة أو بلد ما ، ليس بوصفه سفيراً ؛ بل ممثل لخليفة الله ، وهو من سيكون خليفته بعد استشهاده ، فيما يعتلي أحد الوزراء السبع مقام النائب : -

(وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) ﴿١٧﴾ الحاقة .

ويمكننا الاستنتاج وفقاً للرواية الشيعية ، فيكون وزراء الخليفة من الأئمة الإثني عشر ، وكذلك النائب ، يتناوبون في خلافة الأرض بعد استشهاد الخليفة الأول ، حتى ينتهي حكمهم جميعاً بتسع فترات رئاسية طويلة الأمد ، وهذا ما وعده الله لخلفائه من وراثة الأرض ، وهكذا نحن نرى الأمر مع أن الروايات الشيعية لم تسلط الضوء قط ، على هذا التسلسل ، وكأنَّهم بالكاد يريدون أن يقتنع المقابل بالخليفة الأول ، ولنعد بالحديث شيئاً ما ، إلى ما ذكرنا سابقاً (ﷺ) ، وهو أن حياة الخليفة التي يعيشها في شدة العبادات مثلاً ، تنتقل بشكل تلقائي لابنه ، وكأنما قام بها مع أبيه ، وهذا منطق علمي وليس بالفلسفي ، فما يقوم به الآباء من تصرفات ، تنتقل عبر الجينات إلى نسلهم ، فما بالك بالجينات الطاهرة المطهرة ، التي تم تزكيتها من السماء ، وبناء عليه فإن الخليفة الثاني عشر ، قد مر بأحسن العبادة كما مرّ بها علي بن الحسين زين العابدين ، وأعظم العلوم ، كما مرّ بها محمد بن علي الباقر ، وهكذا حتى آخرهم -عليهم السلام- ،

وفي عصر الخلافة ، سيمر بالآباء ما مر بالأبناء ، فحين ينوب الحسن العسكري عن ابنه المهدي ، فسيمر بالمرحلة التي مر بها المهدي من ولادته حتى غيبته الكبرى ، فيتأهل لخلافة الأرض عوضاً عن المهدي ، بعد استشهاده ، وهكذا ، حتى نصل إلى زين العابدين ، الذي سيمر بالمراحل الثمان التي مرت على أبناءه ، وبذلك يتهيأ **وظيفياً** لقيادة الأمة ، خلفاً أخيراً لكوكبة الخلفاء الراشدين المهديين الأولى ، أما الكوكبة الثانية ، فسنتناول الحديث عنها في أجزاء قادمة ، لأن كل المعايير التي ذكرناها ، ستختلف تماماً ، فهذه الكوكبة ، حلّتْ في بيت النبوة

وموضع الرسالة ، وخالطت الرسول المصطفى -صلوات الله عليه وعلى آله- ، والبتول فاطمة الزهراء -عليها السلام- ،
وبذلك يكون للأبناء أن يمرُّوا بما مر به أباؤهم ، ولنا تفصيل مطوَّل عن كل ذلك ، ولا ننسى أن نذكر ، أنه بعد استشهاد الخليفة الأول ، سيتم ارتقاء أحد أنصار الخليفة ، ليشغل منصب الوزير ، عوضاً عن الوزير الذي ارتقى منصب النائب ، وهكذا حتى يكون للخليفة التاسع ، سبعة وزراء من أنصار الخلفاء ، إن لم يكونوا من أبناء الخلفاء أنفسهم ، وعلى أقل تقدير ، فهؤلاء من أصحاب الرجعة ، وهم من عظماء المؤمنين الأوائل ، فيما يتولى الخليفة العاشر ، منصب النائب عن الخليفة التاسع ، وتبدأ بعد ذلك بوفاة الخليفة التاسع ، حكم الكوكبة الثانية ، والتي سيكون رحيلها ، أوَّل علامات يوم القيامة .

الفرع الثالث
جيشُ الخليفة

وهم القاعدة العريضة من أنصار الخليفة ، والمستميتون لنيل الشهادة بين يديه ، والذين يفتخرون بوظائفهم الجديدة ، وهم ثاني الصّدّيقين لخليفة الله بعد أهل الرجعة ، والزند الرابع لدولة الخلافة الإلهية ، بعد الخليفة ووزرائه وحكامه من أهل الرجعة ،
كما أن قادة الجُند ، هم أيضاً من أصحاب الرجعة ، وبشكل حصري ، في بداية تأسيس الجيش ، وفي بداية تكوين الدولة الجديدة ، ورغم بعض الخسائر في أعداد الجيش ، لمَا هو متوقع من العدو من استخدامه لأسلحة متطورة وفتَّاكة ، وبعد تعزيز السماء لجيش الخليفة ، ستحسم المعارك لصالح جيش الخليفة ، وتتشكل الجيوش تلو الجيوش لمناصرة الخليفة ، ومن الطبيعي أن نحتسب الملائكة من جند الخليفة ، سواء كان تدخلهم مباشر ، أم عن طريق نصرة الجند من بني آدم .

الفرع الرابع

أصحابُ العَهْد الأخير

وهم جماعة ليست بالقليلة قياساً بأنصار الخليفة ، من التائبين قبل الظهور بسنين ، أو أشهر أو أيام أو ساعات أو لحظات أو أقل من ذلك ، لكنهم اختاروا ركب الخليفة ، قبل أن يعلن الخليفة قدومه ،
الآية (لا ينفع نفس ايمانها ....) ، قد تناولنا البحث فيها ، وقلنا إنها تخصّ المعاندين والجاحدين حصراً ، ولا تخص من ضللوا أو لم يعلموا بالحق حقاً ،
ورُغْـمَ أنَّهُم من أصحاب الذنوب الذين هجروا ذنوبهم قبل أن تهجرهم هي ، إلّا أنَّهُم من أكثر الأنصار اندفاعاً للعطاء والتضحية ، وربما كان حياؤهم من الله وخليفته ، على ما ارتكبوه من الذنوب ، تدفعهم للاستهانة بكل شيء يقدمونه لله ولخليفتهم ، وهم الأوفر حظاً من الذين فاتهم الميعاد ، لكنهم الأقل حظاً من أصحاب العهد الأول والثاني ، مع هذا فإن منازلهم لا تتأثر بهذا الأمر ، فدولة الخلافة تعامل أنصارها على أساس كفاءتهم ، فيما يخوّل لهم من أعمال ، وعلى أساس تلك الكفاءة يحرزون منازلهم في الدولة .

الفرع الخامس

أسْرَى الخليفة

أسرى الخليفة : ليسوا من أعداء الخليفة ، الذين وقعوا أسرى في المعارك ، بل هم جماعة كبيرة ممن يحاولون الانتماء لأنصار الخليفة ، ولكن أسرتهم الذنوب عن الالتحاق بركب الخليفة ، أي إنَّهم ورغم حبهم للالتحاق بجيش الخليفة ، لكنَّ ما قاموا به من آثام وذنوب مختلفة ، شلّت أقدامهم على أن يكونوا في صدارة أنصار الخليفة ، وبذلك فهم المرحلة الأدنى من أصحاب العهد الأخير ، رغم أنهم أفضل منهم ، كونهم ممن يؤمنون بدولة الخلافة ، منذ أول حياتهم ، ولكنَّهم الأدنى من حيث كثرة ذنوبهم ، ومثلهم قريب جداً من المرجئة ،

وبالرغم من أن هناك أعداداً ليست قليلة منهم ، ستعيش في دائرة حكم الخليفة ، وفي حدود دولته ، لكنَّهم مقيدون جميعاً بأمر الخليفة ، بعدم انخراطهم ضمن الجيوش المحاربة ، ومع ابداء الندم وإظهار التوبة ، تنفرج لهم شيئاً فشيئاً ، سبل الدخول لمرضاة الخليفة ، من خلال تقديم ما يعزز حكومة الخليفة ، من فكر وعمل وعلوم ، والتضحية حتى بساعات النوم والراحة ، حتى لتجدن أحدهم كالآلة التي تعمل ليل نهار ، دون راحة واستكانة ، لينالوا شرف الوصول ، لما يطمحون إليه ، بعد أن أوقفتهم ذنوبهم بعيداً عنه ، والأشد خطباً من كل هؤلاء ، من تحول المصالح والمناصب من أن ينصروا الإمام ، وهم أعلم الناس بظهوره ، وأكثرهم حديثاً عنه وعن وجوب التمسك بولايته ، وهذه الاحداث مستوحاة من قوله تعالى : -

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ﴿٢١﴾ الحشر ،

حيث وجدناها في سير الأنبياء ، وخصوصاً سيرة الرسول الكريم محمد بن عبد الله ، لما فيها من أحداث موثقة بشكل مفصل ، ما يرينا المستقبل في أيام الظهور ، ولو سألت عمَّن تجعله المصالح والمنافع يتخلى عن المضي مع الخليفة ، فعليك أن ترى ما فعله أهل الكتاب ، إذ كان لساداتهم علم اليقين بظهور خاتم الأنبياء ، وكانوا يشتاقون ليوم لقائه ، ويحرصون على الالتحاق به ساعة السماع به ، لكنّ مطامعهم من جهة ، وأحقادهم عمن يرونهم أقل منزلة منهم عند الله - إذ أصبحوا من المقربين لنبي الله - من جهة أخرى ، حال دون ـ حتى ـ أن يقرُّوا لـهُ بالنبوة ، بل وصل بهم الأمر لمحاربته ، والتآمر ضدَّهُ ، ابتداءً من الأيام الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية ، على يد الرسول المصطفى إلى يومنا هذا ، أي نحن نتكلم على ما يزيد عن أربعة عشر قرناً ، وهذا بالضبط شأن من يدّعون مناصرتهم للخليفة ، والايمان بدولته ، كما أن من قريش ، من خذلته شهواته وادمانه الخمور ، على أن يفتح بصيرته ، أو أن يترك حياة اللهو ، مع كونه رُبَّما يعتقد بالإله الواحد ولا يؤمن بالأصنام ويرحّب بالعدل ، فلا يمتلك كل الناس ، تلك الإرادة ، التي تدفعهم لمخالفة الهوى ،

ولا نتوقع أن أسرى الخليفة ، سيتوجهون مباشرة للتوبة ، واللجوء لكهف الدولة الإسلامية الجديدة ، أو حتى الثبات على ايمانهم وتوبتهم حديثة العهد ، فمن المقبول جداً أن نتوقع من بعض أسرى الخليفة أن يهجر دولة الخلافة ، فيتحولوا بموجب تصرفهم هذا إلى معتزلي لدولة الخلافة ، لتفضيلهم حياة الهوى واللهو ، على حياة المحن والجهاد .

الفرع السادس

الطُّلقاء في زمنِ الخليفة

تعرّفنا فيما سبق على فئات مختلفة من الفئات البشرية ، التي ستضمهم دولة الخلافة ، فيما سيسمح لقسم آخر بدخول الدولة أو البقاء فيها حيث هم ، وهم الطلقاء الجُدد ، وهم من لم يجهروا بالعداء ، فعلاً أو قولاً ، ولكنّهم لم يؤمنوا قط بدولة الخلافة ، ولم يدعوا الله بظهور الخليفة ،
ولنقف على معنى الطلقاء ، ذلك بان بعض الفرق ، قامت بتقديس شخصيات الطلقاء ، وعليه فقد فُهِمَ أخطأ معنى الطلقاء ، الذي عناه أمر الرسول الكريم ،
= الطلقاء هم مجرمو الحرب وألدّ الخصام ، الذين أعطي لهم الأمان للعيش في الدولة الإسلامية ، دون التعرض لهم ولعوائلهم ، ومحاسبتهم على ما بدر منهم من جرائم ، هذا هو بالضبط مفهوم الطلقاء ، ويماثله في الوقت الحاضر ، كل المجرمين الذين يصدر بحقهم العفو العام ، من مرتكبي جرائم القتل والسطو ، فيما توهم الكثير على أنهم بذلك أسلموا ، وأصبحوا المثل الذي يحتذى به في التوبة ، وأحب الكثير تلك الشخصيات ، لأن الكثير منّا من يشتهي التوبة ، بعد أن يعيش حياة الفساد والرذيلة ، فيما أبغض هؤلاء وغيرهم الشخصيات التي تحدث التأريخ عنهم وعن صلاحهم ، منذ نشأتهم الأولى حتى دخولهم الإسلام ، ولم نَجـد مثالاً على ذلك أفضل من شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- ، فكون وجهه مكرّماً من السجود للأصنام ، ونسبه من أشرف الأنساب ، وتربى على يد الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله- ، فكل هذه المزايا هي منغصات على الكثير والقليل من صحابة الرسول والتابعين ، لا بل والمعاصرين كذلك ، ولمّا كان النبي خالياً من رجس الوثنية والجاهلية ، ولأنَّهُ نبي مسدَّد من عند الله -جل وعلا- ، كان لهم أن يتقبلوا طهارة شخصه الكريم ، أمّا أن يكون هناك من لم تنجسه الجاهلية بنجاساتها ، ولم يحرك رأسه للسجود للأصنام ، بل حرّك يده لهدمها ، وما هو بنبي ، فهذا هو الشرف الذي لم ينله الجميع تقريباً ، فيما كان يجمع الصحابة الآخرين ، الماضي المشترك بالإشراك بالله وعبادة الأصنام ، حتى مرَّ الزمن لتولد الأنسال الجديدة من أبوين مسلمين ، وكي لا نبتعد عن الموضوع كثيراً ، فإن الطلقاء الأوائل يعتبرون الفئة الأشد بُعداً لعلي ابن ابي طالب ، فإن افترضنا إيمان أحدهم ، فهم بذلك آخر

من آمن من المسلمين ، وهم أول من حاربوا الرسول ، وسيمر بنا كيف أنهم خذلوا الرسول في غزوة حنين ، وما خذلوا إلا أنفسهم لو كانوا يعلمون ، والمتمعن بشكل دقيق على أحداث تلك الغزوة ، سيفهم جيداً أن الطلقاء أشبه بالخلايا المعادية النائمة ، والتي تَنْشَطْ في فترات انكسار الجيش والمحن ، التي تمرّ بها الدولة المحمّديّة ،

وربما من المفاجئ للقارئ العزيز ، أن نقول إن مفردة يا ابن الطلقاء كانت تعد شتيمة ، فهي تعني يا ابن المجرمين ، وهؤلاء المجرمون كان إجرامهم فوق الإشراك ، أي بالإضافة لكونهم من المشركين ، فإنهم حاربوا المسلمين وقتلوا المئات منهم ، ومثلوا بأجسادهم الطاهرة ، كتلك التي أكلت كبد العم ، الحبيب للرسول المصطفى ، وذاك الذي حاول التمثيل ولم تسنح له الفرصة ، وهم جميعاً ممن فرضوا الحصار على المسلمين في شعب أبي طالب ، حتى فقد الرسول أم المؤمنين خديجة الكبرى ، وكافل المؤمنين أبي طالب عليهما سلام الله ، ولكن لا وجود للطلقاء بهذا المفهوم في دولة الخلافة ، لأن الذي أجرم بحق دولة الخلافة ، سيحكم بالقتل آجلا أم عاجلاً ، أمّا الطلقاء الجُدد ، فهم كما أشرنا لهم ، لم تصدر منهم ما يمس بدولة الخلافة قولاً أو فعلاً ، وقد منعتهم القوى القاهرة لإعلان إيمانهم والكسب في إيمانهم ، فمنهم من سيبقى رهن الانتظار ، فيما ينال بعضهم العفو وتقبل منه توبته ، وربما ينال شرف خدمة دولة الخلافة الإلهية بعد ذلك .

الفرع السابع

عُمّال الخليفة وسُفراؤه

عمّال الخليفة ، هم الحكام والولاة الذين ينصبهم الخليفة على مدن ومقاطعات الدولة ، وربما أصبحت هذه المدن بتوسع دولة الخلافة ، يزيد مساحتها عن مساحة الدول الكبرى المعروفة حالياً ، أما السفراء فهم من ينصبهم الخليفة لتمثيل دولة الخلافة عند باقي الدول الصديقة أو المعادية ، أو التي على الحياد أو التي ترتبط مع دولة الخليفة بمعاهدات في شتى المجالات ، وكل هؤلاء ، من العمّال والسفراء ، سيكونون حصراً من أبناء الرجعة ، لما يمتلكونه من معرفة تامة بنهج الخليفة ، وما يمتلكونه من حسن الأداء والثبات على سنة الله ورسوله ، مهما بدر من المقابل من استماتة في تحقيق غاياته ، واختيارهم يعود ، لما حققوه في حياتهم السابقة ، من استبسال وإصرار ، استحقوا بموجبه ، أن يدخلوا الجنان مرتين ، ويمثلوا ورثة الأرض الطيبين الطاهرين ، ومثلما ستتاح لهؤلاء الفرصة لاعتلاء المناصب الوزارية ، كما ذكرنا ، فستتاح لأنصار الخليفة المتناهين في الإخلاص ، أن يدخلوا شيئاً فشيئاً لاعتلاء الحكم والتمثيل الدبلوماسي بوصفهم سفراء ، بعد أن يحلّوا بدلاً عن أصحاب الرجعة ، بوصفهم قادة عسكريين ، ويعتلوا المناصب القيادية .

= **في** الخطوة السادسة عشر ، سنسلط الضوء على شعب الخليفة ، بشكل يكمل الصورة ، التي عرضناها لكل ما تقدم من سكان دولة الخلافة .

المطلب الثاني

القائم بأمر الله -عز وجل-

لا يسعُ المخلوقات من الإنس والجن ، الرفض أو القبول لوكلاء الله من الملائكة ، الذين وكّلوا بأعمالٍ ربّانيّة ، كقبض الروح وبثّها وتوزيع الرزق ، لكنّهُم بشأن من يتوكّل عن الله في حُكم الأرض ، يماطلون منذُ عصور ودهور ، بسبب كون الحكم مما يصبون إليه ، أو ربما كما قلنا ، لكون الوكيل من قبل الله من بني البشر كما ذكرنا ، أو الأصدق بسبب الأمرين معاً ،
(وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) الزخرف .

وهذا ما سيسبب تعزيز الخلافة ، من قبل القوى السّماويّة ، ولملمتْ المناصرين لها ، حتَّى ممَّن ماتوا وهم يترقبون بزوغ شمس العدل الإلهي ، وبدون ذلك التعزيز لن نرى من قيامٍ لدولة الخلافة ، عند بني آدم حتى تقوم الساعة ،
وعن قضية عودة الأموات ، وما تسمى بالرَّجعة ، فإن هناك الكثير ممن لا يؤمنون بحصولها ، حتَّى من بين الذين يؤمنون إيماناً قاطعاً بحصول معجزة ظهور الشمس من مغربها ، رغم أن عيسى النبي -ع- ، أعاد الأموات إلى الحياة بإذن الله -جل جلاله- ، لكنهُ لم يقم باستدعاء الشمس من مغربها ،
وطبعاً نحنُ لا نتكلم عن القدرة الذاتية للأنبياء ، لأنها لا تختلف عن قدرات باقي البشر ، إنَّما نعني ما تحدثنا عنهُ ، من حصول معاجز لم تحصل في زمن كل الأنبياء ، فعلام العجب من روايات الرَّجعة ، لا بل من معاجز لم نخبر عنها قط ، سواء بحكم ما يسمّيه الشيعة بالبداء ، أو عدم ذكرها حفاظاً لدولة الخلافة ، أو رُبَّما بسبب فقدنا للكثير من الروايات بهذا الشأن ، لتخوف السلاطين من الحديث عن خلفاء الله في الأرض ،
ورُبَّما يكون من المستغرب أن نؤكّد استخدام القائم بأمر الله للتقية ، مع كل هذا الإصرار بتزامن المعاجز الإلهية زمن الظهور المبارك ، لأن سُنَّة الله لا تتغير ، ورحمتهُ على عباده لا تنقطع ، وهذا ما عرفناه عن زمن النبي موسى -ع- ، إذ مع عظيم ما منحه الله من المعاجز ، كانت حياته مليئة باستخدام التقية ، منذ الأيام الأولى لمولده ، وإلقاءه في اليم من قبل أمه ، حتَّى دعوته لبني إسرائيل ليغادروا أرض مصر ،

(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) ﴿٢٣﴾ الدخان .
وكل هذه المفاصل ، أعددنا لها مطلباً ومبحثاً خاصاً بها ، وما علينا التأكيد عليه ههنا ، وإقناع المناصرين لدولة الخلافة ، أن هذه الدولة ستنشأ وتتطور كبقية الدول الحديثة ، والمعاجز وإن كثُرتْ فستقتصر على أمور معيّنة ، حتَّى إنَّنا نقول : إن شروق الشمس من مغربها ، سيتم تأويلهُ على أنَّهُ ظاهرة علميّة بحتة ، أو يتمّ التشكيك بحصُولها أو رؤيتها حقّاً ، هذا إذا لم يكن القصد من شروق الشمس من مغربها ، له معنى آخر ، ويحتاج منَّا التبحر ، لإدراكه ، كما سنرى ذلك في الجزء القادم ، الخاص بزمان الظهور ،
، وكما ذُكر أنَّهُ سيذهب إلى الكوفة بسبع قبابٍ من نور ، ورجّح سماحة العلّامة الشيخ علي الكوراني ، على أنها سرب من الطائرات ، لا يُعْرف بأيِّ الطائرات هو ﴿٦٦﴾ ، وهذه الرواية ذُكرتْ للحديث عن استعمال التقيَّة ، والتي سنتناولها في خطوة من خطوات الوصول إلى دولة الخلافة ، لكنَّهُم أبداً يحاولون فهمها ، على أن ذلك من المعاجز والخوارق ، ويتركون تحذير أهل بيت النبوَّة ، بحاجة الخليفة للنُصْرة ، بالاستعداد بالفكر والعتاد ، والتجمع بقيادة حزب واحد ، يُشذّبوه منذ الآن من عناصر الفساد ، ليكون الجناح الأمني والعسكري لخليفة الله ، مع إيماننا بأن التعدديّة الحزبيّة ، ستكون من أسباب استتباب دولة الخلافة وقيامها ، ولكن هذا الأمر ، في حال كانوا أعداءً له ، أمّا المناصرين ، فيجب أن يجتمعوا تحت لواء واحد ، وأن يعملوا بكُلِّ جدٍ واجتهاد للتقرُّب من بعضهم ، وترك النزاعات قربةً لله ولخليفته ، الذي يحتاج وصلهم معه ، ومع بعضهم البعض ،
وعلينا الآن البحث في شخص المعني بأمر التنفيذ ، والأمر الخاص بموعد التنفيذ لأمر الخلافة .

....

﴿٦٦﴾ - كيف سيظهر الإمام المهدي (ع) ، محاضرة متلفزة بتاريخ : ٢ ـ ١١ ـ ٢٠١٩ م .

المطلب الثالث

الشخص المعني بأمر التنفيذ

خليفة أم خلفاء

بعيداً جداً عن إثارة النَعَرات الطائفية ، وباقي الاتهامات حول المساس بأحاديث منسوبة للرسول الكريم ، فنحنُ لا نبغي سوى النظر بدقّة وعلميّة ، لما وصلنا من تراث ، كمن يرى إذا ما كانت القطعة التي وقعت في يده ، ماساً حراً ونقياً ، أم مجرد قطعاً من الزجاج ، وعلى مضض نبحث في أمرٍ ، ربما يُمثّل محوراً من المحاور الأساسية في الخلاف بين أهل الجماعة والشيعة ، لكننا لم نرَ سبيلاً للوصول إلى اجابة السؤال موضوع البحث (خليفة أم خُلفاء) ، إلّا عن طريق الولُوج في صلب هذا الأمر ،

= ألم تلتفت وأنت تقرأ القرآن الكريم ، أنه تعالى لم يجعل الرسول ينفرد وحَدهُ بسُنّةٍ أبداً ، فلم تأتِ آية واحدة ، تشيرُ إلى سُنّة الرسول ، ويبدو أن من ادعى سماع حديث الرسول (إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وسُنَّتي) ، لم ينتبه لمثل هذا الأمر ، ولو أنه انتبه لتردَّد ألف مرّة ، قبل أن يجزم بصحة ما نَقَلهُ ،
أم تراهُ سيكتبْ عِوَضاً عنها (كتاب الله وسنة الله ورسوله) ، ولا نَظنُّهُ بهذه السذاجة التي تجعله لا ينتبه ، أن كتاب الله هو سُنَّة الله ، وهو بالنتيجة سُنّة الرسول ، وبالتأكيد فإنَّ ما كان من الرسول من قولٍ أو فعل ، يُسجَّل على أنه سُنّة تخص الرسول ﴿٦٧﴾ ، ومن دون أيِّ توقُّفٍ ، نعلم أن كيفية صلاة الرسول وصيامه وتعاليمه وتعامله مع الناس ، هي ما قصدوها بالسُنَّة ،
فهل كانت ما يدّعون أنها سُنَّة الرسول ، مكمِّلة وموضِّحة لسُنَّة الله تعالى ، أو كانت بمعزلٍ عنها ، فإن كانت بمعزلٍ عنها -ﷺ- ، فهذا يعني أن الصلاة والصيام التي أمرنا بها الله ، وبقيَّة العبادات ، هي ليست كالتي علّمنا إياها الرسول ، وإنْ كان منهج الرسول مكمّلاً وموضّحاً لسنة الله ، فليست هناك سُنّة مستقلّة للرسول

....

﴿٦٧﴾ – نظرة المستشرقين للسنة النبوية المطهرة - مثنى الزيدي (السنة في اللغة : هي السيرة والطريقة سواء أكانت حسنة أم سيئة ، محمودة أم مذمومة ، والسنة في اصطلاح علماء أصول الفقه هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله سلم ، غير القرآن الكريم ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي) .

بل هي سُنَّة الله ، موضّحة بلسان وتصرفات الرسول ، ومن يقول بوجود سُنّة مستقلة للرسول ، كمن يقول ما أماتني الله ، بل أماتني عزرائيل -عليه السلام- ، وهذا ما نصت عليه الآية ﴿١٥٠﴾ من سورة النساء ،

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن **يُفَرِّقُوا** بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً) .

فروح الله جبرائيل ، الذي كلّفهُ الله بنفخ الروح فينا ، له طرقهُ في فعل ذلك ، كما أن لعزرائيل طرقهُ في عزر وقبض الروح ، وكذلك لميكائيل طرقهُ في توزيع وإنزال المطر ، والذي يُعدّ المصدر الرئيس للرزق ، فالملائكة رُسُل ، والأنبياء رُسُل ، وكلّ منهما ينفّذ أوامر الله ،

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ **رُسُلًا** أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿١﴾ فاطر .

فهل توصَّلتَ لمغزى حديثنا عن الملائكة وعملها ، يعني أنَّنا لو أقررنا إن للرسول سُنّة مستقلة ، فعلينا بالمحصلة أن نقول سُنّة جبرائيل ، وسُنّة عزرائيل ، وسُنّة ميكائيل ، وبما إن لكل اسم من أسماء الله ملاكاً موكّلاً ، فهناك تسعة وتسعون سُنّة لأسماء الله الحسنى -جل جلاله- ، كما أن لإبراهيم الخليل سُنّة ولموسى وعيسى -عليهم السلام- ، وهكذا فإن لكل نبيٍ سُنَّتهُ ، وإذا قُلنا إن الأنبياء جميعاً يحملون السُنّة نفسها ، فكيف يجتمعون كُلّهُم على سُنّة واحدة ، ويختلفون مع الله بتلك السُنّة ، ولماذا لا نقول ، بدلاً من سُنّة الرسول ، سُنّة الأنبياء ، ومن قال إن سُنّة الرسول الكريم إذا رأى من شيعته من يستنجدَ به ، يعمدُ لقتله كما فعل نبي الله موسى ، أو أنَّهُ سيحكم كما حكم نبي الله داوود في ضيفه ، وهل نعني بذلك تعدداً في سُنن الأنبياء ، فمن ذاك الذي يطبق سُنَّة الله وكل منهم له سُنّته ، فالأنبياء لا تختلف سنتهم عن بعضهم بعضاً ، لأنَّها سنة الله ، ولكن يختلفون في تفعيل سُنَّة الله :

(سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ **لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا**) ﴿٧٧﴾ الإسراء .

وهكذا تحسم هذه الآية القضية ، لنرى كيف جمع الله سنة الأولين على أنها سنة الله ، وهذا يعني أن سنة الرسول هي سُنَّة الله ، وأصبح الحديث من بعد إذن الله إني تارك فيكم الثقلين ، (كتاب الله وسنة الله) بما أن سنة الرسول هي سنة الله ، وهذا يعني أن سُنَّة الله ، لم تأتِ في كتاب الله ، وإلّا لما انفردت كمصدر تشريعي على الأقل ،

وكي لا يتكرر الحديث عن تفعيل الصفات والأخلاق ، فسنمر به في الباب الثاني ،

ولا أعرف كيف تناسوا الأحاديث القدسيّة ، فهي غير محسوبة ، لا على القرآن ، ولا على ما يدّعونه من سُنّة للرسول ، ورغم أن المخرج من هذا المأزق ، هو خلو الأحاديث القدسيّة ، من أيّ حكم شرعي ، أو أي أمر إلهي يتعلق بالعبادات أو المعاملات ، وهذا هو الخطير في الموضوع ،

إذ أجـمع بعض العلماء على أن عـدد الأحاديث القدسية الصحيحة ، كما نُقل عن المُحقق ابن حجر الهيتمي القول ، بأنها لا تتجاوز المائة حديث ، وقال المحدث المناوي أنها (٢٧٢) ، فيما أكَّد آخرون على أنها تجاوزت الأربعمائة ، وأكد آخرون على أنّها تجاوزت الألف ، وهذا هو الخطير والمُخيف في الأمر ، لأنَّنا نواجه الآن شبهة تضعيف وإهمال الأحاديث القدسية ، التي اشتملت على أحكام شرعية هامة ، خوفاً من الوقوع فيما ينافي ما نُقل على أنه حديث للرسول الكريم : (كتاب الله وسنتي) ، فإذا اشتملتْ الأحاديث القُدسيَّة على أحكام شرعية وأوامر إلهية ، وجب الأخذ بها ، واعتبارها أمّا من القرآن أو من السُنّة ، وهي بعيدة من أن تكون آيات تنسب إلى القرآن ، أو أحاديث يستقلُّ بها الرسول ، بموجب آرائهم ، أمّا إذا قُلنا (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) فالأمر يختلف تماماً ، وتكاد لا تختلف المعادلة ، عـمّا توصلنا إليه مـن القـوانين الوضعية ، وما اسْتقرَّتْ عليه البشريَّة ، في تأسيس الدولـة الحـديثة ، إذ سيُمثِّل كتاب الله السلطة التشريعية ، فيما يُمثِّل عترة النبي صلوات الله عليهم أجمعين ، السلطتين القضائية والتنفيذية ، وهذا هو نهج الرسول في إدارة الدولة الإسلامية ، ومن ثمَّ احتفظ بالقضائية ، وأسندَ التنفيذيَّة لعليٍّ بن أبي طالب -ؑ- ، وسنخوض بهذا الشأن ، في حديثنا عن كافة السلطات الإدارية لدولة الخلافة ،

لذا فإن سُنّةُ الله هي الدستور السامي للأنبياء ، ولا يمكن أن يستقل أي نبي بسنة ، وكل ما هم فيه من تخبط ، جاء بسبب عدم فهمهم لمعنى السُنَّة ، وظنوا أن الأفعال والأقوال الشارحة لسُنَّة الله ، هي سُنَّة مستقلّة ،

وهذا يعني أن أي فتوى تصدر ، عن أيِّ مُفتي ، بغض النظر عن الحديث فيما يخص مصادر التشريـع ، نقول أن أي فتوى تصدر ، هي سُنَّة ، وهذا خلاف مفهوم السنّة ، لأن السُنَّة هي : كـ(خلق الشيء من العدم) ، أمّا الفتوى ، فما دامت عن مستحدثات المسائل ، واستنتاجاً عن أحكام الله ، فهي ليست سُنَّة مُستقلَّة ، بشرط أن تكون شارحة وموضحة ، ووفقاً لسنة الله ، أمّا لو أصدر أحدهم فتوى ، بالإقرار بدلاً عن التبني مثلاً ، فهذه سُنّة ، لأن الحُكم مُختلق ، ولا يتفق مع سُنَّة

الله ، ومن يقول بالغسل بدلاً عن المسح ، لعضو من أعضاء الجسم ، فهي سُنَّة ، لأنها **تصدر** حكماً بديلاً عن حكم ثابت ،

وعليه فإن ما ظنُّوه سُنّة الرسول ، هي الأعمال والأحاديث الشارحة والموضحة لسُنّة الله ، كقيام القاضي بتطبيق القانون ، وإصدار الحكم بموجب نصوص القوانين ، فإذا ما قُلنا إن سُنَّة القاضي تختلف عـــن سُنّة المشرّع ، فإن كل أحكام وقرارات القاضي باطلة ،

لذا نرى النصوص القرآنية ، توضح لنا ، إن أفعال وأقوال الأنبياء ، هي من وحي السماء ، ولم يوجدوها هُم ، حتى لو أوجدوها هُم ، أي أنَّ الرسول لو قرَّر قراراً ، دون الرجوع إلى السماء ، فهذا القرار موافق ومطابق لقرار السماء ، بفعل تربيته وطول انتهاجه لمنهاج السماء ، وبذلك سنعود لفهم أمور ، التبست علينا ، بسبب ما جاءوا به من مغالطات ،

فقاعدة (لا اجتهاد في موضع النص) مثلاً ، هي أقرب ما تكون لقوله تعالى : -

(لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) ﴿٢٧﴾ الأنبياء .

لا بل وإن كانوا -عليهم السلام- يسبقون الله قيلاً ، فلا نمتلك أن نُعيّن لَهُم سُنّة مُستقلّة عـن سُـنّة الله ، لأنَّهم ما كانوا وما وجدوا ، إلا ليطبقوا سُنّة الله ، وتعال لنطّلع على ما جاء في قوله تعالى : -

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ﴿٧﴾ الحشر .

إذ قد يتبادر إلى الذهن ، أنه تعالى يشير إلى سُنّة خاصة بالرسول ، علينا أن نتبعها ، لكنَّ القضيَّة على العكس تماماً ، بأنه تعالى يعطي لقرارات الرسول ، قوة القرارات الإلهيَّة ، وذلك من خلال ذات الآية (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) ، فتقوى الله ، جاءت على أساس ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، والآية :

(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا) ﴿٦٩﴾ النساء .

وآيات أخرى ، منعت مُجرَّد التفكير باستحداث فوارق بين منهاج الله ومنهج رسله كالآية ﴿١٥٠﴾ من سورة النساء ، التي نوَّهنا عنها في مطلع الحديث ، ولو كنتَ تمتلك القليل من بلاغة اللغة ، ستفهم ، أن معنى قوله تعالى ، أن من يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، هم أنفسهم ، الذين يكفرون بالله ، لأنه تعالى جعل التفريق ، بين سُنة الله وسُنّة أيٍّ من رسله وأنبياءه ، هو كفر وعداء لله ورسوله ،

والآن علينا التمعن في الآية أعلاه من سورة الحشر ، ولكن هذه المرّة ، سنكتب الآية بأكملها : -
(مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ﴿٧﴾ الحشر.
لابد من أن الصورة اتضحت الآن ، فالآية تتحدث عن توزيع الرسول الكريم للفيء ، وهذا يعني الحرب ضدّ الطامعين ، وضدّ من يجدون في أنفسهم الأولوية في الغنائم والهدايا والصدقات ، ومُجمل واردات الدولة الإسلامية الجديدة ، حتى ذكرت بعض الروايات ، اتهامه روحي له الفداء من قبل الأعراب ، بعدم العدل في التوزيع حاشاه ، لذا أشار سبحانه ، إلى أن ما يقوم به الرسول ، وما يتخذه من قرارات ، مستمدَّة من الوحي ، وقادمة من السماء ، رغم وجود آيات كثيرة ، أكدت أنه صل الله عليه وعلى آله ، لا ينطق عن الهوى ، لكن دأب المنافقون والطامعون الاعتــراض على ما يأمر به الرسول -ﷺ- ، ومحاولة الإيحاء لباقي المسلمين ، إن هناك قرارات يتخذها الرسول بدوافع شخصية ، ولغايات دنيويّة ،
وعليه فحين نقول سُنّة الله ، فنعني كل ما جاء به القرآن الكريم ، وكل ما قاله وفعله الرسول الكريم ، لا فرق ولا تفريق بينهما قط ، أمَّا أن نفرق بينهما ، فنحن بذلك نجعل شارعين للدين ، الشارع الأول هو الله -جل وعلا- من خلال كتابه الكريم ، والشارع الثاني هو ما جاء به الرسول ، ولسنا بحاجة بعد ما تقدم ، أن نبحث في عدد الخلفاء ، ولماذا أشار الله على أنهم خليفة ، كما جاء حديث الرسول -ﷺ-
(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) ،
وقد نقلت هذا الحديث كل الفرق الإسلامية ﴿٦٨﴾ ، ولم يضعفهُ من أحدٍ قط ، كما أننا مررنا بالحديث عن إشارات الله في كتابه الكريم ، فلو قام شخص ، بفعل ينسجم مع رغبة مجموعة ، فسبحانه وتعالى يشير لهذا الشخص بتلك المجموعة ، وكأنهم هم من قاموا بهذا الفعل ، لا شخص واحد ، كما جاء في قضية عقر ناقة صــالح : (فَعَقَرُها فَأَصْبَحوا نادمين) ، وقد جاء في آيات أخرى أن من عقرها هو شخص واحد ، كالآية ﴿١٢﴾ من سورة الشمس (إذ انبعث أشقاها) ، كما ينادي الله الجماعة أصحاب النهج الواحد ، بالشخص الواحد ،

....

﴿٦٨﴾ - رواه الترمذي في العلم رقم (٢٦٧٨) : باب[١٦] ، وإسناده صحيح .

واسـتئنافاً لحديثنا ، عن الخلفاء وعددهم ، فقد ذكر في الإنجيل بأنهم اثنتا عشرة خليفة ، لا بل وإن كانـوا ألف خليفة ، فلـن يشير الله إليهم إلا بخليفة ، وهذا ما يميزهم عن بقية العباد ،

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

((هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام ، إلَّا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة ، أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مـــغربها)) ﴿٦٩﴾ .

لو أردت أن تتابع تفسير القـرآن لدى أهــل التفاسير الخمسة ، فعليك ألّا تتذكر ما جاء من آيات في القرآن ، أو حتى ما جاء من تفاسيرهم ، لأنَّها بالتأكيد تتضارب فيما بينها ، فأمّا أن تهدر قولهُم ، أو لا سامح الله تشك فيما جاء في القرآن ، وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل أهل الكتاب ، يطعنون في مفهوم الكثير من الآيات ، ففي هذه الآية ، يقنعك ابن كثير ، أن الملائكة ستأتي ساعة موت هؤلاء ، فهل في ساعة الموت ، من إمكانية للإيمان بأي شيء ، كي تتكلم الآية عن رفض إيمانهم ، ثمَّ ما يعني أن يأتي ربك ، وهل ما فهمه السلفية من مجيء الله يوم القيامة حقائق نصَّ عليها القرآن كما زعموا ،

جاء في قوله تعالى : -

(لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) الأنعام .

وقبل أن ندخل في قضية الزمان ، الذي لا ينفع نفسا إيمانها ، نسأل عن سبب إيمان هذه النفس ، ومن ثم السبب في عدم قبول إيمانها ،

نجد أن سبب إيمان هذه النفس ، هو ظـهور مـعجزة ، أو مـعاجز سماويَّة ، تُثبتُ وجود الله بشكل قطعي ، وتُفنّد كـلّ الشكوك ، حـول قدرة الله تعالى ، وتؤكد ما جـاء به الأنبياء مـن قبل ، وما بيَّنتهُ الكتب السَّماويّة ، وهذا ما يتطلع له الكثير ، لأجل ثبوت إيمانهم ،

....

﴿٦٩﴾ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – أبو جعفر الطبري – تحقيق د . عبد الله التركي - القول في تأويل الآية ﴿١٥٨﴾ من سورة الأنعام .

أمّا سبب عدم قبول إيمانها ، فهو ظهور المعجزة ذاتها ، وهذا ما نستشفه من قوله تعالى : (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) ﴿١١٥﴾ المائدة .

فبعد أن رءوا معجزة إلهية ، ما لهم من حجة بالشك وعدم الإيمان ، رغم أنَّنا من المفترض أن نكون في المرحلة الثانية ، مرحلة ما بعد المعاجز ، فكل المعاجز التي أنزلها الله ، وكلّ كتبه وشرائعه على من سبقنا من الأقوام ، تعد من الآيات المنزلة علينا ، ونعد مبشرين ومنذرين بها ،

وعليه ، فأيّ معجزة ستمرّ بنا الآن ، ستكون من البشارات لما صبر الصابرين ، وتكون كصاعقة تهد بيوت المنافقين والمشركين ، ولن يقبل منهُم حتى الإيمان الفوري ،

ولكن بالله أم بماذا ، أي هل عنت هذه الآية ، الإيمان بالله أو بأمرٍ آخر ، ومما لا شكَّ فيه ، إننا نعرف الإجابة عن هذا السؤال ، لمَا مرّ علينا من مباحث ، لذا نقول إن الإيمان بأي شيء مما قال عنه الله ، يعد إيماناً بذات الله ، ولنأخذ زاوية أخرى للتعرّف على جواب لمبحثنا هذا ،

قد يكون من الصعب إدراك الكثير والكثير من آيات الله ، أمّا حين يتعلق الأمر بعدل الله ، فعدل الله لا يختلف عليه أحد قط ، أو من المفروض ألّا يُختلف عليه من أحد ، فهل نرى من العدل ، أن نتقبل الصورة التي ادعاها أهل التفسير والتأويل ، أنَّهُ وفي آخر الزمان ، ستظهر معجزة لا ينفع نفساً بعدها الإيمان بالله ، مالم تكن قد آمنت من قبل ،

أهكذا هو اعتقادنا بعدل الله ، فعلام ولماذا وكيف ، أمن خلال اليهودية التي تحولت لحركة صهيونية ، وهم يمنعون الناس حتى من الإيمان باليهودية ، على أن دينهم هو تركة اجدادهم ، أم المسيح الذين بات دينهم إباحة لكل شيء ، وأراك الآن تستعد لتقدم لي الدين الإسلامي ، على أنه هو السبيل لمعرفة الله ، الدين الإسلامي الذي رفع شعار أسلم تسلم من الموت والنهب واغتصاب العرض ،

الدين الإسلامي الذي تحول منذ مئات السنين لفخر الصناعة العربية ، هو المعوّل عليه بأن تعترف البشرية بالله ، أم حين أصبح حركات إرهابية كالقاعدة والتنظيم ، أليس من البديهيات أن تكون هناك دعوة مستمرة للإيمان بالله ، أو بأي شيء سماوي ،

حتى نقول إن ظهور آية سماويّة ، تجعل الجميع أمام يقين فيما يماطلون به ،

= في زمن الرسول أو بعد فقده بمائة أو مائتَين سنة ، كان من المناسب أن نتقبل ما جاء به أهل التفسير ، على أساس أن الدين الإسلامي لم يزل من المتوقع منه الكثير من النشاط ، لحث الناس على الإيمان بالله ،

وما غاب عن أذهان أهل التفسير من النمطية ، إنه سبحانه لا يعترف إلا بالإيمان المتكامل كما بين لنا في آيات عدة ومنها : -

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) البقرة .

وفي السورة نفسها في أعلاه ، جاء قوله تعالى : -

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) ﴿١٧٧﴾ .

أي إنَّ تلك النفس ، سواء كانت مُلحدة بالله أم مُشركة ، أو غير مُؤمنة ببعض الرسل أو بعض الكتب ، أو باليوم الآخر أو القيامة أو البعث أو النشور ، فهؤلاء جميعاً يطالهم المَقْت الإلهي نفسه ، ولا ينفعهم إيمانهم بقسمٍ وإنكارهم القسم الآخر ، مع ذلك فعدله جل جلاله ، لن يكون حكماً اعتباطياً يشمل الجميع من دون أن يفرّق بين الجاهل والمعاند ، وبين المُضَلَّل قسراً ، والجاحد والفاسد عن عمد ، وحاشا لله أن يكون ظلاماً للعبيد ،

المهم أن نعلم ، أن من يكفر أو يسخر من ظهور خليفة الله ، كمن يكفر بالله دون أيِّ فرق ، ومن كان لا يؤمن برسالة النبي الأعظم ، كمن لا يؤمن بخليفة الله ، وإن رأى من الآيات ما يدعوه للإيمان المطلق واليقين بالله ورسله ،

إلا في حالة قد كررنا الحديث عنها كثيراً ، لأهميتها ولكونها من سنن الله تعالى في خلقه ، وهي أن يكون العبد مضللاً ، وقد جاهد من أجل الهدى فلم يفلح ، أو كان مكرهاً ، على ما هو عليه من نهج ، ومن كان سجين لسياسة الحكومات ، ومن لم يسمع بأي دين ، ومن سمع عن الديانات ، من قبل من شوّهوا تلك الديانات ، كل أولئك وغيرهم ممن سنمرّ بهم في مبحث مستقل ، حول معاجز الظهور ، كلهم لن يشملهم رفض إيمانهم ، حتى لو أنَّهم آمنوا ساعة الظهور ،

لنزيد البحث عما أشار إليه سبحانه : -

(لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا **لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ** أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

فما نفهم من قوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل) ، أي إن الأمر **سبق وعرض عليها** فأبت أن تؤمن ، وإن هناك فرصة أضاعتها ، كان بإمكانها استغلالها والإيمان بما عرض عليها من هدى ، لا بل وسبق وأن بدى منهم العناد والحرب ضد الإيمان بخليفة الله على الأرض ، جملة وتفصيلاً ، ومما عرفنا الله سبحانه من نهجٍ للجاحدين والمعاندين ، فنحن على يقين بأنهم سبق وأن سخروا من روايات الظهور .

وعن بعض ما جاء في الطبري في تفسير الآية ﴿١٥٨﴾ من سورة الأنعام : -

(١١٠٥٨- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -ﷺ-: [لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً]) .

لو صدق هذا الحديث في أربع مفرداتٍ منهُ فقط ، لقلنا دعوا الإيمان بالمهدي حتى ساعة الظهور ، بل لمَا كان هناك من داعٍ للنص على هذه الآية ، فما هو المراد من ذكرها ، هل يعني أن لا قيمة للإيمان يومئذ ،

تناولنا هذه الآية فيما سبق وفيما سيأتي ، وتحدثنا عمّا يحملهُ ظاهر النص ، وهنا سنرى إن كلّ ما توصلوا له ، يخالف المعنى الذي أرادت الآية الإشارة له ، فحاشا لله أن يرفض إيمان أمرؤ صدق إيمانه ، ولم يكن معانداً ولا جاحداً في صدّه عن الإيمان بما أمرنا الله به ، وحين نستعرض قوله تعالى : -

(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ﴿١٨﴾ النساء .

فهل هذا تعارض وتضارب بين الآيات ، أن إن ما جاء في سورة الأنعام استثناء من قوله تعالى في سورة النساء ، وإن التوبة مفتوحة لبني آدم حتى إلى ما قبل موتهم بقليل ، ما لم تظهر علامات دولة الخلافة الإلهية ،

والجواب : لا هذا ولا ذاك ، فلا هي تتعارض ولا هي استثناء من النص ، بل هي أولاً تخص المؤمنين فعلاً بالله ، لكنهم يجادلون ويكفرون فيما أنبأنا عنه سبحانه ، من وراثة الأرض من لدن خلفائه ، لأن الإيمان بالله قرين الهدى ، وقرين من يبلغ الناس حقاً وصدقاً بمنهاجه العظيم ، أمّا الإيمان بشخص الخليفة ونهجه

الكريم ، فمن لا يعرف المنهج الحق للرسول الأعظم ، عليه أن يكون واثقاً بأنه لن يتوصل لمعرفة الخليفة ، لا شخصاً ولا نهجاً ، وحتى في حال كون الآية قد تتحدث عن الإيمان بالله ابتداءً ، فهي كذلك لا تتعارض ولا تستثني النص ، لأن من يرى معاجز الظهور ، كمن يرى الملائكة وهم قادمة لأخذ روحه ، فتلك معجزة تدفعنا للإيمان المطلق وهذه معجزة تدفعنا للإيمان المطلق ،

هذا وإن موافقتهم على نهج الخليفة القادم ، هي رُبَّما موافقة لنهج باقي الخلفاء ، ليس هذا فقط ، فهناك أمور يجب إعادة النظر فيها لاختلاف الحياة واختلاف السياسات ، ففي قوله تعالى : -

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ﴿٩٧﴾ النساء .

فالهجرة الآن ، ليست مما يمكن محاسبة الناس عليها ، لوجود الحدود الإدارية التي تحد البلدان ، وتمنع تنقل الناس ، من بلدٍ إلى آخر ، ووجوب الحصول على سمة للدخول ، حتى في معرض التنقل من بلد لثاني لبلوغ بلد ثالث ،

وتبقى القدرة على القيام بالفعل ، والقدرة على اختياره ، هما من الشهود على الإنسان أو معه ، فيكون من المستغرب ما ظنوه من فقدان الإنسان لقدرة الاختيار ، وبأنه (مسير) وقوله تعالى : - (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) ﴿١١﴾ الرعد .

فالإنسان مُسلّط على نفسه ، مالك لإرادته ، مواكب لمشيته ، وقرار التغيير والقدرة عليه من المنوط بإرادة كل واحد منّا ، وما يضعف القدرة على اتخاذه ، وجود قوة شهوانية ، تتمثل في تشبث الإنسان ببعض المصالح والرغبات ،

وحينما تكون قوة الإيمان بالله أعظم من قوة تأثير المصالح والرغبات ، سنُأمن بكل ما أمر الله به دون جدال ، وبذلك يكون الإيمان بالخليفة الأول ، هو ذاته الإيمان بالثاني والثالث حتى آخرهم ، لكن تعارض بعض المصالح مع أوامر الخلفاء ، قد يوحي للمرء اختلاف مناهج الخلفاء ، كي يمتلك ذريعة العصيان للأوامر التي تتعارض مع المصالح الشخصية ،

وبذلك فمن المتوقع تراجع عدد المؤمنين بالخليفة الأول عن الثاني ، لذلك قلنا (**ربما**) ، أن الإيمان بنهج الخليفة الأول ، يتبعه إيمان ، بنهج الخليفة الثاني ، وبالمقابل فهناك ما يؤكد من تزايدهم ، نتيجة ما يروم له البعض من العدل المطلق ، أو تعرفه على النهج الحق حقاً .

المطلب الرابع

دخول أمر الخلافة حيّز التنفيذ

من أجمل وألذ ما نجدهُ في دراسة العلوم القرآنية ، هو البحث عن الأسئلة الواجب طرحها ، أثناء قراءتنا لأيِّ نصٍّ قرآني ، فالسؤال هو من يحدد قيمة الجواب ، فهل سألت يوماً : -

ألم يكن من المستعجل ، أن يصدر الله قراراً ، سيتم تنفيذه في آخر الزمان ، إن كنّا نعتقد أن خليفة الله هو المقصود ، بمن سيأتي في آخر الزمان ، ليملأها عدلاً وقسطاً ، وهل من المعقول والمقبول أن يصدر الله قراراً ، يكون معلقاً على موافقة العباد ، وموقوفاً على إيمانهم بذلك ،

كل تلك التساؤلات ، كانت بسبب اعتقادنا ، أن خليفة الله يجب أن يباشر مهام أعماله ، بوصفه حاكماً على من في الأرض ، ولا يمكن الاعتراف به كخليفة مالم يتولَّ حكم الأرض ، ويتحكم في كل صغيرة وكبيرة ،

في ﴿ ، ﴾ ، تحدثنا عن أن مفردة أرض ، جاءتْ في مقاصد مختلفة ، فمرّةً جاءتْ للإشارة على ما نسمّيها بالكرة الأرضيّة ، أي على كامل الأرض ، ومرّةً جاءت للإشارة إلى بلدٍ ما ، حتَّى أنَّها جاءتْ للإشارة لموضع القدم ،

غير إنَّنا نتكلّم عن خلافة الله في الأرض ، والتي إمّا أن تكون على كامل الأرض ، أو أن تكون على كل ما في هذا الكون ، وهذا ما استحال على جملة من الباحثين اِحتمالهُ ، في أن يكون هناك من أحد من بني البشر ، خليفة لله على هذا الكون بأسره ،

إلّا أنَّ منصبه بوصفه خليفة لله ، لابد من أن يدفعنا لاحتمال ما لا يمكن احتماله لبقية البشر ،

على الأقل باعتباره خليفة لله على كلِّ مخلوقاته من الإنس والجن ، ولو كان الجن مستثنى من هذه الخلافة ، لما أبى إبليس السجود لآدم ، كما أوضحنا في الكتاب الأول ، ولمَا أصبحتْ ذُريّة آدم ، عرضة لإغواء إبليس ، ولمَا استثنى عباده المخلصين ، والذين هم أنفسهم خلفاء الله على الأرض ، فاختيار الله لهم خلفاء ، أفهم إبليس على أنهم خارج دائرة غوايته ، كما أن حديث الله مع ملائكته ، لابد من أن يكون خارجاً عن هذا الكون وفق فهمنا ، حيث الكون الملائكي ، الذي قلنا

عنهُ إنَّهُ على يمين العرش ، وهو المكان الذي سيسكنه أهل الجنان ، بعد أن تنتهي أعمال ملائكة الله في كوننا هذا ،
وكونهُ سلام الله عليه ، خليفة على عالم الجن ، يحتم اتساع نطاق حكومته على كامل الكون ، حيث يتنقل الجن في أقطار السماوات ،
(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) ﴿٨﴾ الجن .
كما إن من المحتمل أن يكون ذلك متيسراً على الإنس مستقبلاً ، فقوله تعالى : -
(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) ﴿٣٣﴾ الرحمن .
وربّ سائلٍ يسأل ، إذا كان الجن يتنقلون بين السماوات ، فعلام جمعهم الله مع عالم الإنس في النص أعلاه ،
لكن هذا السؤال ينافيه قوله تعالى (أقطار السماوات) ، وهذا يعني أن بعض الجن هم في الأصل ، قد نفذوا لبعض أقطار السماوات ، ونحن قد نفذنا لبعض أقطار السماء ، من خلال المركبات غير المأهولة ، والتي قامت بتصوير بعض المجرّات ، لأن النفاذ لا يشترط أن يكون بالأجساد ، أمّا قضية النفاذ من أقطار الأرض ، فقد تمكنا منها بسلطان الطيران ، بواسطة الطائرات الحديثة التي تنقل آلاف الركاب من قارة لأخرى ، لأننا نرى أن أقطار الأرض ، هي ما نسميها بالقارات ،
ولكيلا يأخذنا الحديث للخروج عن صلب الموضوع ، نقول إن الاعتقاد بأن حاكمية خليفة الله لا تخرج عن نطاق الأرض التي نحن عليها ، سيُخرج الكثير من المخلوقات خارج نطاق سلطته ، إضافة للأقمار الصناعية ، وبذلك فلن يمثل الله في كل أرضه ، ولن يمتلك سلطة الله على كل مخلوقاته باعتباره خليفة الله ،
إن التوسع في فهم خلافة الله تعالى ، يجب أن يتطور بتطور علومنا التي استحصلنا عليها بالدراسة والبحث ، والاكتشافات الحديثة ، فقد يكون من المبرر للسلف ، عدم تقبلهم لكل ما نستعرضه ، فتعال لنرى تفسيرهم لقوله تعالى : -
(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) ﴿١٧﴾ الرحمن .
جاء في تفسير **ابن كثير** للآية أعلاه : -
يعني مشرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء ، وقال في الآية الأخرى : - (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) ﴿٤٠﴾ المعارج ، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها منه إلى الناس ، وقال في الآية الأخرى : -
(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) ﴿٩﴾ المزمل ،

وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس ، وهو أفضل بعض الشيء من تفسير **السعدي** ، الذي جاء فيه ما لا يخص الحديث عن هذه الآية ، فراراً من تفسيرها ، والتعرض للعلوم التي تحملها إذا جاء فيه : -

((هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر ، والكواكب النيرة ، وكل ما غربت عليه ، [وكل ما كانا فيه] فهي تحت تدبيره وربوبيته ، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقي الشمس شتاء وصيفا ، ومغربها كذلك)) ،

أمّا **الطبري** ، فاقترب كثيراً من إدراك المُراد ، لكنه لم يصور الأمر بشكل دقيق :

((حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن ابن أبزى ، قوله : [رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ] ، قال : مشارق الصيف ومغارب الصيف ، مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مائة في ستين وثلاث مائة بُرْج ، لكلّ برج مطلع ، لا تطلع يومين من مكان واحد . وفي المغرب ستون وثلاث مائة برج ، لكل برج مغيب ، لا تغيب يومين في برج)) ،

إذ فهم أن مشارق الشمس تعود لحركة الشمس ، لا لحركة الأرض أمام الشمس ، وكأنه يرى أن مشارق الشمس تكون بمعزلٍ عن الأرض ، لا مشارق الشمس على الأرض في كل يوم ، فلم يكونوا على استعداد لتقبل فرق التوقيت بين المشرق والمغرب ، رغم وصولهم لبلاد الصين ، لكنهم لم يكونوا قد استوعبوا أن هناك فارقاً في توقيت الليل والنهار ، وأن هنالك مشارق ومغارب تمُرّ على الأرض ، وهناك ما يشير على اعتقادهم بأن الشمس تختفي ، ومن ثم تعود لهم من مكان آخر لاختفائها ، ولو تسنى لك الاطلاع على أصل ما كتب من تفاسير في العهود المنصرمة ، وقبل أن يسارعوا لشطبها وتشذيبها ، لرأيت ما ستعده مضحكاً وطريفاً من القول راجع (المعقول والمقبول فيما نسب للرسول - علاء الصائغ) ،

ونذكر مراراً وتكراراً ، بأن هذا ليس بالضرورة انتقاصاً لقدرهم ، بل هذا ما كانوا عليه من حدود العلم والمعرفة ،

ومن هنا نخلص للقول ، إن موعد دخول أمر الخلافة حيّز التنفيذ ، كان في اللحظة الأولى من صدوره ، وإبلاغ ملائكة الله به ، وبأسماء هؤلاء الخلفاء ،

وقد يكون من المحال لجماعة السلف ، تقبل هذا الطرح ، وكيف أن الخليفة باشر خلافته منذ اليوم الأول لخلق آدم ، وليومنا هذا ،

ولكن من السهل عليهم ، أن يتقبلوا فكرة أن إبليس عدو الله الأول والأكبر ، عاش آلافاً من السنين قبل خلق آدم ، وما زال على قيد الحياة حتى يومنا هذا ، وإنه

يتحكم بأتباعه ومناصريه ، من أماكن مختلفة في السماء وفي الأرض ، وإن له مقرات ووزراء وذريات ، فيما يستكبرون على خليفة الله ، أن يمتلك مثل هذه القدرات والإمكانيات ، وكأنَّهُ جل وعلا ، يعطي لعدوه ما لا يعطي لخليفته ومن يمثل الله في هذا الكون ، أو في هذه الأرض على الأقل ، ويتقبلون فكرة أن يجوب إبليس السماء الأولى ، ولا يتقبلون ذلك لخليفة الله ،

وحيث أن الهدف من تلك الخلافة ، هـو بسط العدالة الإلهية ، وتعريفها لكل مخلوقـات الله -جل جلاله- ، وبذلك فـلا أهمية تذكر للمكان ، أرضاً كانت أو كوناً ، إلا فيما يتعلق بوجود المخلوقات ،

ولأنَّنا نعلم من النصوص القرآنية والكتب السماوية السابقة ، بقدرة الجن على التنقل في السماء ، آثرنا أن تكون الإشارة إلى الأرض بمعنى الكون كُلّهُ ، خاصة بعد كشفنا على أن الملائكة يعيشون ضمن نطاق دولة الخليفة ، ويتنقلون ضمن حـدودها ، على أن هـؤلاء لا يمثلون كل ملائكة الله تعالى ، بل مَنْ كُلِّفَ منهم بخدمة دولة الخلافة الإلهية ،

وعليه فيمكن اجمال الحديث عن تأسيس دولة الخلافة ، بثلاث فقرات :

الفقرة الاولى : إن الأمر نُفّذ ساعة صدوره ، لاكتمال عناصر ومكونات دولة الخلافة ، وهي كما نعرفها الآن بعناصر الدولة ﴿٧٠﴾ : -

أولا : الحكومة : وهي المتمثلة بشخص الخلفاء .

ثانيا : الشعب : المتمثل ابتداءً بالملائكة ، ومن ثم أنبياء الله وأولياءه .

ثالثاً : الإقليم : المتمثل بالأرض ، سواء الأرض التي نحن عليها ، أو الكون بما أقلّ وما اشتمل عليه من خلق .

الفقرة الثانية : إن ظهور خليفة الله في القادم من الأيام ، يعني توسع دولة الخلافة وامتدادها ، ولا يعني بدء تأسـيسها ، ومن ثمّ بدء تأسيسها على مرأى ومسمعٍ من كل الخلق ، وفي مكان محدد ومعروف من الأرض .

الفقرة الثالثة : تأسيساً على ما جاء في الفقرتين الاولى والثانية ، فإن إعلان دولة الخلافة على هذه الأرض وبدء تأسيسها ، لن يكون مانعاً من استمرار بقاء عناصر الدولة ، مُذ اللحظة الأولى لدخول أمر الخلافة حيّز التنفيذ ، على ما هم عليه ، من شعب وإقليم ، وما سيجري هو اتساع لنطاق الإقليم ، وازدياد لعدد سكان الشعب .

....

﴿٧٠﴾ - عبد الملك الريماوي ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، ص [٢٣] .

المطلب الخامس

نهج الخليفة

إثر إعلان دولة الخلافة

ألا ترى من المضحك ، في شخصين من فرقتين مختلفتين من الفرق الإسلامية ، أو دينين إبراهيميين ، يريد كل منهما أن يهدي الآخر ، ولكن بالتكفير والشتم والتحقير ، فأي هداية تلك التي ، إن لم تسر على نهجها تُقتل ، ولا نكتم حقيقة ، أن هناك الكثير من الصحابة ، ومن الأوائل من كان نهجه ، (اِسلم تسلم) ، ويفترض بك إن رأيت مثل هذين الشخصين ، ألّا تنسبهم إلى الإسلام ، وفي قصة تروى الآن ، كدليل للالتزام الديني ،

((قال ابن العربي :

ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند رفع الرأس منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وتفعله الشيعة . قال . فحضر عندي يوماً في محرس أبي الشعراء بالثغر موضع تدريس عند صلاة الظهر . ودخل المسجد من المحرس المذكور ، فتقدم إلى الصف الأول وأنا في المؤخرة قاعداً على طاقات البحر ، أتنسم الريح من شدة الحر ، ومعي في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده في نفر من أصحابه ينتظر الصلاة . ويتطلع على مراكب المنار ، فلما رفع الشيخ الفهري يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه . قال . قال أبو ثمنة وأصحابه : ألا ترى إلى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا ؟ قوموا إليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا يراكم أحد ، فطار قلبي من بين جوانحي ؟ وقلت : سبحان الله ! هذا الطرطوشي فقيه الوقت ، فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؟ فقلت : كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه ، وجعلت أسكنهم وأسكنهم حتى فرغ من صلاته ، وقمت معه إلى المسكن من المحرس ، ورأى تغير وجهي فأنكر ، وسألني فأعلمته فضحك ، وقال : من أين لي أن أقتل على سنة ؟ فقلت له : ويحل لك هذا ، فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك ، وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره)) ﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ .

حينما تعاشر هكذا بشر ، سوف تعلم أن محمداً ﷺ فعل ما لم يفعله كل الأنبياء لو اجتمعوا بكل معاجزهم على أن يهدوا مثل هكذا بشر ما اسطاعوا أبداً .

....

﴿٧١﴾ - كذلك ذكرها القرطبي في تفسير الآية ﴿٢١﴾ من سورة الانشقاق .

﴿٧٢﴾ - كتاب الاعتصام للشاطبي – ص[٢٩٦]ج{١} .

= (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)
هل نفهم من الآية ﴿١٦﴾ من سورة الإسراء ، إن منهاج الله تعالى ، مع من ذكروا في الآية أعلاه ، يختلف عن منهاجه بعد أن حقَّ عليهم القول ، والجواب إن نهج العباد هو من كان يختلف ، فقد كانوا أهلاً للرشاد ، ساعة خلقهم ، وعلى ذلك أرسلت لهم الرسل ، لكنّ طمعهم وميولهم لشهواتهم ، وإصرارهم على عدم اتباع المرسلين ، هو من جعل سياسة الخالق تصل إلى استخدام تدميرهم ، فالطبيب بما عرف من رحمة ، يضطرّ لقطع الجزء الفاسد من الجسد ، خوفاً على باقي الجسد من الفساد ، ولأن الدواء لم يعد يجدي معه نفعاً ، فهل سيستخدم الخليفة معنا دواءً لم يُستخدم من قبل ، الجواب إذا كنّا قد وصلنا إلى درجة من الفساد ، لم يصلها العباد من قبل ، فلا بد أن نتوقع منه ذلك ، ولأنه تعالى استخدم مع عباده مختلف الطرق ، فلا بد من أننا سنجد النهج ، الذي سيتبعه الخليفة معنا ، فيما مرّ من قصص الأولين ، ولكن وبما أننا فرق مختلفة ، ومناهج مختلفة ، فهذا يعني تعدد السياسات ، تعدداً لا يخرج إلّا ممن يمتلك النهج الواحد ، وهذا ما تحدثنا عنه ، من أن قرار الحسن -ع- ، بالصلح مع معاوية ، هو ذات القرار ، الذي اتخذه الحسين -ع- ، بالحرب على يزيد ، وما نراه من فرق ، هو الإختيار الأمثل لحفظ الدين ، ولحفظ دماء المسلمين ، مرّة بالصلح ، ومرّة بالحرب ، لكي لا ينتشر الفساد ، فيكون هو منهاج الإسلام ، أمّا الآن ، فنهج الخليفة ، هو منهج الرسول المصطفى -ص- ، في بداية البعثة ، ونهجه في ختامها مع فرقة ما ، ونهج الحسن -ع- ، مع فرقة ما ، ونهج الحسين -ع- مع فرقة أخرى ، وهكذا حتى لا نرى نهجاً لنبي أو وصي ، حتى اتبعه الخليفة ، مع هذه الفرقة أو تلك ، بعد أن عززته السماء بما يستطيع من خلاله تحقيق أهدافه ، ولو كنت تؤمن بالروايات الشيعية ، فهذا يعني أن الإمام الغائب الذي تحدثوا عنه ، سيأتي منذ البداية ، بنهج لم يتبعه في السالف من حياته ، أو في غيبته الصغرى أو الكبرى ، ولكننا وجب هنا أن نشير على أن هناك من سنة الله -جل وعلا- ، ما وجب أن نتوقع منه تفعيلها ، مع كل الفرق إلا الفرقة الناجية ، ألَا وهي التقية ، وهناك من لا نتوقع أن يفعّله مع كل الفرق ، بل وكل الخلق ، وهي الاملاء بالثراء أو الإيحاء بحسن العاقبة ، لأن ظهوره المبارك ، يعني انتفاء الحاجة لسياسة الاملاء .

الفرع الأول

الخليفة والخلافة

الخليفة : المقوّم والمكوّن الأهم في خلافة الله على الأرض ، وهو من يتمناهُ بعض الخلق ، ولا يبالي به بعضهم ، فيما يرفضه ويحاربه بعضهم الآخر ، وهم الأكثر عدداً والأكبر قدرةً ، وبالعودة لقصة ابني آدم الّذَين عُرفا باسم هابيل وقابيل ، فقد قتل قابيل هابيل رفضاً منهُ للخلافة والإمامة ، التي منحهما الله تعالى لهابيل دون قابيل ، والذي ندم على قتله لأخيه ، حيث أدرك مدى جهلهُ بالعمل السَّماويِّ والإمامة ، إذ عجز عن أن يواري سوءة أخيه بالدفن ، وظن أن عمل الإمام هيّناً ، فقتل أخيه وتصدَّى للإمامة ، وهذه من الإشارات والعلامات التي وضعها سبحانه لنا ، وإلّا فكيف يفكر القاتل بأن يواري سوءة من قتله ، ولا نظنّه يخشى من مجيء الأدلة الجنائية ليتخلّص منها ، ومن هنا كان ندمه على فقْد أخيه ، لا على جرمه ، إذ بان له عدم كفاءته على تولي الإمامة ،

وبالرغم من أن هابيل ليس هو الخليفة الموعود ، فإن نهج قتل الإمامة وعدم الاعتراف بخلافة الله على الأرض ، نشأ من هذه الحادثة ، لذا قال الله تعالى : -

(مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) ﴿٣٢﴾ المائدة .

فقتل شخص من الممكن أن يهدي أمّة ، أو احياء شخص ممكن أن يحيي أمّة ، هو قتل للناس جميعاً ، وإن كان ذلك الشخص من غير المتوقع أن يكون مرسلاً من السماء ، فنهج القتل هو من سوف يوصلنا بالمحصلة ، لقتل من نراهم يضرون بمصالحنا الدنيويّة ، وبرغم التضييق على أئمة الهدى من سجن وإقامة جبرية ، لكن هداهم كان يصل ويتواصل ، ولكن بقتلهم فقدت الأمة طرق الصلاح والنجاة ،

ومع هذا البلاغ الصاعق ، فاليهود لم يتورّعوا حتى عن قتل الأنبياء ، وبأعداد كبيرة ، ومحاربتهم سواء كانوا من أنبياء بني إسرائيل ، أم ممّن جاءوا لتصحيح مسارهم ، كنبي الله عيسى -ﷺ- ، حتى من ولد بعيداً عن ديارهم المقدّسة ، وبعث لقوم هم على عداءٍ معهم ، كما رأينا في تشريعاتهم ضد الأميّة ، وهو النبي الأعظم -ﷺ- : -

ولو أنعمنا النظر في قوله تعالى في الآية ﴿٨٢﴾ من سورة المائدة : -

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)

فقوله تعالى الموجه لليهود دليل لا يقبل الشك مطلقا ، في أنَّ بني إسرائيل هُم أوّل من سيكونون في عداء الخليفة ، وبما أن هذه الآية وهذا البيان ذكرهُ الله في القرآن ، فبالنتيجة أن مِن أمّة محمد من سوف ينهجوا نهج بني إسرائيل ، وما نراه من تسفيه وعداء من قبل بعض المذاهب الإسلامية لشخص الخليفة ، إن لم يكن وفق رواياتهم ، لهو أكبر دليل على ما جاء به النص القرآني ، كما لا يشترط أن يكون العداء لشخص الخليفة بالذات ، بل لأنصاره والمؤمنين بحكومته ، كذا أيّ أمر من أمور الصلاح والإصلاح ، لأنَّ من يفعل ذلك ، سوف يسيء لمنهاج الله ونهج خليفة الله ، وهو أهم مقوم من مقومات الخلافة ، كما أن الخلافة ، هي من أهم مقومات الخليقة ، فللخليفة مقومات خُلقت ، أو وجدت قبله ، وبات من الواجب هنا ، التوسّع في الحديث عمَّا وعمَّن خلقه الله ، وما أوجدهُ نتيجة خلقه = حين خلق الله ملائكته ، فما كان الفرق بينه جل جلاله كخالق ، وبين ملائكته كمخلوقات ،

الجواب : هو ما أوضحناه في الكتاب الأول ، من أن سرَّ خلق هذا الوجود بكامله ، هو النظير المخالف لخلق الملائكة ، وهذا هو أيضاً ، جواب السؤال الأول ، أي إن الفرق الأساس بينه جل جلاله خالقاً ، وبين ملائكته كمخلوقاتٍ ، أن يكون هذا الوجود بصفات تخالف صفات خلق الملائكة وطبيعتها ، فحاشا لله أن تكون مخلوقاته ظلاً له ، كما قال ابن عربي بذلك ، إنما خلق الملائكة من نور ، لم يمثّل نور الله بالكليّة ، فكان لذلك النور ظل يعاكسه مكانياً ، ويخالفه في الصفات والطبيعة ، فسكن الشيطان ، الذي تميّز بالعصيان والتمرد ، والكفر والفساد ،

ومن ثم أرسل سبحانه ، من نوره ليفلق هذا الوجود ، وليعبد فيه ، (راجع النشأة الأولى) ،

ولرُبَّ سائل يسأل ، إذا كان الشيطان خلق تحصيلاً لخلق الملائكة ، فهل خلق دون رغبة من الرب أو دون إرادة الرب ومشيئته ،

= حاشا لله أن يخلق أو يوجد خلقاً دون إرادته ومشيئته ، وحاشا لله أن تكن له رغبة بخلق أو بعدم خلق ،

ودليلنا على ما نقول ، هو ما ذكرناه من اثبات علم الله بأنه قادر على أن يخلق قبل أن يخلق ، وذلك في علم الكتاب : -

(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ......) ، فعلم الكتاب ، وما جاء فيه هو أعظم دليل على علم الله بخلقه ، لكن القضية تنحصر في أن يخلق الله الملائكة ، فيتكون الشيطان نتيجة طبيعية لذلك ، لأن الملائكة ، ليست بمستوى عظمة الخالق ، وهذا معنى اسمه تعالى **الواجد** ، أي

الذي أوجد الخلق بفعلٍ غير مباشر ، كما خلقهم بفعل ومشيئة مباشرة ، والإيجاد هو الشيء الناتج عن مكونٍ آخر ، كالظلّ الذي نراهُ نتيجة لوجود ما يحجز الضوء ، فالظل لم يخلق كشيء استثنائي ، بل هو حجب للضوء ، لكننا ننبّهُ ، على أن حديثنا هذا عن حالة الظل ، أمّا الظل فقد بيَّنه تعالى على أنه مخلوق بفيزياء إلهية خاصة ، مع هذا فالظل من بين الأشياء التي أوجدها الله ، وتحكم في تفاصيلها :
(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَــوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) ﴿٤٥﴾ الفرقان .

وهـذا ما نقول عنه **بالإيجاد** ، أي إيجاد الشيء من العدم ، نتيجة لمخلوق من مكونٍ آخر ، فلولا الشمس والنور ، لما وجد الظل ، ولكن ، لا يعني أن الشمس خلقت الظل ، بل وجد نتيجة لوجودها ، والشيطان وجد نتيجة لخلق الملائكة ، ولأن الملائكة مخلوقات ، تختلف عن كُنه الخالق ،

لذا فإنّ كلّ مخلوقات الله تعالى ، وجدت بإرادته ومشيته ، ولكن لا يعني ذلك أن الكتب السماويّة مخلوقات كباقي مخلوقات الله تعالى ، إنما وجدت بفعل أوامره تعالى ، فهي ليست بكائنات ولا مكونات ، إنما مقومات كالهدى والعدل ،

فالله سبحانه خلق الأشياء كلها من العدم ، ومن ثم أوجد أشياء أخرى بفعل ما ومن خلقه من العدم ، ثم بثَّ من نور هداه ، من خلال ما أمر به من الشرع المقدّس ، ومن ضمن ذلك ، من هم أهل لنشر هدى الله -جل جلاله- ، أي هم مخلوقات مثل باقي مخلوقاته ، مضافاً لهم نور هداه سبحانه وتعالى ، وهذا يعني ، أن كل الخلق من أنس وجن ، لو اجتمعوا على أن يخرجوا خليفة ، بمقاس خلفاء الله ما استطاعوا لذلك سبيلاً ، لأنَّهم يختلفون عنّا نحن البشر بنور الهدى ، وقد أشار إبليس لذلك ، بقوله تعالى : -
(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ص .

كما نفهم من الحوار الدائر بين جلالة الله وملائكته ، أن لا وجود لبشر قط ، لا يفسد ولا يسفك الدماء ، إلا أشخاص لم تكن الملائكة تعلم حتى أسمائها ، وما نستنتجه بعد كل هذه الحقائق ، أنْ لا خلافة لله على الأرض ، إلّا بواسطة هؤلاء الخلفاء ، وهم من شدة تطابق نهجهم ، أشار لهم الله بالخليفة الواحد ، حتى نسيَ بعض الباحثين ، من أن هناك خلفاء سيأتون مع الخليفة ، وهناك من سيأتون بعده ، ونصل لبحث كل هذا ، في الجزء الثاني ، ودراسة مراحل الخلافة .

الفرع الثاني

ما لا يخافه أعداء الخليفة

كم سمعت حديثاً عن عدالة الله وانصافه وميزان الحق والقسط ، لكنك بمجرد أن تتوسع في نقاش يخصُّ أفعال وأقوال الأنبياء ، والتي تترجم منهاج الله وتصب في قالب ذلك الميزان ، تجد الكثير من الأمور ، التي يرفضها عقلك وقد يقبلها على مضض ، وتتراكم في حفيظتك أسئلة كثيرة ، تدور حول قدرة الله ، التي تعتقد أن لا منتهى لها ولا حدوداً تحدها ، وما تعتقده صحيح جداً ، وموافق جداً لعظمة قدرة الله ، ولكن ليس من الصحيح أبداً ، أن تراه بمعزلٍ عن باقي صفاته وأسمائه ، والسبب في ذلك بسيط جداً ، وهو أنَّك ترى الله -جل جلاله- من منظار عدلك أنت ، لا منظار عدله هو سبحانه ،

= هل سمعت بالحرب القائمة بين الأخذ بظاهر القرآن وباطنه ، وهل لنا أن نقف إلى جانب من نراه يقترب إلى المعقول ، والمبني على ما أعطانا الله من فكر ،

دعنا نرى الله تعالى بالمنظار العلمي والعقلي ، ونبحث عن ذات الله وكنهه ، وفق المعطيات التي نمتلكها ، ومن أجل ذلك نقرب مثالا مبسطاً ، من بعد إذن الله ،

= لو أسأت لإنسان كريم وحليم لتسرقَ ماله ، فما هو رد فعل هذا الإنسان على وفق هذه الصفات المعروفة عنه ،

سيكون الجواب أن يعفو عنك ، ويعطيك ماله الذي سرقته ، لأنه يرى فيك الحاجة التي دفعتك للسرقة ، ومن باب كرمه سيسدّ حاجتك ، ومن باب حلمه سيتجاوز عن إساءتك ، لكنه إذا كان حليماً فقط ، سيعفو عنك ويسترد ماله الذي أخذته منه ، وإن كان كريماً فقط ، فسيعطيك المال الذي سرقته ولكنه سيعاقبك لقيامك بالإساءة والتجاوز عليه ،

وبعد ، ربما أحسست أنك لم تصل للقناعة المطلقة بنتائجنا ، التي تحدثنا بها ، أنت على حق ، لأننا نبحث ونستنتج في صفات غير ملموسة ، ولا يمكن أن نتعامل معها بشكل حسابي ، لنعرف نتائجها ، كما إن من النادر مثلاً ، ألّا يكون الحليم كريما أو الكريم حليماً ، وماذا بعد ...

الصفات التي يمكننا أن نسميها بالصفات المستقرة ،

فما هي هذه الصفات ، ولماذا نسميها بالصفات المستقرة ،

هذه الصفات تكون موجودة لدى الإنسان ، ولكنها غير مفعّله أو نشطة ، فهي مستقرة ، لا لأنها لا تتحرك ، أو لا يمكن الادراك بها ، ولكن بسبب عدم مرور الإنسان بظروف تساعدها على الظهور ومعرفة الناس بها ، لا بل وربَّما حتى علم

صاحبها بها ، وما أن يمرّ الإنسان بظروف يكون فيها في محكٍ مع هذه الصفات ، فتراها تظهر وتعرف وتكتشف ، فالغني لا يسرق ربما ، لا لأنه أمين ، ولكن لأنه غير محتاج ، وربما كانت أمانته محدودة ، فإذا كان مبلغ الأمانة كبيراً ، خان تلك الأمانة ، وربما كان هناك ما يخشاه أو من يخشاه ، ووو ،
لذا عرف الرسول الأعظم بالصادق الأمين ، قبل البعثة ، وما أن تفاعل الناس معه كنبي ، عرف عنه أنه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، وهي الشهادة التي وقعها الله -عَزَّوَجَلَّ- ، لنبيه من خلال نص الآية : -
(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ﴿١٢٨﴾ التوبة .
حتى يُتمَّ الرسول تفعيل كل صفاته الكريمة ليوقع له الباري -عَزَّوَجَلَّ- شهادة نهائية :
(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْـرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم .
ظروفٌ واحتمالاتٌ من الصعب حصرها والاحاطة بها ، فما بالك في مثالنا السابق لو كان حليماً وكريماً ومنتقماً وجباراً في الوقت نفسه ، فعلى افتراض أن هناك من يمتلك تلك الصفات الأربعة منا نحن البشر من دون الأنبياء ، فمن المؤكد أن يفعّل بعضها في ظروف ما ، ويفعّل الأخرى في ظروفٍ أخرى ،
أما الذي تجسدت فيه هذه الصفات وتمرّس في تنشيطها وتفعيلها ، فستكون الصفات فيه صارخة طوال الوقت ، وما من كلمة يلفظها أو تصرفٍ يأتيه إلّا وفيه تلك الصفات مجتمعة ، فإذا ما قتل ابنه ظلماً على سبيل المثال ، فستجده سيصدر قرارات ويلقي خطابات ، لا يغفل فيها أي صفةٍ من صفاتهِ ،
فهل رأيتَ الآن حجم المصيبة الكبيرة ، والمعادلة الجبارة التي نحن أمامها من مثالنا السابق ،
نحن أمام ربٍ بقدرٍ من العظمة التي لا توصف بلغة ، ولا تُقرن بمعادلة ومثال ، صفاتٌ تَتَجَسَّدُ صعوبة فهمها بتوازنها وفعاليتها المستمرة والدائمة ، دون أن تثبط صفة على حساب صفةٍ أخرى ، فهو رؤوف حليم لا منتهى لرأفته وحلمه ، ولا يخل انتقامه وعدله بحلمه ورحمته ، وليست له حاجة لظرف أو مكان لتُعرف رأفته ويعرف حلمه ، وهذه الحالات الثلاثة ، لا يمكن أن يمتلكها شخص ما ، بأي صفة يتصف بها ، ولنلاحظ المحال في ذلك ، أي لو كان كريماً ، فهناك منتهى لكرمه ، ومن المحال أن يصل بكرمه إلى اللا منتهى ، ومن المحال أن لا يتأثر بالظروف والحالات الحياتية التي قد يمرُّ بها ، كما أنَّهُ لو كان كريماً فمن المحال أن يوازن كرمهُ مع صفاته الأخرى ، كأن يكون حكيماً في كرمه ، يكرم القريب

والبعيد ، بل والمعادي لهُ ، ولو كان كريماً ، فمن المحال أن يكرم قبل أن يُسأل ، ويتفقد الخلق كُلّهُم دون استثناء أو انحياز ،
الآن نسأل بعد كل ما تقدم ، من في الخلق جميعاً يملك كل هذه المزايا لو أراد أن يحتفظ لنفسه بصفة واحدة فقط ، ليفهم كرم الله ويفسّرهُ لنا ،
والآن نقف على علة الحديث المتقدم ، ونفهم أن ما من أمر وإرادة أو مشيئة أو آية مادية ﴿٧٣﴾ ، أو كلامية ﴿٧٤﴾ ، تصدر عن الله ، إلا وتحمل أسماء الله التسعة والتسعين ، أي إن فيها الكرم والرحمة والجبروت والعظمة والانتقام وإلى كل أسمائه الحسنى جميعاً ،
هو سبحانه يعلم أننا لا قِبَلَ لنا على استيعاب كل ذلك ، فما هي الحدود التي رسمها لنا لفهم آيات القرآن ، أي كم مرَّة ، علينا الإبحار في المقاصد والمعاني للنصوص القرآنية المتاح لنا معرفته ،
يجبنا الله تعالى في كتابه الكريم : -
(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ﴿٢٧﴾ لقمان .
هذه الآية ، لم تنزل لأجل أن يبين لنا الله قدرته على ما لديه من عدد الكلمات ، بل يجب أن نفهم أنه يشير لنا ، إلى أنّ بحر كلماته له من بعده سبعة أبحرٍ ،
ففي منظار أهل الأخذ بظاهر القرآن ، إن الله يتكلم على العدد الذي يملكه من الكلماتٍ ، أما عند أهل الأخذ بالظاهر والباطن ، فمن المفترض ، نقول من المفترض ، أن يعني لديهم أن كل كلمة من كلمات الله لها سبع معانٍ ومقاصد وبيان ، ولكنهم بالكاد صارعوا من أجل إثبات المعنى الباطن ،
قال ابن عباس: جل ما تعلّمت من التفسير من علي بن أبي طالب وابن مسعود ، إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها إلا وله ظهر وبطن ، وإنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) علم الظاهر والباطن ﴿٧٥﴾ .
وجاء في تفسير الطبري ﴿٧٦﴾ : -

....

﴿٧٣﴾ - الآية المادية – تعبيراً عن آيات الله في خلقه ، وأفعاله تعالى في خلقه .
﴿٧٤﴾- الآية الكلامية – تعبيراً عن الآيات الخاصة بالأحكام والنصوص المرشدة والناصحة للخلق .
﴿٧٥﴾ - السيد ابن طاووس ، سعد السعود :[٢٨٥] .
﴿٧٦﴾ - تفسير ابن جرير الطبري - لقوله تعالى من سورة لقمان ص[٤١٣] .

والمراد من باطن القرآن تأويله كما قال تعالى : ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)) ﴿٧٧﴾ .
(حدثني يعقوب ، قال: ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء، قال : سألت الحسن عن هذه الآية (وَلَوْ أَنَّما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ) ،
قال : لو جعل شجر الأرض أقلاماً ، وجعل البحور مداداً ، وقال الله : إن من أمري كذا ، ومن أمري كذا ، لنفد ماء البحور ، وتكسَّرت الأقلام) ،
أي إنهم فهموا أن ما قصده تعالى من (كلمات الله) إنها الأوامر التي يصدرها بشأن كذا وكذا ،
ولنفهم قصده تعالى فيما تقدم نجمع ما جاء في سورة الكهف وما جاء في سورة لقمان ،
(قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) ﴿١٠٩﴾ الكهف .
(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ﴿٢٧﴾ لقمان .
واعمالاً لما ذكرنا (دعوا القرآن يتكلم لنسمع ما جاءت به الأحاديث والروايات) ، نأتي بالرواية التي ستقدم لنا فهماً متجانساً للآيتين أعلاه ،
((روى عبد الله ابن مسعود قال :
إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن ، وإنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن ،
وقد جاءت رواية ابن مسعود وكأنه لم يقلها بل نقلها عن علي بن أبي طالب (ع)، لأن ابن عباس جاء بالرواية قال في خبرٍ آخر ما قاله ابن مسعود ، على أنه تعلم من عليٍ هذه الرواية وأضاف ابن مسعود ،
((قال ابن عباس: جل ما تعلّمت من التفسير من علي بن أبي طالب وابن مسعود ، إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها إلا وله ظهر وبطن ، وإنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) علم الظاهر والباطن)) ﴿٧٨﴾ .
ومن رواية ابن مسعود وابن عباس ، التي استخلصت من سيد البلغاء علي بن أبي طالب (ع)، نفهم ما جاء في قوله تعالى في الآيتين اللتين جاءتا عن كلمات الله تعالى .

....

﴿٧٧﴾ - علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي : ج{١} - الصفحة[٢٠] - الناشر دار الكتاب / قم { ١٤٠٤هـ } الطبعة الثالثة .
﴿٧٨﴾ - ابن طاووس ، سعد السعود ، كما في (التفسير والمفسرون) ج{١} - ص[٦٣] .

فالأولى وهي الآية التي جاءت في سورة الكهف ، وتعني الظاهر والباطن ، وهما البحر الذي لا ينفذ وإن كان هناك بحر يمده ،
(قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ **الْبَحْرُ** قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا **بِمِثْلِهِ** مَدَدًا) .
والثانية وهي الآية التي جاءت في سورة لقمان ، وتعني الحروف السبعة التي أنزل عليها القرآن ، أو المعاني السبعة التي يشتمل عليها القرآن ، أو سبعة من العلوم التي تدخل في تفسير كل آية من آيات القرآن **، أي إن القرآن** له وجه ظاهر وباطن ، وباطنه له سبع أوجه ، وكلها كان يعلمها أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب ، وبكتب وباعتراف ممن شايعوا وبايعوا غيره .

الفرع الثالث

سياسة الخالق مع الخلق في ظل دولة الخلافة

الرجوع إلى سفينة نوح

بعد ما مرّت العصور المختلفة ، بالمعاملات المختلفة ، والمعاجز المختلفة ، التي تتناسب مع مختلف الشعوب ، والتي أرسل الله إليها رسالاته ، فما يمكننا أن نتوقعه هذه المرة من سياسة مع الخلق ،

علينا أن نؤكد ما مر بنا في (ﷺ،ﷺ) ، حيث إن اختلاف تعامل السماء مع الشعوب لا يعني -جل جلاله- تغير في سنة الله أو تحوّل ، بل يعني تغير الشعوب وتغير مستويات إيمانهم بالله ، واختلاف معتقداتهم ، بما في ذلك أعرافهم وتقاليدهم ،

فماذا سنتوقع بعد مرور مئات وآلاف السنين ،

هل سيكون العذاب الشامل ، كما مر بقوم نوح ، أو الرحمة المطلقة ، كما مرَّ بقوم الرسول الكريم -ﷺ- ،

ولماذا لم يبدأ الله خلقَه بالرحمة ومن ثم العذاب ، وهذا ليس بسؤال معترض بل سؤال مستفهم ، وما علينا إلا افتراض خلاف ما حصل ، لنعلم الحكمة في حقيقة ما حصل ، ويمكننا اجمال هذا التصور على شكل فقرات :

١– كي يكون الأوائل عظة لمن يخلفهم ، ولو كان قد حصل العكس ، فلا يوجد ما يخيف الخلف من الشرك بالله ، وعدم الاعتراف به وبرسله ،

٢ – لأن الأوائل ، وفي الأخبار والروايات الأكيدة ، أطول أعماراً ، وبفارق كبير عن المتأخرين ، من بني آدم ، مما يؤكد لنا أن الله ، استخدم معهم بالفعل الرحمة ، وبأوسع معانيها قبل نزول العذاب ، فلم يطلب منهم نبي الله سوى كلمة الإيمان بالله ، والتذكير بآياته وأن يتقوه ،

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) ﴿٧١﴾ يونس .

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) الشعراء .

٣ – لو حدث العكس لمُلأت الأرض من الجبابرة ، مما يجعل أعداد الجبارين أعداد مهولة ، فكلّ جبار ، إن لم يهلكه الله في العصور السالفة ، فستكون ذرياته آلافاً مؤلفة ، والتصور العقلي يرشدنا إلى أنه من النادر أن يخرج من ذريّة الجبار ، من هو مؤمن ومحسن ، وبما أنه تعالى بيّن لنا إمكانية ان يخرج من الجبارين أناساً مؤمنين والعكس ، فإبادة الله للشعوب السالفة تعني ، أنه لم يفنِ شخصاً منهم ، إلّا وقد خلا من ذريته من سيخرج مؤمناً أبداً ، وحين يُبقي أحداً منهم ، فلأمرين لا ثالث لهما إلا بعلمه ، وهما أن يأتي من ذريته من هو مؤمن وصالح ، أو أن يكون بقاؤه لفتنة ستمر على المؤمنين لاحقاً ، كبقاء السامري على قيد الحياة ، ولو أراد الله -جل جلاله- أن يتخلص منه ، لأغرقه مع آل فرعون .

٤ – اختلاف مدارك بني آدم والتطور الفكري لهُم ، مما سوف تكون الخسارة كبيرة بفقد المتأخرين من بني آدم .

٥ – عن قضية الطوفان ، فلم ينزل العذاب إلا في قوم نوح ، وكل من قال بعكس ذلك ، بأنه تعالى أغرق من في الأرض جميعاً ، فقد افترى على الله واتهمه بهلاك المنذرين وغير المنذرين من بني آدم ، وفي كتابه الكريم : -

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) ﴿٥٨﴾ مريم .

والآية توضح لنا بشكل لا يقبل الشك ، بأن هناك اثنين من الذريات بقيت على الأرض ، الأولى من هم من نسل آدم وليسوا من قوم نوح ، والثانية هم من نجوا من قوم نوح ، وهذا يعني أن الأرض لم تخلوا إلا من سكان السفينة ، بل هناك الكثير منهم من يسكنوا خارج المنطقة ، التي سكنها نوح وقومه ، وهناك من الباحثين من توهّم واسند الطوفان الذي حل في الأرض يوم خلقت ، على أنه الطوفان الذي حصل لنوحٍ وقومه ، وبعد التحقيق في ما نسبوه من طوفان ، اتضح أن الدراسات تثبت أن الطوفان الذي حل في الأرض يعود لملايين السنين ، من هنا عادوا ليطعنوا بما حصل لقوم نوحٍ من طوفان ، والمغالطة سببها من اعتقد أن طوفان قوم نوح ، قد شمل العالم بجميع أراضيه .

والآن وبعد انتهاء البشرية من مدة العقوبات السابقة ، والرحمة اللاحقة ، فما عسانا أن نلاقيه بإعلان دولة الخلافة ، وبعد أن حددت كل فرقة موقفها ، فالفرق التي أطلقت على نفسها سنية ، أعلنت أن الصيحة هي حالة من الفزع ، وجب الهروب عن سماعها ، وغلق النوافذ والأبواب ، بينما جاءت الروايات المنقولة عن آل بيت الرسول من قبل الشيعة ، على أنها رحمة للمؤمنين وبشارة لفرجهم ، وإنذار بحلول اللعنة والعذاب على المنافقين من الأولين والآخرين ،

وهم بذلك أقرب للقول بحلول الطوفان على المنافقين ، وركوب المؤمنين لسفينة النجاة ، فلا تعد الصيحة البشارة المطلقة لكل الخلق ، ولا هي بالمصيبة الكبرى على كل الخلق ، ولا ننسى المليارات من البشر الذين ، ممن لا ينتمون لهؤلاء ولا لهؤلاء ، من الذين لم يتم ابلاغهم ، ووصول الإسلام بحقيقته النورانية إليهم ،
لذا سيقوم الخليفة بدور النبي الجديد لهم ، ولكن ببردة خاتم الأنبياء وباسمه ، وما أنزل من شريعته ، وسيرون بأمّ أعينهم ، الفئة التي بغت وافترت ، والفئة التي جاهدت وثبتت ،
ليبقى الخيار أمامهم مفتوحاً ، لانتهاج الحق والحقيقة ، أو اتباع الباطل والضلال .

الفرع الرابع

منزلة الخليفة مودة أم عبادة

نهج ذوي القربى

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ **كَحُبِّ اللَّهِ** وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...) ﴿١٦٥﴾ البقرة .

هذه الآية دليل على بغض الله -عزوجل- لهؤلاء النفر ، متى ما أحبُّوا من البشر **كحبهم لله** ، فهل عبارتنا هذهِ صائبة ، وكيف نفهم حبّ الله ، وكيف يمكنُنا قياسهُ ، كيلا نحب أحداً كحبِّ الله ،

طبعاً لم يفُتْ الفرق الإسلاميَّة ، استغلال هذه الآية ، لتكفير أعدائهم من باقي الفرق ، فأهل الجماعة ، يتَّهمون الشيعة بحبِّ آل البيت كحبِّ الله ، والشيعة يتهمون أهل الجماعة بعبادة الصحابة ، بما أنهم يأمرون بقتل من يمس بأيِّ صحابي ،

فما **رأيك** أن معنى الآية ، أن (حبّ الله) هو حبّ الرسول وآل بيته ، ومن يحبّ أيَّ شخص كحبِّ الله ورسوله وآل بيته ، فهو مِنْ مَنْ ذكرتهم الآية أعلاه ، وهذا ليس بقولي ، بل قوله تعالى ، والــدليل في العــبارة (من دون الله) ، فلنفهم الأمر جــيداً ،

من الثابت لدى كلِّ الباحثين ، أنَّ من فطرة الإنسان ، أن يُفتِّش عمَّن يعبدهُ ، وإن لم يجد من هادٍ له ، فسيبتكر إلهً بنفسه لنفسه ، كما وقد يوصله خياله وخوفه من المجهول ، لتجسيد إله ، بشيء يستطيع حمله والتنقُّل به ، ليضمن حفظ إلهه لهُ ، أين ما ارتحل ،

ومن فطرة الإنسان كذلك ، أنْ يبحث في من هُم من جنسهِ ، عمّن يُقدِّسهُ ويتبعهُ ، لذا كانتْ قضية الزعامة والقيادة ، في أقصى التأريخ ، ومُنذُ أن بدأت البشريَّة ، بتشكيل تجمُعات وأقوام ، ولكن لهذه القاعدة بعض الشواذ ، وهم ممن يرون في أنفسهِم ، الأولويَّة بتلك الزعامة والقيادة ، أو قد يرونها في شخص ، غير الشخص الذي اتّفقَ عليه الجميع ، لغايةٍ أو قناعةٍ أو عقيدةٍ ما ، وقد رأينا في قابيل ، مثالاً لهؤلاء الشواذ ، إذ رأى في نفسه ، ما يخوّله للتصدِّي للإمامة ، بدلاً عن أخيه ، ورُبَّما أحسَّ بمهانة الحياة ، وأخــيه إماماً عليه ، كــما نرى في إبليس المثال الأقدم ، للترفّع عَن تقديس مَنْ يظنُّهُ دونه ،

تلك الأحاسيس التي يُمكننا نعتها بالبسيطة ابتداءً ، سرعان ما تتفاقم لتصدر قراراً خطيراً ، كقتل الأخ ، أو عصيان أوامر الرب بعد طول العبادة ، بالنسبة لإبليس ، ولو بحثتَ في كل النصوص القرآنية ، لمَا وجدتَ أعظم من هذا الذنب ، عند الباري -عزوجل- ، ألَا وهو ، موالاة من هو عدواً لله ، (أو موالاة **غير الله**) ،

فهل انتبهتَ إلى أنَّ العبارة التي بين القوسين ، عبارة خاطئة بموجب اللغة والبلاغة القرآنية ، وبموجب اللغة والمنهاج القرآني ، يعد خطأً فادحاً ، يقلب موازين الأمر ، لأننا سنكتشف إن القضية ليست اعتباطية ، متى ما شئت كتبتَ (من دون الله) ومتى ما شئت كتبتَ (غير الله) ، ما دامت الإشارة يمكن أن تحمل البشر ، أي ما دامت الموالاة لله ولرسوله أو أحداً من خلقه ، حتى وإن كان عدوه ، فيجب أن نختار (من دون الله) ، أما حين يكون الحديث عن الذات الإلهية ، فلا يجوز إلا أن نختار (غير الله) ولنرى تفاصيل ما تقدم ،

أتت عبارة (من دون الله) في القرآن لأكثر من (٥٥) مرة ، فيما أتت (غير الله) في ثلاث آياتٍ فقط ، فلماذا كلّ هذا التركيز ، ولماذا نجدُ عبارة (من دون الله) ، وكأنَّ لها علامات وإشارات ، ونحن على يقين ، أن النمطية يحسبونها ، مُجرَّد زيادة للتوكيد ، فأنعم النظر في قوله تعالى : -

(أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ﴿١١٦﴾ المائدة .

تأتي عبارة (من دون الله) بمقاصد متعددة ، وإشارات عديدة ، **أهمَّها** من لا بُدَّ أن يكونوا من البشر ، كما جاء في قوله تعالى : -

(وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَـــذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَــهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ **وَلِيّاً** وَلَا نَصِيراً) ﴿١٧٣﴾ النساء .

فالأولياء كما نفهم ، هم من البشر ، والنبي الأعظم ، هو أوّل من أمرنا الله باتخاذه وليّاً ، في قوله تعالى : - (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ) ﴿٥٥﴾ .

ومن هنا نلاحظ الدقَّة في اختيار مفردات الكتاب الكريم ، فلو أنه تعالى قال ، بدل (من دون الله) ، (غير الله) ، لحدث خلل كبير ، يُخرجُ الآية عن البلاغة المعهودة في القرآن ، وفي آيات أخرى ذكرت عبارة (غير الله) : -

(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ **غَيْرُ اللَّهِ** يَرْزُقُكُمْ .....) ﴿٣﴾ فاطر .

وهنا حين يتحدث الله -جل جلاله- عن الخالق ، فلا بد أنَّهُ يختار عبارة (غير الله) لأن الله فقط هو الخالق ، وهو من أنزل القرآن : -

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِــنْدِ **غَيْرِ اللَّهِ** لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ﴿٨٢﴾ النساء .

والموضع الأخير الذي جاء فيه (غير الله) هو عين ما تحدثنا في أعلاه : -

(أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ﴿٤٣﴾ الطور .

وقد نشك بما توصلنا له ، إذْ أشار تعالى للآلهة بالعبارة (من دون الله) فكيف : -

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ **آلِهَتُهُمُ** الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) ﴿١٠١﴾ هود .

فما أن نبحث جيداً في النصوص القرآنية ، نجد الجواب جاهزاً ، إذ إن الآلهة المشار لها ، لا تخلوا من أناس تمَّت عبادتهم ، ولوجود هذه الحالة ، فلا بد من الإشارة لها ، وتضمينها من خلال العبارة (من دون الله) ، وهذا ما نفهمه من : - (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ **عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ﴿١٩٤﴾ الأعراف .

ومعظم ما جاء في الآيات القرآنية ، بخصوص (من دون الله) جاء للأولياء : (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ **أَوْلِيَاءَ** مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) ﴿٣٠﴾ الأعراف .

وقد فهمنا أن الأولياء ، لا بد أن يكونوا من البشر ، وإن جمعوا مع الذات الإلهية ، لأن جمعهم مع الذات الإلهية ، دليل على أنهم يُمثِّلونَ الله في شرعه ، ونتفرغ الآن ، للخوض فيما بدأنا به حديثنا ، وهو حبّ الله ، فكيف نحبّ الله ، حبّاً لا يمكن أن يشابه حبّ أحدٍ من خلقه ،

والجواب : في حبنا لأحدٍ كحب الله ، ولكن هذا الأحد يمثِّل الله في شرعه وسنته ، فلا يمكن أن نتصوّر حبَّ الله ، ونحنُ لم نرهُ ، ولم نشهد إلّا ما شرعه فقط ، = حين تُبحر في عظيم آيات الله ، فلن تملك إلّا القول : (وقد تعشق الأذن قبل العين أحيانا) ، وعذراً لإيراد الفعل نعشق ، لأنّ لنا موقف سنوضحه قريباً ، ولكن هكذا قال الشاعر ، والأصح قولاً هنا (وقد تود الأذن قبل العين أحياناً) ، ولا نظنُّك ستقول ، بما إنَّنا نعشق أو نحب شرع الله ، فالله يعني ، أن نحب شرع أحدٍ من خلقه ، كما نحب شرعه ، وهذه الحال ضمنية ، ولكن من المؤكد أنَّها غير مقصودة بهذا الشكل ، وإلَّا فما كان يمنع من التصريح بها ، فالواضح أن الحب جاء هنا ، بمعنى المودة والطاعة ،

حب الله لعباده ، يأتي خلاف البغض والكره ، ويأتي كمفردة رديفة لمعاني كثيرة ، كالتفضيل والاختيار وتقريب ذلك العبد من الله ، أمّا العبد لله ، فيأتي بمعنى العبادة والطاعة ، كما إنَّ حب العباد للأنبياء والأولياء ، يأتي بمعني المودة والتوقير ، ويشترك معنى حب العباد لله -جل جلاله- ، وحبهم للأنبياء والأولياء ، بمعنى الطاعة ،

وما دليلنا بعد كل ما تقدم ، أن المقصود بحب الله ، هو حب ممثليه من الأنبياء والأولياء ،

الدليل الآخر ، مفردة (أَندَادًا) ، فلكي يكون الشخص نداً ، يجب أن يكون من نفس الجنس ، فالندُّ هو المثيل ﴿+﴾ ، وحاشا لله ، أن يجمع بينه وبين عباده ، إلَّا إذا كان هذا الجمع في المنهاج ، أو أعداءه مقابل أنصاره ،

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ) ، فالأنداد هنا ، أشخاص معادين لله ، يجب أن يكافئ وجودهم ، مع من هُم من جنسهم ، فهب من بعد إذن الله ، أن الآية جاءت (ومن الناس من يتخذ من – غير – الله أنداداً) ، فالخطأ يكون ، في أن من يتخذونهم ، هم أناس وليسوا آله ، والحديث عن الحب ، وليس عن العبادة بالتخصيص ،

وأمّا بعد ... فنجده بتحميل النص للجمع دون المفرد ، أي من الهين أن تشير الآية للمفرد ، وقد جاءت بالفعل للفرد ، ولكن هناك من جعلها تتغير ، لتشير للجمع ، فكرر تلاوة قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن **يَتَّخِذُ** مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً **يُحِبُّونَهُمْ**) ، فالفعل (يتَّخِذ) إشارة للمفرد ، فلماذا تحول للإشارة للجمع في (يحبونهم) ، فأمّا أن يكون القول - يتخذونهم من دون ...... يحبونهم - ، وقد وضعنا التنقيط بدل الكلمات التي أتت في منتصف هذه الآية ، خوفاً من اعتباره تحريف للآية ، والقصد هنا البحث والبيان ، أو يكون الحديث كله بالمفرد ، لتكون الآية - يتخذ من دون ....يحبه - ،

وهنا التأكيد الأخير ، الذي يحسِم الأمر ، ألَا وهو معادلة الجماعة بالجماعة ، فيحبُّونهم مقابل حب الله ، والذي هو حب الله ورسوله وآل بيته ،

وعلينا الآن الانتقال إلى ما أمرنا الله به من المودة ، وما يمكن أن نسند به كل ما مر من حديث ، وهل جاءت المودة ، على غرار الحب المشار له أعلاه ،

في بداية اقدامي على دراسة الدين ، كنتُ محمّلا بأسئلة كثيرة ، تدفعني لإيجاد الأجوبة سريعاً ، كان منها ، فكرة التقرّب من باقي الأديان الإبراهيميّة ، وبالأخص النصارى ، لما جاء فيهم من ثناء ، في النصوص القرآنية ، وتساءلتُ ، لما كل هذا الإقصاء لأمة كبيرة ، ولمجرّد حبّهم لنبيهم ، وتصويره على أنه أبن الرب حاشا لله ، وهناك ما جعلهم يعتقدون ذلك ، في أن عيسى النبي -ﷺ- ، أحيى الموتى ، وخلق الطيور ، ونفخ فيها الروح ، وهناك من حاك الأكاذيب ليدفعهم إلى هذا الاعتقاد ، وإذا كان هناك كليم لله ، وحبيب وخليل ، فلماذا لا يقرّب أحد أنبياءه ، منزلة الابن ، ولو كمنزلة لا كحقيقة ،

وما أن بدأت ، ببحثٍ أسميته ، ماهية عظمة الخالق ، وهو دراسة تصوُّريَّة ، لكُنْهِ الله وصفاته ، وكيف يمكن أن نختار لأنفسنا إله ، بصفات ومنهاج ، تتفق مع تصوراتنا للعظمة المطلوبة للإله ، حتى أدركتُ إن العلّة في هذه القضية ، ليست في المنزلة ، فالحبيب والخليل ، كثيراً ما يفضّلُون على الابن -حاشاه- ، بل في قدسيَّة الله وكنهه ، فلو كان له الأبن حاشاه ، فسيحتاج الزوجة حاشاه وهكذا ، ومجرد الحديث عن الحاجة ، سيمس ذلك بكنهه العظيم ، ومن بعد ذلك كلّه ، يأتي السلفي ، وبكل بساطة ، لينسب لله النزول والصعود في هذا الكون ،

وما يهمنا الآن ، وما جعلنا نمر بهذا الموضوع ، هو القياس بما تحدثنا عنه مع قوله تعالى : -

(أَلَمْ يَعْلَــمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَـــادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَـــالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) ﴿٦٣﴾ التوبة .

والتحاد ، هو التنازع والصد ، تحادَّ : فلانٌ مع الآخرين : حادّهُم ، تنازعَ معهُم (+) هذه المنزلة التي أوضحها الله ، تعلو كل منزلة من الممكن أن نتوقعها بين حبيبين ، وآيات لابُدَّ وإنك مطلع عليها ، تثير العجب ، إثر هذا التلاحم والوداد ، بين الله ورسوله ، لا تعادله منزلة أب من ابنه ولا حبيب من حبيبه ،والمصيبة لدى أهل الجماعة ، لو أن ما نقلوه عن أئمتهم ، هو عين الحقيقة ، فهذا يعني أنهم بمنزلة الرسول عند الله ، فيما لاقوا ما لاقوه من قتل وسجن وتشريد ، لأننا نعلم حقاً أن لا نبي بعد الرسول الأعظم ، ولكن لا يمنع من وجود أشخاص بمنزلة الرسول ، خاصة وقد أشار الله لموالاته وموالاة الرسول والذين آمنوا .... ، وما تحدثنا عنه ، وبذلك سيكون خليفة الله ، بمنزلة ما نصت عليه الآيات ، بخصوص الرسول ، وعليك أن تستبدل بفكرك ، كل مفردة للرسول بالخليفة ،

ولم يبقَ لدينا الآن غير قضية المودة ،

ونبدأ حديثنا برواية نذكرها بالنص ، جاءت في تفسير القرطبي لتفسير (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) لا أعرف كيف نجت مثل هذه الرواية من أيدي أهل السلف ، ولم يضعفوها أو ينكروا سندها ،

((حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المريّ ، عن السديّ ، عن أبي الديلم قال : لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا ، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قربى الفتنة ، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنهما : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم ، قال :

ما قرأت (لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ، قال وإنكم لأنتم هم ، قال نعم)) . وسنذكر الرواية كاملةً ، في مطلب (المغفلون من الشيعة ....) .

وفي ابن كثير عن البخاري ، قال : ((حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاوسا عن ابن عباس : أنه سئل عن قوله تعالى [إلا المودة في القربى] فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد)) .

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : ((لما أنزل الله -عز وجل- قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، قالوا يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال :

عليّ وفاطمة وأبناؤهما . ويدل عليه أيضا ما روي عن علي - رضي الله عنه – قال : شكوت إلى النبي - صلى الله عليه وآله سلم - حسد الناس لي . فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة ؛ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا .

وعن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : حرمت الجنَّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة)) ﴿٧٩﴾ .

وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال : ((وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله سلم - : من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان . ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير . ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة . ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة . ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة . ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله . ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا . ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة . قال النحاس : ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة ، قال : كانوا يصلون أرحامهم فلما بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قطعوه فقال : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني)) نفس المصدر السابق ﴿٧٩﴾ .

ولا نرى من حاجة ، بعد كل ما تقدم ، للتعرف على منزلة آل بيت الرسول ، والأئمة من ذكريتهم ، والنص الأخير ، عن حب آل محمد ، خير بيان على أنه بالفعل ، حب الله ، الذي لا ينبغي أن نحب أحداً كحبهم .

أمّا قضية العشق الإلهي ، الذي ظنوه حباً لله ، فهم لم يفقهوا ، لماذا لم يستخدم الله مفردة العشق ، للتعبير عن حبه ، أو حب آل الرسول ومودتهم ،

فالعشق حرك جسدي نحو المعشوق ، كقولك أنا جائع ، بمعنى إنك تريد الأكل ، فالتعشّق بمعنى التداخل الجسدي مع المعشوق ، وهذا كله ليس من المنهاج الحق .

....

﴿٧٩﴾ - ص [٤٨٦] ، تفسير القرطبي للآية ﴿٢٣﴾ من سورة الشورى .

المطلب السادس

مراحل الظهور

(يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) ﴿٢٢﴾ النور .

على وفق مذاهب أهل الجماعة ، وما نقلوه من أخبار ، فإن الظهور ينحسر في فترتين فقط ، الأولى علامات ما قبل الظهور ، وهي على وفق اعتقادهم علامات مخوفة ، أهمها صيحة جبرائيل ، والتي ينصحون انصارهم بغلق الأبواب ، والبقاء في بيوتهم متى ما سمعوا تلك الصيحة ، والفترة الثانية هي الظهور نفسه ،
أما على وفق الروايات المعتمدة لدى الشيعة ، فيمكننا تقسيم الظهور على : -

أولا - **الظهور التبشيري** : -

يبدأ من اليوم الأول للغيبة الكبرى مباشرةً ، وتنصب كل حيثياته وتتلخص في دعاء الله سبحانه للمهدي ، بأن يعينه على الخروج ويمكّنه في الأرض ، وينصره حتى يحقق دين الله ، وينشر العدل ، وينصف المظلومين ، وعرف الدعاء باسم دعاء الفرج ، أي الفرج بظهور المهدي ، وقد عرفت صيغة الدعاء ، ((اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلاً برحمتك يا أرحم الراحمين)) ..
وهو يمثل دعاءً عاماً ، زيادة على وجود الدعاء الخاص، أو مخصصاً لطلب الرجعة مع المهدي ، يسمى بدعاء العهد ، وهو دعاء طويل من كذا سطر ، ويقرأ على وفق ما نقلت الروايات أربعين فجراً ، ويتضمن الإلحاح على الله بأن يسجل اسم من يدعو بهذا الدعاء أن يكون من أنصار المهدي ، ويطلب أن يبعث من قبره ، بما يسمى بالرجعة ، لينصر الإمام وينال شرف الدفاع عنه وعن رسالته السامية المباركة ، ويبدو أن الدعاء العام ، سوف يستمر حتى بعد الظهور المعلن ، لأن صياغته تبين أن الطلب من الله لا ينتهي بمجرد الظهور ، بل بتحقيق كل ما جاء به من منهاج الله ولكل هذه المعمورة ، فالقضية لا تنتهي ولا تنحصر بنصر فرقةٍ معينةٍ أو أمة واحدة ، بل تشمل كل أرجاء العالم بما فيه من أمم وقوميات ، ومما لا شك فيه ، أن حكمه كحكم سليمان من حيث الأجناس المختلفة ، من إنس وجن ، وما لا نعلمه من الخلق .

ثانياً - **الظهور التعبوي** : -

ويبدأ على أعتاب بزوغ شمسه وظهور أمره ، فيعمل أنصاره على اعلان ظهوره ودعوة الناس وتبليغهم بالانضمام لدولته ، وقد تبدأ هذه المرحلة ، قبل الشروق الصادق ، أي قبل مجيئه بعقد أو عقدين من الزمن ، وقد بين بعض الباحثين أن هناك من يدعون بالممهدين للمهدي ، مهمتهم تذكير الناس بالعدل السماوي ، (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ﴿١٤﴾ الجاثية .

كما جاء قوله تعالى : -

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿١٠٩﴾ البقرة .

ثالثاً - **الظهور السري** : -

في منهج كل الأنبياء تقريباً ، هناك فترة غير معلنة للملأ ، تسمى الدعوة السرية ، أو دعوة الخفاء ، وهي تقتصر على أقرب الناس إيماناً بالمهدي ، ومنها تبدأ لدى الشيعة واليهود قضية الرجعة للمؤمنين والمناصرين فقط ،

رابعاً - **الظهور المعلن** : -

وهي المرحلة الأخيرة ، والتي يبدأ فيها خليفة الله ، بالإعلان عن نفسه بنفسه ، كما تبدأ الرجعة للكفرة الفجرة ، الذين سيكونون براهين للكشف عما زيف من منهاج الله وزور وحرف ، منذ القدم وحتى من مات مؤخراً من المعاصرين ، وكان له اتباع ومريدون .

فمتى وكيف يمكننا الاتصال بالخليفة ، بعد أن فات علينا ادراكه في السالف من حياتنا ، وحياة أسلافنا ، ولو كان الظهور مراحل ، فكيف نفهم المرحلة التي نحن فيها ، وهل تختلف من مكان لآخر ، وعلى هذا ، أطلقنا عليها عنواناً ، وهو الزمكانية في الظهور .

الفرع الأول

طرائق الاتصال بالخليفة

في بدايات دراستي البسيطة في علم الباراسايكلوجيا ، توصلت لاكتشاف أمرٍ ، من المؤكد بأنك ستؤمن به أنت أيضا عزيزي القارئ ، لأن الكثير من فصول هذا الأمر معروفة ، وهو أنه تعالى منحنا أكثر من خمس حواس ، كما أكد هذا الأمر الكثير من العلماء ، يمكننا تسميتها بالحواس الذهنية ، أي التي يدخل الفكر وحده في استعمالها ،

لذلك سنقول أولاً عن أمر ، لا يختلف كثيراً عن هذه النتيجة ، والذي سبب عدم تفاعلنا مع هذه الحواس ، وهو أن هذه الحواس الذهنية موجودة من دون أداة ، فمثلا حاسة البصر ، لها آلة وأداة تستخدمها لتفعيل هذه الحاسة ، ألا وهي العين ، وكذلك الأنف لحاسّة الشم ، لذا فإن الفرق بين الحواس الذهنية والحواس الطبيعية ، هو عدم وجود آلة لاستخدامها ، فلماذا وما تلك الحواس وما أسباب وجودها ،

ولا نريد هنا أن نعيد عليك آراء الباحثين ، بخصوص ما أطلقوا عليهن بالحاسة السادسة والسابعة ، فأي كان رقم هذه الحواس فنحن سنتكلم على حاستين اثنتين منحنا الله إياهن لأسباب مهمّة ومُلحة ،

وهما حاسة التنبؤ (المستقبلة) ، أو ما يسمونها ، بالحاسة السادسة ، وحاسة التخاطر (المرسلة) ،

وما بين الخرافات الكثيرة ، التي دارت حول وجود هذه الحواس ، وبين الدراسات المكثفة التي أجريت وخاب الكثير منها ، فنحن سنحاول ، أن نتخذ من النص القرآني والأحاديث الشريفة ، المتفق عليها عقلاً ونقلاً ، دليلا لإثباتها ،

ونرى أن هذه الحواس وإن استعملت في غير مجالاتها ، فإنها مُنحت لبني آدم لتكون الصلة بينه وبين السماء ، أي إن الدعاء الذي أجازه الله لنا ، لابد من أن يكون قد أسّس كما أسّس هذا الكون ، بنظام علمي دقيق ،

الآية ﴿٤٤﴾ من سورة الإسراء : -

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) .

وإذا كنا قد علمنا ، أن بني آدم خلقوا من سلالةٍ من طين هذه الأرض ، وبما إن هذه الأرض تفقه التسبيح لله ومنذ ملايين السنين قبل خلق الإنسان ، فلابد بعد ذلك من أننا اكتسبنا هذه الخاصية من الأرض التي خلقنا منها ، أي إننا نقول إن أدنى ما يجب علينا الاعتقاد به ، هو اكتساب خاصية التسبيح لله مما خُلقنا منه

، إن لم نجد دليلا يؤكد لنا أنه سبحانه وتعالى خصنا بخلق ما يجعلنا ندرك ونتواصل معه ،
لذا نستطيع القول إن فطرة الإنسان هي تلك السلالة الوراثية التي كانت من فطرة الأرض التي فطرها الله عليها ، ولو أننا فطرنا من قبل الله ، فطرة أخرى كأبناء لآدم ، وكمخلوقات من الإنس ،
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ﴿٣٠﴾ الروم .
فهذا لا ينافيه أننا اكتسبنا من الأرض ما فطرت عليه ، أي اكتسبناها بفضل طبيعتنا الطينية ، لا بفضل من كان قبلنا من آبائنا ،
وفطرة الأرض هي التي أجابت الله إذ سُئلت :
(ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ﴿١١﴾ فصلت .
فيما نرى من حالة مشابهة مرت بنا ، ونحن بعد لم نتكون أجساداً : -
(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) الأعراف .
وكل ما يمر بنا من حوادث ، سواء قبل تكوننا أجساداً ، أم بعد ذلك ، وما قمنا به من تصرفات في حياتنا ، سيتجسد طبعاً من طباعنا لحياتنا الجديدة ،
هذه الصورة لو رسمناها بشكل علمي ، لتوصلنا أنها أيضا من فطرة الإنسان ، فحين يفقد الإنسان ذاكرته تتحول المعلومات التي كانت مخزونة لديه إلى فطرة ، أي إن الإنسان حين يتعلم السرقة ويمتهنها ، ثم يفقد الذاكرة لحادثٍ ما ، فإنه بعد ذلك نراه يهوى السرقة ، ويستصعب الكسب الحلال ، بالرغم من أن ذاكرته الإجرامية مُحيت تماماً ،
مما يعني أن الإنسان بعد موته ، سيتحلى بأمور تخصه وتتخصص به ، كما هو في المسحة الجينية (الدي أن أي) ، فالنفس بهذا تحمل مسحة جينيّة ، اكتسبتها مما مرت به من حياة سابقة ،
وحين نخلق من جديد أو نبعث من القبر ، سنتحلى بصفاة اكتسبناها من حياتنا الأولى ، إذا ما قلنا إن ذاكرة الإنسان ستمحى بعد موته ، وما يؤكد ذلك آيات قد فسرت تفسير بعيد عن حقيقتها : -
(ونادى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ﴿٤٤﴾ الأعراف .

وهذا يعني أن هناك حالة من النسيان قد مرّ بها أصحاب النار ، وقد رأى بعض الباحثين أن هذه الآية هي دليل على عدم وجود البرزخ ، الذي ذكره بعض الباحثين ، على أنه إمّا أن يكون حفرة من حفر جهنم ، أو روضة من رياض الجنة ﴿٨٠﴾ ، وكي لا نتوسع في مبحثنا هذا ، نحدد مغزانا ، بأننا نملك الآن فطرة جاءتنا من طبيعة خلقنا من الأرض ، وفطرة أخرى أودعها الله فينا ،

أما الأخيرة فهي التي تدفعنا للتوجه نحو خالقنا ،

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ﴿٨﴾ الزمر .

وأما الأولى فهي من تدلنا على آلية مناجاة الله ، ثم الإحساس بأن الله تقبل مناجاتنا ، بأن أنجانا مما نحن فيه ، وبذلك فكلما وقعنا في ضيق دعونا الله ،

وخلاصة القول ، إن الله جعل لنا اثنتين من الحواس ، الأولى لإرسال دعائنا ومناجاتنا ، والأُخرى لنتسلم به الجواب عن الدعاء ، أو بعض التحذيرات ، التي تنجينا ، كما حدث في القصة المشهورة لنبي الله يوسف ، سواء لصاحبيه في السجن ، أم للملك ، الذي رأى سبع بقرات عجاف يأكلن سبع سمان ،

فبدل أن يجعل الله ملكاً رسولا ينبينا عن هذه التحذيرات ، جعل لنا ما يمكننا الإحساس به ،

ومن الملاحظ أن هذين الحاستين يعملان معاً بالتقنية نفسها ،

وربما يمكن استعمال هذه الأجهزة ، عن طريق ما نسميه بالتنويم المغناطيسي ، فعن قضية التنويم المغناطيسي ، نرى أنها محاولة لتشغيل هذين الحاستين ، والانتفاع بقدارتهما ، لكن الصعوبة في ذلك تكمن فيما ذكرناه في أول المبحث ، وهو أن الحاستين لا تمتلكان أداة للعمل ، فليس لهما عينٌ ليرى أو أذنٌ ليسمعا ، ويبقى نجاح العمل على فهم المشتغل ، وقدرته لمثل هذه الأعمال ،

وحقيقة التنويم المغناطيسي ، هي عكس تسميته تماماً ، لأن حقيقته ، تفعيل القوى الداخلية للإنسان ، عن طريق إيقاف قواه الخارجية ، المتمثلة بالحواس ذات الأدوات المعروفة ، أي إنَّنا نقوم بإيقاف البصر والسمع والشم واللمس والتذوق ، من أجل تفعيل حاسة التنبؤ ، أو التخاطر ، أو إيقاف بعضها لزيادة قوى بعضها الآخر منها ، وهذا ما هو معروف لدى فاقدي البصر ، أو الصم البكم ، من أن حواسهم الأخرى تمتلك قوى مضاعفة ، والأصدق هو تفعيل ما نمتله من حواس ، لأجل استخدامها للحواس منزوعة الآلات ،

....

﴿٨٠﴾ - كتاب : التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية – [١٧٠] .

وقد يأخذك الاعتقاد بعد كل ما تقدم بأننا نشير ، إلى أن من يريد الاتصال بالخليفة ، عليه أن يدعوه ويناجيه ، لكن القضية أيسر من ذلك بكثير ، فأنت حين تناجي الله أن يرزقك بهطول المطر ، فإنه ليست لك حاجة لمناجاة ميكائيل ، حيث لا تمتلك أي صلة بالملائكة ، سوى تقديسهم والإيمان بوجودهم ، أما مع خليفة الله ، فإن الله تعالى أوضح لنا بأنه جعل في الأرض خليفة ، لكنَّنا مصرِّين على أن نهمل النص ، ولا نتقيّد بما نسميه إدارياً بالتدرّج الوظيفي ،

ونحسب أن الله أعظم من أن يجعل له واسطة ، وهذا كُلّهُ خلاف الحقيقة تماماً ، فالله **أعظم** من ألا يجعل له سبيلاً وواسطة ، كأنَّنا نقول إن الله لا يمتلك حاشية من الوزراء والوكلاء ومن يمثلون إرادته ، والحقيقة الدامغة ، إن ما من شيء إلا وجعل له الله وكيلاً ، وما من أمر إلا وأنزله بالواسطة ،

ولولا هذه الحقيقة لما كان لله من ملائكة وأنبياء وأوصياء ، ولما جعل الله له خليفة على الأرض ، فمنصب الخليفة يجب أن يحجب تعاملنا مع الذات الإلهية ، وإن كانت أدعيتنا موجهة لله بشكل مباشر ، فيجب ألا يسلبنا ذلك إيماننا بوجود خليفته ، ومن المفترض أنك في تواصل تام مع الخليفة ، ما دمت في تواصل دائم مع الله ،

وهذا بالضبط ما جاء في قوله تعالى : -

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .

فكيف يعطي الله لنفسه وظيفة ، تماثل وظيفة الرسول والذين آمنوا .... ، فكون الرسول وليَّاً لنا ، فهذا ما هو معقول ومقبول ، وفي حالة فقدهِ أن سيكون الذين آمنوا ..... ، هم الأولياء ، أمّا أن يكون الله هو ولينا ، فلا يعني إلا من اتبع منهاج الله ورسوله والذين آمنوا .... ، هو من يكون وليُّنا من بعد الرسول ومن نواليه بعده .

الفرع الثاني

زمكانية الظهور

المرحلة التي نحن فيها الآن

مِنْ تفقّد سيرة الأنبياء ، نستوثق أن للزمان والمكان الذي يبث الأنبياء رسالاتهم فيه ، تدخّل إلهي مباشر ، وغير قابل للتغيير ، حتى من قبل الأنبياء ربما ، فإبراهيم الخليل (ع) ، ولد في جنوب العراق ، وواجه النمرود ، لكنه أُمِرَ أن يسير بأهله إلى بلاد الشام ، ليكوّن أمّته المسلمة ، وكذا الأمر عند نبي الله لوط وكذا عند موسى ، وهذا ما جرى لنبي الله يونس ، حتى نبي الله نوح ، فبالرغم من أنه انتقل مع أهله وأصحابه ، لكنه نزل بعيداً عن محل ولادته ،

وهذا ما جرى على صعيد الزمن ، وليس على صعيد المكان فقط ، فلكل نبي زمن معين وعُمْر محدّد ، يكلّف به لإظهار نبوته ، فهناك من تكلم في المهد مشيراً لنبوته ، وهناك من شبّ وكلمته الملائكة ، وهناك من بلغ الأربعين ،

كذا أجمعت كل النصوص القرآنية ، على أن الزمان والمكان لا يمكن تحديدهما إلا من قبل الله تحديداً ،

ولا ريب في أننا منشغلون الآن ، بمعرفة زمان الظهور ، وبما إن التوقيت اختص به الله ، فقد يجليه أو يؤخره ، وهذا هو محل التعجب دائما ، حيث لا يفهم بعضهم ، كيف أنه تعالى عالم الغيب ، ويعلم ما سيجري ، مع ذلك قد يقدم الأمر أو يؤجله ، فهل يعني أن التوقيت يكون مكتوباً عند الله ، ثم يغيره لأسباب طارئة ؟ ،

لنعود أولاً لمثالٍ سبق وإن أوردناه في الكتاب الأخير ، إن فتى عزم على أن يثبت لأصحابه ، أن موته سيكون بقرار منه ، وليس بكتاب من عند الله ، فراح لينتحر ويثبت لهم ذلك ، لكنه لا يعلم أنه سبحانه كتب على هذا الفتى أن يطيش وينتحر ، فتكون نهايته وموته هكذا ، وعليه يكون موعد وفاته عند الله ، هو يوم انتحاره ذاته ،

والسؤال هنا ، لو أنَّهُ لم ينتحر فهل كان الموت سيلقاه ، وتكون تلك الساعة هي ساعة موته؟ ،

الجواب أخبرتنا به الآية 154 من سورة آل عمران : -

(قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ** إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

كما وردت آيات أخرى بهذا الخصوص ،
(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ﴿٣٤﴾ الأعراف
.
ونلاحظ التأكيد ، (لا يستأخرون) و (لا يستقدمون) ، أي لا يملكون لأنفسهم التأخير أو التقدم ،
فضلا عمّا بينته الأحاديث ، بأن لا شفاعة في الموت ، وأن معشر الإنس والجن لو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ، على أن يقدموا أو يؤخروا ساعة من حياة أحدٍ من الخلق ، ما استطاعوا أبداً ، لذا فإن كل الروايات والمنقولات ، التي قدمها كعب الأحبار ، عن التقديم والتأخير ، ما هي إلا افتراءات لا تنتمي إلى الحقيقة وللنظام السماوي بأي صلة ، وإليك نبذة من تلك الافتراءات التي لا يمكن أن يكتبها أو يتقبلها إلا جاهل ، ففي تفسير القرطبي لهذه الآية ذكر : -
((فلِمَ قال : (ألف سنة إلا خـــمسين عاما) ولم يقل : تسعمـائة وخمسين عاماً ففيه جوابان : أحدهما : أن المقصود به تكثير العدد فكان ذكره الألف أكثر في اللفظ وأكثر في العدد .
الثاني : ما روي أنه أعطي من العمر ألف سنة ، فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة رجع في استكمال الألف ، فذكر الله تعالى ذلك تنبيها على أن النقيصة كانت من جهته)) ،
من قالوا بهذا التفسير ، هم دعاة الأخذ بظاهر القرآن ، وعلى ما يبدوا أنهم جوّزوا الأخذ بالباطن ، أو ما نسميه بـ(التورية) ، إذا كان في المفهوم الباطن ما يدعم روايات كعب الأحبار وغيره ، وقصصهم عن الأنبياء في سالف الزمان ،
وقد ذكر القرطبي ما ذكره ، دون أن ينسب هذا القول الهجين على العقل والدين لأحدٍ أبداً ، واستكمل النص أعلاه (فأخذهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة : المطر ، الضحاك : الغرق ، وقيل : الموت) ، مبتعداً عن ذكر سند ما جاء به في أعلاه ، غير أن هذه الرواية تعتبر من الروايات المتفق عليها لدى أهل التفسير ، ولم يخل كتاب للتفسير منها ومن أشباهها ، من القصص الخاصة بتوزيع الأنبياء لسنوات حياتهم ،
ويبدو أنهم لم يكونوا على دراية ، أن للكلمات وزناً في القرآن ، ولكل كلمة عددا خاصا يحتويه القرآن ،
ما مرّ بنا يبين ويؤكد ، أن من المحال تغيير ما هو مكتوب ومقدر ، ولكن وفي الوقت نفسه يمكن أن تتغير الأسباب ، على وفق الظروف المحيطة ،
عموماً مقصدنا هنا على غرار ما أوضحناه في الكتاب السابق من تغير الأحكام ، ولكننا حين نطلع على قصة مريم العذراء ، سنجد ما يخالف ذلك القدر والمكتوب

، فقد أخبر عمران (ع) الناس ، أنه سينجب ولداً مباركاً ، يعيد بني إسرائيل إلى جادة الصواب ، ومثلما نعرف ، فإن الأمر لم يتحقق ، وتفاجأت زوجة عمران بأنها أنجبتْ أنثى ،
(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي **وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ** وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ **الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ** ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ﴿٣٦﴾ آل عمران .
ولنقل إن هذا الخبر بكل تفاصيله ذكر في الكتاب السماوي (أ) ،
لكن الكتاب السماوي (ب) ، ذكر أن عمران سينجب أنثى ، ومن ثم تلد لهم الولد المبارك الذي ينتظرونه ، ومن دون أن يتزوجها من أحد ، فلماذا ؟
السبب نجده في الكتاب السماوي (أ) ، لذا ذكرنا أن هذا الخبر بكل تفاصيله ذكر في الكتاب السماوي (أ) ، فما هي تفاصيله ،
تفاصيله هي أن تلد ام مريم الولد المنتظر ، وفيه أنه بعد ساعات قليلة أو ربما دقائق ، يهجم جيش الرومان ، ليقتلوه بمساعدة ومساندة أحبار اليهود ، المنشقين على عمران وزكريا ، فما كان من المخطط الإلهي ، إلا استبدال الحكم بخطة بديلة ، حفاظاً على حياة نبي الله عيسى (ع) ، وقد أطلق فقهاء الشيعة على هذه الحالة بـ(البداء) ، ويمكننا تسميتها كذلك بالاستبدال ، وهذا الاستبدال لا يكون إلا عن حكمة وأمرٍ معتبر ، وقد تظهر لنا القضية على أنها مجرد تمويه وتضليل للمجرمين ، كي لا ينالوا من نبي الله ، لكننا قلّما نعلم عن عدد الحكم والمواعظ التي تسوقها لنا الآيات والأحداث ، التي تجري بأمر الله ، فنبي الله عيسى ليس بالإنسان الاعتيادي ، بل هو من سيمثل شريعة الله والإنجيل الناطق ، والقضية لن تنتهي بأن تنجب أم مريم بنتاً بدل الولد ، بل إن من المؤكد أن مريم لو تزوجت وانجبت ولداً ، فسيكون أيضاً من المؤهلين للقتل ، لأن بني إسرائيل يعترفون بنسب البنت ، عليه سيكون ابنها ابناً لعمران ولكن وبما إنها لم تتزوج من رجل ، فهم انتهوا من رواية المسيح ، على أساس أن الناس لم يصدقوا ما حدث لمريم ، واتهموها بالفحش حاشاها ، وهذا ما جعلهم لا يكترثون لمولودها ، بما إن الناس طعنوا في نسبه ،
ومن أجل ذلك ، جاء المولود في حماية من المخاطر الخارجية والداخلية ،
في المثلين السابقين ، فهو سبحانه لا يكترث لإقدام عبده على الانتحار ، فقد حسم الأمر بقوله تعالى (شهد الله أن لا إله إلا هو) فمن يطعن بوجوده أو عدله ، فلا ينال إلا من نفسه ولا يخسر إلا هو ،
أمّا قضية نبي الله عيسى ، فهي تعني رسالة السماء إلى عباد الله ، والأمانة التي تكفل بها الخلفاء والملائكة ، لتصل إلى أكبر عدد من الإنس ، لا بل من الجن أيضاً

، ومن أجل ذلك يُجابهُ المكر السيء ، بمختلف الطرق التي تحول دون تحقيقه ، فإذا كان زمناً يُغيّر ، وإذا كان مكاناً يُبدّل ، وإذا كان جنساً يختلف ،
ومن المؤكد أن القتلة قد اختلفوا بعد صنع الله ، وتغير موعد ولادة المسيح ، فمن كانوا ينتظرون قتله ساعة ولادته ، لابد من أنهم ليسوا من اقتاده ليصلب في آخر المطاف ، وبعد مرور ما يقارب من أربعة إلى خمسة عقود ، فهل كان ما جرى رحمة لمن لم يشهدوا عيسى فيقتلوه ، أو غضباً على من شهدوا عيسى فشرعوا بقتله وصلبه ،
والجواب أن لكليهما العقاب نفسه ، كما سيمر بنا في مبحثٍ آخر ، نتناول فيه ما جرى في معركة النهروان ، وفي هذا فرق شاسع بين القوانين الوضعية ، والقوانين الإلهية ، حيث لا عقوبة أبداً على نوايا الإنسان ، مالم يصرح بتلك النية بفعلٍ أو بقولٍ يعاقب عليه القانون بموجب نص صريح ، لا بل حتى في تطبيق القضاء الشرعي ، سواء في الدنيا أم الآخرة ، فلا يمكن أن يحكم القاضي الشرعي على قومٍ بعقوبة القتل ، على أنهم لو كان قد ولِدَ المسيح لقتلوه ، وإن قاموا بالتصريح عن ذلك جهاراً ،
ولم يبدر منهم من عملٍ لنقول إن الأعمال بالنيات ، وإن صرحوا به قولاً ، فمن يؤكد أنهم سيفعلونه ، وإن لم يصرحوا به ، فمن يؤكد أنهم لن يفعلوه ،
تجيبنا الآية ﴿١٥٥﴾ من سورة النساء ، على كل ما تقدم من أسئلة ،
(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ **بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)** .
نرى فيما تقدم من الآية الشريفة ، أنه تعالى يطبع على قلوبهم نتائج ما فعلوه ، أو ما أحبوا فعله ، وما كانت نواياهم تذهب إليه ،
جاء في تفسير الطبري ، ((إن الذين أخذتهم الصاعقة ، إنما كانوا على عهد موسى ، والذين قتلوا الأنبياء ، والذين رموا مريم بالبهتان العظيم ، وقالوا : قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ، كانوا بعد موسى بدهر طويل ، ولم يدرك الذين رموا مريم بالبهتان العظيم زمان موسى ، ولا من صُعق من قومه)) .
فكل هؤلاء على اختلاف أعمالهم ، يتعامل معهم الله ، كما يتعامل مع من جاء هذه الأعمال كلها ، فيطبع الله على قلوبهم بأن لن يهدهم السبيل ، فيعذبهم حتى على ما يدفعونه من صدقات وما يعملونه من حسنات ، فمن يدفع صدقةً عن رياء ، يعاقب عليها بدل أن يثاب بها ، كما من يقوم بعملٍ صالحٍ ، ولكن يشوبه النفاق والرياء ، فيعاقب بعمله بدلا من أن يثاب ، وبدل أن يحصل على أضعاف ما كتبه الله لقاء كل حسنةٍ بعشر من الحسنات ، كما يحرم الشفاعة يوم القيامة ،

فالنية السيئة وإن لم تترجم إلى الفعل السيء الذي أرادته وتكونت بسببه ، فهي بالمحصلة ستترجم إلى عدة أفعال ، قد تكون عقوبتها تزيد عن الفعل الذي اتجهت للقيام به ، ولم تصل لتحقيقه ، لأمر خارج عن قدرتها ،

ونقل القرطبي : ((وزعمت النصارى أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وقد روى مثله الحاكم في المستدرك في أثر عن وهب بن منبه)) ﴿٨١﴾ .

وبذلك ازدادت قائمة المجرمين ، وصان الله الرحمة والنور للمؤمنين ، بأن أبعد الفجار من أن ينالوا من رسل الرب ، وبهذا نعلم أن تغير الزمان والمكان ، زيادة في الغضب الإلهي على المشركين ، وزيادة في اختبار المؤمنين ، وبذلك يزداد أجرهم ، أو تنقلب أوضاع ضعفاء الإيمان منهم ،

وهذه المرحلة التي نحن فيها الآن ، هي مرحلة البأساء والضراء ، والاختبار الأصعب من الظهور بحد ذاته ،

حتى يقول الرسول والذين معه ....

فكم من أحدٍ نام مؤمناً بالظهور وبحقه تعالى في حكم الأرض من خلال من ينصبه خليفة له عليها ، وأصبح كافراً به ، ومشككاً في حدوثه ، ودعا الناس لخوض غمار الحياة ، والابتعاد عما يسمونها اليوم ، بالأحلام الوردية للفقراء ، وإن الايمان بالظهور من أخطر أنواع الاضراب عن الحياة ، متناسياً أن يوم الظهور يحمل ابعاد يوم القيامة نفسها ، إذا لم يكن أهم منه ، فيوم القيامة استعداد للحساب ، أمّا يوم الظهور فهو الاستعداد لإعلاء كلمة الله ونشر العدل ودحر الجور ، وإن الايمان بيوم الظهور دعوة للعمل وليست دعوة للكسل ، ومن يتكاسل بحجة أن الامام سيظهر لنشر العدل ، فهو من جعل من هواه متحكماً فيه ، وأسهم في تأخر الظهور ، و**المرحلة** التي نحن فيها الآن ، هي ماذا سأقدم لدولة الخلافة ، وماذا سأفعل وماذا سأكتب وماذا سأقول وماذا سأرتّب ، فدولة الخلافة لها حاجة ، لكلِّ جهدٍ وبمختلف التخصصات ، ولها حاجة للطرق التربوية الفعالة في مواجهة التردّي التربوي ، الذي يحطم البنية التحتية ، لكل المجتمعات ، خصوصاً مجتمعاتنا الشرقية ، التي تتأثر بالقشور ، نتيجة لإيمانها السلبي بالتطور الغربي ، ولها حاجة لعودة المعلم ، بزيه المحترم والموقر بين تلاميذه ، ولها حاجة لحملات عملاقة للوقوف ضد الظلم والشرك والجور على دين الله ، وفي تلك اللحظة ستمنحنا السماء تعزيزها ومساندتها ، كما حصل ذلك في معارك الرسول الكريم ، فلولا

....

﴿٨١﴾ - المستدرك - الحاكم النيسابوري – ج{٢} – الصفحة[٥٩٦] .

خروج جيش المسلمين ، لما عززهم الله بجنود السماء ،
ويكاد يكون الأمر مضحكاً ، لو رأيتَ أحدهم ينتظر خليفة الله ، والأرض ميدان قاحل ، لا من داخلٍ ولا من خارج ، إلا من بعض المترددين حوله ، يؤمنون ليلاً حيث يوجعهم تعب النهار ، ويكفرون صباحاً بعد أن يزول عنهم التعب ، هذا هو ملخص ما نحن عليه الآن ، لكن في بقيته حديث آخر .
وقد ترى أن مهمة الأنبياء كانت لتكون أكثر يسراً لو أنهم جاءوا في هذا الزمن ، حيث إن البشرية من الكافرين والمؤمنين ، يتفقون على الكثير مما شرعه الله ، فالكل يؤمن بحرمة الدم وتجريم السرقة والزنا وما إلى ذلك ، ولكن بامتلاك الكافرين لأسلحة الدمار الشامل ، لكان من المؤكد القضاء على النبي والمؤمنين معه ، في ساعة من الزمن ، ودين الله اكثر اتساعاً من مجرد التجريم لبعض الأفعال ، وإنه تعالى يطالبنا بالإيمان بكل المقدس لديه ، أنبيائه وكتبه وملائكته واليوم الآخر ، وما أنزله من شريعة ، وما فرض من سنة ، حتى ليبدو الأمر ، أشبه بالعبارة الإنكليزية الشهيرة :
(Take it or leave it)
فعلى أن تؤمن بكل أنبيائه وكتبه وشريعته ، مقابل ألّا تؤمن بجبرائيل على أنه ملاك مرسل من قبل الله ، فكأنك لم تحرز شيئاً من دين الله قط ،
فقضية أن تؤمن بالله تعالى وكأنّما تتصدّق بإيمانك ، وتتمنن عليه سبحانه ، فأنت أمام إله يتسم بكل الصفات الإلهية ، والإيمان بالتبعيض ﴿٨٢﴾ ، هو كالإيمان ببعضٍ من صفات الله دون غيرها ، ولو أنه تعالى لم يمتلك صفة من كل هذه الصفات -حاشاه- ، فيعني ذلك وجود إله يعلوه ، نستغفره ونتوب إليه ، ولكن لكيلا يكون هنالك ما نخشاه في البحث ، استلهمنا منه سبحانه اِتاحت النقاش في كل أمرٍ قد نقف عنده متسائلين ،
وإلحــاقاً بحديثنا عن الزمــكانية ، فإن هـنالك مؤمنا زمكانيا وهناك كافرا زمكانيا ، أي إن بني إسرائيل زمن النبي موسى -عليه السلام- ، كان منهم المؤمنين الكثير ، ايماناً يتعلق بالزمان والمكان الذي وصلت إليه نداءات موسى -ع-، ولكن بحضور عيسى -عليه السلام- ، وعدم ايمان بعض منهم ، تحوّلوا إلى كفار إثر الزمكانية التي مرّت عليهم ، أي بما إنهم في الزمان والمكان الذي وصلت إليه دعوة عيسى النبي ،

....

﴿٨٢﴾ - مكانه : يعني المكان الذي وصلت إليه دعوة النبي ، فمن كان في روما مثلاً ، زمن انبعاث النبي عيسى المسيح (ع) ، ولم تصله دعوة عيسى ، ليس كمن عاش في الناصرة في وقت انبعاثه عليه السلام .

لذا أوضح الباري -عزوجل- أن الخلق سيأتون على شكل زمر ، لأنَّ حساب كلّ زمرة يجب أن يكون بمعزلٍ عن الأخرى ،
وما يحاسب عليه من عاش في زمن النبي موسى ومكانه ﴿٨٣﴾ ، ليس ما يحاسب عليه من كان زمن النبي عيسى ومن ثم محمد-صلى الله عليه وآله-، ومن آمن بالظهور المبارك قبل القيام ، هو كمن جاهد مع الخليفة ، زمن الظهور ،
وعليه ، فمن جاهد مع خليفة العصر ، كمن جاهد زمن الرسول الكريم في معركة بدر ، أو باقي المعارك المقدسة ، ومن جاهد في معركة بدر ، كمن جاهد مع نبي الله سليمان وداوود وغيرهم ، وهذه هي الزمكانية التي تحكمنا ذهاباً واياباً ،
كما تحكمنا في الدعاء والنداء ، ومن قوله تعالى : -
(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن **شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ** أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ﴿٣٠﴾ القصص .
نستشف إن للمكان دوره في نداء الله تعالى لموسى النبي ، ومن جهة أخرى نرى في نصوصٍ أخرى ، الإشارة إلى الزمان ،
(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ **أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ) ﴿٥١﴾
وكذا الإشارة والتأكيد على الميقات ،
(وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا **لِّمِيقَاتِنَا** فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) ﴿١٥٥﴾ الأعراف
ولا يفوتنا ما حدده سبحانه ، من أيامٍ تخص الحج ، ومن أماكن تخص الشعائر ، كما خص الصيام بشهر ، وخص ليلة عظيمة منه ، بنزول القرآن ، وهي ليلة القدر
(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) القدر .
فما أعظم أن نعلم ، أن هذه الليلة قد باركها الله ، لتكون خير من ألف شهر ، ولينزل القرآن فيها هدى وبشرى للمؤمنين ،
ووصل التشريف لبعض البقع المباركة ، بأن يخلع النبي فيها نعليه ،
(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ** طُوًى) ﴿١٢﴾ طه .

....

﴿٨٣﴾ - الإيمان بالتبعيض : هو الإيمان ببعض الأنبياء دون غيرهم أو الكتب أو الملائكة ، أو أيٍّ من المقدسات دون الأخرى ، ويعد أهل الكتاب بمجملهم من المؤمنين بالتبعيض ، وكقوله تعالى (يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض) .

فعليك أن تتصور عظمة الدعاء في ذلك الوادي المقدس ، وفي ليلة كليلة القدر ، وهل هناك ما يمنع الدعاء ، أو هناك سبيل أعظم من هذه السبل ،
الجواب نعم بالتأكيد ،
من حكايات السلف التي قد تكون بسند أو من دون سند ، أن الجمعة يوم مبارك لأن آدم خلق فيه ، ومنهم من يقول إن آدم مخلوق مبارك ، لأنه خلق في يوم الجمعة ، فما حقيقة هذه البركات ، هل تأتي لبني آدم بفعل بعض الأوقات وبعض الأماكن ، أم العكس ، أي إن بعضاً من بني آدم ، بارك تلك الأماكن ، وبارك تلك الأوقات ، لقيامه بصلاة أو بدعاء أو أي شعيرة تقديساً للباري -عزوجل- ،
لا بد من أننا ما زلنا نتذكر تفاصيل النشأة الأولى ، وكيف إن الشيطان هو الساكن الأول والأقدم لهذا الكون ، إلّا إن نوره تعالى الذي فلق السماوات ، واستقرّ في محيط الأرض التي نحن عليها ، جعل ميزان الهدى يتفوق على كل ظلمة وضلال
(ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ﴿١١﴾ فصلت .
عليه فإن الأرض بما رحبت وما أقلت ، عبد من عباد الله المطيعين ، وهي جاهزة لتنفيذ أوامر الله تعالى ، دون أيّ اعتراض ، فما الذي سيبارك جزء منها دون الآخر ، إنه المخلوق المبارك ، الذي يبارك الأمكنة كما يبارك الأزمنة ، والذي يعلو على كل بقعة مباركة ، وكل ليلة مباركة ، وإن تدعو قرب نبي وبشفاعته ، خير من كل بقاع العالم ، ومن كل الليالي والأيام ، فكل تلك الأماكن والأزمنة المباركة ، تباركت بمخلوقات الله العظيمة ، من أنبيائه وأوليائه وملائكته وعباده الصالحين ، وهذا ما بينه تعالى في كتابه الكريم ، من أن أثر الأنبياء ، له تقديس وتبجيل ، وتحمله الملائكة ، ويكون آية من آيات النبوة : -
(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ﴿٢٤٨﴾ البقرة .
وبعد ذلك لا يمكن القول إن الأثر ، أعظم شأناً من صاحبه ، ومن ثم فقد يترك داوود أثراً ، سيكون مقدساً من بعده ،
وخلاصة استعراضنا هذا ، إن الخليفة لن يحكمهُ الزمان أو المكان في الظهور ، لأن الخليفة كغيره من الأنبياء والأولياء ، إذ هو من سيخلق الزمان والمكان المباركين للظهور ، وعلى وفق الأحداث التي سيسيرها ، ولمزيد من التوضيح ، راجع حديثنا عن قوله تعالى : - (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) ﴿٢٧﴾ الأنبياء .
فمن سيمثل الله في القول ، لو أن الله قال قبلهم ، وما فائدة قولهم إذا ما قال الله قبلهم ، هنا يتجلى لنا التمثيل المطابق لإرادة الله ، إلى الدرجة التي يقولون فيها القول الذي لا يسبق قول الله أبداً ولا يتأخر عنه .

المطلب السابع

أسباب تأخر ظهور الخليفة

لماذا تأخر الخليفة كل هذا الوقت

لا تَكُنْ مُتَيقِّناً ، بأنَّنا سنقول لك ، إن الخليفة لم يتأخّر ، بل نحنُ مَنْ تأخّرنا عليه ، فهذه الصيغة ، من صيغ رجال الدين ، لإدخال الندم ، على مَنْ ترك البحث والتقصي لإدراك منهاج السماء ، وهذا لا يخالف فهمنا ولا بحثنا ، لكنَّهُ من باب النصح التي علينا ألّا نغفلها ، ، ولا يمكن الوقوف عليه وحسب ، كما إنَّنا نميل لرؤية الأمور ، بالمنظار القانوني والعلمي لكشف ما علينا إدراكهُ ، وسنرى حثيثاً أن الخليفة لم يتأخّر بعد ، بل إن الانتظار بدأ توّاً ، بعد أن ، أنتهى زمن الترقب ،

الآية الشريفة : (قُلْ هُوَ **نَبَأٌ عَظِيمٌ** ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ **مُعْرِضُونَ**) ص .
وقوله تعالى (معرضون) لا تعني أنَّهم ، معرضون بعدم الاستماع إلى النبأِ العظيم ، فلا بد أن هناك من يريد حقاً الاستماع للنبأ العظيم ، لكنَّ الأمر يتعلق بقبوله لا بالاستماع إليه ، أي إن الاعراض هنا اعراض قلبي ووجداني ، وعدم قبوله ، يعود لصعوبة المضي على خطاه ، فما هو ذلك النبأ العظيم ؟
لا وجود لأي بيان أو توضيح أو حتى صورة تقريبية للنبأ العظيم ، حتى في سورة النبأ ، التي من المفترض أن تكون السورة التعريفية للنبأ العظيم : -
(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) النبأ .
مرّة (معرضون) ومرّة (مختلفون) ، وحين يدفعك الشعور الديني في حب الله ، لترى ما هو ذلك النبأ ، لتتعلق به وتؤمن به ، وتنجو من وعيد الله ، فإذا بك تصطدم بروايات أهل الشعث ، وحاول أن تخمن ما سيكون تفسيرهم ، قبل أن تطّلع عليه ، وقد جاء في تفسير الطبري للآية أعلاه : -
((حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ....) ، قال القرآن)) .
القرآن : هو النبأ العظيم ، أتعرف أنَّهم لو قالو مثلاً ، يومُ القيامة ، لاحترمناهم كلغويين على الأقل ، لأنَّ القرآن ما هو بالنبأ وإن كان عظيماً ، وقوله تعالى : -
(تِلْكَ **مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ** نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿٤٩﴾ هود .

ينافي ادعاءهم بأن القرآن هو النبأ العظيم ، فلا كل ما ورد في القرآن هو بحكم النبأ ، وكل الأنباء التي وردت فيه بمستوى واحد من العظمة ، لذا فإن الله جـل جلاله يشير إلى نبأ واحدٍ ومحددٍ من أنباء القرآن ،

ويبدو أنهم تناسوا أن سورة ص ، انتهت بآيةٍ تعود لبيان النبأ العظيم : -

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ **بَعْدَ حِينٍ**) ص .

وهذا كُلّهُ خلاف ما نعرفهُ عن القرآن ، والنبأ أمّا حدث ماضي خاب عن العلم ، أو مستقبلي ، لم يدرك بعد ، والقرآن لا ذاك ولا هذا ، بل وصفه تعالى بالكتاب المبين ، والمبين كاصطلاح فقهي (الكلام الذي يفهم منه مراد المتكلم عند الإطلاق) ﴿+﴾ ، وقد أشار الله للقرآن في سورة الحجر ، ووصفه بالعظيم ، ولكن لم يشير على أنَّهُ نبأ ، بل باسمه المعروف (القرآن) : -

(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) ﴿٨٧﴾ .

وحين أشار الله -عزوجل- للذكر ، ما كان لهم من سبيل ، إلّا أن يقولوا ، إن الذكر هو القرآن ، رغم ما جاء في سورة الأنبياء : -

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ﴿١٠٥﴾ .

وحينما اصطدموا بالآية أعلاه ، وكيف أن الزبور جاء بعد الذكر ، قالوا بأن الذكر هو أم الكتاب الذي في السماء ، ثم قالوا كُلّ الكتب السماويَّة : -

جاء في تفسير الطبري للآية من سورة الأنبياء : ((اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالزَّبور والذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم عُني الزبور ، أو كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم ، وعُني بالذكر : أمّ الكتاب التي عنده في السماء ،

وقال سعيد بن جبير : الذكر : الذي في السماء . وقال مجاهد : الذكر : أم الكتاب عند الله ، واختار ذلك ابن جرير ، وقال زيد بن أسلم : هو الكتاب الأول)) .

وفي تفسير مبهم ذكره ابن كثير جاء فيه – ((حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) ، قال : الذكر : ويعني بالزبور من بعد التوراة : الكتب)) .

فتراهم قفزوا على تفاسير بعضهم البعض ، وتخبطوا بشكل يدعوا للتعجب ، هل إنهم **لم يتوصَّلوا للمعنى** أم إنهم **حاولوا ألّا يتوصلون إليه** ، جاء في سورة هود :

(وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا **لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ **يَأْتِ** لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا **بِإِذْنِهِ** فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)

ورغم الآراء المتعددة ، لتفسير معنى الذكر ، إلّا إنّهم لم يتوصّلوا ، لما يحسُم النزاع ، ويبدو أن هناك ما يخشون كشفه ، كأن يكون الذكر هو الصلاة على محمد وآله

، فهذا التفسير ، يُغلّبْ منهج الشيعة على بقية الفرق .
المُهم أنَّنا نُريك ، أن أهل الشهرة من المفسرين ، لم يتوصَّلوا ، لمعرفة ما يجب أن تكون من بديهيات اللغة والمفردات القرآنية ، فما لديهم لأناديهم بأهل التأويل ، والخليفة قادم لتطبيق المنهاج والشرع الذي من المفروض أنَّنا نعرفه ، ونؤمن بحيثياته ومفرداتها ،
من هنا تعرَّفنا على سبب من أسباب تأخّر الخليفة ، أو بمفهوم الشيعة سبب غيبته الكبرى ، فقد أرسل الله -جل وعلا- الآلاف من الأنبياء وفق الروايات . ليتهيأ الخليفة لحكم الأرض بموجب ما جـاء به الأنبياء ، وإذا بنا نعود لنقطة الصفر ، = رُبَّما سألنا أنفسنا ذات يوم ، ما سر بقاء الخلق جميعاً ، ليوم القيامة ، حتى يتم حسابهم ، أمَا كان من المناسب أن يحاسب كل منَّا ساعة موته ، ويدخل منزلته التي أعدَّتْ له ، أمّا الجنة وأمّا الجحيم ، خاصةً وإن الأنبياء ، لا حساب عليهم ، ومنزلتهم في الآخرة معروفة ، وهناك من أوضح الله لنا أن حسابهم يسيراً : -
(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا) الانشقاق .
وهناك من أخبرنا الله تعالى عنه ، وكأنه دخل الجنة فعلاً ساعة موته ، ولقي عباد الله فيها ، وما يعني أنَّ عباد الله لم يدخلوا دفعة واحدة ، مع بعضهم البعض : -
(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر .
فلماذا على البعض أن يتأخر آلافاً من السنين ، ليصل إلى سعده ومناه ، ويدخل الجنَّة ، إن كان يستحقها ، ولماذا يتأخر الكافر ليدخل الجحيم ، وهو يستحقها ، وتتحقق الإجابة على هذا السؤال ببيان سببين مهمين ، وقبل أن نذكرهما نبين اِجماع الفقهاء على أن المؤمن يدخل النعيم ساعة موته ، والكافر يبدأ عذابه ساعة موته أيضاً ، ولكن بصورة ما ، تقترب من الرؤيا : -
(وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ **يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**) ﴿٥٠﴾ الأنفال .
وربّما قبل ذلك بكثير ، أي في ساعة موته : -
(حَتَّى إِذَا جَـاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إنها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا **وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** .
ومن هنا جاء الاعتقاد بعذاب القبر ، قبل وصولنا إلى يوم القيامة ،
وتناول الباحثون قضية عـذاب القبر بكل اسـهاب ، وكان اعتمادهم في ذلك على

اهتمام الناس لما سيلقاهم بعد موتهم من أحداث ، وأشار بعضهم لعذاب القبر باسم البرزخ ، كما جاء ذكر ذلك في سورة (المؤمنون) : -

لكننا سنتحدث عن هذه القضية في الجزء الثاني ، ولنعود للسببين الذين قلنا بأنهما تسببا في اجتماع بني آدم حتى يوم القيامة ، لدخول مثواهم الأخير ، وسنرى أن مِنْ أسباب تأخّر الخليفة في الظهور ، ما يشترك مع الأسباب التي أدت لاجتماع بني آدم في يوم محددٍ للحساب ، ومن بعد ذلك سنطرح موضوع ، زمن الترقب :

١- زيادة في تعذيب المنافقين والمزيّفين ، فلمّا كان المنافق والمزيّف قد ابتدع في الإسلام ما ليس من سنة الله ، وأوهم الخلق ، أن ما يقوله هي السُنّة الحق ، فكلّما مرّتْ السنين ومرّتْ الأزمان وتعاقبت الأجيال ، كُلّما ازدادت عذاباته وبقاءه في جهنم ، لأنَّ كل المضلّلين بسببهِ ، وبما زيّفهُ من سُنّةٍ باطلةٍ من الأوّلينَ والآخرينَ ، ستقع ذنوبهم على عاتقهِ ، وبذلك تزداد عليه العقوبة زمانياً ومكانياً ، فبدل أن يلبث حقبة أو حقبتين في جهنم ، سيبقى خالداً فيها ، وبدل أن يكون في الطبقة الأولى من جهنم ، سينزل إلى الطبقات السفلى ،
وعلى العكس من ذلك سيجد كلّ الشهداء والصالحين ، مكاناتَهم وقد عَلَتْ علواً كبيراً ، فشهداء بدرٍ وأُحُدٍ مثلاً ، سينعمون بحسنةٍ على كل من يدخل الإسلام ، حتى يأتينا يوم الدين وعلى رأسهم الرسول الكريم ، فهم الأسباب التي سببها الله في أن يدخل عباده في دينه ، كذا الأنبياء من قبل ، وربما نسأل ، لو استشهد مسلم آخر الزمان مثلاً ، وقبل أن تأتي نهاية هذا العالم ، فما ذنبه أن لا يحصل على تلك الحسنات التي يحصل عليها السابقون ، والجواب إن الآخرين لن يتحمَّلوا بالتأكيد المشقّة التي تحمَّلها السابقين ، وإن السابقين هم المنار الذي هُدي على أساسه من تلاهم من الخلق ، ومع كل ذلك فإنه تعالى لا يبخس الآخرين حقَّهم ، ويشركهم بأثر رجعي مع السابقين ، وبالنسبة التي تتناسب مع ما تحملوه من مشقة وعذابات وحرمانهم الحياة نتيجة استشهادهم ،
ونخلص مما تقدم إنَّ سُنّة الله ، لم تتغير في الأولين عن الآخرين ، بأنه تعالى كان يُفني الأقوام السالفة إذا طغوا ، ولم يفعل ذلك مع المتأخرين ، بل إن سُنّة الله هي أن يجعل من الأوَّلين عضة للمتأخرين ، وأن يتوقف فناء الأمم عند موعدٍ أقصاه ، إتمام الدين وختام المرسلين ، ومن الصحيح أن نقول ، إن سُنّة الله في

الأولين لم تكن كما المتأخرين ، بياناً للرحمة التي شملنا الله بها ، وليس بياناً لتغيير سُنّته حاشاه ،
لكننا نقف الآن على قضية في بالغ الأهميّة ، وتتلخّص في السّؤال ، هل الخليفة ممن خلقوا واستشهدوا كأئمة للهدى كما يزعم الشيعة ، أم إنه وليد المستقبل ، وإنه شخص قد ينتمي للرسول محمد ﷺ بنسب ، لكنَّهُ لم يخلق من قبل ، إنما يصلحه الله في ليلة وضحاها ، وهذا زعم أغلبية مذاهب أهل الجماعة ، ولكنّ الخليفة بذلك لن يتم احتسابه من السابقين ، فهو لن يأتي بدينٍ جديد ، إنما قيل بأنه يأتي بإسلامٍ جديد ، وهو بهذا سينزل لمرتبة أصحاب اليمين ، وهذا ما يخالف المتوقع من منزلة الخليفة الذي بشّر به الله أهل السماوات والأرض .

٢ – رجوع أئمة الضلال إلى الحياة الدنيا ، إسوة بأئمة الهدى ، وهذا الأمر لم تتفق عليه المذاهب والفرق الإسلامية ، بل انفردت به بعض فرق الشيعة دون سواهم ، ويعد من أهمّ أُسُس الخلاف بين الشيعة وبقية فِرَق أهل الجماعة ،
فلكي يشهد أئمة الضلال ، نتائج ما ابتدعوه في الحياة الدنيا ، ويشهدون أن الخلفاء الذين اختارهـم الله حقاً ، هم الأقدر على إدارة العالم ، طبقاً لسُنّةِ الله وأنبياءه ، والآن ننفـرد بذكر أسباب تأخر مجيء الخليفة ، عن أسباب تأخر معاقبة الكافر .

٣ – سياسة الإملاء للجاحدين والمعاندين ، ليتصوروا أن مجيئه بعيد ، والحياة تقبل لهم ، ويلههم الأمل : -
(ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) ﴿٣﴾ الحجر .

وبالمقابل تأنّي العباد ، علَّ منهم من يثوب إلى رشده ، وعلّ أنصار الخليفة ومريديه ، يقومون بدورهم في هداية الخلق .

٤ – مواجهة العباد ، بحقيقة ما هم عليه من فساد ، وإنهم على ما هم عليه ، وإن أمهلهم آلافاً من السنين ، وما فيهم من يحـــكم بالعدل وينشر السلام والإسلام .

٥ – بما إن يوم القيامة يلي يوم الظهور مباشرة ، فيوم الظهور يعدّ تعجيلاً ليوم القيامة ، وبما أن يوم القيامة مؤجّل حتى استنفاذ طرق البلاء على العباد ، فلا بد بعد هذا أن يتأخر علينا موعد الظهور .

٦ – لا يزال بعض الخير والعدل لدى بني آدم ، من غير أنصار الخليفة ، فأنصار الخليفة العدل فيهم نهج واجب ، لذا وإن قلنا إن الأرض مُلئتْ ظلماً وجوراً منذ سالف الزمان ، إلّا أن فيها من الخير ما يبعد أيام الانتقام السماوي .

٧ – (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) ﴿٦٤﴾ الإسراء .

ما وعد به الله -جل جلاله- أن يعطيه لإبليس ، ويسمح له باستخدامها ، من طرق يظن أنه سيتغلب بها على بني آدم ، وبها يؤخِّر موعد قيام أيَّام الله ، وتلك الطرق تحتاج إلى أوقات وأوقات لتحقيقها ، فلا بد أن وعده تعالى بالسماح له باستخدام قدراته ، مقرون بزمن لتنفيذها .

٨ - عدم صدور الرغبة المُلحَّة ، من قبل أنصار الخليفة ، وذلك بالاستعداد حقيقة لاستقباله ، والتخطيط العملي ، لإنشاء دولة الخلافة ، وهذا يعني عدم احتسابهم كأنصار لخليفة الله ، وبالتالي فدولة الخليفة ، يجب أن تتشكّل من عدد مُحدد ، وعدَّة محددة .
(وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا **لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ **يَأْتِ** لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ **إِلَّا بِإِذْنِهِ** فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) هود .
نرى أن الأجل المعدود ، هو عدد الذين سيخرجون مع الخليفة ، من أصحاب الرجعة ، ولقد بالغ الشيعة في تقليص العدد ، واختاروا أن يكون عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً ، وهذا هو عدد السفراء فقط ، أما وفق ما اجريناه من بحث ، فإننا نرشح أن يكونوا مائة وأربعة وأربعون ألفاً ، وهو ما جاء في سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي [٧ / ٢ إلى ٤] : -

((وَرَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَالِعًا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَعَهُ خَتْمُ اللهِ الْحَيِّ ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ الأَرْبَعَةِ ، الَّذِينَ أُعْطُوا أَنْ يَضُرُّوا الأَرْضَ وَالْبَحْرَ ، قــائلاً : لا تَضُرُّوا الأَرْضَ وَلاَ الْبَحْرَ وَلاَ الأَشْجَارَ ، حَتَّى نَخْتِمَ عَبِيدَ إِلهِنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ ، وسمعت عَدَدَ المَخْتومينَ **مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا** ، مَخْتُومِينَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) .

ومن الطبيعي إشارتهم إلى بني إسرائيل ، ولا اشكال في أن ينسبوهم لبني إسرائيل ، لأنها ، إشارة لكل نسلٍ طاهر ، وكما إنَّهم لا يعرفون أو لا يريدون الاعتراف بنسل آخر غير نسل بني إسرائيل ، في أنَّهم أصحاب المفازة ،

وقد بيَّنا في حديثنا عن الفرقة الناجية ، إن الفرقة وفق ما هو معروف ، لا يتجاوز عددهم عن العشرة آلاف ، لكنَّ ما نتكلم عنه ، ليس عدد الفرقة ، فالمائة والأربعة وأربعون ألفاً ، هم ممن كانوا يمثلون الفرقة الناجية ، قبل موعد الظهور ، وليس الفرقة الناجية التي تنتظر الخليفة وهم على قيد الحياة ، والذين وعلى ما يبدو لا يتجاوزون العشرة آلاف شخص ، وبهذا فالأجل المعدود ، يكون بأن يكتمل عدد أنصار الخليفة من الأحياء ، مالا يقل عن عشرة آلاف ، ومائة وأربعة وأربعين ألفاً من أصحاب الرجعة ، وهم يمثلون شعب الخليفة ، والذين تتأسس دولة الخلافة على أيديهم .

٩ – يجب أن تصل البشرية إلى التقنية ، التي تساعد في أن تدعو دولة الخلافة أنصارها ، وتعلن برنامجها ونهجها ، وهذه التقنية لم نصل إليها حتى مطلع ٢٠١٠ ، إذ نعدها بمثابة الصيحة العملية ، لمَا قبل إعلان الظهور ، فمثلما تحتاج دولة الخلافة إلى شعب مناصر ، تحتاج ما يسمى بالدعم اللوجستي لتفاعلها مع سكان العالم ، فالخليفة جاء ليحكم العالم ، لا قرية من قراه ، وهذه الصيحة العلمية والعملية ، لم تتحقق إلّا قبل عقد من الزمان ، ومن ذلك الحين بدأ الانتظار الحقيقي ، أي لم يتأخّر علينا إلا عقد لحد الآن .

١٠ – إلحاقاً بما ذكرناه ، من تأني الله لعباده ، فمِنْ سُنَّة الله -جل جلاله- ، أن كتب على نفسه الرحمة ، ولمّا كان الظهور ايذان بحلول الغضب والمقت الإلهي ، على كل من نهج نهج الفساد والظلم للعباد ، ومع ما ذكرناه من وجود بعض الخير والرحمة ، لدى بعض من الناس ، طبعاً لأسباب غير إيمانهم بالله -جل جلاله- ، فربما للحصول على تأييد الشعب من أجل الحكم ، أو لأسباب أخرى ، نقول مع ما ذكرناه فعلينا أن لا نعتقد ، أن على الظلم أن يسود كل العالم ، لظهور الخليفة ، فكما أشار تعالى بالقلة التي نجت من الطوفان ، أو من خسف الأرض بقوم لوط ، أي من الممكن أن يطال الظلم شخص أو شخصين ، من المقربين من عباد الله ، ليصح القول أن الظلم قد ساد الأرض ، ولكن تبقى الرحمة التي كتبها الله على نفسه ، وحلّتْ على البشرية ، بمجيء الرسول الأعظم وآل بيته الأطهار ، هي التي أخّرت موعدهم .

١١ – صبر الخليفة – نهج الأنبياء والأولياء ، هو منهاج الباري -عز وجل- ، ومثلما كتب على نفسه الرحمة ، وانفرد بتلك الرحمة عن عباده ولعباده ، ففي الأنبياء والأولياء

شيء من تلك الرحمة ، ولكن بمنظور آخر ، وهو الصبر على المكاره ، وعلى من يعتدون عليهم وعلى خلافتهم ، وعلى أنصارهم ، وبالأخذ بالروايات الشيعية ، التي تقول بغياب الخليفة ، فعليك أن ترى مدى صبر الأولياء ، مرة على تأخر تأسيس دولتهم ، ومرّة على استمرار دولة أعداء الله وأعدائهم ، وهم على علم ، أن هذه الدنيا للمفسدين ، لقاء ما للصالحين في الآخرة .

١٢ – ونختم الأسباب ، بأهـــم سبب ، لأنّ مصنّفنا هذا صدر من أجله ، ألَا وهو الوجـــود الحـــقيقي لدولة الخليفة ، ومن يسأل عن تأخر الخليفة ، فعليه أن يرى كم تأخر هو عن اللحاق بها ، والدخول إليها ، فالأنصار قد وجودوها ، ويعجبون ممن لا زال ينتظر ظهورها ، فذلك أضعف الإيمان .

ولكي لا نبخس الناس أشياءها ، ونعني ما أوضحوه من أسباب لتأخر الظهور ، فهم على فريقين ، منهم من قال أن السبب ، هو في عدم استعداد الناس لاستقباله ، ومنهم من قال أن القضية بيد الله تعالى ، ولا يمكن الإيمان بأن هناك أسباب لعدم ظهوره ، لأن الأمر بيد الله وحده ، ونحن قط لسنا في خلافٍ مع أي فريق منهم ، لكننا نقول بالواجب الملقى على كاهلنا ، وهو التأهب للحدث في مختلف جوانبه ، ومن بعد ذلك ، نخلي مسؤوليتنا اتجاه الله تعالى ، فالرزق أيضاً بيد الله ، فهل هذا يعني أن ننتظر مجيء الرزق دون أن نُرّك ساكناً ، أما ينبغي أن نخرج للعمل ، ونختار ما يتناسب وقدراتنا ، وما لا يخالف شرع الله ، وأن نتقي الله فيما يوكل لنا من عمل ، وأن نحافظ على صحتنا لتحمل عبئ العمل ، ولكن مع كل ما ذكرنا ، وما لم نذكره ، نقول أن الرزق بيد الله ، أي التسليم لمشيئة الله ، لا الاستسلام للقدر ، ولو قلنا أن القضية بيد الله ، وليست بحاجة للتفكر والتدبُّر ، فبما سننفعه لو جاء ونحن لم نجهز ولم نتجهّز ، لا فكراً ولا عدة ولا تنظيماً ، ولكي نعطي فكرة على ما جاء به الأفاضل من علماء الدين ، ننقل نص ما أدلى به السيد كمال الدين الحيدري ، وهو ما جاء بمؤلفاته وتصريحاته على القنوات :

((لديّ إشكالية على نوع هذه القراءة ، فالقراءة الرسمية الموجودة الآن عن مسألة الِانتظار قراءة معكوسة ، أي إن هناك ركن أساسي يجب أن يتحرّك ، وهو الناس ، تحرُّكاً فكرياً وثقافياً ، وأن يكون مستعداً ومتحمِّلاً للمسؤولية فالإمام يريد أن يحقق العدل بينهم ، والقضية كبيرة لأنها تخص كل البشرية ، والسؤال هل نحن من الواجب أن ننتظره ، ونحن جلوس (المراد بالجلوس هو عدم التحرك الفكري

والتوعوي) أم هو جالس ولا بد أن نرتقي إليه ، فلو كنا في الطابق الأول وهو في الطابق العاشر ، فهو من يجب أن ينزل إلينا ، أو نحن لا بد أن نصعد إليه ، فقبل المهدي هناك (١١) من الأئمة ، لم يستطيعوا تحقيق ما يطمحون إليه ، بسبب عدم تفاعل من حولهم معهم ، فثقافتنا خاطئة ، لأننا نحن من ننتظر الإمام ، والحقيقة هو من ينتظرنا)) أنتهى ، نُقل حرفيّاً دون أيِّ زيادة أو نقيصة .

ونحن نقول ما قاله السيد كمال ، لكنَّنا لا نقف عليه ، فالقضية ، ليست مَنْ ينتظر مَنْ ، إنَّما من قام بدوره ، ومن لم يقُم بعد ، هو كخليفة أم نحن كشعب ، هل نؤمن أن هناك تأخر ، أم إن الدولة مُعدّة قبل حلولنا الأرض ، وعلينا أن نؤمن بوجودها ، كما نؤمن بوجود الله ووجود عدله وهداه ، وما ذكرنا في أعلاه .

أمّا بعد ...... فندخل في موضوع سنكون مع القارئ العزيز ، أوَّل من يصارحون أنفسهم به ، وهو إنَّنا فهمنا بعض ما وصَلنا من الروايات بشكلٍ ، لا نقول عنهُ خاطئ ، إنَّما نقول لم يكُ عين الحقيقة ، فما نُقل من ضرورة وأهمية الدعاء لله بتعجيل الظهور ، أوحى لنا أنَّنا في زمن الانتظار ، وحديثي مع الشيعة بشكل خاص ، وأهل الجماعة بالشكل الذي عليهم أن يتقبَّلوه ، إذا ما تقبَّلوا قصص الأنبياء من قبل ، وما أشار إليه الباري -عزّ وجلّ- ، من منهج أنبيائه وأوليائه ، فروايات الشيعة ، تبيّن غيبة الإمام ، ولكن ليست بغيبة انقطاع ، وإلّا عدّ الله غائباً ومنقطعاً عنّا حاشاه ، وأعرف إن أهل الجماعة ثارت ثائرتهم ، بهذا التشبيه ، ولكن هل من المعقول والمقبول ، أن يشبهون كنه الله وتصرفاته كتصرفات بني آدم ، بأن ينزل ويمشي على الأرض ، ويركب الدواب -حاشاه- ، ويغضب ويهدأ ، (راجع أطروحة النقد) ، ولا يقبلون العكس ، وهو تشبيه أنبياء الله وأولياءه به ، رغم أنَّ الأنبياء والأولياء هم الله دون ذاته المقدسة ، وإلّا كيف يكون خليفة الله ، مخالفاً لصفات الله ،

فما يميّز الخليفة ، عن باقي العباد الذين وصفتهم الملائكة ، بالفاسدين وسفاكي الدماء ، إذا ما تزعَّموا واستولوا على حُكم الأرض ،

ونستكمل حديثنا عن الظهور ، إذ تفاعلنا في البداية ، مع القراءة السائدة ، من أنَّنا في حالة انتظار ، والحقيقة أننا في حالة **استبعاد وإبعاد ،** فما نعني بحالة الاستبعاد

حالة المقاطعة والاستبعاد :هي الحالة الناتجة عن القرار الذي اتخذه الخليفة ، من استبعاد كل رعاياه من الإنس والجن ، والانقطاع عنهم ، ومن أن يتولّى شؤونهم

، وينشر العدل الإلهي بينهم ، بسبب صدّهم عنه ، ومحاربته من قبل المبغضين لأولياء الله ، وعجز الأنصار عجزاً ، لا يرجى من بعده أي دورٍ فاعل ، ومن كان له الدور الفاعل ، كان لأعدائهم القدرة للقضاء عليهم لقلة عددهم ، وسبب عدم التعرف على ما تقدم ، إخفاء بعض من رجال الشيعة للحقيقة التي تكشف ضعفهم ، فالشيعة مع حبهم الكبير لآل البيت ، فهم يشتركون بكل الجرائم والمصائب التي حلّت بآل البيت ، مع أعداء أهل البيت ، **فهم لم يناموا في فراش الخليفة** ، ولعلّك فهمت مقصدنا من هذه الإشارة ، أي إنهم لم يناموا في فراش الخليفة ، كما نام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ﷺ- ، في فراش النبي الأكرم ، لذا فالرسول هجر مكة ، ولم يستبعد كل أمّته أو ينقطع عنهم ،

ولا تشك لحظة واحدة ، إنَّنا سنواري غلطات أحدٍ من الشيعة ، لأننا من الشيعة ، وإلّا فما الفرق بيننا وبين السلفية ،

وهل تعرف ، أن معظم رجال الدين من الشيعة ، يقفون عند قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ، فقط لانتقاد الروايات ، وقلَّ من يتصدَّ بالقول ، إن الخليفة هو الإمام الغائب كما يعتقدون ، لا بل يجعلون الخليفة في حالة ، والإمام الغائب في حالة ، وكأن الإمام ليس هو الخليفة ،

وما يهمُّنا الآن ، أنَّنا يجب أن نصارع أنفسنا ، إن تواصل الخليفة الذي هو الإمام ، وقيامه بمهام أعماله في غيبته ، لا يعني قط ، بأنه يقوم بذلك من أحلنا ، بل لكونه بما كلفه الله به من دور ، أمّا نحن فلسنا في حالة انتظار ، لأنَّهم لم يغادرنا صديقاً ، بل غادرنا غاضباً ومقاطعاً ، ومستبعداً حتى لمن يدعون الولاء لهُ ، لذا تكون الصيحة ، استدعاءً لمن أحبَّ أو ادعى حُبَّ الخليفة ومناصرته ، وانتهاءً لحالة المقاطعة والاستبعاد ، وفي حينها يبدأ الانتظار الذي لن يطول أكثر من ثلاث سنين ، وإذا أردت التعرُّف على المُدَّة بالشهر واليوم ، فهي بالضبط نفس المُدَّة التي قضاها الرسول المصطفى -ﷺ- في دعوته السريّة .

المبحث الثاني

الفرقة الناجية ودولة الخلافة

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص .

ألا نسأل ، كيف سيرى فرعون وهامان وجنودهما من أئمة الهدى وورثة الأرض ، ما كانوا يحذرون ، وهل يعني هذا ، أن هناك أئمة ورثوا الأرض ومكنهم الله منها ، من بعد فرعون وهامان ، ومن بعد ما استضعفوا ،

= حين تطلع على الآيتين في أعلاه ، فإن كنت ما تزال تحبو في مجال اللغة والتفسير ، فمن المؤكد بأنك ستصل إلى ما جاء في كتب المفسرين الخمسة :

جاء في الطبري ص[٢٨٥] ، وبقية التفاسير : -

((في تفسير قوله تعالى : أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها ، من بني إسرائيل ، فِرَقًا يستضعِف طائفة منهم [و] نحن [نريد أن نمن على الذين] استضعفهم فرعون من بني إسرائيل [ونجعلهم أئمة] ،

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة عن قوله [ونجعلهم أئمة] أي ولاة وملوكاً)) ،

لكنك حين تتابع حياة بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ، فلن ترى غير قوم عبدو العجل ، ولم يبق منهم غير هارون وثلة ، ممن تمسّكوا بقول موسى (ع)، زد على ذلك من صعقوا لأنهم طلبوا أن يروا الله (جل جلاله)، وبعد ذلك تاهوا في الأرض أربعين سنة ، فأين الملوك والولاة وأئمة الهدى الذين ورثوا الأرض ،

لذا يجبنا الله بعد آياتٍ قلائل من السورة نفسها ، لنفهم ما كان يريد سبحانه وتعالى أن يشير إليه : -

(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ) القصص .

وقبل أن نتسلسل بفهم ما نبغي فهمه ، نسأل سؤال آخر ، لتكتمل لدينا الصورة ، كيف جعل الله (جل جلاله) فرعون وهامان أئمة يدعون إلى النار وقد قضي عليهم جميعاً ،

من هنا يتحد الجواب لدينا بخصوص السؤالين ، ومن هنا نعلم أن المسألة لا تختص ببني إسرائيل ، فلا هم المعنيون بوراثة الأرض ولا بأن يكونوا أئمة للهدى ، إنما بهلاك فرعون وهامان وجنودهما ، وهلاك كل الطواغيت ، سيمُنّ الله على الذين استضعفوا في الأرض ،

أي إنه تعالى يضرب لنا مثلاً ، ويصوّر لنا مشهد انتصار إرادته ، بليلة قبل طلوع ضحاها ، وبساعة ما احتاج الأمر سواها ، تخلص المستضعفون من كل الطواغيت ، ولنعد قراءة النص : -
(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص .

فكل طواغيت الأرض من زمن فرعون وحتى ظهور خليفة الله ، جمعهم الله بشخص فرعون وهامان وجنودهما ،
ومثلما كان فرعون وهامان يحذران فرار بني إسرائيل ، سيشهد فراعنة عصر الظهور ما كانوا يحذرون من انتصار خليفة الله عليهم ،
وإذا كان إبليس قد منحه الله الحياة ليوم يبعثون ، ففرعون أيضاً لم يمت بوصفه منهجاً ، وحكومته ما زالت قائمة ومستمرة في طغيانها ،
واستعلاء فرعون على الدين ، لن نراه بالصورة الكلاسيكية ، من أنه سيقول أنا ربكم الأعلى ، بل نراه يسخّر الدين لخدمته ، مثالنا في ذلك ، قيام بعض الحكام بإجبار بعضاً من خدمته من رجال الدين ، لاستصدار حكماً بحرمة مجابهة الحاكم ، وإن كان فاجراً وفاسقاً ومتهتكاً ،
وبذلك يكون فوق أحكام الله تعالى ، وأحكامه تعلو أحكام الله ، ومن هنا يقول أنا ربكم الأعلى ، وهذا ما يجعله بمأمن من شعبه المسلم ، ومن كل الكفّار من حوله ، لأن شعبه محاط بالأحكام المزيفة ، والكفّار يعلمون سرّاً أو علناً ، إنه منهم وهم منه ، بل هذا ما يبحثون عنه ، لهدم الدين من الداخل ، وتفشي كل فاحشة ورذيلة في المجتمع ،
كما إن الشيع المستضعفة ما زالت تعاني ظلم فرعون ، إن لم يكن بقتل الرجال واستحياء النساء ، فبالتضييق عليهم ومحاربتهم مادياً ومعنوياً ، والسخرية من مذهبهم ،
والآن نتوجه لسؤالٍ ثالث وهو : كيف ينظر لنا الله تعالى ، أدياناً أم فرقاً أو أفراداً ، وإذا كنّا على يقين من وجود الفرقة الناجية ، فلا بد من أن يكون نجاتها منهجاً وأشخاصا ، فأين نجد فرقة ناجية بكل أشخاصها ، ولو كانت ناجية ببعض أشخاصها ، فلا بد من أن هناك سوء فهم لحيثيات الفرقة الناجية ، لدى أفراد الفرقة الناجية أنفسهم ، على ذلك سنتطرق لمواضيع متفرقة ، قد يكون بعضها مكرراً ومطروقاً من قبل الكثير من الباحثين ، لكننا سنتناولها بشيء من الاختلاف وبنتيجة سترضي شوقنا ، للتعرف إلى الفرقة الناجية بكل تفاصيلها .
وقبل أن ننتقل لمباحث هذا الفصل ، علينا أن نشير إلى فرقة أسميناها بالفرقة الآمنة ، وهي لون من ألوان الفرقة الناجية ، وشكل من أشكالها ، قد يتفوق

أعضاؤها إيماناً بدولة الخلافة عن إيمان الفرقة الناجية ، فأعضاؤها من الذين سألوا عن دينهم حتى ظنّ أنهم جنوا ، وبما أنهم ليسوا متأكدين بالدليل القاطع وبالبحث والتقصي المتاح ، من أنهم من الفرقة الناجية ، فقد بذلوا أقصى ما في جهدهم من أجل الوصول للدين الحق ، وهم بذلك على خير ، سواء أدركوا نهج الفرقة الناجية أم لم يدركوه ، وهم بذلك أفراد متفرقون ومنتشرون بين الفرق والأديان ، لن يجتمعوا حتى يتم إعلان دولة الخلافة ، وهم وإن لم يدركوا الفرقة الناجية وينتموا لها ، لكنهم اكتسبوا خيراً في إيمانهم ، مما مرّ عليهم من أذى في البحث والتحري لأجل الوصول لمرضاة الله ، فبعض منهم كانوا من ضحايا الفكر التكفيري ، الذي يمنع أفراده أن يسألوا عن الحق ليدركوه ، وعن منهج الصدق ليتبعوه ، ففي بلدٍ مثل أفغانستان مثلاً ، يولد المسلم وعلى عينيه كمامة ، أسمها نهج الإمام الفلاني ، لا يسمح لأحدٍ منهم حتى مجرد السؤال والاستفسار عن أمور دينه ، إلا ما كُتِبَ بتلك الكمامة ، فينتهج ذلك النهج بكل حدة وصرامة ، ظناً منه أنه النهج الحق ، وما أرادهُ الله حقاً من عباده ، فتراهم يضحّون بأنفسهم ، بالتفجيرات والحروب ، لإدراك رضا الله ورسوله ، فهؤلاء ما خالفوا شرع الله إلّا ظناً منهم بإقامته ،

لكنَّنا على يقين أن منهم الكثير ، ممن يحاول الإفلات من قيده ، والخروج من أسره ، ليدرك الحقائق ، إذا ما أحسّ بما ألهمه الله من فراسة ، إنه يخالف طريق الصواب ، ونكتفي بهذا القدر في الحديث عن هذه الفرقة ، فهي مما سنبحثه بالتفصيل في الجزء الثاني ، لكننا بحديثنا عنها ، فهمنا الآن ، كيف أن أعضاء الفرقة الناجية لن يخلو أي دين وأي مذهب منهم ، وإن كانوا ربما أعداء المذهب الحق ، قبل أن يدركوا الحق .

المطلب الأول

الفرقة الناجية

التعددية

بدايةً لنتعرف على أساب تسميتها بالفرقة الناجية ، وما معنى الفرقة بشكل عام : الفرقة بالمصطلح العسكري يتراوح عدد أفرادها من ١٠,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ فرد ويقود الفرقة عادةً ضابط برتبة عميد أو لواء ، وتضم الفرقة الواحدة عدة ألوية ، (1 St . AUSTRALIAN ARMY)

الفرقة الدينية : هي الجماعة المتميزة بشيء من عقائدها عمن تشترك معه بنفس الدين تمييزا ولا يخرجها إلى الكفر ﴿+﴾ . فلماذا سميت بالفرقة : -

١– رغم أن النصوص القرآنية لا تعطي فكرة ، على أن الفرقة ، هي جماعة تختلف عن باقي الأمة ، يكون السبب لاختلافها العقائدي مع باقي الفرق والمذاهب ، والفرقة وفق ما جاء في قاموس المعاني الجامع ﴿+﴾ هي : -

جَمَاعَةٌ، طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى دِينٍ مَّا ، إلاَّ أَنَّ لَهَا مُعْتَقَدَاتٍ وَمُمَارَسَاتٍ خَاصَّة بِهَا ، لذا فالفرقة يجب أن تختلف عن باقي الفرق عقائدياً .

٢ – إشارة لمحدودية بقلة عددها ، فعلى مدى تأريخ الرسالات السماوية ، وصفة الفرقة المؤمنة بالقليلة ، ووصفت الفرق الكافرة بالكثرة (وأكثرهم للحق كارهون)

ومن الشبهات التي يحاول أهل الكتاب الصاقها بالدين الإسلامي ، أن الله تعامل معهم في القرآن ، بأشكال مختلفة ، فمرّة قابلهم بالثناء ، ووعد المسيحيين بالجنة ، ومرة توعدهم بجهنم ،

ففي سورة المائدة وفي نص بأربع آياتٍ طوال ، تم تكثيف الثناء على النصارى ، وكشف ما في قلوبهم من إيمانٍ وإخلاص وتفانٍ في حب الله والإيمان بالرسول ، (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ **عَدَاوَةً** لِلَّذِينَ آمَنُوا **الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ **مَوَدَّةً** لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا **نَصَارَى** ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ **الْحَقِّ** يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا **جَنَّاتٍ** تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ **خَالِدِينَ** فِيهَا وَذَلِكَ **جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**) المائدة .

ولكننا في موارد كثيرة أخرى ، نرى العكس تماماً : -

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ﴿١٢٠﴾ البقرة .

فهنا جمعهم مع اليهود ، بعد أن استثناهم في الآية السابقة ، وفي آيةٍ أخرى من السورة نفسها ، يجمعهم أيضاً مع اليهود وينعتهم بالجهل وعدم العلم ، فيما ميزهم في سورة المائدة من اليهود ، وجعلهم من المؤمنين ، فيما أتُهم اليهود بالعداوة الشديدة للذين آمنوا ، وجمعهم والمشركين بشدة العداء للمؤمنين : -

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ﴿١١٣﴾ البقرة .

وفي سورة التوبة ، يجمعهم أيضاً مع اليهود ، ويجمع الاثنين ، مع الذين كفروا : -

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) ﴿٣٠﴾ التوبة .

وبعد هذا التهديد والوعيد ، نُفاجأ بنص آخر ، يُبشّر الله اليهود والنصارى بدخول الجنة ، ولكن بشرط أن يسلموا وجوههم لله ويكونوا من المحسنين : -

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

فهل كان ذلك بسبب تغير معاملتهم مع الرسول محمد ﷺ ، كما ظن بعضهم ، أو بشرط إسلامهم كما قال في ذلك النمطية في تفاسيرهم ، أو لأسباب أخرى ،

= القضية ليست بهذه الصعوبة ، وما علينا إلا أن نرى واقع الحال ، وما تمرّ به الأديان في الوقت الحالي ، لنفهم هذا اللبس في فهمنا ، والذي ينبغي أن يكون واضحاً وجلياً ، لأنّنا نعيش فيه ، ونتفاعل معه ، منذُ بدء الرسالات والبعثات النبويَّة ، وهو المتعلّق بالمذاهب والملل ، وما يعتقده كل مجموعةٍ من الأفراد ، حتَّى إذا أنشقَّ فرد من الأفراد عن هذه المجموعة ، وتبعته جماعة أخرى ، شكّل مذهباً جديداً ، كما فعل واصل بن عطاء ، فتألف مذهب المعتزلة ، بل الشافعي الذي ألّف بنفسه مذهبين ، القديم والجديد ﴿٨٤﴾ ، فلا يمكن بعد ذلك أن يعامل الله كل أهل الدين معاملة واحدة ، فيما هم فرق ومذاهب ، حتى وإن لم يتشكلوا فعلياً في بداية الأمر ، وكيف لنا أن نظنَّ أنَّ الله ، يعامل كل أمة ، معاملة واحدة ،

....

﴿٨٤﴾ - نظرة حديثة إلى القديم والجديد في المجال الفقهي والمذهب الشافعي - سيد محمد موسوي مقدم - ص[١] .

وهذا هو الأمر المخجل في فكر النمطية ، وأمثالهم في الأديان السابقة ، في أنَّهم يوجهون أصابع الاتهام ، إلى دينٍ بكامله أو لمذهب بكامله ، بسبب تصرف فردي من شخص ما ، أو حتَّى عدَّة أشخاص ، فمتى سيعلمون أن ميزان الله بالذرة ، وليس بالكيلو أو الطن ، كما يتهمونه بذلك : -

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴿٧﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة .

وهذا ما أوضحه الله في آيةٍ ، تتحدث عن أهل الكتاب بشكل عام ، ولا ريب في أنَّها تشمل أولاً أمَّة الرسول محمد (ﷺ) : -

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)﴿٦٢﴾ البقرة .

وحينما يقول الله (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) فهو يعني من يقول من النصارى هذا القول ، ولا يشير لكلِّ النصارى ، فليس كل النصارى يعتقدون ويقولون بذلك ، وحتَّى من يقول بذلك من المتأخرين ، فقد يكون قد أملي عليه ذلك ، ووقع في تضليل وتغرير ، على أن ذلك لا يمنع من مهمَّة كلّ فرد منّا لتقصّي الحقيقة ، عـما ينتهج من نهج ، والحقيقة أن هذا الحديث عاد لا يجدي نفعاً ، فكل منّا بات بالكاد يحافظ على الحد الأدنى ، من العبادات ، في دينه ومذهبه الذي ينتمي إليه ، وليس هناك إلا القلة ، ممن يسعى ليرى موضع قدمه ، ومحل أفقه ،

تأمل جيداً في النص القرآني الخاص ببني إسرائيل : -

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

ولنختار واحداً من كتب التفسير ، وليكن ابن كثير لأنه مسهب بنقل أقوال أهل التأويل ،

((يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق ، إذ سألتم رؤيتي جهرة عيانا ، مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم ، كما قال ابن جريج ، قال ابن عباس في هذه الآية ،

(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ، قال : علانية ..... وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس ، أي علانية ، أي حتى نرى الله ، كما قال قتادة والربيع بن أنس ،

وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه ، قال : فسمعوا كلاماً ، فقالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ، قال : فسمعوا صوتاً فصعقوا ، يقول : ماتوا ،
وقال مروان بن الحكم ، فيما خطب به على منبر مكة ، الصاعقة : صيحة من السماء ،
وقال السدي في قوله (فأخذتهم الصاعقة) الصاعقة نار ،
وقال عروة بن رويم في قوله (وأنتم تنظرون) قال فصعق بعضهم وبعضهم ينظرون ، ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء ،
وقال السدي (فأخذتهم الصاعقة) فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ، ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ،
(لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ﴿١٥٥﴾ الأعراف .
فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجل ورجل ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ ، قال فذلك قوله تعالى [ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون])) .
ولنا عودة لكلام السدي في (أطروحة النقد الوظيفي) ،
نلاحظ أنه تعالى خاطب السبعين رجلا من قوم موسى ، وكأنه يخاطب كل قومه ، بالرغم من أن قوم موسى لم يقولوا كلهم (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ، كما إنهم ليسوا جميعاً عبدوا العجل ،
ثم تأمل فيما جاء من نصوص قرآنية بشأن الأعراب : -
(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿١٤﴾ الحجرات .
هنا نرى أنه تعالى تكلم على الأعراب وكأنه يعني كل الأعراب دون أي استثناء ، ثم لاحظ قوله تعالى : -
(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ﴿٩٧﴾ التوبة .
وهنا أيضاً يخاطبهم كما هم دون أي استثناء ، ولكن بالوصول للآية التي تليها ، نجد أن هناك استثناءً ولكن ليس استثناء من الذم بل مواصلة له ،
(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ﴿٩٨﴾ التوبة .
وجاء الخطاب الخاص تحديداً لقول بعض منهم ، أي لدينا خطاب عام وخطاب خاص ، العام يشمل الأعراب جميعاً ، والخاص يخصُّ ، فئة منهم من الذين يتخذون ما ينفقون مغرماً ، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ، لذلك فإن من يخصهم

الخطاب الأخير ، هم أيضاً أشدُّ كفراً ونفاقاً ، ولكن يزاد على المجموعة الكبيرة في الخطاب العام ، أن عليهم دائرة السوء ، وبذلك تكون الفئة الأخيرة ، أشد كفراً ونفاقاً ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، وعليهم دائرة السوء ، لأنهم يتخذون ما ينفقونه مغرماً ويتربصون بالمؤمنين ، وقد لا يكون التصور بهذا الشكل ، وتكون الفئة الأخيرة لا تنتمي للمجموعة الأم ، أي هناك فئة من الأعراب ليسوا أشدّ كفراً ونفاقاً ، ولكنَّهم يتَّخذون ما ينفقون مغرماً ، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ، وخصوصاً أن المُشار إليهم أعيدت تسميتهم ، أي (ومن الأعراب) ، فلو كانوا ينتمون للفئة الكبيرة ، لربما أكتفي بالقول : (ومنهم من يتخذ ....) ، ولكن القضية لم تنتهِ فإن هناك فئة أخرى ، تلت الفئة الكبرى والفئة الأصغر ، ولا تنتمي لهما بما بدر منهما من تصرفات وأقوال ، وهي الفئة المؤمنة بالله : -
(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿٩٩﴾ التوبة .
ولم تنتهِ الفئات إلى هنا ، بل إن هناك فئة رابعة أِنضم إليها نفر من أهل المدينة ،
(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ﴿١٠١﴾ التوبة .

وهنا يؤكد النص القرآني على نفاق الأعراب نفاقاً ، اتفق مع نفاق أهل المدينة ، ويبدو أن هذه الفئة أشدّ مكراً وحيطة من أن يُكشفَ نفاقهم ، وبهذا فقد ذُكرت الأعراب بأربعة فئات حتى هذه الآية من سورة التوبة ، واحدة فقط كان لها الحظ أن تكون من المؤمنين ، ثم تعقب الآية الأخيرة ، آية تشير إلى فئة محددةً بعملها لا بالاسم أو المكان ، وهي تعد من الفئات الوسطية ، التي لم تتهم بالنفاق المطلق ، ولم تسلم من صالح الأعمال أو طالحها ،
(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) التوبة .
وما زال الحديث عن الأعراب لم ينقطع ، وسيمتد حتى الآية ﴿١٢٠﴾ من سورة التوبة ، وبين الآيات في أعلاه والآية ﴿١٢٠﴾ ، ذكر الأعراب حكماً وضمناً : -

(وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) التوبة .

والآية ﴿١٠٦﴾ ، هي الآية التي أسست فرقة المرجئة قواعدها على أساسها ، (راجع أطروحة النقد الوظيفي) ، وهذه أول المغالطات التي ارتكبتها فرقة المرجئة باعتقادنا ، فهي لم تنظر على أن من ذكروا في هذه الآية ، مجرد فئة من عشرات الفئات التي ذكرت في هذه السورة ، وباقي سور القرآن ، لكنَّهم اعتقدوا أنها سياسة الله مع كل خلقه ، لا مع فئة معينة ومحددة ، ولو كانت هذه الآية تبيّن سياسة الله العامة مع خلقه ، لما خالفتها آيات كثيرة وسياسات متعددة ، يتبعها الله مع أصحاب الكبائر والفواحش ، ولما أمر الله بالقصاص وإقامة الحد ،

عموماً ليس في قضية المرجئة ما يهمنا في هذا المطلب ، فما يهمنا هو بيان الفئات المختلفة التي يتعامل معهم الله ، بالأخص إذا كانوا يعودون إلى شريحة أو قوميةٍ واحدة ، لنقف وقفة مفعمة بالبحث والتمحيص عن قضية الفرقة الناجية .

لذا نشهد في هذه السورة ، كيف جعل الله الأعراب أعداداً متفرقة وفئات مختلفة : -

الأولى : أشد كفراً ونفاقاً ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

الثانية : من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربصون الدوائر بالمؤمنين ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

الثالثة : المؤمنة بالله واليوم الآخر ، وينفقون قربة لله وفي سبيله ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

الرابعة : منافقة سيعذبهم الله مرتين ، ثمّ يردون إلى عذاب عظيم ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : -
(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) .

ونعتقد أن هؤلاء من الأعراب ومن أهل المدينة ، ممن سيشملهم حكم الرجعة مع الإمام ، ليس لأنهم سيعذبون ثلاث مرات ، بل لأنهم مردوا على النفاق ، وهذا يعني تحريفهم وابتداعهم في دين الله ، والتظاهر بحب الرسول وصحبته .

الخامسة : المعترفة بذنوبها ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : -
(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

السادسة : الموقوفة على حكم الله تعالى ، وهي من ذكرت في قوله تعالى : -
(وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

السابعة : وهي الفئة التي لم تتخلف عن رسول الله من الأعراب ، ومن أهل المدينة ، وقد ذكرت في قوله تعالى : -
(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) .

الثامنة : المتخلفون عن رسول الله من الأعراب ، وهي الفئة التي ذكرت في سورة الفتح : -
(قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ﴿١٦﴾ .

التاسعة : وهي أول الفئات التي تكلمت عليهم سورة براءة ، لكننا أجلنا الحديث عنهم ، حتى بلوغ المتخلفين من الأعراب من عداهم ،
وهذه الفئة من المعذرين من الأعراب ، واختلف أهل التأويل كالعادة في إيضاح عذرهم ، فلم يؤكد أحد منهم إذا ما كانوا كاذبين في أعذارهم ، أم صادقين ،
(وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿٩٠﴾ .

ولكننا نرى أن صياغة النص ، جاء على أنهم صادقون ، بدليل تفرقتهم عن قعود الذين كذبوا الله ورسوله ، وكأنه تعالى يشير ، إلى أن الفئة الأولى التي ذكرتها الآية ، تعد بمثابة القائمين لقوله تعالى (وقعد الذين كذبوا) ، كما أن النص يشير على أنهم وبالرغم من كونهم من المعذورين ، جاءوا ليؤذن لهم بالخروج مع الرسول ، فيما قعد الذين كذبوا الله ورسوله ،
كما أن الآيتين التي سبقتا هذه الآية ، تشير بأنهم من المرضي عنهم : -

(لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

العاشرة : المسلمة ، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، وهي فئة ذكرت في سورة الحجرات ، في قوله تعالى : -
(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُــلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿١٤﴾ .

لدينا الآن عشر فئات مختلفة من الأعراب ، كُلّهُم انتسبوا للإسلام ، وادعوا أنَّهم من المسلمين ، ومن المؤكد ادعاءهم حبَّ الرسول لهم بعد فقده صلوات الله عليه وعلى آله وحُبَّهم للرسول والتقرب منهُ ، ذكر الله لنا منهم فئة واحدة فقط ، تدخل في رحمته ، وفئتين موقفهما مُشرِّف في الانخراط مع جيش الرسول ، وإنَّهم موفقين من هذه الناحية ، ولا نعرف عنهم موجبات الإيمان الباقية ، إذا ما توفّرت بهم أم لا ، لكن المؤكد ، أن لدينا سبع فئات من المغضوب عليهم ومن الضالين المضلين ،

ولا بد من أننا فهمنا الآن جيداً ، ما يدعيه أهل الكتاب ، من شبهة اختلاف التعامل معهم ، وكيف أنهُ تعالى أوضح موقفه من الأعراب ، على عشر أشكال مختلفة ومتباينة ، وكُلّهُم ممَّن ينتسبون للإسلام ، فتخيل ما سيكون عدد الفئات في الديانة اليهوديَّة أو النصرانيَّة ، وهذا ما نعنيه بالتعددية .

المطلب الثاني

الفرقة الناجية

الجمع والدمج

مرّ بنا في الكتاب السابق ، حول موضوع شبهة خلق السماوات والأرض ، أن هناك من يسأل ، لماذا خلق الله السماوات والأرض وأغلب الخلق من المفسدين ، وكان جوابنا ، أنَّه تعالى يبين لنا كيف يضع ميزان عدله ، بعد فناء الخلق ، وبعثتهم مرّة أخرى ، وكيف ستكون نتائج الخلق على شكل مستويات ، وكيف سنُجمع يوم القيامة ، والنتائج الرائعة لمحصلة الخلق ، وفوز الصالحين بأغلبية الثلثين ، وهذا ما جاء شرحاً مفصلاً في نص خاص ، من سورة الواقعة ، وخلاصتهُ واضحة جداً ، فهم ثلاثة أزواج : -

(وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) الواقعة .

ومن ثم يبين الله لنا تفاصيل هذه الأزواج الثلاثة ، وشرحاً بشيء من التفصيل عن حياتهم في الآخرة ، وبهذا فإن هناك ثلاثة أزواج ، اثنين منهم في الجنة ، وواحداً فقط في النار ، وأسباب تساؤلنا عن فساد الخلق هي الكثرة فقط ، وليست النوعية ، وهذا يخالف منظار الله لخلقه ، فهو يراهم بالأصناف ، لا بالأعداد ، وقضية السواد الأعظم لم تكن ، ولن تكن في ميزان العدل الإلهي ، لا عدداً ولا قوَّة وبأساً ، دون عقل وحكمة ، فمن بين مليارات لا تعد ولا تحصى من الكواكب والنجوم أهّل أرضنا ، وفضّل بني آدم على خلقه من الجن الجبارين والقادرين ، وقد ذكرت نصوص متعددة قوة الجن وقدراتهم الخارقة ، ويكفينا فقط الإشارة لجند سليمان ﴿ع﴾ لبيان تلك القوى : -

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) النمل .

فمن الصحيح ، أن من جاء به ، هو أنس عنده علم من الكتاب ، ولكن دون هذا العلم لا يستطيع كل الإنس وإن اجتمعوا ، أن يأتوا بعرش ملكة سبأ ، قبل أن يقوم سليمان من مقامه ، أما العفريت المشار إليه ، فكان سيأتي به ولو متأخراً قليلاً عن الأنس ، لكنه قادر من دون حاجة لعلمٍ من الكتاب ،

ولكن ما أودعه الله في الإنس من عقل ، رجحه على غيره من الخلق ،

ورجح أصحاب البيان من بين أصحاب العقول : -
(الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) الرحمن .

كما رُجّح أصحاب الإيمان الثابت والعقيدة الراسخة ، أي العاملون بما يعلمون ، ولكنه تعالى يرينا محصّلة الخلق ، على أنهم ثلاثة أزواج فقط ، وبعد دخولهم كأزواج ثلاث إلى مقامهم الأخير ، أي زوجان اثنان في الجنة وزوج واحد في النار ، تبدأ من بعد ذلك المراتب المختلفة ، وكل فرد وجنايته ، وكما ذكرنا في المبحث الأول ، فالخلق من الناحية العددية ، أغلبهم من أهل النار ، ولكن من الناحية الفئوية ، فالثلثان هم من أصحاب الجنة ،
وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ،
((وقوله : (وكنتم أزواجاً ثلاثة) ، أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف ، قوم عن يمين العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ،
ويؤتون كتبهم بأيمانهم ، ويؤخذ بهم ذات اليمين ، قال السدي : وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش ، وهم من خرجوا من شق آدم الأيسر ، ويؤتون كتبهم بشمائلهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال ، وهم عامة أهل النار ، وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء ، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين)) .
ونترك للقارئ العزيز ، التعليق عن الاعتقاد بخروج الخلق الصالح من شق آدم الأيمن ، والطالح من شقه الأيسر ، فكيف يخرج الله الولد الصالح من أبٍ طالح ، والعكس ، وهذه التفاسير هي ذاتها تفاسير بني إسرائيل ،
ونرى أن الأزواج هنا جاءت للإشارة إلى أنصارهم وأتباعهم ، أي إنهم في الحقيقة ست فئات ، السابقون وأنصارهم ، وأصحاب اليمين وأنصارهم ، وأصحاب الشمال وأنصارهم ،
وبذلك تكون الفئتان الأولى والثانية ، وهم السابقون وأتباعهم أعلى درجة من أصحاب اليمين وأتباعهم ، فكل نفسٍ لها زوجها ممن يناصرها ويتبعها ،
وبذلك تختلط الأنفس التي كانت تتباعد عن بعضها بعضاً مكانيا وزمانيا ، فأتباع نبي الله موسى ، سيجمعون مع أتباع عيسى ومحمد -صلوات الله عليهم أجمعين- ، ومن ثم أتباع فرعون ، مع أتباع النمرود والمنافقين المحاربين لله ولرسله ، وهذا ما حاول الأنبياء تحذيرنا منه ، ودفعنا للصلاة والصيام وأداء الفروض بسببه ، لأن من يقصّر في عبادته لله ومعاملته مع الآخرين بما يرضي الله ، سيُبعث ويدخل مدخل المشركين بداية ، وهذا هو الندم الأعظم الذي سيصيب المخطئين ، فهم وإن كانت جناياتهم ليست بالجنايات الكبيرة ، لكنهم لن يكونوا من الفئتين الأولى

والثانية إلا بعد حين ، بل وإن كانوا لن تمسهم النار لشفاعة تشملهم وأعمال صالحة تنفعهم ، لكنهم سيحرمون من بهجة الاصطفاف إلى جانب السابقين وأصحاب اليمين ، ومنهم من سيخلد على شكل مراحل زمنية طويلة ،
(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) النبأ .
وفي الروايات المؤكدة أن الحقبة [٨٠] سنة ، ولكن كل يوم من هذه السنين بألف سنة ، وهذا رقم مفزع ، فهو حوالي [٢٩] مليون سنة ، أجارنا الله وأحبابه وأحباب الأنبياء والصديقين ، من هذه الفاجعة ،
والحمد لله الذي منحنا الحياة وندعوه تعالى أن يطيل في أعمارنا ، وهذا سبب التمسك بالحياة ، فما دمنا على قيد الحياة ، فنحن ما نزال على قيد الرحمة والمغفرة ، وما زالت الأعمال والعبادات متاحة لنا ،
وهذا باختصار هو مفهوم الجمع والدمج ، الذي سيكون عليه الخلق ساعة البعث ، بعد أن كانوا فرقاً متعددة ومذاهب مختلفة في الحياة الدنيا ، ومن ثم ينتشرون في الجنة ، وفي جهنم كل بحسب عمله ، حتى يكاد كل واحد منهم ، لا يشترك بمستوى عذاب الآخر ، نوعاً أو زماناً .

المطلب الثالث

الفرقة الناجية وفقاً للأديان والمذاهب

الفرقة الناجية في الأديان والمذاهب

مثلما اعترفت الأديان السماوية وغير السماوية مع مذاهبها بمجيء المُخلّص ، فإن هذه الأديان وتلك المذاهب اعترفت ايضاً بوجود الفرقة الناجية ، ومثلما نسبت الأديان كلها مع مذاهبها ، وادعت أن المخلِّص ينتمي لها ، ويظهر لأجلها ، أكّد كلّ دينٍ ومذهب أن الفرقة الناجية ، هي فرقتهم هُم ، لذا أصبح من البديهي ، أن المُخلّص ينتمي لتلك الفرقة ، ويأتي لخلاصها أولاً ، وتلك الفرقة هي التي ستناصره وتعاضده ، ليسود العدل والقسط أرجاء المعمورة ، وبذلك نفهم أن الفرقة الناجية موجودة فعلاً ، وما ينقصها هو قيادة الإمام الصالح ، أم أن هناك من يحتمل أن الإمام الصالح سيأتي ثم تظهر الفرقة الناجية ، أو أن هناك من يرى عدم صحة الاحتمال الأول والثاني ، ويرى رأياً آخر ، وهو ما سنبحثه ، حتى نحققه ، وقبل الخوض في صلب الموضوع ، علينا أن نأخذ فكرة عمّا قام به بعض رجال الدين ، مما أدى لإبعاد رعيتهم عن الفرقة الناجية ، كوصلة تنتمي لأسباب تعدد المذاهب ،

= قفزة كبيرة وعظيمة ، تلك التي أخرجت العلوم الطبيعية ، من أسنان بعض رجال الدين ، الذين ظنوا ، أنهم يعلمون علم ما كان وما سيكون ، وهيمنوا على كل العلوم التي جاء فيها أي نص سماوي ، وعدّوا القائل مثلاً بدوران الأرض أو كرويتها ، من الكافرين والزنادقة ، ولكي نكون منصفين ، فهذه النعرة لا تقتصر على رجال الدين وحسب ، بل تشمل كل من يحسب أنه استوعب علوم الأولين والآخرين ، أو أنَّه يعلو بعلمه عن بقية بني البشر ، كونه حصل على الدكتوراه في الرياضيات أو الفيزياء أو أي علمٍ من العلوم ، إذ تراه يترفع ويتطير من أن يبحث فيما يبحث فيه رجال الدين مثلاً ، فيخرج من الجهل إلى الجاهلية ، أي من بلادة العقل إلى بلادة النفس ، والتي تجرّه بالمحصلة إلى الرجوع إلى بلادة العقل ، والمؤسف حقاً ، أن هناك من حارب الدين بما فيه من علوم ، لأنَّه ظنَّ أنَّ عالم الغرب المتطور على حدِّ فهمه ، قد وصل إلى ما فيه من التطوّر ، بسبب انحلاله الخلقي ، وابتعاده عن الدين ، ورأى نفسه مصحِّحاً لشريعة الخالق ، وإن من الظلم أن تقرر الشريعة السماويَّة التحكم في أي فرد وتسلب حريَّته ، بتحريم شيء أو منع فعلٍ ما ، هذا زيادة على ما نجدهُ من ظلم على الشريعة وهي تتهم بأمور ، لو أنَّ الباحث تحرّى بدقّةٍ عن حقيقتها ، لوجد أن هناك من قام بتحريف وتزييف الحكم ، ليصبح حُكماً شاذاً عن عدل الله ، لكنَّهُ لا يستطيع حتَّى الطعن بمن قام بهذا

التزييف ، لكونه من أسياد العرب ورواد الدين ، فيعطيه تبجيلاً أكثر من تبجيل النص القرآني ، راجع (المعقول والمقبول فيما نسب للرسول) ﴿٨٥﴾ ،
كالأحكام التي تخص الدخول بالأَمَة الكتابيّة ليلة الغزو على أرضهم وإن كانت ذات بعل ، ومعظم ما أصدره مفتي الدولة العثمانية ، على مدى ستمائة سنة من حكمهم ، وتحكمهم بالدولة الإسلامية ، وحلّيَّة دم الكافر وسلب أمواله ،
وقد كانت دراسة الدين والاهتمام بالعلوم الدينية ، من أوّلويات الحياة في كافة دول العالم ،
فهكذا كانت طبيعة التعليم ، إذ ما من دارسٍ يبدأ حياته الدراسية ، بأي علم قبل أن يدرس التوراة في اليهودية ، والكتاب المقدس في المسيحية ، والقرآن في الإسلام ، ومع ظهور المناهج الدراسية ، والمدارس التعليمية الخاصة والعامة ، ومتطلبات العمل في الشركات والمصانع المختلفة ، ولكن بدأ الجميع بمغادرة المدارس الدينية ، وكانت الدول العربية ، هي آخر الدول في فعل ذلك ، فقد بدأت بما يعرف بالكتاتيب القرآنية ، وقيل إنها بدأت منذ عصر الرسول ، عن قضية أسرى بدر الذين طلب منهم الرسول تعليم عشرة من المسلمين لقاء حريتهم ﴿٨٦﴾ ، واقتصرت بعد سقوط الدولة العثمانية على فئة الأطفال ، حتى سن (١٠ -١٢) أي كانت تمثل مرحلة الابتدائية ﴿٨٧﴾ ، وبعد تخرج الصبية من الكُتّاب ، يدخلون مدارس الدولة ، لدراسة العلوم الطبيعية المختلفة ،
أما من يود التواصل بدراسة الدين ، فهناك جامعات وحوزات أعدت لذلك ، وبغض النظر عن المناهج التي يدرسونها ، في تلك الجامعات والحوزات ، فإن طرائق تدريس الفقه الإسلامي طرائق كلاسيكية ، إذ يدرسونه كما يدرسون التأريخ والتراث ، ومن يحاول الخروج عن السرب ، يكون الطرد والإبعاد حصيلة هذا الخروج ، فجُلّ اهتمامهم ينصب على الحفاظ على الموروث الدّيني من دونَ السَّماح حتَّى بمراجعتهِ ، ما لم يكُن في تضعيفِ روايةٍ أو حديث يرون أنه لصالحِ أحَدِ الفرق أو المذاهب المخالفة ، عندها يعاد طبع حتى الكتب المخطوطة ، ولم نعد بعد ذلك نجد من مخطوطات ، خوفاً على كشف ما حُرّف ، فلا وجود للنسخة الأصلية لصحيح البخاري مطلقاً ، وأقدم نسخة موجودة ، هي بعد وفاة البخاري بما يزيد عن مائتين وخمسين عاما ﴿٨٨﴾ ،

....

﴿٨٥﴾ - تأليف المحامي علاء الصائغ – ٢٠١٩ .
﴿٨٦﴾ - البداية والنهاية لابن كثير ج{٣} ص[٣٢٨]- مكتبة المعارف بيروت ١٩٩١ .
﴿٨٧﴾ - الكتاتيب القرآنية ، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم - آسية بنسلمون .
﴿٨٨﴾ - محاضرة للدكتورة سهيلة زين العابدين ٢٠١٥ .

ومن يدعي ﴿٨٩﴾ ، أن كتاب البخاري حُفظ على ظهر الغيب مثل القرآن ، ثم نقل ودوّن ، فليقل لنا ، كم هو عدد من يحفظون البخاري الآن على ظهر الغيب ، وكم هو عدد من يحفظوا القرآن ، وهل اختفى القرآن [٢٥٠] سنة ثم كُتب ، فوالله لو جاء البخاري نفسه بعد مرور [٢٥٠] سنة لكتابته للصحيح ، لما تذكر منه عُشر ما كتب ، وما هو الدليل على أن هناك من قرأ البخاري وحفظه ، وراح يوصي أبناءه وأحفاده ، لحفظ البخاري ، ومن كان يعلم أن كتاب البخاري سيختفي ليحفظه ، وقد لا يفهم القائل بمجريات الأحداث التأريخية ، فكون الكتاب قد اختفى ، فهذا يعني أن هناك ما يمنع من مداولته ، ولو أدخلنا هذا الكتاب مع كاتبه في النقد الوظيفي ، فإنه سيعد من أساطير الزمان ، والدفاع عنه وعن مؤلفه بات دفاعاً مستميتاً ، فحتى اسمه تم جعله مركباً (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) ، هل اطلعت على اسم في التأريخ مثل هذا الاسم ، لأن اسمه الحقيقي هو (محمد بن بَرْدِزبَه) ، لكن اسم أبوه اختفى تماماً من المواقع ، لكي لا يشار له بالمجوسية ، وأصبح اسمه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، وربما سيقرأ الجيل القادم ، أن مولده في مكة وقد زار بخارى لشهرٍ أو شهرين ،

وبالرغم من أنه تجاوز العقدين من العمر حتى دخل مكة ، فسرعان ما تعلم العربية وحفظ كل أحاديث الرسول (الصحيحة) ، فكيف علم بأنها هي الصحيحة ، وهو لم يسمع حرفاً واحداً من الرسول ، ولم يلتق حتى بصحابة الرسول ، ولا حتى بالأجيال الثلاثة التي تلت صحابة الرسول ، فقد ولد عام [١٩٤هـ] ، ثم زد سنين بلوغه وتعلمه العربية ، ومن ثم سماعه بالأحاديث وحفظها ، فكيف لنا أن نعطيه صفة الصحيح ، ومن هذا الرجل الذي استؤمن على أحاديث الرسول ، وبعد كل ذلك ، تختفي نسخته الأصلية ، وفي ظروف لا يمكن أن نفهم سببها ، يعود البخاري إلى الوجود ، بعد مرور [٢٥٠] سنة على اختفاء النسخة الأصلية ، وليعود وكأنه كُتب البارحة ، بشروحاته وتفاصيله وآراءه ، فلم تحظ حتى الكتب السماوية بهذه القدسية ، ولم يجرأ من أحدٍ على الادعاء بأن التوراة أو الإنجيل ، بعد اختفائهما حتى بعشر سنين ، أستطاع من أحدٍ أن يتذكر ما كُتب فيها ، لذا تعددت واختلفت ، ولو أن هناك نسخاً أخرى للبخاري ، لكان من الممكن أن نثق أن بين ما كتب فيها ، هو عينه ما كتبه البخاري ، أو مقارباً له ، ومر بنا كيف أن أحاديث الرسـول نقلت عـن طريق شخص ، بالرغم من أنَّ الرسول ، قالها خاطباً بجماعة

....

﴿٨٩﴾ - د . أحمد معبد عبد الكريم ، محاضرته في أن صحيح البخاري حفظ على ظهر الغيب كما حفظ القرآن .

كبيرة من المسلمين ، كحديث الخلفاء المهديين من قريش ، كما حدّث به من لم يتأكد ما سمعه من الرسول فسأل أباه ، وهل لهؤلاء المدافعون عن صحة البخاري العلم ، بعدد الأحاديث التي نقلت عن الرسول ، وفيها اختلافات عديدة في المفردات والصياغات والإشارات والتواريخ والشخصيات ،

الصحابة والتابعون ، لم يحفظوا أحاديث الرسول بالدقّة المطلوبة ، لكن هناك جيل خفي ، حفظ البخاري على مدى [٢٥٠]عام ، مع الفارزة والهامش والتنقيط ، وراح يكتبه بكل ثقة ،

وهناك أحاديث للرسول نقلت بالتواتر عن علي بن ابي طالب ، ومن ثم أحفاده من ولد الحسين ، حتى ما يقرب من سنة [٢٥٠] للهجرة ، وفي السنة نفسها تقريباً يكتب البخاري صحيحه ، ثم يختفي صحيحه ، إن كان صحيحه صحيحاً حقاً ، ولا يعود إلا بعد ربع قرن ، إلا إن السلفية يتمسحون بالتراث الإيراني ، ولا يتحدثون بما جاء عما يعرف لدى الشيعة بالعترة الطاهرة ،

وما يهمنا بعد ذلك ، هو الوقوف على أسباب التمسك ببعض الروايات والشخصيات ، بالرغم من ثبوت إساءتها للإسلام ، كشخصية كعب الأحبار ، وكل ما أدخله من روايات ، وللمرة الثانية في هذا الكتاب والخامسة في هذه السلسلة ، نقول علينا اعتبار كعب الأحبار قد أدخل تلك المجموعة الكبيرة من الروايات ، ربما دون علمه بأن هذه الروايات قد تم تزييفها من قبل من سبقه من أحبار اليهود ، وأنه لو كان عالماً بالروايات الصحيحة ، لأعتنق المسيحية ، ابتداءً قبل أن يُبعث النبي محمد ﷺ ، وأن النبي قد طرده لعلمه بما سيقوم به من ادخال تلك الروايات ، لكن الحاجة إليه للرد على أسئلة المسلمين ، التي ازدادت بعد وفاة النبي ، ولإحساسهم بفقد مبعوث السماء ، إذ لم يك من أحدٍ يتوقع وفاة الرسول بهذه السرعة ، فبعد وفاة الرسول أحس الكثير من المسلمين ، بحاجتهم لمعرفة أمور كثيرة ومتعددة ، تخص حياتهم ومستقبل الدولة الإسلامية ، وما يبينونه للناس عن قصص الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن الكريم ،

حتى أن عمر بن الخطاب ، قام بضرب مُسلماً ، جاء يسألُ عن أمورٍ أشكلتْ عليه ، وهو رجل من أهل العراق ، يدعى صبيغ بن عسل ، قدم المدينة في عهد عمر ، وراح يسأل عن أعلم الناس في القرآن ، ليسد حاجته ، فاعتقله الجند وساقوه لعمر ، وكان عمر قد نهى عن أن يسأل من أحدٍ في مسائل القرآن ، فأمر بجلده وقال اكشفوا عمامته فضربه على رأسه ، وقال هل بقي برأسك شيء ، فأجاب لا والله ما بقي في رأسي شيء ، فقال عمر اذهب إلى العراق ، ووالله إن بلغني عنك شيء لأقطعن رأسك ،

((٤١٢٧ - روى الدارمي من طريق سليمان بن يسار قال قدم المدينة رجل يقال له صبيغ بن عسل فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل ، فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر فضربه حتى أدمى رأسه ، فقال حسبك يا مولاي قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي)) .
وأخرجه من طريق نافع أتم منه ، قال ثم نفاه إلى البصرة ﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ .
وهنا مربط الفرس وعلة الحديث ، إذ عمد الكثير من الباحثين لسرد القصة ، بطريقة تسوغ قيام عمر بضرب الرجل ، وكأننا لو ذكرنا الحقيقة كما هي ، سيعود وأخرجه الخطيب وابن عساكر من طريق أنس والسائب بن زيد وأبي عثمان النهدي مطولا ومختصرا وفي رواية أبي عثمان وكتب إلينا عمر لا تجالسوه قال فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا .
بنا الزمن ، ويسحب بساط الحكم عن عمر لفعله ذلك ، أو ربما يخشى أن يعود عمر للحياة ، فيأمر بضربه كما فعل مع صبيغ ، فمتى يفهم هؤلاء وامثالهم ، أن النقد لا يقام على أساس الإدانة والإسقاط ، بل للوقوف على سير الأحداث ، والتعرف إلى حال المسلمين في تلك الفترات ، وما فعلوه بعد وفاة الرسول ، وبذلك نكشف مسار مستقبل الدولة الإســـلامية ، والمتلقي هو من سيرى تبرئة أو إدانة تلك الشخصيات ، كما إن صلاح عمر أو طلاحه ، ليس له أي قيمة ، أمام التعرف إلى أسباب الابتعاد عن المنهج الصحيح ،
وظن الكثير من النمطية وسلفية الهوى ، أن الإسلام وصل لذروته ، بانتشاره شرقاً وغرباً ، وما فهموا حتى عصرنا هذا ، أن انتشار الإسلام كان انتشاراً سطحياً ، دون جذرٍ أو بذر ، حالهم حال العصابات التي مرت عبر التأريخ ، كالتتار والمغول والقاعدة وداعش ، يدخلون القرية ليرعبوا أهلها ، فيقتلون الرجال ، ويأخذون النساء سبايا ، ويستولون على خزائنها ومؤنها ، ويتركون الأرض بلقعاً ، وأي اسلامٍ سيعتنقونه مع هذا الإرهاب والرعب ، حتى وصل الأمر أن يتقاتلون مع بعضهم بعضاً ، ومن قال إن الحكم للأمويين ، سيقتله جند الخلافة العباسية ، ومن قال إن الحكم للأمير الأمين ، يقتله جند أخيه الأمير المأمون ، هذه هي الصورة الحقيقية ، التي خلقتها أطماع الكرسي ، والخلافة على دولة الإسلام ،

....

﴿٩٠﴾ - قال الحافظ ابن حجر في "الإصابة في تمييز الصحابة" [٤٥٨/٣] .
﴿٩١﴾ - ترجمته من مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور – جزء٣ ، صفحة [٤٨٥] ، ويقال : صَبيغ بن شريك ، من بني عسل بن عمرو بن يربوع ابن حنظلة التميمي اليربوعي البصري الذي سأل عمر بن الخطاب عما سأله ، فجلده ، وكتب إلى أهل البصرة ألاّ يُجالسوه .

وروى إسماعيل القاضي في الأحكام من طريق هشام عن محمد بن سيرين قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى لا تجالس صبيغ واحرمه عطاءه ، وقال الدارقطني في الأفراد بعد رواية سعيد بن سلامة العطاء عن أبي بكر بن أبي سبرة عن يحيى عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي إلى عمر فسأله عن الذاريات ، فأمر به عمر فضرب مائة سوط فلما برئ دعاه فضربه مائة أخرى ثم حمله على قتب وكتب إلى أبي موسى حرّم على الناس مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له أنه لا يجد في نفسه شيئا فكتب إلى عمر فكتب إليه خل بينه وبين الناس غريب تفرد به بن أبي سبرة قلت وهو ضعيف والراوي عنه أضعف منه .

ولكن أخرجه بن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بسند صحيح وفيه فلم يزل صبيغ وضيعا في قومه بعد أن كان سيداً فيهم .

وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ .

وسواء كان هناك ما يسوغ ما فعله السابقون أو لم يك ، فعلينا الجزم الآن أن كل ذلك ليس من الإسلام في شيء ، ومن قام بتأليف وإنتاج الفيلم المسيء للرسول الكريم ، لم يأت بتلك الافتراءات إلا عن طريق أولئك المتطفلين على الدين ، والذين اتخذوا مكانة الرسول بغير حق ، ولأننا لم نقف أمام تلك الروايات ونقول ، إن هناك ما يسوغها ، أو ليس هناك ما يسوغها ، وإن الإسلام بريء منها قطعاً ، ولا يقرّها حتى في حالة الضرورات ، التي ارتكبوا أعظم الجرائم بحجتها ، كانتهاك حرمة الكتابيات في الغزو ، وسلب أراضيهم وممتلكاتهم ، والافتاء بدخول الجنة ، في حال قتل عدد من الشيعة ، فالجنة لا يدخلها إلا من أحيى العباد ، أو قضى على من يبغي اهدار دم العباد ، والتصرفات الفردية للرجال ، لا تحسب ولا تشير لشخص الرسول ، وإن الكثير من الروايات التي تعطي فكرة غير التي جاء بها القرآن ، من أن الرسول حمل على ضرب أحدٍ ، أو إيذاءه بعيداً عن ساحة القتال ، فكل تلك الروايات مكذوبة ، وكل من يقول بها كاذب ،

وتعال لمصيبة من كبريات المصائب ، وهي عن رواية حدثت أيام الحاكم عبد الملك بن مروان ، وهي التي ستكون مدخلنا للتعرف إلى الفرقة الناجية ، هذه الرواية نقلت عن صُدَيُّ بنُ عَجْلانَ بنِ وَهْبٍ الباهليُّ ، وهو صَحابيٌّ ، سكَنَ مِصْرَ ، ثمَّ انتَقَلَ إلى حِمْصَ ، ومات بها ، وهو آخِرُ مَن مات مِن الصَّحابةِ ، ويعرف بأبي أمامة ، وقد بيّن فيما حَدّث : إن الخوارج هم من اتّبعوا المتشابه في القرآن وتركوا المحكم ،

وفي هذا الحَديثِ يقولُ أبو غالِبٍ البَصريُّ ، واسْمُه حَزَوَّرُ ، وقيل : سَعيدُ بنُ الحَزَوَّرِ ، وهو مِن صِغارِ التَّابِعين : ((كنتُ بدِمَشقَ زمَنَ عبدِ المَلِكِ ، وكانت قد خرَجَتْ بعضُ الخوارجِ عليه ، فأُتِيَ برُؤوسِ الخوارجِ ، فنُصِبَت على أعوادٍ ، "فجِئْتُ لِأنظُرَ هل فيها أحدٌ أعرِفُه ، فإذا أبو أُمامةَ عندها ، فدنَوتُ منه ، وإذا به يقول : كِلابُ النَّارِ- ثلاثَ مرَّاتٍ- ، شَرُّ قَتْلى ، تحتَ أَديمِ السَّماءِ - قالَها ثلاثَ مرَّاتٍ-"، ثمَّ اسْتَبْكى ، قلْتُ : يا أبا أُمامةَ ، ما يُبْكِيك؟ قال : كانوا على دِينِنا ، ثمَّ ذكَرَ ما هم صائِرونَ إليه غدًا ، قلْتُ : أشيئًا تقولُه برأْيِك أمْ شيئًا سمِعْتَه مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ **قال أبو أُمامةَ : إنِّي لو لم أسْمَعْهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المرَّةَ ، أو مرَّتينِ ، أو ثلاثًا ، إلى السَّبعِ : ما حَدَّثْتُكموه** ، أي : إنَّه سَمِعَه مِن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أكثَرَ مِن سبْعِ مرَّاتٍ سَماعًا لا شكَّ فيه ؛ ولذلك حدَّثَ به ، أَمَا تَقرأُ هذه الآيةَ في آلِ عمرانَ : {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ } "{وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} ، أي : وُجوهُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ ، أهلِ السَّعادةِ والخيرِ ، أهلِ الائْتِلافِ والاعتصامِ بحَبْلِ اللهِ ، " أي : وُجوهُ أهلِ البِدعةِ ، وأهلِ الشَّقاوةِ والشَّرِّ ، أهلِ الفُرقةِ والاختِلافِ ، إلى آخرِ الآيةِ {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران : ١٠٦- ١٠٧] . ثمَّ قال : اختلَفَ اليهودُ ، أي : في دِينِها وعَقائدِها ، على إحْدى وسبعينَ فِرقةً : سبْعونَ فِرقةً في النَّارِ وتلك الفِرَقُ في النَّارِ ؛ جزاءً على ما ابْتدعَتْهُ في دِينِ اللهِ ، وواحدةٌ في الجنَّةِ وهي الفِرقةُ الَّتي اتَّبعَتِ الحقَّ الَّذي أنزَلَهُ اللهُ على نَبيِّه مُوسى عليه السَّلامُ ، ولم تُغيِّرْ ولم تُبدِّلْ أحكامَ التَّوراةِ ، واختَلَفَ النَّصارى على اثنتَينِ وسبعينَ فِرقةً : إحْدى وسبْعونَ فِرقةً في النَّارِ ، وواحدةٌ في الجنَّةِ ، وتَختلِفُ هذه الأُمَّةُ على ثلاثةٍ وسبْعينَ فِرقةً : اثنتانِ وسبْعونَ فِرقةً في النَّارِ ، فقُلْنا : انْعَتْهم لنا ، قال أبو أُمامةَ : **السَّوادُ الأعظَمُ**)) ﴿٩٢﴾ .

هذه الرواية التي يخبرنا بها أبو أمامة ، أنه سمع من الرسول ما نسبه إليه سبع مراتٍ ، **لكن الغريب** أن أحداً من الصحابة لم ينقل مثل هذه الرواية التي سمعها أبو أمامة **سبع مراتٍ** ، أيعقل أن الرسول كلما أراد أن يحدّث بهذا الحديث ، يختص بأبي أمامة هذا ، ويذكر له وهم منفردون مع بعضهما بعضاً ، حتى تكرر الأمر سبع مراتٍ ، أو إن الرسول حدّث به علناً ، ولم تكن هناك من حاجة لذكرها ، حتى دعت الحاجة إليها في عهد عبد الملك بن مروان ،

لكنك لو كررت قراءة الحديث ، ستجده من أهم الأحاديث التي نقلت ، إن صح نقله ، فهو يتحدث عن الفرقة الناجية التي تهُمّ كلَّ المسلمين ، وفيها من المعلومات المهمة والخطيرة ،

....

﴿٩٢﴾ - المصدر : مجمع الزوائد ، صفحة ٦/٢٣٦ ، عن الهيثمي عن أبي أمامة الباهلي أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) باختلاف يسير ، وابن ماجه (١٧٦) مختصراً ، وأحمد (٢٢١٨٣) واللفظ له .

وما من كتاب لأهل الجماعة يتناول أحاديث الرسول ، إلّا وجاء هذا الحديث في مطلعه ، زيادة على ما كتب عن هذا الحديث بالذات ، وكمّ الأبحاث التي وقفت عليه ، وأخطرها الرأي القائل عن الفرقة الناجية بأنهم المسلمون جميعاً : -
((وذكر بعض **أهل العلم** أن المراد بالأمة فيه أمة الدعوة لا أمة الإجابة يعني أن الأمة التي دعاها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته هي المفترقة إلى تلك الفرق ، وأن أمة الإجابة هي الفرقة الناجية يريد بها من آمن بما جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وقد استحسن **الصنعاني** هذا التفسير)) ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ .
كنتُ أود أن أكتب (**أهل العلم**) ، على قدر صفحة بكاملها ، ليعلم أهل الغرب أن لدينا أهل علم ، جاءوا بالشمس من مغربها ، واخترعوا ما لم يجرؤ علماء الغرب اختراعه ، إذ إن كل الفرق الإسلامية هي الفرقة الناجية ،
فتخيل المماليك بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، الذين قتلوا مليون وربع المليون من أتباع الدولة الفاطمية ، من مصر والمغرب العربي ، سيدخلون معاً للجنة ، والخوارج يتضح أنهم ليسوا كلاب النار ، ، فأين أبو أمامة وما سمعه من حديث سبع مرات ،
وسيدخلون وأعداءهم إلى الجنة ، كما يدخل الأمين والمأمون إلى الجنة نفسها ، وقس على ذلك ، وأين فــرق النصارى واليهود ، وتخيل فقط جنةً يسكن الشيعي بها إلى جوار السلفي ، فأهل العلم استحسنوا هذا التصور ، ف(الصنعاني) صاحب ما يقارب المائة مصنّف ، ومن يدلي بمثل هذا التصريـح ، ويؤمن بمثل هذه الفكرة ويستحسنها ، فلك أن تتخيل كم الفائدة التي سنجنيها من مصنفاته ، وكي لا نكفُر بالعلم ، سنعد أن ما قاله أهل العلم هؤلاء ، جاء لتوحيد صفوف المذاهب الإسلامية ، والتقريب بين المذاهب الذي يقولونه صباحاً ، ويبعثون بالتبرعات للتنظيمات الإرهابية ليلاً ،
وبالعودة لرواية أبي أمامة ، فقد نُقلتْ هذه الرواية في عدة مصادر ومواقع حديثة ، منها ما يسمى بالدرر السنية ، التي تصدر بإشراف علوي عبد القادر السقّاف ، مزادا عليها رأيهم الذي عمّ كل تلك المواقع ، وهذا نصه ،
((رواية أبي أمامة جاءت عن الخوارج ، والخوارِجُ هم الَّذين يُكفِّــرون المُسلِمين

....

﴿٩٣﴾ - مركز الفتوى / موقع إسلام ويب / الاثنين ١١ شعبان ١٤٢٧ هـ - ٤ - ٩- ٢٠٠٦ م ، رقم الفتوى ٧٦٨٥٨ .

﴿٩٤﴾ - مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني : دراسة حياته وآثاره ، عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، مكتبة أسامة في تعز ؛ دار الروائع في دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

بالذُّنوبِ والمعاصي ، ويَستحِلُّون دِماءَهم وأموالَهم بذلك هم شَرُّ الخَلقِ والخَليقةِ ، وقد أَمَرَ النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- بِقِتالِهم ، وحذَّرَ مِنهم ، وبيَّنَ لنا صِفاتِهم ، والفرقة الناجية من كل فرق الإسلام هي واحدة ، وباقي الفرق كلها في ضلال ،
أي إنَّ تلك الفِرَقَ الَّتي ستَنشأُ وتَكونُ في الأُمَّةِ هم مَنْ يُخالِفُ أهلَ الحقِّ في أُصولِ التَّوحيدِ ، وفي تَقْديرِ الخيرِ والشَّرِّ ، وجَزاؤُهم بذلك النَّارُ ، وواحدةٌ في الجنَّةِ ، أي: إنَّ الفِرْقةَ النَّاجيةَ بيْن هؤلاءِ **هم الجَماعةُ** مِن أهلِ العِلْمِ والفقهِ ، والمُجاهِدينَ في سَبيلِ اللهِ ، والآمِرينَ بالمَعروفِ والنَّاهينَ عنِ المُنكرِ ، الَّذين **اجتَمَعوا** على الاعتِصامِ بكِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، واتِّباعِ آثارِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ **وسُنَّتِه** -ﷺ- ، وابْتَعَدوا عن البِدَعِ والتَّحريفِ والتَّغييرِ ،
وفي الحديثِ : علامَةٌ مِن دَلائلِ نُبوَّتِه الشَّريفةِ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ ؛ حيث وقَعَ ما أخبَرَ به وفيه : ذمُّ الخوارجِ ، وأنَّهم من أهل النار)) .
هل يعلم القارئ العزيز أولاً ، عن سبب تسمية فرقة من المسلمين بالخوارج ، وهل يعلم أنَّهم **هم من أطلقوا على أنفسهم اسم الخوارج** في بدء اشتعال الفتن ،
- قال محمد بن عبد الله السالمي نور الدين السالمي الإباضي : ((وكان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحاً ، لأنَّهُ جمع خارجة ، وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى ، قال عــز وجــل : -(وَلَوْ أَرَادُوا **الْخُرُوجَ** لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) ﴿٤٦﴾ التوبة كذلك قوله تعالى : (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن **يَخْرُجْ** مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) ﴿١٠٠﴾ النساء)) ،
ولكل ما تقدم ينبغي أن نطلق على هذه الفرقة التي سميت بالخوارج بـ(المارقة) لحديث الرسول الكريم عنهم ، في حادثة قيام الرسول بتوزيع الزكاة على فقراء المسلمين ، إذ أعترضه أحدهم قائلاً ، اِعدل يا رسول الله ، وبعد حديث الرسول مع من حوله أشار الرسول على المعترض (إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) ﴿٩٥﴾ ،
وما جاء من تعليق للدرر السنية (أي : إنَّ الفِرْقةَ النَّاجيةَ بيْن هؤلاءِ هم الجَماعةُ مِن أهلِ العِلْمِ والفقهِ) ، فالحمد لله رب العالمين ، فقد عرفوا الفرقة الناجية ، ودخلوا جميعاً للجنة ، وبقي المغفلون الذين لم يسمعوا بهذا الحديث ، أو أنهـم

....

﴿٩٥﴾ - صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم - (١٨٣٧) .

سمعوا لكنهم أصروا على دخول النار ، لا بل جاهدوا بأنفسهم وأموالهم لدخول النار ، وتعرضوا للحرب والتقتيل والنفي ، أمّا من استولوا على مساند الحكم ، والذين اتسقت لهم الحياة ، وابتسمت لهم آفاقها ، وهم أهل الجماعة ، وهم بالمحصلة أهل الجنَّة ،

ولكن من هم بالتحديد ، إذا كان الشافعي له مذهبان ، القديم في بغداد بالعراق ، والجديد في القاهر بمصر ، ومن ثم فقد خالف أستاذه مالك أشد الخلاف ، حتى ألّف في ذلك كتاباً أسماه (خلاف مالك) ، أتهم أتباع مالك بأنهم قد قدسوه وجلَّلُوه ، كما يُقدّس الأنبياء ، وإن مالكاً بشراً اعتيادياً ، يخطئ ويصيب ﴿٩٦﴾ ، وأسهب في الكتاب حتى كأنه يقول ، إن مالكا كانت أخطاؤه أكثر من صوابه ، فهل نحن أمام فرقة ناجية ، ومتى أيام كان الشافعي في العراق ، أم أيام أنتباهه على غلطاته في القاهرة كما ذكر لنا ذلك ، فجاء بمذهبٍ جديد ، أم يا ترى كان أستاذه المالكي هو صاحب الفرقة الناجية ، وجاء في المصادر التي ذكرت ذلك ،

((حَدَثَ ما اضطر الشافعي إلى أن يتجه لآراء شيخه مالكٍ بالنقد ، ذلك أنه بلغه أن مالكاً تقدَّس آثارُه وثيابُه في بعض البلاد الإسلامية ، وأن من المسلمين أناساً يُتحدَّث إليهم بحديث رسول الإسلام محمد -ﷺ- ، فيُعارضون الحديث بقول مالك ، فتقدم الشافعي الذي لقبه العلماء في عصره بناصر الحديث ، ووجد طريقاً معيَّناً ليسلكَه ، وهو أن ينقدَ آراءَ مالك ، ليعلم الناسُ أن مالكاً بشرٌ يخطئ ويصيب وأنَّهُ لا رأي له مع الحديث ، فألف في ذلك كتاباً سماه [خلاف مالك])) .

ويا ترى من هم السواد الأعظم ، وفي أي حقبة من التأريخ تكوّنوا ، أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أم أنصار معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين ، أو الأمويين أو العباسيين أو العثمانيين ، متى أصبحنا السواد الأعظم ، في المذهب الشيعي أم الحنفي أو الحنبلي أو الشافعي أو المالكي ، أم لأننا جمعنا بعض المذاهب بقرار سياسي ، ولأغراض الوقوف ضد المذهب الشيعي ،

إذ أسموا أنفسهم بأهل السنة والجماعة وأصبحوا بقدرة القادر ، هم السواد الأعظم ، ولماذا كان في الإسلام السواد الأعظم دون الأديان الأخرى ، فإذا كان الحديث الشريف يشير إلى الفرقة الناجية من كل دين ، وأبو أمامة يدعي أنه سمع

....

﴿٩٦﴾ - لمّا بلغ الشافعي أن لمالك بالأندلس قلنسوة يسقى بها ، وكان يقال لهم قال الرسول -ﷺ- ، فيقولون قول مالك ، فوضع الكتاب قائلاً [إن مالكاً آدمي قد يخطئ وقد يصيب] ، وقال [كرهت أن أفعل ذلك ولكني استخرت الله تعالى فيه سنة .
= الشافعي ، محمد أبو زهرة ، ص [٣٠] .

الرسول الكريم قال السواد الأعظم ، فهل سيكون السواد الأعظم في بقية الأديان كذلك ،

فإذا كان الجواب نعم ، فالكاثوليك هم السواد الأعظم في الدين المسيحي ، وهم يقولون عن أنفسهم ما قالته الدرر السنية عن نفسها ، وأنهم هم من تمسكوا بالكتاب المقدس ، وما جاء به المسيح عيسى بن مريم من تعاليم ، فلنرى الآن ما هي مبادئ الكاثوليك ،

معتقدات كنيسة الروم الكاثوليك ، مجموعة بدقة في وثيقة من مجلد واحد ، معروف باسم التعاليم المسيحية ...

وهي حريصة جداً على الالتزام بالقرارات التي اتخذتها المجامع السبعة الأولى والتي وحَّدت زعماء الكنيسة بين عامي [٣٢٥ و٧٨٧] لإقرار المبادئ الأساس ومنها : -

- الأشكال الثلاثة للرب – الأب في السماء ، الابن يسوع المسيح ، على الأرض ، والروح القدس وهي تجسد حضور الرب في كل مكان ﴿٩٧﴾ .

- قابلية يسوع المسيح لأن يكون إلها وبشرا في آن معا .

- الوضع الخاص لمريم العذراء كأم الرب . [استغفر الله وحاشاه] .

هذا يعني أن الله ثالث ثلاثة حاشاه ، ومريم أم الرب استغفر الله ، فهل هذه هي الفرقة الناجية التي تُمثّل السواد الأعظم ، أو أن السواد الأعظم يخص الديانة الإسلاميّة فقط ، ولا يخص الفرق الناجية في الديانات السابقة ، وهل تحولت الفرقة الناجية في المسيحية لفرقة ضعيفة مستضعفة ، بحيث لم نسمع عنهم ولم نر مكانهم ، أليس من حقنا أن نسعى للبحث عن الفرقة الناجية في كل الديانات وهل منّا من أخبر ولو عن طريق الظن ، أن هناك فرقة ناجية في المسيحية واليهودية ، وذهب لهم ليعلن وحدة الأديان ،

أليس من حقنا أن نسأل من هما الفرقتان الناجيتان في المسيحية واليهودية ، وهل يمثلون السواد الأعظم أو لا ،

أمّـــا عـــن اليهود ، فإن سوادهم الأعظم يكمن اليوم في اليهودية الأرثوذكسية ، فلنستعرض بعضاً من معتقداتهم لنعرف إذا ما كانت هي الفرقة الناجية ، على غرار الفرقة الناجية في الإسلام أم لا ،

١- مصدر التوراة هو الله ، فهو صانعها وكاتبها حرفاً بحرف ، والتوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هو اليوم ،

وهي التوراة المكتوبة ، سلّـمها الله لموسى عليه السلام تسليمًا يدًا بيد ، عندما أظهر

....

﴿٩٧﴾ - أفغراف سميرنوف ، تاريخ الكنيسة المسيحية ، ترجمة الكسندروس : مطران حمص (١٩١١) .

نفسه على شعبه (بني إسرائيل) في أسفل الطور ، وكذلك أعطى الله لموسى على طور سيناء ، في الوقت نفسه الذي سلّم فيه التوراة المكتوبة ، هي مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التي دونت فيما بعد، بعد أن تناقلها الإسرائيليون شفهيًا جيلاً إثرَ جيل .

٢- الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، الذي يجب أن يعيش منعزلاً عن بقية الشعوب من أجل تحقيق رسالته و (المسيح المنتظر) الذي هو من سلالة النبي داود، سيعود لبناء (مملكة إسرائيل) من جديد ، لقد كان تدمير الهيكل عقابًا لليهود ، ولن يُعاد بناؤه - على يد المسيح - إلا عندما يغفر الله لهم ، فتعتقد اليهودية الأرثوذكسية بمجيء المسيح ، وأن الخلاص المسيحاني لا يمكن أن يتم بوســائل بشرية ، سواء كانت هذه الوسائل المال أم السلاح ، ويعتمدون في ذلك على نصوص من التوراة ، هكذا قال الرب : لقد باعوكم بدون مقابل ؛ لذلك لن يفك أسركم بالمال (العهد القديم : أشعيا ، وكذلك أيضًا : " لا بالعنف ولا بقوة الجيش ، ولكن بروحي" ﴿٩٨﴾ .

وكذلك أيضًا : "سوف أخلِّصهم بقوة رب الخلود إليهم ، ولن أنقذهم بالقوس ولا بالسيف ولا بالحروب ، ولا بالخيل ولا الفرسان" ﴿ ٩٩﴾ .

٣ - الإيمان بأن التعايُش مع الآخرين يكون عندما ينصاعون إلى مبادئ التوراة وقوانينها .

٤ - الإيمان بالأنبياء المرسلين لبني إسرائيل ، وأن النبي عندهم لا بد من أن يكون الإله قد اصطفاه وفضّله على من عداه من بين قومه بهبة روحية ، وأمدَّه بعون مِن عنده ، وبالقدرة على استقبال الوحي الإلهي وتلقينه لجماعته ، وبالدعوة لرسالته .

ولم تنته لدينا الخيارات بعد ، فهناك سواد ربما كان بعظمة سواد اليهود الأرثوذكس ، وهم اليهود الإصلاحية ، أو ما تعرف بـ(الملة الإصلاحية) ، ففي سنة [١٨٨٠] م ، عقد مؤتمر الإصلاحيين في مدينة بيشبرغ ، عرض فيه مبادئ الملة ليتبناها المؤتمر بوصفها دستوراً نهائياً لحركة الإصلاح ، حوت ثمانية مبادئ : -

١ - إن الكتاب المقدس لهو أعظم وثيقة **خلقها الإنسان** .

٢ - الكتاب المقدس وثيقة يسجل فيها الشعب اليهودي تكــريس نفسه لتحقيق

....

﴿٩٨﴾ - (العهد القديم: زكريا ، (٤/٦)) .

﴿ ٩٩﴾ - (العهد القديم: يوشع (٧/١)) .

رسالته بوصفه كاهناً للإله الواحد ، إنه أقوى معبّر عن المعاني الدينية والأخلاقية .
٣ - لا صلاحية ضرورية لأي شي في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي والشعائر التي تقدس الحياة ، وأما التشريعات المخالفة للعصر فهي مرفوضة .
٤ - لا يقام أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب أو في ملبس وطهارة الكهنة .
٥ - تأوّل نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الإنساني العالمي لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعاً .
٦ - الدين اليهودي دين يسعى لموافقة مبادئه وأركانه بمفترضات وملزمات العقل
٧ - مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح **ينكر** المؤتمر المبدأ القائل **ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت** .
٨ - عملاً بروح التشريع الموسوي لا بحرفه يعد المؤتمر أن المساهمة في الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة أمرٌ لازمٌ على جميع الإصلاحيين - ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ .
فإي السوادين سنختاره عند اليهود ، وهل كانت الفرقة الناجية أيّام الرسول محمد (ﷺ) ، أو أيّام الفتوحات التي نفتهم من ديارهم ، أو أيام الحروب الصليبية ، أو الاحتلال الصهيوني ، والمشكلة التي نواجها الآن هي ليست بالفرقة الأكبر في المسيحية واليهودية ، المشكلة في أننا لم نجد من فرقة تعترف بكل ما جاء به الإسلام صغيرة وكبيرة ، أو حتى تعترف بالإسلام بوصفه ديناً سماوياً ،
أما السواد الأعظم في الإسلام ، فهو المذهب السلفي في السعودية ، والحنفي في مصر ، والشيعي في إيران والعراق ، والمالكي في دول المغرب ، والشافعي والحنفي في الأردن ، والزيدي في اليمن ، والإباضية في عُمان ، أمّا دولة الإمارات العربية المتحدة ، فيعد المذهب المالكي خاصاً بحاكمي (أبو ظبي ، ودبي) ، والحنبلي لإمارة الشارقة ورأس الخيمة ، فضلا عن المذهبين الشافعي والشيعي لمواطني الإمارات ، أما الحركات فحدّث ولا حرج ، ففي سنة ٢٠١٢ أصبحت حركة الإخوان هي السواد الأعظم في مصر ، ولم تكتمل سنة واحدة على تسلمهم السلطة ، حتى تبخرت واختفت وأصبحت حركة إرهابية ملعونة ، بعد أن كانت السواد الأعظم في مصر ،
وهـل السـواد الأعظم تطبيقاً لقوله تعـالى (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

....

﴿١٠٠﴾ - مروج الذهب - ج {١}، ص [١٧٨] .
﴿١٠١﴾ - القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم ، ص [٢٣] .

يُؤْمِنُونَ) يس ﴿٧٨﴾ ، أو قوله تعالى : لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) ﴿٧٨﴾ الزخرف .
أو : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ﴿١٠٠﴾ البقرة .
أو :
(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) ﴿١١١﴾ الأنعام .
أو :
(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) ﴿١٠٢﴾
أو :
(وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) ﴿٦٠﴾ يونس .
أو : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) ﴿٦٧﴾ الشعراء .
وهكذا لم ترد مفردة أكثرهم ، إلا لبيان ضلال الخلق ، والعكس بالعكس ، فقد وردت مفردة قليل للإشارة لعدد المؤمنين والمهتدين ،
(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ **إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ** وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) ﴿٨٣﴾ البقرة .

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا **إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ** وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ﴿٢٤٦﴾ البقرة .

(وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ **إِلَّا قَلِيلًا** مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ﴿١٣﴾ المائدة .
أو عن أي آيةٍ يتحدثون عنها ، جعلت من السواد الأعظم هم الفرقة الناجية ، أثلّة من الأولين وقليل من الآخرين ، أم ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين ، أو عساهم يحسبون أن هذه الثلّة مأخوذة من مجموع سكان العالم ، فتكون الثلّة عدداً كبيراً ، وبذلك تكون سواداً أعظم كما يدعون ،
خاب ظنهم وفشلت حساباتهم ، لأنه تعالى وصف أصحاب الشمال ، بالترف أولا ، وبقولهم أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون ، وهذا يعني أنهم قد بلّغوا بالرسالة السماوية ، والدين الحق ، كما رأينا ذلك عند الأعراب ،

أنت تقول أيها الباحث عليوي وهذا رأي الآلاف من فرقتك الناجية ، أن فرق أهل النار تدعو للتكفير ، وأنت كفّرت كل فرق الإسلام وأدخلتهُم للنار ، فما بقي لك ما يميزك من تلك الفرق ،

وتقولون في الفرق التي أصدرتُم قراركم بإدخالهم النار ، إنَّهم أهل شقاقٍ ونفاق ، وبدع وتحريف ،

وأنتم هل آخيتم الفرق الأخرى ، ولم تفتعلوا الشقاق والنفاق معهم ، هل أحببتموهم لأنهم اخوانكم في الدين ، أو هديتموهم للطريق الذي سيدخلون عن طريقه للجنة التي تنتظركم ، وهل رأيتم فرقة ادعت أنها تريد التغيير وزرع البدع ، أو هذا حكمكم أنتم عليهم ، وأنتم من أخذتم التوكيل عن الله ورسوله ، لتقرروا التغيير والتزييف والبدع ، وتكفير القائل بتغليب العقل على بالنقل ﴿١٠٢﴾ .

والآن نأتي إلى ذات الرواية ، وهل هذه هي سنة الله ورسوله في قتال المرتدين ، فبأي ملّةٍ وبأي دين ، ترفع رؤوس المسلمين وتنصب على أعوادٍ (أعمدة) ، هل فعلها الرسول الكريم مع المشركين ، أو مع المرتدين ، إذا كان الخوارج هم الذين خرجوا على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب ، وجيش الشام الذي رفع رؤوس الخوارج ، هو نفسه من رفع المصاحف في حرب صفين ، ضد علي بن أبي طالب -عليه السلام- في حكم معاوية بن أبي سفيان ، وكان من صرخ بالقول لا حكم إلا لله : هم الخوارج أنفسهم ، ولا نعرف بأي منطقٍ جرى ما جرى ، فجيش سبق له أن كان من الخوارج ، يعود لرفع رؤوس الخوارج ،

وجيش الشام هو نفسه الذي رفع رأس سبط رسول الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وأصحابه ، في حكم يزيد بن معاوية ، وهل شهد التأريخ مثل

واقعة نينوى (كربلاء) ، إن جيشاً لا يقل عدده عن ثلاثين ألف جندي ، دخل حرباً ضد سبعين رجلاً من أعز أحباب رسول الله ، ومتى ساعد جيش الشام علي بن أبي طالب في القضاء على الخوارج ، ولماذا انتقلت ما يسمى بالخلافة الإسلامية إلى الشام ، هل بحثاً عن السواد الأعظم ، أو هروباً من البلاء الأعظم ، وهي الفتنة التي اشعلتها وغذتها الحكومة الأموية بين المسلمين ، ثم انقلبت عليها ، وهل ، وهل يعلم أبو أمامة ، أن السواد الأعظم الذي يتحدث عنه ، لم يكن قد تأسس على وفق كلام الدرر السنية ، إلا بعد مرور قرنين من فقد النبي الأعظم ، فلا المذهب الحنفي ولا المذهب المالكي ولا الشافعي ولا الحنبلي ولا الأشعرية ، إذ

....

﴿١٠٢﴾ - تقديم النقل على العقل ، من أهم أركان المذهب السلفي .

لم تكن تلك المذاهب تأسست وتشكلت بعد ، إلا الشيعة ، الذين تمسكوا بخلافة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) ،
على وفق حادثة الغدير المعروفة ببيعة الغدير ، وعرفوا بالرافضة لرفضهم بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ،
أي من المضحك أن نرى في بعض المواقع من يدعي ، أن المذهب الشيعي آخر المذاهب الإسلامية ، خاصة بعد تزييف كتاب مؤتمر بغداد ﴿١٠٣﴾ ، والذي انتهى بتشيع الملك والوزير ، فمن أهم ما عرفوه ، أنه لم يكن من مذهب قط ، إلا جماعة ممن رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، سمّيت بالشيعة ، بمشايعتهم لعلي بن أبي طالب -عليه السلام- .
إذ كيف يكون الشيعة آخر المذاهب وهم من رفضوا خلافة أبي بكر ، إلا أن يكون الرافـضة كنية لأهـل الجماعة ، برفضهم خلافة عليّ -عليه السلام- بعد حرب الجمل ،

ولكي نتعرف إلى الفرقة النَّاجية ، كما قالت عنها الدرر السنية ، لنترك الشيعتين ، شيعة علي بن أبي طالب -عليه السلام- وشيعة معاوية بن أبي سفيان ، ونُفتّش عن فرقة تخالف الخوارج بالكامل ، ولا تكفّر الناس ، ويكون كتاب الله تعالى هو المصدر الرئيس لها ، وهي موجودة بالفعل ، فهناك فرقة خالفت الخوارج ، وتعد رد فعل على ما قام به الخوارج ، من سفكٍ للدماء وفساد وفتنة بين العباد ،
إنَّهم المرجئة ، وهم من الفرق الكلامية التي خالفت الخوارج ، في قضية مرتكب الكبيرة ، وغيرها من الأمور العقدية ، على أن من آمن بوحدانية الله ونبوة الرسول محمد لا يمكن الحكم عليه بالكفر ، وإن مصيره والحكم عليه من حق الله وحده لا غير ، واستنبطوا رأيهم من قوله تعالى : (وَآخَرُونَ **مُرْجَوْنَ** لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ﴿١٠٦﴾ براءة .
وخلاصة هذا الرأي أن من يعلن اِسلامه وينطق الشهادتين ، فهو آمن على نفسه وماله وعرضه ، وما يرتكبه من أفعال واقوال ، يفصل في أمرها الله وحده ، ويعد شعارهم (لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة) ﴿١٠٤﴾ ، لكن هذه الفرقـــة اختفت تماماً ، ولم يبق لها أي بقية ، فلا المرجئة من فرق الشيعة ، ولا أهل الجماعة يحبذون أن يتركوا الشـيعة دون مُناكفة ، فقضية المرجئة تعني

....

﴿١٠٣﴾ - مؤتمر بغداد / مقاتل بن عطية البكري / المنعقد أيام الدولة السلجوقية .
﴿١٠٤﴾ - الملل والنحل – لأبي الفتح الشهرستاني – ١/١٣٩ .

أن يترك كل فريق خصمه دون مجابهات ،
أما السواد الأعظم عدداً وأثراً ، فقد كان في الفرقة الجهمية الأولى ، وإذ ذكر المقريزي أنهم فرقة عظيمة ! وهذا يدل على وجودهم الواقعي في عصره ، فضلا عن وجودهم التاريخي وأثرهم الفكري ، ونص البغدادي على وجودهم في زمانه ، والجهمية الأولى : هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي ، وقد عرف على أنه الأكثر تشدداً لنفي أسماء الله وصفاته ، فلا يجوز عنده أن يسمى الله أو يوصف بما يطلق على غيره ، كالشيء والعالم والحي والموجود ، لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع ، وأجاز أن يسمى الله قادرا فاعلا ، لأن القدرة والفعل مختصة بالرب ، بناء على أصله في الجبر .
وقد أنكر العلماء بدعته وكفَّروه بها ، ولهذا قتله سلم بن أحوز صاحب شرطة خراسان سنة (١٢٨هـ) ، وبالرغم من أنهم فرقة عظيمة كما ادعى المقريزي ، فإِنَّهُ قال فيهم ، إِنَّهم أصل البدع الكبرى في الإسلام التي ورثتها الفرق الكلامية من بعده ، كالتعطيل وخلق القرآن والجبر وإرجاء المتكلمين ! ودعوى الحلول ، والقول بفناء الجنة والنار ، وقد تفرق أصحاب الجهمية الأولى ، واندمجوا مع الفرق .
الأخرى ، ولم يعد لهم من وجود أو كيانٍ مستقل أو فرقة منظمة وقائمةٍ بذاتها ، وذابت في غيرها من الفرق ، كما ذكر ذلك أحمد أمين ، لأنه من الثابت تاريخيا أنه قد امتد الزمان بأتباعهم إلى القرن الخامس ﴿١٠٥﴾ ،
والسواد الأعظم أصبح أكثر سواداً ، بعد انضمام السلفية جبراً إلى المذاهب الأربعة ، ومفردة جبراً لم تعد مستساغةً هذه الأيام ، فما يمتلكه المذهب السلفي من خزائن من النفط والذهب ، جعلت دخوله مطلوباً ومرغوباً ، حتى إن المذاهب الأربعة انتظمتْ واصطفتْ خلفه ، واعترفوا بابن تيمية الناصبي كشيخ للإسلام ، كيف لا ، وقد أسهم السلف بدخول الآلاف في الدين الإسلامي ، من خلال المساعدات التي يقدمها للدول الفقيرة والمعدومة في دول افريقيا ، والدول التي انهكتها الحروب والفتن كالبوسنة وماليزيا ، وما عليهم سوى أن يشهدوا الشهادتين ، وأن يعترفوا بابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، كأئمة يهدون إلى الصراط القويم ، وكل ذلك لا يسلب أهل السلف الترف الذي هم فيه ، فموارد الحج تكفي لإشباع كل هؤلاء ، وإذا كان ولا بد ، فبعض الآبار التي تفيض لديهم ، ولو كان فرعون أدركهم بما هُم فيه من ترف ، لآمن بالإسلام ، وأصبح منافساً لابن تيمية كشيخ

....

﴿١٠٥﴾ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب – مانع الجني .

وبقي أن نتحدث قليلاً عن الأشاعرة : -
الأشاعرة هم من أهم روافد أهل السنة ، فقد أنقذهم إمامهم من المعتزلة بعد أن انقلب عليهم وطعنهم من الخلف ،
((الأشاعرة هم جماعة من أهل السنة ، لا يخالفون إجماع الأئمة الأربعة ، - أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - ولا يعارضون آية واحدة من القرآن والحديث ، وما ثبت عن الصحابة والعلماء الأعلام ، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة ، ويعتبر منهجهم منهجاً وسطاً بين دعاة العقل وبين الجامدين عند حدود النص الظاهر ، رغم أنهم قدموا النص على العقل ، إلا أنهم جعلوا العقل مدخلاً في فهم النص ، وهم الذين وقفوا في وجه المعتزلة ، فزيفوا أقوالهم ، وأبطلوا شبههم ، وأعادوا الحق إلى نصابه على طريق سلف الأمة ومنهجهم ، والأشعري لم يؤسس في الإسلام مذهباً جديداً ، يخالف مذهب السلف ، وإنما هداه الله إلى مذهب أهل السنة بعد أن كان على مذهب الاعتزال ، [على حد اعتقادهم] ،
عُـرف من خلالها حقيقة مذهبهم ، وتمرس بفنونهم وأساليبهم في الجدال ، والنقاش والنظر ، مما مكّنه من الرد عليهم ، وإبطال شبههم ، فوجد فيه أهلاً لسنة ضالتهم التي طالما بحثوا عنها فاتبعوه ، وساروا على نهجه ، لما رأوا فيه من القدرة على إفحام خصومهم ، والدفاع عنهم ، وتثبيت مذاهبهم ، وعقيدة الأشعري التي سار عليها هي عقيدة أحمد بن حنبل ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وهي عقيدة السلف ، كما نص على ذلك أهل العلم ممن سار على هذه العقيدة)) ﴿١٠٦﴾ .
وهنا علينا أن نقف ونبحث ولو بشكل سريع ومختصر ، ونتساءل فنقول هل إن السلف حقاً من أهل السنة ، والأشاعرة من أهل السنة أيضا ،
وعلينا أن نطلع فقط على العشرة مجلدات من كتاب (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيْمية الناصبي - في الإجابة عن الأشاعرة ، فأهم أركان المذهب السلفي هو تقديم النقل على العقل ، ويبدو أنّ ابن تيمية الناصبي ، استخدم النقل في الإجابة على الأشاعرة ، لأنه لو كان قد استخدم العقل لما احتاج لتأليف عشرة مجلدات ، فالعقل ليست له حاجة لعشرة مجلدات لإثبات ما هو بدهي كما يدعي ، كما لا تحتاج الإجابة لكل تلك المجلدات ، إلا إن تكون حججه مجرد مجادلات وعنادٍ وإصـرار ، ولو استخدم المــرء عقله في تأليف عشرة مــجلدات لكشف لنا أسرار

....

﴿١٠٦﴾ - كتاب الأشاعرة ص[١] دكتور فخري بصول ، وما جاء في مُقدمة كتاب أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم تقديم ، أ ، د ، محمد حسن هيتو ص[٦] .

السماوات والأرض ، لا مجرد تكفير من يستخدم عقله ويغلّبه على النقل ، بالرغم من أن الأشاعرة الذين حاربهم لم يغلبوا العقل على النقل ، بل جعلوه مدخلاً لفهم النص ، كما مرّ بنا في أعلاه ، لكنه قرأ ما لم يكن أهل السنة والأشاعرة قرأوه ، وهو أنهم بهذا سوف يصلون بالنتيجة للتخلي عن الكثير من الأحاديث التي تعد من أساسيات المذاهب الأربعة ، ومن ثم الإساءة للشخصيات المقدسة لديهم ، لذلك تقبل أهل الجماعة نهج ابن تيمية وإن كان على مضضٍ ، فقد حقق الإنجاز الأعظم وهو تكفير الشيعة تكفيراً لم يساويهم فيه بملحدٍ أو مرتد ، ونعتهم بنعوتٍ لم ينعتها للملحدين والمشركين ، فمن زندقةٍ ومجوسية وعبادةٍ للأوثان ، وفي الوقت نفسه فهم يعبدون أئمتهم ، إلى خلقهم الفتن والبدع ، حتى أحل قتلهم ، ومن يتشرف بقتل جماعة منهم ، فقد تشرف بلقاء الرسول ساعة موته ،

وماذا بعد كل ما جاء به إلا أن يكون شيخاً لإسلامٍ جديد ، أُسس على أن تقتل لتمحي سيئاتك ، ولتتناول العشاء مع الرسول ، وأنت ملطخاً بدماء أمّته ، وهذا منتهى أمل الكثير من اليهود ، والمتربصين لإسقاط الدين الإسلامي ، وخلق الفتنة بين مذاهبه ليفني بعضهم بعضاً ، وعلى الشيعي الذي يريد أن يفلت من وعيد ابن تيمية الناصبي ، بالويل والثبور في الدنيا والآخرة ، أن يقرأ كلامه ويقول آمين ، دون أن يسأل لماذا وكيف ، لأنه بذلك يستخدم عقله ، والعقل عند ابن تيمية ، سيزلزل ما جمعه من أحاديث استنبط أنها لتكفير الشيعة ،

وكل ما تقدم ليس ما يهمنا في مطلبنا هذا ، إنما باب للدخول لما يهمنا ، وهو ما أسميناه بالنقد الوظيفي ، ولو أخذت أسطر من أقوال ابن تيمية ، لرأيت أنه بعد دفاعه عن النقل وتغليبه على العقل ، منع أعداءه من ذلك ، فكيف له أن يحاج الأديان والمذاهب الأخرى ، إذا كان لكل منهم ما يحتج بأنه منقول عن الله أو عن أنبيائه ، ويقدسون المنقول ويغلبونه على العقل ، كما يقدسها هو ، وجوابه المؤكد ، أنه يزعم أن الروايات والأحاديث التي ينقلها ، هي فقط الصحيحة ، فما دليله على صحتها ، طبعاً (الثقات) ، أمّا كيف عرف أنهم ثقات ، فعن طريق تقربهم للسلاطين وحكام الدولة الإسلامية ، ونجده في آخر المطاف ، سيقرأ قوله تعالى (إنا أنزلنا قرآناً عربياً لعلهم **يعقلون**) ، سيقرأها لعلهم **ينقلون** ،

ولو أسهبنا أكثر ، سنخرج عن موضوع المبحث أكثر ، لذا نقول بعد كل ما تقدم وما ستجدونه على غرار ما تقدم ، فما من فرقةٍ تكونت إلا وكانت تبتغي الإخلاص في عملها والوصول لرضا الرحمن ، إلا الفرق التي تأسست بدافع الحقد والضغينة ، أو تلك التي تأسست لمداهنة أهل الحكم والإمارة ،

أما قناعتنا بالفرقة الناجية فهي كما مرّ بنا وكما سيمرّ مراراً وتكراراً ،

إنها وإن كانت تتمثل في منهج فرقةٍ بعينها ، لكنها لا تشمل كل أهلها ، ولا تستثني كل أهل الفرق الباقية أو الأديان الأخرى ،

فهي فرقة دأب أهلها في الإخلاص لله ورسوله والطاعة المثلى لهم ، **وينتمي لها أناس** ضللهم أئمة الضلال ، وأوهموهم بما أوهموا أنفسهم به ، أمّا هم فلا ينشدون إلا طاعة الله وأنبياءه ، وقد يدخلون في حربٍ مع الفرقة الناجية بذاتها ، لأنّ طرق الهداية أغلقها عليهم البغاة ، وسبل الحقيقة والرشاد ضيعوها عليهم ،

لذا فهم سيلتقون في الجنة ، وهم ربما ما يزالون في الغل الذي هم عليه ، فينزع الله ما في صدورهم من غلٍ ،

(ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) الحجر .

يلتقون إخواناً في دين الله الواحد ، لا تفرقهم لغة أو قومية ، أو حسب أو نسب ، بل يربطهم الحسب الطاهر من كل أغراض الدنيا الفانية ، ويجمعهم الانتساب الروحي للدوحة المحمدية ،

هذا هو العدل الإلهي ، والميزان الذي يحاول الكثير النظر إليه بعينٍ واحدة ، ليرى كفته التي ترجّحه وترجّح أصحاب مذهبه على الآخرين ، فما هذا الدين والمذهب الذي يرث أبناءه الجنة ، جيلاً بعد جيل ، فيما علينا أن نستسلم بدخول المليارات من البشر للجحيم ، هم وأبناءهم ،

فالفرقة الناجية : هم الزوج الثاني من أهل الجنة (أصحاب اليمين) ، وممن اعترفوا بشرع الله -جلّ وعلا- وإن كانوا لم يتعرّفوا عليه .

فالملحد الذي لم يسمع بالأديان السماويّة ، ولم تعرض عليه بمنهجها الصحيح ، ولم يقُم بأيٍّ فعل أو قول يسيء لعباد الله ، ويقوم بإنفاذ أي شخص أو أشخاص من الموت ، فيفقد حياته إثر ذلك ، فهو من الفرقة الناجية ، لأن من يقوم بعمل يعد من أهم الأعمال البطولية في دين الله ، لابُدَّ من أنه سيعتنق دين الله لو عرض عليه ، وسيكون خصماً لكل الأديان والمذاهب السماوية يوم القيامة ، لأنَّهم لم يجهدوا بإيصال الدين إليه ، والفرقة الناجية **هي العمل والمثابرة لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر مفهوم عدله ، لا في الترفع والمكابرة ،**

أمّا لماذا لا نرى أنصار الفرقة الناجية في وصال وتلاقي ، وتجمعهم أي نوع من أنواع العلاقات الاجتماعية أو التجارية ، فنعزو ذلك لسبب رئيس ، وأسباب فرعية أو غير مباشرة أخرى ، والسبب الرئيس يتلخص في أنه من المؤسف ، أن لأهل الضلال طرق للتواصل والاندماج مع بعضهم بعضاً ، لا يمتلكها أصحاب الفرقة

الناجية ، وهي المصلحة والمنفعة التي يحصلون عليها من تواصلهم مع بعضهم ، فأهل الضلال لطالما امتلكوا السلطة والنفوذ والمال وجميع المغريات الدنيوية ، لذا سيندفع الآخرون للالتفاف حولهم ومؤازرتهم والانضمام إليهم ، لكن أصحاب الفرقة الناجية ، لا يمتلكون شيئاً من كل ما ذكرناه تقريباً ، ومن المؤكد أننا لا نعني أن الفرقة الناجية تحتاج لمصلحة دنيوية ليلتقي أبناؤها فيما بينهم ، ولكننا نعني بأن طبيعة حياتهم وعقيدتهم بعيدة كل البعد عن المصالح الدنيوية والمنافع الوقتية ، وطرق الكسب من دون سبب ، فهم ولأجل الدخول بمثل هذه الحياة ، عليهم التعامل بالرشاوي والمحسوبيات والتزوير والاختلاس ، زد على أن الله لم يأمرهم بأنّ عليهم أن يجتمعوا في مكانٍ واحد ، بل بالعكس كانت سنة الله في أنبيائه ، أن ينتشروا في شعاب الأرض ، ليؤدي كل منهم دوره في هداية الآخرين ، وعليهم المزيد والمزيد من الانتشار ، حتى لا يلتقي اثنان في مكانٍ واحد ، وبالرغم من أن هذه السياسة هي السياسة الأجدى بنشر الهدى وسبل الوصول إلى مرضاة الله ، لكنَّ التكتل والتواصل الذي يعيشه أهل الضلال جعلت منهم دولاً وممالكاً وإمارات ، ومن ثم سيتحولون إلى قوى ضاربة ومهيمنة على أقاليم الأرض التي ينتشر فيها أفراد الفرقة الناجية ، وهذا هو المؤسف الذي أشرنا إليه ، ولن يكون لأصحاب الفرقة الناجية من وجود معنوي ، حتى يظهر خليفتهم فيدعوهم ، ويؤمن به من يرى فيه الممثل الحقيقي لله ، ليهجر وطنه إلى حيث يكون الخليفة ، أو ينتظر حيث هو ، وحيث تصله أوامر الخليفة ، بأن يكون داعيةً ومركزاً لاستقطاب المؤمنين الجدد ، بنهج الخليفة الجديد ، لكن السؤال القائم هنا ، هل يمتلك أصحاب الفرقة الناجية إقامة دولة في غياب الخليفة ؟

ولكي يكون السؤال أكثر دقة وتفصيلاً ، سوف نعيد صياغته بشكلٍ آخر ،

ماذا ينقص الفرقة الناجية ، لأجل تكوين دولة مستقلة بغياب الخليفة ؟

إذا ما قلنا إن الفرقة الناجية تحتاج الكثير من المقومات لتأسيس الدولة المنشودة ، فكأننا نخشى أن تقوم الدولة وتنجح ، ومن ثم فلا فائدة من ظهور الخليفة ، وإن كان الجواب بأن الفرقة الناجية تمتلك مقومات انشاء دولة على غرار دولة الخلافة الإلهية ، فهذا يعني أنها تمتلك أدوات الخليفة ، وما أسماه بعض العلماء بالإسلام الجديد ، والذي من خلاله سيملأ الأرض عدلا وقسطاً ، لكن الأمر بعيد عن كل ما توقعناه ، فالفرقة الناجية أصبحت ناجية كونها بانتظار الخليفة ، ولا نعني هنا ذات الخليفة ، بل ذات العدل الإلهي ، فهناك من أعضاء الفرقة الناجية ، ممن هم على شيع مختلفة ، أو ما نسميهم بأديان ومذاهب مختلفة ، لأن شريعة الفرقة الناجية لم تصل إليهم بعد ، أو وصلت لهم بطريقة مشوهة أو مغلوطة ، ولكنهم جميعاً يشتركون في تمني قيام العدل الإلهي ، بينما قد نجد أن هناك أعضاءً

ينتمون لشريعة الفرقة الناجية ، لكن إيمانهم وراثي ، وانتماءهم آلي ، وسرعان ما سينسحبون منها ، أو ينقلبون عليها ، ومن غير المبالغ فيه ، أن نسبة هؤلاء تزيد عن نسبة النصف ،

والأهم في الأمر ، هو أن الفرقة الناجية مستضعفة ، مقابل ما تملكه الفرق الإسلامية وغير الإسلامية الأخرى ، وهذا ما يخالف الاعتقاد بأن الفرقة الناجية هي السواد الأعظم من بين المسلمين ، وإلّا لتشكلوا منذ زمن ، ولخرج لهم خليفة الله مناصراً ومؤيداً لهم ، خصوصاً مع صعوبة الوصول إليهم من قبل باقي القوى في العالم ، أي لو أن الفرقة الناجية هي السواد الأعظم في العصر الأموي أو العباسي ، أو حتى العثماني ، لكان خروج الخليفة وقيادته لهم ، سيجعلهم في أمان من باقي القوى المعادية ، لعدم توافر طرائق النقل السريعة آنذاك ، فكان من الأحرى خروج خليفة الله لقيادتهم ،

وبالعودة لسؤالنا ، فمن أهم ما ينقص الفرقة الناجية لتأسيس دولة مستقلة ، هو السواد الأعظم ، والقدرة على مواجهة أعدائها ، وإلّا لمَا كان هناك من داعٍ ، لتأييد الخليفة بالمعاجز والخوارق السماويّة ،

ومن الأسباب غير المباشرة لظهور الفرقة الناجية ، وتشكيل دولة مستقلة لها ، هو تضليل الشيطان ، والحقيقة أننا لو أردنا الدقة ، فهو تضليل إبليس ، لأن الشيطان لا دور له هنا بشكل مباشر ، وفي مطلب التفريق بين الشيطان وإبليس ، نرى أن أشد ما أوتي إبليس من القوى ، هي سيطرته على ما نسميه اليوم بالإعلام ،

(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) ﴿٦٤﴾ الإسراء .

فقد اشترك إبليس والشيطان في أن يستفزوا الناس ويثيروهم بصوت الخيلاء ، فالشيطان بما في النفس من هوى ، وإبليس بما أوتي حقيقة من قوى لإغواء بني آدم ، ورجل إبليس ، هي قدم الكذب وتشويه الحقائق ، التي تسير على خطوات الشيطان ، ولا يمكن أن تجد تصويراً أدق من ذلك ، ليشير الله لنا ويكشف طاغوت الإعلام ، وما نسميه اليوم (القنوات الفضائية) ، وقوله تعالى (وأجلب عليهم) ، هو ما نراه من قيام هذه الفضائيات ، بجلب الناس إلى حيث ما يريدون جلبهم إليه لتزييف منهاج الله -عز وجل- ، حتى يبدأ الناس بالاشتراك بالمال في مشاريع فاسدة ، ومؤسسات إجرامية ، وإدخال أولادهم في تلكم المشاريع والمؤسسات ، بعد تضليلهم وتربيتهم عليها ، وبذلك يكون لدينا سبب آخر من الأسباب المباشرة وغير المباشرة في الوقت نفسه ، وهو عدم وصول الصورة الحقيقية للفرقة الناجية بشريعتها ، فإمّا يتم تشويه منهج الحق ، وإمّا تشويه ما تقوم به

الفرقة الناجية من منهج الحق ، وكمثال يمكننا القياس عليه ، اتهام الفرقة الناجية بأنها تخالف ما جاء في الشريعة وما أمر به الباري -عزّوجلّ- ، وتلفيق ما يؤكد ذلك ، وعدها اخطر على الإسلام من الملحدين والمشركين ، وما إلى ذلك ،
وختاماً نقول أن من ينظر إلى الفرقة الناجية ، بمنظار بعض الروايات ، سيجدها ذات عدد قليل جداً ، بأعضاء لا يلتقون البتة ، ولا يملكون إلا الدعاء ، لظهور الخليفة ونصرتهم وتلاقيهم تحت رايته ، ومن ينظر لها بمنظار العدل الإلهي ، والرحمة الربانية للعباد ، سيجدها ذات عدد لا يستهان به أبداً ، لكنهم يعانون من مشكلتين ، الأولى كثافة التضليل عليهم ، بحيث لا يعلمون حتى أنهم قد يحاربون الفرقة التي من الواجب أن يدافعون عنها ، والثانية ، عدم تلاقيهم تحت راية واحدة ، والغريب في الأمر ، حين نقول إن كلا المنظارين صحيح وموافق للحقيقة ، لأن الفرقة الناجية مذهباً ، ليس قليل فقط ، بل لا ينتمي كل أبنائه إليه إلا بالجنسية ، أي بحكم أن الأبوين كانا يتبعان ذلك المذهب ، وما تقوم به الفرق المعادية من زرع الخلاف والشقاق بين أبنائه ، فضلا عن الفقر والعوز الذي تعيشه الفرقة الناجية ، مقابل ما تعيشه الفرق المعادية من الرفاهية والرغد في العيش ، إلّا أننا لو تحرينا عمن يبحث عن عدل الله تعالى حقيقة ، ومن يجندون أنفسهم لنصرة وإعلاء كلمة الله ، فإننا سنجد الكثير الكثير ، من خارج ذلك المذهب ، بالرغم من أنه هو المذهب الحق ولا حق في غيره ، ولكن لم يتسنَ لهؤلاء الكثير أن يدركوا الحق ، لعوامل مختلفة ، تحدثنا عن أهمها ، وهو ما يقوم به إبليس وأعوانه من تضليل للحقائق ، وبعد ... فلنا عودة للحديث عن الفرقة الناجية ، ومن منظار آخر ، سيقرب لنا فكرة الفرقة الناجية بأعضائها غير المنتمين لدين ومذهب واحد .
وبهذا تظهر النتائج لنقول ، إن وجود الفرقة الناجية حالة ، وظهورها للوجود حالة أخرى ، فوجودها لا يعني أنها محددة في مكان وزمان واحد ، وإنها تحتفل بوجود كل أعضائها ، مجتمعين في انتظار خليفة الزمان ، بل متفرقون كلا ينتظر خليفة الزمان على وفق اجتهاده ، أو من ظن أنه أدرك العدل الإلهي وسار على خطاه ، أمّا ظهورها ، فسيحقق وجودها ، ويستدعي تجمعهم جميعاً خلف راية الخليفة ،
فينتقل معظم أعضاء الفرقة الناجية ، من حالة انتظار الظهور ، إلى العمل مع الظهور ، وهذا ما نختلف به مع الجميع ، سواء الشيعة أم أهل الجماعة ، كما أوضحنا مراراً ، فهناك دعاء للظهور يوضح الانتظار ، لمن يعجز عن القيام بعمل من أعمال دولة العدل ، ومن يريد ابداء التحية لدولة الخلافة ، ومن يريد أن يتقرب لله ولخليفته ، بأنه من الثابتين على حبه لدولة الخلافة ، مع كل هذا ،

فكل هذا لا يكفي للمتمكن من العمل ، فالدولة موجودة كوجود عدل الله قبل وجودنا نحن البشر ، والعمل فيها لا يحتاج إلى هوية انتساب أو راتب شهري ، أو عنوان وظيفي ، فمجرد الإحساس بانتمائك لها ، والتعامل مع الآخرين بالعدل والخير والإحسان ، سيجعلك من موظفيها .

وخير ختام لمطلبنا هذا ، هو ما كتبته السيدة إيزابيل بنيامين ماما آشوري - الباحثة في علـم اللاهـوت ، ولك أن تتحقق مما جاءت به ، وما أن تتحقق ، فتتعرَّف على الفرقة الناجية ، وتتعرف على نهجها ، وشخصياتها : -

يوحنا - يخبر عن المذبوح بكربلاء .

جاء في سفر يوحنا باللغة العبرية : -

كي أتا نشحطتا

وي بدمخا قانيتا لإيلوهيم

من كل مشبحا وي لا شون وي كل عم وي گوي

وي إيريه وا اشمع

قول ملاخيم ربيم

قورئيم عوشير وي حاخما

وي گبورها وي هدار كاود وي براخا - ﴿١٠٧﴾ .

ويعني هذا النص

إنك الذي ذبحت

وقدمت دمك الطاهر قربانا للرب

ومن أجل إنقاذ الشعوب والأمم

وسينال هذا الذبيح المجد

والعزة والكرامة وإلى الأبد لأنه

جسد البطولة والتضحية بأعلى مراتبها .

أرميا - يخبر عن مذبحة كربلاء .

فقد جاء في سفر أرميا

وي هيوم ههوكاشلوا

وي نافلوا تسافونا عل يد نهر فرات

وي آكلا حيرب

وي سابعا

وي راوتا من دمام

....

﴿١٠٧﴾ - يوحنا [٥] : [٩] – [١٢] ص[٤٦٣] " الأصل العبري "- العهد الجديد .

كي زيبح لأدوناي يهوا
تسواؤوت با إيرتس
تسافون إل نهر فرات ﴿١٠٨﴾ .
ويعني هذا النص : -
في ذلك اليوم يسقط القتلى في المعركة
قرب نهر الفرات
وتشبع الحرب والسيوف وترتوي
من الدماء التي تسيل في ساحة المعركة
بسبب مذبحة رب الجنود في أرض
تقع شمال نهر الفرات

وقد قرأتُ أن (عبيد الله بن زياد) عندما بعث (بعمر بن سعد) على رأس جيش فلقي الحسين -عليه السلام- بموضع على الفرات يقال له (كربلاء) فمنعوه الماء وحالوا بينه وبين ماء الفرات .

عندما بحثت في معجم الكتاب المقدس وجدت أن ((كركميش)) تعني كربلاء فمن هذا السيد الذي ذُبح بجانب شط الفرات ولماذا يصف الكتاب المقدس هذه الواقعة وكأن مصير البشري يتوقف عليها .

فـمن هــو قتيل شاطئ الفرات ؟ .. في ضمن دراستي الكهنوتية للكتاب المقدس والتي استمرت ســنوات وانا اتفكر في نص غريب مــوجود في الكتاب المقدس لكوني عراقية ونهر الفرات يمر في البلد الذي اسكنه ، التقيت بقداسة الانبا المقدس البطريك ----- الماروني "صبيح بولس بيروتي"، وســألته عن النص الذي يذكر بأن هناك ذبيحا عــلى شاطئ الفرات ، فمن يكون ، فنظر إليّ مليّاً ثم قال : لولا إنَّك مسيحية وباحثة في علم اللاهـوت وان هذا ضمن دراساتك ما اجبتك على سؤالك ولكني سأجيب ، قال : **أولا** أن شاطئ النبوءة يمتدُّ طولاً على امتداد نهر الفرات من منابعه وحتى مصبه في البصرة ، ولكنَّني استطعتُ أن أحـصر منطقة الحدث في صـحراء تقع في العراق بالقـرب من بابل ، **الثاني** : بحثت ايضاً عن تفسير هــذه النبوءة فوجدت أنه من تاريخ نزول هذه النبـوءة وحتى يومنا هذا لم تتحقق هذه النبوءة إلا مرة واحدة ، قلت له : واين المكان ومــن هو الذبيح؟ قـال : إن النبوءة تتحدث عن شخص مُقدَّس (ابن نبي) وهو سيّد عـظيم مقدس اسمه ((إله سين)) ولما سألتُ قداسة الاب بطرس دنخا كبير الاساقفة عـن معنى كلمة ((إله سين)) قال : أن العرب كانوا في جنوب العراق يقلبون الهاء حاء . فـتصبح (الحـسين) . هــذا هو المذبوح بشاطئ الفــرات وهي نبوءة تتعلق بابن نبي

....

﴿١٠٨﴾ - سفر أرميا : ٤٦ : ٦، ١٠ ص[٧٨٢] - الأصل العبري - العهد القديم .

مـقدس جـــداً ، وهو سيكون سيّداً في السماء ، ومن هذه النقطة ، بحثتُ وتعمقتُ ، والآن أضع هذا النص بين يدي الاخوان لعلي أحظى بإطلالة شافية كافية وافية ، مع أن النص واضح ، لأنه يُشير إلى معركة مصيرية كبيرة ، بجانب شط الفرات في ارض يُقال لها ((كركميش)) من أجل ارجاع خلافة مغتصبة لأن النـــص يقـــول : بأنَّ هذا السيّد ذهب ليرد سلطته ، وعندما بحثت في معجم الكتاب المقـدس وجدت أن ((كركميش)) تعني كربلاء فمن هذا السيد الذي ذُبح بجانب شط الفـرات ولماذا يصف الكتاب المقدس هذه الواقعة بهذا الوصف المخيف وكأن مصير البشرية يتوقف عليها ، يقول الكاتب المسيحي أنطـــوان بارا ، مؤلّف كتاب (الحسين-عليه السلام- في الفكـــر المسيحي) حـــيث إنه يرى (لقـد أراد الله سُبحانه وتعالى أن يحفظ هذا الدين الوليد ، فأرســـل الحسين (عليه السلام) إلى جدّه بقماشة شهيد دون الأنبياء ، فكان المُنعطف "كـــــــربلاء"، فلـــــو لم يقُم الحسين (عليه السلام) بثورته ، لما تبقّى شيء من التوحيد أســاساً ، ولأصبح الإســـلامي الجديد مُرتبطاً بمُمارسات الســـلاطين الذين على المُـجتمع القـــبول بهم والرضـوخ لجورهم واضطهادهم مهما حـدث باعتبارهم [ولاة للأمر]) .

كما يقول بارا [إنّي أعتقد بأنّ الحسين (عليه السلام) كان مسيراً في هذا الاتجاه لأنّ له وظيفة إلـهية مُحدّدة ، كما للأنبياء وظائف إلهية مُحدّدة ، ولكن مع الأسف ، فإنّه على الرُغم من أنّ الحسين (عليه السلام) شخصية مُـــقدّسة عندكم أنتم الشيعة والمُسلمون ، إلا أنّكم لم تعـــرفوا قــدره وأهــملتم تُراثه وثورته ، إذ الواجب عليكم أن تعرفوا كيف تنصرون هـــــذا الإمام العـــظيم اليوم من خلال قول الحق ونُصرة المظلوم وإصلاح المُجتمع وتحقيق العــــدالة والحــريّة ، والمُفترض أن تكون لديكم أمانة تامّة بتوصيل صيحته يوم عاشوراء إلى العالم ....] .

المبحث الرابع

دين الخليفة وحزبه

تحدثنا عن طموح الباحثين للالتفاف حول النصوص والأحاديث ، ليجد ضالته التي تجعل القارئين ، يؤمنون أن الخليفة سيكون من ذات دين الباحث ، ولتحقيق ذلك فإن الباحث يضع الأهداف أمامه قبل أن يبدأ ببحثه ، لكن الالتفاف الذي سنستخدمه في اثبات دين الخليفة وحزبه ، ليس التفاف خالد بن الوليد على جيش المسلمين في معركة أحد ، لكنه الالتفاف الذي يخرجنا من دوائر التزييف التي اصطنعها إبليس ، وخطوات الضلال التي رسمها الشيطان ، إلى حيث ميزان عدل الله تعالى ، فحين نعلم أن الله العدل ، نفهم أن ما من دينٍ فضله الله على دين لأنها جميعاً من عنده تعالى (راجع شبهة التفضيل بين الأديان ﴿﴾) ،

ومن ثم فلا من حزبٍ يرتقي على حزبٍ إلا بتقوى القلوب الفردية ، لا الإجمالية والجماعية ، فرغم أنه تعالى يرانا زمراً ، لكن ذلك يعود لاتجاه الفرد نحو تلك الجماعة ، كما أوضحنا في قضية معركة حطين ، وإن كان منّا من لا ينتمي لزمرةٍ معينة ، فهو عند الله ، أي في حسابات الله زمرة بمفرده ، وليس هناك من فرقةٍ تنجو بجميع أفرادها ، ناهيك عن الأديان والمذاهب ، كما سنتحدث عما تقدم في الفرقة الناجية بالتفصيل ، على أننا مهما تعددنا بزمرٍ وأممٍ ، فسبحانه يجمعنا بثلاث أزواجٍ فقط ، اثنين من هذه الأزواج في جنات النعيم وواحدة فقط في الجحيم ، كالشجرة التي تتفرع أغصانها وتتشعب ، لكنها في الأصل تنتمي لجذعٍ واحدٍ وجذرٍ واحد ، وما أن تطأ هذه الأشجار أعتاب الجنة أو الجحيم ، حتى تنتشر أغصاناً وأفرعاً ، آلافاً وملايين الزمر ،

وقد نتقبل أن يكون أهل النفاق والشرك والكفر زمراً ، فكيف نتقبل أن يكون أهل الجنة زمراً ، إذا كانوا جميعاً على صراطٍ مستقيمٍ واحد ،

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) الزمر .

لذا وبعد أن قلنا إن شريعة الإسلام ، لا تنحصر بالدين الذي جاء به النبي محمد ـ ﷺ ـ ، فعندما نقول إن دين الخليفة هو الدين الإسلامي ، فلا نخصه لدينٍ عن دين ، بل هو المبعوث لكل الأديان ، والمؤمن بكل الشرائع ، وإذا آمنت الآن

بالعدالة والمساواة فيما تقدم ، فأنت الآن تؤمن بأن الخليفة سيأتي على شريعة النبي محمد -ﷺ- ، لأنها الشريعة التي تؤمن بكل الشرائع السماوية ، ترتبط الروح بالجسد ارتباطاً وثيقاً دون الجسد ، متى ما كان الجسد بعيداً عن المؤثرات الخارجية والداخلية بعداً تاماً ، ويحدث هذا الأمر فقط ، في النوم والموت ، وبذلك فإن الروح ستغذي النفس بالطاقة بشكل كبير ، ونجد مثالاً لهذه الحالة في طاقة الجسد التي تزداد في حاسةٍ معينةٍ ، إذا فقد الإنسان إحدى حواسه ، فالأعمى تكون حاسة السمع لديه أقوى بمرتين أو أكثر من المبصر ، لأن التركيز الذهني سيكون أعلى في حاسة ما حين يفقد الإنسان شيئاً من الجهد العصبي الذي يستهلكه لتشغيل حواسه الخمسة ، فتكون باقي الحواس أشد قوة ، وبما إن الأحلام مثلاً تنتمي لحاسة دماغية أخرى ، فهي أيضاً ستكون أقوى في المنام ، لكن الميت يفقد جسده كله بما في ذلك عقله طبعاً ، فكيف سيأتي الملكان لحسابه وكيف سوف يسألونه عن أمورٍ هي من ضمن وظائف الدماغ ،

وخلل كله يكمن في فهمنا لوظائف الروح ووظائف النفس ،

أكدنا مراراً وتكراراً بأن الروح ما هي إلّا طاقة (أمر إلهي يحيي به الجامد والميت) ، والجسد ما هو إلا آلة تحركه الروح ، والأمر كله متعلق بالنفس ، فالنفس هي كنية الإنسان وصبغته ، والروح مثلما تغذي الجسد بالطاقة والفعالية ، فإنها تغذي النفس كذلك ، وما إن تبدأ الروح بالانسحاب من الجسد ، يزداد قوة الضخ والتمسك بين الروح وبين النفس ، لذا فمن المتوقع أن يرى الإنسان لحظة انسحاب روحه من جسده ما لا يمكنه رؤيته في الحياة ، لأنه سيرى طيفاً ذهنياً عن طريق النفس ، أي إنه لا يرى بواسطة عينيه ، بل يرى بالواسطة الذهنية ، كما نرى في أحلامنا وأعيننا مغمضة ،

وكل ما سمعناه عن حساب القبر هو ناتج عن اقتران الروح بالنفس دون الجسد ، ولكننا يجب أن نبين ما قد يعارضنا الكثير فيه ، أن كل ما تقدم من عذاب وحساب وما سمعناه عن أمورٍ بعد الموت ، لا تحصل في القبر أبداً ، ولا في أي مكان آخر ، بالرغم من أن حساب القبر وعذابه حقائق لا شك فيها مطلقاً ، حتى تلك المتعلقة في الحياة بروضة من رياض الجنة ، وقد ترى هذه القضية تركيبة شاذة ولا يمكن تقبلها ، لكننا عشناها عشرات وربما المئات من المرات ، والقضية ببساطة ، هي كالرؤيا وليست كالأحلام ، فالرؤيا تحدث في لحظة نهوضنا من النوم ، لأن الرؤيا لو مرت بثواني زمنية ، فهي مُجرَّد حلم أو اضغاث احلامٍ ، والرؤيا لا تمرُّ بزمنٍ أبداً ، ولو مرَّت بزمن فهذا يعني اشتراك الجسد مع النفس في ذلك الحلم ، وإذا اشترك الجسد بالحلم ، فهذا يعني أن الحلم كان نتاجاً دماغياً ، وفيضاً من ارهاصات الحياة التي نعيشها ،

لذلك فمهما كانت الرؤيا طويلة ، من حيث المدة الزمنية ومختلفة ، من حيث المكانات التي ربما تتنقل فيها وإليها ، فهي تحدث في لا زمن ولا مكان محسوسين ، وحقيقيين ، فكل الأحاديث والروايات التي تحدثت عن ضغطة القبر ، والملاكين الموكلين بالحساب ، حقيقة لا يمكن انكارها ، ولكنها تحدث ساعة رجوع الروح إلى الجسد ، بطريقة تشابه ما يطلقون عليها بالأفلام السينمائية (فلاش باك) ، أي ومضة من الومضات التي تعيدنا للماضي ونحن في حاضرٍ بعيد ومختلف عنه ، لأن الزمن من فهم واحساس الجسد ، وما أن تدب الروح في كامل الجسد ، حتى تدخل الأحداث التي مرّت بها النفس إلى ذاكرة العقل ، فتكون جزءاً من مشاهداته ، وكأنه عاشها بكل تفاصيلها وأحداثها ، وأخذت منه أياماً وربما عشرات ومئات السنين ،

وهناك حالة أخرى تمر على الإنسان وهو يقظ ، تسمى بظاهرة (دِيْ چاڤو) ﴿١٠٩﴾ ، أو ديجاڤو ، وهي كلمة فرنسية ، تعني سبق الرؤية ، أو شوهد من قبل ، قام البروفسوران سوسومو تونيجاوا وتوماس ماكهوج من معهد ماساشوستس باستيلاد فئران لا تعمل منطقة الحصين ﴿١١٠﴾ ، لديها بكفاءة تامة وكانت النتيجة ان عجزت الجرذان عن التمييز بين موقفين متشابهين ، ويقول تونيجاوا : (إن الامر لا يدعو إلى الاستغراب عندما تدرك ان خلايا التلفيف المسنن ﴿+﴾ تتعرض للتلف ،

هنالك أيضا تفسير علمي آخر لظاهرة (دِيْ چاڤو) ، يتعلق بحاسة النظر ، خلاصتها بأن إحدى العينين تسجل الحادثة أسرع قليلاً عن العين الأخرى ،

وآراء أخرى وأخرى ، ولم تحسم هذه القضية بشكل قطعي ، وهناك الكثير من يحاول التدقيق فيما رآه ، هل قد رآه من قبل أم لا ، حتى يتيقن شيئاً فشيئاً إن ما مرّ به مجرد وهم ، وإن ما مرّ به هو مجرد خيال طابق الحقيقة ، إن لم يكن قد قرأ شيئاً عن ظاهرة ديجافو وآمن بسببٍ من الأسباب ، عندها سيفهم ما يمر به على وفق ما آمن به ،

ولا تهمنا هذه القضية إلا بمسألة واحدة ، مهما كان السبب ، وهي أن نشير إلى تلك الومضة السريعة التي يتخيل لك بأنك مــررت بهذه الحادثة مـن قبل ، وإن

....

﴿١٠٩﴾ - FUNKHOUSER ، ARTHUR ، THE TYPES OF DÉJÀ VU [١٩٩٦]م .

﴿١١٠﴾ - الدماغ يختزن الذكريات في منطقة عروية في وسطه تسمى الحصين Hippocampus.

هناك دراسة جديدة تفترض أن جزءاً صغيراً من الحصين يسمى التلفيف المسن ، هو من يصدر مثل تلك الومضة ،
والتي نرى أنها من ستمرّ بنا يوم البعث بشكل مشابهٍ ، وهي أننا سنستفيق ونحن نرى أننا عُذّبنا أو سُعدنا على مدى سنوات وسنوات ، ونحن ما زلنا نعيشها لحظة الإفاقة ، وحين نتطلع إلى أجسام من حولنا ، سنشعر بأننا نعرفهم وتكلمنا معهم ، ولكن كل ما حصل ويحصل ، يختلف عن ظاهرة ديجافو ،
بأن تلك الظاهرة تحصل عن خلل في التوقيت يخص الذاكرة ، فهي حالة من الوهم ، لكن ما سيحصل بنا عكس ذلك تماماً ، وهو أننا شيئاً فشيئاً سنتشبع بفكرة أننا عشنا بما مرّ بنا بالفعل ، وتكلمنا مع هذا وذاك ، وتعذبنا وسؤلنا ، وكل ذلك سنتناوله في الجزء الثاني من هذه الجمهورية ،
أمّا ما يهمنا في هذا الجزء ، فهو ما يسمى بالرجعة ، ولنفهم أولا معنى الرجعة ، على وفق ما أوضحتها .
الرجعة (وتعني الرجوع ، وفي الاصطلاح : تعني رجوع قسمين من الأموات بإرادة الله تعالى إلى الحياة الدنيا ، وهم المؤمنون الخلص والكفرة الفجرة ،
فيرجع المؤمنون للتمتع بحكومة العدل الإلهية ، على يد الإمام المهدي ، وأما الكفرة الظلمة فيخاصمون) ﴿١١١﴾ ﴿١١٢﴾ .
الرجعة من اعتقادات الشيعة غير الملزمة ، فلا يجعلونها من أصول الدين ولا من أساسياته العقائديَّة ، لذا فمن ينكر الرجعة ، لا يخرج عن الدين ، ولا يُعد كافراً ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم ، ولا إنكاره بضار ،
وجود واستعراض قدرة الخالق في كتاب الله ليس دليلا على استعمالها ، فحين يقول الباري (أن نسوي بنانه) ، فهذا لا يعني أبداً أن رجوعنا لأجسادنا هذه بشيء حتمي ، فالبنان كما فهمنا بعد مئات السنوات أنه يمثل بصمة الإنسان التي يتركها أينما حل ، لكننا وبعد التطور في هذا المجال ، أصبح لدينا ما يعرف با (دي أن أي) ، المسحة الوراثية ، وهذه أيضاً تمثل البصمة ،
وهذا يعني أننا نؤمن بفكرة الجسم لا الجسد في يوم البعث والنشور ،
فما هو سبب اتجاهنا للإيمان بأننا سوف نبعث بأجسام لا بأجساد ،
الجواب : إن إيماننا لم يأت من تقربٍ لمدرسة ما أو ابتعادٍ عن أخرى ، لكن التأمل في كتاب الله الكريم والأحاديث والروايات الشريفة تدل على ذلك ، بحثت لسنين

....

﴿١١١﴾ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج {٨} ، ص [١١٤] .
﴿١١٢﴾ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج {٤} ، ص [٣٣٤] .

طوال عن أي نصٍ سماوي جاء في الكتاب المقدس أو القرآن ، أو أي حديثٍ قدسي وما نقل عن الأنبياء والأوصياء ، فلم أجد إلا ما يشير إلى قاعدة علمية تؤكد أن البشر لا يمكن لهم التجوّل في السماء ، إلا بسلطان ، وأهل السماء لا يمكنهم التواصل مع أهل الأرض ، إلا بأجساد بشرية ،

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) الأنعام .

ولا توجد إلا حادثة الإسراء والمعراج ، التي قد تكون شذت عن القواعد الفيزيائية للأجسام ،

فدعنا نرى مادة صنع المخلوقات من سكان السماء ،

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) ﴿١٧﴾ مريم ،

في سؤالٍ للشيخ محمد السند ﴿١١٣﴾ .

(ما حال من أذنب في الجنة ؟ هل يعاقبه الله ويدخل النار ؟ .

الجواب : -

لا يذنب اهل الجنة كذنوب اهل النار بل من قبيل ترك الأولى في الاصفياء فيجازى بتخفيض درجة أو نحو ذلك) .

يبدو من جواب فضيلة الشيخ أنه تأثر بقصة آدم في الجنة لإصدار فتواه ، فآدم لم يكن يملك جسداً مادياً في الجنة التي كان فيها ، وحين أكل من الشجرة ، بانت سوءته ، وظهر جسده ، لكن الأمر في الآخر يختلف تماماً ، ففي جنة آدم والتي هي على الأرض ، كان يملك جسداً موارى ، أمَّا في جنَّة الخُلد فلا نملك إلا جسماً ، ويبدو أن سماحة الشيخ لم يبحث جيداً في النصوص القرآنية ، وقال عكس الحقيقة تماماً ، ففي الجنة ارتفاع ولا يوجد تخفيض أبداً ، ومن أن ينتقل من جهنم إلى الجنة ، بعد أحقاب العذاب الذي يستحقه ، لقاعدة ثابتة ، وهي أن العقوبة تسبق التواب ، ومن تكون حسناته بسيطة في بعض سنين حياته ، وحسنات عظيمة في سنين أخرى ، فسيدخل في جنّة من المستوى الأدنى ومن ثمّ يرتقي إلى جنة بمستوى أعلى ،

ونسي الشيخ ، إن علَّة الاختبار قد انتفت ، فلا نحن كحال آدم في جنَّة الاختبار التي كان فيها ، ولا نحن في دار الاختبار في الحياة الدنيا ، كما نسي قوله تعالى (خالدين فيها) ، وهذا الخلود بالتأكيد في المنزلة ، ولا يضره الارتفاع ولكن يخلفه ما أسماه الشيخ بالانخفاض ، وكيف عقل شيخنا أن من نجح في اختبارات الدنيا

....

﴿١١٣﴾ - عالم شيعي بحراني درس في قم المقدسة ، ويسكن حالياً في مدينة النجف الأشرف ، ويمارس التدريس في جامع عمران بن شاهين .

بعوزها وشهواتها ، فينجح ويترك الجسد المثقل بالحاجات ، وبعد كل ذلك يدخل الجنة ليترك الأولى ، والملائكة والحور العين والولدان كُلّهُم في خدمته ، والسؤال هنا ، لماذا كان آدم يملك جسداً تمّ توريته ،
علينا أن نعلم أن بني آدم لا يتناسلون إلا جسدياً ، وبما أن آدم كان يحمل في ظهره الذرية ، في الوقت الذي تمت تسويته ، فكان لا بد من أن يمتلك جسداً ، ليمثل لهم القالب الذي سيخلقون على أساسه ، ويتشكلون عليه ،
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس لم يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) ﴿١١﴾ الأعراف .
وهذه الآية برهان لا يقبل الشك مطلقاً ، بأن آدم دخل الجنة وفي ظهره الذرية كاملةً ، ونحن قد تم تصويرنا ، أي أخذنا القالب البشري من أبينا آدم لحظة ادخالنا في ظهره ، وهذا كله قبل أن يطرد إبليس من مشهد السجود الذي كان في الجنة الأرضية ، التي أزيلت ساعة ارتكاب آدم فعل الاقتراب للشجرة وللمرة الثالثة على التوالي (أكل منها ثم ذاقها ثم أزلَّهُ الشيطان عنها) ، وقد اعترض بعض الأخوة عن قولنا في ﴿ك،ك﴾ بخصوص نسب الزلل في فعل آدم على أنه كان المقصود فيه الزلل عن الجنة ، ولا يقصد فيه الزلل عن الشجرة ، فراجع نص الآية : -
(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) ﴿٣٦﴾ البقرة .
نجد فعلين قام بهما الشيطان وهما (أزلهما وأخرجهما) ثم الهبوط الذي جاء بناءً على قول الله تعالى ،
فهل يمكن أن تكون هذه الأفعال الثلاث ، جاءت لتبين هبوط آدم من الجنة ، علماً أن الهبوط هنا لا يرادف الخروج ، بل يشرح حالة الخروج ، أي إن آدم وزوجه وذريته خرجوا جميعاً من الجنة ، عن طريق الهبوط ، والهبوط يعني زوال الجنة وهم في مكانهم ، ولكن زوال الجنة ، يعني التصحر المفاجئ وظهور تضاريس مغايرة ، فمن المتوقع أن وضع التضاريس المفاجئة سيجرهم له ، أي إذا ظهر تحت آدم جبل فربما يقع ، كما بينت بعض الروايات ، وإذا ظهرت تحته رمال متحركة ، فسيغرس فيها ، وهذا على سبيل المثال ، لا على رواية جاءت بذلك ، فاستعمال آدم لجسده الجديد ، كان كقيام الطفل بالمشي أول مرة ، فهو لم يألف استعمال الجسد بثقله وغلاظته من قبل ،
ومن التطور الحاصل ، نفهم بشكل تقريبي ، أن آدم كان يملك جسماً صوريّاً ، وما أن أكل من الشجرة ، حتى اتخذ الجسد الذي نعرفهُ ، ولو كانت الجنة في السماء كما يدّعي بعض أهل السلف ، لسقط آدم سقوطاً حُرّاً من حيث كانت السماء إلى الأرض ، ومات على فوره ، أمّا أنَّ الجنة في الأرض ، فلا يؤثر فيه ذلك أبداً ، وعلى

الجنة أن ترتفع بصورتها ، ليتم هبوط آدم وزوجه بالصورة الطبيعية والمعقولة ، فلا تسطيع الملائكة أن ترى ، إلّا بجسد بشري ، كما صرّحت الآية القرآنية ، ولا نمتلك نحن الاِرتفاع نحو السماء إلا إذا تحوّلت أجسادنا إلى أجسام ، ونذكر إن ما مرَّ به آدم من الصورة الجسمانية ، ولو لساعات قليلة ، كما لا ننسى الفترة الطويلة التي قضاها في تعلم الأسماء كلها ، والفترة التي أنبأ بها الملائكة عنهم ، نقول إن ما مرَّ به آدم من الصورة الجسمانية ، مكنته أن يعيش فترة طويله جداً قياساً لأعمارنا ، وبقيت هذه الصفة موروثة ، حتى بضع أجيال من نسله ، ولو بقي آدم في الجنة ، لعاش عمراً طويلاً جداً ، كحياة الجن ، إذ إن الروح في أجسادنا البشرية ، تعيش حالة من القلق الدائم ، حتى يكلّ الجسد عن حملها ، ولو قربنا الصورة ، فإنها أقرب لنفخ بالونه ، وكلّما عاش المرؤ ، كلما انتفخت أكثر ، حتى تنفجر ، أمّا الروح في الجسم ، فحدودها شكلية ، قابلة للاِتساع سنين طوال ،

وبالعودة لما كنّا فيه من حديث ، فإن من يدخل الجنة بعد الموت ، لن يمتلك جسداً **موارى** ، مثلما كان حال آدم وزوجه ، ولا يحمل أي ذريّة في ظهره ، وبموجب ذلك ، فلا يمتلك حساً شيطانياً : -

نزيد على كل ذلك ، دخول الشيطان نفسه لجهنم ،

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿٢٢﴾ إبراهيم .

ما عدنا نستطيع أن نعد عدد المرات التي صرخنا فيها قائلين ، إن الشيطان هو المختلق الأول في هذا الكون ، ولا علاقة له بإبليس ، إلا كعلاقته بالإنس والجن ، أي من حيث تأثيره على سلوكنا إذا ما اتبعنا خطواته ، وهذه الآية من الآيات التي تؤكد لنا ذلك ، وهي تدل على أن حديث الشيطان ، ليس هو ذاته حديث إبليس ، فإبليس هو من طلب غواية بني آدم ، ولكن الشيطان يتنصل عن أن يكون مستصرخنا ، وكما تُبيّن لنا الآية اجتماع الشيطان مع الكافرين ،

كما أن الحديث المذكور في الآية بين الشيطان وبين أصحاب النار ، ليس بحديثٍ وجاهي ، بل حديث نفسي ، وهو عينه الحديث الذي جرى بين الشيطان وبين آدم في جنته الأولى ، كما نفهم أن حال الكفار سيختلف ، عن المؤمـنين يوم الدين : - (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ **إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ﴿٦٨﴾ الزمر .

المطلب الأول

أشكال الحكم في دولة الخلافة

بعد ما علمنا أن نظام الحكم هو نظام جمهوري ، فما هو شكل الحكم الذي سيتخذ الخليفة وحكومته في تحديد نهج دولة الخلافة ، فهل هي جمهورية برلمانية مثلاً ، أم جمهورية رئاسية ، أم شكلاً آخر مما نعرفه اليوم من أشكال أنظمة الحكم ، ولنستطلع بشيء من السرعة ما هو معروف من تلك الأشكال : -

١ - **جمهورية رئاسية :** (كالأرجنتين وأذربيجان) :

رئيس الدولة هو أيضًا رئيس الحكومة ، ومستقل عن السلطة التشريعية ، وهذا الاستقلال سيجعلنا نستبعد هذا النظام عن دولة الخلافة ، فرئيس الحكومة والذي هو الخليفة ، هو المشرع الأعلى والأوحد في البلاد ، ولا من مشرّع يعلوه ، ونقصد بالطبع تشريع الأحكام والقوانين التي تمس حياة وحرية الأفراد ، ولا نعني التشريعات الإدارية ، فقد تسند الحكومة ، مهمة التشريعات الإدارية إلى ذوي الاختصاص .

٢ - **جمهورية شبه رئاسية** : (كالجزائر والبوسنة والهرسك) :

يتمتع رئيس الدولة ببعض السلطات التنفيذية وهو مستقل عن السلطة التشريعية ؛ السلطة التنفيذية المتبقية مناطة بوزارة خاضعة لثقة (البرلمان) مجلس النواب .

وتلحق بسابقتها لنفس السبب ، ولسبب آخر ، هو اناطة السلطة التنفيذية بوزارة خاضعة لثقة مجلس النواب ، وهذا ما لا نتوقعه ابتداءً ، وقبل استقرار الدولة وإعلان قيامها ، دون صراعات داخلية وخارجية .

وقبل أن نبحث في قضية ما إذا كان شكل الحكم برلماني أم لا ، فهل نتصور وجود ما يسمى بالبرلمان (مجلس النواب أو مجلس الشعب) ، والجواب لن يكون بلا ولا بنعم ، فمن المؤكد أن الدولة ستعترف بوجود مجلس للشعب ، ولكن لا ليتدخل في التشريعات والمصادقة عليها أو رفضها ، بل لرفع طلبات الشعب ومتابعتها لدى الحكومة ، وتلك الطلبات ستخص القضايا الخدمية والتنظيمية ، والتشكي من المسؤولين بمناسبة عملهم السلطوي .

٣ - **جمهورية برئاسة تنفيذية** ترشحها أو تنتخبها الهيئة التشريعية : (كالنيبال) :

الرئيس هو رئيس الدولة والحكومة ؛ الوزارة ، بما في ذلك الرئيس ، قد تكون خاضعة أو لا تخضع لثقة البرلمان .

وما يخالف هذا الشكل عن نهج دولة الخلافة ، أن الرئاسة ليست تنفيذية فقط ، بل تشريعية كذلك ، وبذلك لا يمكن تصور أن السلطة التشريعية هي من تنتخبها .

٤ - **جمهورية برلمانية ذات رئاسة شرفية** : (كألبانيا والنمسا) :

يكون فيها رئيس الدولة شرفي ؛ الوزارة خاضعة لثقة البرلمان ، وهذا الشكل بعيد جداً عن نهج الدولة ، فلا هي برئاسة شرفية ، ولا هي خاضعة لثقة البرلمان .

٥ - **ملكية دستورية** : (كالبحرين والأردن) :

يمارس فيها العاهل السلطة بالتنسيق مع المؤسسات الأخرى .

وهذا الشكل ليس بعيداً عن نهج الدولة ، لكنَّهُ ليس قريباً بالكليَّة ، فمبدأ التنسيق بين المؤسسات الحكوميّة ، مبدأ معترف به ، على اعتبار الأخذ بمبدأ الشورى ، ولا نعني الشورى بالحكم طبعاً ، بل بإدارة الدولة تنظيمياً ، وذلك بالاستعانة بذوي التخصصات ، وأهل الخبرة في عمل تلك المؤسسات .

٦ - **ملكية برلمانية دستورية** : (ككندا والسويد) :

يكون فيها رئيس الدولة شرفي؛ والوزارة خاضعة لثقة البرلمان .

وهذا الشكل من الأشكال المستبعدة تماماً عن نهج الدولة ، فلا هي رئاسة شرفية ولا هي خاضعة لثقة البرلمان ، وليست بالملكية ، حتى باعتبارها ملكيَّة موقوفة على اختيار الشعب وانتخابه لها ، فهي أقرب للجمهورية بكثير عن الملكية ، ولو كانت دولة الخلافة ملكيَّة ، لحظينا بها منذ نزول آدم الأرض .

٧ - **ملكية مطلقة** : (عمَّان وقطر) :

كل السلطات مخولة للملك .

تعريف هذا النظام ، يجعلنا نقف بعض الشيء ، فالخليفة حقاً ستخوّل إليه كل السلطات ، ولكن كونها ملكيَّة تجعلنا نستبعدها نهائيَّاً .

٨ - **دولة الحزب الواحد** : (الصين وكوبا) :

رئيس الدولة تنفيذي أو شرفي ؛ والسلطة مرتبطة دستورياً ، بحزب سياسي واحد .

وبالطبع فعلينا استبعاد هذا النظام ، كون الرئيس بنصب شرفي .

٩ - **البلدان التي علّقتْ فيها الأحكام الدستورية** للحكومة (الديكتاتوريات العسكرية) .

وسنبحث في قضية الدكتاتورية في مطلب مستقل .

١٠ - **لا يوجد أساس محدد دستورياً** لنظامها الحالي (مثل الحكومات الانتقالية) .

وقد تحدثنا ، كيف أن دولة الخلافة ، قادمة لتستمر لا لتذهب .

١١ - **التبعيات بدون حكومة** .

وقد تبدأ الدولة بدون حكومة بالمعنى الذي نعرفه ، ولكن حتى في ظل هذه البداية ، فلن تكون دولة الخلافة ، دولة تابعة لدولة أخرى قط ﴿١١٤﴾ .

....

﴿١١٤﴾ - نعيمة شومان – المجتمع والدولة – ط١ ، دار الفارابي ص ٤١ بتصرف .

الفرع الأول

دولة الخلافة والديمقراطية

بما أنَّ الجمهورية لا تقترب من الديمقراطية ، إلّا في مسألة حريَّة انتخاب الشعب للرئيس ، فمن ههنا نفهم بأنَّ حيثيات الديمقراطية ، لا تتناسب أبداً مع دولة الخلافة ، ومعنى الديمقراطية (سلطة الشعب) ﴿١١٥﴾ لا سلطة الحاكم المُنتخب ، وبما أنَّ الأغلبية هي صاحبة القرار في المذهب الديمقراطي ، ولا يمكن للأقلية فرض مالا تودهُ الأغلبية ، فإنَّ هذا من جهة أخرى ، ما لا ينسجم ونهج جمهورية الخلافة ، وعلى الرغم من أنَّ هذا ما لا يمكن تصوره في دولة الخلافة ، لأنَّها تتكوَّن غالباً ، من شريحة واحدة من الموالين لخليفة الله تعالى ، وإن كانتْ هناك أقلّيّة متوقّعة ممَّن يخالف نهج الخليفة ، بل يعاديه ، بحكم مولدهم في الأرض ، والتي سيحكمها الخليفة في بداية الظهور ، وحتَّى اتساع دولته ، إلى أقصى حدودٍ لها ، وبهذا الشكل تكون الأغلبية هم من أنصار الخليفة ، ولكن مع هذا لا يُمكن الإقرار والاعتراف بأن حكم الأغلبية هو السائد ، وهي صاحبة القرار ، وإن كانت النتيجة هكذا ، أي وإن كانت الأغلبية هي صاحبة القرار ، لأن أنصار الخليفة هم الأغلبية ، ولكن كلّ هذا ، لا يعدُّ اعترافاً بما نسميها بالديمقراطيّة ، لأنَّنا لو تصورنا حدوث العكس ، فلن يُعترف برأي الأغلبيّة ، أي لو حدث وإن كان أعداء الخليفة ، هم الأغلبية ، فلن يكون لرأيهم أي تأثير ، فيما يخالف نهج الخليفة ودولة الخلافة الإلهية ، وإن بقي أنصار الخليفة عدّة أنفار ، فدولة الخلافة ، تقوم على أسس ومبادئ لا تتغير ولا تتحول ، ولا يمكن التخلي عنها ، والتنازل ولو بشكل مؤقت أو استثنائي ، فهذه سُنَّة الله -جلّ جلاله- ، وهي من ينبغي أن نراها تتحقق ، في نهج دولة الخلافة ،

(فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) ﴿٤٣﴾ فاطر .

....

﴿١١٥﴾ - عود الأصل في كلمة الديمقراطية إلى أصل أغريقيّ - حيث تتكوّن الكلمة من لفظين يونانيين ، هما :
Demos والتي تعني الشعب /
krates والتي تعني السلطة /

وهذه الآية من الدستور السامي ، وهي التي تبيّن البعد الكبير ، بين نهج الخليفة والسياسات الحديثة ، التي تتداولها الحكومات حالياً ، وهي بالمحصّلة من تجعل دولة الخلافة في اختلافٍ كبير مع الديمقراطية ، وقد يرى بعضهم أن الديمقراطية هي أسمى درجات تطور الدولة ، لكن الديمقراطية قد خذلت الكثير من الشعوب ، حتَّى أنَّها قد تتحوَّل إلى مفسدة في ظلِّ ضعف الدولة ، وهذا ما حلَّ بجمهوريّة العراق ، إذ بان سقوط حزب البعث ، والانتقال السريـع للشعب بين الدكتاتورية المُفرطة ، التي مارسها ذاك الحزب ، والديمقراطيّة المشوهة التي عاشها الشعب بعد ذلك ، والسبب يعود للديمقراطية نفسها ، لأنها غير مُحدَّدة الملامح ، ومن يحاول أن ينظّمها أو يُقنّن لها قوانين ، فهو سيخرجها بالنتيجة عن طبيعتها ، وقد يُفاجئ بعضهم من قول الفيلسوف سقراط في أن الديمقراطية هي **(حكم الغوغاء)** ، فسقراط يرى أن التصويت ينبغي ألّا يؤديه ، غير المتعلِّم والمُدرك لخطورة هذه العملية على مستقبل الدولة ، وينبغي عدم السماح إلّا لمن هو مؤهّل للقيام بهذا ، وذلك على وفق مستوى تعليمه وتفهمه لعملية التصويت ، على أنَّها طريقة لبناء الوطن ، لا طريقة للحصول على منفعةٍ شخصيّة ، وجاء في مقالٍ لطارق عادل بعنوان ((ما الفرق بين الجمهورية والديمقراطية)) ، أن السماح للمواطن غير المتعلم بالتصويت ، يعادل تسليم أمر السفينة لشخص لا يعرف شيء عن الإبحار مطلقا ﴿١١٦﴾ ،

....

﴿١١٦﴾ - موقع رقيم - سياسة - ٢١ / سبتمبر / ٢٠٢٠ .

الفرع الثاني

دولة الخلافة والدكتاتورية

بالرغم من ابتعاد دولة الخلافة عن مفهوم الديمقراطية ، لكنَّنا لا يمكن أن نصفها بالدولة الدكتاتورية ، فلا تتسم دولة الخلافة بأي سمة من سمات الدكتاتورية ، فـ(السلطة المطلقة مفسدة مطلقة) ، هذا ما قاله السياسي البريطاني لورد آكتن - في القرن التاسع عشر ، حين وصف السلطة المطلقة ،
وهو لا يعني بالطبع أن خلافها السلطة المحددة ، بل يشير إلى السلطة المشتركة بين الحاكم وبقية شرائح الشعب ، كما يُعرف حديثاً بمجلس النواب ،
ويصف المفكّر السوري ، عبد الرحمن الكواكبي ، هذا النوع من الحكم بأنه ((صفة للحكومة المطلقة العنان ، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء ، بلا خشية من حساب ولا عقاب ، فالدكتاتور يتحكّم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم)) ﴿١١٧﴾ .
وخلاصة القول إن الله قد حارب الدكتاتوريين بالذات ، كنمرود وآل فرعون ، إذ يقول سبحانه : -

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) ﴿٤٩﴾ البقرة .
والحديث بعد هذا البيان ، يعد مضيعة للوقت وتبديدا للجهد ، فشتان بين دولة الخلافة والدولة الدكتاتورية ، التي سيحارب خليفة الله ، مقرَّاتها أين ما وجدت ، وكيف ما وجدت ، وبموجب ما عرضناه ، فلا تعد دولة الخلافة دولة ديمقراطية ولا دولة دكتاتورية ، وإن كانت تتسم ببعض الحيثيات من هنا وهناك ، لكنها تختلف جذرياً مع الديمقراطية من جهة ومع الدكتاتورية من جهةٍ أخرى كبيرة ، وسبب الإشارة لدولة الخلافة ، بشيء من الدكتاتورية ، أو رُبَّما بالدكتاتورية بعينها ، كما يرى البعض ، أن الخليفة هو صاحب القرار ، وهو ممثل السلطة التشريعية ، الأول والأخير ، وقد ابدينا ما لا يدع مجالاً للشك ، بدكتاتورية الدولة ، لأن اختيار الشعب لها ، هو اختيار لنهجها الواحد منذ البداية ، وهو ما يتعارض والدكتاتورية

....

﴿١١٧﴾ - كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد -- عبد الرحمن أحمد الكواكبي [١٢٦٥هـ -١٣٢٠هـ][١٨٤٨ م -١٩٠٢م].

المطلب الثاني

وحدانية الله ووحدانية المنهاج

لم تتعرَّف البشريَّة جمعاء ، على فكرة الإله الواحد ، إلَّا من خلال السماء ، حتى أولئك الذين كانوا يعبدون الأصنام ، فقد استمدّوا فكرة وحدانيّة الخالق ، ممن سبقهم من الموحدين ،

الوحدانيَّة مصدر صناعي من الوحدة ، وهي صفة من صفات الله تعالى ، وتعني أن الله ﷻ ، يمتنع من يشاركه غيره في الخلق أو الملك أو التدبير أو الماهية ﴿١١٨﴾ ، ويمكن الاستدلال عليها بالعقل والشرع والفطرة ﴿١١٩﴾ .

= لم يكن كفار قريش ممن ينكر الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، فمن أقسام التوحيد ؛ توحيد الربوبية ، وهو يعني إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالخلق والملك والتدبير ، ولم يكن عند كفار قريش إنكار لهذا المعنى ، ومن الأدلة على ذلك أنهم كانوا إذا سُئِلوا عن خالق السماوات والأرض والرازق والمدبر لأحوالهم أشاروا لله الواحد ﴿١٢٠﴾ ، كما أوضح لنا تعالى في الآية ﴿٨٤﴾ من سورة المؤمنون : -

(قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ*قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ...

إنهم كانوا يعبدون الأصنام لتقرّبهم إلى الله تعالى ، فهم مقرّون بوجود الله وأنه المتفرّد بالخلق ، وإنما كان أصل الخلل والإشكال في توحيد العبادة وصرفهم إياها لغير الله تعالى ﴿١٢١﴾ .

ذلك بأنهم كانوا يحلفون بالله -سبحانه وتعالى- حلفاً مؤكَّداً ، وهذا يدلُّ على إيمانهم بوجود خالق متفرّد للكون ﴿١٢٢﴾ .

وكان على بني آدم ، أن يفهموا وحدانية الخالق ، بما أنهم أكثر رقي ، من ممالك

....

﴿١١٨﴾ - أصول الدين الإسلامي (الطبعة الأولى) [١٤١٤ هـ] محمد بن إبراهيم التويجري ، دار العاصمة ص [١٥] الرياض .

﴿١١٩﴾ - ابن تيمية ، مجموع الفتاوى - المدينة المنورة : مجمع فهد [ص ٣٧ ح ٢].

﴿١٢٠﴾ - المعجم الوسيط [ص١٠١٧ ط٤] ، مصر ، مكتبة الشروق الدولية .

﴿١٢١﴾ - مرشد التمانع والتوارد وإثبات وحدانية الإله الواحد - أحمد مصطفى تام [ت٢ / ٩ / ٢٠٠٩] .

﴿١٢٢﴾ - الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد - سعود بن عبد العزيز العريفي ، ط١ / دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ، صفحة [٣٠٩] .

الحيوانات ، ومستعمرات الحشرات ، والتي كيّفتْ حياتها على تنصيب ملكاً لها وقائداً لأسرابها ،
(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) ﴿٩١﴾ المؤمنون .
(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ﴿٢٢﴾ الأنبياء .
لابد ، من أنَّ منّا من يسأل ، كيف يعطف الباري عزوجل ، الذات الإلهية على مخلوقاته في النصوص القرآنية : -
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَـدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) ﴿٩٨﴾
(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَــنَ بِاللَّهِ وَمَــلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِــهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَـدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) ﴿٢٨٥﴾ البقرة .
والعشرات من الآيات التي جاءت تجمع عطفاً بين الله وملائكته ورسله وكتبه ،
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .
وما جاء في الطبري في تفسير هذه الآية ، هو أن المقصود بالمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة (عُنِي بهِ جَميع المُؤمنين) ، وهذا القول كمن يجمع بين الله وجميع خلقه ، حتى وإن كانوا جميعاً من المؤمنين ، لكنَّهم ليسوا على حالة واحدة من وحدانية المنهاج ، وبذا أصبح المؤمن الحق والمنافق سيان ، وكيف يمكن أن نتصور أنه تعالى القائل (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ﴿٧﴾ يس .
يعود ليجمع كل من ادعى بالإيمان ، مع ولايته وولاية الرسول الأعظم ، وهم يعلمون علم اليقين ، إنه تعالى حين يشير لشخص ذي قيمة اعتبارية كبيرة ، فإنه تعالى يشير إليه بالجمع ، وهكذا هو لسان العرب ، إضافة إلى إنه بذلك ، يشير إليه وإلى من سيمثّل نهجه ، ويكمل دربه وفق ذات الخطى ، وهل حقاً إن كل الذين آمنوا آتوا الزكاة وهم راكعون ، أم هل يُعدّ مجرّد السجود زكاة ،

ولنفهم وحدانية المنهاج من خلال النص القرآني الآتي : -

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ *شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) ﴿١٨﴾ آل عمران .

وبدل أن تكون الذوات والآيات التي تسبق قوله تعالى (شهد الله) ، معطوفة على قوله تعالى ، عَطَفُوها على الآية التي تليها ، أي إنهم رأوا أن الله وملائكته وأولي العلم شهدوا أن الدين عند الله الإسلام ، وفي التفاسير الخمسة ، اهتموا بـ(أنه) هل بفتح الألف أو بكسرها ، فقد جاء في تفسير الطبري ﴿١٢٣﴾ ،
((وهكذا قرأ أهل الإسلام بفتح الألف من (أنه) ، على ما ذكرت من إعمال (شهد) ، في (أنه) ، الأولى ، وكسر الألف من (إن) الثانية وابتدائها ، سوى أنّ بعض المتأخرين من أهل العربية ، كان يقرأ ذلك جميعًا بفتح ألفيهما ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأن الدين عند الله الإسلام)) ،
= أهل الإسلام أهتموا بالفتحة والكسرة ، ولم يجهدوا حتى أن يتعرفوا إلى الأسباب التي جعلت اسم الجلالة في محل نصب ، والملائكة في محل رفع ، وهم يقولون بأن الله وملائكته شهدوا أن لا إله إلا الله ،
أي إن الصابرين والصادقين والقانتين .... ، هم الذين شهدوا أنه لا إله إلا الله ، جاء في مسند أحمد ((حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني جبير بن عمرو القرشي ، حدثنا أبو سعيد الأنصاري ، عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام ، عن الزبير بن العوام ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) **وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب))**

من أهم البحوث التي كتبت في وحدانية الله ، ما جاء في (منهاج القران الكريم في الاستدلال على وحدانية الله) ، وذكر اعتماده على عناصر كان منها : -
((العنصر الثاني : وحدانية الله أمر قد جبل عليه الانسان وفطر عليه ، حيث إن كل الفرق الإسلامية مجمعة على أن الله واحد ، **غير أنهم مختلفون في طريق الاستدلال الموصلة إلى إثبات الوحدة لله تعالى ،** كما أنهم مختلفون في المراد بالوحدانية)) ﴿١٢٤﴾ .
لكن ما جاء في هذا النص ، كلام مرسل لا يتفق والحقائق ، وقد يتفق في الحديث عن كل الأديان مجتمعة ، حتى غير السماوية منها ، أمّا فيما يخص الفرق الإسلامية ، فهم يختلفون في مفهوم الإشراك بالله ، وهذا ما مررنا به ، ومن ثم في مفهوم وحدانية المنهاج ، لذا فمن اتبع علياً وأبا سفيان ، فقد أشرك في وحدانية النهج ،

....

﴿١٢٣﴾ – تفسير الطبري [ص٥٢] ، تفسر الآية [١٨] من سورة آل عمران .
﴿١٢٤﴾ - منهاج القرآن الكريم في الاستدلال على وحدانية الله –[ج٢ ١٠ - ص٥٥] أشرف بن عبد الحميد بن محمد .

فحتى إبليس لم يشرك بوحدانية الله ؛ بل أشرك بوحدانية النهج ، إذ اتبع نهج الشيطان وركن إلى نفسه ، التي جعلته يأبى السجود لآدم ،
انعم الآن في النص القرآني : -

(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ **فَأَرَدْتُ** أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ .
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ **فَخَشِينَا** أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ .
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ .
وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا **فَأَرَادَ رَبُّكَ** أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ **وَمَافَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ﴿٨٢﴾ الكهف .

لاحظ الفاعل في الأفعال السابقة ، فمرَّة (أردت ، فخشينا ، فأردنا ، فأراد ربك) أي مرة تاء الفاعل ومرة ضمير متصل (نا) ، ومرة ربك ، ومما قاله أهل الاختصاص في التفريق بين النهج والمنهج والمنهاج ،
المنهاج هو الطريق المستمر والذي يتعين على الحكومات ان تلتزم باتباعه على وفق أسس فكريَّة منهجيَّة ملائمة لواقع الحال ، أي فن التنظيم لسلسلة الافكار لغايات التخطيط السليم بأدوات استقصائية ، تستنبط الاحتياجات الاساسية الاقتصادية والاجتماعية مع تقبل النقد لغايات التقويم ، والتطور يكون على وفق المتغيرات والمصلحة الوطنية ،
ولقد اصبحت العديد من الحكومات تخلط بين المنهج والنهج والمنهاج، ولم تعد تعرف طريق وآليات حل الازمات ، **والمنهج** مسلك تتخذه الحكومة لتعالج الازمات ، اما المنهاج فهو الخطط المرسومة لتنفيذ المشاريع لتحقيق الأهداف **والنهج** هو الطريق المستقيم واضح المعالم والمسارات بالعمل والتعامل والبناء لتحقيق التنمية﴿١٢٥﴾ ،
ويرى بعضهم أن المنهاج هو التطور العلمي للمنهج ، والمنهج هو التطور العملي للنهج ، وإن المنهج هو تقنين للمنهاج ، والنهج هو تقنين للمنهج ،
أما تحدثنا في الشأن الديني ، فالمنهاج هو دستور السماء والمنهج هو تطبيق

....

﴿١٢٥﴾ م - هاشم نايل المجالي جريدة الدستور الأردنية - ١٦ / أيلول / ٢٠٢٠ .

طريقة المنهاج من قبل الرسول ، والنهج هو ما اختاره القائم بالأعمال ، أي الولي أو الوصي أو الخليفة لتطبيق المنهج والمنهاج ، لذا فالمنهاج هو الأعم ، والنهج هو الأخصّ ، وعلى ذلك نقول هذا نهجي ، وذاك منهاج الله -عزّ وجلّ-، وذاك منهج الأنبياء ،

أمّا وحدانية المنهج ، فهي وحدانية مطلقة مع تعددها ، فلو تعدد المنهج تعدداً مخالفاً لأصله ، كما نرى ذلك في الفرق الإسلامية ، فلم تعد وحدانية المنهج قائمة ، وهذا يعني أن تعدد الفرق الإسلامية يخالف مبدأ وحدانية المنهج ، وهذا ما يبرهن لنا صدق حديث الرسول الأعظم -ﷺ- ،

((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)) ،

روى الحديث أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ،

= وبذلك فإن وحدانية المنهاج ، يتبعه وحدانية المنهج ، ومن ثم يتبعه وحدانية النهج ، وبذلك فإن منهاج الله واحد ومنهج الأنبياء واحد ونهج الأولياء واحد ، وأي نهج مخالف ، فهو نهج مبتدع ، يوصل إلى الإشراك بوحدانية منهاج الخالق ،

ولا يمكن التعرف إلى منهاج الله إلا عن طريق منهج الرسل ، كما لا يمكن التعرف إلى منهج الرسل إلا عن طريق نهج الأوصياء ،

لذا فالمنهاج هو المادة التي يستمد منها الأنبياء منهجهم ، ومناهج الأنبياء هي التي يستمد منها الأولياء منهجهم ، ويمكن أن نقول منهج الله -جلّ جلاله-، متى ما تحدثنا عن أوامره التي يقضي بها أنبياءه ، ونقول نهج الله ، متى ما تحدثنا عن أوامره التي ينفذها أولياءه ، فمنهاج الله يحوي كل من منهج الأنبياء ، ونهج الأولياء ، ومنهج الأنبياء يضم نهج الأولياء ، أمّا نهج الأولياء ، فلا يضم إلا نهج واحد لا يتفرّع ولا ينقسم ولا يتجزأ ، وقد أطلق الباري -عزّ وجلّ- على هذه المنظومة ، اسم الصراط المستقيم .

المطلب الثالث

وحدانية الدين

إذا كُنَّا على يقين من وجوب وحدانيَّة المنهاج ، فكتاب الله الكريم هو المنهاج العام لمعشر الإنس والجن ، فما هي وحدانيَّة الدين ،
= تقتضي وحدانيَّة الدين ،
أولاً – وحدانيَّة **التشريع** (مصداقيَّة المشرّع) : ونعني هنا الله -جل جلاله- ، ولكن لا نعني أو نعتني هنا ، بأن يكون المشرّع واحداً بداية ، بل إن النتيجة ستدلنا على وحدانية المشرّع ، أي وحدانيَّة الله-جل جلاله- ، ونعني أن مبادئ التشريعات جاءت وكأنها تنطلق من مبدأ واحد ، سواء صدرت من مشرع أم أكثر ، مع أنَّنا هنا لا نمتلك مجالاً لقبول التعداد ، مثلما نمتلكه في (وحدانيَّة التنفيذ) .
ثانياً – وحدانيَّة **التبليغ** (مصداقيَّة المُبلِّغ) : وعلى غرار ما جاء في (أولاً) ، من أننا نعني بالوحدانيَّة هنا ، الثبات على المبدأ والمنهج الواحد ، سواء كان المبلّغ واحداً أو أكثر من ذلك ، فيجب أن يكون نهج المبلّغ ، كمنهاج القرآن ، فمثلما يقول تعالى مشيراً لرسوله الأعظم : - (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ **رَّحِيمٌ**) ﴿١٢٨﴾ التوبة .
(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى **وَرَحْمَةً** لِّلْمُحْسِنِينَ) لقمان .

إذ يشترك المُبلِّغ مع مادة التبليغ ، بأعظم سبل لمنهاج الله وصفاة الله -جل جلاله- .
ثالثاً – وحدانيَّة **التنفيذ** (مصداقيَّة المُنفّذ) : ومن هنا نفهم جيداً ، معنى تعدد القائمين بالتنفيذ ، وكأنهم شخص واحد ، بالمبادئ والمُثُل نفسها ،
فإن كان هناك استحالة لافتراض تعدد المُشرّع والمُبلّغ ، فهنا لا بُدَّ من تعدد المنفذ ، وإلّا توقف العمل بمنهاج الله -جل جلاله- ، فبعد أن جاء وصدرت التشريعات ، وبُلّغ العباد بها ، جاء دور المُنفّذ ، الذي ينبغي أن يردفه آخرون .

والسبب في ذلك ، هو الصفات التي قلنا عنها مستقرة ، أي يجب أن يمرّ المنفذ بمهمة التنفيذ وهو معروف على أنه الرؤوف الرحيم ، وهي كانت مهمة الرسول الأعظم ، إذ كان مبلّغاً ومنفّذاً في آن واحد ، لفترة من فترات البعثة الشريفة ، وبعده يأتي المنفّذ الذي يعرف ببلاغته وشجاعته وعدله ، ثم يأتي من يعرف بكرمه .... وهكذا ، ليرى الناس ويفقهوا ، كيف يكون تنفيذ المنهج الواحد الذي أخذ عن مبلّغ واحد ، لينفّذهُ منفّذ واحد بصيغ نراها مختلفة ، لنقص ادراكنا للمنهج الواحد

، كما تحثنا بأن ما قام به علي بن أبي طالب -ع- في حربه ضد معاوية ، هو ذاته ما قام به ابنه الحسن -ع- ، بتوقيع الصلح مع معاوية ، وهو ذات النهج الذي اتبعه الحسين -ع- ، بأن يثور ضد فساد بني سفيان ، وبهذا يصل القرآن للتبليغ الحق ، والذي يريده الباري -عزوجل- : -

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ﴿٦٧﴾ المائدة .

فإذا تمت وحدانيَّة التشريع ووحدانيَّة المُبلّغ وثمَّ وحدانية المنفّذ ، تمت وحدانية القرآن ، ورُسمَ الصراط المستقيم ، الذي نتطلّع لأن يهدنا الله إيّاه ، وهو أمامنا لو اخترنا من ينفّذه كما بلّغه الرسول ونفّذه صلوات الله عليه وعلى آله .

وعلى هذا أصبح الأمر واضحاً ، ويمكن توضيحه أكثر من خلال معادلة رياضية :

وحدانيَّة المُبلِّغ + وحدانيَّة المُنفّذ = وحدانيَّة الله .

وحدانيَّة التشريع + وحدانيَّة المُبلِّغ + وحدانيَّة المُنفّذ = وحدانيَّة الدين .

وعلى هذا فإن : وحدانيَّة الله + وحدانيَّة التشريع = وحدانيَّة الدين .

وحدانيَّة التشريع + وحدانيَّة المُبلِّغ = وحدانية المنهج .

وعليه نقول نهج الرسول الأعظم ، يبنى على ما جاء في الكتاب من تشريع ، وما قام بتطبيقه بشكل عملي .

ولا يمكن جمع وحدانية المنفذ مع وحدانية التشريع ، لأن وحدانية التشريع لا تجمع إلّا بوجود وحدانية المبلّغ ، وبذلك لا يمكن الوصول إلى المُنفِّذ إلّا عن طريق منهج المبلّغ ، أي يمكن الوصول إلى وحدانية المنفّذ ، والتي هي وحدانية النهج ، عن طريق جمع وحدانية التشريع ووحدانية المبلّغ ،

وحدانيَّة التشريع (المِنهاج) + وحدانيَّة المُبلّغ (المَنهج) = وحدانيَّة المُنفِّذ (النَّهج) ، ووحدانيَّة المُنفِّذ هي الخطوة الأخيرة لإكمال وحدانيَّة الدين .

الفصل الثالث

الخلافة في المذاهب والأديان

لو أحصينا أسباب اختلاف مفهوم الخلافة في المذاهب والأديان ، سنجدها من أسباب تعدد المذاهب والأديان ، لكننا لا نريد أن نسرد هنا الوقائع التأريخية المعروفة ، بل الوقائع الفكريّة التي حرّكت اعتقادات بني آدم ، منذ أن وسوس الشيطان لأبينا آدم ، حتى ختام رسالات السماء ،

ولن يطول بنا الحديث في هذا الفصل ، لأن قضية الخليفة عبر التأريخ ، وبما تحدثت عنه المذاهب والأديان ، سنتناوله بشكل مكثف في الجزء الثاني ، كما سبق أن تناولنا قسماً منه في الكتاب الأول ،

لذا سنتناول هنا بعض المباحث ، التي ستكون البُنى التحتيّة لموضوع البحث ، ومنها الأسباب الرئيسة للخلاف والاختلاف ، بين المذاهب والأديان ، والتي أدت بالنتيجة ، لاختلافهم في قراءة دولة الخلافة الإلهية ،

وقبل هذا وذاك ، لنرى ما هو المفهوم الحقيقي للإشراك بالله ، قبل أن نرى مفهوم الإيمان ،

لنصل بعد ذلك لأسباب تعدد الأديان ، وهل نشأت تلك الأسباب لسوء فهمنا للإشراك بالله ، أو لسوء فهمنا للإيمان به ، أو لسوء فهمنا للدين كله ،

لذا سيكون من الغريب أن نبحث في أمور لا علاقة لها بعنوان بحثنا ، لأننا لا نريد إعادة ما هو موجود ومنتشر ، في الكثير من الكتب والمواقع الإلكترونية ، بل نريد أن نبحث كيف تصورت دولة الخلافة الإلهية ، في كل مذهبٍ بأوصاف مختلفة ، وتحولت هذه الاختلافات إلى حرب شعواء ، رغم أن الجميع أقرّ بمجيء خليفة الله ،

ولا يغيب عن الأذهان ، أننا سبق أن تحدثنا كثيراً ، وسوف نتحدث لاحقاً ، عن تلكم الأسباب ، إلا أننا هنا ، سنعرج بشكل مختلف وبطريقة جديدة لتناول الموضوع حتى الوصول إلى الغاية المنشودة .

المبحث الأول

أسباب تعدد المذاهب والأديان

صراع أهل الجماعة والشّيعة اِنموذجاً

قبل أن نعلن الانطلاق في هذا المطلب ، يبدو أن علينا أن نكرر بأن كل مذهب ، لا يُسأل عن خطأ بعض رجاله ، وما سنكشفه من مغالطات بعض رجال مذهب ما ، لا نبتغي منه تشويه صورة ذلك المذهب ، بل نقل الحقائق كما هي ، وزجر التطاول على الشخصيات المقدسة ، ومن بعدها فللمتلقي الفكر الحر ، فيما يراه موافقاً لما يعتقده أو مخالفاً اِياه ،

ربما يعتقد المتصفح لتاريخ الصراع بين السُنّة والشيعة ، بأن اختلافاتهم وخلافاتهم في أمور عابرةٍ ، تحوّلت بسبب المناصب والتحزب ، إلى خلافات كبيرة ، لكنها بالتأكيد ليست كالخلافات بين المسلمين بشكل عام ، وبين النصارى واليهود ، إذ المفاجأة الكبرى ، إنه وبالتدقيق سنجد العكس تماماً هو الصحيح ، وإن الأساسيات التي من المفترض أن السنة والشيعة متفقون عليها ، كوحدانية الله ونبوة الرسول محمد -ﷺ- ، هي أول خلافاتهم وأوسعها ، فالله الذي يعرفه السُنّة ، ليس ما يعرفه الشيعة ، والخطير في الأمر ، أن ما يؤمن به أهل الجماعة (السنة) عن كنه الله هو نفسه ما يؤمن به النصارى واليهود ، وعليك أنت أن تحدد ، إذا ما كانت هذه منقبة أو مثلبة ، إذ يتفق الجانبان من أهل الجماعة والنصارى واليهود ، على أن الله تعالى يمتلك شكلاً جسمانياً ، وينزل بنفسه بين مدة وأخرى لتفقد عباده ، وكل تفاصيل عرشه وكرسيه منقولة نصاً بين السنة والنصارى واليهود ، وإنه تعالى حاشاه يغضب فيزداد الوزن الذي يحمله الكرسي ، وبالتالي فالعرش يزداد أطيطاً بسبب ذلك ،

= **تحذير هام** ، لإبراء الذمة ، فالكلمة أمانة في أعناق ناطقيها ، والكلمة مسؤولية في ذمة قائليها ،

= ستطّلع على روايات ألّفها أناس ، كانت بغيتهم الإجابة عن أي سؤال ، لأجل ألّا يقال ، قد كانوا مُبعدين عن الرسول -ﷺ- ، ولم يجالسوه ، ولم يأخذوا منه ، وكنت أتمنى ألّا أضطر لإيراد رواياتهم ،

لكن من واجبنا أن نكشف ما هم فيه من ضلالٍ بعيد ، وما صادروه من حق الأنبياء والأوصياء ،

هؤلاء من نهج النمرود الذي بنى صرحاً ليبلغ الأسباب ، فنسبوا للرسول الأعظم قوله ، أن الله -جل جلاله- يجلس على كرسي العرش فلا يبقى منه غير أربع أصابع ، ولا نعلم كيف رأى من يدعي أنه رأى أربع أصابع بقيت من الكرسي ، والكرسي وسع السماوات والأرض ، رغم قولهم إن وسع الكرسي دالّاً على علم الله .

لذا **فالرجاء** عدم تصور ما قالوه ، فتتخيل أنه سبحانه وتعالى شخصاً مجسداً ، **والرجاء** بعد الاطلاع على هذه الروايات ، غسل الفكر وتطهيره ، بروايات آل المصطفى في تمجيد الله وتكبيره ، لا سيما ما نقلت عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب وعليّ بن الحسين وعلي بن موسى الرضا وكل العترة الطاهرة -عليهم السلام- .

= إذ نقلوا : إذا جلس الرب على الكرسي ، سمع له أطيط كأطيط الرحل الجدد ﴿١٢٦﴾ ،

وقد أجاب مركز الفتوى ، عن سؤالٍ يخص العرش ،

إن عَرْشَه على سماواتِه هكذا ، وقال بِيدِه : مثلُ القُبَّةِ ، إنه يَئِطُّ به أَطِيطَ الرَّحْلِ الجديدِ برَاكِبِه ﴿١٢٧﴾ .

وعن سؤال ورد بذات الفتوى عمّا قيل من أطيط هل يعني أن لله -جل جلاله- وزناً ، أشار المفتي إلى فتوى أخرى ﴿١٢٨﴾﴿١٢٩﴾ ، وهذا نصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله أما بعد : فللعلماء ثلاثة أقوال في معنى الكرسي المذكور في قوله تعالى:

(وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ) ﴿٢٥٥﴾ البقرة : -

الأول : أنه بمعنى علم الله ، وهو عن ابن مسعودٍ وابن عباس وسعيد بن جبير وقال به ابن جرير الطبري ، وهو الذي يدل عليه ظاهر القرآن .

....

﴿١٢٦﴾ - الراوي : عمر بن الخطاب ، المحدث : الذهبي ، المصدر : العرش ، الصفحة : [٩٩] خلاصة حكم المحدث : صحيح .

﴿١٢٧﴾ - بالفتوى رقم : {٢١٦٠٣١} بتاريخ : [١٩ / ٨ / ٢٠١٣] ،

﴿١٢٨﴾ - الراوي : جبير بن مطعم المحدث : ابن تيمية – المصدر : مجموع الفتاوى الصفحة : [٦ / ٥٨٨] خلاصة حكم المحدث : مشهور .

﴿١٢٩﴾ - إلى الفتوى بالرقم : [٣٤٤٦٥] ،

الثاني : أنه هو العرش ، وهو مروي عن الحسن .
الثالث : أنه موضع القدمين بالنسبة للعرش ، وهو مروي عن أبي موسى والسدي ومسلم البطين وابن عباس .
وقد روى ابن جرير بسنده إلى عبد الله بن خليفة أن النبي -ﷺ- ،
قال : إن كرسيه وسع السماوات والأرض ، وإنه ليقعد عليه فما يفضل مقدار **أربع أصابع** ، وإن له **أطيطًا كأطيط** الرحل وقد رواه أيضًا الخطيب والضياء المقدسي ﴿١٣٠﴾ وغيرهما ، وضعفه طائفة من أهل العلم منهم ابن الجوزي والإسماعيلي والألباني وغيرهم ، وروى البيهقي في السنن والشُّعَب والطبراني في الأوسط وابن أبي عاصم عن بريدة قال :
((لمّا قدم جعفر من الحبشة لقيه النبي -ﷺ- فقال : أخبرني بأعجب شيء رأيته بأرض الحبشة ، قال مرت امرأة على رأسها مكتل فيه طعام فمر بها رجل على فرس فأصابها فرمى به، فجعلت انظر إليها وهي تعيده في مكتلها وهي تقول : ويل لك يوم يضع الملك كرسيه ، فيأخذ للمظلوم من الظالم ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، فقال : كيف تقدس أمة لا تأخذ لضعيفها من شديدها حقه وهو غير متعتع)) .
وقد صحح الحديث الألباني في ظلال الجنة ، ففيه إثبات نصب الكرسي وليس فيه ذكر جلوس الله عليه .
فالخلاصة أن وجود الكرسي أمر ثابت من الأحاديث ، أما جلوس الله عليه فليس بثابت ، والله أعلم .
وبعد كل هذا الطيط والأطيط ، يتِّضح أن جلوس الله على الكرسي ليس بثابت ، وهذا يعني أن لله -سبحانه-وزنا وزمناً يمرُّ عليه ، بل ان المشاعر لتختلج فيه فتؤثر حتى على وزنه -سبحانه- ،
بينما تختلف هذه التفاصيل جذريّاً عند الشيعة ، فالله لا يُرى حتى يوم القيامة ، ولا من أحدٍ يتحدّث عن شكله أو ينسب شكلاً جسدياً أو جسمانياً له ،
ولتطهير وتعقيم ما مرَّ من صور مخجلة وآراء منكرة ، نقتبس من ضياء العترة الطاهرة شيئاً مما قالوه عن العرش وخلق هذا الوجود ، فجاء في نهج البلاغة عن

....

﴿١٣٠﴾ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، محمد الالباني ، ج [٢] ص[٢٥٦].

أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب ، في خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماوات والأرض ، ويتصفح صفحة من عظمة وجلالة الباري -عز وجل- :

((أَنْشَأَ الخَلْقَ إنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّة أَجَالَهَا، وَلاَ تَجْرِبَة اسْتَفَادَهَا ، وَلاَ حَرَكَة أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْس اضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ الأشْياءَ لأَوْقَاتِهَا ، وَلاَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَّزَ غَرائِزَهَا ، وَأَلزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، مُحِيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهَائِهَا، عَارفاً بِقَرَائِنِها وَأَحْنَائِهَا . ثُمَّ أَنْشَأَ .سُبْحَانَهُ. فَتْقَ الاَجْوَاءِ ، وَشَقَّ الاَرْجَاءِ ، وَسَكَائِكَ الهَواءِ ، فأَجازَ فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُه ، مُتَراكِماً زَخَّارُهُ ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ ، فَأَمَرَها بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ ، الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ ، وَالمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا ، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاها ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَها بِتَصْفِيقِ المَاءِ الزَّخَّارِ ، وَاثَارَةِ مَوْجِ البِحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالفَضَاءِ ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ)) .

وفي خطبة له عليه السلام : -

((أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْديقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الاِخْلاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الاِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَة أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، [وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ،] وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ: «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ)) .

كما امتلك الرسول الأعظم والأنبياء ، صفات وكرامات لم يمتلكها عند أهل الجماعة ، وإنه تعالى أعطى لأنبيائه وأوليائه الشفاعة ، التي يشفعون بموجبها لأنصارهم ومحبين نهجهم ، وأمور يطول بنا الحديث بذكرها ، كل تلك الأمور التي تخص الله وكنهه هي اختلافات بين الشيعة من جهةٍ وأهل الجماعة والنصارى واليهود من جهةٍ أخرى ، والحال هي نفسها ذاته فيما يخص الرسول الكريم ، فشتان بين محمد -صلى الله عليه وآله- عند الشيعة ، ومحمد عند أهل الجماعة ، وهو يختلف ابتداءً من الصلاة عليه وعلى آله عند الشيعة ، والصلاة عليه فقط عند أهل الجماعة ، أو إضافة أهل البيت بشرط لا يقبل الترك مطلقاً ، وهو الصلاة على صحابته معهم ،

وبمجرد أن تقول محمد صلوات الله عليه وعلى آله ، سيعرف المستمع أنك شيعي ، وإنك ستتحدث عن محمد الذي يعرفه الشيعة ويؤمنون به ، فمحمد عند الشيعة مُنزه عن كل الروايات التي تتحدث عن أن عبس وتولى هو خطاب لشخص النبي ، بل يشيرون لعثمان بن عفان ، أنه هو من عبس وتولى ، فضلا عن ان الرسول أسمى وأطهر من الروايات التي نُقلت عن عائشة ، من أنه كان يحملها على ظهره ويمشي بها في الأسواق ليبهجها ،

ويتسابق معها جرياً في الأسواق وأحاديث لا نهاية لها﴿١٣١﴾ ﴿١٣٢﴾ ، وإنه صلوات الله عليه كان يسمح لعائشة ببعض ما حُرّم في الشريعة ، وأنه فضّلها تفضيلاً نافياً للعدالة بين الزوجات ، ويقوم معها بحركات خادشه للحياء وأمام بعض الصحابة ، وسمح أهل الجماعة بالنقل عن عائشة ، روايات تتحدث عن تفاصيل دقيقة جداً في الحياة الزوجية ، وصلت لوصف العملية الجنسية بكاملها ، والتصريح بأسماء الأعضاء التناسلية في وسط تلك الأحاديث ، وإنه صلوات الله عليه وعلى آله ، كان يضاجع نساءه جميعاً بليلة واحدة ، حتى نقل عنها ، أنها قالت (من فيكم يملك ارباً مثل إرب الرسول) و (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ) .

وبنفس المـفردات التي جـاءت في البخاري ، ذكـرت الرواية في سـنن ابن ماجه ، = البخاري [٢٩١] ((حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ هُوَ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ

....

﴿١٣١﴾ - تحكي عائشة كيف دعاها النبي ﷺ لتشاهد كيف يرقص أهل الحبشة بالحراب في المسجد ، فتقول ((إن النبي سمع لغطًا وصوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا قوم من الحبشة يرقصون ، والصبيان حولها فقال : يا عائشة ، تعالى فانظري ، فجاءت عائشة ووضعت **ذقنها** على كتف رسول الله -ﷺ- وأخذت تشاهد مما بين المنكب إلى رأسه ، فقال لها أما شيعتِ ، قالت : فجعلت أقول : لا ، لأنظر منزلتي عنده)) . طبعاً منزلتي كبيرة لديه يا أمَّنا ، كمنزلة هذا الحديث من الإسلام .

﴿١٣٢﴾ - كما نقل قول عائشة ((أنها كانت تغتسل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إناء واحد ، فيبادرها وتبادره ، حتى يقول لها دعي لي ، وتقول له دع لي)) .

حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله سَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ)) [تابعه خالد وجرير عن الشيباني] ﴿١٣٣﴾ .
= سنن ابن ماجه [٦٢٧] ((حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَرَّاحِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ ح وحَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ ح وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَأْتَزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يملك إربه)) ﴿١٣٤﴾ .

وهذا بالضبط ما ذُكر في صحيح مسلم ،
= صحيح مسلم [٤٤١] ((وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ح وحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَأْتَزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ)) ﴿١٣٥﴾ .
كذا سنن أبي داوود ﴿١٣٦﴾ ، فهل ما زلت تذكر ما قلناهُ في مطلع هذا الكتاب دعوا القرآن يتكلم لنعلم ما جاءت به الروايات والأحاديث .
ففي الشق الأول من هذه الرواية ترى مخالفته للنص القرآني : -
(وَيَسْأَلُونَكَ عَــنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ

....

﴿١٣٣﴾ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، تأليف : محمد بن بردزبه البخاري - المحقق : مركز البحوث والمعلومات .
﴿١٣٤﴾ - سنن ابن ماجه / تأليف : محمد بن يزيد القزويني / المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء الكتب العربية / [٢٠٠٩]
﴿١٣٥﴾ - صحيح مسلم / المؤلف : مسلم بن الحجاج النيسابوري / المحقق : مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل / [٢٠١٤] .
﴿١٣٦﴾ - بذل المجهود في حل سنن أبي داود / المؤلف : خليل أحمد السهارنفوري / المحقق : تقي الدين الندوي .
نسخة إلكترونية – مكتبة الوقفية / رفع بتاريخ : [١١ / ٣ / ٢٠١٩] .

يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُـــنَّ مِـــنْ حَـــيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّـــوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ﴿٢٢٢﴾ البقرة .

أمّا الشق الثاني فالمصيبة أعظم ، إذ يبين كشف العورات وهتك الستر ، أَوَ هذه هي العلوم التي تنفع من علمها ، وتضر من لم يعلم بها ، وكم تحدث جمع من الفقهاء ، عما قام به النصارى واليهود من تشويه لسيرة أنبيائهم ، والادعاء بأنهم كانوا شهوانيين ، وإنهم يضاجعون زوجاتهم وإن بلغن مائة زوجة ﴿١٣٧﴾ ،

وهناك من ذكر أن سليمان طاف عليهن كلهن بليلةٍ واحدة ، كذا ما جاء في الروايات الإسرائيلية ، ويبدو أن من اهتم بنقل مثل هذه الرواية ، لا يفقه معنى (يملك إربه) فهو جاء بعكس المعنى ، وبين منذ أول الرواية أنه صلوات الله عليه وعلى آله ، لا يملك السيطرة على شهواته -ﷺ- ، أو حتى أن يراود زوجته على طهر ، بدلاً من زوجةٍ ليست على طهر -ﷺ- ، فمن يملك إربه ، هو من يملك التحكم بشهواته ، ويمتلك القدرة على تأجيلها أو حتى الاستغناء عنها لفترة ، وتعال لما رواه البخاري وأحمد :

((صحيح البخاري [٢٦٠] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

....

﴿١٣٧﴾ - قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة ، أو تسع وتسعين ، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة ، جاءت بشق رجل ، والذي نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون .

الراوي : أبو هريرة - المحدث : البخاري - المصدر صحيح البخاري - رقم {٢٨١٩} ، كما نقل الرواية الألباني باختلافاتٍ طفيفة ، ويبدو أنه كان متأكد من أن عدد زوجات سليمان بلغن (١٠٠) زوجة ،

الراوي : جبير بن مطعم المحدث : أبو داود – المصدر : سنن أبي داود - الصفحة أو الرقم : {٤٧٢٦} .

خلاصة حكم المحدث : بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح .

((قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة ، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهن ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة ؛ جاءت بشق إنسان ، والذي نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله ، لم يحنث ، وكان دركا لحاجته)) الراوي أبو هريرة - المحدث : الألباني - الرقم {٤٣٤٨} .

يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعُ نِسْوَةٍ)) .

((مسند أحمد [١٣٥٩٥] حَدَّثَنَا عَبْد اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ ثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ هَلْ كَانَ يُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ)) .

فأين غيرة من نقل هذه الروايات عن زوجات الرسول ،

أيعتقد مؤلف هذه الأراجيز ، أنه يثني على الرسول ، ويعطي له قدرة من كرامات السماء ، أم ظن أن ذلك من الإعجاز الذي تمتع به سليمان ، فأراد أن يقرنه بالرسول ، ولا نعلم هل أن هذه الروايات من افتراء زوجة من زوجات النبي ، أو أنَّ هناك من افترى عليها ، أو افتراء على البخاري إذ اختفى [٢٥٠] سنة ، وبعد هذا الطنين وعن نفس الراوية جاء في الترمذي : -

سنن الترمذي [١٠٥٩] ((حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ هَكَذَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ)) .

هكذا لن تختلف الروايات عما جاءت به الآيات ، وهكذا هي الحياة الطبيعية لرسول الأمة ، نهاره لأمته ناصحاً وموضحاً لرسالة السماء ، وليله يقسم إلى طاعات ، منها طاعة الله في حقوق الزوجية ، وما بقي منه فللعبادات كما بيّن لنا الله ، واخزى كل منافقٍ وما لفقوه من أحاديثٍ موضوعة ،

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ﴿٢٠﴾ المزمل .

(طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) طه .

(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الذاريات .

قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار يستغفرون ، ويأتيك المتبجح ليقول عن الرسول إنه كان يضاجع زوجاته كلهن بليلة واحدة ،

ووالله إني لأمنع نفسي من مواصلة الحديث في أمر ، أرى من المعيب أن نطرقه ، لكني أريد أن يرى البعيد كيف أن لغبائه رائحة نتنة ،
جاء في مسند أحمد (وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ) وبتقسيم الساعة الواحدة إلى إحدى عشر امرأة ، فسيساوي بالضبط خمس دقائق وثلاث أرباع الدقيقة ، مع الوقت الذي تأخذه الملابس عند كل زوجة ، ثم التنقل من غرفة إلى غرفة ، فلم يبق للزوجة غير دقيقتين ، ومن يقضي دقيقتين مع زوجته ويتركها ، فهذا ضعف لم نسمع به قط ، وترى أنه أراد أن يظهر بقدرة جبارة للرسول ، فأوقعه كذبه خلاف ما رام ، إن لم يكن مرامه المساس بالرسول ، ومقصده الإساءة ، ومعذرة لله ورسوله على ما نقلناه من روايات ، إلا لنخزي من قاله ومن صححه ومن قال بصحته ،
أَوَلا يكون من المضحك أن هذه الأحاديث كلها صحيحة ، أي إن هناك من يعتقد أن عائشة قالت ما قالته ، من إتيان زوجات النبي كلهن في ساعة واحدة ، ومن ثم قالت كان لكل منا يوم لا تشاطرها فيه زوجة أخرى ، لذا فإن الشيعة يبغضون ما نُقل من روايات ، روتها عائشة أو ربما نُسبت لها زوراً ، والأجدر بأهل الجماعة ، نفيها واسقاطها ، بدل محاربتهم للشيعة ، لأن موقف الشيعة مشرّف ، إذ لا يقبلون على رسول الله أن يُكشف ستر داره وخصوصياته ، أمّا إذا كانت تلك الروايات صحيحة ومروية حقاً عن عائشة ، فلا يمكن لأحد أن يلوم الشيعة ، بل اللوم كل اللوم على رواتها ، هكذا اختلفت شخصية الرسول عند الشيعة كلّياً ، عمَّا هي عليه لدى أهل الجماعة ، فهم حتى لم ينقلوا عن عائشة إلا القليل جداً من الروايات ، والتي يرون أنها موافقة لخلق الرسول ، ولا تدخل ضمن خصوصيات الفراش ، وعند الشيعة أن الرسول عالم ومتحدث بلغات عدّة ، إذ إن تفسير أميّ لديهم لم تأتِ بمعنى الجاهل بالقراءة والكتابة ، ونرى نحن إن معنى أميّ هو من يرتبط بأمّةٍ معيّنةٍ برابط قوميّ ، وليس برابطٍ ديني ، كما هم عليه أهل الكتاب ، أو المسلمين فيما بعد ، كما يفضّل الشيعة صراحةً أهل بيت الرسول على سائر الصحابة ، بينما يعد أهل الجماعة ، وخاصة أهل السلف ، أن ذلك بدعة من بدع الشيعة .
كما أن الشيعة بجميع فرقهم ، يعطون العصمة للرسول وأنه منزّه عن أي خطأ أو زلل ، ولم يكن ضالاً ، بل كانت أمّته ضالة عن معرفته ،
وهذا يعني ، إن الرسول طُلب منه إعلان نبوته في الأربعين من عمره ، ولم تكن بعثته في الأربعين ، بل منذ السنوات الأولى من حياته ، وإنه تعالى اختار له سنّ

الأربعين ، ليعلن رسالته ويجمع الضالين من أمته إليه ، وخير دليل أنه ليس هناك من يدعي أن الرسول كان يسجد للأصنام ، كما تربى علياً ابن عمه على ذلك ، والذي دخل في كنف الرسول منذ أيامه الأولى ، ولم يشرب الرسول الخمر أو يزني أو يسرق أو يكذب ، بل كان الصادق الأمين ، وهن خير صفات المؤمنين ، إضافة للصفاة الكامنة ، أي الموجودة لديه ، لكنها غير مكتشفة أو معروفة لعدم مرور الظروف التي تكشفها ، كالكرم والإباء والنخوة والشجاعة وما إلى ذلك ، فالصادق لا بد من أن يكون شجاعاً ، والشجاع لا بد من أن يكون كريماً ، والكريم لا بد أن يكون صاحب نخوة ، وصاحب النخوة ، لا بد من أن يكون أبياً ، كما إن الأمين لا بد من أن يكون شريفاً ومن أهل العفّة ، والشريف يملك الكبرياء والكرامة ، وهذا يعني أن الرسول لم يكن طـوال حياته يأكل الصدقة ، لا أنه أمر بذلك بعد البعثة ، وخلاصة القول ، إن الرسول بما عرف عنه من صفتي الصدق والأمانة ، فقد دلتنا هاتان الصفتان ، على معظم الصفاة السامية التي كان يتحلى بها ،

وهكذا اختلفت كل الشخصيات الإسلامية بين الشيعة وأهل الجماعة ، ومن النادر جداً أنهما اتفقا على شخصية بالمستوى نفسه ،

أمّا لو انتقلنا للاختلافات الفقهية ، فحدّث ولا حرج ، فما من جزئية إلا واختلفوا عليها ، ابتداءً من الوضوء وطريقة الوقوف بالصلاة ، إلى السجود على التراب أم المصنوع ، وقد تعجب حين نذكر لك ، أن اختلاف أهل الجماعة عن الشيعة أكبر هنا أيضاً ، من اختلاف السنة عن النصارى واليهود ، وقد يكون هنالك من لا يعلم ، أن صـلاة السّنة تشابه صـلاة النصارى واليهود في أمور عـديدة ، كـوضع الكـفين على بعضهما في الصلاة ، فيما يعرف بـ(التكتف) ، وكذلك قول آمين في غير موضع القنوت ، والسجود على المصنوع ، وعدم الاعتراف بالسجود على التراب والقيام بإشارات معينة لرجم الشيطان ، وكل هذه الأمور تعد مبطلة للصلاة عند الشيعة ،

ولا نبحث هنا فيما إذا كانت هذه القضايا ترجح كفة الصواب لأهل الجماعة على الشيعة أم العكس ، لأن حديثنا لغاية هذه اللحظة ، ينصب على الأسباب التي دعت لتعدد المذاهب ، لا في ملاحقة الفرقة الناجية وتمييز الهالكة ، رغم أن ما عُرض عليكم سادتي ، كفيل برؤية ذلك بوضوح ،

وبعد هذا العرض ، نقول إن التحزب والتعصب المذهبي ومساندة الحكم ، كل ذلك لم تكن هي كل الأسباب التي أدت لتعدد المذاهب ، وإن كان ذلك صحيحاً بين الفرق الأربعة لأهل الجماعة ، وبين فرق الشيعة ، أما بين أهل الجماعة

والشيعة عموماً ، فهناك أمور خطيرة وفوارق عقائدية جبارة ، تجعل التقريب بينهما محالاً ، إلا بتواطؤ أحدهما ، لأن التقريب بينهما يعني إلغاء أهم ملامح شخصية أهل الجماعة أو الشيعة ، خصوصاً بعد وقوع السيف ونزيف الدماء بينهما ، ابتداءً من واقعة الطف ، أو أبعد من ذلك بعقود ، إلى اللحظة التي تقرأ فيها هذا المُصنَّف ، ولا أعتقد أن من نصرةٍ لأحدهما إلا بظهور الخليفة ، الذي سيكشف جهاراً نهاراً عن الفرقة الناجية كـ(نهج ومنهج) ، ويحارب عدوتها ، والقول بأنه سينصرهما معاً ، كالقول بدخول إبليس والأنبياء (حاشا لله وحاشاهم) إلى الجنة معاً ، لا بل وإلى المقام نفسه ،

أمّا أن يعاديهما معاً ويقاتلهما معاً ، فهذا ليس بالمستبعد ، بل من المطروح فعلاً ، ولكن بشكل جزئي لأحدهما ، وكلي للأخرى ، فمنذ تأسيس الشيعة مثلاً ، ونصرتهم لعلي بن أبي طالب وتكوينهم لجيش تحت قيادته ، وعلي بن أبي طالب كان في خلاف واختلاف مع أتباعه ، حتى قال فيهم ، لقد ملأتُم قلبي قيحاً ، وهذا ما اتضح في خذلانهم لنصرة الحسن بن علي ، حتى كُشف لنا عددهم الحقيقي في معركة الطف ، وبهذا تظهر النتائج لنقول ، إن وجود الفرقة الناجية حالة ، وظهورها للوجود حالة أخرى ،

فوجودها لا يعني أنها محددة في مكان وزمان واحد ، وأنها تحتفل بوجود كل أعضائها ، مجتمعين في انتظار خليفة الزمان ، أمّا ظهورها ، فسيحقق وجودها ، ويستدعي تجمعهم جميعاً خلف راية الخليفة ، ونكمل حديثنا في المبحث الخاص بالفرقة الناجية ،

ولنعد الآن لنفهم أسباب تعدد المذاهب والأديان بمنظار آخر ،

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) الأنعام .

ربما تظن أنه تعالى يخاطب المسلمين بأن يجعلهم شيعاً ، فهذا ما راح إليه معظم المفسرين والباحثين ، وكأن الأرض خلت من عباد الله ، وليس لله عباد يكلمهم غير أمة محمد ،

وبالفعل فالنتيجة تقارب ما توصلوا إليه ، إلا أنها أصبحت عامة في وصف باقي الأديان الإبراهيمية ، إذ تحـولت بالفعل إلى شيع ، وهنا ما يسمى ببيت القصيد ، فالحقيقة الدامغة ، التي لا يحب الجميع أن يتحدثوا بها ، هو أن الله يكلمنا كأديان ندعي انتسابنا لها ، لكنه تعالى يتعامل معنا كشيع ، لأن الجميع يدعي أنه ينتمي

لليهودية أو النصرانية ، كما يدعون أن اليهودية أو النصرانية ، هي الديانة الأَولى بالاتباع من غيرها ،
وحين يتكلم الله مع النصارى وعلى قولهم ، إن المسيح ابن الله (عليه السلام) ، فليس كل المسيح قالوا بذلك ، لذا فهو يقصد الفئة والمذهب الذي قال بهذا القول ، ومن قالوا ثالث ثلاث ، ومن قالوا بأن المسيح صلب ، وقوله تعالى : -
(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ﴿١٤٦﴾ البقرة .
لا ينصرف قوله تعالى على كل المسيحيين ، بل على فئة بالذات ،
كل تلك الأقوال كانت عن فئات دون فئات ، إلا أن الجميع يدعي أنه يمثل المسيح ، وهم من أنصاره ، وهكذا عن اليهود ،
(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ﴿١٥٩﴾ .
فلا جدال عن أن الآية الشريفة ، تشير إلى جماعةٍ من أهل الكتاب ، كما لا ضير من أنها تنسحب حتى على بعضٍ من فرق المسلمين ، أو بالأحرى كل فرق المسلمين ، عدا الفرقة الناجية ،
هذا ونرى إشارة الباري عزوجل بالفئوية شملت حتى الكفّار ، فقوله تعالى : -
إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله .... هم الكفار حقاً فليس كل الكافرين قالوا وأرادوا ما جاءت به الآية ، وهذا ما نجده بوضوح ، في تعامل الله تعالى مع الأعراب ، فمن قوله تعالى : -
(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ﴿٩٧﴾ التوبة .
إلى قوله تعالى : -
(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ﴿٩٨﴾ التوبة .
ومن ثم إلى قوله تعالى : -
(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿٩٩﴾ التوبة .
نجد بما لا يقبل الشك ، بأنه سبحانه ، يجمع كلاً على حدة ، على وفق ما قالوه وما فعلوه ، وإن كانت التسمية عامة ، أو بالأحرى ، وإن كانوا هم يتمسكون جميعاً بالتسمية العامة ،

والخطير جداً في الأمر ، وما لم ينتبه له معظم الباحثين ، هو أن الدين وإن لم يحرّف ويزيف ، وينقسم شيعاً ، فلا بد من أن ينتموا ويشايعوا من بعد نبيهم أحداً ،

(سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) الصافات .

فلابد أن يكون إبراهيم من شيعة نوح ، لكي يقال إن إبراهيم على دين نوح ، ولابد أن يكون موسى وعيسى والرسول الكريم -ﷺ- من شيعة إبراهيم ، لكي يقال عن أنهم جميعاً على دينٍ واحد ، لا بل وعلى افتراض بقاء الرسول الكريم على قيد الحياة إلى يوم القيامة ، فكل من يتبعه هو من شيعته ، وبالتالي فهو من شيعة إبراهيم ونوح عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ،

وكل المسلمين حتى الشيعة طبعاً ، يدّعون أنهم على سنة الله ورسوله ، ولكننا حين نتبع ما جرى من اعتقادات لكل فرقة ، سنراهم شيعاً مختلفة ومتنوعة ، فمنهُم شيعة عليّ بن أبي طالب -ؑ- ، ومنهُم شيعة أبي سفيان ، وشيعة عمر ، وشيعة أبي حنيفة ، والشافعي ، والحنبلي ، وشيعة ابن تيمية ، ولكل من قال قولاً وسنّ سنة جديدة ، أو اجتهد ففارق البقيَّة ، فإنَّ له مذهباً مستقلاً عن الآخرين ، وعليك دون تردد أن تنتسب لمن تجدهُ أكثر ورعاً وأقرب إلى الله ،

أمّا أن تقول أنا سُني وعلى سُنة الرسول الكريم ، فلم تصلك سنة الرسول إلا من خلال هؤلاء ، ومن تجد فيه الصادق الأمين ، ومن تأسى بالرسول الكريم ، فسارع لمشايعته ، إن لم تكن من شيعته ، ومن ثمّ إذا ما دخلنا لنتفحص أفراد كل شيعة منهم ، فلن تجدهم بالتأكيد كما تسمع منهم ، فمن شيعة علي بن أبي طالب ، منهم ألد الخصام لنهجه ،

وإن كان محباً لشخصه ، فهناك من يعشق في عليٍّ ما عُرف عنه من شجاعة وبأس وتضحية وعلم وبلاغة وعدالة ، وإنه ابن عم الرسول وزوج البتول ، وإلى ما لا نهاية من فضائل أمير المؤمنين ، لكنه لو عاش في أيام حكومته عليه السلام ، لكان بالتأكيد من أعدائه ، وابن ملجم دليل على ما نقول ، وما يهمنا الوقوف عنده ، هو أن أسباب تعدد الأديان هي ذاتها أسباب تعدد المذاهب ، ومن يعتنق مذهباً ، يكون على اختلاف مع مذهبٍ آخر ، هو ذاته من يعتنق ديناً يختلف عن الآخر ،

وإنه تعالى قط لا يقبل من عباده التذبذب في الدين ، وأن نهادن في سبيل أمور عامة أو خاصة ،
(مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَـٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) ﴿١٤٣﴾ النساء .
فأمّا قبول كل ما جاء في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله ، ونتبع رسله وأولياءه ، وإلا فترك الجزء كترك الكل ، لذا جمعنا الله تعالى وقسّمنا ثلاثة أزواج فقط :
(وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثلاثة) ﴿٧﴾ الواقعة .
أي إن أصحاب الشمال على تعدد أديانهم ومذاهبهم ، وكفرهم وإلحادهم ، جمعهم الله بزوج واحد ، وهم ما يمثلون المليارات من بني آدم ، لكننا نجده تعالى من سبوغ كرمه على عباده الصالحين ، فقد شرفهم كنسبة تضاعف نسبة الكافرين فجعلهم (أثنين من أصل ثلاثة أزواج)، وإن كان الكفار أعداداً هائلة ، وعليه أعطى الصالحين منزلتين كريمتين رغم قلة عددهم ،
هذا يعني أنه تعالى ، يحتسبنا مذاهباً متعددة ومتفرقة ، كلاً وفق اعتقاده وما تنطق به شفتاه ، لكننا نشترك من ناحية وحدة المصير ، بثلاث أزواجٍ فقط ، فأصحاب النعيم اثنان منهم ، وأصحاب الجحيم هو الزوج الثالث ،
لكننا ومن ناحية أخرى ، ومنظار مغاير ، فإن القول بتعدد الأديان ، قول منافٍ للحقيقة تماماً ، ومخالف لشريعة السماء ، ولقد ذكرنا عدة مرات لم نعد نحصي عدداً لها ، إنه تعالى أنزل من علياءه ديناً واحداً ، فرّقه الناس إلى مذاهب وملل ، على وفق ما يرونه يتماشى وهواهم ، كما ذكرنا أنه تعالى تعامل مع اليهود والنصارى في كتابه الكريم ، بأوجهٍ مختلفة ، لأنه يكلّم كلّ شيعةٍ على حدة ، وكونه تعالى يخاطبهم باليهود والنصارى وأهل الكتاب ، فبموجب ما يدعونه هم على أنفسهم ، كما خاطب الذين آمنوا ، وقال لهم آمنوا بالله ورسوله ، أي يا من تدعون أنكم تؤمنون بالله ورسوله ، آمنوا حقاً بالله ورسوله ،
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **آمِنُوا** بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُـولِهِ ....)
لذا يجب القول ، إن لا وجود لأسباب لتعدد الأديان ، لأن الدين حين يفترق فرقتين ، فإنه لن يبقى بعد ذلك من دين ، فربما يتجسد في شيعة من هاتين الشيعتين أو الفرقتين ، لكنه بالنتيجة تحول إلى شيع ، ولن يعود ذلك الدين الواحد الذي ينتمي له الجميع ، وبذلك يصُحّ القول ، أن ليس هناك من دين ، اسمه الدين اليهودي أو المسيحي ، بل هناك ما نسميه بالمذاهب والملل ، ونداء الله لليهود وللمسيح ، هو بما يدعونه فقط ، لا بحقيقة وجودهم كدين ،

= وبما إن المسلمين حذوا نهج الأولين ، فهم لا يمتلكون ديناً ، يمكن تسميته بالدين الإسلامي ، إلا من خلال فرقة غير معترف بها من قبل باقي الفرق ، ويبقى الإسلام على جرفٍ هارٍ ، كما كان في عهد اليهود والنصارى ، حتى ظهور خليفة الله ، ليعيد بناء ركائز الصمود ، ولكن الحقيقة تؤذي قائليها ومُتلقيها ، رغم أجامع كل الفرق ، على أن الإسلام في فرقة واحدة ، وهي نسبة واحد إلى ما يزيد عن السبعين ، أي أقل من واحد ونصف من مائة ، هذا إذا كانت الفرقة الناجية بجميع أفرادها ، تساوي عدد الفرق الباقية ، وإن جميع أنصارها على نهج ثابت ، ولا ننسى أن هذه النسبة الضئيلة جداً ، هي من أصل الفرق الإسلامية ، لا من أصل سكان العالم ، فإذا كان المسلمون يمثلون ما يقرب من أربعة وعشرين بالمائة من مجموع سكان العالم ، ونسبة الفرقة الناجية هي : واحد ونصف ، فكم تكون نسبة الفرقة الناجية بالنسبة لعدد سكان الأرض ، هذا على اعتبار ، أن جميع أنصار الفرقة الناجية ، من الثابتين على منهج الحق ، وأن عدد أنصار الفرقة الناجية ، يساوي بالضبط عدد أنصار كل فرقة ، أي إن النسبة الأخيرة تمثل الحد الأقصى لنسبة الفرقة الناجية إلى عدد سكان العالم ،

وهذا استعراض غايتهُ ، أن نفهم ما ستكابده الفرقة الناجية من عداء وحرب وابتلاء ، لا ما ستنعم به من أنهار عسل ولبن ، وإن كانت تلك الأنهار مشاربهم بالفعل ، لكننا لا يمكن أن نقرأ جزءاً من الأحداث ، دون الالمام بكل ما سيدور ، ومن هنا علينا أن نتفهم الأدوار والمهام التي سنقوم بها ، سواء شربنا من العسل واللبن أم لم نشرب ، فنحن في خلاف مع أولئك الذين يرون أن ظهور الخليفة ، حالة من حالات الرغد في العيش ، وجمع المكاسب والمغانم الدنيوية ، إنما بداية للجهاد بكل شيء ، ونهاية لكل لذة وراحة ، حتى يتم تأسيس دولة الخلافة ، وربما يكون الأمر هيناً ، إذا ما كان الاستعداد له بمستوى الحدث ، وهذا ما يناله أصحاب الإيمان واليقين الثابت ،

وبالجمع بين موضوع البحث وما أوصلنا له الحديث ، تكون قضية تعدد المذاهب ، من أهم الطرق التي اتخذها إبليس لمجابهة الله وخليفته ، ولمحاربة دولة الخلافة ، فالتمسك بالمذهب بغض النظر عن صدقه وانحرافه ، هو ومنذ الأمس البعيد ، حالة لا تغادر أحداً من بني آدم ، والكثير من يراها من مبادئ حياته ، وغيرته على دينه ، إلا النزر القليل ممن كتب الله له الهداية .

وبعد ما تقدم من مباحث ، نخلص للقول ، إن المفهوم الخاطيء للإشراك بالله ، هو أحد أهم الأسباب التي أدت لتعدد المذاهب ، وهو بالتالي أنشأ أسباباً أخرى

لتعددها ، فهو السبب الرئيسي ، وهو السبب غير المباشر لبقية الأسباب ، لأننا وكما مرّ بنا الحديث ، قد أيقنا بأن انتهاج المنهج ، والتشيع ، لأي شخص من دون الله ، ممن لا ينتمي لله ولا يُمثّل منهجه ، هو الإشراك بالله ، وهو أيضاً بداية لنشوء مذهب جديد ، وبعبارة أخرى ، أن نشوء مذهب جديد ، لا ينتمي للطريق الواحد والمنهج الواحد الذي أمر به الله ، هو عينه الإشراك بالله ،

فالإشراك بالله مبني على اتباع من هم أعداء الله ، وتبقى المصيبة الأعظم ، في التعرف إلى أعداء الله ، إذا كان من هوّد اليهود مبجلاً ، وإذا كان بولص ورغم عدائه للمسيح ، أصبح بمثابة الولي الصالح ، والذي ينطق عن عيسى النبي ، وإذا كان من حارب الرسول الأعظم على مدى سنين البعثة ، بات من الأصحاب الإجلاء ، وممن ينقل عنهم أحاديث الرسول ، فكيف يمكننا الإثبات ، وقد أضعنا الأدلة ، وإذا لم يكن المفهوم الخاطيء للإشراك بالله أدى لتعدد المذاهب ، فالمفهوم الخاطيء للإيمان بالله ، أكمل ما لم يكمله المفهوم الخاطيء للإشراك ، وإذا كانا كلاهما لم يسبب تعدد المذاهب ، أو تسبب في تعدد قسم منها ، فالمفهوم الخاطيء لذات الدين قد هدّ كلّ محاولة ، للحيلولة دون تعدد المذاهب ، والآن نتصفح ما وراء دخول العباد للأديان السماوية ، بعد أن تصفحنا أسباب اختلافهم .

المطلب الأول

ما وراء دخول العرب في الإسلام

لا يمكننا إنكار دخول بعضهم ، أو ربما الكثير من العرب للإسلام ، إيماناً واعتقاداً بكل ما جاء به النبي محمد -ﷺ- ، لكن الادعاء بأنَّهم جميعاً امتلكوا هذا المستوى من الإيمان ، هو ذاته التعصب والحميّة الجاهليّة التي سنتحدث عنها ، إضافة لكونه يخالف ما جاءت به النصوص القرآنية ، وفي سور كثيرة ومطوّلة ، كسورة (التوبة ، المنافقون ، الأحزاب ، النور) ، وتكاد لا تخلو سورة في القرآن من مهاجمة المنافقين ، وأنواع وأشكال مختلفة من العصابات ، هذي التي تريد التسلل لقتل النبي ، وتلك التي تتجسس على الأخبار العسكرية للجيش وعملياتهم القتالية ، فهناك ثلاث حروب لم تقع قبل معركة بدر الكبرى ،

بسبب الجاسوسية ، وبسبب وصول أخبار انطلاق الرسول لقتال المشركين ، والتعرض لقوافلهم ، لمَا قام به المشركون من تعرّض سافر على ممتلكات المهاجرين في مكة ، لكن قوافل المشركين استطاعت الفرار قبل أن يصل جيش الرسول لهم بأيام ، وأخطر تلك العصابات ، تلك التي أرادت الهيمنة على زعامة الدولة الإسلامية الفتية ، والرجوع بها إلى حكم قريش وسلطنة أبي سفيان ، وإن جمعت الآلة بإله واحد ، وأقرت بأن محمداً رسول الله ، المهم ألّا يفلت حكم مكة من أيدي القريشيين وساداتها ،

ولمّا كانت الديانة اليهودية والمسيحية ، أقدم من البعثة النبوية بمئات السنين ، فما الذي دعا قريش لعدم اعتناق هذه الديانات ، رغم وجود الكثير من اليهود والنصارى والصابئة والمانوية حتى الزرادشتية ، ورغم أن هناك أنفار منهم فعلوا ذلك ،

وهل من الممكن ، أن تصمد عبادة الأصنام ، أمام ما تحمله الديانات السماوية ، من مفاهيم لتعظيم الله وتقديسه ، من أن يتجلى في حجارةٍ صماء ،

السبب الأول ، ذكرته النصوص القرآنية ، والسبب الثاني ينقسم على شقين ،

الشق الأول : يعود لطبيعة القريشيين أنفسهم ،

الشق الثاني : يعود لطبيعة أهل الكتاب في عصر البعث النبوية ،

ومع تعدد الأسباب ، إلا أن العلة واحدة تقريباً ، وهي ما نسميه اليوم بالقومية ، والتعصب القبلي ، وهي خصلة من خصال الجاهلية ،

ولنرى أولا ما أوضحته النصوص القرآنية ،
(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) ﴿٤٤﴾ فصلت .

تكشف لنا هذه الآية ، عما يختلج في صدور العرب ، المقيمين في أم القرى ، والقرى المحيطة بها ، من تعصبٍ لعروبتهم ولغتهم ، ولو أن القرآن أنزل بلغةٍ أعجمية ، لامتلكوا الحجة لهجر القرآن ، واعرضوا عن سماعه ، على أنه بلغة غير لغتهم ، فهل كانت حجتهم هذه ، سببها عدم القدرة على القراءة بلغة أخرى ، أو المغالاة بالتمسك باللغة العربية ،

بالرغم مما أوردناه في الكتاب السابق ، من أن جلّ التحريف والتزييف في الأديان ، كان سببهُ نعرة القبلية ، والتطرف في تمسكهم بالأعراف والتقاليد الجاهلية ، لكن علينا ألّا ننكر إن للعرب أعرافاً وأحكاماً وطباعاً محمودة ، يقابلها الكثير من الطباع والأعراف المذمومة تترأسها خصال الجاهلية ، فما هو الجهل وما هي الجاهلية ؟

يشارُ للإنسان بالجهل ، ولا يخلو إنسان على وجهة الأرض من الجهل ، وذلك بعلم أو بمعلومة ، ولا يوصف الإنسان بالجاهل إلا إذا كان يفتقر لكل شيء ، وقد أكون جاهلاً بعشرين علم ، لكنني أمتلك الدكتوراه في علمٍ واحد ، فلا يمكن أن أوصف بالجاهل ، مالم أتحدث بأمرٍ بعيدٍ عن تخصصي ، ولا أمتلك فيه أيّ معلومة ،

أما الجاهلية : فهي من صفات النفس ، والتي تعرف من خلال التصرفات التي نقوم بها والطباع الخاصة بنا ، ورغم أن العقل هو من يحكم التصرفات والأفعال ، والجاهلية طبيعة تتسم بها النفس ، لكنها تؤثر حتى على قرارات العقل ، فثورة الغضب حالة نفسية ، وهي من خصال الجاهلية ، ويمكنها أن تؤدّي لمجزرة بشرية ، ولا يمكن التخلص تماماً من الجاهلية ، إلا حيث يسيطر العقل تماماً على شهوات النفس ، وغرائزها وردود أفعالها ، وقد ذكر بعض الباحثين على أن الجاهلية : التباهي بالأحساب ، والمفاخرة بالأنساب ووصفها آخر بالحالة ﴿١٣٨﴾

....

﴿١٣٨﴾ - عبد الرزاق سليمان ، مفهوم وسمات الجاهلية عند العرب دراسة تاريخية وتحليلية ، [٢٠١٤] ، تايلند : جامعة فطاني ، صفحة [٣٣ – ٤١ - ٤٤] . [٢٠١٠] .
= كما جاء في (ابن منظور ، د . ت ، ص ١٣٠) وجواد عليّ - [١٩٨٠] [ج ١] ، ص [١٣٠] .

(إنّ اسم الجاهليّة يعني : حالة من التباهي بالأحساب ، والمُفاخَرة بالأنساب) ، لكننا نرى أنها أكبر بكثير من مجرد كونها حالة ، إذ يمكننا القول ، بأنها مجموعة من الطباع الموروثة ، تغذيها النفس ، بما تحمل من غرور واستعلاء وحب للمفاخرة ، وتنتعش في بيئة تسودها الطبقية ،
وقد وصف الله الجاهلية في كتابه الكريم ، كما يصف المرض ، وذلك في قوله : -
(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) الفتح .

وتعد الجاهلية ، الطقس المناسب للجهل ، كما يعدّ الجهل أرضاً خصبةً للجاهلية ، وقد قسّم كتاب (مفهوم وسمات الجاهلية عند العرب) الجاهلية وفق مفهومه للنصوص القرآنية إلى قسمين : -
القسم الأول : يدل على الحمية والطيش والغضب ،
والقسم الثاني : أشار القرآن لبعض الأفعال ، بأنها من أمور الجاهلية ، كما ذكر عن تبرج الجاهلية الأولى ، وحكم الجاهلية ،
وخلاصة القول ، فإن مفهوم الجاهلية ينحصر ، بالعصبية القبلية والقومية والتكبر والتعالي عن باقي القوميات ، أو من هم أدنى منهم بالمستوى المالي والاجتماعي ، عليه ، فإن كانت هناك نسبة تشير على أن القرآن جاء باللغة العربية ، لأجل ألّا تكون حجتهم ، عدم معرفتهم باللغات الأعجمية ، وبأن القرآن جاء باللغة العربية ، مما سيجعلهم يعقلون ويتّقون ، كما صرّح القرآن بذلك ، فإن النسبة الأكبر تشير على أن القرآن لو كان بلغة أعجمية ، لما قرأه العرب تعصبا للغتهم ، لا لصعوبة قراءته وفهمه باللغات الأعجمية ، ولو كان بلغة أعجمية ، فليس من الصعب ترجمته للعربية ، وقد ذكرت روايات كثيرة ، عن قيام بعض الصحابة بالاطلاع على التوراة ، وقد نهاهم الرسول عن ذلك ، وهذا يعني أن هناك من يجيد اللغة العبرية ، أو أن هناك من ترجم التوراة للغة العربية ،
ومما لا شك فيه أن القرآن باللغة العربية ، سيجعلهم أكثر تفكراً واطلاعاً على آياته ، لكننا من خلال النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، نقف على حقيقة دامغة ، وهي أن العرب كانوا يكنون للغتهم وأعرافهم وتقاليدهم وأحكامهم ، احتراما وتقديساً وتمسكاً ، ليس له من نظير ، والآية ﴿٥٠﴾ من سورة المائدة ،
(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ،

تزيدنا قناعة ، بأنهم حتى بعد اسلامهم ، كانوا يتوقون للبقاء على أحكام الجاهلية ، هذا فيما يخص الكتاب السماوي ، أما فيما يخص قومية النبي ، فهم أيضاً يتطلعون لنبيٍ ينتمي للقومية العربية ، لكي يتبعوه ، ولولا أن الله أرسل عليهم نبياً منهم ، لكانوا ما يزالون يعبدون الأصنام ليومنا هذا ،

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ﴿٢﴾ الجمعة .

وبالمقابل ، فإن أهل الكتاب ، كانوا يترفعون عن كسب الأميين لدينهم ، والأميّون كما أوضحنا ﴿﴾ هم الذين تربطهم روابط القومية والعشائرية ، ولا تربطهم روابط الدين المشترك ، فاليهود كانوا يترفعون عن باقي الأمم ، بأنهم شعب الله المختار ، ويعتبرون دينهم هدية السماء ، التي تخصهم دون غيرهم ، وهم أصحاب الدين الأكثر عزلةً ، عن بقية الأديان والشعوب ، كما أنهم يعتبرون الأميين من الأجانب وليسوا من أهل الذمة ، فيحلون سرقتهم وغشهم بالبيع والشراء والتجارة ، وجاء في التلمود ما نصه : -

(مسموح غش الأميّ ، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش ، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه) .

وهذا ما علّق عليه الله في كتابه الكريم ،

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ﴿٧٥﴾ آل عمران .

بل وجاء ما هو أشد تعصباً وأكثر عنصرية ،

جاء في التلمود : ((إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأميّ ماله المفقود ، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب)) [سنهدرين ص ٦٧] .

والحديث عن التعصب والحمية الجاهلية لدى اليهود يطول ، ولا ينتهي عند البيع والشراء ، وما يخصّنا هنا هو التطرف والتعصب الديني ، وروح الأنانية في حيازة الدين لأبناء جلدتهم دون الآخرين ، وهم على ما هم عليه ليومنا هذا ، ويكفيك الاطلاع على أحد منشورات منظمة شاباد اليهودية والتي نشرتها باعتبارها من أساسيات أعمالها ،

لا يسعى اليهود لتحويل الآخرين إلى ديانتهم بل قد يحاولون ردع من يبدي اهتماماً بذلك ، وجاء تبريرهم على ذلك أن (كل شخص يولد في هذا العالم وله مهمة خاصة في هذه الحياة وليس من الضروري أن يكون يهودياً ليحقق ما خلقه الله)

من أجله الدين الذي هو منهاج الله لكل البشرية ، يردعون من يحاول الدخول فيه ، بحجة واهية ،
وكأن الدين حرفة يدوية ، وعلى كل إنسان أن يتمسك بحرفته ، فإن كان هذا اعترافاً منهم ببقية الأديان ، على أنها جميعاً أديان أنزلها الله الواحد ، فعلام كل تلك الفتن والحروب ، لبقية المذاهب والأديان ، وكل هذا مما يخالف تعاليم ووصايا موسى وهارون ، فقد أعطوهم صفة المخلص والمنقذ الخاص بهم ، وأصبح دين الله وقفاً ذرياً لبني إسرائيل ،
ولأن النصارى لا يحملون أي اهتمامٍ للدين ، أو حتى الاطلاع على دينهم وما في الأديان الأخرى ، ترى أن التلمود بما فيه من مواد تمس حتى كرامة الشعوب والأديان الأخرى ، قد وجد في كافة المكتبات في الدول التي تعتنق الديانة النصرانية ، لا بل حتى في داخل الكنائس النصرانية ، المتشددة منها وغير المتشددة ، أن اليهود قد حولوا مواجهات النصارى معهم إلى محاربة النصارى للموروث الإسلامي ، وكافة المناهج الإسلامية ،
حتى تلك التي تقرب النصارى وتفضلهم على اليهود ، لأن تفضيل النصارى على اليهود منهاج قرآني ، صرحت به الآية ﴿٨٢﴾ من سورة المائدة .
(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) .
عموماً ، فهذا ما يخص الديانة اليهودية ، وأسباب عدم اعتناق عرب الجزيرة لليهودية ، أمّا فيما يخص الديانة المسيحية ، فعلى العكس تماماً ، فقد كانت تسعى لإدخال كل شعوب المنطقة في ديانتهم ، لكنهم لم يكونوا إلا فرقاً قليلة ، تبشّر بالديانة المسيحية ، وذات تمويل ضعيف ، لهذا كانوا يتصفون بالزهد ، ويبتعدون عن أهل الترف واللهو ، وكان المترفون أبعد الناس عن الاستماع لتلك الفرق التبشيرية ، فيما كان الفقراء من أهل الجزيرة ، عبيداً وخدماً ، لا يسمح لهم بمخالطة أهل الكتاب ، والتمتع بأي فرصة للاستماع لهم ، ومن الأسباب المهمة الذكر ، اتخاذ أهل الكتاب القدس كعبة لهم ، فيما يعني هذا العزوف عن تجارة الأصنام والتربح من حجاج الكعبة ، والتي كانت تدر على القريشيين الأموال والقرابين الوفيرة ، مع ذلك فكما ذكرنا ، أن هناك بعض النفر ، حظي باعتناق المسيحية ، قبل البعثة النبوية ، كما عرف ورقة بن نوفل بذلك ،
وعن قول لابن منّ الله في حديقة البلاغة ، في رده على ابن غريسة :

((وكانت فيهم (أي العرب) ، الملّة الإسلامية ، والشريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قيس بن ساعدة الإيادي ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو من بني عدي)) ﴿١٣٩﴾ ،

وبعد مجيء الإسلام ، وبكتاب عربي ، ورسولٍ بلسانٍ عربي ، كان السبب الرئيس الذي صدّهم عن الدخول بدين الإسلام ، هو العامل المادي ، وليس العقائدي ، فقد كانوا يتربحون من بيع الأصنام ، وقرابين حجاج الكعبة ، خصوصاً أن الإسلام أعلن في بدء البعثة ، أن القدس كعبةً لهم ، على غرار أهل الكتاب ،

وقد نطرح أمراً سيصيب أهل السلف بالكدر ، وهو أن الله لو كان قد فرض الحج لبيت الله منذ بداية البعثة ، لما نشبت تلك الصراعات والحروب ، بين المسلمين والمشركين ، ولكان المشركون قد دخلوا في دين الإسلام أفواجاً ، وسارعوا لاعتناقه دون أي اعتراض ، لأنَّهم بذلك سينتفعون أكثر من الحُجاج ، ويتربحون من الشعائر بذبح الهدي ، وملابس الحجيج ، وضمان بقاء الحجاج وإقامتهم لعشرة أيام مُتتالية ، ورُبَّما كان هذا هو السبب الذي تأخر لأجله ، وجوب فريضة الحج ، إذ فُرض الحج على المسلمين في السنة التاسعة للهجرة ، وتعود المناسك الحالية إلى الحجة الوحيدة ، التي قام بها النبي محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، وهي ما تُعرف بحـجة الـوداع في السنة العاشرة للهجرة ، وفيها قام النبي بمناسك الحج الصحيحة ، وقال : خذوا عنِّي مناسككم ،

كما ألقى النبي ، خطبته الشهيرة ، التي أتم فيها قواعد وأساسات الدين الإسلامي ، وعلى ما يبدو فإن الله أجل فريضة الحج ، لكيلا يكون دافعهم في الدخول لدينه الحنيف ، التربح والانتفاع من هذه الفريضة ، وهي الفريضة الوحيدة التي تأخرت كل هذا التأخير في فرضها ، حتى إن زكاة الفطرة ، فرضت في السنة الثانية للهجرة ، وبالتحديد يوم [٢٩] من شهر رمضان كما فرضت الزكاة ذات الأنصبة ، وشُرّعت صلاة العيد ، وجاء في كتاب السيرة الحلبية ﴿١٤٠﴾ كان فرض زكاة الفطر أول مرّة قبل العيد بيومين ،

وعليه فإن الفرائض كلها تمت قبل السنة الثالثة للهجرة ، بينما تأخرت فريضة الحج ، حتى السنة التاسعة ، وإن كان هناك من يعتقد أن السبب في ذلك ، يعود

....

﴿١٣٩﴾ – نوادر المخطوطات (١ / ٣٢٧) .

﴿١٤٠﴾ - السيرة الحلبية [١-٣] - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ج [٢] .

لعدم قدرة المسلمين من حج بيت الله وتطبيق الشعائر الخاصة بالحج ، فعليه أن يرى إقبال المشركين للدخول بالإسلام بعد فرض فريضة الحج ، وإن كانوا من الطلقاء ، فكونهم من الطلقاء لا يجبرهم على اعتناق الإسلام ، قدر ما اجبرتهم ريادة التجارة والانتفاع من طقوس الحج ، واتخاذ السبل للوصول لمقاعد السلطة في الدولة الجديدة ، ولو قمنا بتكثيف البحث والتحري عن أسباب إسلام الكثير من المشركين ، لرأينا إن قادة الجيش أسلموا في الوقت الذي انهارت فيه جيوش المشركين ، وفقدوا مناصبهم القيادية ، كما أن التجّار أسلموا عند قيام الدولة الإسلامية الجديدة ، بالهيمنة على طرق وخطوط التجارة لمكة والقرى المجاورة ،

وأخيراً استسلم زعماؤهم ، لمّا انتهت وانهارت زعامة قريش ، وسقطت دولة الإفك والشرك ،

وبعد كل ما تقدم ، فما وراء دخول العرب في الإسلام ، غير ما هم عليه الآن ، من جعل الدين مكسباً ووسيلة للعيش ، كما كانت معظم الفتوحات الأموي والعباسية ، لجني مزيداً من الأموال والظَفَر بالجواري ، وقد تطرقنا لذلك في الكتاب السابق .

الفرع الثاني

ما وراء اتباع بني إسرائيل لموسى -ﷺ-

لم نشأ أن نجعل عنوان هذا المطلب على غرار المطلب السابق ، لنكتُب ماذا وراء دخول بني إسرائيل لليهودية ، لأن اليهودية لم تكن زمن النبي موسى ، بل كان الإسلام ، وهذا الأمر بحثناه أيضاً في الكتاب السابق ، وقلنا إن الله لم ينزل من دينٍ غير دين الإسلام ،

وعلينا أن نفهم ، أن قوله تعالى في القرآن ، إنَّما الدين عند الله الإسلام ، يعني أنَّ الإسلام هو الدين الذي أقرَّهُ الله وأنزلهُ ، مُنْذُ بعثة الأنبياء حتَّى ختام الرسالات ، وأن الأمم السالفة هي من غيرّتْ منهاج الدين ، (راجع شبهة التفضيل بين الأديان - ﷺ)

ودعنا الآن ، ننظر لحياة بني إسرائيل ، في زمن النبي موسى : -

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) ﴿٤٩﴾ البقرة .

بداية ، فإن استقبال المسلمين للخليفة ، سيكون مثل استقبال بني إسرائيل لموسى -ﷺ- ، ويعود السبب في ذلك إلى أن بني إسرائيل لم يكونوا من الكفار ، ولا من المشركين ، حين قدم موسى المخلّص إليهم ، فقد ورثوا من إبراهيم يعقوب وإسحق ، دين الوحدانية ، وهذا بالضبط حال المسلمين عندما يأتيهم الخليفة ، وهو حال اليهود والمسيحيين الآن كذلك ،

فإذا كان بنو إسرائيل على دين إبراهيم الحنيف ، فما دعاهم إذن لعبادة العجل ، والجواب نجده في الآية أعلاه ، (البلاء العظيم) ، الذي كانوا فيه ، وما كان آل فرعون يجبرونهم عليه ، من عبادة فرعون كإلهٍ أعلى ، وعبادة الأوثان كرهاً ، والتي تمثل آلة منتخبة فرضها آل فرعون ، ما جعلهم يتركون العبادات جبراً ، ويتناسونها شيئاً فشيئاً ، رغم أن المدة بين دخولهم مصر مع نبي الله يعقوب وبين مجيء موسى -ﷺ- ، لم تتجاوز الأربعمائة سنة ﴿١٤١﴾ ، وهي مدة لا يتصور فيها النسيان

....

﴿١٤١﴾ - حياة بنى إسرائيل في مصر بين حقائق الدين ومصادر التاريخ / هشام سرايا .

لإلههم الذي أشار له الأنبياء من قبل ﴿١٤٢﴾ ، كما أن مخالطتهم لآل فرعون ، صوّرت لهم رُبَّما ، أن آلهة آل فرعون المتجسدة في الأوثان والأصنام ، وبشخص فرعون نفسه ، هي السبب فيما كان آل فرعون يعيشون فيه من الترف ورغد العيش ، لكنَّهم بالتأكيد قد اكتسبوا آلية الدعاء لله عن طريق تجسيده في الأشياء ، ويجدر الذكر هنا ، أن قضية التجسيد مرّت بها كل الأمم ،
سواء من عبدوا الله الواحد واختلقوا الأصنام لعبادته من خلالها ، أم عبادة الأشياء التي خلقها الله نفسها ، كالشمس والقمر والكواكب والنار والبحار والملائكة ،
ورغم أن من البديهيِّ ، أن يكون الله في عزَّة وعظمة ، تمنعنا من أن نراه بالعين أو نلمسه باليد ، لكن الشوق للتواصل معهُ والتعرف إليه ، كان من الصعب على بني آدم التنازل عنهُ ، وأن الله سبحانه جلَّ من أن يدخل هذا الكون المادي ، لذا أوجدت خيالاتهم ما أوجدت من بدائل ، وقد قدّر الله فينا هذا الضعف وهذه الحالة المُلحّة ، لذا اختار أنبياءه على قدرٍ عظيمٍ من الهدى والورع ، وما من فضيلة ومنقبة لبشرٍ قط ، سواء لمن اتبعوهم أم لمن عاصروهم سلام الله عليهم ، إلّا وعلينا مضاعفتها ضعفين أو ثلاثة وحتى العشرة أضعاف ، في شخص الأنبياء والرسل ، إذ كانوا يمتلكونها ، ويمتلكون معها كل الفضائل والصفات المحمودة ، لأن الله يريد أن يرينا قبساً من نوره وهداه فيهم ، ومن الرائع ما ذكره علماء المذهب الشيعي نقلاً عن أئمتهم ، بأن مثل نور الله الذي جاء في الآية القرآنية ، (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ﴿٣٥﴾ النور .
هو تشبيه بين نور الله -جل وعلا- ونور محمدٍ وآله بيته ، ولو أن هناك من تعايش معهم ، أو اطَّلع على كل مناقبهم في افعالهم وأقولهم ، لأقسم يميناً معظمة على أنهم ذلك النور الإلهي والسراج السرمدي ،

....

﴿١٤٢﴾ - كما ذكر الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية المصرية السابق في لقاء له على الفضائية المصرية الأولى ، وفي برنامج (مصر أرض الأنبياء) على أن المدة بين دخول يعقوب -ع- مع بنيه ، وبين مجيء موسى لم تتجاوز الأربعمائة سنة ، وقال إن سيدنا يوسف أنجب عمران أبو سيدنا موسى .

كذلك كان عيسى وأمه الصديقة -عليهما السلام- ، وكذلك كان إبراهيم وآله ، وبالعودة لموضوعنا عن أسباب اتباع بني إسرائيل لموسى ، نجد أنَّهم سواء آمنوا بكلِّ ما جاء به موسى من منهج ، أو لم يؤمنوا ، فما كان عليهم إلا المضي معه ، تخلصاً من بطش آل فرعون ، وذلة العيش التي كانوا يعانون منها ، وهذه الفئة على ما يبدو ، هي الفئة الأكبر عدداً ، ممن اِتبع موسى من بني إسرائيل ،

(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ **عَلَى خَوْفٍ** مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) ﴿٨٣﴾ يونس .

وأمّا الثّلة التي آمنت لموسى ، فقد كانت تخشى على نفسها فتنة فرعون ، وعلى ما يبدو فإن فرعون وقومه ، كانوا يتدخلون في كل مفاصل الحياة لبني إسرائيل ، وهذا هو السبب الذي أعطى لبني إسرائيل البراءة ، ولم يجعل الحكم عليهم كظالمي لأنفسهم ، وفقاً للآية التي صرحت بهذا الخصوص ،

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ﴿٩٧﴾ النساء .

فلمَّا كان قوم فرعون يسومونهم سوء العذاب ، ويجبرونهم على عبادة فرعون ، والتخلّي عن عبادة الله الواحد ، فوجب عليهم وبناء على شرع الله ، أن يهاجروا ويتركوا أرض مصر ، بكل الوسائل والسبل المتاحة ، لكننا ومن خلال الاطلاع على النصوص التي ذكرتها الكتب السماوية ، والتي بينت لنا حال بني إسرائيل ، نجد أن من المحال عليهم الإفلات من قبضة قوم فرعون ، وبالفعل فمع آيات موسى التسعة ، أبى فرعون أن يسلم بني إسرائيل لموسى ، ولولا أن باتوا مغرقين ، لما تركوهم أبداً ، هكذا كان حال بني إسرائيل ، فلا عجب أنهم اتبعوا موسى اتباع المضطر ، وبعد ذلك سيكشف الله لهم أنفسهم وإيمانهم الحقيقي ، من خلال ابتلائهم ومن خلال مختلف الفتن التي سيمرون بها ،

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿١٢٨﴾ الأعراف .

وبهذا فإنَّ لنا صورة مقربة جداً ، ممن سيتبعون الخليفة القادم ، وما سيجري لهم مع الخليفة ، بل تكاد الصورة أن تكون مطابقة ، وقد نرى أن المسلمين لم يتعرضوا لعبادة الأوثان ، أو مخالطة عبدة الأوثان ، كما تعرض بنو إسرائيل مع آل فرعون ، لكن الحقيقة أن جميع الفرق تعرضت لذلك ، بموالاة أعداء الله بدلاً من موالاة أنصاره ، والدليل وجود فرقة واحدة ناجية بمنهجها ، وليست ناجية

بجميع أتباعها كما ذكرنا ، ومرّ بنا أن مفهوم الإشراك بالله هو اتباع غير الله ، بحركاتٍ وعبادات أو بإيمانٍ عقائديٍ وطاعات .
ولمّا كان خـــلاص كل بني إســـرائيل باتباع مـــوسى ، فما كان منهم بعد ذلك ، (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب (أمي) إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية) ،
ولنقف هنا هنيهة ، على دليلٍ دامغ ، يقضي بأن الأمي ليس من يقرأ ويكتب ، وإلّا لما فرّق اليهود بين الإسرائيلي ، والأمي ، فهم يشيرون للقريشيين ، بعبارة (الأمي) ، وماذا بعد (إذا ضرب أمي إسرائيلياً فالأمي يستحق الموت ، وإنه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما .... ، ولما .....) ، (النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان) ،
(إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر) كل هذا ويزيد جاء في التلمـــود ، ونقلت العينة من كتب متفرقة ، للتأكد من ترجمتها بشكل صحيح ، وهي : كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود من الصفحة { ٧٣ – ١١٢ } ، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود [محمد علي البار] ، وكتاب إسرائيل شاحاك { ١١٩ – ١٥٠ } .
هكذا نرى كيف تحول الإسلام ، الذي جاء به إبراهيم وإسحاق وموسى عليهم السلام ، إلى مؤسسة قومية ، كما مرّ بنا بسبب اتباع العرب ، ويبدو أن القضية مبيت ، منذ انتقالهم مع موسى -ع- ، فقد عرف عن اليهود ، تحويل كل أمر ديني أو دنيوي ، إلى تجارة رابحة ، حتَّى في قضية عبادة العجل ، فكانوا يتطلعون لمنهج تجاري للقرابين والأضاحي ، بل حتى في عدم صبرهم على طعام واحد ، كان بهدف البيع والتجارة في مختلف الأطعمة ، كما إن سبب مجابهتهم لنبي الله عيسى -ع- ، كان سببه ما جابههم عيسى النبي ، من تحريم الربا ، وبقية البيوع المحرمة ، وسحب البساط من الكهنة والأحبار ، في تولّي قدس الأقداس ، وإذا لم نمتلك شواهد تأريخية ، فحاضرهم ينبينا عن ماضيهم ، وكيف ملؤا العالم بالمصارف الربوية ، وكيف نشروا ثقافة العولمة ، المهم إنَّنا سنصل إلى مرادنا من الخوض في غمار ما خضنا فيه ، في نهاية الفرع الثالث .

الفرع الثالث

ما وراء اتباع الناس لعيسى -ع-

لم يكن هناك من ديانة في بلاد الشام غير اليهودية ، ولم يكن غير بني إسرائيل ، من يمتلكون ديناً ، في الفترة التي بُعثَ بها عيسى النبي ، ورغم أن رسالة نبي الله عيسى كانت عامة للناس جميعاً ، وخاصة لبني إسرائيل ، فلم يكن لبني إسرائيل من تفاعل مع رسالة النبي عيسى -ع- ، إلَّا في محاربته ، ومحاربة القلة القليلة ممَّن اتبعوهُ من بني إسرائيل ، ومن اتبعه من باقي الأمصار ، ممَّن لا دين لهم قبل النصرانيَّة ، لذا ووفق أحداث التأريخ ، فقد كادت رسالة عيسى ألّا يبقى من أثرٍ لها ، بعد القضاء على معظم أنصاره ومطاردتهم ، أو نفيهم من البلدان ، إذ كانت شوكت اليهود قوية للغاية ، لأنَّهم كانوا يحققون مطامع السُلُطات الرومانيَّة في البلاد ، مقابل ما يتلقونه من دعمٍ وحماية من قبل تلك السُلُطات ،
حتى جاء من قلب الموازين كلها ، رغم ما زيّفه وحرّفه في الرسالة العيساويَّة ، ولا نريد سرد وقائع تأريخية معروفة ، أو ما مررنا به من حديث ، فإن ما وراء دخول الناس للمسيحية ، هو تجرده عن الالتزامات والعبادات شيئاً فشيئاً ، حتى بات مستقرّاً على المستحبات من الأدعية والصدقات ، لكننا سنبحث بشكل مستعجل ، عن سبب ما نجده من بعض التفضيل للمسيحية على اليهودية ، وما جاءت به النصوص القرآنية بهذا الشأن : -
(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ **مَوَدَّةً** لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ **لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المائدة .
فما يمكن أن نستنتجه من أسباب لذلك ، وهدفنا من كل هذه المباحث ، السعي للتعرف على ما يرضي الله عن عباده ، ولكيلا نسهب في الحديث ، سنجمع الأسباب المتوقعة في خمس فقرات : -
الفقرة **الأولى** : لمّا كان الرسالة العيساوية ، قد تلت الرسالة الموسوية ، فمن آمن بالنصرانية ، ربما كان يهودياً ، أو مؤمناً باليهودية ، وانتقاله للنصرانية ، دليل لا يقبل الشك ، أن هدفه مرضاة الله فيما يعتنق من دين ، وهذا ما يشير إلى أن هذه الفئة من أفضل الفئات المؤمنة بالله آن ذاك ، سواء من اليهود أم من المسيحيين

أنفسهم ، وقد ذكرنا أتباع الناس للنبي عيسى ، إذ كان هناك من بني إسرائيل زمن النبي موسى ، ولكن بالتأكيد ، لم يكن هنام من مسيح ، قبل مجيء المسيح ، بل كانوا أيضاً من بني إسرائيل ، ولكن من اتبع النبي عيسى ، لم يكن منهم ، إلا ثلّة ، تكاد لا تُذكر .

الفقرة **الثانية** : لمّا توصّل مرقص لإقناع الناس ، بقضية ابن الله حاشاه ، وإعطاء نبي الله عيسى منزلة الربوبية ، فمن الصحيح أن من بقي على منهج الحق ، لم يعبده ، ولم يجعله بمثابة الرب ، لكن الوازع العام ، جعلت لنبي الله قدسية ومنزلة رفيعة ، وهذه القدسية والمنزلة ، هي ما يريدها الله لأنبيائه ، من قبل عامة الناس ، أي إن المؤمنين من النصارى ، ومن اتبع مُرقص فيما حرفه من اعتقادات ، لا يختلفون بشأن قدسيّة نبي الله والصّدّيقة مريم ، ولا في طاعتهم وتوقيرهم ، لكنهم يختلفون بشأن ما إذا كان نبياً أو كما يزعمون ، إنه ابن الله -ﷺ- ، وهذا ما جعل من قلوب تلك الفئة خاشعة ، بعيدة عن الاستعلاء والتكبر ، فرغم أن اليهود فعلوا ذلك مع نبي الله عزير ، لكن اليهودية دين منغلق ، ودين طبقي كما مرّ بنا ، فيما جاء به التلمود من أحكام .

الفقرة **الثالثة** : الظروف الزمانية والمكانية ، يمكننا أن نستشعر مما مر من أحداث تأريخية ، أن الحروب التي تحل بالبلدان ، تولّد القسوة والعنف والفساد ، وفقدان المشاعر الإنسانية ، وذلك على العكس مما لو مرت الأمراض والأوبئة ، إذ ترى الجميع متعاطفاً مع الجميع ، والانشغال بالتوجه إلى الله ، خصوصاً في حال عجز الطب من إسعاف الناس والسيطرة على الوباء ، وهذا ما نشهده بالفعل فيما يمر علينا من جائحة كورونا ، وهي ما أطرت الكثير من التعاملات بين الدول بالمودة ، وأحيت التهافت على مساعدة الدول المنكوبة ، والتبرع بالمستلزمات الطبية ، بغض النظر عن المدخول المادي ، أو المنفعة الخاصة ، وهو ما كان عليه الحال إبان البعثة العيساوية ، وما هيأته السماء من تفعيل معاجز نبي الله ليشفي المرضى ، ولكيلا تُفهم العبارة الأخيرة بشكل خاطئ ، فنحن نعني بما هيأته السماء من تفعيل ، ولا نعني أن السماء أنزلت الأوبئة والأمراض ، لأجل اخضاع الناس لمعاجز النبي في الشفاء ، فليس من الصعب أبداً ، أن تكون معاجز النبي بأي كيفية لخدمة الناس أو لمجرد الإثبات لهم ، بأن من يحمل هذه المعاجز هو نبي ، وإنها معاجز إلهية ، لا قدرات بشرية خارقة ، وهذا بالفعل ما جرى على كل الأنبياء ، فلم يأتوا جميعاً بالمعاجز نفسها ، ولم تنتشر الأمراض في كل الأزمنة التي عاشوها ، المهم

أن نعلم الآن ، أن تلك الظروف ، أدت إلى تبلور المشاعر الإنسانية مع اعتناق الرسالة وتعاليم الرب .

الفقرة **الرابعة** : قصة نبي الله عيسى ومنهجه ، فللقصة التي يعرفها أتباع الديانة المسيحية عن نبي الله عيسى ، طابع من التضحية والفداء من أجل الآخرين ، والقصة وإن كانت لا تطابق الحقيقة ، إذ إن عيسى رفع إلى السماء ، ولم يصلب لدفع الثمن عن ذنوب أتباعه ،

لكنها وبكل الأحوال ، تثير التعاطف ومشاعر الرأفة والتراحم ، وقيام المسيحيون بحمل الصليب ، تعبير عمّا كابده عيسى النبي من ظلم ، وهذا الظلم وقع عليه بالفعل ، حتى وإن لم يصلب حقيقة ، ابتداءً من اتهام امّهُ با( ) حاشاها ، واتهام الابن ، بابن الـ( ) حاشاه ، حتى تخلى عنه الجميع ممن حوله ، لذا فإن قصة النبي عيسى ، قصة مأساوية مليئة بالظلم والافتراء ، ومن يتعاطف مع قصته ، فلا بد من أن يخلو قلبه من الظلم والافتراء ،

نزيد على ذلك ، ما عرف عن منهجه ، من تسليم الخد الأيسر لمن يضربك على خدك الأيمن ، ومن تعاليمه التي تحظّ على التسامح والتآخي ،

كل ذلك جعلت من بعض أتباع عيسى النبي ، من أصحاب القلوب الرحيمة والعطوفة ، ومن سماتهم التواضع والطيبة ، وكل ما تقدم يشير لنا عن سبب المودة القائمة ، بين المسيحيين وبين الشيعة ، فالشيعة لديهم من المصائب ما يعلو ويسمو عن مصيبة نبي الله عيسى ، من ضرب فاطمة البتول بنت الرسول المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله ، واستشهاد زوجها وأبناءها ، وما يخصُّ الواقعة الكبرى في كربلاء ، واستشهاد سيد أهل الجنة ، الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، وسبي أهله وعياله ، لذا تجد قسماً كبيراً من المسيحيين في لبنان ، يشاركون الشيعة مراسم العزاء يوم عاشوراء .

الفقرة **الخامسة** : رد الفعل ضد منهج اليهودية المتعالي عن البشرية ، ولمّا كانت التعاليم التي أوجدها رهبان اليهود ، تعاليم تحظ على الاستعلاء والاستكبار ، فقد اعتادت البشرية ، أن يكون رد الفعل دائما ، يزيد عن مقدار الفعل ذاته ، لذا مثل اليهود الجناة والظلمة في ذلك العهد ، ومثل النصارى المجني عليهم والمظلومين .

ولا يفوتنا القول ، إن الرسول الأعظم لقي أضعاف ما لقي عيسى النبي من ظلم ، فهو بالإضافة لما لقيه من أذى وحروب كثيرة ، ومؤامرات لا حصر لها ولا عدد ، وإيذاء الكفار لأقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه ، فإن المظلمة الكبرى عليه تكمن

في تصوير منهجه الشريف ، على أنه منهج العنف والإرهاب ، وإغفال الروايات المتعددة عن تسامحه وسماحته ، مع ذلك اليهودي الذي كان يؤذيه ليلاً ونهاراً ، والأعرابي الذي شد عباءة النبي ليطلب منه أمراً ، ومن أراد أن يقتله في معركة الرقاع ، وعفوه عن الطلقاء الذين حاربوه على مدى سنين البعثة ، لا بل يكن ليمر يوم عليه صلوات الله عليه وعلى آله ، إلا كان الأذى نصيبه من قومه ، وبقيت تلك الروايات وغيرها الكثير ، مكانها في الكتب ، وزمانها في الخطب ، إن أهمية ما استعرضناه ، انما يمكن في التعرف على أن التسامح والعفو والتواضع ، كلها سمات تجعلنا مؤهلين لمرضاة الله ، ومؤهلين لنصرة خليفته الموعود ،

وقد منّ الله على الفرق الشيعية ، بما يحيونه من شعائر حسينية ، تذكرهم بالظلم والجبروت ، وتشدهم للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الله ، فكل تلك الشعائر والطقوس والبكاء والإنشاد ، تجعل بينهم وبين آل الرسول ، مودة الأهل وروابط الأسرة الواحدة ،

فهذه المأساة العظيمة وما أصاب سبط الرسول من طعن وذبح ، تجعلهم يستهينون بمصائبهم الدنيويَّة ، ويتمنَّون كلّ سنة ، أن ينصروا الحسين الشهيد ، وأن يستشهدوا دونه ، فلا يشربون الماء حتَّى يتذكروا عطشه ، ولا ينتجعون بجوٍ بارد حتى يذكروا شمس كربلاء أيام المعركة ،

وهذا هو المطلوب من أنصار خليفة الله ، وهذا هو المؤمل وجوده من الصفات فيهم ،

(مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم** مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ﴿٢٩﴾ الفتح .

وما نأمله من كلِّ ما مرّ بنا من فروع ، هو التذكير الدائم ، بقصص الأنبياء ، وما لقوه من أممهم ، تلك التي اختارت الدين للتجارة والعلِّية ، وتلك التي اختارته لسهولة التزاماته ، بعدما جرده بعض المنافقين من كنهه كدين ، وتلك التي حولته لقومية ، وراحت تغزوا البلدان وتهلك العباد ، بحجة تنشره وتبليغه ، فلو كان لديك أي طالع ينبيك بميلٍ أو هوى ، لاتباع الخليفة القادم ، ولو بالحلم من النيل من أعداء المذهب المضللين ، فتخلص من كل ذلك ، كما تتخلص من السموم ، لأنها لن تقتل غيرك ، ولن يكون غيرك الخاسر . لا سامح الله -جل جلاله- .

الفرع الرابع

المغفلون من الشيعة وأهل الجماعة

إذا كان هناك ثلاث مليون شيعي ، فهناك مليون من الشيعة المُغفّلين ، ورُبَّما ضعف هذا العدد أو يزيد ، وهذه هي حال أهل الجماعة رُبَّما ،

فبالرغم من أن التطور العلمي المهول في مجال التواصل الاجتماعي ، الذي ساعد في تلقي المعلومة بعيداً عن حلقات التضليل والتعتيم ، والتي يقوم بها زعماء بعض المذاهب ، لأجل ألّا يكتشف رعاياهم ما هُم فيه من ضلال ، أقول بالرغم من هذا التطور فإن النتيجة ، أن أغلب المسلمين ، هجروا الاطلاع والبحث في دينهم ، حتى عاد أمراً كمالياً ،

لذا ترى بعضهم يحارب المذهب الآخر حرباً دامية ، لكنّهُ لم يختبر نفسه ليعرف ، أنَّه وبكُلِّ ما يحمل من عقيدة ، من أشدِّ المناصرين لذلك المذهب ،

وترى الكثير من المسلمين ، لا يعلمون على من يترضَّى ، ومن يلعن ، لا بل قد يترضى على شخصين ، خالف نهجهما الآخر ، وقتل أحدهما الآخر ، كحجر بن عدي ، الذي قتله معاوية بن أبي سفيان ، وكمعاوية الذي حارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- ، وقتل آلافاً من الصحابة ، أبرزهم عمّار بن ياسر ، ولأن الرسول الأعظم قال في عمار ، تقتلك الفئة الباغية ، جاء خُدّام السلاطين بتفسير ، أن علياً -عليه السلام- ، هو من قتل عمّاراً ، إذ جاء به مع جيشه ، وكأن عمّاراً مسلوب الإرادة ، ولا يعلم من هو عليّ -عليه السلام- ومن هو الآخر ، أم ترى الرسول الأعظم لا يعلم من حاربه على مدى سنين بعثته الشريفة ومن هم ذريَّته ، ومن ناصره من اللحظة الأولى ومن هُم ذريته ، عليُّ الذي لم يفارق الرسول الأعظم قطُّ ، حتَّى فارق صلوات الله عليه وعلى آله الحياة وهو بين ذراعيه ، وفيما انشغل الجمع بالخلافة ، انشغل أمير المؤمنين بالنعش المبارك ،
كلُّ هذه المغالطات والمئات من مثلها ، كان سببها الكرسي ، وإمارة المسلمين من بعد الرسول -صلى الله عليه وآله- ،
ولكن لماذا قلنا في مطلع الحديث (وهذه هي حال أهل الجماعة **رُبّما**) ، ولم نتكلم بحتمية كما تكلّمنا عن الشيعة ،
الجواب لأن منهج الشيعة ، منهج صعب وخطاه دامية ، فلطالما وعلى مدى عهود طويلة ، كانوا ضد السلاطين ، وضد أهل البطش ، لذا تراهم فقراء ، رغم

أنه تعالى وكأنَّهُ وضع النفط تحت أقدامهم ، سواء في السعودية أو في العراق ، إلّا إن حكامهم من أهل الجماعة ، لا يجعلون لهم أي سُلطة ، ولا يمكنوهم من أيّ ثروة ،
المُهم أن نعرف هنا ، إن الكثير من الشيعة ، لو دققت في الحديث معهم ، ترى ميولهم ومنهجهم ، هو منهج أهل الجماعة ، ورُبَّما الأكثر من أهل الجماعة ، تراه على خطى ومنهج الشيعة ، ولكنَّهم لا يعلمون ، أمّا لأنَّهم لم يختبروا أنفسهم ، ولم يطّلعوا على منهج الشيعة ، بل حتَّى على نهجهم ، أو إنَّهم مضللين بأخبار كاذبة عن الشيعة ، أو أنَّهم يعلمون أن الشيعة على حق ، ولكن لا يستطيعون ترك مناصبهم ، وأن يتعرضوا للقتل ، إذا أعلنوا تشيعهم ، كما جرى ذلك في بعض البلدان العربية ، بل في معظمها تقريباً ، وهذا ما يؤكد كلامنا السابق ، من أن الخليفة وعلى أي مذهب كان ، فسيكون أنصاره من مذاهب مختلطة ، ورُبَّما معادية لبعضها ،
وتوقَّع بما لا يقبل الشك مطلقاً ، إن هناك من سيحارب الخليفة ، في بدء الدعوة ، قبل حتَّى أن يتعرَّفوا على نهجه ، لا لشيء إلّا ، لأنَّه ينتمي لمذهب ، في خلافٍ مع مذهب هؤلاء ، وبعد هذا ، وبعد أن يتفاعل قسم من الشيعة وقسم من أهل الجماعة ، ويتعايش كل من هؤلاء وهؤلاء ، مع دولة الخلافة ، يبدأ الحراك المنهجي ، ويكتشف بعضٌ من الشيعة بأنَّهم ، كانوا من أهل الجماعة ، طوال حياته ، لكنَّهم لم يكونوا قد اختبروا أنفسهم ، ويكتشف الكثير من أهل الجماعة ، إنَّهم على المنهج الشيعي ، ويتقبّلون كل ما جاء به من نهج ومنهج ، لكن هناك من ضللهم ، أو إنَّهم لم يختبروا أنفسهم لاكتشاف هذا الأمر .

وهناك من الروايات ما لا يحصى عددها ، والتي تحدثت عن إيمان البعض بعد سماعه أو رؤيته الرسول الأعظم ، وتعرفه على الإسلام الحق ، بينما عادى الإسلام البعض ، لأنّهُ تعرَّف على الإسلام من غير مصدره ، ولم يفتنا تذكر قصة الحر الرياحي ، وما نقل عنه ، وقصت ذلك الشيخ الذي التقى بعلي بن الحسين عليهما السلام

: ((جاء شيخ ودنا من نساء الحسين وعياله وهم في ذلك الموضع فقال الحمد للّه الّذي فضحكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم ، فقال له علي بن الحسين -عليهما السلام- ، يا شيخ هل قرأت القرآن قال نعم قال فهل عرفت هذه الآية (لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى) ، قال الشيخ نعم قرأت ذلك ، فقال الإمام فنحن القربى يا شيخ ، فهل قرأت في بني إسرائيل (وآت ذا القربى حقه) ، فقال الشيخ قد قرأت ، فقال عليه السلام فنحن القربى يا شيخ .....))

وهكذا استمر الحوار حتى ، أسف الشيخ أيّما أسف وندم أيما ندم ، وبكى ودعا الله أن يغفر له تجاوزه ، ويقبل تبريه من آل سفيان ، وهكذا ، ما أن يتفعّل الإنسان مع ما يؤمن به من مبدأ ، يتخذ قراراً موافقاً لمنهجه .

فتخيل الأعداد الغفيرة ممن ، سيتحولون إلى التشيع ، وممن يتحولون من التشيع إلى مذهب أهل الجماعة ، أو ربَّما ، من يتجه لدينٍ آخر من الفرق الإسلامية ، إذا لم ينسجم نهج الخليفة وآمالهم ، والمؤكد هو تحول أهل الكتاب إلى الإسلام ، طمعاً بموالاة الخليفة ، ممَّن يرى العدل السماوي غاية آماله ، ومنتهى تطلعاته ، ولكن هذه الغفلة غير محمودة ، فبئس من يحمل ديناً لا يفقه أحكامه ، ويفاجأ أنه لم يكن يفقه فيه شيئاً ، وقد حارب من منهجه مع ما يتطلع من منهج ونهج ، لكنه حين يشتري نعجة ، يقلبها من كل جهة ، حتى يعلم مريضة أم ضعيفة أم كبيرة ، قد ضربت أم جرحت أم كسرت ، فما تقول بمن يشري نعجة ، ثم يكتشف أنها معزة ، لا بل الفَرْق بين الفِرَقِ الإسلامية كالنعجة والبعير ، مع بالغ احترامنا واعتذارنا من هذا التشبيه ، ولكن الأمثال تضرب ولا تقاس ، وقد جرنا المثل لذلك ، المهم تفقد دينك ألف مرة ، حتى لا تكون كمن اشترى نعجة وظنَّ أنها بعيراً ، أو العكس ، المهم أن تشتري ما تبغيه حقاً ، ولا تنساق إليه بحكم الجاهلية .
(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ﴿٩٧﴾ النساء .

فلترى ما مصير هؤلاء ، وهم من المستضعفين في الأرض ، فما يمنعك الآن وأنت سيِّدُ صدرِك ، وصاحبُ آفاق فكرك ، فإذا كان القانون لا يحمي المغفل ، فالدين يلعنه ويزج به في جهنم ، ونعني طبعاً ، الغفلة في الدين والمنهج الحق وسبل الحق .

المبحث الثاني

المهدي في روايات الفرق

جوهر التفريق بين الشيعة والجماعة في قضية المهدي

لن يطول بنا البحث في هذا المطلب ، فكلّ ما سنستعرضهُ ، هو لبّ التفريق بين مهدي الشيعة ، ومهدي أهل الجماعة .
كم سمعتَ عن الخلافات بين أهل الجماعة والشيعة ، في قضية الإمام المهدي المنتظر ، وهناك من قال إن ما من خلافٍ بين الشيعة وأهل الجماعة إلا في مسألة المهدي المنتظر ، وهناك من ادعى إن فرقة الشيعة ، قام منهجهم على قضية الإمام المهدي ﴿١٤٣﴾ ، ولو اطلعت على كمّ الكتب والمقالات التي سَخَرَتْ من رأي الشيعة في المهدي ، لظننتَ أن أهل الجماعة ، لديهم أحاديث وروايات تختلف عمّا لدى الشيعة ، اختلافاً هائلاً ، ولكنّك ما إن تطّلع على كتب الفريقين ، حتَّى تُدهش ، إذ ما من رواية ذكرها الشيعة ، إلّا وأقرَّها أهل الجماعة ، مع بعض التعديل بسيط ، إذ إن الفرق تقريباً ، يكمن في أمر واحدٍ لا ثاني له ،
فما عليك إلَّا أن تُخرج اسم علي بن أبي طالب -ع- بشكل مباشر ، أيّ إنّ كلّ الخلاف بين الشيعة والجماعة ، يكمن في أن المنتظر ، هو الحفيد المباشر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد -صلوات الله عليهم أجمعين- ، وإنّه الحفيد التاسع للإمام الحسين الشهيد -ع- ، لدى الشيعة ، فيما يؤكد أهل الجماعة أنّه حقاً من ولد علي وفاطمة ولكن لم يخلق بعد ، أي هو انسان اعتيادي ، يصلحه الله بين ليلة وضحاها ، أمّا السلفيّة ، فهم من عظيم بغضهم لأمير المؤمنين علي ، يذكرون نصف المعلومة فقط ، أي المهدي هو من أبناء فاطمة كيلا يأجج غضبهم ذكر اسم زوجها علي بن أبي طالب -عليه السلام- ، وبما أن الشيعة يقولون إنّه من أولاد الحسين ، فالسلفيّة وبعض الجماعة يقولون إنَّه من أولاد الحسن ، لأنهم إذا أقرّوا أنه من أولاد الحسين -عليه السلام- ، فعليهم رُبَّما الإقرار بالأئمة التسعة من ذريته ، وبذلك أبعدوا الأضواء ، عن الحسين وذرية الحسين ، كيلا يقوم المهتم بقضية المهدي ، بقراءة تاريخ الحسين -عليه السلام- ، بما أن المهدي من ولده ،
ولدى النظر في رأي كلٍّ من الشيعة والجماعة ، نجد أن رأي الجماعة هو الأقرب علمياً والأوضح من روايات الشيعة ، بدل ان نؤمن أن هناك إماماً غاب واختفى ،

....

﴿١٤٣﴾ - عقد الدرر في أخبار المنتظر يوسف بن يحي بن علي بن عبد العزيز المقدسي المحقق : مهيب بن صالح بن عبد الرحمن البوريني .

ثم إنَّه سيظهر بعد مئات السنوات وربما الآلاف ،
ولكن هُناك أمر مهم يقلب الموازين رأساً على عقب ، وهو ما أشرنا له سابقاً ، من أنّنا ، إمّا أن نؤمن بأن القضية برمتها ، مسألة سماويّة ومشيئة إلهيّة ، أو إنّها قصة يكتبها جماعة من البشر ، فنستحسن واقعيتها ، ونتقبل حبكتها الدرامية ، وأحداثها الحياتية ،
وعلينا بذلك أن نتنكر لكل ما سمعناه وقرأناه في الكتب السماوية ، عن قصص الأنبياء ، وبالأخص قصة أصحاب الكهف ، لأنها الأقرب والأكثر اندماجاً مع قصة الخليفة المهدي ، بل وتكاد أن تكون صورة طبق الأصل عنها ، وكذا عمَّن أماته الله مائة عامٍ ليريهِ الله كيف يحي الأرض بعد موتها ،
بل وهي الروايات المتوقعة عن شخصية مثل خليفة الله ، فهو خليفة ولد من أبٍ نبراسٍ للجهاد ،كريمٍ جواد ، عابدٍ سجّاد ، باقرٍ لعلوم الدنيا وأحكام العباد ، كاظمٍ وصادق مقداد ، مهتدٍ هادٍ ، وهكذا توقد من شجرة مباركة ، وهي شجرة آل بيت الرسول الكريم ، لا بل لم نجد في تأريخ البشرية ، إن هناك من أصلحه الله تعالى في ليلةٍ وضحاها ، وقضية ليلة وضحاها ، في الحقيقة تخالف كل الموازين العلميّة والعقليّة ، وما ذكرته القصص السماويّة ،
فكيف نتحدث عن أن للإنسان موقفاً ينبع من حصيلة إيمانه ، ومن ثم نؤمن بوجود من يصلحه الله بيومٍ وليلة ، وهذه الفكرة سنطرحها للبحث ، ومن أين أتت ، وكيف وصلت إلينا ، وعليه حاذر من صديقك مهما كانت تصرفاته ، ومهما كان إيمانه ، فلربَّما يتحول بين ليلة وضحاها إلى خليفة لله حاشاه ، بما إنه تعالى سيصلحه بين ليلةٍ وضحاها ،
هل يعلم هؤلاء القوم ثقل هذه الكلمة ، وعظمة ذلك المنصب ، أم لأنَّهم حوّلوا الله إلى شاب أملط (استغفر الله وحاشاه) ، فقد استخفّوا بشخص خليفته ،
= الخليفة الذي هو أول علمٍ تعلّمهُ آدم ، وأول علمٍ تعلمتهُ الملائكة ، وسبب نبوة آدم ، كما إنه السبب في ظهور سوءته ، وهبوطه من الجنة ،
هكذا إذا أردنا ، فعلاً ، أن نبحث عن شخصٍ عظيمٍ مثل الخليفة ، لربٍ عظيم استحال على خلقه أن يدرك كنهه ،
هل يعلم هؤلاء القوم ، أن ما من ملاكٍ من ملائكة الله جمع صفاتهُ ، فكيف سيُخلَقُ من يمثّلهُ وكيف سنتصوّر شخصهُ ، إلّا بكل اجلال وتبجيل ، مع إن التجليل والتبجيل ، نوزعهما للملوك الفاسقين والأمراء المفسدين ،
ألا يشعر أهل التفسير بالأسف ، بأنهم صوّروا أبشع صورة لخليفةٍ سينوب عن وجودِ الله بيننا ، وسترى ملائكة الله أنه تعالى لن يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، بل نحن من جعلنا وانتخبنا وتمهلنا ، بأن يحكمنا الفاسد والفاسق

، وكل من حكم قطعاً من الأرض ومنذ آلاف السنين ليوم الظهور ، هم من أثبتوا أن خليفة الله الأحق والأولى بخلافة الأرض ، بما قد ارتكبوه من ظلمٍ وجورٍ وتعدٍ على حدود الله ،

ولم تنعم البشرية قط ، بحاكم عادل ، سوى لسنين قلائل ، تلك التي حكم فيها بعض الأنبياء والصدّيقين الأولياء ، مع ذلك فلم تنعم حكومة هؤلاء بالراحة واستتباب الأمن ، لتكالب القوى الشيطانية وفيالق المنافقين والمغرضين ، كما حدث في مملكة سليمان -عليه السلام- ، وحكومة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- ،

ومن هنا ، فعليك أن تختار ، شخص الخليفة ، وفقاً لروايات كل فرقة ، فأما أن تختار خليفة يصلحه الله بيوم وليلة ،

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) ﴿١٤٤﴾ .

أو أن تختار ما نقله الشيعة ، عن أئمتهم ، المهم أن تبحث لتجد ، وتفتش لتعثر ، وتسير لتصل ، فيكون ما وصلت إليه ، من بحثٍ ودراية ، فتكون معذوراً أمام الله وأمام خليفته ، إذا كان هناك من ضللك ، أو استنفذت قدراتك ولم تسعفك ، هكذا تشكر نعم الله -جل جلاله- ، فيما آتاك من فكر ، وفراسة العقل ، وتؤدي الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين : -

(إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلى السَّماواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يحْمِلْنَهَا وأشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً **جَهُولاً**) ﴿٧٢﴾ الأحزاب .

أرأيتَ ما للجهل من مصيبة ، فهو أوّل ما عُرِفَ عَنَّا ، كما عُرِفَ عنّا الظُّلم ، وبالظُّلم والجهل فقدنا الجَنَّة ، وسنفقدها مرةً ثانية وإلى الأبد ، لا سامح الله ، لو بقينا على ما بدأنا من صفات ، والأمر كلّهُ بأيدينا ، أمراً نمتنع عنه ، وأمراً نؤتيه ، إذ نمتنع عن الظُّلم ، ونسعى للتفقه في الدين .

....

﴿١٤٤﴾ - ابن أبي شيبة :[١٩٧/١٥] ، بروايتين عن عليّ -ع- ، ومثله أحمد [٨٤/١] ونحوه ابن حماد [٣٦٢/١] بروايتين وتاريخ بخاري [٣١٧/١] كرواية ابن حماد الثانية ، عن علي عليه السلام ، وابن ماجة [١٣٦٧/٢] كابن شيبة ، وأبو يعلى [٣٥٩/١] عن ابن شيبة ، وحلية الأولياء [١٧٧/٣] كما في ابن شيبة ، بتفاوت يسير ، وأخبار أصبهان [١٧٠/١] وقال الشافعي في البيان[٤٨٧] ، ومال ابن كثير في الفتن [٣٨/١] إلى توثيقه ، وقال السيوطي في الدر المنثور [٦/ ٥٨] وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجة . ورواه الجامع الصغير [٦٧٢/٢] وحسنه . ومرقاة المفاتيح [١٨٠/٥] ، وقال : أي يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة وأحدة من الليل ، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها ، وأخيراً جاء في المغربي [٥٣٣] .

الباب الثاني

على أعتاب دولة الخلافة

حينما تريد أن تهدي أحداً للإسلام ، أو أي معتقد ما ، فلابُد من البدء معه بتوضيح منهاج الإسلام ، وبعد أن يتفهَّمه بالكامل ، تبدأ الخُطى العمليَّة ، لدخوله الإسلام ، وذلك بالشهادتين ومن ثمَّ الفرائض ، وهذا ما اتخذناهُ أسوةً ، فقد مررنا بالباب الأول ، الذي أعْدَدْنا فيه القواعد العامة والخاصة ، لفهم قضية السَّماء ، مبتعدين بعض الشيء عن الروايات التي تكلّمَتُ عن المُخلّص ، لا اِنكاراً لها ، بل لأنَّ هناك الكثير ممَّن جمعها وبحث فيها ، وبعد ما تقدم ، فتعال نخطو الخُطى التي تُثبِّت اعتقادنا بدولة الخلافة الإلهيَّة ، والتي ستُوصلنا إلى أعتاب دولة الخلافة ، وسنتعرَّف على تلك الخُطى ، وماهيتها في الإيمان ، وكسب الخير من هذا الإيمان ، وإن كنت تعتقد أنها مجرَّد خطى فكريَّة ، وهي بالفعل كذلك ، لكنك سترى ، أنَّك بحاجة لجهد أكبر من جهد الخطوة الحركيَّة ، وزمن يفوق الخطوة الواحدة ، ولو خذلك عزمك من أن تصل بالفعل لدولة الخلافة ، فقد كسبت الكثير من الخير ، جرَّاء إيمانك بأيام الله -جل جلاله- ، وهذا هو الحصن الذي يقيك غضبه تعالى ، وإذ يقول الباري-عز وجل- في كتابه الكريم : -

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ **أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا** خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

كسب الخير في الإيمان لن يكون ، إلّا بعد الإيمان والاعتقاد التام ، بكل مبادئ دولة العدل الإلهية ، ومن خلال امتلاكنا لأدوات التبليغ بدولة الخلافة ، لن يكون من الصعب دعوة الآخرين إليها ، ولن نتحمل مسؤولية عدم قناعة الآخرين بدولة الخلافة ، ما دمنا قد اخترنا الطريقة المثلى لبيانها ، وأوضحنا المبادئ السامية لها ، فمبارك قدومك دولة الخلافة ، ومبارك كل ما ستكسبه من خير في ظلها .

هذا الباب من فصلين كما سنرى ، أحدهما يحدثك عن الخطوات التي تصل بعدها لدولة الخلافة ،

وفصله الثاني عبارة عما يجب أن ننقده مما وصل إلينا ، وعلينا رفضه ، بأن رفضته عقولنا والمنطق السليم وما عرفناه عن منهاجه تعالى ، وخلق الرسول وآل بيته الأبرار -صلوات الله عليهم أجمعين- .

الفصل الأول

خطوات الوصول لدولة الخلافة الإلهية

هذا الفصل ليس فيه من مباحث ومطالب وفروع كثيرة ، فهو عبارة عن خطوات فكريَّة ، نصل بعدها أعتاب دولة الخلافة ، هذه الخُطى لا تقيُّدها إلَّا الحقائق الناصعة ، والروايات التي لا تُناقض بعضها بعضاً ، أو تتنافى مع كل معقولٍ ومقبولٍ ، ولتفعيل كل ما جاء في الباب السابق ، ينبغي أن نستكشف ما بعد ذلك من خُطى ، كما ينبغي الوصول إلى حيث دولة الخلافة الإلهية ، لأننا لا نتكلم على أمر مضى وانقضى ، بل عن حاضر ومستقبل قادم ، كما نتكلّم على الدنيا والآخرة في آن واحد ، وعلى دولة نؤمن كل الإيمان ، ونعتقد بكلّ يقينٍ ، أنها موجودة ، وأنها تفتح أبوابها لكلِّ القادمين ، لا أولئك الذين ينتظرون منها القدوم ،

وبما إنَّها دولة إلهيّة التكوين ، لا يحدّها أو يحدّدها في هذا الوجود زمان أو مكان ، فخطواتنا إليها ، خطوات عقائدية كالدين ، ودخولنا إليها حقيقة ويقين ،

= هل رأيت يوما فتاة من الحور العين ، أو أكلت مرةً من ثمار الجنة ، إذا كانت اجابتك بلا ، فهذا يعني أنَّك لم تصن عينيك عن النظر إلى ما حرّم الله عليك ، ولم تأكل مما حلَّله الله لك ، فمن لا يرى من النساء إلا زوجته ، فهو حقاً من تزوج من حور العين وهو في الحياة الدنيا ، أمّا من راحت عيناه على كل فتاة تمرّ قربه ، فهو لن يجد ما يرضيه من نساء العالم ،

وكلّما أتى واحدة ، راح خياله لمن هي أجمل منها ، ولن يستمتع بحلالٍ أو حرام ، حتى لو أرسل له الله من الحور العين ، وهذا ما طرحناه منذ الكتاب الأول ، من أن الجنة لابُدَّ أن يكون مدخلها من حيث نحن فيه الآن ، وهو ذاته المدخل لدولة الخلافة ،

= كم مرّت عليَّ سنوات من العمر ، وأنا أطلق الحسرات والعبرات ، وأندب الحظ الذي لم يجعلني في زمن الرسول الأعظم ، لكنتُ رأيت منهاج الله فيه ، وأوامر الله فيما ينطق من شفتيه ،

وما أن دفعني الوداد لأعرف كل شيء عن شخص الرسول الأعظم ، حتَّى وجدته قربي ، لا أفارقه ولا يفارقني ، ولا أسلاه أو يسلاني ،

ومن هنا لاحت وبدت لي ، جدران دولة الخلافة المُرتفعة ، وأبوابها المُشرعة ، وقبل أن أخطو ، الخطوة الأخيرة لدخولها ، أمتلأ صدري بصرخة مدوية ، وفمي

بكلماتٍ مجلجلة ، لأنادي من أحبّني وحتى من أبغضني وعاداني لدخولها ، إذ تجلى بفكري قوله تعالى : -
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) ﴿٤٧﴾ الحجر .

فإن كان ولا بُدَّ من الإيمان ، بأنّ هذا ما سوف يجري في الجنة ، فهذا بالتأكيد ما سيجري في دولة العدل والتآخي بين المؤمنين ،
ومن أجل ذلك كُلّه ، نكتب الخطوات التي بها سندخل دولة الخلافة ، ولنلتقي بعدها أخوة متحابين في الله ، وأمام خليفة الله ، وكلما ننْتَهي من فهم خطوة ونتقبلها ، ستجذبنا نشوة المعرفة ، عمّا جهلناه سنين مضت ، وتدفعنا الرغبة للولوج في الخطوة الأخرى ، فإن لم يخالجك مثل هذا الشعور ، فعليك أن تعلم أن هناك ضعفاً في عزيمتك ، وهوى للرجوع أو البقاء حيث أنت ، بعيداً عن دولة الخلافة الإلهية ،
وهذا يعني ، إنَّك ستمرُّ بسلالم ذهنيَّة وخطى فكريَّة ، توصلك بشكل مباشر لدولة الخلافة ، التي سترى أنّها ، كانت بانتظارك ، وأول ما ستسمعه عند البوابة ، هو اللوم ، لتأخرك في الوصول ، كل هذه السنين من عمرك ،
وقد يُغْفر لنا ، بعض ما أسهبنا في شرح كل خطوة ، خوفنا من عدم إعطاء كل خطوة ، حقها في البيان ، فالخُطى الفكريَّة ، تختلف عن الخُطى الحركية ، بضرورة إعطائها كل التفاصيل ، لترسمها كما الحقيقة ، وتُتْقِن تجاوزها دون خيفَة ،
وحذار ثم حذار ، أن تعتقد أن هذه الخُطى ، ولكونها فكريَّة ، فستصل دولة الخلافة ، بشيء من الخيال أو الحلم ،
ورغم أنَّنا لا نمتلك مثالاً شبيهاً لهذه الحالة ، مع وجود بعض الأمثلة القريبة ، ولكننا سنختار شيء مقارب لها ، وهو العلاج بالإيحاء ، والذي يؤمن به كل الأطباء حالياً ، وكيف يمكن للدماغ ، أن يحفز ما يعد الدواء المناسب لعلاجك ، ورغم إنك حصلت على إيحاء فقط ، لكن دماغك استجاب بشكل عملي وحركي ،
بمثل هذه الفكرة تقريباً ، سيتحفز دماغك لتخطوا حقيقةً للوصول لدولة الخلافة ، أضف إلى ذلك أمراً هاماً ، وهو الوجود الحقيقي لتلك الدولة ، واستجابتها هي لطلبك الدخول ، كما يستجيب الله لدعائك ، ويبقى الفارق كبيراً ، بين مثالنا السابق ، وخطانا لدولة الخلافة ، لأن خطانا ليست إيحاءً كالإيحاء بالعلاج ، هذا كلهُ إذا لم نكن نؤمن أن هناك ملائكة في خدمة الدولة ، ويمثلون شعبها .

الخطوة الأولى

الصيحة

قبل أن نبدأ المسير ، وقبل حتىّ أن نبدأ الخطوة الأولى ، فعلينا أن نتفهّم أمرين في غاية الأهمية ، هما مِفْصَل التفريق بين دولة الخلافة ، وباقي الدول التي نشأت حديثاً ، لذا جعلنا كل منهُما خطوة تسبق ما قبل المسير ،

إذا ما كان إعلان دولة الخلافة ، قد سبق خلق بني آدم ، فإن إعلان سلطانها على من في الأرض لم يأتِ بعد ، وهذا الإعلان سيبدأ بالصيحة ، فالصيحة هي الإعلان المُبكّر لأنصار تلك الدولة بالبشرى لكل صبور ، ولأعدائها بالويل والثّبور ، وعليه لا بأس من الاطلاع على ما ورد عنها من روايات ،

والصيحة هي العلامة التي لا تسبقها من علامة سماويّة ، على وفق كل ما جاءت في روايات المذاهب الإسلامية ، لا بل حتى الديانات الإبراهيمية الأخرى ، وخاصة اليهوديَّة ، إلَّا ما نعتقده نحن وقُلنا عنها ، إنَّها علامات ما قبل علامات الظهور ، وبعد الاطلاع على النصوص اليهودية ، استوقفنا هذا النص : -

((ثُمَّ رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَائِرًا فِي وَسَطِ السَّمَاءِ مَعَهُ بِشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ ، لِيُبَشِّرَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ * **قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ** : خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ ، وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ ،

ثُمَّ تَبِعَهُ **مَلاَكٌ آخَرُ** قَائِلاً : [سقطت ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، لأَنَّهَا سَقَتْ جَمِيعَ الأُمَمِ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زِنَاهَا] ،

ثُمَّ تَبِعَهُمَا **مَلاَكٌ ثَالِثٌ قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ** : إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ ،

فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ **خَمْرِ** غَضَبِ اللهِ ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ ،

وَيَصْعَدُ **دُخَانُ** عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ ، وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلًا لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ سِمَةَ اسْمِهِ ،

هُنَا صَبْرُ الْقِدِّيسِينَ . هُنَا الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللهِ وَإِيمَانَ يَسُوعَ)) ﴿١٤٥﴾ ،

....

﴿١٤٥﴾ - سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي [١٤ / ٦] إلى [١٢] .

وهنا لا شك في أن الصوت العظيم هو (الصيحة) ، فليس هناك من تعبير واضح وصريح للصيحة إلا بالصوت العظيم من ملاكٍ في السماء ، أمّا البشارة الأبدية ، فتعبر عن أن حكم الخلفاء ، سيستمر ما بقيت السماء والأرض وما دامتا ،
(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا **مَا دَامَتِ** السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا **مَا دَامَتِ** السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) هود .
كما إن ما جاء في النص المُسمَّى باللاهوتي ، ما ينطبق والنصوص القرآنية تماماً ، وتعبير (فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ) نراه في قوله تعالى :
(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ **سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى** وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) الحج ،
وقد يتزامن خروج السفياني مع الصيحة أو يسبقها بشهرين ، على وفق الروايات الشيعية ، لكن الأكيد أن الصيحة ، تعدّ أوّل علامات السماء ،
(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ **يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ** ذَلِكَ **يَوْمُ الْخُرُوجِ** ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) ق .
ويبدو أن ما يحصل **بعد** الصيحة ، أمور مهولة ومخيفة لبني البشر ، كالزلازل والفيضانات وما إلى ذلك من كوارث طبيعية ،
(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ** ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا **لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ **يَأْتِ** لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا **بِإِذْنِهِ** فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) هود .
والآيات في أعلاه أصدق تعبيراً لظهور الخليفة ، فما من أجل معدود إلا يوم الظهور ، كما صرّحت الآية عن شخص الخليفة ، أنَّهُ يوم يأت الخليفة لا تكلم نفسٌ إلا بإذن الخليفة ، وقد يرى الكثير أن هذه الصياغة ، تعطي تأليهاً لشخص الخليفة ، وأن المقصود بيوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بأذنه ، هو الله -جل جلاله- ، وهذا بالفعل ما جاء في تفاسير النمطية من ابن كثير إلى البغوي ، ولكن ألا يسأل هؤلاء عن الصورة العكسية ، أي إن فيما فهموه تقليل وإنقاص لشأن الله -جل جلاله- ، فأين سيأتي ومن سيكلّمه الله ، إنَّ أي تغيير في صفات الله وكنهه ، يعد تغييراً في سنتهِ : -
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَايَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿١٧٤﴾ البقرة

فسبحانه لم يكلّم أحداً من خلقه قط ، حتّى أنبياءه وملائكته ، وما فهموه عن أنَّهُ كلّم موسى ، فهذا ضرب من ضروب المقام ، أي إن موسى كان **في مقام الكلام** مع الربِّ ، ولم يكُ الرب في **مقام الكلام** مع موسى ، وهذا يعني أن هناك من مثّل الله في كلامه مع موسى ، كما كان هناك من مثَّله في الكلام مع إبليس أو باقي الأنبياء ، فعلينا أن نقول إنه تعالى قد كلّم إبليس وسوف يكلّم الشيطان في يوم القيامة -ﷺ- ، كما إنّه كلّم آدم وموسى -عليهما السلام- والرسول محمد -ﷺ- في حادثة الإسراء والمعراج ، فتعالى الله من أن يأتي لمكان ويغادر آخر ،

والقضية محسومة ، وكلام الكافرين مع الله ممنوع ومُحال ، وليس هناك من إذن لأحدهم ، بالكلام أو عدم الكلام ، أما في يوم الظهور ، فكلام الكافرين والمنافقين من الأوَّلين والآخرين ، مطلوب ، ليفهم الناس ضلالهم ، وما زيفوه من الأحاديث ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : -

(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) هود .

ولقد سمعنا عمّن يظن أن علامات الظهور ، علامات يمكننا التفاعل ضدها ، كمن قال بغلق الأبواب في ساعة سماع النداء (الصيحة) من السماء ﴿١٤٦﴾ ، كأنه يقول إن بوق الحرب سيضرب من داخل قصر السلطان ،

فالصيحة تبدأ عندنا نحن معشر الإنس والجن ، وتنتهي حيث نحن ، والسماء ليست لها حاجة لصيحة ،

وراجع ما وجدناه في الروايات الشيعية ، وهو ما يؤكد ويوضّح قضية الصيحـــة ، ((عن الرضا -ع- في قوله : وقد نودوا نداءً يسمعهُ من بَعُد كما يسمعهُ من قَرُب ، يكون رحمةً للمؤمنين)) ﴿١٤٧﴾ .

كما بيَّنتْ رواياتهم على أن الصيحة هي بداية الخلاص من الظلم والجور ، وبداية الخلاص لكلّ المظلومين ، والانصاف لمحبي الرسول محمد وآل بيته ، لذا تعد البُشرى الكبرى والبشارة العُظمى ، التي كانوا يرجونها جميعاً ، ويدعون الله ليلاً ونهاراً لتحققها ،

وهذا خلاف ما جاء في روايات أهل الجماعة تماماً ، إذ إن الصيحة تمثّل لديهم الفناء والدمار ، وهي من العلامات المروعة ، كعلامات يوم القيامة ، ومن هولها

....

﴿١٤٦﴾ - كنز العمال": ((عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدوا كواكم ودثروا أنفسكم وسدوا آذانكم ، فإذا أحسستم بالصيحة فخروا لله سجدا ، وقولوا سبحان القدوس ، سبحان القدوس ربنا القدوس ، فإنه من فعل ذلك نجا، ومن لم يفعل هلك)) .

﴿١٤٧﴾ - الغيبة للطوسي ص [٤٣٩] .

وشدتها ، أنها تُهلك أكثر من مائتي ألف ، كما جاء في حديث ابن الديلمي في رواية المقدسي الشافعي في شأن النداء : ((يصعقُ له سبعون ألفاً ، ويعمى سبعون ألفاً ، ويتيه سبعون ألفاً)) ﴿١٤٨﴾ ، وكذلك ما جاء في الحديث المنسوب للرسول : -
((عن عبد الله بن مسعود عن النبي -ﷺ- قال : إذا كانت صيحةً في رمضان فإنه يكون معمعة في شوّال ، وتميّز القبائل في ذي القعدة ، وتُسفك الدماء في ذي الحجة والمحرّم ، وما المحرّم؟ يقولها ثلاثاً : هيهات هيهات ، يُقتلُ الناس فيها هرجاً ، هرجاً)) ﴿١٤٩﴾ .

وقد أفتى مـــركز الفتوى [٢٨] شوال بفتوى تحمل الرقم (رقم الفتوى : ٤١٧٠١) ، بعدم صحة الحديث ، بعد أن رأوا أن الأمور ستنقلب عليهم ، وقد تمس البلبلة حكامهم ، وبعد أن تهيَّج الشارع ، إثر ما عُرفَ بجائحة كورونا ، خاصة بعد غلق الأبواب وهلاك الكثير من الناس ، في كافة أقطار الأرض ، وما سُمع من أخبار ، عن ظهور وباء آخر (الفطر الأسود) ، وهذا ما سيُسودُّ وجوه العتاة إثر انتشاره ، وعلى أن لهذه الأحداث ، لها من الشبه ما لها مع ما جاء في هذا الحديث ، وعلى الإثر صرّح الأزهر أيضاً ، وأعلن ما نصه : -
((يُحذِّر مركزُ الأزهر العالميُّ للفتوى الإلكترونية ، مِن تَدَاول هذه المنشوراتِ وأمثالها ؛ لِمَا في نشْرِها مِن بثٍّ للخوف ، وترويجٍ للكَذِب على سيدنا رسول الله -ﷺ- والعلم والعلماء)) ،
وما شد الناس على ذلك ، أن رمضان لسنة [٢٠٢٠] كان سيصادف[١٥] منه يوم الجمعة ، ونص الحديث الذي أحدث كل هذا الذعر هو : -
: ((هَدَّةٌ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ ، فَتَكُونُ هَدَّةٌ تُوقِظُ النَّائِمَ ، وَتُقْعِدُ الْقَائِمَ ، وَتُخْرِجُ الْعَوَاتِقَ مِنْ خُدُورِهِنَّ ، فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ ، فِي سَنَةٍ كَثِيرَةِ الزَّلَازِلِ ، فَإِذَا صليتم الفجر مِـنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَادْخُلُوا بُيُوتَكُمْ ، وَاغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ ، وَسُـدُّوا كُوَاكُمْ ، وَدَثِّرُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَسُدُّوا آذَانَكُمْ ، فَإِذَا حَسَسْتُمْ بِالصَّيْحَةِ فَخِرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا ، وَقُولُوا : سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ ، سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ ، رَبُّنَا الْقُدُّوسُ ، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَجَا ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ هَلَكَ))
كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي [٢٢٨ / ١] أو [١٣٢] .

....

﴿١٤٨﴾ - عقد الدرر للمقدسي الشافعي : [١٠٢] .

﴿١٤٩﴾ - أخرجه نعيم بن حماد ، في كتاب الفتن عن ابن مسعود ، وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف لأنه خلط بعد احتراق كتبه ، وفيه عبد الوهاب بن حسين وهو مجهول ؛ كما قال الحاكم وابن حجر ، وفيه محمد بن ثابت البناني ، وهو معدود في المجروحين والضعفاء عند ابن حبان وابن عدي ، وفيه الحارث الأعور الهمداني وهو من الكذابين ؛ كما قال الشعبي وأبو حاتم وابن المديني ، وقال أبو زرعة : لا يحتج به .

كما أفتى الأزهر ((أن هذا الحديث مُنكرٌ لا تصحُّ نسبتهُ إلى سيِّدنا رسول الله ، وحَكَمَ عليه البعض بالوضع والكذب كالعقيليّ ، وابن الجوزيّ ، وابن القيم ، والذهبيّ ، وغيرهم ، كما أنَّ التَّاريخ يُكذِّبه ؛ لكثرة موافقة الجُمُعة للخامس عشر من شهر رمضان الكريم دون هدَّة ، أو صيحة ، أو نفخة **ولله الحمد))** ، ولا نختلف معهم على حمد الله تعالى في السراء والضراء ، لكنّ حمدهم لله ، جاء بصيغة الخلاص من إعلان دولة العدل الإلهية ، إذ يحمدون الله على دوام الظلم والجور الذي نحن فيه ،

أمّا سند هذا الحديث لدى الشيعة ، فلم يُذكر قط من ضمن روايات الظهور ، غير أن هناك روايات تؤكد أن الصيحة ستكون في رمضان ،

وسيسمع هذا الصوت قبل ظهور المهدي ، وهناك رواية تشير إلى التزامن بين ظهور المهدي وصيحة السماء ، وبأنها ستحدث مساء الخميس الثالث والعشرين من رمضان ((عن رواية للإمام محمد الباقر ، من أئمة الشيعة الإثني عشر)) ﴿١٥٠﴾ .

وكما في رواية عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر -عليه السلام- إنه قال : -

((الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان ، لأن شهر رمضان شهرُ الله وهي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق ، ثم قال ينادي مناد من السماء بإسم القائم ، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب ، لا يبقى راقد إلا استيقظ ، ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه ، فزعاً من ذلك الصوت ، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت ، فأجاب : فإن الصوت صوت جبرائيل الروح الأمين ، وقال -عليه السلام- الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ، ليلة ثلاث وعشرين ، فلا تشكوا في ذلك وأسمعوا وأطيعوا وفي آخر النهار صوت إبليس اللعين ينادي ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشكك الناس ويفتنهم ، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير ، قد هوى في النار ، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان ، فلا تشكّوا فيه أنَّهُ صوت جبرائيل ، وعلامة ذلك أنَّهُ ينادي باسم القائم واسم أبيه -عليهما السلام- ، حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرّض أباها وأخاها على الخروج)) ، وقال : ((لا بدّ من هذين الصوتين قبل خروج القائم ، صوت من السماء وهو صوت جبرائيل باسم صاحب هذا الأمر واسم أبيه ، والصوت الذي من الأرض هو صوت إبليس اللعين ، ينادي باسم فلان أنه قتل مظلوماً يريد بذلك الفتنة ، فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير إن تفتتنوا به ....)) والحديث طويل جداً ، سنتناول منه شيئاً لاحقاً ﴿١٥١﴾ ، وإذا كانت الجمعة هي ليلة ثلاث وعشرين ، فبالنتيجة تكون الجمعة التي تسبقها هي الخامسة عشرة ، وفي روايةٍ : -

....

﴿١٥٠﴾ – مكتبة الصدوق - طهران - ص [٢٥٤ –٢٦٣] ، وفي دار اليحيى – بيروت التراث العربي .

((عن عبد الله بن سنان قال : كنت عند أبي عبد الله -عليه السلام-، سمعت رجلاً من همدان يقول له : إن هؤلاء العامة ، يعيرونا ويقولون لنا : إنكم تزعمون أن منادياً ينادي من السماء باسم صاحب هذا الأمر ، وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال : لا ترووه عني وأرووه عن أبي ولا حرج عليكم في ذلك ، أشهد أني قد سمعت أبي -عليه السلام- يقول : والله إن ذلك في كتاب الله ، لبيّن حيث يقول : [إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ] ، فلا يبقى في الأرض يومئذٍ أحد إلا خضع ، وذلتْ رقبتهُ لها ، فيؤمن أهل الأرض ، إذا سمعوا الصوت من السماء ، ألا إن الحق في علي بن أبي طالب -عليه السلام- وشيعته قال : فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهوى حتى يتوارى عن الأرض ثم ينادي ، ألا إن الحق في عثمان بن عفان و شيعته ، فانه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه ، قال : فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق ، وهو النداء الأول ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض ، والمرض والله عداوتنا ، فعند ذلك يتبرؤون منا ، و يتناولونا فيقولون : إن المنادي الأول سحر من سحر أهل هذا البيت ، ثم تلا أبو عبد الله -عليه السلام- قول الله تعالى [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ])) ،

وما زلنا عند ما قلناه من احتمال أن تكون الصيحة ، غير ما نحتمله ، أو أن تكون على شكل مفرداتٍ متعددة ، أي أن تكون صيحة الحقيقة ، وما ينادي به بعض رجال الدين ، في الفضائيات ، مقدمة وعتبة لصيحة جبرائيل ، المهم أنَّ علينا أن نستوعب دروس الماضي ، وابتلاءات الله ، فيما يسمى لدى الشيعة بالبداء ، وما أسميناه بالحكم السابق للحدث ، أو حكم الكتاب السماوي ، أي أنه تعالى يصرّف الأحداث وفقاً للكتاب السماوي ، فيما يخبرنا ، وفقاً لمشيئته باختبارنا ، أيْ أنَّ ما دوّن في الكتاب السماوي ، هو أنَّ مولد عيسى -عليه السلام-، سيكون من بطن مريم -عليها السلام-، التي تولد لعمران ، أمَّا الخبر الدنيوي ، فهو أن يولد عيسى النبي من ولد عمران ، دونما ذكر لمريم العذراء ، وبهذا يتمّ منهج التقية من خلال الكتاب الدنيوي والسماوي معاً ، أي أن منهج التقية استخدمته الكتب السماوية ، كما استخدمه الأنبياء والأولياء ،

وبعد .. فماذا جاء في الكتاب المقدس من حديث عن علامات الظهور ، لإعلان دولة الخلافة الإلهية ،

....

﴿١٥١﴾ - غيبة النعماني ص [١٧٠] ، بحار الأنوار ج {٥٢} ص [٢٣١] النجم الثاقب ج {١} ص[١٢٦] ، تاريخ ما بعد الظهور ص [١٢٥] .

((ابتهجي جداً يا ابنة صهيون واهتفي يا ابنة اورشليم ، لأنّ ملكك مقبل إليك ، وهو عادلٌ ظافرٌ ولكنّهُ وديع ﴿١٥٢﴾ .... وأنّه سيدخل القدس ، وهو راكب حمار رمزاً للسلام ، وليس حصاناً رمزاً للحرب ، وإنّ نفوذهُ سيمتدُّ من البحر ومن **نهر الفرات** إلى نهاية الأرض)) ﴿١٥٣﴾ ،

أَبَعْد كل هذه الأدلة ، نجد من يلُمْنا على تبني الروايات الشيعية ، وتقديمها على كل الروايات التي نقلتها بقية المذاهب ، فمُذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سَنةٍ ، يخبرُنا سفر زكريا عن مجيء رمز السلام من **نهر الفرات** إلى العالم ، ولا يسكن نهر الفرات غير الشيعة ، ولم يتحدث من أحدٍ عن خروجه قرب الفرات ، إلا الروايات الشيعية ، والتي أشارت لمقامٍ يبعُدُ عن نهر الفرات بأقل من [٢]كيلو متر ، يسمى بمسجد السهلة ﴿١٥٤﴾ ، والصورة أدناه توضح بعد المسجد عن نهر الفرات : -

((صورة حيَّة ، مأخوذة عن موقع كوكل إريث العالمي عبر الأقمار الصناعية))

ويُعرف مسجد السهلة ، بمسجد القائم ، وقيل إنَّهُ أقام فيه [الإمام المهدي] ، فترة الغيبة الصُغرى ، وسيكون مقرّاً لهُ عند إعلان دولته المجيدة ،

....

﴿١٥٢﴾ - سفر زكريا ، الإصحاح التاسع ، [١٢-١٣] .
﴿١٥٣﴾ - سفر زكريا – [٩١٩-١٠] .
﴿١٥٤﴾ - وذكر أن هذا المسجد مرّ به خمسة أنبياء ، وهم (إدريس وهود وصالح وإبراهيم الخليل والخضر) ، وثلاثة من أئمة الشيعة الإثني عشر ، لكنّهُ عرف على أنه مقام الإمام المهدي -ﷺ- ، وهو أحد الأماكن المتوقع ظهوره فيها ، أو سكنه فيها لمدة معينة من الزمن ، وكذلك هي مكان لتوكيل أنصاره .

ومن ذلك المسجد الصغير إلى بيت المقدس في فلسطين ، ستكون الحدود الشمالية لدولته المظفرة ، والتي ستحكم العالم بأسره ،
وبعد اطِّلاع سريع ، على سير الأحداث التي ستجري في يوم الظهور ، نرى التشابه الواضح بينه وبين يوم القيامة ، مع اختلافاتٍ تخص ما سيجري فيهما من أحداث فيوم الظهور يبدأ بصيحة من السماء ، والتي ذكرت بروايات لا حصر لها عن الفرق الشيعية ﴿١٥٥﴾ .
أمّا يوم القيامة فيبدأ بالنفخ في الصور ، وتتسلسل الأحداث والمعاجز بعد ذلك ، حتى أننا لو لا علمنا السابق ، بأن يوم الظهور لابُدَّ من أن يسبق القيامة ، لمَا كان لدينا من دليل ، أي اليومين سنكون فيه ، يوم الظهور أو يوم القيامة ، وبذلك حُفظتْ الآيات التي تخص يوم الظهور ، في طيات يوم القيامة ، وبات للمنافقين والمداهنين للسلاطين ، أن يُفسِّروا ما جاء في يوم الظهور ، على أنَّها أحداث تخص يوم القيامة ، لأن يوم الظهور كان يُنغِّص عيش الحكام والسلاطين ، بما إنَّهُ سيأتي قبل يوم القيامة ، فهو ما يخشون وقوعه أولاً ، وهو ما قد يجعل الرعية ، تثور ضد الحُكام المفسدين ، طلباً لمجيء دولة العدل الإلهية ،
وكان حُكام الدولة العباسية يؤمنون بما لا يقبل الشك ، أن الإمام الثاني عشر ، المعروف لدى الشيعة بالإمام المهدي المنتظر ، سيأتي مُتسلّماً سلطته في حكم العالم ، وسيطيح بحُكام العرب وولاتهِم ، في أوَّل أيام تسلمهُ الحكم ، لذلك كان الرصد لمجيئه بمستوى عالٍ من التوجِّس والحيطة ، وتم الاتفاق على اغتيال الإمام الثاني عشر في السنين الأولى من عمره ، خصوصاً بعد وفاة أبيه ، والتعرف إلى وجوده ، إثر قيامه بالصلاة أمام نعش أبيه (عليه السلام) ، ومنعه لعمه المعروف بـ(جعفر) ، من أن يُصلي على أخيه ، وبعد هذا حدث ما يسمى لدى الشيعة بالغيبة الصغرى ، والتي استمرَّت ما يقرب من أربعين سنة ، حتى جاءت الغيبة الكبرى ، التي مازالت ليومنا هذا ، وستنتهي بالصيحة وظـــهوره المبارك الشريف .

....

﴿١٥٥﴾ - إن أبا جعفر كان يقول : (خروج السفياني من المحتوم والنداء من المحتوم) (كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص [٤٣٥] .
(ينادي مناد من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم : ألا إن الحق في علي ... وشيعته...) (كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص [٤٣٥] - [٤٣٧]) .
وفي رواية ثانية قال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : (ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء ... قلت : بم ينادى ؟ قال : باسمه واسم أبيه ، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وطيعوه ، فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة) (كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص [٣٠١]) .

الخطوة الثانية

الـــرَّجْــعَـــة

ابتداءً من قوله تعالى : -
(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا **مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الزمر ،
حتى نصل الآية ﴿٧٤﴾ ، التي تستوقفنا بمفارقة غريبة : -
(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) ،
بعد أن تتمعن في قوله تعالى في الآية أعلاه ، وحين نريد أن نسأل عن كيفية وراثة الصالحين للأرض ، وفي الوقت نفسه فهم يطالون الجنة بما يشتهون ، فعليك أن تتمعن بآية أخرى تحمل لنا الجواب عن سؤالنا هذا : -
(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) ﴿٦٦﴾ المائدة .
فهم وإن ورثوا الأرض ، لكنهم يتناولون ما يطيب لهم من الجنة ، مقابل ما أقاموا من الكتب السماوية ، فقوله تعالى (لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) ، لم يكن لإدخال الندم في نفوس اليهود والنصارى ، لأنَّ زمان سماعهم لما خسروه قد فات ، بل جاءت الآية لتشرح لنا ما سيكون عليه خلفاء الله ومن ناصرهم ، ليكون لكلِّ من أقام الكتاب وعمل به ، كرامة الأكل من الجنة ، أي يدخل كل منهم الجنة دخولاً بصرياً ، فيتبوأ منها ما يشاء ، وهذا هو العدل السَّماوي ، فالغاية من خلقنا ، ليس بما نعانيه من ضنك العيش ، لأن المعاناة من الفقر والعوز ، وسيلة لاختبار العباد ، أمّا إقامة كتاب الله فهي منتهى الغايات ، وبتحقيق الغاية تنتفي الحاجة للوسيلة ، وهذا ما يبرهن لنا أمراً آخر ، وهو أننا خلقنا لدخول الجنة والعيش بنعيمها ، ونحن من اخترنا الهبوط منها ، ونتذكر ما جاء في الكتاب الثاني ، من أنَّنا حينما كُنَّا ذرية في ظهر آدم ، أختار نحن الأكل من الشجرة ، أو التذوق منها ، أو الندم على فعل ذلك ، لذا كان قوله تعالى : -
(وَقُلْنَا **اهْبِطُوا** بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) ﴿٣٦﴾
وكذلك قوله تعالى : -

(قُلْنَا **اهْبِطُوا** مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَـــــوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ﴿٣٨﴾ البقرة .

إذ يخاطبنا تعالى نحن الذرية ، والتي يحملُها آدم في ظهره ، والتي اتجهتْ رغبتها للاقتراب من الشجرة مع آدم ،

وبذلك ، فمن يُقم شرع الله ويلتزم بأحكامه وأوامره ، فيحق له العودة إلى الجنَّة وإن كان ما زال على الأرض ، وهذا ما قُلنا عنهُ وأكدْنا عليه مراراً ، من أن دخول الجنَّة يبدأ من حيثُ نحن ، في أي زمانٍ ومكان ، ودخول دولة الخلافة أيضاً يبدأ من حيثُ نحنُ ، لا من حيثُ إعلانها ، لأنَّها معلنة قبل خلق الخلق ،

ولنطمئن مما وصلنا إليه من حقيقة ، لنرى ما جاء في قوله تعالى : -

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا **مِن قَبْلُ** وَأُتُوا بِهِ **مُتَشَابِهًا** وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ﴿٢٥﴾ البقرة .

يصوّر لنا الله تعالى ، هذه الفئة التي تبوأت من الجنة وهي في الأرض ، كيف أنها تدخل الجنة ، لترى ما رزقوا منه من قبل ، وهم في الأرض ، أي إن هذه الآية مصداقٌ لقوله تعالى (وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) فهم قد رزقوا في الأرض من ثمار الجنة ، حتى إذا ما دخلوا الجنة ، ورأوا ثمارها ، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، ونتبوأ من الجنة ، أي نمنح ونحصل على ما نشاء من الجنة ، ولا تعرف الجنة إلا بالثمار والأنهار المختلفة من المشروبات ، لكنهم وكما تشير الآية لم يحصلوا من الجنة إلا على المأكل والمشرب ، والدليل ما تلا الآية من بيان (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) ، وهي المنحة الجديدة للصالحين ، إذا ما دخلوا الجنة بعد يوم الحساب ،

لذا نصل الآن لأمر مهم ، وهو التعرف إلى أولئك الذين أكلوا من الجنَّة وهُم في الأرض ،

ولأجل ذلك سنخوض في حديثٍ مشابه ، ونبدأ باستعراض قوله تعالى : -

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) ﴿٥١﴾ غافر .

فمتى نُصرَ الأنبياء والأوصياء منذُ أبينا آدم ليومنا هذا ، وهل مرّ بنا يوم الأشهاد ؟ ما أصعب ما واجههُ السلف وأحبابهم من آيات ، كان عليهم جرجرتها إلى ما لا يهدّ عـرش السلاطين من أوليائهم ، وبما لا يُثبت ، أن دولة الخلافة الإلهيَّة قادمة ، والأخطر أن تشير لصدق الروايات التي تؤمن بها بعض الفرق المُـعادين لنهجها ،

وعن طريق هذه الجرجرة ، يحاولون اقناع المُتلقِّي ، بأن نصر الله ، نصر معنوي ، أو من خلال بعض الحوادث ، التي وقعت لأعداء الأنبياء ، على أنَّهُ هو النصر المقصود ، و(بصنعة لطافة) كما يقال ، يدخلون يوم الأشهاد من ضمن ذلك النصر ، حتَّى مع علمهم بأنَّ النص ، يتحدث بشكل واضح وجلي ، عن يوم قادم ، لا ما مضى وانقضى ، وجاء في تفسير الطبري ص٤٧٣ .

((حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ قول الله ، قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون ، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم ، والوجه الآخر : أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين ، والمراد واحد ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : إنا لننصر رسولنا محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله سَلَّم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، كما بيَّنا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع ، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصاً بعينه)) .

فأين التفسير لهذه الآية ،

هل عليَّ أن أقسم لك عزيزي القارئ ، إن فرعون لو كان من مشركي قريش ولم يُقتل ، بل قاتل الرسول على مدى سنين البعثة ، ومن تولَّى الحُكم بعده ، ثم أعلنَ إسلامه قبل يومين من وفاته ، لكُنّا الآن نترضّى عليه ، ونعدّهُ من أقرب الأصحاب الإجلاء للرسول ،

كذا لو لم يقتل أميّة أو عتبة وغيرهم ، والحمد لله الذي لعن أبا لهب ، فإن كنت تعجب ، فالعجب أنَّا نعلم جميعاً ، أن ما قام به أبو لهب لا يعد عُشْرَ ما قام به الطُلقاء ، فلم يحشد الجيوش كما فعل الطلقاء ، ولم يتآمر مع الأحزاب ، ولم يشرع بقتل الرسول بالسر والعلن ، ولم يحارب الرسول أكثر من عقدين من الزمن كما فعلوا ، وقضيتنا الآن ، ليست التحرش بالسلف ، بل نحن الآن في قضيةٍ أعظم مما حدث وكان ، إنَّما علينا أن نستمد الأمثال مما مرّ من الأحداث ، وهذا ما أشار لنا به القرآن ، وعلمنا الرحمن ، فعلينا أن نثق ، بأنه تعالى لم يذكر الأشخاص كأشخاص ، بل ذكرهم أمماً وفئات ومجموعات ،

ونتذكر دائماً حديثنا من أنَّهُ تعالى لم يبقِ على إبليس ، إلَّا لأنَّ إبليس سيمثل أمة جبارة من الإنس والجن ، كذا فإن ذكر أبي لهب لم يكن من أجل انفراده بسورة في القرآن ، فما أهمية أبي لهب وما أهميَّة ما فعله ، بل الأهميَّة أن يكون قياساً وميزاناً للآخرين ، وليتنا احتسبناه كما أراده الله أن يحتسب ويُقرن ،

ونعود للقول إن قضيتنا هنا ، أن نرى علّة ما قام به أهل التأويل والتفسير ، ومن خطَّ في التأريخ ما رآه ، على وفق هواه ، لنقف على حقيقة محاباة العرب للعرب من المسلمين على باقي الأمم ، وكأنَّ من ولد عربياً مسلماً ، لابُدَّ مِنْ أنْ يُفضِّلهُ الله على بقيَّة خلقه ، ويغفر لهُ ويبدل سيئاته حسنات ، دون بقية خلقه ، وأنا وأنت أسعد السعداء ، بهذه المحاباة دون بقية خلق الله ،

وهذا بالضبط ما أتُهم به خليفة الله ، وحقاً نقول ما أتُهم به الخليفة ، فمع ما ذكروهُ من قتل وتشريد لمعاديه ، ذكروا ما سيعيشه أنصاره في الحياة الدنيا من جنات ونعيم ، وعلى هذا الأساس يتطلّع الكثير من المؤمنين ، إلى الحياة الرغدة والأماني العريضة ، التي ستتحقق لهم بظهور خليفة الله كما يأملــون ، فكل شيء سيكون لهم بشكل مجاني ، من مأكل وملبس ، وكلّما يحتاجونه ، في سكنهم وترحالهم ، ومن ثم لا حاجة للعمل ، ولا فائدة من العلم ، ولا حاجة حتَّى للدعاء ، فحتى الدعاء بالفرج وظهور الخليفة قد تحقق ، ولقد سمعنا بعضهُم وهو يقول ، حينها ستقول للخباز ، بحق الصلاة على محمد وآل محمد ، أعطني عشرة أرغفة من الخبز ، فلـسوف يعطيك إياها من دون ثمن ، وهذا ما سيحصل مع من يبيع الفاكهة أو الخضروات ، وباقي المحلات ،

حياةٌ لم ينلها حتَّى أصحاب الجنَّة ، فأصحاب الجنَّة استشهدوا وعانوا مرارة الصبر والحرمان ، أمَّا هؤلاء ، فحسبهم أنَّهُم كانوا ينتظرون الخليفة ، وهذا الخير سيعُم أبناءهم وهُم في بطون أمَّهاتهم ، ومَن لم يُبدِ أيَّ مجهود ، حتَّى في الدعاء بظهور الخليفة ، وهذا الأمر ليس بافتراء وابتداع من هؤلاء المتحدّثين ، بل على وفق نصوص وروايات مُعتمدة ، وبأسانيد موثّوقة ، سبق أن ذُكرت حتى في كتاب التوراة ، والتي تحدثت عن أنهار من العسل واللبن تجري بظهور الخليفة ، والشفاء التام والشامل لكل أنصاره ، وسنذكرها لاحقاً بالتفصيل ، فكيف لنا أن نقتحم هذه الروايات ، لنتعرف إلى صدق ما ورد فيها من عدمه ، وكيف لنا ألّا نعقلها ، وفي الوقت نفسه نؤمن بها ، لأنها روايات موثقة ،

لذا فكل ما علينا هو تنظيم تلك الروايات وتشذيب المطلق فيها ،

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) ﴿٤٦﴾ الرحمن .

في مطلع حديثنا عن ماهية المنظار القانوني ، جرّنا الحديث لذكر الآية في أعلاه ، وقلنا : لو أنَّنا نظرنا لهذه الآية ، بموجب ما أوضحته الروايات الشيعة من قضية الرجعة ، فيكون لهذه الآية مفهوم زماني وليس مكانياً ، أي إن من مات من أصحاب الرجعة يدخل الجنة فور مماته ، ثم يعود للحياة ، فيبلوا بلاءً حسناً ويَمُتْ على

ما مات عليه في حياته الأولى ، ليعود للجنة مرَّة أخرى إثر مماته بعد الرجعة ، وهي جنة المستقر التي تأتينا بعد يوم الحساب ، وإن لم يقل أحد من فقهاء الشيعة ما تقدم ، فإن ما تقدم هو المنظار القانوني للنص ، وهناك زاوية أخرى نرى من خلالها بموجب المنظار القانوني صحة ما توصَّلنا إليه ،

كقوله تعالى (بل شهداء عند ربهم يرزقون) ، فهذه الآية تدلنا أيضاً على أن مفهوم وجود الجنّتين لمن خاف مقام ربه ، مفهوم زماني ، فيدخل الشهداء جنّة مُعدّة لهم إثر استشهادهم مباشرة ، ومن ثُمَّ يدخلون جنَّة المستقر والتي تأتيهم يوم الحساب ، وكقوله تعالى : -

(يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر .

فلمّا كانت النفس المطمئنة هي خير نفسٍ تخاف مقام الله ، فلماذا دُعيت لدخول جنَّة واحدة ، ولماذا لم يقل تعالى وادخلي في عبادي وادخلي جنتين أو جناني ، وكما نلاحظ أن هناك عباداً سبقوا النفس المطمئنة ودخلوا الجنَّة قبلها ، بالرغم من أنَّها النفس التي تصل إلى أعلى مقاماتها كما بين معظم الفقهاء ، وهذا يعني أن هناك دخولاً زمانياً متواتراً للجنَّة ، والتي نعدها صورة مطابقة لجنَّة الخُلد ، لأنَّ الدخول لهذه الجنَّة يختلف عمّا أوضحه الله لنا عن يوم القيامة ، فعلى النفس المطمئنة وغيرها أن تمر بدور من الحساب ، لا أن تدخل الجنَّة في اللحظة التي تغادر الجسد وتعود بها إلى الله ، فلو دخلت هذه النفس في مرحلة الحساب ، لما احتاجت لأمر الدخول إلى الجنة ، إذ لا يمكن تصور أن تمر النفس المطمئنة في يوم الحساب الذي لا بد من أن تمر به كل أنفس العباد ، حتى الأنبياء والصالحون ،

وبعد ذلك يُقال لها ، أرجعي لربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي ، فلا يُقال لها في لحظة خروجها من الجسد ، وربما في زمن الحياة الدنيا ، ما أوضحته الآية .

وهذا كُلّهُ يخالف ما عرفناه عن يوم القيامة ، من نظام تحدثت عنه النصوص القرآنية ،

(ونادى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ﴿٤٤﴾ الأعراف .

ومن مفهوم الآية ، يتضح أنَّهُ اللقاء الأول بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة ، وفي هذه اللحظة ، يتعرَّف الكافر والمنافق ويستوثق ، أنَّهُ كان على المنهج المخالف لمنهج الحق ، ويعتزل المؤمن الفئة الكافرة ، ويرى بعينه انسياقهم لجهنم ، وبطلان ما كانوا يدعون له من الطاغوت .

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خالدون) آل عمران .

ويبدو هذا هو الحدث الثاني ، الذي يلاقيه المؤمن والكافر يوم القيامة ، فبعد انفصالهم عـن بعضهم ، تبيض وجــوه المؤمنين وتسود وجــوه الكافرين ، أمــا الحدث الثالث : -

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَـا عَـمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُـوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) ﴿٣٠﴾ آل عمران .

وهنا يتعرف المؤمن إلى كمية الخير الذي قام به ، ويتعرف الكافر والمنافق إلى كمية الشر الذي قام به ،

(يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) ﴿٧١﴾ الإسراء .

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) ﴿١٩﴾ الحاقة .

وهنا يتناولون كتبهم ، التي جُهّزتْ وأحضرتْ لهم : -

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا) الانشقاق .

وهذا ما يؤكد بشكل قطعي على أنّنا ، أمّا ممَّن يؤتى كتابه بيمينه أو يساره ، ولا خبر عن أن هناك من يخاطب لدخول الجنَّة ، من دون المرور بهذا النظام الذي بينتهُ النصوص القرآنية ، ولا نعلم كيف أن للباحثين ، ومن يسندون لأنفسهم العلم والمعرفة ، من تأويل آية بمعزلٍ عن بقية الآيات ، وإن الصورة تختلف من آية لأخرى ، ولم يعُد لنا من سبيل لفهم الآية القرآنية ، إلّا من خلال الآية التي تعرَّضْنَا لها في مطلع هذه الخطوة ، ألا وهي دخول الجنة في الحياة الدنيا ، ومن ثم جنَّة الآخرة ، ونعني أن هناك دخولاً فورياً لبعض الأنفس لجنَّة الله ، وهذا هو الحق الطبيعي لهُم ، لما كدحوهُ وبذلوهُ في جنب الله ، ومن ثُمَّ تتحقق أمانيهم بالحضور والعيش في ظل دولة الخلافة الإلهي ، وفي أيام الله التي ضحّوا من أجل تحقيقها

واطلالها على وجه الأرض ، والحق الطبيعي لهم ، أن يذوقوا الجنان مرَّتين ، كما سعوا مرتين في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ،

فالنفس المطمئنة قد دخلت جنان الله فور خروجها من الجسد ، وبعد ذلك ستُسعدُ للرجوع إلى الحياة الدنيا ، ليروا حقاً نصر الله الذي وعدوا به في حياتهم الأولى ولم يشهدوهُ ، وهناك من لم يشهدوا مع الرسول الكريم حتى فتح مكة ، كحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب ومصعب بن عمير وغيرهم الكثير ، كما يُمكننا اعتبار الجنة التي يتمتعون بها بعد الموت ، هي جزاء مقدَّم على ما سيقومون به في دولة الخلافة ، وتبقى جنَّة المُستقر لما قاموا به في حياتهم الأولى ، وهذا مُجرد احتمال ، لأنَّ الجنَّة التي يدخلونها بعد موتهم ، جنَّة وقتية ، ولكنَّها تُستأنَف بحلول يوم القيامة ،

وكلُّ من ذكرناهم في أعلاه ، مؤهَّلين للرجعة مع خليفة الله ، ومؤهَّلين لدخول الجنَّة مرتين ، أو الأصدق القول ، ضمن مرحلتين ، وهذا كما أشرنا هو العدل والحق في أن يشهدوا نصر الله ، وما وعدوا به ، من تحقيق كلمة الله ونشر نوره في أرجاء المعمورة ،

ومن خلال ما تقدَّم ، نفهم أن رجعتهم للحياة الدنيا مرَّة أخرى ، ستختلف عمّا مرّ بهم في حياتهم الأولى مع الرسول أو في مناصرة الرسل بعد وفاتهم ، وهذا يعني أن **لا مجال لاختبارهم فيما اختبروا به سابقاً** ، فلا حاجة للفقر والفاقة والعوز ، لنعرف تمسكهم بمنهاج الباري -عز وجل- ، فهم يستحقون الجنَّة ، سواء رجعوا لنصرة الخليفة أم لم يرجعوا ،

وهذا يعني أن الكدح لأجل نيل متطلبات الحياة ، قد زال عنهم ، والأرض والسماء وسكانُهما من الملائكة في خدمتهم ، وهنا يمكنُنا تقبُّل كُلَّ **ما ذُكر حول أنهار العسل واللبن** ، والحصول على حاجاتهم دون أيِّ ثمن ، فكلُّ ما ذُكر يخصُّ هذا النفر الصالح ، وبما أنَّهم يستحقون الجنان في كلِّ الأحوال ، فمن العدل أنَّهم سيعيشون حياة الجنان على الأرض ، ويتمتعون بما سمعناه وقرأناه في كافة النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة ، حتى لو وصل القول بأنَّهم سيتزوجون من حور العين ، ولا يضرهم سمّ ولا داء ، ولا يتعبهم عناء ، مع هذا فهم محكومون بآلية الجسد في البقاء والفناء ، فالسيوف تقطعهم والخناجر تُمزِّقهم ، لذا فهم معرضون مرة ثانية للاستشهاد في سبيل الله -جل جلاله- ، وهذا بالفعل ما سيجري

عليهم ، فهو مُنتهى أملهم الذي طلبوه ، وطموحهم الذي رجوه منذ حياتهم الأولى ،

و**خلاصة القول** ، أن ما سمعناه عن أنهار العسل واللبن وقضاء الحاجات بلا ثمن ، حقيقة لا يمكن انكارها البتة ، ولا يمكن تعميمها مطلقاً ، لأنَّها تخصُّ أناساً استحقوا أن ينعموا بنعيم الجنة ، والريح التي ترافقهم ، ريح معطرة بالمسك والياسمين ، ويغطيهم الغمام إذا اشتدت الشمس ، وتنير لهم وجوههم إذا جن الليل ، وكلمحة على ما جاء في الروايات اليهودية ، التي تُثبت صحة ما نقل عن الشيعة ، ولنا في جزئنا الثاني ، مباحث مطوَّلة ، عن هذه الروايات في كل الأديان :

١ - في عهد مسيح اليهود تكثر الخيرات عند اليهود ، فتنبع الجبال لبناً وعسلاً ، وتطرح الارض فطيرا وملابس من الصوف .

٢ - عند خروج مسيح اليهود تخرج جثث العصاة ليشاهد اليهود تعذيبهم .

٣- عند خروج مسيح اليهود يحيا الاموات من اليهود ، ويخرجون من قبورهم لينضموا الى جيش المسيح .

لذا نقول إن أهل الرجعة ممَّن مروا باختبار العوز والحاجة ، فيما لم يمُر من أحدٍ من الخلق بمثل ما مروا به من سنين عجاف ، وليس من العدل أن تعاد عليهم هذه الاختبارات ، وإن علة رجوعهم هي أن يروا كيف أن الله منجز وعده ، وأنْ ينصروا العدل كما استشهدوا على هذا الأمل ، حتَّى ينتشر الخير في أرجاء الأرض ، وينحسر الشر عند أهل الشر ، وبهذا ستكون حياة من ماتوا وهم ينتظرون الخليفة ، أفضل بكثير من حياة من سيدركه في حياته ، وليعلم بذلك من يدعي أن من ماتوا وهم ينتظرون الخليفة ، خسروا حياتهم كُلها وأضاعوها بهذا الأمل ، بل قد غنموا حياة لا مثيل لها ، وجنتين يسعدون بهما ،

هكذا نفهم الروايات التي تداخل بعضها مع بعض ، واختلطتْ بعض مفاهيمها مع بعضها الآخر ، وكل ما تقدم ليس بالكلام المُرسل ، أو بحديثٍ مُرتَجل ، فهذا ما صرّحَ بِهِ القرآن صراحةً ، ولنتمعن مرة أخرى في قوله تعالى : -

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) ﴿٦٦﴾ المائدة .

فليس بعد كلام الله من حديث ، وما من آية من آيات الله ، إلا ولها صورة من الصور التي ستأتينا ، وحدث من الأحداث التي سنمُر به في حياتنا ، وإثبات هذه

الآية سيكون في يوم الظهور ، أيْ إنَّنا سنراها حقيقة ، ونرى كيف أنَّ مَنْ يُقم الكتب السماوية ، يأكلون من فوقهم ومن تحتهم ،
وهذا لا يعني أنَّها لم تتحقق إلا في يوم الظهور ، فالأنبياء والأولياء وحتَّى كل مَنْ يُحتسب على العباد الصالحين ، شهدوا بأنفسهم تحقق هذه الآية ، وما سيحدث في يوم الظهور ، سيجعلنا نرى جميعاً ونشهد ، كيف للمؤمنين القائمين بالكتب السماويَّة ، أن يأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، حيث ستكون الأعداد غفيرة ، فهُم كل من آمن بالكتب السماوية منذ انبعاث أول الأنبياء حتى يوم إعلان دولة الخلافة ، مع ذلك فالأعداد ليست الأعداد الغفيرة بمطلق الكلمة ، بل غفيرة قياساً إلى أنصار كل نبي على حدة ، لذا تعد أعدادهم ، أعداداً لم تشهدها الأرض سابقاً ، أمّا من يتكلم ويدعي أن عددهم في حدود الثلاثمائة وثلاثة عشر ، فهو يتكلم على عدد سفراء الخليفة ، والذين سيمثّلونهُ لدى شعوب العالم ، إذ سيصل عدد بلدان العالم لثلاثمائة وثلاثة عشر بلد ، ولا يشترط أن يكون عددهم على وفق ما هو مُقر دولياً ، فقد تعد أمريكا (٥٠) دولة ، واعتبار كل ولاية فيها دولة مستقلة ، يصلح تمثيل دولة الخلافة لديها ، وهكذا الامر لكندة وأستراليا وبقية الدولة الكبيرة جداً في مساحتها ،
أما حين نتكلم على كل أنصار الخليفة من أهل الرجعة ، فإننا نتكلم على اعداد كبيرة ، ستتضاعف شيئاً فشيئاً ، كما سيمر بنا في الجزء الثاني ،
((عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن أبي بصير قال : سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام : كم يخرج مع القائم عليه السلام؟ فإنهم يقولون : إنه يخرج معه مثل عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، قال : وما يخرج إلا في أولي قوة ، وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف))
المصدر : كمال الدين وتمام النعمة - للشيخ الجليل الأقدم الصدوق - ج {١} - الصفحة [٦٨٢] .
وبالعود لأهل الرجعة ، فالقرآن الكريم صرّح مرة أخرى ، بما يجده المؤمنون من خير ورزق وفير إثر أيمانهم ، لو كانوا قد آمنوا بشكل جماعي ، وليس بشكل مفرد ، وهذا لا يعني أن المؤمن بين المشركين لا ينعم بما وعد الله ، فقد بيَّنا كيف سيرزقون في العودة ، ولنرى أولاً ما جاء في النص : -
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ﴿٩٦﴾ الأعراف .
بداية ، فالقرى إشارة لكل دولة ، حيث لم يكن مفهوم الدولة الحديثة متداولاً بشكل واسع ، فيطلق على كل دولة اسم قرية إذا كانت مستقلة بذاتها ، حتى فيما

يخص الدول الكبيرة والعملاقة ، حيث تسمى بالبلاد ، كبلاد فارس وبلاد الروم ، وعليه فهذه الآية تخاطب سكان العالم جميعاً ، وأهل القرى تعني ، أهل الدول جميعاً ، وكل من يسكن على هذه الأرض ، وهذا حال كل المؤمنين لو لا الحسد ، فالحسد والحقد اللذين سيكونان في مطاردة المؤمنين ، قد يقطعان عليهم تلك البركات ، كما جرى على معظم الأنبياء ، كقصة نبي الله يعقوب مع عمه ، الذي استغل حتى تلك البركات لزيادة رزقه والحصول على مزيد من الأموال ، كما صرحت بعض النصوص القرآنية ، وهي تصف حسد المشركين على الذين آمنوا : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) ﴿٥٤﴾ النساء .

وجاء في القرطبي : ((روي عن علي -رضي الله عنه- قال : شكوت إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- حسد الناس لي . فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة ؛ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا)) ﴿١٥٦﴾ . وقد ظهر هذا الدليل ، رغم التعتيم والإنكار لكرامات آل البيت ومنزلتهم .

ونذكر أن تعبير الناس ، جاء على ما يجري على ألسنة أولئك الحاسدين ، أي إنَّ كل الحاسدين ينادون أولئك الكرام بالناس ، ولا ينادهُم على أنَّهم أولياء وأصفياء ، وكأنه تعالى يقول لهُم ، إن كنتم تعدونهم أناساً ، فلماذا تحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وتعبيراً على أن كل ما لديهم هو من فضل الله ومَنّتهِ عليهم لا بل يصل كذلك إلى أن الناس ، هُم كلّ مَن آمنوا بفضل الله على آل بيت الرسول ، فيصيبهم هم أيضاً الفضل والكرامات ، فيجابهون بالحسد والحقد من أولئك المنافقين ، وفي تفسير السعدي ، يقول (إن آل إبراهيم ، هم كل الأنبياء ومنهم رسولنا الكريم) ،
ويفترض على السعدي أن يقول ، ومنهم محمد وآل محمد ، ولكن صعُبتْ عليه وأتعبتْ قلمه ، مع هذا فبقوله المتقدم ، جعل آل محمد بمصاف الأنبياء ، لأنَّنا حين نقول اللهم صل على محمدٍ وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبما إن آل إبراهيم هم كل الأنبياء ، فإن آل محمد هم بمنزلة الأنبياء ، وكانوا أنبياء لولا أنه تعالى ختم الأنبياء بالرسول الأعظم ،

....

﴿١٥٦﴾ - تفسير القرطبي - ص [٤٨٦] - للآية ﴿٢٣﴾ من سورة الشورى .

وقد قال الحق والصواب وإن كان عدواً لهذه النتيجة ومخالفاً لها ، والحقيقة التي يكره السعدي قولها ، إن آل إبراهيم هم محمد وآل بيت محمد ،
(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ﴿٦٨﴾ آل عمران .
وبذلك يكون مفهوم الآية ، أن هناك من يحسدون محمداً وآل محمد ، إذْ أعطاهُم الكتاب والحكمة ، وآتاهم مُلكاً عظيماً ، وكما سوف يمُنّ عليه بمزيدٍ من الملك العظيم ، يوم ظهور الداعي إلى الله ، والقائم بشرعه وعدله والحاكم باسمه ، والممثل لقدرته ولوجوده في السماوات والأرض ، كما آتاهُم مُلك الأرض التي تمثل السماوات والأرض ، كسالف حديثنا عن معنى الأرض ، في قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ، وهذا هو السبب في تطرقنا لموضوع الحسد ، لنرى كيف سيعطي الله ملكاً عظيماً لأوليائه ، وهو ملك السماوات والأرض ، فقد قضى أن يكونوا ورثة الأرض ، والمُلفتْ في الموضوع إن للرسول فضيلتين تميُّزهُ من بقية الناس ، الفضيلة الأولى نسبه الممتد لإبراهيم الخليل ، والفضيلة الأخرى كونهُ من المؤمنين ، فقد أشارت الآية ، بأن المؤمنين أيضاً من أولى الناس بإبراهيم ،
وإذ يقول الله : (مُلكاً عظيماً) ، فماذا سيتبادر إلى الذهن ، فقد تفكر الآن بملك سليمان ، فتعال لنرى ما جاء في النص القرآني ، واصفاً ملك سليمان ،
(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ﴿٣٥﴾ ص .
وبالرغم من أنه ملك لا ينبغي لأحدٍ ، فلم يُوصف بالملك العظيم ، كما وصف بأنَّهُ ملك جاء عن هبة ، لذا فإن سليمان خرج من دائرة الملك العظيم ،
وقد يتحدث بعضهم وكأن الله حاشاه لم يكن دقيقاً ، أو لم يكن لسليمان أن يطلب الملك العظيم ، لكن الله تعالى أعطاه ملكاً عظيماً ، أي لا يشترط في قول سليمان أن ملكه ليس عظيماً ، وإن طلب مجرد الملك ،
فلنرى ما جاء عن ملك داوود الذي لا يقل ملكه أبداً عن سليمان ،
(إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) ص .
فكيف لا يوصف ملك مثل ملك داوود بالعظيم ، والجبال يسبحن معه ، والطير مجتمعة ، وبجميع أصنافها تحت أمره ، مع كل ذلك ، أوضح لنا تعالى أن ملكه تحت حماية السماء ، ولم يصفه بالعظيم أبداً ،
وتمعن قوله تعالى في الآية من سورة يوسف ، وما وصف به ملك يوسف ،
- (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ....) ﴿١٠١﴾ يوسف .

لاحظ ما جاء في النص القرآني (من الملك) ، لأنه كان عزيز مصر ، ولم يصل لملك مصر منفرداً وحده ، وبهذا نلاحظ الدقة في التعبير ،
وهناك ملك آخر تحدث عنه القرآن الكريم ، وهو الملك بالاصطفاء ، أي ما يميزه من الآخرين ، فيكتسب الملك من جراء ذلك ،
(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عليم ....) ﴿٢٤٧﴾ البقرة .
وأخيراً ، فهناك صورة من الملك ، لا توصف بالملك ؛ بل يمكن عدها حالة من حالات الملك ، يمكن تسميتها بالملك السلطوي : -
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) الكهف .
وبعد أن يذكر سبحانه وتعالى ، حالة الملك التي مكّنهُ لها ، وهي مجابهة يأجوج ومأجوج ، يعود للقول : -
(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) ﴿٩٥﴾ الكهف ،
مررنا في أعلاه ، على حالات ومستويات متباينة في الملك ، وبذلك لا يمكن جمعها بمجملها ، لنصفها بالملك العظيم ،
ولم يبق لدينا إلا الاعتراف بأن الملك العظيم ، هو إشارة قطعية وجازمة على أنها ميراث الأرض بما رحُبتْ ، وما أقلّتْ من الخلق وملك الخلفاء الراشدين المهديين : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ﴿١٠٥﴾ الأنبياء .
أما الشيعة ، فلديهم تحليل خاص ، وهي روايات نُقلتْ عن الأئمة من أبناء الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-، نختار منها ما جاء في بصائر الدرجات ﴿١٥٧﴾ : -
((عن أبو محمد عن عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عن علي بن أسباط عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله أم يحسدون الناس أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد عليه السلام ، في هذه الآية آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ،
قال : نحن والله الناس الذين قال الله تعالى ، ونحن والله المحسودون ، ونحن
....
﴿١٥٧﴾ - بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار - ص [٤٣٦] .

أهل هذ الملك الذي يعود إلينا)) ﴿١٥٨﴾ .
ودائمــا ما نُردد ، بأنَّ من يحاول اتهــام الشيعة ، بالغلو في حب آل البيت ، ومن ضمنهم التسعة المعصومين من ذرية الحسين -عليهم السلام- ،
فعليه أن يعطينا رواية واحد ، يمكن تقبلها ، تساوي وتوازي ثقل رواياتهم عن أئمة الهدى من آل الرسول ،
أو هـل شهد التأريخ منذ البعثة الشريفة ليومنا هذا ، مثل عليٍّ وفاطمة وذريتهم بشجاعتهم وورعهم وصبرهم وحكمتهم وبلاغتهم وعلومهم وفقههم وعبادتهم ، وتضحيتهم وهداهم وكرمهم وكراماتهم ، وهذه الصفات الاثنتا عشرة ، لا تليق حقاً وصدقاً إلا بهم ، والتأريخ أمامنا ، مع ما به من حرب شُنّت ضدهم ، من قبل أمراء بني أمية وبني العباس ، وحتى من قبل الدولة العثمانية ، ومن قبل السلفيين الآن ، وطمس للحقائق ، التي تكشف عن صفاتهم السامية ، وبالمقابل تزوير وتحريف في صحيفة الحكام والأمراء ،
لإظهارهم على أنهم هُداة مهديون ، مع كل هذا فمن يريد الوصول إلى الحقائق فسيجدها واضحة لا لبس فيها ،
وعلينا الآن العودة إلى ملك سليمان ، والآية التي جاءت عن ملكه : -
(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ﴿٣٥﴾ ص .

وهنا نُركّز على طلب سليمان (ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) ، والسبب الذي دفعه لمثل هكذا طلب ، إذ كان من المفروض أن يقول ، لا ينبغي لأحدٍ من قبلي ، على أساس علمه المسبق بالملك الذي سبق إلى الأنبياء ، فعلى أي أساسٍ بني طلبه ، وهل يمكن أن يشترط مثل هذا الشرط ، وهو يطلب الهبة من الله ؟ ،
بداية فليس هناك ما يثبت أن طلبه ينصرف على المُلك ، لأن مفهوم الآية يشير ربما إلى الكيفية ولا يشير إلى الملك ، أي لا ينبغي لأحد من بعدي أن تهب له الملك (الملك بوصفه هبة) لا كاستحقاق ،
ولمزيد من التوضيح ، يكون مفهوم الطلب ، أن سليمان طلب الملك على إنَّهُ هبة ، وهذا هو الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، أمّا أن يؤتي الملك لأحدٍ من بعده ، فهذا ليس من ضمن الطلب أو الرغبة المشار لها ،

....

﴿١٥٨﴾ - أوردها بالنص ، العلامة المجلسي في بحار الأنوار ، ج {٢٣} ، ص [٢٨٨] .

وليس من المقبول أو المعقول ، أن يتحكم سليمان بالمشيئة الإلهية ، لكن السبب الأســـاس إنَّهُ لا يستطيع القول (لا ينبغي من قبلي) ، لأن الله نصّب الخلفاء منذ بداية الخليقة ، وهذا دليل على أن سليمان ، كان عالماً بأن هناك من جعلهم الله خلفاءً في الأرض ، وملكهم أمورها ومقدراتها ، أي إنَّهُ يقصد ، أنك يا رب ، قد ملّكتَ خلفاءك من قبلي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدهم ، فملكني مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، أي جزءاً يسيراً من ملكهم العظيم ، ولو كان ملك سليمان أعظم من ملك الخلفاء ، لقال ملكاً لا ينبغي من قبلي ولا من بعدي ، لأنه سيصطدم مع قوله تعالى : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .....) ﴿٣٠﴾ البقرة .

وهذا الملك أقدم من ملك سليمان بآلاف السنين ، وبعد كل هذا فإنَّهُ طلب الملك ، ولم يطلب أن يكون خليفة الله على الأرض ، والفرق بين الملك والخلافة ، هو الفرق عينه بين الملك والملك العظيم ،

تمعن الآن في قوله تعالى : -

(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) البقرة .

لا يشترط هنا ، أن يكون الحديث مع كل بني آدم ، فالخطاب هنا موجه للكافرين ، أي إن الكافرين فقط هُم من كانوا أمواتاً فأحياهم الله ثمّ يُميتهم ثمّ يُحييهم ثمّ إليه يرجعون ، وإن الخطاب موجه للكافرين وحسب (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) ، زيادة على ما ذكرناه في الآية سابقة الذكر ، من أن الذين يحاولون أن يميل الرسول الكريم لهم ولأهوائهم ، أشـار الله لهم بالرجعـة ، بطريقة مـباشرة أو غـير مباشرة كما قد يفهما بعضهم ،

(إِذًا لَأَذَقْنَاكَ **ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) الإسراء .

كل هذا يعني أن للكافرين رجعة كما للمؤمنين ، ولكن ليس كل الكافرين وليس كل المؤمنين ، ففيما يخص الكافرين ، ستختص الرجعة ، بالذين بدّلوا سنة الله ورسوله ، وكان لهم من الأتباع ممن شكلوا على إثرهم طوائف وفرقاً ، وهم المشار إليهم في الآية أعلاه من سورة الإسراء ، فعلى أقل تقدير سيكون عددهم [٧٢] ، وهم من مؤسسي الفرق الإسلامية التي نحن عليها الآن ، ما دامت أمة الرسول ،

ستفترق [٧٣] ، واحدة فقط هي الناجية ، وعليك أن تعرف من هم زعماء تلك الفرق ، الذين استحدثوا فرقهم بعد فقدنا للرسول الأعظم ،
فكما سيعود عيسى النبي ليُخبر قومَهُ أن لا دين لله غير دين الإسلام ، الذي بشَّر به أول الأنبياء إلى خاتمهم ، والذي قال به موسى -عليه السلام- كما قال به من قبل إبراهيم ونوح وإدريس ، وكما حاول هو -ع- أن يعيد بني إسرائيل إلى جادة الصواب : (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) ﴿٥٠﴾ آل عمران .
ويبيّن لقومه ما اشتبه عليهم من الإنجيل كما بين لهم ما اشتبه عليهم من التوراة من قبل ، وما أخفاه وحرَّفهُ بعض القساوسة ، وهذه مُهمَّة أصحاب الكهف ، كذلك في حال رجعتهم ، وما رجوه من الله تعالى ، ليعودوا لنومهم الذي استمرّ كل هذا الوقت ،
ومن جهة أخرى سيعود من نصب العداء للرسل ، وحرّف الدين ، وجعله أدياناً وسنناً ، ليعترفوا بما كان منهم ، وسيكون اعترافهم أمام من اتبعوهم ومن نهجوا منهجهم ، ومن اعترفوا بهم على أنهم يمثلون الأنبياء ، لذا سيلفُّهُم العار والخذلان ، وكما أوضح الله تعالى في الآي الكريم : -
(يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) ﴿٤٢﴾ النساء .
فهم أمام الله وبحضور خليفته ، سيعترفون على مضض ، بما جنتهُ أيديهم وألسنتهم من التزييف والتزوير والتحريف ، وتعديهم على أولي الأمر بالبهتان والكذب ، ليستحوذوا على تركة الأنبياء ومنزلة الأوصياء ، ويجعلوا الناس تركن لهم وتختارهم أولياء من دون الله تعالى ، وكثيراً ما جاءت النصوص القرآنية ، تتحدث عن هذا الأمر ، فإلى ما يشر سبحانه بقوله من دون الله ، كقوله : -
(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٣٨﴾ يونس .
من ظاهر الآية ، نجد كأنما الله يأمرهم -جل جلاله- أن يدعوا كُلاً أو بعضاً من خلق الله ، إذا ما استطاعوا أن يأتوا بسورة مثله ، وهنا يتبين لنا ، ضعف الفكر الذي يأخذ بالمعنى الظاهر للآيات ، وضعف القائلين بالإسناد الإلهي ، أي بأن نسند الطبيعة البشرية ، إلى الطبيعة الإلهية ، كيَدِ الله وساق الله ، ومجيء الله وحضوره -جل جلاله- ، في مكان أو زمان معينين ، في هذا الكون ، لأنّ الله يمثلهُ في هذا الوجود ، كل من

تكلم بسنته من ملائكته وأنبيائه وأوصيائه ، وبالعودة للآية أعلاه ، نجد التحدي الذي جاء في الآية من شقين ، **الأول** : فأتوا بسورة مثله ،

والثاني : دعوة من استطعتم من دون الله ، أي إن مثل هذه السور القرآنية لا تأتي قط من دون الله تعالى ، فالأساس هو الرد على المشركين ، بأن هذا القرآن لا يمكن أن يفترى ، ولا يمكن أن يصدر إلّا من الله ، ولا حتى بسورة واحدة منه ، وخوفاً من أن بعض السادة القُرّاء ، يختارون الاطلاع على مباحثَ مُختارة ، فتفوتهم بعض الإشارات المهمة ، فلا يفوتنا التنبيه ، إلى أن القصد بالسورة ، هي الآية أو الآيات التي تتحدث عن أمرٍ ما ، فحين أنزلَ القرآن لم يكن على شكل سور ، ولم يكن معروفاً كسور قرآنية ، كي يقول لهم الله آتوا بسورةٍ ، بل يعرفون القرآن على شكل نصوص قرآنية ، قد لا تتجاوز آيتين أو بعض آيات ، كما أن السور تختلف فيما بينها ، فهناك من هي مكونة من ثلاث آيات ، وهناك منها ما تجاوز المائة والمائتين ، كما أن هناك آية واحدة قد تكون بعدد كلمات يزيد عن سورتين أو أكثر ، فالقضية لا تخصُّ عدد الكلمات أو الآيات ، أو سورة عن سورة أخرى ، كمن يقول إن الله تحداهم ، ابتداءً من أصغر السور عدداً للآيات ، بل كانت المواجهة تعني السورة بوصفها بياناً لأمر ما ، من الأمور التي تحدّث عنها القرآن ، ونختم حديثنا عن الرجعة ، بأنها وإن كانت تعدّ من عظيم نعم الله على عباده الصالحين ، فإنها من زاوية أخرى ، تدعو للحزن والندم ، فلو كان أنصار الخليفة وقت ظهوره ، بالعدد الذي يكفي لمواجهة أعداء الله وأعداءه ، لما كان الاتكال على أصحاب الرجعة بشكل أساس ، لتشكيل جيش الخليفة ، وهذا لا يعني أبداً ، إن أصحاب الرجعة منحوا هذه المنحة ، لأجل سد خلة العوز ، الذي رُبَّما سيحصل في عدد الجيش ، فمما لا شك فيه ، أن إكرامهم جاء تلبية لآمالهم ، بالعيش في دولة العدل الإلهية ، وهذا ما بحثناه في قضية أصحاب الكهف ، ولكن فوق هذا ، فهناك ما يجدر الإشارة إليه ، وهو قوله تعالى : -

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ﴿١٠٥﴾ الأنبياء .

وقد ظنَّ بعض المحاربين لفكرة الرجعة ، أن المقصود هنا بعباد الله الصالحين ، هم الخلفاء تحديداً وحسب ، ونحن لا نعارض هذا القول مطلقاً ، فقد يكون المقصود هنا بعباد الله الصالحين هم الأنبياء والأولياء والخلفاء ، وكما لم يصادق أهل الجماعة على قضية الرجعة ، إلّا فيما يخص نبي الله عيسى ، ولكن ، وما من كلمةٍ أهم من (ولكن) هنا ، نقول : ولكن ما أهميَّة أن يعيش الصالحون على الأرض

من غير أثر لهم ، فكل من هداهم الله لمرضاته على يد الصالحين ، هم الأثر الخاص بالصالحين ،

ولو أن الصالحين وحدهم هم الأنبياء والأولياء ، لما كانت هناك جنَّة لأصحاب اليمين ، فرجوع بعضهم من العباد ، سواء كانوا بمنزلة الصالحين ، أم من أتباعهم ، تشريف للصالحين أنفسهم ، ولا نفهم سرّ امتناع أهل الجماعة من المصادقة بالرجعة إلّا لنبي الله عيسى حصراً ، أو من المؤكد أننا نفهم ، ولكن نريد لهم الإشارة ، وأن يفهموا هُم سرّ امتناعهم ، ومع أن هنالك من قال إن أصحاب الكهف من الأنبياء ، إلا إنَّنا لم نجد قط ، أي دليلٍ يثبتُ نبوتهم ، فلم يوح إليهم ، بل ولم يُلهم أحدهم بأي إلهام ، يثبت أنهم على اتصال بالملائكة ، بدليل نومهم ويقظتهم ، من دون علم أحد منهم بما جرى لهم ، على مدى المئات من السنين التي مرّت عليهم في الكهف ، لذا فما جرى لهؤلاء الفتية من رجعة ، يجري على الصالحين ممن هم دون الأنبياء والأولياء ، وما حدث لأصحاب الكهف ، هو عينه ما سيحدث لأصحاب الرجعة ، وقد يتمثّل الفرق بالكيفية فقط ، فنوم أصحاب الكهف ، كان آية لجيلٍ من الناس ، فيما أشار لها القرآن لأجيال أخرى ،

أمّا أصحاب الرجعة ، فلا يستدعي الأمر حتى أن يحتفظوا بأجسادهم ، خصوصاً أن معظمهم من الذي استشهدوا ، وربما احرقوا وأغرقوا وهم يجاهدون في سبيل الله ، فما الذي يميز أصحاب الكهف من الصالحين من أتباع الرسول الأعظم ، كي نؤمن بعودة أصحاب الكهف ، ولا نؤمن برجعة أصحاب الرسول ،

ولو أردنا أن نبين مناقب الإمام علي وأولاده الأبرار -عليهم السلام- ، التي تزيدهم منزلة عن أصحاب الكهف ، لاحتجنا إلى مجلدات كبرى ، بما نعلمه فقط عنهم ، وما نعلمه هو النزر القليل ، بعد ما تعرض تراثهم للنهب والاختلاس ،

ونختم حديثنا عن الرجعة ، برواية جد هامة : -

((وإذا آن قيامه ، مطر الناس جمادى الآخرة ، وعشرة أيام من رجب ، مطراً لم تر الخلائق مثله ، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم ، وكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب)) .

ذكرت بهذا النص في كتاب الإرشـاد في معرفة حُجَج الله على العباد للعلامة المفيد ص [٣٤٢] .

الخطوة الثالثة

ما قبل المسير

التوبة التي تسبق إتيان الذنوب

يعلمنا الباري -عز وجل- كيف نستعد لكل عمل من أعمال العبادات ، بما يهيئنا نفسياً وجسدياً له ، كالوضوء لأجل الصلاة والإمساك للصيام ولبس الاحرام للحج ، وما يجمعها جميعاً وكل أعمال العبادات الواجبة والمستحبة ، هي نية التقرب لله -جل جلاله- ،

فما هو العمل الذي يسبق المسير إلى دولة الخلافة ، بعد توفر النية بالتقرب إلى الله -جل جلاله- ،

وقبل أن نبحر في الإجابة ، علينا أن نبحر في إجابة سؤالٍ آخر ، ستوصلنا الإجابة عليه ، إلى جواب سؤالنا الأول ،

والسؤال هو ، ما الذي أخَّرنا عن المسير إلى دولة الخلافة ، كل هذا الوقت ، وما الذي أبعدنا عنها ، وعن التفكير بوجودها ،

وقد يكون سبب تأخرنا والابتعاد عنها وعن التفكير بوجودها انشغالاتنا بالحياة الدنيا ، أو إيماننا بأمور مخالفة لنهج الخليفة ، ومهما تعددت الأسباب فالنتيجة واحدة ،

لذا فالحالة تنضوي على ذنب وتقصير ، لابد من أن نتخلص منه ، قبل المسير إلى دولة الخلافة ، فمن الصعب أن نحمله معنا ، ورُبَّما جعلنا ثقله ، غير قادرين أن نخطو بخطوة واحدة ، نحو مقصدنا المبارك ،

ولكي نتخلص من هذا الذنب ، بكل آثاره ومخلفاته ، فما علينا إلّا التوبة ،

هذا لمن كان ضالاً ومتأخراً ومبتعداً عن المسير إلى دولة الخلافة ، وهذا ما يخص السؤال الثاني ، فما سيكون جوابنا عن سؤالنا الأول ، والذي قلنا إن إجابته ستكون مرتبطة ، بإجابة السؤال الثاني ،

ندعي هنا أن التوبة ، ستكون أوَّل أعمالنا للمسير إلى دولة الخلافة ، سواء كُنَّا قد تأخرنا وابتعدنا عن المسير ، أم لم نك كذلك ، وإنَّنا منذ القديم من العمر ونحن نتطلع لهذا المسير وندعو الله ليهدينا سبيله ،

= ما جعلنا نفهم التوبة على أنها تقع بعد القيام بالذنب ، هو الوقوف عند المعنى الظاهر للنصوص القرآنية ،

فالتوبة تقع قبل القيام بالفعل ، مثلما تقع بعده ، فتكون أسمى وأطهر وأزكى ، وذلك بنية عدم القيام بالذنب ، قياساً باحتمال صدوره من الآخرين ، فحين ننسب

العصمة للأنبياء والأولياء ، فكأنَّنا نستثنيهم من أن يكونوا من التوابين ، وحين يقول الباري -عزّ وجلّ- ،
(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ﴿٢٢٢﴾ البقرة .
فهذا يعني استثناء المعصومين (الأنبياء والأئمة) من حالة من حالات حبِّ الله لعباده ، وبهذا يتميز المذنب من المعصوم ، ويحصل على ما لا يحصلهُ المعصوم ،
لذا فنحن نعتقد أن يوسف من التوابين ، إذ نادى ربه بقوله :
(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يوسف .
فهنا طلب يوسف التوبة قبل وقوع الذنب ، مما يجعلها أسمى بكثير من طلب التوبة بعد وقوع الذنب ، وبذلك يمكننا فهم قوله تعالى : -
(لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ﴿١١٧﴾ براءة .
فلماذا ذكرت التوبة مرتين في الآية في أعلاه ،
إذ إن معنى تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه كما نراه نحن ، أي جعل فيهم القوة والعزم ، وثبّت قلوبهم ، لذا فالنبي والذين أتبعوا النبي من المهاجرين والأنصار كُلّهُم من التوابين عند الله ، توبة لا تعادلها في الرفعة توبة أخرى ، فهي توبة لم تأتِ بعد الذنب ، إنما سبقتهُ ، فباتت بمعنى الحصن ضد الزيغ ، ثم جاء الحديث عن التوبة ، للذين كادت قلوب فريق منهم أن تزيغ ،
ويتضح لنا معنى التوبة التي تسبق الذنب في قوله تعالى : -
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ **يُحِبُّ التَّوَّابِينَ** وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ﴿٢٢٢﴾ البقرة .
فهنا يبين الله حدودهُ ، ويفصّل لنا أحكامه ، فلماذا انتهت الآية بقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .. فالمتطهرين ترتبط بالنص ، ارتباطاً وثيقاً ، حيث إن ما أمرنا به تعالى من اعتزال النساء في المحيض حتى يطهرن ، كان لأجل ابعادنا عمّا يسلب حالة الطهر ، التي يريدنا تعالى أن نتمتع بها ، وألّا نأتي بأفعالٍ بهيمية ، تشوّه ما بنا من رقي في الإنسانية ،
وبعد أن توصلنا لعلاقة قوله تعالى (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) ، بالنص في أعلاه ، فما علاقة قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) ، بالنص ، إلا إذا احتسب الله ما مضى

من الأفعال التي نهاهم عنها ذنوباً ، وأمرهم هنا بالتوبة عمّا كانوا يفعلونه ، أو أن يكون المعنى ، بأن الله يحب من يمتلك العزم على عدم إتيان الفعل ،
وبموجب شريعة الباري -عزّوجلّ- ، وما نحن على يقين منه ، أن لا عقوبة دون نص ، أو استشعار بالتعدي على حدوده تعالى ، وهذا ما أكدته الآية القرآنية :
(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ **تَخْتَانُونَ** أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)﴿١٨٧﴾ .
فحكم القضية هنا يختلف اختلافاً تاماً عن حكم الآية السابقة ، فهم وبالرغم من أنَّهم لا يمتلكون نصاً قرآنياً صريحاً بحرمة الفعل ، وهو مباشرة الزوجة في ليالي رمضان ، ولكن قد وصل إلى علمهم حرمة المباشرة في ليالي رمضان ، وهذا ما كشفه لنا الباري -عزّوجلّ- بعبارة صريحة وهي (تختانون أنفسكم) ، للإشارة إلى توفّر النية بتعدي حدود الله ، وهذا ما أكده المفسرون الخمسة ، فقد جاء في تفسير السعدي :
((كان في أول فرض الصيام ، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع ، فحصلت المشقة لبعضهم ، فخفف الله تعالى عنهم ذلك ، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع ، سواء نام أو لم ينم ، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به ، [فتاب] الله [عليهم] ، بأن وسع لكم أمرا كان - لولا توسعته - موجبا للإثم [وعفا عنكم] ما سلف من التخون [فالآن] بعد هذه الرخصة والسعة من الله [باشروهن])) .
كما جاء في تفسير ابن كثير : -
((وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ، ثم إن أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء ، منهم عمر بن الخطاب ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنزل الله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) ، كذا روى العوفي عن ابن عباس)) .
عليه لا بد من أن نجزم ، بأنه تعالى في الآية ﴿٢٢٢﴾ من سورة البقرة ، أشار إلى التوبة والعزم اللذين يسبقان القيام بالذنب ،
ومن هنا أمكننا تعريف التوبة بصيغة عامة ، على أنها **إعلان النية** بعدم القيام بأي ذنب ، فتكون لمن سبق أن قام به ، توبة عن عدم تكرار الذنب ، وتكون لمن لم يأت بأي ذنب ، بصيغتها العامة ، توبة عن عدم القيام بأي ذنب ، أو تعريفها على أنها **إعلان النية** بعدم القيام بأي ذنب فات ، أو عدم الوقوع في ذنب آت ، وعليه

فإنّنا إن حددنا التوبة لمن يقوم بالذنب فقط ، لكان من الواجب تحديد التوبة على وفق الذنوب ، فمثلاً قوله تعالى : -
(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿٣٩﴾ المائدة .

تكون التوبة المشار إليها في الآية ، تخص قيامه بالسرقة ، ولا تخص اتيانه آثاماً وذنوباً أخرى ، ومن يقل يجب أن تكون التوبة شاملة كل الذنوب ، فهذا هو مرادنا ، وهذا ما نصبو إليه ،
فكيف يمكن اعلان التوبة عن ذنوب لم نقترفها ، إلا إذا كانت التوبة تعني عدم القيام بأي ذنب ، كان أم لم يكن ، وقع أم لم يقع ، وهذا هو التعريف الأصح والأدق ،
كذا قوله تعالى : -
(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) طه .

فهل تحدد التوبة هنا على الطغيان ، ومن لا يطغى فقط يستحق التوبة ، ثم ما هو المقصود بـ(آمن) ، هل تخص الإيمان الخاص بأكل الطيبات وعدم الطغيان ، أو الإيمان بشكله العام ، أي بكل ما أنزل الله ،
وبخصوص العمل الصالح (وعمل صالحاً) فهل المطلوب ، في كل مكان وزمان ، وأيَّ شكلٍ من أشكال العمل ،
وتكاد لا تخلو آية في القرآن لا تحمل المعنى الشامل الذي أشرنا إليه ،
(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ﴿٦٠﴾ مريم .
(فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) ﴿٦٧﴾ القصص .

وبذلك أمكننا طلب التوبة دون حتَّى أن نُذنب ، ودون حتَّى أن نُحدِّد نوع الذنب الذي نطلب التوبة عنهُ ، أيْ تكون التوبة بمعنى العزم : -
(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ﴿١٢٨﴾ البقرة .

وسواء ذكرت الآيات والنصوص القرآنية ، الذنب الذي علينا أن نتوب عنه ، أم لم تذكر ، فلا من أحدٍ من رجال الدين ، يتصدى للقول ، بأن عليك أن تتوب عن ذلك الذنب وحسب ، وبذلك يبقى لك أن تقوم بكل الذنوب ، وتتوب تباعاً عن كل ذنب منها ، وهذا ما لا يقبله أي منطق .

ولا يغفر الذنب حتَّى يعلن العبد التوبة ، ولا تقبل التوبة حتى يصرح العبد بجدية طلبه التوبة وعدم النية بتكرارها ، فمفهوم التوبة يعني عدم تكرار الذنب ، وما ندعي اسناده نحن ، هو التوبة قبل إتيان الذنوب ،
وتعال معي لقضيةٍ أخرى (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿٩١﴾ التوبة .
نفهم من قوله تعالى ، إن الفقراء والمساكين ، قد يكتب لهم أجر عمل صالح ، وإن لم يجدوا سبيل لإحرازه ، كالتصدق وإعانة الملهوف ، ولكن من سيضمن أنَّهم لو امتلكوا ما ينفقوه ، ألَّا يصبهم الرياء ، أو تحقيق حاجة من الحاجات الشخصية ، فكيف يقبل منهم العمل ، بنية خالصة ، وإن قبل لضعفهم عن القيام به ، هكذا أصبحوا أفضل ممن ينفق بأضعاف ، مرة لأنَّهم اكتسبوا حسنات الإنفاق دون جهد في الكسب ، ومرّة أخرى بأنَّ الإنفاق لم يشبه أي تهمة ، وما قد ينقص الحسنات ، وبهذا يعاد على نواياهم في التوبة ، التي تسبق القيام بالأفعال ،
ومن خلال النصوص القرآنية التي تحدثت عن التوبة ، يمكننا التعرف إلى أشكال منها : -
أولاً - التوبة الصغرى (غير المنجزة) : هي التوبة التي يعلن فيها التائب اقلاعه عن الذنب ، دون أن يقوم بأيّ مداواة لما أحدثه من آثار لذنبه ، خاصة تلك الذنوب التي تؤثر في اعتقاد الآخرين ، كسن مذهب مخالف لما جاء به الرسول المصطفى -ﷺ- ، فلا اعتداد لما ابداه من توبة .
ثانياً - التوبة المرفوضة : وهي التوبة التي أعلن سبحانه رفضها ، لكونها قد **تأخرت** أو لأنها **تكررت عدة مرات ،** مما يدل على عدم الجدية ،
١ – المتأخرة ، لقوله تعالى : -
(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ﴿١٨﴾ النساء .
وبذكرنا الآية في أعلاه ، وجب بيان احتمال أمرين في غاية الأهمية والخطورة وهما
أ - قبول طلب التوبة من الأبناء لآبائهم بعد وفاتهم ، أي يجب على الأبناء طلب التوبة للأبوين ، وإن ماتا ، والدليل قوله تعالى : (وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) فكيف تقبل التوبة بعد الموت ، أي إنَّهُ تعالى بيَّن أن التوبة لا تقبل من الذين إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت ، فكيف تقع التوبة بعد الموت ،
الجواب : - هو في طلب أبنائهم التوبة لهم ، إلا أن يكون الأبوان ماتا على الكفر ، فإذا طُلب للوالدين التوبة من باقي الذنوب وكانا مؤمنين ، قُبل ذلك ، والدليل الآخر قوله تعالى : -

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ﴿٩١﴾ آل عمران .

فهنا أيضاً التصدق وقع بعد الموت ، وهذا يعني ما يفعله الأبناء للآباء من صدقة ، أو ما يوصي به الشخص قبل موته ، ولكن كيف تقبل التوبة من الأبناء فيما لم تقبل من الأبوين إذا حضر أحدهما الموت ، وقال تبتُ الآن ؟

الجواب : - تعالج الآيات حالات عديدة ومتنوعة ، وجب عدم الأخذ ببعض الآيات واغفال الأخريات ، كقوله تعالى : -

(أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ) ،

فقد يموت من يعمل السوء بجهالة في الوقت نفسه ، فلا يستطيع طلب التوبة أو الإصلاح ، لذا يقبل من أبنائه فعل ذلك ، وبعد طلبهم التوبة لآبائهم ، يقبل منهم العمل الصالح ، كعمل مشترك بينهم ، أي بين الأبناء والآباء .

ب - أن هناك قبولاً للتوبة عن بعض الذنوب ما بعد الموت ، إلّا في حال الموت وهو كافر ، وكما ذكرنا آنفاً ، لاحتمال الموت ساعة إتيان السوء بجهالة .

٢ - المتكررة ، لقوله تعالى : -

(إِنَّ الَّذِينَ كَـفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَـئِكَ هُـمُ الضَّالُّونَ) ﴿٩٠﴾ آل عمران .

وفي مسألة الشرك بالله ، نجد الفارق بين التوبة والغفران ،

فسبحانه وإن أوضح عدم غفرانه لمن يشرك به ، غير أنَّهُ ومن النصين في أعلاه ، يتضح قبوله لتوبة من يتوب عن الشرك ، توبةً لا يحتاج بعدها إلى توبة ، **والأهم** ما يجب ألّا يغيب عنّا ، إن النص ، لم يكن بهدف رفض التوبة ، بل دفعاً للتوبة بشكل سريع وجدي ، وحذّرنا من التباطؤ في طلب التوبة ، بما إنّنا ، لا نعلم متى يحين أجلنا ، وقد بين لنا تعالى التوبة المطلوبة بقوله : -

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ **تَوْبَةً نَّصُوحًا** عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ﴿٨﴾ التحريم .

فالتوبة النصوح هي التوبة التي يروم فيها التائب ألّا يعاود الذنب مطلقاً ، وبهذا فلا يعاود طلب التوبة مجدداً ،

وفي قاموس المعاني الجامع : -

النصوح : - صيغة مبالغة من نَصَحَ ،

تَوْبَةٌ نَصُوحٌ : -

تَوْبَةٌ صَادِقَةٌ، خَالِصَةٌ .

ثالثاً – التوبة المفروضة : - وهي التي فرضها الله تعالى ، واوجبها لمن يعمل السوء بجهالة ، وقد أوضحنا معنى الجهالة ،

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) ﴿١٧﴾ النساء .

والأهم أنهم (يتوبون من قريب) ، فالتمادي بعمل السوء قد يؤدي إلى نتائج كارثية ، قد يصعب إصلاحها .

رابعاً – التوبة المرجئة : - تفهَّمنا أسباب رفض التوبة ، وبالأحرى التهديد برفض التوبة ، فماذا بعد ، وما أشار إليه تعالى بقوله :

(وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ﴿١٠٦﴾ التوبة .

فــهنا لم يُعـطنا الباري -عزوجل- تأكيداً على رفض التوبة كما لم يعطنا ضــماناً على قبولها ، وهو سبحانه القائل : -

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَــلَامٌ عَـلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَــلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَــفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿٥٤﴾ الأنعام .

وبعد البحث والتفكر في النصوص القرآنية ، وجدنا أن هناك ما هو متعلق بنوع الجرم ، فقد حذرنا تعالى من الذنوب التي يصعب أن تكفّر ، ومن الصعب ورُبّما المحال محو آثارها ،

وقد بينها سبحانه في سورة الفرقان :

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) ﴿٦٨﴾ .

أ – يدعون مع الله إلهاً آخر ، وقد أسهبنا بالحديث عن مفهوم الإشراك : -

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) ﴿٤٨﴾ النساء .

ب – يقتلون النفس التي حرم الله .

ج – يزنون .

فهي توبة لا تنصرف بالتأكيد إلى الذنوب التي ذُكرت ، لاستحالة تفادي آثارها ، بل إلى صغائر الذنوب ، وتلك التي تكون بين الرب والعبد ، أو ما أمكننا تداركها بالإصلاح ، وهذا لا يعني أبداً استحالة قبول التوبة ، فهذا المبدأ خارج عن سنة الله بشكل تام وقطعي ، لأن الحدود التي رسمها الله ، جعل لها بابين ، منع بسببهما التكهن بقبول التوبة ، **الباب الأولى** : رحمته التي وسعت كل شيء ، و**الباب الثانية** : مشيئته التي لا يقيِّدها نص ، وعلينا أن نؤكد إن هذا لا يعني أبداً ، أن الباري -عزوجل- من الممكن أن يخالف النصوص والقواعد التي وضعها هو سبحانه ، بل عليك أن تفهم أن أعظم مهام الدفاع عن المتهم ، هو تكييف الجرم ، وما يتناسب

مع ظروف الجريمة ، فللسرقة عدة مواد في قانون العقوبات ، لتراعي مختلف الظروف المخففة والمشددة ، هل كان السارق مؤتمناً (كالخادم مثلاً) ، وهل تسوَّر الجدار ، وهل معه شركاء ، وهل اعتدى على صاحب المنزل ، وحالات يطول شرحها ، غايتنا في ذكرها ، إنه تعالى وكما ينظر إلى تلك الظروف ، فهو ينظر إلى القلوب ، والتي لا يمكن لقاضي من الخلق أن يدركها ، فحين يقول سبحانه (يضاعف لمن يشاء ، ويفعل ما يشاء) فإنه يرشدنا بأنه تعالى يعلم ما نجهله عن الأحكام ، والظروف الخاصة بخلقه ، والتي لا يمكن أن نتفهمها ونعقلها رُبَّما ،

وهناك الكثير من رجال الدين ونخص بالذكر أهل السلف ، من فهم قوله تعالى :
(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ﴿٥٣﴾ الزمر .

على إنها تشير إلى كل الذنوب بشكل كلي وإجمالي ، إلا أن المقصود بتلك الذنوب ، هي الواقعة بين العبد والرب وقد تقدم تفصيل ذلك ، أما الذنب بين العبد والعبد ، والمختلطة ، فلها تفاصيل ، وأهم تلك التفاصيل ، التوبة المشروطة .

خامساً – التوبة المشروطة : - وهي التوبة التي لا تقبل إلا بشروط خاصة ، أهمها اصلاح ما بدر منه من ذنوب ، وبيان ما كتموه من الحق ،
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا **وَبَيَّنُوا** فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة .
وتعد كل توبة من بعد الذنب مشروطة بإصلاح ما أفسدهُ التائب ، نتيجة لما بدر منه من الذنوب التي سبقت توبته ،
(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ﴿٦٠﴾ مريم .

سادساً - التوبة العظمى (المنجزة) : وهي التوبة التامة والمتكاملة ، والتي يحقق فيها التائب عظيم الحسنات ، لما سيبدله الله -جل جلاله- من سيئاته بالحسنات ،
(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَـٰئِكَ **يُبَدِّلُ** اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) الفرقان .

وما أن نفرغ من التوبة ، نجد أن العمل الصالح هو المادة ، التي بها يمكن محو آثار الذنب وابدال السيئة بالحسنة ، وبذلك تتغير المعادلة لصالح التائب ، وإذا كان العمل الصالح صعب المنال ، ولم يمتلك التائب ما يقوم به من عمل أو ما يخرج من صدقة ، فتعالى الله أكرم الأكرمين ، من أن يضيق على عباده : -

(لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) التوبة .

لذا كانت الكلمة الطيبة صدقة ، ومن عظيم الكلم الصالح ما يعد عملاً صالحاً ، كما سنبحث في ذلك ،

فبين يديك هذا الكتاب ، هلا علمتَ العدد المهول ممن اشتركوا في صنعه ، لكي يصلك بهذا المستوى ،

فهناك من اقتلع الأشجار لصنع عجينة الورق ، ومن استخرج المواد الخام لصنع الحبر والألوان ، ومن استخرج المعادن لصنع الآلات والمعدات والحاسوب ، ومن صممها وأنشأها ، ومعامل الطباعة ومن قام بالتنضيد والإخراج والمراجعة ، ومن ثم النقل والتوزيع ، ولم يقم المتحدث إليك إلَّا بتأليف مادته العلمية ، فالجميع أسهموا بشكل مباشر وغير مباشر ،

طبعاً من تحدثنا عنهم أولاً ، لم يقوموا بما قاموا به من أجل طباعة هذا الكتاب بالذات ، إنما لطباعة الكتب بشكل عام ، أي أسهموا بشكل غير مباشر ، ولكن لولاهم لكان من المحال طباعة هذا الكتاب وغيره بهذا المستوى ،

هكذا وبشكل معاكس يمكن تصور الكلمة الطيبة ، تلك الكلمة التي تتحول إلى سلوك ومن ثم يؤثر في سلوك الآخرين ، ورُبَّما ينمو مع الأجيال ويتطور مع الأحداث ، فتسهم بشكل مباشر وغير مباشر في تغيير مجتمع بأكمله ، لذا عبر عنها الباري -عزوجل- بالشجرة : -

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا **كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ** أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ﴿٢٤﴾ إبراهيم .

ولتفسير قوله تعالى جاء في القرطبي : -

((فيه مسألتان : الأولى : قوله تعالى : ألم تر كيف ضرب الله مثلا لما ذكر تعالى مثل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، ذكر مثل أقوال المؤمنين وغيرها ، ثم فسر ذلك المثل فقال : (كلمة طيبة) الثمر ، فحذف لدلالة الكلام عليه .

قال ابن عباس : الكلمة الطيبة لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة المؤمن . وقال مجاهد وابن جريج : لكلمة الطيبة الإيمان ، وقال عطية العوفي والربيع بن أنس : هي المؤمن نفسه ، وقال مجاهد أيضا وعكرمة : الشجرة النخلة ،

وخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك قال : أتي رسول الله –ﷺ- بقناع فيه رطب ، فقال : مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها قال : هي النخلة ،
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال - هي الحنظل)) ، وفي ابن كثير ((عن ابن عباس (كشجرة طيبة) قال : هي شجرة في الجنة)) ،
وهكذا نعود للتمر والتفاح ، والمسكينة نبتة الحنظل التي تحولت إلى شجرة ونادوها بالشجرة الخبيثة ، ولكي يحكم القرطبي قوله بأن تلك الشجرة هي من الأشجار المعروفة ، جاء عن السهيلي ص [٢٥٨] بقول نسبهُ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- ، يدعي أنه قال بأنها شجرة جوز الهند ، وكأن علياً لا يعرف ما الشجرة الطيبة ومن تكون وهو أصلها بعد الرسول المصطفى وآله ،
المُهم ، إن ممَّا بقي للرسول المصطفى وآله من كرامات ، ما فرضها الله -جل جلاله- ، من عظيم الكلم الطيب وهي الصلاة على محمد وآل محمد ، فالصلاة على محمد وآل محمد من أعظم ما أكرمنا به الباري -عز وجل- من الكلم الطيب ، إذ هي ستذكرك بمنهج الرسول وآله ، وهذا يعني ، أنَّك كلما قرأتَ وتعلمتَ شيئاً عن الرسول وآله ، زاد أجرُك في ذكر الصلاة على محمد وآل محمد ، فلو كان في المسجد ألف شخص ، وصلوا جميعاً على محمد وآل محمد ، فأجر كل واحدٍ منهم يختلف عن أجر الآخر ، بقدر ما علمه عن خلقهم صلوات الله عليهم ، وبقدر ما تؤثر في سلوكه وخلقه هو ، فحين يزداد اطلاعك على الروايات التي تتحدث عن كرم الرسول ، سيدفعك الذكر بالصلاة عليه وعلى آله للتصدق والإحسان ، وكذا عن طيب خلقه ، الذي سيدفعك لطيب الخلق مع من حولك ، وعن عدله الذي سيدفعك للعدل والإنصاف مع الآخرين ، مع هذا فأجر قائلها ثابت ، أي يؤجر حتى مع عدم علمه بما هم عليه من خلق ، ودليلنا ما ذكرناه في قوله تعالى : -
(فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ﴿٣٧﴾ البقرة .

فآدم رغم تعلم الأسماء وعظمتها ، إلا أنه نسي ، كما ذكرت لنا الآية القرآنية ، لذا جاءت (كلمات) غير معرفة بالألف واللام ، مما يدل على أن آدم قد نسيهم : -
(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) ﴿١١٥﴾ طه .
ولو أردنا أن نعطي الصلاة على محمد وآله حقها وقدرها ، لاحتجنا إلى مجلدات بأجزاء ، وبالفعل فهناك من فعل هذا ،
ويكفي أن من عظمتها وطهارتها أنَّنا لا نستطيع أداء حقها ، لذا ندعو الله أن يصلي على محمد وآل محمد ، كُلّما أردنا أن نصلي على محمد وآل محمد ، وهذه الكلمة

الطيبة تعد عملاً صالحاً ، أي تحسب لقائلها كلمة طيبة وهو يجهل قدرها وعملاً صالحاً دون أن يحرك ساكناً ، وسبق أن تحدثنا كيف يدعو الداعي من الله ، ولا يتقدم إلا بالصلاة على محمد وآله (كما جاء في الصحيفة السجادية) .
ونعتقد أنك الآن توصَّلت لمغزى حديثنا المستقطع عن التوبة ، أي إن أول كلمة طيبة تقدمها للتوبة ، وأول عمل صالح تقوم به هو الصلاة على محمد وآل محمد ،

(إِلَّا الَّـذِينَ تَابُوا وَأَصْـلَحُوا **وَاعْـتَصَمُوا** بِاللَّهِ وَأَخْـلَصُوا دِينَـهُمْ لِلَّهِ فَـأُولَئِكَ مَـعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ﴿١٤٦﴾ النساء .

فما يكون معنى الاعتصام بالله ، إلا من خلال أنبيائه وأوليائه ، فهم أهل العصمة ، والله حين أعطاهم العصمة ، سينتفع كل عباده بها ، بأن يعتصموا بنهجهم ، وما يقودون به الأمم ،

وبناءً على كل ما تقدم ، فإعلان التوبة يجب أن يصدر قبل المسير ، كنا مقصرين أم لم نكن ، لكن المقصرين والمهملين ، وعلى رأسهم المخالفون والمعادون لدولة الخليفة ، عليهم دفع أثمان أخرى إذا أرادوا الانضمام إلى ركب الخليفة ، وهو ما جاء في عشرات الآيات التي تحدثت عن التوبة ، ألَا وهو إصلاح ما ضيعوه من وقت وما اهدروه من واجب .

(إِنَّ الَّـذِينَ يَكْـتُمُونَ مَـا أَنْزَلْنَا مِـنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْـهُدَىٰ مِـنْ بَـعْدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلـنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ **تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا** فَأُولَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة .

الخطوة الرابعة

إمامة الخليفة

في حديث للرسول الكريم نقلتهُ كل الفرق الشيعة ، بأن (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) ، زيادة على حديثٍ آخر اتفقت عليه كل الفرق الإسلامية ، بأن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة ، وهذا الحديث يجب أن يشمل كل الأئمة المتفق عليهم ، مما يدين الفرق القائلة بالاعتراف بالإمام القائم بالسيف ، لأن الإمامة وظيفة وتكليف سماوي ، ولا يشترط سبق السيف لثبوت الإمامة ، وإلا كان هناك خلل في القاعدة الأساس ، حيث لو اشترطنا حصول الإمام على درجة الإمامة بعد الخروج بالسيف ، فكيف يمكن اتِّباعه قبل أن يخرج بالسيف ، حتى بالدعوة للخروج بالسيف ، أي لو أعلن الإمام دعوته للخروج بالسيف على الظالم ، فهو لحد هذه اللحظة ليس بإمام كي يتم اتباعه ، وكأن الأمر سيكون بأن يخرج الإمام وحده مقاتلا ليثبت إمامته ، وبعد ذلك يمكن اتباعه ، نزد على ذلك ، فإن الإمامة لا تعني قيادة الجيوش ، بل اتباع السُنّة النبوية الشريفة ، ومن القعود ما هو قيام ، إن لم يكن هو خير حتَّى من القيام ، لمَا فيه من حفظ للدماء والحفاظ على حرمة الأمة الإسلامية ،

والَّا لما أجرى الرسول الهُدنة إثر الهُدنة ، ولما فعلها سبطهُ الحسن -ع- ، فما يقوله الرسول من كون الإمامة لا تُقاس بالقيام والقعود هو القاعدة الأم ، فيما جعلها بعضهم من الشواذ على القاعدة ، ورغم أن العرب لم يعرفوا الإمامة قبل البعثة ، لتتمكن من تحديد شروط الإمام ، ومتطلبات إمامته ، وبشأن الخليفة وفق الروايات الشيعية ، التي تشير على أن المهدي ، وهو محمد بن الحسن العسكري -عليه السلام- ، كان متمتعاً بإمامته ، لحظة وفاة أبيه ، إذ قام بالناس مصلياً صلاة الميت على روح أبيه ، ولم يتجاوز العقد الأول من العمر ، بعد أن مَنع عمَّهُ جعفر من القيام بذلك ،

فالقائم بإمامة صلاة الميت ، يعد إماماً إذا ما كان ذلك الميت (الشهيد الحسن العسكري -ع-) ، إماماً أيضاً ، لكنَّهُ ووفق الروايات الشيعية أيضاً ، تمتع المهدي بإمامته لأربعين سنة ، قبل أن يغيب غيبته الكبرى ،

ولكن وإن كنت جعفري المذهب ، فهل يمكن أن تتقبل ، أن يأتي خليفة الله ولا يبدأ بالحرب على أعداء الله ، ومن ملؤا الأرض ظلماً وجوراً ، بل يبدأ بالدعوة السلمية سنين طوال ، فما سيكون جوابك لو سُئلتَ ، أو لو مررت بمثل هذا الحدث ، لو ترددت في الإجابة لفيمتو ثانية ، كما اخترعها زويل ، فإن في ضميرك بعض الشرك ، فطاعة الله وأولياءه ، طاعة العقل والقلب في وقت واحد ، وقد عبّر عنها بعض رجال الدين خطأً ، بأنها الطاعة العمياء ، بل هي مبصرة وفعَّالة بسرعة الفيمتو ثانية ، لصدور قرار العقل والقلب في آن واحد ، جاء في أخبار اليهود كما مرّ بنا في الصيحة : - (وهو عادلٌ ظافرٌ **ولكنّهُ وديع**) .

المهم ليس في الجواب فقط ، بل بالإجابة السريعة ، التي تؤكد أنك آمنت بالخليفة كإمام مفترض الطاعة ، وإن خالفت أوامره هواك ، بل لا بد أن تتوقع ذلك ، فمن المحال ألَّا تخالف هواك ، لأنها إن لم تخالف هواك ، لكنت من المعصومين ، وهذا لم يكن ، وبالتالي عليك أن تتوقع ما يخالف هواك ، وتمتلك القوة والقدرة ، على كبح جماح النفس ،

هذا إذا كنت مؤمناً بالروايات الشيعية ، وتؤمن بمجيء من هو حجة وولي ،

أمّا أهل الجماعة ، فإن الحديث الذي لم يسمع جابر بن سمره نهايته ، كان له حُجة في خلافهم مع الشيعة ، فالشيعة بما نقلوه ، أكدوا أن الخلفاء الهداة المهديين ، هم من أسباط الرسول حصراً ، وليسوا من باقي بطون القريشيين ، وبالرغم من أن الشيعة وأهل الجماعة ، اتفقوا على أن خليفة آخر الزمان هو من أسباط الرسول ، من نسل الإمام عليٍّ والسيدة فاطمة الصّدّيقة ،

لكنَّهم اختلفوا فيما سبق الحديث عنه ، وقد لا تكون تلك الاختلافات لها أثر في نبوءة الظهور ، لكنها بشكل أو بآخر ، مباشر أو غير مباشر ، أدت إلى تثبيط الِاهتمام بالخليفة ، لدى مذهب أهل الجماعة ، بعد فشل ، كل النبوءات ، التي أشارت للمهدي ،

= ففي عام [١٢٧]هـ ، حاول الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي المهدي بالله ، أن يُتقن اسمه واسم أبيه ، ليكون هو المهدي ، كما سَمَّى ابنه عبد الله ، ليتسنى لحفيده أن يتخذ اسم محمد المهدي مرة أخرى ، وهكذا دواليك ، ولكي تكون الأمة الإسلامية في شلل رباعي ، بانتظار أن يلتقوا بالمهدي في السلالة العباسية ،

فيما يضمن الخلفاءُ العباسيون ، عدم انقلاب الرعية عليهم ، لأن الإمام المهدي محتمل الظهور في أيّ شخصية من شخصيات خلفائهم ، في الأب أو الابن .

أما الشيعة فواجهوا تلك التصرفات بالسخرية والاستهزاء ، فلم يكن في منهجهم أن يخرج الخليفة من بني العباس ، ومن أحفاد السفاحين والقتلة ، وما استنزفوه من أموال الأمة في بناء القصور ، وشراء الجواري والمجوهرات والعطور ، وفيما كان يعيش فقهاء الشيعة ، في طوامير السجون ، كان يعيش فقهاء أهل الجماعة ، في جلابيب الحرير ، وناعم الفرش والسرير ، ظنّاً منهم بأن كل ذلك من فلاح الدنيا والآخرة ، ومما أغدق عليهم الله لثباتهم على السُنّة ، وسيرة الصحابة والتابعين ، وبما إن أئمة الشيعة الإثني عشر قد انقطع أثرهم ،

فمن أعظم ما حققه الشيعة لأهل الجماعة من غاية ، هي عدم التطلع لولاية الأمَّة لحين مقدم الإمام الغائب ، وبذلك كانت الفرصة متاحة للجماعة ، لنشر الإسلام وفق مناهجهم ، في كل دول العالم المحيطة أو البعيدة عنهم ، والحقيقة لا نجد ما يؤكد ، أن على الشيعة أن يعلنوا الأسف والندم على ما ضيعوه من فرص التوسع لمذهبهم ، أم عليهم أن يسعدوا بما التزموا به من أوامر الأئمة ، غير أن من المؤكد وفق ما نراه من روايات ، أن معظم أنصار الأئمة ومحبيهم ، كانوا عبئاً على أئمتهم أكثر مما كانوا عوناً لهم ،

فالإمام هو يد الله في الأرض ، وأنصار الإمام هم يد الإمام ،

وفي ظل تلك الظروف ، أخطأت دولة نسبت نفسها للشيعة ، بأن أشاعت ظهور الخليفة بهذا العهد بالذات ، ونقصد العهد العباسي ، كما نقصد بتلك الفرقة هي الدولة الفاطميين ، والتي أسست دولتها ، على هذا الأساس وهذه الفكرة ﴿١٥٩﴾ ، وبالعودة لطاعة الإمام ، فهي لا تسند بوصف ، لتناهيها في الرقي : -

مناقب ابن شهرآشوب : ((حدث إبراهيم ، عن أبي حمزة ، عن مأمون الرقي قال : كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلم عليه ثم جلس فقال له : يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة ، وأنتم أهل بيت الإمامة ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه ؟ .

وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف ؟ ،

فقال له -عليه السلام-: اجلس يا خراساني رعى الله حقك ، ثم قال : يا حنيفة أسجري التنور فسجرته حتى صار كالجمرة وابيض علوه ، ثم قال : يا خراساني! قم فاجلس في التنور ،

....

﴿١٥٩﴾ - الطالبي – صفحة [٦٤٢] .

فقال الخراساني : يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار ، أقلني أقالك الله قال : قد أقلتك ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ، ونعله في سبابته فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله فــقال له الصـادق -عليه السلام-: ألق النعل من يدك واجــلس في التنور ، قال : - فألقى النعل من سـبابته ثم جلس في التنور ، وأقبل الإمام -عليه السلام- يحدّث الخرساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها ، ثم قال : قم يا خراساني وانظر ما في التنور فقمت إليه فرأيته متربعاً ، فخرج إلينا وسلّم علينا فقال له الإمام -عليه السلام-: كم تجد بخراسان مثل هذا ؟ فقال : والله ولا واحداً فقال عليه السلام : لا والله ولا واحداً ، أمَا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت)) ﴿١٦٠﴾ - ﴿١٦١﴾ ،

وبناءً على ما تقدم ، حصل اليقين أن **بعض** الفرق الشيعة ، لا تقرّ بإمامة المهدي ، الذي تقر بإمامته باقي الفرق ، وهو الإمام الثاني عشر من ولد علي وفاطمة الزهراء ، بما أنَّهم لا يقرون إلا بإمامة القائم بالسيف ، وبما أن لا خلافة إلا بثبوت الإمامة ، ولكن ما حال هؤلاء بعد أن يدخل الخليفة بحربٍ ضروس مع أعداء الله ، أيقرون له بالإمامة بأثر رجعي ، أم لا .

أما إمامته عند أهل الجماعة ، فهي تثبت بين ليلة وضحاها ، في حديثٍ مشهور لديهم ، ((المهديُّ مِنَّا أهلَ البيتِ يصلحُهُ اللهُ في ليلةٍ ..)) ﴿١٦٢﴾ عن روايةٍ نُسبتْ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- ،

وهم بذلك قفزوا بالرواية ، تخلصاً من الاعتراف بالأئمة الإثني عشر ، وأصبح الخليفة لديهم ، ، يُمنح الإمامة والخلافة في ليلة واحدة ، وهذا ما لم نجد له دليلاً قرآنياً ، فما من نبي أصلحه الله في يوم وليلة ، ما لم يكن على هدى طوال حياته ، والعكس هو الصحيح ، أي احتمال أن يتحول المسلم لعاصٍ بيوم وليلة ، كما هو إبليس والكثير من المنافقين ، **والمهم** أن أساس الخطوة ، هل أنت مستعد حقاً أن تفعل ما فعله هارون المكي ، بعد عظيم إيمانك بإمامة الخليفة ....

....

﴿١٦٠﴾ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي – ج{٤٧} – الصفحة[١٢٣] .

﴿١٦١﴾ - المناقب ج {٣} ص [٣٦٢] .

﴿١٦٢﴾ - المـحدث : أحمد شاكر / مسند أحمد ، الصفحة [٢ / ٥٨] خلاصة حكم المحدث إسناده صحيح ، أخرجه ابن ماجة { ٤٤٨٥ } ، وأحمد [٦٤٥] ، كما جاء أيضاً بحديث للألباني في صحيح ابن ماجة ، الصفحة [٣٣١٦] ، خلاصة حكم المحدث : حسن ، بإخراج ما سبق نفسه .

الخــطوة الخامســة

نبوءة نصــر الله

من علامات الظهور

إن لهذا الكون ملكاً واحداً ، وسلطاناً ماجداً ، **واجداً** لكل موجود ، وخالقاً لكل مخلوق ، توسع في عظمة الخلق ، حتى احتارت مخلوقاتهِ في وصف جبروت ما خلق وما أبدع ، ومر بنا في ﴿ﮑﮒﮓ﴾ بحث مطول عن النشأة الأولى ، نحاول هنا تلخيصه في أسطر قليلة ، حتى يتسنى لك الاطلاع عليه مفصلاً ،
فكان أول ما كان ، أن تكوّن الكون منشقّاً عن ملكوت الملائكة ، ومخالفاً لكل صفاته ، إذ سكن الشيطان من دون نور الله هذا السديم ، الذي لم نصل ليومنا هذا لمعرفة حدوده ، حتى أرسل سبحانه من نوره ليفلق هذا السديم ، ولتتكون المجرات والأجرام السماويّة ، وما كان لها إلا أن تتقي النور بملايين الأجرام السماويّة ، كما يتقي الماء النار من خلال الفقاعات الهوائية التي تصدر في أثناء الغليان ، ولأن النـور لا يمكن أن يحجب ويتقى إلا بالصلب ، وبكل شيء مادي ، فقد تجمعت ذرات هذا الكون ، لتقف بوجه النور ،
لكن نور الله كان أسرع من تكوَّنها ، وأقدر من اندماجها ، فانفلقت وانفلقت حتى استقر في قلب هذا السديم ، حيث اختار الله لنا أن يكون مستقرّاً لأرضنا ، بعد أن تعادل الخير والشر في نقطة واحدة ، وشاء سبحانه أن تكون المنطقة التي تتوسط هذا الوجود ، مكاناً لعيش مخلوقاته ، كما اختار ختام رسالاته ، في منطقة تتوسط سكان العالم آن ذاك ،
قلنا اختار الأرض ليسكنها خلقه ، وكانت الأرض مستعرة بالنيران ، جرّاء انفلاق الأجرام السماوية ، فخلق الجان من مارجها ، حتى سكب الماء على أقطابها وأجراه في أبراجها ، فانطفأت نيرانها وبدى أديمها ، فخلق منه آدم وزوجه ، وهكذا ، فمن النيران التي تناوب اشتعالها على الأرض ، واختلفت أطيافهُ ، ومن ثم التراب المختلف ألوانه ، خلق عباده من الجن والإنس ، وكان قد أختار سبحانه خليفة له في الأرض ، كما أختار إبليس نفسه ، أن يكون خليفة للشيطان على الأرض ،
خليفة لله من بني آدم يتبعه قليل من الإنس والجن الصالح ، وخليفة من الجن يتبعه الكثير من الجن والإنس الطالح ،

ومن هنا كانت بداية العهد ، ومن هنا كان الأمر الإلهي ، بأن يحكم الأرض خليفةً له ، يمثلهُ وينهجُ ما أعده له من نهج ، وكان على عباده أن يختاروهُ سلطاناً عليهم ، كاختيارهم عبادة الله الواحد الأحد ،
واختيار الخليفة ، لا يكون إلا بعد الإيمان بما جاءت به الرسل ، إذ إن اختيار الخليفة ، هو اختيار لمنهاج الرب وقوانين عدله ، لا باختيار شخصه وحسب ، وهذه الآلاف من السنين التي مضت علينا ، كلها وبني آدم ما زالوا يماطلون في تقبل شريعة الله ليرسل لهم خليفته ، وهذه الآلاف من الأنبياء ، كلهم لتبيان الحقيقة التي كلّما ظهرتْ ، حرّفها الطامعون والمفسدون ، واعترضوا على حكمه وحكومته .
: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) ص .
حتى يأتي اليوم الذي يظهر فيه خلفاؤه ، لينصرهم ويسلمهم مفاتيح الملك ، ويرثونها عنوة على كل سلطانٍ وحاكمٍ ، لكننا كما مرّ بنا ، فإن حكومة الخليفة ، حكومة منتخبة ، لا تُمسك قسراً بمسند الحكم ، لذا فهي جمهورية ، بالمفهوم الذي نعرفه اليوم عن الجمهورية ، ومن جهة أخرى ، فهي تأخذ الحكم عنوة من الحكّام الظلمة ، ما دامت شعوبهم تنادي بحكومة الخليفة ، حتى يكون الملك لله ، فينادي الخليفة بالفئتين ليمثلا أمامه ،
الأولى : من انتظروا وأفنوا حياتهم يأملون نصرته ، وحاربوا الأهل والعشيرة ليحفظوا عهدهم مع الرسول (أصحاب الرجعة من المؤمنين) ،
الثانية : من خانوا الرسول محمد ، ومن تبعهم إلى يوم الظهور ، ومن سبقهم ممن خانوا الرسل أجمعين (أصحاب الرجعة من المنافقين) ،
(يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) ﴿٤٢﴾ النساء .
بمجرد النظر لهذه الآية ، فمن المؤكد تفسيرها من قبل أهل النمط والفكر المغلق ، على أنها تخصُّ يوم القيامة ، على اعتبار أن الحديث مع الله لا يكون إلّا في الآخرة ، وقوله تسوى بهم الأرض ينطبق على طبيعة الأمثال العربية ، أي كأنهم يودون أن تُسَوَّى بهم الأرض ، ليعطي الله للمتلقي صورة مقرّبة لما سيحدث ،
لكن الحقيقة خلاف ذلك تماماً ، وأنه تعالى أوضح صراحة حال الكافرين يومئذٍ ، وهو يوم ظهور الخليفة ، وأن (لا يكتمون الله) هنا تعني من يمثّل الله ، كما مر بنا الحديث عن أمكانية الإشارة إلى الولي ، على أنه الله أو رسوله أو الذين آمنوا .... ، ولنأتي لتوضيح الأمر شيئاً فشيئاً ،

= إن قوله تعالى : الذين كفروا وعصوا الرسول ، لا تنحصر بالرسول محمد -ﷺ- ، لأن الرسول هنا ، إشارة لكلّ الرسل ، ومنهم وأولهم الرسول المصطفى -ﷺ- ، والذين كفروا وعصوا ، إشارة لكل الكافرين والعاصين للأنبياء والرسل والأولياء ، وأولاهم تلك الزمرة ، التي حاربت الرسول المصطفى -ﷺ- ،
إما لماذا قلنا إن المعني بمن لا يكتمونه الحديث عنه ، هو ممثل الله ، فحاشا لله أن يكلّم أعداءه كما مرّ بنا القول ، وما عرضناه من دليل ، وهو قوله تعالى : -

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَـٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿٧٧﴾ آل عمران .

فمن تحرّجهم مما فعلوه مع الرسل ، وما أحدثوا بعدهم ، يتمنون أن يغرسوا في الأرض مرّة أخرى ، قبل أن يكشفوا للناس ما فعلوه ، وقد حدّثنا القرآن عن الكثير من الفِرَق ، الذين ضلّوا من بعد رحيل أنبيائهم ، كما حدثتنا أحاديث نقلت عن الرسول الكريم ، تخبر عمّن أحدث بعده صل الله عليه وعلى آله ،

((وفي رواية عن أنس عن النبي -ﷺ-: ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي : فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك)) ، كذا جاء عن سهل بن سعد ،
وقد زاد أبو سعيد (إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً ، سحقاً لمن غير بعدي) ،
وهناك روايات عديدة ، لكنها دخلت في نقاشات كثيرة ، وقد طُعِن في سندها ورواتها ، ولسنا هنا في معرض التعرض للشخصيات الإسلامية ، التي أحدثت أو لم تُحدث ، بل لأخذ فكرة عما سيجري قريباً إن شاء الله ، من رجعة لكل من افترى على الله ورسوله ، وقد بين الله لنا ذلك بطريقة غير مباشرة ،
(وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) الإسراء .
أي إنه سبحانه أشار لنا بشكل غير مباشر ، بما سيجري على تلك الزمرة ، التي حاولت أن تجعل الرسول يركن إليهم ، وقد مر بنا الحديث عن هذا الأمر أيضاً ، ولكنّنا نفهم الآن ، أن هناك من سيذيقه الله ضعف الحياة وضعف الممات ، أي إنه سيحيى مرتين ويموت مرتين ، ولن يجد على حكومة الله من نصيرٍ له ، فلا يستقيم الوعد أن تكون للرسول تلك العقوبة ، لو أنه ﷺ ركن إليهم ، ولا تكون

لمن هم أجدر بها ، أي إذا كانت عقوبة الرسول لو ركن إليهم (ﷺ) ، أن يحيى مرتين ويموت مرتين ، فمن الأكيد أن تكون تلك العقوبة واجبة النفاذ ، لمن أرادوا للرسول أن يركن إليهم ، أي إن هدف الآية بيان ما لتلك الفئة من عقوبة لاحقة ، أما الذين آمنوا ومستهم البأساء والضراء ، وهم على عهدهم لله ورسوله ، فهم سيحيون حياة المنتصر هذه المرَّة ، ويلتقون بأيام الله التي كانوا لها من الآملين والمنتظرين ،

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٢١٤﴾ البقرة .

فنصر الله لا يمكن أن يكون يوم القيامة ، إذ لابُدَّ أن يتحقق في الحياة الدنيا ، وفي يومٍ أعده الله لخلفائه حقاً وحتماً وصدقاً ، فإذا كان نصر الله في يوم القيامة ، فما الفائدة من قول الرسول والذين معه متى نصر الله ، وهم أشد الناس إيماناً بما سيكون في الآخرة ، إذ يكون دعاؤهم ، وكأنما يقولون متى يوم القيامة ، بما أن يوم القيامة يتحقق فيه نصر الله ، وكأنَّهم إنهم حاشاهم لا يؤمنون بالقيامة ، فبما أنهم يعلمون أن يوم القيامة محدد من قبل الله ، فيكون معنى متى للضجر وليست للدعاء ،

وسواء نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب أم نزلت في موضعٍ آخر ، فهي تشمل كل المواضع التي وعدنا الله بها لنصرة كلمته ، ونصرة أحبته وأنصار الرسول من الأولين والآخرين ، مع هذا فإن كل المعطيات الخاصة بيوم الأحزاب ، لا تشير أبداً إلى أن الآية نزلت بخصوصه ، فقد انتهت بنصرة المسلمين ، ولا داعي أن يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ، ثم يعدهم الله قائلاً ، ألا إن نصر الله قريب ، والمعركة لم تدم أكثر من ثلاثة أيام ، ولم تكن إلا حصاراً ضربه جيش الأحزاب على المسلمين ، ولم يحارب في تلك المعركة سوى علي بن أبي طالب بقتله لابن ودٍّ العامري ، وبعض المناوشات من هنا وهناك ،

والأحرى القول بأن الآية نزلت في معركة حنين مثلاً ، حيث حدث فيها ما لم يحدث في كل المعارك التي خاضها الرسول ، مع تشابه ما قام به المنافقون ، ممن ادعوا الإسلام ،

((حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٢١٤﴾ البقرة .

قال : نزل هذا يوم الأحزاب حين قال قائلهم : (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا) ﴿١٢﴾ الأحزاب ،)) - (تفسير الطبري) .

هذا ما جرى في يوم الأحزاب وهي ما تسمى بمعركة الخندق ، فتعالوا نتعرف على ما جرى فيما تسمى بغزوة حنين ،

غزوة حنين وقعت في السنة الثامنة للهجرة ، ورجّح تأريخ وقوعها في الثالث عشر من شوال ، ونشبت بين المسلمين بقيادة الرسول المصطفى وقبيلتي ثقيف وهوزان ، ودارت بين مكة والطائف في وادٍ يسمى بحنين ، إلى جنب ذي المجاز ، وكان قد دخل الإسلام نفر كثير ، إثر فتح مكة ، وهم يمثلون السواد الأعظم من الجيش ، الذي خرج لمحاربة تلكما القبيلتين ، فغرّت المسلمين كثرتهم ، حتى قال بعضهم لبعض ﴿١٦٣﴾ ، لن نهزم اليوم من قلة ، لكن هذه الكثرة لم تك ذات دراية كافية بفنون الحرب ، ولم يكن إيمانهم كافياً لاحتمال بلاء مثل بلاء الحرب ﴿١٦٤﴾ ، وهم يرون أن مقدمة الجيش هزمت في بداية الاحتدام بين الجيشين ،

ومن أخطر ما حصل في هذه المعركة ، أنه لم يثبت مع الرسول إلا عشرة من المسلمين ، حتى أخذ الرسول الكريم ينادي ((أيّها الناس هلمّوا إليّ ، أنا رسول الله محمد بن عبد الله ، فلا يأتيه أحد ، إلا العشرة ، فطلب الرسول من عمه العباس وقال له ناد القوم وذكّرهم العهد – فنادى بأعلى صوته ، يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، إلى أين تفرُّون ، اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله محمد -ﷺ-)) ﴿١٦٥﴾ ،

....

﴿١٦٣﴾ - من معارك الإسلام الفاصلة غزوة حنين ، محمد أحمد باشميل ، ط١ ، دار الفكر ، القاهرة .

، [١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤]م ، ص[١١٨] .

﴿١٦٤﴾ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، [٢٠١٠ - ٣ / ٤٦٥] .

﴿١٦٥﴾ - فتح الباري ، أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت { ٢٠١٠ } --- (٨ – ٢٧) .

ومن خلال هذه الحادثة نعلم أن قوله تعالى برضاه عن المؤمنين في بيعة الشجرة ، لم يكن شاملاً كل من حضر تلك البيعة ، لذا جاء النص :
(**لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ** إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) ﴿١٨﴾ الفتح .
إي عن المؤمنين فقط ، ولم يأتِ بصيغة ، تدلّ على أنه تعالى رضي عن كل من حضر تلك البيعة ، أضف إلى ذلك أن عدد أصحاب بيعة الشجرة (الرضوان) لم يتجاوز الألف ونيف ، وعدد الصحابة يوم وفاة الرسول مائة ألف ونيف ولنا حديث عن هذا في موضع آخر .
نقول بأن الله لم يرض عن بعضهم ، والدليل خذلانهم للرسول في واقعة حنين ، بل وكفر بعضهم ومحاولته قتل الرسول ، ولكي يفلت السلفيون من هذه الحقيقة ، ادعوا أن كل هؤلاء عادوا للإسلام وصلح إسلامهم ، فأي اسلامٍ هذا الذي ينفك في المحن ، ويعود بعد زوالها ، وحسبهم قوله تعالى فيهم :
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) ﴿١٣٧﴾ النساء .
والتعدد في الانتقال من الإيمان للكفر ، لا قيمة له مع عظم الذنب ، وإلا يمكننا أن نقول ، إن قابيل كفر حين قتل أخاه هابيل ، ويمكنه الإيمان بعد ذلك ، بل وإن قتل شخصاً آخر ثم آمن ، فهذه الآية لا تعطينا السماح بالقيام بعمل اجرامي مرتين ، بل تتحدث الآية عن ضعف الإيمان وقوته ، فمن قتل نبي الله يحيى ، أو أحداً من الأنبياء والأوصياء أو حتى من عقر ناقة صالح النبي ، لن ينفعه ايمانه ، ولو آمن ألف سنة بعدها ، لأن عداوته للأنبياء والأوصياء ، ليست بالعداوة الشخصية ، بل عداوته مع الله مباشرة ، كذا من عادى رسول الله محمد -ﷺ- ، لكن السلف اجتهدوا في أن يعطوا بعضاً من الشخصيات منزلة أعلى من منزلة الرسول ، ويغدقوا على تصرفاتهم الشاذة بفيضٍ من المبررات ، واللبس في أنَّهم فهموا قوله تعالى في الآية أعلاه ، على أنها سماح بالإجرام بحق الله مرتين ، وإليك ما جاء في معظم تفاسيرهم ، فتجد مثلاً في السيرة النبوية لابن كثير وهو يتكلم ضد مواقف الطلقاء يوم حنين ،
((في هذا الموقف الصعب تباينت مواقف الطلقاء ، فمنهم من صرّح بكفره ، بعد أن كان متظاهرًا بالإسلام ، مثل كَلَدَة بن الحنبل ، ولكنه أسلم بعد ذلك وله صحبة ، فهذا الرجل قال في ذلك الوقت : ألا بطل السِّحْر اليوم ، فهو يتهم بقوله هذا الرسول بالسحر ،(أي وبأنه أوهمهم وسحرهم ، وصوّر لهم بأن الله ناصرهم دائماً

وأبداً) فقال له صفوان بن أمية : اسكت ، فَضَّ الله فاك ! والله لأَن يَرُبَّني ربٌّ من قريش أحب إليّ من أَن يَرُبّني ربٌّ من هَوَازِن ، هذا ومنهم من لم يكتفِ بالكفر، بل حاول قتل الرسول ، مثل شيبة بن عثمان ، وبفضل الله أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ومنهم من أظهر الشماتة دون أن يظهر الكفر كأبي سفيان إذ قال لا تنتهي هزيمتهم دون البحر)) ﴿١٦٦﴾ ،

لاحظ أولاً كيف ذكر كلدة بن الحنبل ، وقال بإسلامه قبل أن يقول بجرمه ، لينهي القارئ من التذمر منه لما قاله ضد الرسول ، فقال أولا : ولكنه أسلم بعد ذلك وله صحبة ، قبل أن يذكر مقولته الشنعاء عن المصطفى ، وكذا شيبة بن عثمان ، وكان قيام شيبة بمحاولة قتل الرسول انتقاماً لقيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ﷺ- ، بقتل أبيه في معركة أحُـد ، إذ كان أبوه مع جـيش المشركين ، (راجع المحاباة في الادعاء والمناجاة) ﴿١٦٧﴾ .

ما يهُمُنا الآن أن نبرهن ، إن الآية التي بيّن الله تعالى نصره فيها ، كان من الأجدر لو صحت تفاسيرهم ، أن تأتي لتتحدث عن واقعة حنين على أقل تقدير ، وليست في الخندق ، فلنرى ما جاء في قوله تعالى عن واقعة حنين : -

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) ﴿٢٥﴾ التوبة ،

هذا هو حديثه تعالى عن حنين ، التي فاقت الأحزاب بتبعاتها ، بما لقيه المسلمون ، لا بل ونزيد على كل ما تقدم قوله تعالى في سورة آل عمران ،

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ﴿١٢٣﴾ ،

ومن هنا يمكننا الوقوف على علة التفريق بين ما ذُكر في الآيتين أعلاه ، ومعنى نصر الله ، فنصر الله هو تمام النصر ، وليس بمفرداته ، فيمكننا القول إن كل انتصارات الرسول تعد نصر الله ، أو أن يكون كما بينته الآية ، بعد كلِّ بأساءٍ وضراءٍ وزلزلةٍ ، سيمنّ على المؤمنين بنصره تعالى ،

....

﴿١٦٦﴾ - السيرة النبوية ، ابن كثير ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيـع - بيروت - [- ٣ /٦١٩ –] [١٩٧٦] .... [١٩٨٣] .

﴿١٦٧﴾ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال / يوسف بن عبد الرحمن المزي / مؤسسة الرسالة [١٩٨٣] .

وكل ما تقدم يثبت المغالطة التي وقع فيها الفقهاء ، بالنظر لهذه الآية على أنَّها تتحدث عن واقعة الأحزاب ،

مع ذلك فهم لم يصرُّوا ولم يجزموا واختلفوا كما هي سنّتهم ، على أن هذه الآية نزلت في الأحزاب ، فـما جـاء في تفسير الطبري قوله : ((وهذه الآية - فيما يزعم أهل التأويل – نزلت يوم الخندق)) ،

، وأشار إشارة خجولة قائلاً (ذكر من قال نزلت هذه الآية يوم الأحزاب) ، وبالعودة للآية محل النقاش : -

(أَمْ حَـسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَـنَّةَ وَلَـمَّا يَأْتِكُمْ مَـثَلُ الَّذِينَ خَـلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَـاءُ وَالضَّـرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَـتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٢١٤﴾ البقرة .

نرى أن هناك أموراً مهمة أغفلها المفسرون ، مثل قوله تعالى مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، فكم تعني هذه الآية من الوقت ، وكم هي المدة المشار إليها (ولمّا يأتكم مثل الذين من قبلكم) ، ولو كانت الآية تشير حقاً لواقعة ما ، فيفترض مقارنة الواقعة بواقعة أخرى ،

مثل الحرب التي خاضها طالوت ضد جالوت ، لا أن يشبه واقعة ، بمدة طويلة من البأساء والضراء والزلزلة ، فهذه الأمور لا تحدث بيوم وليلة ولا بسنة وأخرى ، بل بتاريخ حافل من المعاناة والصبر ،

لذا فليس هناك أدنى شك ، أن هذه الآية عنت وأشارت إلى يوم الظهور ، على أنه نصر الله القريب مهما طالت المدة ، والقصد بالرسول في (حتى يقول الرسول) ، هو من يمثّل سنة الله ورسوله تمثيلاً لا يمكن بعده التفريق بينهما أبداً ، ومن المؤكد أن القرآن استعمل لفظ رسول ، دون أن يعني أحداً من الأنبياء ، كما أن القصد بالرسول هنا ، ليس النبي صاحب الشريعة الجديدة كما أوضح بعضهم في التفريق بين النبي والرسول ، بل كل من يرسله الله لخلقه ، فقد أطلق لفظ رسول على الملائكة ، في حين أن الملائكة لا صلة لها بالخلق إلا بواسطة الأنبياء والرسل (اللَّهُ يَصْطَفِي مِـنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُـلًا وَمِـنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ بَصِيرٌ) ﴿٧٥﴾الحج .

وقوله تعالى : -

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿١﴾ فاطر .

فالرسـول من المهام الوظــيفيَّة ، كما هي الحال في الإمام والنبي ، ولكل منهم ما يتكلف فعله ،

ومن هنا يمكننا أن نقول إن للرسول أو الرسل مفهوماً خاصاً وعاماً ، فالخاص منهم بمن كُلّف بمهمة الرسالة كعيسى وموسى ومحمد عليهم الصلوات جميعاً وعلى آلهم ، أما العام فهو يشمل كل من يرسلهم الله بأي شيء يبلغون به عباده ، أو يدعوهم لأمرٍ ما ، كما أن الجمع بين الرسول والذين آمنوا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) ، يؤكد أن المدة التي صبروا عليها مدة طويلة ، فليس من السهل أن يقول الرسول والذين آمنوا متى نصر الله ، إلا إذا كانت المدة التي صبروا بها مدة طويلة جداً ، دفعتهم للدعاء وطلب نصر الله ، لأن قولهم (متى نصر الله) ، لم يأت للجــزع واليأس ، بل جاء بصيغة الدعاء لله بالفرج ، وقد وردت الكـثير من الآيات التي تشير إلى أن الساعة آتية وكأنَّها لا تبعد أكثر من سنة أو على أبعد التقديرات عقد أو حتى قرن من الزمان ، كقوله تعالى : -

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ **آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا** لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) طه .

لكنَّنا نرى وقد مرّت آلاف السنين على زمن النبي موسى ، ووفق تقدير الباحثين ، فإن المدة الزمنية بين نبي الله موسى والرسول الأعظم ، تقدر بما يزيد عن ألفي ومائة سنة ،

وعن ابن عباس قال ((بين آدم ونوح عشرة قرون ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، وبين إبراهيم وموسى ٧٠٠ سنة ، وبين موسى وعيسى ١٥٠٠ سنة ، وبين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم ٦٠٠ سنة)) ، كما نسب للرسول الأعظم رواية مشابهة ، رواها ابن حبان في صحيحه[١٤/ ٦٩] ، والحاكم [٢/٢٦٢] على شرـط مسلم . ونجد قوله تعالى بالنسق نفسه الذي قيل لنبي الله موسى .

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) الحجر .

لا بل وفي آية أخرى ، يبيّن تعالى أن الساعة قريبة كما بيّن أن نصر الله قريب ، (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ **قَرِيبًا**) ﴿٦٣﴾ الأحزاب . وهي تماماً على غرار قوله تعالى : (ألا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ **قَرِيبٌ**) .

لذا فقوله تعالى (ألا إن نصر الله قريب) لا يمكن أن ينحصر في ثلاثة أيام ، ولا حتى بمئات السنين ، حتى وإن افترضنا أن الآية أنزلت في تلك الأيام الثلاث نفسها ، التي كانوا بها في ساحة المعركة ،

ونعتقد إنّا أسهبنا في اثبات أن هذه الآية تحدَّثت عن يوم الظهور ، فنصر الله لم ينتهِ ولم ينحصر في معارك الرسول الكريم ، بل لابد من أن يكون ختاماً لليوم الأول الذي ما زلنا نعيش به ، أو بالأحرى اليوم الرابع ، بعد عالم الذر وبعد أن كنا في ظهر آدم في الجنة ، وبعد هبوطنا على الأرض ،

كما أن الرسول يعني الخليفة ، وإن كان يعني الرسول ، فهي إشارة بليغة من إشارات النصوص القرآنية بمعنى (وكأن الرسول لو كان فيهم لقال والذين معه متى نصر الله ، فيجيبهم الله ، ألا إن نصر الله قريب) ، من هنا يمكننا فهم عظيم ما سيمر بالمؤمنين من مآسٍ ، قبل ظهور الخليفة ، وهنا يمكن الحديث عن البأساء والضرّاء والزلزلة ، ما دامت المدة تكاد تصل إلى ألفٍ ونصف من السنين ، لا مجرد ثلاثة أيام انتهت بالنصر ، ويكون الحديث عن **البأساء والضراء والزلزلة** ، حديثاً مقبولاً بالمطلق ، ويمكن للشيعة فقط أن يدعو لأنفسهم بذلك ، لعظيم صبرهم كما لا يمكن أن نتقبل ، أن الرسول يقول في وسط الحرب المُشتعلة ، متى نصر الله ، فهذه المقولة تثبط من عزم المقاتلين ، وتشعرهم بالعجز ،

ولا يفوتنا ذكر ما واجهه الرسول من أقسى سنين الألم ، هو وأنصاره في شعب أبي طالب ، وقد فَقَدَ فيها الغالي والغالية ،

ثلاث سنين من الجوع والعوز والمرض ، الذي أحاط بالمسلمين الأوائل ، وكاد أن يقضي على الرسالة باكراً ، لولا جلد الرسول وآل بيته ، وجماعة من شديدي الإيمان ، مع ذلك لم يقل فيها الرسول متى نصر الله ، فالنصر ليس مقروناً بالحرب كما أن البأساء والضراء والزلزلة ، ليسوا في الحرب فقط ، بل كان أهون عليهم أن يحاربوا مائة مرة ، على أن يمرّ بهم ما مرّ في شعب أبي طالب ، وهذه غيرة العربي ، على أهل بيته وأنصاره ، فما بالك بمن كان بالمؤمنين رؤف رحيم ،

والنص القرآني يتحدث عن حقبة عظيمة الأمد ، لكي يقول الرسول والذين آمنوا معه مثل هذا القول ، وهؤلاء القوم يتكلَّمون على ثلاثة أيام ، لم يحارب فيها غير عليّ -ع- وثكنات قليلة حول المدينة ، وحين نجد أن هناك تلاعباً لفظياً وتاريخياً يخص آية ما ، فمن المؤكد أن هناك أمراً جللاً ، ونبأً عظيماً حقاً ، يحاولون بسببه التشويش على كل ما يتصل به من إشارات .

الخطوة السـادســة

كيف نتعرف إلى يوم الظهور

سبب ادعائنا أن هناك خطوات لدخول دولة الخلافة ، هو ما اكتشفناه من حقائق موزعة في النصوص القرآنية ، للإشارة إلى تلك الدولة ، منها المباشرة وأكثرها غير المباشرة ، بل يمكننا القول بأنَّها مشفّرة ،
لكنَّهُ تعالى وضع مفاتيحها حيثُ فراسة المؤمن ، وحيثُ الأحاديث والروايات الصادقة لرسول الله وآل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وكلمّا ازداد إيماننا بقضية الظهور ،
تفتحت الحقائق وانكشفت ، رغم ما جعلوه من متاهات في الطريق ، من خلال التدليس والتزييف ، مع كثيرٍ من نقص الخبرة والعلميَّة ، في التعامل مع كتابٍ عظيم مثل القرآن ، زد على ذلك محاولات التشويه والتخريب مما دسّ من إسرائيليات ، بعمد أو من غير عمد ، والأخطر ، شكوكنا ، بتعرض معظم التراث الإسلامي للتحريف والتزييف ، في السنوات الأخيرة من حكم الدولة العثمانية ، ومحاولاتهم تحريف الأحاديث والروايات لإسناد سلطانهم ،
فكم هي مصيبتنا كبيرة ، لو أن الشيعة وأهل الجماعة يختصمون على روايةٍ نقلت عن ابن عباس مثلاً ، ويتضح لنا في يوم ما ، أن الرواية تم تلفيقها ودسّها باسم ابن عباس ، لتشويه الدين ، أو لزرع الفتنة بين الفرق ، فالنزاع بين الدولة العثمانية والفارسية أيام حكم الصفويين ،كان جبَّاراً ، حتى أن سليمان القانوني قتل ولديه لعلمه بمراسلتهم الفرس ، بل قتل الابن الأكبر لمجرد الشك بذلك ،
وبدأت الفتاوى يومها بتكفير الشيعة ، والضمان لمن يقتل عشرة من الشيعة أن يدخل الجنة ، لذا فقبل كل خطوة نخطيها ، علينا إزالة العوائق التي تحول دون المضي قدماً ، ومن هنا علينا أن نتيقَّن ، بأنَّ درب الجنَّة لن يكون سالكاً ،
= كان الجهاد في زمن الرسول الكريم ، من الطرق الأكثر حظاً لضمان الجنَّة ، ومع تسَلُّل الطامعين والفاسدين ، ليكونوا أولياء على المسلمين ، بدأت تتشكل العصابات التي تقتل وتسلب باسم الدين ، وهذا ما مرّت به كل الأديان وأغلب المذاهب ، وأصبحنا لا نعرف ، من نهديه ، ومن نقتلهُ باسم الدين ، حتَّى اعتدنا على رؤية القتل والتعذيب والتكفير ، بين المذاهب الإسلامية ، والألفة وطلب الهداية بين المسلم والملحد ،

فحالة الفوضى التي نعيشُها منذ سنواتٍ ليست بالهينة ، ومن المؤكَّد أن الله أعدَّ لها من يُنظِّمها ، ولكن نرى بأن أجدادنا وآباءنا ، هلكوا قبل أن تبهجهم تلك الساعة ، وأنا كأقراني أقف صامتاً لا أغادر محل وقوفي ، ثم أهرول صوب هذا السراب وذاك السراب ، منتظراً من يحملني إلى مثواي الأخير ، وخوفي من ذلك المثوى الأخير ، في أن أفاجأ ، بأن الماء كان من حولي ، وبدل أن أرى السراب وأخاله ماءً ، كنت أرى الماء وأخاله سراباً ،

نعم حينما نرى الآيات تلو الآيات ، ونصد عنها ، فإنَّنا نرى الماء سراباً ،

وحين نرى الأحاديث والروايات ، ونغضُّ الطرف عنها ، فإنَّنا نرى الماء سراباً ،

لذا علينا أن نثق بفكرنا وما تتوصل له عقولنا من يقين ، ما دمنا نرى الماء ماءً والسراب سراباً ، وعلينا أن نوضِّب أمرنا أولاً ، قبل أن يأتنا صاحب الأمر ، فنخزى بما أفلتناه من مهمة الاستقبال ، وما فاتنا من طرقٍ للانتقال ، إلى حكومة الله الجديدة ، والحياة السعيدة ، التي تنتظر منا القدوم ، قبل قدومها إلينا ،

لذا قررنا أن نسير ومعنا القارئ العزيز ، إلى ذلك العالم المشرق ، وإلى حيث آمال المظلومين والفقراء ، وما يخاف منه كل الظالمين والسفهاء ، ألَا وهو عدل الرب ، والامتحان الأصعب ،

وسواء وجدنا بعين اليقين ، أنَّنا على مشارف أيام الله ، من خلال البحث والتقصي كما سنرى ، أم لم نجد ، فإن لنا دوراً علينا القيام به ، ولو أن قريشاً دعت ونادت الله ، بأن يبعث الرسول محمد -صلى الله عليه وآله- فيهم ، قبل ولادته بخمسمائة عام ، لبعثه الله في ذلك الزمان ، ولو أن المعدم والمظلوم والمغصوب ، لم يدعُ الله بالفرج العاجل ، لتأخَّرتْ بعثة الرسول حتَّى يقوموا بذلك ، لذا فنحن على ثقة ، بأنَّ الظهور وإنْ كان بعلم من الله وتقدير ، لكنَّهُ ترك لنا سبحانه ، مساحات للدعاء والمناجاة ، ليستجيب لنا ، وجعل من همَّتنا واستعدادنا لاستقباله ، سبيلاً لقيامته ، فوالله إن لم نستقطع من أيام حياتنا القسم الأكبر ، ومن تفكيرنا الجزء الأقدر ، للبحث عن أسباب غيبته ، وتأخر طلّته ، وعن كيفية مجيئه ، بأقرب ما نتمنَّاه ، فإنَّ غيبته ستطول لا محالة ، وقد طال الأمد على من سبقنا ، وأهملوا دورهم في طلبه ، وفتروا في المناجاة لمجيئه ، أقول فوالله لن نرى شروقه حتى يبقى على القيامة يوم واحد ، فهذا هو التحذير الذي كاشفنا به الرسول الكريم بقوله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ،

((لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يومٌ ، لَطَوَّلَ اللهُ ذلِكَ اليومَ حتى يبعثَ فيه رجلاً من أهلِ بيتي ، يواطئُ اسمُهُ اسمِي ، واسمُ أبيه اسمَ أبي [الاسم مختلف عليه بين الفرق] ، يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً)) رواه الألباني ، في صحيح الجامع ، عن عبد الله بن مسعود ، صفحة [٥٣٠٤] ، صحيح .

، فقوله صل الله عليه وعلى آله وسلم ، لا يعني فقط التأكيد والاثبات بظهوره ، بل يعني كذلك التحذير والتنبيه ، بأنه تعالى قد يكتفي بيوم واحد ، لإعلان نصره ، وفرض عدالته ، لكنَّنا نحن من سنفقد الأيام العظيمة والسنين الكريمة ، بالعيش في دولة الخليفة ، كما وجاءت الأحاديث عن الرسول المصطفى بمجيء الإمـام : كذا ما ورد عن الصدوق في إكمال الدين بسنده عن جابر الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله ((المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا)) .

وبسنده عن الصادق عن أبيه عن جده -عليهم السلام- عن رسول الله صلى الله عليه وآله : ((القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وشمائله شمائلي وسنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب الله عز وجل من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني)) ،

فإني أستقيل يا رب ، من السهو والنسيان ، ومن التبلُّد والخذلان ، ومن ألّا أجهد في السعي ، ومن أن أبتدع بالرأي ، ويجذبني الهوى والغي ، فلا وحقك لن أستكين حتَّى أشغل وظيفتي في حكومتك ، وأكون الناصر لدولتك ، وطوع خليفتك ، فانطلقتُ باحـثاً عن كل أثـر لخليفة الزمان ، لأطّلع على ما كان وما يكتب الآن ، ومـن هُــنا بدأتُ أبصرُ لقضية السـماء وجوهاً ، وأول الوجوه هو يوم الظهـور ، فليوم الظهور ملامح كملامح وجوهنا ، التي نميِّز بعضها من بعض ، رغم تشابه ملايين الوجوه بشكل نسبي ، فكيف إذا علمنا أن وجه ذلك اليوم ، لا ينتمي لأيِّ لون ولأي رسمٍ مع باقي ما نعيشه من وجوه الأيام ، وهو شبيه بوجه كل الأيام التي بُعث فيها الأنبياء من قبل ،

فهناك علامة سماويّة ، كظهور نجم سيّار ، وهي العلامة التي لازمت معظم الأنبياء ، كما إن هنالك علامات مكانيّة ، تخصّ المكان الذي سيظهر فيه النبي ، وعلامات شخصيّة ، تخص النبي ومقربيه ومنتظري مجيئه ، ورُبَّما علامات أخرى ، تخص حتَّى أعدائه ، ومن هُم على استعدادٍ لمحاربته ، كما عرفنا عن السفياني ،

وحتى المنجمون وأهل الطَّالع ، كانوا يعلمون أن في زمن ذلك الفرعون ، سيظهر نبي الله المُنقذ ، فهُم كما يعرفون صفات المُنقذ ، يعرفون صفات الظالم أيضاً ، مع ذلك ترانا نخشى ظهور الخليفة دون علمٍ منا ، وكم ذكَرَ لنا التأريخ من مُدّعينَ للمهدويَّة ، فوجب علينا قبل أن نختبر شخص الإمام ، لنعرف إذا ما كان هو أم لا ، أن نعرف هل جاء الزمن الذي سيظهر فيه أو لا ، ونحن على يقين أن بني إسرائيل حين شهدوا الآيات الكبرى ، التي جاء بها موسى حتَّى انفلاق البحر أمامهم ، ونزول المنّ والسَّلوى عليهم ، ازدادت طموحاتهم إلى الدرجة التي ظنُّوا أنَّهم سيعيشون الجنَّة في دنياهم قبل آخرتهم ، وبدل أن يعملوا ساعات طويلة في النهار ، فكل ما عليهم هو الإيمان بالله ، واجراء طقوس الصلوات له ، والقليل من العبادات ، وهذا ما ستمر على شيعة الخليفة القادم من ظنون ، خصوصاً تلك الفئة التي تعتقد أن الخليفة جاء لتعويضهم عمّا لاقوه وآباءهم وأجدادهم من عذابات ، أو لينقذهم من حالة الفقر ، التي يعيشونها دون الآخرين ، رغم أن الجميع من السابقين واللاحقين يعلمون علم اليقين ، أن أنبياء الله أنفسهم لم يتسنَ لهم العيش في جنة الدنيا وجنة الآخرة ، قبل أن يدفعوا ثمن دخولهما بالصبر والإيمان ، الذي يصل لدرجة اليقين ،

ومن أهمِّ الأسباب التي تجعلنا نؤمن بالرواية الشيعية إيماناً مطلقاً ، أنها تنطبق بشكل دقيق جداً على سيرة الأنبياء ، التي حدثنا عنها الباري -عزّ وجلّ- ، فهي كقضية كل الأنبياء من حيث الحكمة والموعظة ، ومن حيث الدليل المعقول والمقبول ، وربما المنقول أيضاً ، لولا تشكيك أهل الجماعة ،

فشخصية المهدي التي تحدّث الشيعة عنها مدعَّمة بروايات أئمتهم ، تصل بنا إلى رؤية واضحة جداً ، وامتداد حقيقي لسنّة الله تعالى وسيرة أنبيائه ، فعليٌّ وفاطمة أعظم من حملت الأرض بعد النبي محمد -صلى الله عليه وآله- ، والحق والعدل أن نقول مع النبي محمد -صلى الله عليه وآله- ، وهذا ما لا يمس بشخص النبي الأكرم ، بل ما يزيد من قدره ، أن يكون أهل بيته بمنزلته ، وهكذا ينجب عليٌّ وفاطمة ولدين يشهد لهم النبي بالإمامة ، إن قاما أو قعدا ، وبنسل الإمام الذي قام ضد الطغيان بروحه وأرواح أهل بيته وأصحابه ، وهو الحسين -عليه السلام- ، تمتد الإمامة ،

فينجب السّجاد والباقِر والصّادق والكاظِم والرضا والجواد والهادي والعسكري التقي ،

ومن ثم ينتهي بالمهدي ، الخليفة الذي يوقد من شجرة مباركة ، ولا بد أن نقول كلّما ذكرناهم ، سبحان من أبدع نهجها وبارك نسبها ،

وعند قراءة هذه الرواية ، لا بد لنا من أن نشعُر أن هناك تدخلاً إلهيّاً عظيماً في صياغتها وإحكامها ، ولم نجد قط أسمى نسباً وسلالة ، من أن يكون الخليفة ابن إسماعيل -ع- الذبيح الأول بأمر الله ، والحسين -ع- الذبيح الثاني والحقيقي ، من أجل بقاء دين الله ،

فالشجرة التي بدأت بأبي الأنبياء إبراهيم الخليل ، ودخلت بذلك كتُب السماء ، لابد أن تكون هي من سوف تطرح الثمر السامي والمبارك ،

((وبسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله : علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها بعدي ومن ولده القائم المنتظر يملأ الله عز وجل به الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيرا أن الثابتين على القول به في زمان غيبته ، لأعز من الكبريت الأحمر ، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة فقال : إي وربي وليمحصن الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين يا جابر أن هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله مطوي عن عباده فإياك والشك في أمر الله فهو كفر)) ،

(كتاب = كمال الدين وتمام النعمة – للشيخ الصدوق – ج {١} الصفحة [٣١٦] .

ومن خلال قوله تعالى : - (وليمحِّصن الله الذين آمنوا) ﴿١٤١﴾ آل عمران ، نفهم ما سبق وأن مرّ علينا في آية سابقة : -

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إن نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٢١٤﴾ البقرة .

أي إنَّنا لا نرى إلَّا أن الآيتين ، يشيران إلى زمانٍ واحد ، وقضية واحدة ،

وتعالوا لنرى القضية بوجه علمي ، ذكرنا في ﴿ك،ي﴾أن علم الوراثة بيَّن لنا ، إنَّ ما نقوم به من سلوكيات ، سوف ينتقل بشكل فطري لأبنائنا ، على غرار ما نحمل من صفات خلقيَّة وأخلاقيَّة ، وهذا يعني أن ما قام به إبراهيم وإسماعيل من تضحية خالصة لوجه الله تعالى ، لا بد أنها ستنتقل لذرياتهم ، فما قام به إبراهيم -ع- كما ذكر لنا الله عزوجل : -

(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) الصافات .

فقوله تعالى (فتركنا عليه في الآخرين) ، تعني تأجيل الفداء بالابن لوجهه تعالى ، وتخصُّ من هُــم من نسل إبراهيم وإسماعيل ، فمن من نسلهما غيرهُ ﷺ لكنَّ للآخر رأي آخر ، وصراع من أجل تحريف الكلم عن مواضعه ، فمثلما وضع لنا الله الإشارات والبيانات لإخبارنا بيوم الظهور ، وضع لنا اِشارات أخرى تدُلّنا على أصحاب الظهور ، وأئمة الظهور ، حاول بعضهم تشويهها ،

وبمرور سريـع على ما جاء من تفسير ابن كثير والقرطبي وغيرهم من النمطية ،

((قال الثوري في تفسير وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا داود العطار ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه ، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء ، فذبحه ، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه ، فكان مخزونا حتى فدي به إسحاق ، وروي أيضا عن سعيد بن جبير أنه قال : كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير ، وكان عليه عهن أحمر)) ،

وفي أطروحة النقد الوظيفي لنا تعقيب مطوّل شيئاً ما ، عما جاء به أهل التفسير ، عن قضية الكبش هــذه ، والآن لنأتي مرة أخرى ومتجددة ، إلى تفسير الآية : -

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) الاسراء .

مرّ علينا البحث بشكل مقتضب ، عن موضوع الآية أعلاه ، والآن علينا أن نبحثها من جــوانب أخرى ، (ونرجو من القارئ أن يتلطّف علينا بعدم الملل من التكرار) .

فمن هؤلاء الذين كادوا يفتنون الرسول ، ولماذا لم يبين الله لنا عقوبتهم بدل أن يبين لنا تحذيره للرسول وبما سيعاقبه ، لو أنه ركن إليهم حاشاه ، ولمّا لم يركن إليهم ، فما علة أيراد الآية ، إلا إذا قلنا إنه من المتوقع أن تحاول هذه المجموعة أن تعود لفتنة الرسول مرة أخرى ، وخوفا على أن يفتن الرسول بما يقولونه حاشاه ، جاءت هذه الآية ، وهل من الممكن أن نتوقع أن الرسول كاد أن يركن للمنافقين هذه العلاقة العظيمة بين الله ورسوله الكريم ، لها سبب عظيم ، وهو أمانة

الرسول على رسالته وتضحيته بكل شيء في سبيل دين الله ، ويا خجلاه ، فهل هناك من يعتقد أن ما ذخره الله لنا وما ضحى به الرسول ، اكتشفناه واخرجناه ،
الهدف الأساس من هذه الآية كما يتضح لنا ، هو ذكر ما سيحل بالمجموعة المجرمة التي حاولت أن تفتن الرسول ، فسواء كان المشار له في هذه الآية الرسول نفسه ، أم جماعة الرسول المخلصة ، فقد ثبّته الله أو ثبّتهم الله ،
فما هو الداعي لأن يبين الله ما سيجري لو ركن الرسول أو الذين آمنوا معه لفتنة المجرمين ، لذا فحاشا الرسول من أن يفتن ويفتري على الله غير الذي أوحي إليه ، بل لكيلا يفضح أصحاب الفتن فيلجأوا لتزوير القرآن وتزييفه ، وتحّمل الرسول ما فهمه النمطية من الإشارة إليه ،
ولكن هذه الإشارة سيعرفها ويتعرف عليها ، من آمن حقاً بقداسة الرسول وعظمة ثبات قلبه ، ويكتشفوا أن الله يريد بهذه الآية ، أن يبين لنا عظيم كيد المجرمين ، وهم بعض من يلتف حول الرسول من المنافقين ، وبذلك قام الرسول بحماية القرآن وتقديم شخصه فداءً للقرآن ، من أن يقوم بعض المنافقين بتحريف القرآن ، كما قام أجدادهم وأشباههم في القلوب والعقول ، بتحريف الكتب السماوية السابقة ،
لذا فإن هذه الآية من الآيات الصريحة ، التي تبين أن تلك المجموعة وهي من أرادت أن يركن الرسول إليهم ، سيعودون إلى الحياة بأجسادهم ، فيذوقوا ضعف الحياة ، وليذوقوا بذلك الممات مرتين ، ورغم هذا التعذيب لن يجدوا لهم على المؤمنين من نصير ،
لنفهم من خلال الآية أعلاه ما نعنيه بالمنظار القانوني للآية ، بين لنا الفقهاء أن القرآن الكريم جاء بصيغة إياك أعني واسمعي يا جارة ، قَالَ الرِّضَا -عليه السلام- : - ((هَذَا مِمَّا نَزَلَ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ ؛ خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] وَأَرَادَ بِهِ أُمَّتَهُ)) ﴿١٦٨﴾ .
الآن نأتي لما يراه المنظار القانوني ، والذي سنتناوله من خلال السؤال ،
ما الحكمة من تصريحه تعالى بهذه الصورة من العقوبة المحتملة ، حتى مع القول إن الهدف من الآية ، كشف ما لكيد المنافقين من أثر ، وتحذير الرسول منهم ،

....

﴿١٦٨﴾ - البرهان في تفسير القرآن – البحراني – الجزء الثالث – ص [٥٦٢] .

أي لما اختار الله هذه الصورة من العقوبة ، وجهنم كفيلة بعقوبة من يعصي الله ،
وكأنَّ الآية جاءت موقوفة على حدث ، كاد أن يقع لولا تثبيت الله لنبيه ،
لذا علينا أن نفهم مرة تلو أخرى ، أن ما بينه الله لنا في هذه الآية ، هو ما سيحدث فعلاً لتلك الجماعة من عذاب ، وإذاقتهم ضعف الحياة وضعف الممات ، وهذا الحدث هو أيضاً من ملامح يوم الظهور ، كما أن من ملامحه ظهور الفئة التي جاهدت مع الرسول حتى دعوا الله أن يأتيهم بنصره ، وهذه الفئة كانت وما زالت منذ زمن الرسول ليومنا هذا ، كما أن الفئة التي أرادت أن يميل الرسول لرغباتهم ، هم أيضاً كانوا وما زالوا على ما هم عليه ، فكلا الفريقين سيمنحون الحياة ، هؤلاء ليروا نصر الله ، وهؤلاء ليذيقهم الله ضعف الحياة وضعف الممات ، وبعد أن نشهد كل علامات الظهور ، ستنتهي تلك العلامات ، برجوع الفريقين إلى الحياة ، وما سنراه من عظيم المنن بظهور خليفة الله ، هو عينه ما سنراه من صفات لخليفة الله ، لأن يوم الظهور ، سيعرف من صفات أهل الظهور ، كما عرف يوم المولد النبويِّ الشريف ، مما أصاب الأرض من خير ، وما دُفع عنها من شر ، وهو ما يعرف كذلك عن يوم الظهور ، فقوله تعالى : -
(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ﴿٦٩﴾ الزمر .
فكيف تشرق الأرض بنور ربِّها ، إذا كانت القيامة تقوم بعد فناء الأرض ،
فمن علامات الظهور ، إشراق الشمس من مغربها ، ولربَّما كما أشرنا لا يقصد بالشمس ، شمسنا التي نعرفها ، بل أنوار إلهية يمكن أن نطلق عليها بالشمس ، لأننا نؤمن إيماناً قطعياً ، بأن قضية المعاجز التي تسبق الظهور ، يجب أن يتم تأويلها علميَّاً أو تسبيبها ، لأسباب تخرج عن كونها معجزة إلهيَّة ، فقد اعتاد الكافرون على طرق التملّص من المعاجز ، مرَّة باتهام الأنبياء بممارسة السحر ، ومرة أخرى بامتلاكهم القدرات الخارقة ، أو اتهام الأنبياء بالاستعانة بالجن وما نحو ذلك ، لذا فيوم الظهور كما تقدم له ملامح خاصة ، وصفات قريبة من صفات الخليفة ، بالعطاء وكشف البلاء ، والروايات التي أكدَّت شفاء كل مريض ، ورزق كل محتاج ، حتى مع إيماننا المطلق ، بسيف الانتقام الذي سيحمله الخليفة ، فالانتقام يخصُّ أعداء الله لا كل عباده ، لذا فإن أيام الظهور معروفة ، ويمكن لنا إدراكها وتحسُّس ما تختلف فيه عن باقي الأيام .

الخطوة السابعة

أسباب الإيمان بالغيب

لماذا يريد الله لنا أن نؤمن بالغيب

قد يرى بعضنا أنه لو رأى ملاكاً في السماء ، لآمن أشدّ من إيمانه بما سمعهُ من معاجز وآيات ، ولو أنَّهُ تعالى أنزل القرآن على قريش بواسط الملائكة ، لآمن كلّ القريشيِّين ، بدل أن ينزلهم تعالى في المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين ، لا بل لمَا كان هنالك من حرب ولمَا كان هناك من مشرك ، أو أن نرى مرَّة في العام ، ملائكة الله وهي تصلي في السماء ، لا بل مرَّة في العمر ، وبعد ذلك يأمرنا الله بما يريده ، فلا من أحدٍ يجرؤ على انكار ما يراه ، ومن المؤكد أن كل هذا أهون بكثير ، مما مرَّ به الأنبياء من تكذيب وتعذيب وقتل وحرب دائمة ، لكنَّهُ تعالى أبداً لا يبحث عن إيمان عباده به عن طريق الخوارق ،

وما هو على خلاف ما خلق ، فهو من جعل للعصا قدرة أن تتحرك وتكون أفعى ، وهو من جعل البحر متصلا غير منفصل ، وإن كنت لا تؤمن بعظمة خلق الله بموجب ميزانه ، فلا داعي لأنْ تؤمن بوجود إله يخرق موازين خلقه ، أي إنَّك إذا رأيت كيف خلق الله السماوات والأرض ، وخلق الإنس والحيوان والنبات ، باختلاف أنواعه وأشكاله وأصنافه ، ولم تؤمن بالله ، لما أبدع في خلقه ، لكنك آمنت بالله حين رأيت أو سمعت باختراق موسى للبحر بعصاه ومن معه ، فإنَّك آمنت بحالة مرحليّة ، سرعان ما تتلاشى مع الواقع ، كما تلاشت عند بني إسرائيل ، عندما هجرهم موسى لأربعين ليلة ، فالله -ﷻ- يريدك أن ترى كيف خلقك كما وخلق هذا الكون ، فتؤمن به على هذا الأساس ، وبهذا المقياس ، ولو أردتَ أن تبحث عن معجزات لتؤمن بوجود وعظمة الله ، فما عليك إلا أن تتنقل ببصرك نحو ما خلق ، ولك ألّا تؤمن بالله لو وجدت أن ما خلقه الله لا يفي بأن تعطيه منزلة الألوهيَّة ، ولكننا نسأل هنا ، ما قضية الغيب التي ألزمنا الله -عزَّ وجلَّ- الإيمان بها ،

الأساس أن لكل مخلوق ومصنوع حالة من الغيب ، سببها كونهُ مخلوقاً ومصنوعاً ، ولن يدركها حتى يصبح خالقاً حاشا لله ، هذه الحقيقة يجب علينا أن نضعها قبالة أي فكرة ، تطرح في الحديث عن كُنْهِ الخالق ، وبما إنَّ كل هذا الكون مخلوق ، فهو ومن فيه ، يعيشون في حالة من الغيب عمّن خلقهم ، وعمّن يتحكم في

مقدراتهم ، وعلى من يريد التفاعل مع مخلوقات هذا الكون ، أن يتجسد لهم بأجساد مخلوقاته ،
(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ **رَجُلًا** وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) الأنعام .
ومن يدعي أن الله -جل جلاله- ينزل إلى الأرض ، فقد اتهم جلالته بالتجسيد ، واخرجه من صفات الخالق إلى صفات المخلوق ، وجاؤوا برواية متفق عليها كما يدعون (ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ، حتى ينفجر الفجر) ﴿١٦٩﴾ .
فعلام أخبر الله -جل جلاله- ملائكته بجعل خليفة له في الأرض ، وإذا كان سبحانه ، ينزل كل ليلة جل جلاله ، فكيف تكون ليلة القدر خير من ألف شهر ، والله لا ينزل فيها ، كما إن مؤلف هذه الرواية لم يكن يعلم بعد ، بأن الأرض كروية وأن ثلث الليل الآخر ، يمر على مدى [٢٤] ساعة ، ولا ينتهي أو ينقطع عن الأرض ، أم تراه ينزل على العرب ويترك ما بقي من عباده ،
وهناك الكثير من الروايات التي نعدها مؤلمة ، وتشعرُنا بالأسف ، إذ نرى مخلوقاً ما ، يتهم خالقه بهذه الاتهامات ، وسواء وافق رأينا مذهبٌ ما أم لم يوافق ، فنحن ننزّهُ الرب عن كل هذه الاتهامات ، كالنزول والدخول في هذا الكون ، أو حالات الغضب واهتزاز العرش ، حتَّى فيما أجمعتْ عليه كل الفرق ، من أن الله بنفسه استوى على العرش ، فبدايةً علينا أن نفهم أن الله تعالى لم يكن خارج عرش السماوات والأرض ، ثم انتقل لعرش السماوات والأرض ، بل إنه تعالى جل عن الدخول في هذا الكون ، إنما يجعل مقاليد الأمور في يد من يُمثّلهُ ، ولنشرح الأمر بشكل أدق ، مرّ علينا كيف أنه تعالى يخلق المقومات قبل المكونات ، لذا فأينما وجدنا كلمة استوى ، أي خلق مقوماتها وجمع مقاليدها ، بيد من كُلّــف بذلك ، ولنرى ما أوضحه الله تعالى من مراحل لخلق السماوات والأرض ومن ثم العرش

....

﴿١٦٩﴾ - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ، برقم [١١٤٥] - ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة ، برقم – [٧٥٨] .

المرحلة الأولى : -
(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ **اسْتَوَى** إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ﴿٢٩﴾ البقرة .
.
وفي نصٍ آخر ، أوضح لنا تعالى ما جرى بعد خلق السماوات والأرض ،
المرحلة الثانية : -
(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ **اسْتَوَى** عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخلق وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ﴿٥٤﴾ الأعراف . (وقد ذكرنا المراحل الأخرى ولا داعي لتكرارها).
وهُنا كلّف من يُمثّله على العرش ، لأنَّنا يجب أن نفهم ما كررناه مرّات عدة ، من أن عدم دخوله تعالى لهذا الكون ، ليس عجزاً في قدرته سبحانه ، وإنما لعظمته التي لا يمكن أن تكون بمستوى الخلق ، لو أنه حاشاه أصبح جزءاً من هذا الكون ، وكما مرّ علينا ﴿ي.ك.ي﴾ ، فإنه تعالى لو كان يدخل الحيّز المكاني ، لكان عليه حاشاه أن يخلق الحيّز المكاني قبل أن يظهر ، لأنه يحتاج الحيز المكاني باعتقاد أولئك ، ومن الطبيعي أن يخلق سبحانه من خلقه ، ما هو كفوء للقيام بالمهام المُكلّف بها ، وبالتأكيد فإن قوى عزرائيل وإمكانياته ، تختلف عن قوى جبرائيل وإمكانياته ، على وفق المهام التي كُلفوا بها ، وحين يأتي لاختيار من يمثّل شرعه وأحكامه ، فلا بد أن يختاره من بني آدم ، ومن أولئك الذين ذكر إبليس عجزه عن إغوائهم ،
(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ﴿٨٢﴾ ص.
فأولئك العباد عرفوا من قبل أن ينسلوا من ظهر آدم ، ومن هنا بدأ **الغيب** ، وبدأ السعي لمعرفة الغيب ، فسبحانه وتعالى لم يأمرنا بالإيمان بالغيب ، على أنَّهُ مبهم ومجهول ، لا بالعكس تماماً ، فقد أمرنا بمعرفة الغيب لأجل الإيمان بما كان غيباً لدينا ، فتعال لنرى ما هو الغيب ، كما مررنا بذلك في الباب الأول ،
(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ﴿٣٢﴾ البقرة .
هذا هو أول الغيب الذي تعلّمه آدم ، فآمن به ، وتعلمته الملائكة وآمنت به ، وهو كما ذكر لنا الله -عزوجل- ، غيب السماوات والأرض ،
(قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ **غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) ﴿٣٣﴾ البقرة .
لذا فإن هذه الأسماء ، والتي أهّلها الله لخلافة الأرض ، هي ما يأمرنا الله بالإيمان بها بعد معرفتها ، ومعرفة نهجها المطابق لمنهاج الله ، لأنَّ من لا يعرف مُمثّل

الله ، لا يعرف الله ، وليس العكس ، وذلك في المرحلة الثانية التي تسبق المرحل التي خلقنا فيها ، بمدة لا يعلمها إلّا الله ، وهنا وقع الاختبار ، في أن نؤمن بما لم نره ولم نشهده ، فهل حقّاً يطلب منّا ذلك ، طبعاً لا ، وإنما في ما أرسله لنا من الأنبياء ، وما أشار لنا من أولياءه ، إذ أصبح الغيب يقين ، إلّا إنَّنا ومن سبقنا ، بقينا على حالة الغيب ، وكأنَّنا لا نعلم أن الحق بهم وفيهم ، فمثلما صور لنا نوره تعالى ، أرسل لنا حقيقة من يمثله ، فأين الغيب حتى في وجود الله ورؤيته ، فاتصال العبد بخالقه ، لا يكون إلّا من خلال المنهاج ، وهذا هو المفروض ما يهمنا في كنه الخالق ، ولمّا جاء من يمثّل شرعه ، فقد انتفت الحاجة لإثبات وجوده ، وتحول الغيب حقيقة دامغة ، لا سيما وأنه تعالى ، أخبرنا من خلال ممثليه ، عن القيامة والملائكة ، وكل ما أشار له ، على أنه غيب ، فحالة العلم التي نمتلكها عن القيامة ، تنفي اعتبار القيامة من الغيبيات ، كمن يخبرك من الثقات عن مدينة ما بكل تفاصيلها ، فربما أخبرك بما لم تستطع حتى أنت أن تراه لو زرتها ، أي إن حديث الأنبياء والأوصياء عن القيامة من خلال ما جاء بالكتب السماوية ، أصدق بياناً حتى من مشاهدتنا ومرورنا بها ، فقد لا نلم بكل التفاصيل ، ولا ندرك بكل ما يدور من حولنا ، لهول الموقف ، والمساحة التي سيأخذها الثقلين ، كما أن من يدخل الجنّة ، ليس بالضرورة أن يعلم بما يجري لأهل النار ، وإن علم ، فعلمه مقتصر على مشهد ما ، والعكس صحيح ، بالنسبة لمن يدخل الجحيم ، أمّا ما حدّث به الأنبياء والأولياء ، فهي صور لا يمكن لأحد أن يراها بالكامل ، وبهذه التفاصيل ، وبعد هذا كله ، فإن الغيب الذي أمرنا الله أن نتعلمه كما تعلمته الملائكة ، ليس بالحديث عن أمرٍ لم تره ، بل بخلفاء جاءونا ورحلوا عنّا مغيبين من حيانا ، وكأنهم لم يأتوا ، ولم يتركوا من أثر ، ولم نحاول حتى أن ننهل من علومهم ، ونفهم الغيبيات عن طريقهم ،

فإن من لم يتعرّف إلى خلفاء الله وممثليه ويتعلم من علومهم ، فلن يعرف بالمحصلة شيئاً عن القيامة ولا عما سيجري بها حقاً ، لأن مفاتيح هذه الغيبيات كلها بيد الخلفاء ، ولن تتحقق حالة الإيمان بالغيب على أنه يقين ، إلا بمعرفتهم والسير على نهجهم .

الخطوة الثامنة

ميزان عدالة الخليفة

لو أِطّلعت على سير الأنبياء ، ومنهج تعاملهم مع أممهم ، لوصلت لتلك الرحمة الغامرة نفسها ، التي طمع بها الطامعون ، وتمادى بها المشركون ، واستغلها المنافقون ، وهي رحمة الله على عباده ، الرحمة التي وضعت يونس في بطن الحوت ، لكونه أراد أن ينفّذ خطته الوظيفية ، بأن يُنزل العذاب على قومه ، بناء على وعده لهم بذلك ، فما إنْ آمنوا بالله وخافوا عقابه ، حتَّى وكأنّ الأمر انقلب رأساً على عقب ، ودخلوا في حصن الله وحمايته حتى من غضبه ، ولا داعي لذكر ما سيحدث في الآخرة من رحمةٍ وشفاعة ، حتى يمدّ إبليس عنقه ، ودعنا نرى ما سيجري في أيامنا القادمة ، بمجيء الخليفة ،

وإن منّا من ينتظر الخليفة ليرفع إليه شكواه ممن ظلمه وسرق ماله ومن قتل أباه ، ومن اغتصب أرضه ، ووووو .

وما أن يأتي الخليفة ، حتَّى يقال له : عليك أن تغفر لكلِّ هؤلاء ، وتجهّز نفسك للسلام قبل الحرب ، كما عليك أن تأكل نصف ما تأكله في غدائك ، وأن تستغني عن عشاءك ، وتكتفي بنصف رغيفٍ في افطارك ، وأن تتبرع بملابسك ، حتَّى لا تبقي غير بدلتين ، وتكتفي بما كان من غياراتك ، وقبل أن ترفع سيفك ، عليك أن تنزل قلمك على قرطاسك ، وتكتب لهُم وتمنيهم بالأمان ، وتهديهم بما هديت نفسك به ، وتعذرهم بما عذرت به نفسك ،

وهنا يصل الجميع إلى محطة نزول الأماني والآمال ، ويحدث ما كان في الأمس من المحال ، ومن كان يدعو الله لظهور الخليفة ، رأى مسوغات العزوف عن مناصرته كثيرة ، وأسباب معاداته وفيرة ، بعد أن كان يظنُّ الفرج في أن ينتقم ممَّن عاداه ، ويطيح بمن تولَّاه ، ويعيش عيشة الأثرياء كما كانوا يعيشون أعداء مذهب الخليفة ، ويتمرّغ بالعز الذي تمرغ به المشركون منذ آلاف السنين ، ومن ثم يدخل الجنَّة التي تنتظره بكل شوقٍ وشغف ، أمّا أعداء الخليفة ، فلا يرون ما كانوا يتوقعون من معاجز ، ولا من دليلٍ على مساندة السماء ، ومن يدّعون أنَّهم من أهل الرجعة ، لا يُعرف من أين جاؤوا وكيف جُمعوا ، ولا يحملون من كرامةٍ تشير إلى أنهم رجعوا للحياة بمعجزة ، فقد قُتل منهم الكثير بعمليات اغتيال سرية ، ولم يروا فيهم ولا في خليفتهم ما كانوا يظنُّون من آيات خارقة ،

أنعم النظر في الآية ﴿٥٤﴾ من سورة المائدة : -
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَـــوْمٍ يُحِـــبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ﴿٥٤﴾ .

ألم تلاحظ أنه تعالى ، يتكلّم مع الذين آمنوا ، ويحذرهم بأن مَن يرتدّ منهم عن دينه ، وهذا يعني بأن أي شخص واحد فقط يرتد عن دينه ، يكون بالمقابل أن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، فأين هؤلاء القوم ولماذا لا يأتي بهم الله ، فهل هم سيُخْلَقُونَ ، أو إنهم بالفعل مخلوقون وفي مكان بعيد ، والفضل الذي أشار له تعالى يعنيه على أي القومينِ ، القوم الذين لا يخافون لومة لائم ، أو المتبقي من الذين آمنوا ولم يخرج منهم مرتد واحد ، ثم ألا يمكن أن تحتمل الآية احتمالاً آخر ، فقد تكون قد أشارت لشخص ما ، لا لقوم ، كما هو الحال في قوله تعالى : -
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ .....
إذ أشار الله -جل جلاله- للذين آمنوا وهو يقصد شخص عليّ ابن أبي طالب -عليه السلام- ، ولنفهم القضية جيداً نفترض أن الآية جاءت بهذه الصياغة : -
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ) ... وبدل بقومٍ تكون برجلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَيُحِبُّ اللهَ إلى آخر الآية .
ومن المؤكد أن الآية لو جاءت بهذه الكيفية ، فسوف يتم تسويفها ، واختيار من على هوى المنافقين ، ومن احتلوا الدولة الإسلامية وحكموها ، ولا تعجب حين تجدهم يختارون محمد الفاتح لهذه المنزلة ، فقد فعلوها بحديث : (لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ) ،
رواه أحمد في المسند ، والحاكم في المستدرك ، وغيرهما ،
المهم ألا نستبعد احتمال أن يكون المقصود في الآية رجلاً واحداً ، وإن كان الحديث عن قوم ، فقد أشار الله إلى الجماعة بفعل الفرد ، للدلالة على اشتراكهم القلبي والوجداني والعقائدي مع فعل هذا الفرد ، فيشملهم حتى في الحساب والعقاب ،
(فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) ﴿٦٥﴾ هود .
(فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) ﴿١٥٧﴾ الشعراء .
(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) ﴿١٤﴾ الشمس .

(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُ رْسَلِينَ) ﴿٧٧﴾ الأعراف .
وحين يشير إلى المفرد ، يذكر أصحابه معه ليجمعهم أيضاً بآيةٍ واحدةٍ .
(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) ﴿٢٩﴾ القمر .
فهنا لم يذكر النص صيغة الفعل بالجماعة بل بالمفرد (فتعاطى فعقر) ، ولم نجد بياناً يرسخ منهاج الله في قضية الإشراك والاشتراك بالجرم والعقوبة ، مثل الذي فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله على محمد وآله ، في معركة النهروان ، وقد ذكرنا الحادث سابقاً ، هذا وقد جاء النص القرآني بصورة مخالفة ، أي الإشارة بالجمع إلى المفرد ،
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .
وهذا ما تحدثنا عنه سلفاً ، وهي الإشارة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بصيغة الجمع ، وهناك مواضع كثيرة لا يسعنا المبحث ذكرها ، لكنَّنا الآن تيقنَّا من أنَّهُ تعالى يأتي بالأمرين معاً ، فلا بأس ههنا من القول إن القوم هنا لربما كانت الإشارة فيه لشخص واحد ، أو مجموعة صغيرة ، أي ندعي هنا بأن المعني هو الخليفة ، أو الخلفاء جميعاً ، وإن لم يكونوا ، فأولياء الله على نهج واحد ، وهو منهاجه جل وعلا ، وما يهمنا هنا ، أن نعلم شيئاً عن عدالتهم سلام الله عليهم ، إذ يقول تعالى : يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ :
﴿١﴾ -(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) إذا كان رأس الحكمة مخافة الله ، فهَامَة الإيمان حب الله ، وإذْ أن الشرك هو الظلم ، فالإيمان هو العدل ، وحبهم لله جاء من حبهم لنهج عدله ، وحب الله لهم جاء من اتباعهم لنهج عدله ،
(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿٣١﴾ آل عمران .
﴿٢﴾ -(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) ، لفهم معنى قوله تعالى ، فإنَّنا نستعين بقولٍ آخر مرادف للمعنى الذي جاء في الآية تماماً وذلك في قوله : -
(أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، فأذلة على المؤمنين ، تعني رحماء بينهم ، وأعزة على الكافرين ، تعني أشداء على الكفار ، ويجدر الإشارة إلى أن أهل التفسير ، قد ابتعدوا عن مفهوم الآية ، إذ ظنوا أن القصد أن يتذلل بعضهم لبعض ، لكنه تعالى

يعني تذليل الصعاب وليس تذليل بعضهم لبعض ، فأذلة على المؤمنين ، أي حين تستنجد به ينجدك سريعاً ودون أي تمنع ، فحاجات المؤمنين من حـولهم أهـمّ من حاجاتهم هم ، وحين يستنجد بهم الكافر فهم ينجدونه ، دون أن يشعروه بالمودة ، كما يقول الله ، إنما نكرمكم لوجه الله لا نريد منكم حمداً ولا شكورا ، وحين يريد أن ينال منهم ، يجدهم أعزة عليه ، لا يتمكن منهم في شيء أبداً .
وربما كان معنى (المؤمنين) الخلفاء ، فيكون معنى أذلة ، أي مذللين لهم طائعين لأوامرهم ، لا يجادلون ولا يتجادلون .
﴿٣﴾ - (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله) ، والقضية لا تقتصر بخلقهم وأخلاقهم وما فيهم من شمائل ، فهم يجاهدون بكل أنواع الجهاد ، بالنفس وبالمال وبالوقت وبالعبادة وبالصبر وبالتقوى .
﴿٤﴾ - (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) ، علينا ألّا نغفل من أن قوله تعالى : - (وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) ، يجب أن يسبقه قوله تعالى : - (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله) ، لأن الخوف من لومة اللائم ، يجب أن تكون في حالة الجهاد في سبيل الله ، لأن إطلاق العبارة بشكلها العام ، يتعارض مع خُلُق عباد الله الصالحين ومنهجهم ، لأن الإنسان يجب أن يخاف اللوم ، من أخيه المؤمن وحتى من نفسه ، التي قد تلمه على أفعالٍ قام بها ، تخالف شرع الله ، لذا أعطى الله للنفس اللوامة ، منزلة كريمة ، كما يبدو لنا من مفهوم النصوص القرآنية ، ولكن يجب أن نفهم أن الجهاد ، ليس هو القتال فقط ، بل بما اتسعت الكلمة ، كل تلك المزايا ، تؤكد عدالة من يحبهم الله ويحبونه ، فكم من قاضٍ حاد عن العدل ، خوفاً من حاكمٍ أو صاحب سلطة أو حاد عن العدل لأجل مالٍ أو منصب ، وكم من معلمٍ حابى تلامذته من خوفٍ أو طمع ، وكم أصبح الفساد مستشرياً في كل بلدان العالم ، كالأورام الخبيثة في الجسم ، والعدل يبتهل إلى الله أن يشفيه ، بعدما أصيب بشللٍ رباعي ، العدل الذي تحدانا الله حتى في أن نحرزه بين النساء ، لأن مفهوم العدل لدينا فيه ما فيه من المغالطات ، فالكثير منّا من يتصور أن العدل أن نعطي الزوجة الأولى ما نعطيه للثانية ،
وهذا خلاف نهج العدل ، لأن القياس لا بد من أن يكون على أساسيات أخرى ، وهناك مقولة لحكيمٍ ، كما نسبت لإمام ، إذ سُئل من أحب ولدك لديك؟ ، فقال : المريض حتى يشفى والبعيد حتى يقرب ، لذا فعدالة الخليفة هي من عدالة السماء ، تلك العدالة التي نتساوى فيها متى تساوت الظروف ، لا من حيث

الحقوق ، فمن يؤمن بالله سيدخل مجالات الابتلاء ، لأنّهُ هو من طلب الدخول إلى الجنَّة ، ويجب عليه دفع ثمنها ، ومن يجادل في الله ، سيلهو بشهوات الحياة ، وتتسق له الدنيا بملذاتها ، وليس من العدل أن نطلب الاثنين معاً ، إلا بالأجر والحسنات ،

وخلاصة خطوتنا هذه ، ألّا ترتجي غير الجهاد بكل ما آتاك الله ، للوصول لدولة الخلافة ، والعمل فيها ، ومن ثم تحصل على ما وعدنا به الله من مغانم وعيشة راضية ، فعدالة الخليفة ، تنافي الأحلام الوردية لأولئك الذين يريدون أن يدخلوا الجنة ، وهم ما زالوا يأكلون من الشجرة التي منعنا الله من أن نقربها .

وعدالته في أعدائه ، هي ذات عدالته في أنصاره ، لأن العدو ، ربّما يغير موقفه لما يراه من عدل الخليفة ، فإن لم يفعل ذلك ، فهو من الجاحدين والمعاندين ، والمصرين على الفساد والجور ، ونختم خطوتنا ، بما وصف عنه ((يملأ الأرض عدلاً وقسطا ، كما ملأت ظلماً وجورا)) ، وهنا نفهم أن معنى يملأ ، أي يقيمها بالعدل أفقيّاً وعاموديّاً ، والمعنى من العدل الأفقي ، أي لا يبقي من مكانٍ في العالم إلا وأجرى فيه العدل ، والمعنى من العدل العامودي ، هو مستوى العدل في كل مكان في العالم ، فلا ينال من مكان عدلاً خير من آخر ، كما نرى عكس هذه الصورة ، فيما تسمى بالخلافات ، فقد حقق الأمويون والعباسيون ، مستوى عدل في البلدان العربية أفضل من الأعجمية ، والمسلمة أفضل من غيرها ، كذا في العثمانيين بالنسبة للعثمانيين دون سواهم .

الخطـــوة التاسعــــــــة

علامات ما قبل علامات الظهور

بَحَثَ الكثير من فقهاء الأديان على اختلافهم واختلافها ، عن سر انتشار الديانة المسيحية ، وعزوا الأمر للفرق التبشيرية ، التي كانت تجوب العالم وتُدعم من قبل الدولة البابويَّة ، ومن اعتناق الكثير من حُكام أوربا للديانة المسيحية ، ومن ثم أجبروا شعوبهم على اعتناقها ، لكن الحقيقة أبعد من ذلك بكثير ، فهناك ظروف خاصة تعتري الإنسان ليبحث عن الدين ، فترى الإنسان يميل للتملص من الالتزام الديني ، كالصلاة والصيام وباقي العبادات ،

وبما إن الديانة المسيحية لا تفرض أي التزام على مناصريها ، فسيكون الدخول إليها مستساغاً ، من قبل من لا يتحمل ثقل العبادات في الديانة الإسلامية وكذلك اليهودية ، (كما جاء في - ما وراء اتباع الناس لعيسى -ﷺ-) .

وما أن تُبْتلي البشرية بوباءٍ أو بكارثة طبيعية أو بحربٍ طاحنة ، حتى يسرع العباد لمناجاة ربهم أيّما مناجاة ، والتضرع له أيّما تضرع ، ومن خلال هذه المحن ، ومن خلال التقرب إلى الله والاطلاع على كتبه وأحكامه ، يكتشف الكثير الدين الحق ، أو على الأقل ما زُيّف من الدين الذي هم عليه ،

وبالفعل مرّ علينا ما يثبت ذلك بشكلٍ قاطع ، فعند حلول وباء الطاعون ، لجأ معظم سكان أوربا إلى الكنيسة ، وإثر تخندق القساوسة في مقرات الكنائس ، لم يصبهم الوباء ، مما دعا الناس للإيمان بقوة الكنيسة وقدرتها ، فهي التي يحميها الرب ، بوصفها بيت من بيوته ،

وعلى غرار ذلك مثّلت الكنيسة الملجأ الآمن في الحربين الأولى والثانية ، وراحت النساء يتطوّعن للعمل في معالجة جرحى الحروب وتطبيبهم ، ولا شك في أن ما قام به نبي الله يونس ، من تحذير قومه بنزول البلاء والغضب السماوي عليهم ، هو العامل الأساس الذي دعاهم للإقلاع عن الخطايا ، والرجوع لمرضاة الله سبحانه ، (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) ﴿٩٨﴾ يونس .

نستنتج مما تقدم ، أن من سنن الله تعالى ، تحذير عباده وإنذارهم قبل نزول غضبه ، رحمة منه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من العباد ، وكما استعرضنا بعض الأمور في أعلاه ، فالإنذار والتحذير يكونان دائماً على شكل أوبئة أو كوارث ، سواء كانت

طبيعية أم غير طبيعية ،
وبالرغم من أن مجيء خليفة الله لا يعد غضباً ، بل هو من عظيم رحمة الله علينا وكرمه ، لكنَّنا نعلم ما سيحدث إثر مجيئه ، إذ نستطيع القول إن هنالك غضباً غير مباشر ، سيحل بسبب حدوث معاجز إلهية ، مما يستدعي عدم تقبل إيمان من لم يكن قد آمن من قبل ،
(قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) ﴿١١٥﴾ المائدة .
لذا فأصحاب الأديان السماويَّة ، يُعَدُّوْنَ قد أُبْلِغُوا جميعاً بالمعاجز الإلهية ، من خلال الكتب السماوية ، فمن كفر منهُم ، فلن ينفعه إيمانه بظهور المعاجز السابقة والمرافقة للظهور ،
وهذا ما أوسعناه بحثاً ، أمّا ما نبحث عنه الآن ، فهو ما الذي سيجري قبيل ما سيحل من غضب ، الجواب : حلول الأوبئة أو الكوارث بأيِّ شكل من أشكالها ، وهذا ما علينا ألّا ننساه أبداً ، ونحن نتكلم عن قضية مجيء خليفة الله تعالى ، فمن المُحال ألّا يُنذِر عباده ، ليُنقِذ من أخذته الغفلة عن ذكره ، ومن سيرشده قلبه للنجاة ، ولو في الدقائق الأخيرة ، وهذا عين ما تحدثنا عنه ، من قيام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، من نصحٍ وارشاد لمن كانوا في النهروان ، وهذا النصح والإرشاد كان بمكانة الإنذار والتحذير ، الذي يوجههم الله لعباده ،
قبل نزول غضبه ، فهذه السُنّة الثابتة لله سبحانه ، والتي عمل بها الأنبياء والأولياء ، لن تُترك أو تتغيّر أبداً ، وبما إن المقصود بالنفس التي لا ينفعها إيمانها إن لم تك آمنت من قبل ، هم كل من في الأرض ، فإن الإنذار والتحذير ، يجب أن يطول ويشمل من في الأرض جميعاً ، لذا فنحن نؤكد ظهور علامات تسبق علامات الظهور ، تكون على شكل أوبئة أو آيات مخيفة ، كالكوارث الطبيعية وغيرها ، مما يجعل كل من في الأرض ، في حالة خوف من الموت ، أو أي حالة عُرفت بلجوء الإنسان فيها إلى الله تعالى ، نتيجة عجزه عن درئها ، أو عدم قدرته على التعامل معها ، أما في حال مضي تلك الكارثة ومضي كل آثارها ، دون حدوث الظهور ، فهذا يعني عدم تعلق تلك الكارثة بعلامات ما قبل الظهور بشكل مباشر ، وإنَّما هي تعدُّ تمهيداً بعيداً له ، ومن المؤكد أن يترك بصمة بارزة لهذا التمهيد ،
فهل نستنتج أن ما حلّ من أوبئة ومما يعرف بالحرب العالمية الأولى والثانية ، كان بعيداً كلّ البعد عن علامات ما قبل الظهور ، أو ترك لنا بصمة تمهيد ،

= لا يخفى ما حل بعالمنا ، إثر الحربين من تطور تكنلوجي ، وإن ما نشهده من الأقمار الصناعية والاتصالات المتطورة عبر الأثير ، كلها كانت بسبب الحروب التي حدثت ، حتى قضية الوصول إلى القمر ، كانت من ضمن الحرب الباردة بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، فما علاقة ما نحن فيه من تطور ، بمسألة ظهور خليفة الله ، وما الذي دعانا للقول ، إن ما حدث من حروب وكوارث له علاقة بظهور الخليفة ، وإن كانت تلك العلاقة غير مباشرة ، لكنها من أساسيات قضية الظهور ، فمع أننا نعلم أنه مؤيّد من قبل الله ، وبيده علوم ستتفوق على علومنا بآلاف المراحل ، ولكن هذا لا يعني ، أن عليه صناعة أجهزة لكلِّ من في الأرض ليتكلم معهُم ، مخاطباً إياهم بما حمّلهُ الله من خطاب ، وليس من المعقول أن يصنع لنفسه ولأنصاره ، أجهزة خاصة بغية الاتصال بهم عن بُعد ،

لذا يجب أن تتهيأ الأرض للاستماع إلى خليفة الله ، بما إنهُ قد جاء حاكماً ومُشرعاً لكلّ من فيها ، وما يجب ألّا يفوتنا ، هو أن خليفة الله ، لا يمكن أن يمتلك ما لا يمتلكه الخصم من أسلحة دفاعية أو هجومية ، وإلّا لمهّد الله لأتباع الرسل ، اكتشاف صناعة الأسلحة النارية ، لينتصروا بكل سهولة على أعدائهم ، ولو أن لنا في ذلك حديثاً آخر في موضع آخر ،

وبعد .. فما الدليل الذي يؤكّد أن كل ما نحن فيه من تطوّر ، لم يك من علوم خليفة الله ، وهو من أنزلها بشكلٍ أو بآخر على من يطلب العلم ، ويسعى جاهداً للحصول عليه ، سواء كان مؤمناً أم غير مؤمن ، فالعلم كالرزق يجعله الله عامّاً للطائعين والعاصين على حدٍ سواء ، وبذلك فعلينا أن نؤمن إيماناً قاطعاً ، أن ما من مصيبة تشمل بقاع العالم ، إلا وكانت للمؤمنين فيها فرجٌ ومخرجٌ ، مرةً يشغل الظالمين بالظالمين ، ومرة ينكس أعلام الطاغين والجاحدين ، ويذل المستكبرين والجبارين ، وفوق كل هذا ، تمهيداً واستعداداً لأيام الله القادمات ، ولولا ما حلَّ بالدولة الإسلامية من فتن ، لكان هذا التمهيد بكل بصماته ، من صنع أيدينا ، فلا نحن صنعنا ما يُمهِّد لدولة الخلافة ، ولا من صنعوا سيجزون عما صنعوه ، لأن صناعاتهم جاءت بنوايا التخريب أو الاستعمار أو الفواحش أو الاستكبار أو التكسب ، وستبقى جائحة كورونا من علامات ما قبل علامات الظهور ، حتى تنتهي ونرى ما بعدها من صبغة ممهدة أو علامات فعلية للظهور ، أو أن تكون حدثاً طارئاً ، قد لا يمُت بأي صلة لقضية الظهور ، إذا لم تتطور بحدث أكبر .

الخطوة العاشـــرة

اِنقلاب الأنصار وتراجُع الأعداء

قد يكون الإيمان بالله وعبادته في فترة زمنية ما ، هو في العبادات اليومية المعتادة فقط ، وما أن تتحرك الأوضاع بفتنة أو حرب ، حتى يجد كل منا ، حقيقة ما كان يؤديه من العبادات ، هل كانت منتجة ، أم مجرد حركات رياضية ومظاهر للرياء ، لذا فإن زلزلة القلوب لا تكون إلا في المحن الصعبة ، لا في صلاة ولا في صيام ، ولكن الالتزام بالصلاة والصيام وأدائهما على أتم وجه ، هما الذخيرة والمدد لدخول الصراعات التي يميز فيها الله الخبيث منا من الطيب ، فهل نحن أمام أيامٍ سيزلزل الله فيها القلوب ،

حينما نمر بالروايات التي تتحدث عن الخليفة القادم ، وما سيجري في عهده ، خاصة التي ذُكرت لدى الشيعة وأهل الكتاب ، ولكن بلسان مبغضيهم ، فسنرى المئات من علامات الاستفهام والتعجب ، وردود فعلٍ مختلفة تبدأ من السخرية ﷺ، ولا تظن أن سخريتهم من هذه الروايات ، بسبب أنهم أهل علميّة ودراية بمنهج الرسول وأحاديثه ، فمن ذلك الذي لم يسمع أهم حديث قاله النبي عن الخلفاء الراشدين ، إلى حيث الأصابع الأربعة التي تبقى من الكرسي أثناء جلوس الله عليها ، وأطيطه ، وأسماء (.....) التي تعلمها آدم ، والثور الذي عاش في خريف الجنة ﴿١٧٠﴾ ، فهل ترى مثل هؤلاء ، أهلاً لأن يسخروا من أيِّ رواية ، حتى لو كان مؤلّفها خرفاً ، ولكن القضية ، إن هناك بالفعل ما يجب أن نبحثه ، ونتعمّق في تفهمه ، فالقضية وبما أنها إعجاز ، ستختلف عما يمكن أن نستنتجه من أحداث .

ولو سألنا حتَّى المؤمنين بتلك الروايات وناقليها ، من منَّا سيكون عدواً للخليفة ، إذا ما جاءت الأخبار ، بأنه سوف يشفي كل مريض وتفيض الأرض عسلا ولبناً ، ولن يستطيع من أحدٍ مقارعته ، وبذلك سوف يكون أنصاره في أمان ، وما هنالك من داعٍ للخوف من الجهاد والقتال ،

إنها جنَّة السماء على الأرض ، والحياة التي لم يطلها آدم حتى في جنته ، فأيّ غبي سيكون عدواً للخليفة ، إذا لم يكُن طمعاً بما سيجد معه ، فخوفاً على نفسه مما

....

﴿١٧٠﴾ - ذكرت هذه الروايات ، ونصوص التفاسير في أطروحة النقد الوظيفي .

يملكهُ الخليفة من قوى خارقة وعلوم مختلفة ، وأيُّ غبيٍّ سوف لن يكون من أنصارهِ لنفس الأسباب ولأسباب أخرى أهمها العزة والمنعة والمجد ، والمفازة في الدنيا والآخرة ، مع هذا فنحن على يقين تام بصدق تلك الروايات ، لثقتنا بناقليها ، ولأنها جاءت متواترة عبر الأنبياء ، وفي الكتب السماويّة السابقة ، وقد تفهَّمنا في الخطوة الخاصة بالرجعة ، جانباً كبيراً من هذه الروايات ، ومن أن قضية العسل واللبن تخصّ من مرّت عليهم ابتلاءات الحياة الدنيا من أهل الرجعة ، ولكن بقي الشيء الكثير من المرغبات التي من المفروض أن نستبعد ، عداء أهل الأرض للخليفة القادم ،

ولكنَّ علينا ألّا ننسى ما جاء من قصص الأوَّلين ، لنفهم حتمية قيام أبناء آدم بما يصعب أن نتوقعه من تصرّفات ، كعقر الناقة التي كانت تدرّ عليهم باللبن ، مقابل الماء الذي تشربه ، والكلأ الذي يملئ البوادي ، وزهد بني إسرائيل حتى بما تدره السماء والأرض عليهم من طعام (المن والسلوى) ، والانقلابات المتواصلة ضد نبي الله سليمان -ع- ، رغم ما يمتلك من إعجازٍ وقدرة ، فما بالك ببني آدم الآن ، بعددهم الهائل ، وعدتهم المتطوِّرة ، فقضية الانقلاب على الخليفة ، أمر مؤكد وإن كنّا لا نمتلك روايات حول قضية استشهاد الخليفة بعد ردحٍ من الزمن ، وبالمقابل فكل عالمٍ طاهر النفس ، سيتراجع عن موقفه المعادي للخليفة ، لو أنَّهُ تفهَّم نهج الخليفة ، لذا فدولة الخلافة في حراك دائم ، ومن المُستبعد الحديث عن استقرار الوضع الأمني ، في بداية تأسيس الدولة ، وهذا الوضع قلّ مرور دول العالم به ، وهو ما تحدثنا عنهُ ، إثر تولّي عليّ بن أبي طالب -ع- الخلافة ، فعليه تصحيح ، ما مضى من نهج ، وتقويم الخلق لما سيأتي ، ودفعهم للثبات على النهج الحق ، والذي لا ينسجم مع هواهم دائماً . وعلينا ألّا ننسى أن أبن ملجم ، كان من أحد جنود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- في معركة صفين ، وممن حسبوا على شيعته بالكوفة ﴿١٧١﴾ ، وانقلب طمعاً في ملذات الحياة ، وهذا النموذج (أبن ملجم) ، سيتكرر كثيراً مع الخلفاء ، كما يتكرر موقف الحر بالمقابل ، ولن نستبشر بالبقاء على نهج الخليفة ، إلّا بالمطاولة والصبر ، لذا يقول تعالى: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ......) ﴿١٧٧﴾ البقرة .

....

﴿١٧١﴾ - سير أعلام النبلاء – ج {٢٨} ص [٢٨٨] ترجمة المفتري عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ رضي الله عنه ﷺ.

فتخيَّل مدى الصبر والتحمُّل بعد هذه المستويات والمنحنيات الثلاثة ، فما نتوقعه من أن يكون أكثر حراكاً ، انقلاب الأنصار أم تراجع الأعداء ؟ .
بدايةً فإن الإشـارة للمنقلبين على أعقابهم على أنَّهم من الأنصار ، أمر لا يمكن تقبله ، لأنَّ منصب أنصار الخليفة من الصعب أن نتوقّع منهم ذلك ، وطبعاً بالنسبة لأصحاب الرجعة فهذا محال ، ولكان الله لم يعدهُم للحياة لو أن في قلوبهم زيغ ، كيف وهم ضمنوا الجنَّة ، وقال فيهم الله تعالى : -
(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ **مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا** حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٢١٤﴾ البقرة .
بعد ما جاء في حديثنا عن الرجعة ، وحديثنا الخاص عن هذه الآية (نبوءة نصر الله) ، فهنا سنجمع الأمرين معاً ، وإلحاقا بحديثنا عن الصبر ، في ميزان عدالة الخليفة ، وما مرّ من خطوات ، نأتي لنرتفع سلَّمة إلى الأعلى وخطوة إلى الأمام ،
= يقول تعالى أم حسبتم أنكم ستدخلون الجنَّة .... لن تدخلوها حتَّى تكونوا كالذين خلوا ، وأوَّل معلومة تخبرنا بها هذه الآية ، أن الذي خلوا ، قد دخلوا الجنَّة ، بعد أن مسَّتهم الضراء والبأساء وزلزلوا ، أي لن تدخلوا الجنة حتى تصلوا لمستوى أهل الرجعة ، الذين تمنوا نصر الله ، حتى أدركوه الآن ، بعودتهم للحياة ، فهم قد قالوا في زمن الرسول متى نصر الله ، فاستشهدوا ودخلوا الجنان ، وما هي إلا سويعات بقياسهم ، ونودوا ليشهدوا نصر الله ، وظهور ممثل الله لبسط عدالة السماء ، وقد استمرّت هذه الصورة ، مع أولياء الله ، حتى الإمام المنتظر ، فالرسول هنا ، إشارة لكن من أُرسل وكُلّف بإرساء حكومة الله على الأرض ، وهكذا حتى يومنا هذا ، على اعتبار أن الإمام لم ينفك عن رعاياه قط ، منذ توليه الإمامة وحتى تولّي نائبه الخلافة ، بعد استشهاده -سلام الله عليه- ،
والمعلومة الثانية ، هي ما نودُّ أن يفقهها ويتقبَّلها ، كل المحبين للظهور المبارك ، وهي أن من يريد أن يدخل الجنَّة ، فعليه ألَّا يتوقع العسل واللبن ، حتى يرى ما رآه الرسول والذين معه ، والأئمة ومن معهم ، ومن هم بعد ذلك ، من بأساء وضراء وزلزلة ، وبدون هذا الأمر فما لهم من محيص ،
ونأتي الآن لقضية الأنصار من غير أهل الرجعة ، وَهُمْ بالتأكيد من ترقّبوا الظهور وتأمَّلوا مجيء الخليفة منذ أبعد أجدادهم ، ولكنَّنا قُلنا بأنَّ من المتوقع وفق قصص الأنبياء والأولياء أن نشهد انقلاباً حتى ممَّن يدعي الفداء بروحه من أجل الله وخليفته ، مع هذا ، فإن تراجع الأعداء سيكون أكثر بكثير من انقلاب الأنصار

، وذلك من خلال استقراء الأحداث التي ستمر بدولة الخلافة ، وتصورنا لدورها ، ومعنى أن يملأها عدلاً وقسطاً ، يدعونا لقبول فكرة تهافت الناس للانضمام لدولة الخلافة ، فملأ تعني لم يترك من فراغ ﴿+﴾ ، والمُحال في الأمر ، أن العدل حالة عملية يجب أت تلمس على الواقع ، بالإضافة لكونه شعور شخصي ، لاختلاف مفهوم العدل لدى الناس ، لذا فالخليفة سيحقق ما هو محال على غيره فعله ، كما وحدَّث إبراهيم بن علي الكفعمي ﴿١٧٢﴾ ، عن أربع فئات ، ذكر أنَّهم ، من أخلص وأقرب الخلق للخلفاء ، وهم : الأوتاد : وعددهم من [٤٠] إلى [٤] ، والأبدال : وعددهم يزيد عن [٤٠] ، والنجباء ويزيد عددهم عن [٧٠] ، وآخرهم (الصالحون) ﴿١٧٣﴾ وعددهم يزيد عن [٣٠٠] وهُم محطّ حديثنا في الجزء {٢} .
= في رحلةٍ مع أحد الأصدقاء ، لزيارة أحد المقامات المقدّسة ، بدأ الصديق يتذمر ، لما مرّ بنا في الرحلة ، فمرّة تعطلت السيارة ، ومرّة هطلت الأمطار الغزيرة ، ومن ثم التدافع لكثرة الزوار وكثرة التفتيش ، خوفاً من أولئك الذين يريدون أن يحظروا وجبة الغداء مع الرسول ، بتقطيع لحوم الشيعة وسفك دائهم ، وفي كل موقف ، تقترب حاجبا الصديق من بعضهما ، ليظهر انزعاجه ، وما جعله يعلن عمّا يختلجه ، هو ترحيبي وتفاعلي بما يمرُّ بنا ، تفاعل المستأنس بما يجري ، فوقف كأنَّهُ يريد أن نفترق إثر ما أبديه من عدم الانزعاج ، قائلاً : أترى إنه فصل مرضي ما يدور بنا كل مرّة ، فأجبته : بالطبع يرضيني أن أرى علامات قبول الله لزيارتنا بيوته المقدسة ، فالأجر على قدر المشقة ، ويبدو أنه تعالى يريد لنا أجوراً مضاعفة ، ولا تظن أنني ذكرت هذه القصة ، لأكشف عن ورعي وقوة إيماني ،
فما ذكرته يعتبر أدنى من أدنى المستويات المطلوبة ، لمن يريد حقّاً الانضمام لركب الخليفة ، سواء في دولته حيث هي الآن ، أو في دولته الجاري إعلانها ، فلا تعجب مما سيمرّ بك من ابتلاءات ، ما دمت عازماً الوصول لدولة الخلافة ، ومع هذا المستوى الأدنى ، فكثيراً ما نرى الجزع والملل ، كبني إسرائيل في قضية الطعام ، الذي أرادوا تغييره ، ولم يصبروا على طعامٍ واحد ، ونحن ندرك جميعاً ، أن ما يجعلنا في مقام الخاسر أما الله -عزّ وجلّ- ، تعلقنا بمفاتن الدنيا والطمع ، وخروجنا من الابتلاءات بالجزع ، وهذا ما يشلُّ خطواتنا للوصول حيث دولة العدل الإلهية.

....

﴿١٧٢﴾ - هو إبراهيم بن عليّ بن حسن ، لقبه أبو التقي ، وهو فقيه وأديب شيعي .
﴿١٧٣﴾ - جاء ذلك بكتاب (مصباح الكفعمي) ، وهو كتاب للأدعية والزيارات .

الخطوة الحادية عشرة

مؤسسة الخلافة الإلهية

لهذا الأمر أهمية كبيرة ، للوقوف على ما قد يتوهَّم بعضهم ، من أنَّ دولة الخلافة جاءت لتنذر وتُبشِّر وترحل ، وهذا ما سعى إليه الكثير من رجالات الدين ، عُقب رحيل الأنبياء ،

من أن رسالة كلّ نبي ، جاءتْ وانتهتْ ، وعاد الأمر بيدهم ، يديرونه على وفق ما فهموه ، أو ما استطاعوا تحريفه من شريعة كلّ نبي ، فإنْ بات الأمر هكذا في زمن الأنبياء حتَّى يومنا هذا ، فلنْ يكون بهذه الكيفية ، في ظلِّ مؤسسة الخلافة الإلهية ، فهي قادمة لتستمر برسالتها إلى ما شاء الله تعالى ، ولن ترضى بأقل من حكم بقاع الأرض جميعها ، أو أن تستهين بترك سنة أو اغفال شعيرة من شعائر الله ، وقد أوضحنا كيف أن الخليفة ، لن يفرض حكمه على كل بقاع العالم بالنار والبارود ، إنَّما سيُطلب بوصفه حاكماً على كل بقاع العالم ، من كل بقاع العالم ، لِمَا سيجدونه من سمو دولته ورفعتها بين الدول ، وكيف سيهنأ شعبه بالعز والرفاهية ، وبالعظيم من العلوم وبعلاء العدل وبهاء النفوس ، حتَّى ليُعْرَفَ عن دولة الخلافة ، على أنَّها أكثر بلدان العالم كثافة في السكن ، وأقدرها اقتصاداً ،

وأقواها دفاعاً ، وأعلاها مستوى في التقدم العلمي والتكنولوجي ، وذلك بعد أن تمرّ بها أعنف المواجهات ، والتي لم تشهدها دول العالم ، عبر التأريخ ، وسنستعرض كل مظاهر سمو دولة الخلافة الإلهية بإسهاب ، في الجزء الثاني ، وسيفوّت خليفة الله الفرصة ، على من يريد أن يضيّق عمل دولة الخلافة في حيز الشأن الديني ، فدولة الخلافة ، ستغدو مؤسسة شاملة لكل جوانب الحياة ، على اختلاف مجالاتها ، كما أنَّها لن تكون مُغلقة على نفسها ، أمام أي دولة أو حتى فرد من الأفراد ، على الصعيد التجاري أو العلمي أو على صعيد تبادل الخبرات ،

وهي قط لن تكون تلك الدولة البوليسية ، كما يصوّرها بعض من رجال الدين ، وأن تحكم شعبها أو حتى من عاداها بالنار والبارود ، وبالرغم من أننا ندخل الآن في بحوث تخص الجزء الثاني ، فإنَّهُ لابد لنا من أن نتطرَّق ، لبعض ما اتهمتْ به دولة الخلافة ، وما فهم على أنها دولة ذات سياسة امبريالية توسعية ، فخطوتنا هذه تقدس نهج دولة الخلافة ، وتعطيها الصورة الحقيقية النظرة ، من أنها جاءت لتخدم كل سكان العالم وتهديهم ، منذ إعلان تأسيسها حتى أعتاب يوم القيامة .

الخطوة الثانية عشرة

مفهوم الحدود العائمة لدولة الخلافة

بما أنَّنا في صراع مع أصحاب الفكر الضيّق ، الذين يشرعون في حرب من يختلف معهم ، أو حتى من يروم الفهم بمحض استفسار أو سؤالٍ عابر ، لذا فنحن من باب أولى نتقبَّل أيّ اتهام ، ونبحث في أيِّ لبس ، قد نقع نحن فيه ، إذ ندرك تماماً ما الفرق بيننا وبين أهل السلف ، وما برحْنا نقول ، إن من يُناطح برأيه الآخرين دون الاستماع لهم ، كمن يعطي لرأيه مقام الآيات السماوية ،

ومن حق المُطّلع على الروايات المؤكِّدة لدولة الخلافة الإلهية ، أن يتَّهمها بالدولة الإمبريالية ، ذات الحدود العائمة ، لكوْنه قد قرأ الروايات من الياء إلى الألف ، فظنّ أنَّ توسّع دولة الخلافة ، حتّى شمولها المشرقين والمغربين ، جاء بناءً على ما تحدث عنه بعض رجال الدين ، من حروب وغزوات ستخوضها دولة الخلافة ،

ابتداء ، فإنَّهُ ليحزُّ في النفس مثل هذا الاتهام ، بالرغم من تقبُّلنا لهُ بكل صدر رحب ، لأنَّ سبب هذا الاتهام ، هو نقل بعضهم للروايات نقلاً ، مثّله الله كمثل حمل الحمار للأسفار ، دون أن يسير مع ما يقولهُ ، إلى أين يصل ، وكيف سيصل ، وما قُلنا إنَّه ليحزُّ في النفس ، هو في أن تُتَّهم دولة الخلافة بهذا الاتهام ، والأرض كلها إرثاً لها ، والخلافة أعلنتْ في الأرض قبل أن يسكنها أحد من بني آدم ، مع كل هذا ، فهي والحدود العائمة في نهجٍ مخالف ،

فخلافة الأرض ، لو كانت مكانيَّةً ، لما انتظر الباري عزوجل ، أن يحكم الأرض الأوباش ، ومن ثم يأتي الخلفاء لينتزعوها منهم ،

وما قيمة مساحة هذه الأرض ، أمام ما خلقه الله في السماوات ، من أعداد لا تُحصى من الكواكب والنجوم ، تعد أرضنا كذرة رمل في صحراء لا تنتهي ،

وكي لا نخوض فيما سنخوض به في جزئنا الثاني ، سنقتصر الحديث عن توجه دولة الخلافة ، في التوسُّع المذكور ،

والذي كما أشرنا ، على أنه توسُّع فكري ، لا أهمية فيه لأرض أو بحر ،

وهذا ما دأب الرُّسُل في افهامه للرعيَّة ، وهذا ما حاول الرسول الأعظم صدّ أمته عن التشبث فيه ، فلم يك منهُم الكثير ممَّن ينظرون لانتشار الدين بمفاهيمه السماوية السامية ، بل إلى المغانم من المال والجواري ،

وعليه فدولة الخلافة لن تكتفي بأن تكون دولة ذات مقام روحي بين الدول ، كما عليه دولة الفاتيكان الآن ، لأنَّ وجود الملايين من أنصارها في دول مختلفة ، سوف يجعلها في حالة دفاع مستمر عنهم ، وعن حريتهم في التعبير وممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، وكبْح كلّ محاولة لإجبار رعاياها ، على التخلي عن ممارسة طقس من طقوس عبادتهم ، أو قيامهم بأفعال تنافي عقيدتهم ، كما تفعل الآن معظم دول أوربا وأمريكا ، من منع المسلمين من الزواج بزوجتين ، أو الذبح بالطريقة الإسلامية ، أو كما سنتْ حكومة فرنسا من قوانين ضد اللواتي يرتدين الحجاب ، دون حتى انصاف ومساواة بينهن وبين الراهبات ،
كما تسري حالة الدفاع هذه ، حتَّى في الدول الإسلامية التي اعتادت المساس بشعائر المذاهب الأخرى ، والافتراء والبهتان على رموزهم المقدسة ، فيما تُمنع وتُحارب بعض المذاهب من كشف الحقائق ، وفضح المُدلِّسين والمُحرِّفين في دين الله -جل جلاله- ،
من هنا تنشأ الصراعات ، والتي قد تؤدي لثورة الأنصار ، والانقلاب على حكوماتهم الظالمة ، ومن ثم ضم دولهم لدولة الخلافة ، ولو إن هذه حالات نادرة ، لا يمكن اعتمادها كقاعدة لتوسع دولة الخلافة ، ودفاعها عن وجودها .
وهذا لن يحوِّلها قط ، لنهج الاحتلال والغزو ، لأنَّ توسُّعها سيكون توسُّعاً فكرياً عقائدياً بحتاً ، وكل ما سيجري هي نتائج مباشرة لهذا التوسُّع ، وقد تكون نتائج غير مباشرة في بعض الأحيان ، لكنَّها لن تختلف بأي حال من الأحوال ، عن كونها دولة للسلام العالمي ، والعدل السماوي ، ويُمكننا القول إنَّها ومن الناحية العقائدية والفكرية ذات **حدود عائمة** بالفعل ، فهي تمتد نحو الاتجاهات الأربعة ، دون أن يحدّها حدّ ، أو يصُدَّها ويمنعها تخوف من سلطة ما .
وهذا الغزو والتوسع الفكري ، هو ما جاء بمنهج الأنبياء ، منذ أقدم الرسالات ، وما انتهت إليه ، وكان الرسول الأعظم ، في حرب دائمة ، مع النهج القبلي الذي يدعوهم بالإغارة على من حولهم ، وكسب ثرواتهم ، ومراراً ما حاول تثبيط هواهم لذلك ، والخليفة القادم ، من تلك الدوحة المحمدية ، وقد مرَّت بنا النصوص ، التي ذكرت عن الأنبياء والصالحين ، وبيَّنت كيف إن القادم ، سيكون باسلاً ومغواراً ، لكنهُ لرؤوفٍ حليم ، مع من لا يروم العداء والحرب لدولته ، ونحن والله لا نعرف ، كيف لنا أن نُعيد فكرة السلام للإسلام ، بعد ما حوُّلوه لنهج تتري مغولي ، أو نعيد فكرة الأمن والأمان لدولة الخلافة ، بعد ما صوَّروا من أنها ستبطش بالخلق لأجل بسط العدل في الخلق .

الخطوة الثالثة عشرة

شؤون الخليفة

تحوّل النظام في معظم المدارس والجامعات الدينيَّة ودور الإفتاء ، إلى نظام تسلّطي ، من السهل على الطالب أن يفقد كرسيَّه في هذه المدارس والجامعات والحوزات ، لمجرد طرحه رأياً يتوصَّل إليه عن طريق البحث ، أو تصرُّف يرون أساتذته أنَّهُ تصرف شاذ ، ممَّا ولّد شخصيات ضعيفة متردَّدة ، سماتها عدم الخروج عن مناهج السلف والروايات المتوارثة ، ومحاربة كلّ ما هو مستحدث من الرأي والفكر المجدد ، وكأن الفرق جميعها أصبحت ذات طابع سلفي ، حتَّى الفرق المعادية للسلفية ، وإنْ كان هناك من يميل لتلك الآراء والآفاق الجديدة ، فلابد من أن تراه يهمس لصاحبه بما يختلج في صدره من ميل ، خوفاً أن يرى نفسه على قارعة الطريق ، فيفقد سنين دراسته وقمم تطلعاته ،

فتخيَّل لو أكتشف أحدهم ، أن في مذهبه أخطاءً وتحريفاً ، وأشار إلى المذهب الآخر على أنه مذهب الحق ، وما كان عليه هو الباطل ،

فماذا سيجري له ، والإجابة ليست بالصعبة ، فالمثال الحي ما زال حاضراً أمامنا ، أيام ادعاء العلامة حسن شحاته ، أستاذ الأزهر السابق ، أنَّهُ كان على باطل الحديث والسُنَّة ، وأنَّهُ يرى أن المذهب الشيعي هو الأحق من أن يُتَّبع ،

فما كان على الأزهر إلَّا أن جرّده من مناصبه ، دون أيّ حوار ومناقشة لمَا يدَّعيه ، ثم اتهامهُ بالجنون وتحريك الشكاوى المختلفة ضدَّه ، حتَّى من قبل عائلته ، والتوصُّل إلى تحشيد الناس لقتله والتمثيل به أبشع تمثيل ،

وإنّا والله لعلى يقين أنَّه لو اعتنق المسيحية أو اليهودية ، لم يك ليلق النهاية نفسها ، لأنَّه إذا اِنتقل من الإسلام إلى المسيحية أو اليهودية ، فهذا الأمر لن يدفع اتباعه ، أو أحداً من المسلمين لترك الإسلام ، إلا من سفهتْ نفسه ، أمَّا أنه تحول إلى التشيّع ، فهذا يعني دعوة صريحة ومباشرة ، لمن كان على مذهبهم وغيرهم ، لأنْ ينتقلوا إلى الفرقة التي رآها الفرقة الناجية ،

والسبب في ذكرنا لهذه الحادثة المؤلمة ، أن قضية تكفير المسلم ، الذي ينتقل من فرقةٍ إلى فرقةٍ إسلامية أخرى ، قضية لا يمكن البت فيها إلّا من قبل نبي أو خليفة لله ، أي إنَّهم لأجل تكفيره وقتله ، يجب عليهم الاعتراف بالولاية المطلَقة للفقيه على الأقل ، ولو أنَّهم وضعوا بصمة الشعب وأهالي المنطقة بقتله ، غير

أنَّنا لم نرَ منهم أي تنديد أو استنكار للحادثة ، إلَّا الادعاء الشكلي من قبل قناة فضائية واحدة ، بأنها تطالب بالقصاص من الجناة ،
المهم أن نعلم هنا أن للخليفة صلاحيات ومساحات في الحكم والقرار ، ما لا يمتلكه أعظم الفقهاء منزلة وأعلاهم مكانة ، والصورة الأدق والأنصع للتعرف إلى شؤون الخليفة ، هي ما قام به مُعلِّم موسى من أفعال اعترض عليها نبي الله موسى ،
وقبل أن توجه خطابك مُنتقداً بياننا ، إذ ترى من الصعب تقبل فكرة أن يكون خليفة الله أعلى منزلة من النبي ، فإنَّنا نؤكد مراراً وتكراراً أن القضية ليست منازل ومقامات ؛ بل القضية تخصُّ اختصاص العبد في مجال عمله مع الله ، وخير مثال لفهم الحالة ، هي ما نراه من وظيفة القاضي ووظيفة الحاكم ، فمهما كانت وظيفة الحاكم ذات مرتبة عالية وسامية ، فلا قدرة له على أن يحكم بين الناس ، أو أن يجعل القاضي يأتمر بأمره ، طبعاً نحن نتكلم عن الحاكم المسلم العادل ، ولا نعني الجبارين الذين مررنا بهم عبر التأريخ ، وخير مثال ما جرى في القضية المشهورة عن درع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- ،
ومن ثم فالقاضي لا يمكن أن يكون ذات منزلة تعلو منزلة الحاكم ، بل إن مجال وظيفته تعطيه صلاحيات ، لا يمكن للحاكم أن يمتلكها حتى يجلس مجلس القاضي ، ثم لا يكون بالمحصلة طرفاً في القضية المنظورة أو حتى شاهداً فيها ، ونشهد اليوم الكثير الكثير من التخصصات التي لا يمتلك الحاكم التدخل فيها ، كعمل المستشارين القانونيين أو المهندسين أو التدريسيين أو الأطباء ، وسبق أن تكلمنا على كل ذلك ، لكننا نريد أن نجعل مما تقدم مدخلا لمبحثنا ، وعلينا أن نجمع الآن بين ما قاله النبي موسى -ع- ، وما جاء في حديث الرسول الكريم ، إذ بيّن موسى طالباً من معلمه الرشد كما جاء في قوله تعالى ،
(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ **رُشْدًا**) ﴿٦٦﴾ الكهف ،
وفي حديث الرسول (عليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ **الراشدينَ** المهديِّينَ ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ) ،
وهذا يعني أن كل خليفة من خلفاء الله على الأرض ، هو بمنزلة لا تقل عن منزلة معلم موسى في الرشد والحكمة ، على ألّا ننسى أبداً ، أنَّهم جاءوا ليمثلوا منهاج الله على كامل الأرض ، لا على بقعة محددة منها ، أو مجموعة محددة من الناس ، بل يُزاد على ذلك معشر الجن والشياطين ، حيث كانت سلطنة نبي الله سليمان ، نموذجاً مصغراً لتلك الخلافة ، من الناحية السلطوية ، لا من ناحية نظام الحكم ، ولو أنعمنا في النص الذي يحكي قصة موسى مع معلمه ،

(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ .
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ .
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ .
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ .
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ .
قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ .
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ .
قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ .
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ .
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ .
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ .
أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ﴿٨٢﴾ .

في الأفعال الثلاث التي جاءها معلم موسى ، إرادات مختلفة ، فخرق السفينة كان بإرادة منفردة من المعلم ، أما قتل الغلام فهو بإرادة مشتركة بين المعلم والرب ، وأخيراً إقامة الجدار كان بإرادة منفردة من الرب ، لكنَّ تلك الأفعال ترتبط برابط مشترك ، وهو أنَّها جاءت بأمر من الرب ، فكيف إذن كان خرق السفينة بأمر الله وإرادة المعلم ،

يدلنا النص على أن الأمر بمنع الملك من غصب سفينة المساكين ، قد صدر من الرب ، إما فكرة خرق السفينة فهي تنسب إلى المعلم ، أي إن أمر الله لم يكن بخرق السفينة ، بل بمنع الملك من غصب سفينة المساكين ، والمعلم هو من توصّل لفكرة خرق السفينة ، أي إن للمعلم مساحة للتفكير واتخاذ القرار في ضمن هذه الحدود ، أما قتل الغلام فقد صدر به الأمر الإلهي وصدّق عليه المعلم ، حيث لا وسيلة لمنع إرهاق الأبوين المؤمنين إلا بقتل الغلام ، أمّا إقامة الجدار ، فكان أمراً إلهياً يُنفَّذ تفصيلاً ، كما أراد الرب ، حيث أن هذه المسألة ، تحتاج إلى علم الغيب ، وتحتاج الكثير من التدبير والمتابعة ، لحين تحقيق المراد ، فقد ينهار الجدار قبل بلوغ الغلامين أشدَّهما ، أو أن يُسرق من بعض اللصوص ، أو أن يغادر

الغلامان هذه المنطقة ، فلا يمتلك المعلم تلك الإرادة المتممة ، ولو كان هذا الفعل بإرادة المعلم ، فمن المؤكد أن النتيجة لن تكون مؤكّدة ، حتَّى لو سَلِمَ الكنز من السرقة ، فربما لن يصل الغلامان ، لفكرة هد الجدار والحصول على كنزهما ، ويجب أن ندرك أن هذه القصة لم تنتهِ بالفشل ، لكون موسى لم يصبر ، وإنَّهُ افترق عن معلمه ، لأنَّ الغاية من اللقاء قد حصُلتْ ، وهي أن يعلم موسى عمل الخلفاء الراشدين ، والإرادة التي يعملون بموجبها ، ونؤكد - للمرة التي لم نعد نعرف عدداً لها - أن المنزلة لا علاقة لها بالوظيفة ، فلربما عجز الخلفاء عن وظائف الأنبياء ، كما يتَّضح لنا عجز الأنبياء عن عمل الخلفاء ، كما فصَّلنا ذلك في الكتاب السابق ، لذا فقد انتهت قصة موسى بالنجاح ، ولم يكُ لموسى أن يعمل عمل مُعلّمه ، بل كان عليه الاعتراض ، بموجب ما تعلّمه من شرع الله ، وهذا الحدث ، هو عين ما جرى في حوار الرب مع الملائكة ، بخصوص جعل خليفة له في الأرض ، فكان من واجب الملائكة الاستعلام ، عن كيفية جعل خليفة لله في الأرض ، والله من أخبرهم أن بني آدم يفسدون ويسفكون الدماء ،

وعن قضية مُعلم موسى ، فلم يخبرنا القرآن أن نبياً من الأنبياء ، قام بفعل يشابه الأفعال التي قام بها مُعلم موسى أبداً ، بأن يقتلوا لأسباب غيبية ، أو على احتمال وقوع السوء من شخصٍ ما ، أو يتلفوا أو يصلحوا أشياءً ، لأسباب مستقبلية ،

ومن هنا علينا أن نعلم أنَّ لكلٍّ وظيفته ، وهذا هو الفرق الحقيقي بين الإمام والنبي والرسول والخليفة ، وما إلى ذلك من مراتب ، وعليه يمكننا تشبيه الأمر بالطبيب والمهندس ، فلا يمكن أن تقول إن منزلة الطبيب أعلى من منزلة المهندس ، لأنّ كليهما يقومان بعملٍ لخدمة المجتمع ، ورُبَّما كان عمل الطبيب هو ما يحتاجه الناس أكثر مما يحتاجونه من المهندس والمحامي والمدرس ، لكن تبقى المنازل ثابتة والوظائف مختلفة ، وكل من حاول أن يفاضل بين الأنبياء والرسل والأولياء ، لم يأتِ بقول يُلتفتْ لهُ أبداً ، علاوة على أن في الكثير مما جاء به أهل التفسير ، ما يؤكد اختلاف وظيفة النبي عن الرسول ، ولا يؤكد اختلاف منزلة كل منهما ، كما جاء في قولٍ لابن باز من جوابه لسؤال عن الفرق بين النبي والرسول :

((المشهور عند العلماء : أن النبي : هو الذي يوحى إليه بشرع ولكن لا يؤمر بتبليغ الناس ، يوحى إليه يفعل كذا ويفعل كذا ، يصلي كذا يصوم كذا ، لكن لا يؤمر بالتبليغ فهذا يقال له : نبي ، أما إذا أمر بالتبليغ فيبلغ الناس ينذر الناس صار نبياً رسولًا كنبينا محمد ومثل موسى وعيسى ونوح وهود وصالح وغيرهم .

وقال قوم آخرون من أهل العلم : إن النبي هو الذي يبعث بشريعة تابعة لغيره ، تابعة لنبي قبله ، يقال له: نبي ، أما إذا كان مستقلًا فإنه يكون نبيًا رسولًا ، فالذين بعثوا بعد موسى بشريعة التوراة يسمون أنبياء ؛ لأنهم تابعون للتوراة والصواب

الأول ؛ أن الرسول هو الذي يبعث ويؤمر بالتبليغ وإن كان تابعًا لنبي قبله كما جرى من داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء بعد موسى ، فإنهم دعوا إلى ما دعا إليه موسى وهم أنبياء ورسل عليهم الصلاة والسلام)) . مجموع الفتاوى - ابن باز .
ولا يغرك ما فصَّله ابن باز من مقال ، ولا يغرك مفردة (أهل العلم) ، فهم عبارة عن مُخمِّنين ، لا قرينة لديهم ولا بيِّنة ، والقرآن ذكر إسماعيل في الآية ﴿٥٤﴾ سورة مريم ، أنه رسولاً نبياً ولم يبلّغ إلا أهلهُ ، ولم يأتِ بأي شريعة مخالفة لشريعة إبراهيم ، وذكرت الآية ﴿٥١﴾ من سورة مريم ، أن موسى رسولاً نبياً ، وجاء في سورة البقرة ، ما يشير لمجموعة من الرسل من بعده : -
(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) ﴿٨٧﴾ ،
ولا يوجد أي دليل على صحة ما تقدم من أقوالهم ، غير أن هناك دليلاً يؤكِّد أن قول ابن باز ، ينمُّ عن استنتاجات ركيكة ، لأنَّهم يحسبون أن هناك فوارقاً في المنزلة بين النبي والرسول ، والحقيقة ما ذكرناها ، بأن الفوارق تقع في الوظائف الممنوحة لهم ، ومن الجدير بالذكر ، **أن أهل الكتاب وليومنا هذا ، يظنّون أن النبي صاحب المعجزة الأكبر ، هو الأقرب عند الله ، والحقيقة** - وبالرغم من أنَّنا ضد هذه المفاضلة - ، أن المعقول من القول هنا ، هو **عكس ما يظنُّون تماماً** ، فقوي الايمان والحجة ليست له حاجة لمعجزة ، لتدعم رسالته ، ومن المفترض أن المسلمين جميعاً على دراية بهذا الأمر ، ويُقدِّسون نبيهم ، لأنه -صلوات الله عليه وعلى آله- ، لم يأتِ بمعجزةٍ بوصفها سنداً لنبوته ، إلا القرآن وآل بيته ، لكنَّهم حين يصلون إلى خليفة الزمان ، فهم يتوقعون منه أن يأتي بمعاجز تجعلهم متكئين على أريكة من ذهب ، وبمعاجزه يتم القضاء على أعداءه وأعدائهم جميعاً ، دون أن يرمش لهم جفن ،
وبالعودة إلى قصة موسى مع مُعلمه ، والتي يُعلمنا بها الله تعالى ، وظائف كلاً من خلقه ، فلو لم يعترض نبي الله موسى على ما قام به مُعلم الرشد ، لكان علينا أن نشك في نبوة مُوسى ، لأنَّ ما تعلمه موسى هو أن لا يرى المُنكر فيسكُتْ ، ولا يقبل الاضرار بالآخر ، أو قتل النفس البريئة ، أو أن يعمل دون أن يطالب بأجر ، وهنا لا يمكن القول بأن ما تعلَّمه عكس ما تعلمه موسى ، بل نقول يختلف ، وهذا الاختلاف يكمن في طاعة الأمر الإلهي دون أيِّ معارضة أو نقاش ، وعلى وفق ما كُلّف كل منهم ، وعلينا أن نُؤمن أن ما قام به مُعلم الرشد ، لم يكن على أساس علمه بسبب ما يقوم به ، بل بسبب الطاعة العمياء لله ، وأنَّه على وفق أجوبته لموسى ، فإن خرق السفينة فقط ، كان بإرادة منفردة منه ، ومن الممكن أنَّهُ بنى الجدار وهو لا يعلم بعلة قيامه بذلك أو حتى بعدم قيامه بأخذ الأجر لقاء عمله ، أي علم بذلك نتيجة لإصرار موسى على التعرف الى سبب عدم أخذ الأجر ، حينها

أخبر المعلم بعلة البناء وعدم أخذ الأجر ، لذا كان جوابه : (**فَأَرَادَ رَبُّكَ** أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**) ،

كما يُعلمنا سبحانه مما تقدم ، أن هناك من يتدخل بأقدارنا ، بشكل إيجابي ، سواء كان من الملائكة وبأجساد بشرية ، لقوله تعالى : -

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا **لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا** وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) الأنعام .

أو من الخلفاء في أوقات غيابهم ، إذ يمارسون وظائفهم ويباشرون أعمالهم التي كلفهم الله بها بخلافة الأرض ، والنظر في شؤون العباد ، مرة في مساعدتهم ومرة في الوقوف ضد أعمالهم التسلّطية ، ومن المُؤكد أن الخلفاء قد باشروا أعمالهم منذ أن أمر الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفة ، أي تكون النتيجة أن رجالاً يباشرون تلبية إرادة الرب ، سواء كانوا الخلفاء في غيبتهم ، أم الملائكة بارتدائهم أجساد الرجال ،

وقصة المُعلم الذي لقيه نبي الله موسى ، قد تعطينا صورة مُصغَّره لعمل الخلفاء ، قبل ظهورهم خلفاء ، أو في فترة غيابهم ، وهذا الأمر محل خلاف كبير بين فقهاء الفرق الإسلامية ، إذ أنكر أهل الجماعة أن يكون الخليفة غائباً ، ويقوم بممارسة أعماله في غيبته ، أما الشيعة فقد أقرُّوا أنه الحفيد الثاني عشر من ولد علي وفاطمة ، وقد ولد في عام[٨٦٨]م ، ثم غاب غيبة صغرى ، إذ أرادت الحكومة العباسية قتله ، ولمّا بلغ الأربعين من العمر ، غاب غيبتهُ الكبرى ، وأنَّهُ في غيبته ، يقوم بكامل عمله بوصفه خليفة ، وينظر في شؤون أتباعه ومُحبيه ، والذين يدعون الله أن يُفرِّج عنهُم بظهوره ، وظهور خلافته ،

ولا داعي لتكرار ، ما يعتقده أهل الجماعة بالمهدي ، الذي يصلحه الله بليلة وضحاها ،

وهذا تماماً هو الفارق الفكري والعقائدي بين أهل الجماعة والشيعة ، فهم منذ فقدنا للرسول الأعظم ، وخصوصاً بعد انتهاء خلافة أمير المؤمنين -ع- ، دأبوا على اختيار ، من دخل للإسلام حديثاً ، بدلاً عن صاحب التأريخ الذي لم تلوُّثهُ الجاهلية بآثامها ، لذا اختاروا معاوية بدلاً عن الإمام الحسن -ع- ، واختاروا يزيداً بدلاً عن الحسين -ع- ، وأثنوا على كل الصحابة ، من الطلقاء ، وممن كان لديهم ماضٍ من الشرك ، وادعى دخول الإسلام ، إذ أصلحه الله بليلة وضحاها ، فيما دخلوا في عداءٍ مع السابقين المتسابقين لنصرة الإسلام ، كشخص عليّ أمير المؤمنين -ع- ، ونسبوا لجد الرسول وعمّهِ الذي آواه الشرك ، وأباحوا لعنهم ، ليكـون الرسول ووصيه ، بمثابة باقي الصحابة ، من أُسَرٍ مشركة ضالة حاشا لله ولرسوله .

وبالعودة لحديثنا عن ورثة الأرض ، فإننا نؤمن أن الخليفة أو الخلفاء ، لن يرثوا الأرض بعد أن يتملكها الفاجر والكافر ، بل ورثوها منذ أن خلقها الله ، وإن قوله تعالى : - **أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ،

لا يعني بالضرورة كما أسلفنا مراراً أن يتولّى الأرض أعداء الله من المفسد والمشرك ، حيث نلاحظ أن الأمر الإلهي جاء بصيغة الأمر الواقع والحالي ، لا بصيغة المستقبل ، وإن ظهورهم ، سيكون لإصلاح الأرض بعد فسادها ، وهو ما لا يمنع الاعتقاد بعملهم في غيبتهم ، ولكنّ ظهورهم للتصدي لخلافة الأرض ، أوجبه الحال ، الذي يقضي ، بظهورهم ، لأجل بسط العدل السماوي ، فلا يمكن أن ينشروا العدل ، وهم في غيبتهم ، كما لا يستطيع الملاك فعل شيء في الأرض ، مالم يدخل في جسدٍ بشري ، ليتعامل مع الأشياء بالمادية التي هي عليها ،

، وربما هناك من يسأل عن دورهم قبل ظهورهم المرتقب ، فما يكون دور الله - عزوجل- مع عباده بعد ختام الرسالات ، وهل يعني ختام الرسل ، اعتزال الله التواصل مع خلقه بشكل قطعي ،

الحقيقة أنه سبحانه على تواصل دائم مع خلقه ، سواء كان هناك أنبياء يرسلُهم لنا أم لم يكن ، وهذا هو الدور الحقيقي للخلفاء ، فهُم الوكلاء عنهُ سبحانه ، وختام الرسالات يعني دخول الخلفاء في الطور الثاني من خلافتهم ، وهو الدعوة إلى أيام الله القادمات ، تحت ولايتهم وإمرتهم ،

لذلك نقول دائماً إن الروايات الشيعية هي الأقرب والأدق لقضية الخليفة ، فيجب أن يظهر الخلفاء الإثنا عشر مباشرة بعد فقد الرسول الكريم ، ويجب أن يرى الناس صلاحهم وعدلهم ومكانتهم وصبرهم وخشوعهم وقربهم لله ،

أمَّا أنْ نفاجأ بأسماء خلفاء مختلفين ومنشقين بعضهم عن بعض ، فهذا ما لا يعقل وما لا يقبل ،

وبالعودة لقول الرسول الكريم ، (عليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّينَ ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ) ، نجد أن المسلمين ظنَّوا أنَّ كل من يتولى الحكم بعد الرسول هو من الراشدين المهديين ، وبالفعل جرت تسميتهم بالخلفاء الراشدين ، ولكن تولي بني أمية الحكم قلب الصورة ، فقد كانت المواجهة الحقيقية في زمن الرسول ، والعدو الأكبر للدولة الإسلامية هم من بني أمية ، وإذا بهم يعودون للحكم برداء الإسلام ، زيادة على ذلك اليقين بأنَّ الرؤيا التي رآها النبي ، بأن هناك قردة ينزون على منبره ، هم من بني أمية ، وأهل الجماعة أقروا على مضضٍ بذلك .

((عن أبي هريرة : أن رسول الله -ﷺ-، قال : إني اريت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة ، قال : فما رؤي النبي مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي)) ﴿١٧٤﴾ .

((وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا : يحيى بن معين ، ثنا : عبد الله بن نمير ، عن سفيان الثوري ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله :

{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ } ﴿٦٠﴾ الإسراء .

قال : رأى ناساً من بني أمية على المنابر فساءه ذلك ، فقيل له :

إنما هي دنيا يعطونها وتضمحل ، عن قليل فسرى عنه .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، قال : لما أسري برسول الله -ﷺ-رأى فلانا وهــو من بعض بني أمية على المنبر يخطب الناس فـشق ذلك عليه فأنزل الله : (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) ﴿١١١﴾ الأنبياء .(ابن كثير - ج {١٣} - ص [٢٦٩])

وبخلاف تلك الحكومة ، كانت حكومة علي بن أبي طالب -ع- ، ضربة افاقة وعودة إلى سنة النبي الكريم ، وعلم المسلمون من حكومته ، أن الصحابة ليسوا على منهجٍ واحد ، وأنه نعم ، يمكن أن يتولى الإسلام فاجر وفاسق ، وعليهم مهمة ازالته ، وليس على الملائكة أن تتضامن معهم في كل بلاء وبأس يمرون به ، ما داموا هم رحبوا أو استسلموا أو خنعوا لحكامهم الفجرة ،

وهناك قرابة [٣٠] رواية نقلت بهذا الخصوص ، لذلك أوقفت الخلافة الراشدة ، ومن جهة أخرى فهناك من لا يرضيه أن يكون بنو أمية من الخلفاء الراشدين ، فاستقر رأيهم على تسوية العشرة المبشرين في الجنة ، ليضعوا بعض المقربين ممن لم يتوصَّلوا إلى الحكم فيها ، والتأريخ برواياته وأحداثه يشهد أن العشرة المبشرين لا ينتمون لمنهجٍ واحد ، وعلى غرار الفرقة الناجية نقول ، إذا استحق واحد منهم الجنة ، فيجبٍ أن يستحق التسعة البقية جهنم ، حتى من تظنه نَهَج نَهْج من خلفه ، فقد اجتهد وأحدث ما لا يرضي سلفه لو كان حاضراً ، وهذه هي الحقيقة شئنا أم أبينا ، ومن يرى عكس ذلك ، فليثبت لنفسه أولاً ، إن ما قام به الأول ، هو على غرار ما قام به الثاني والثالث والرابع حتى العاشر ، وإنهم جميعاً على منهج الرسول المُــــصطفى ، هكذا يمكننا الإقرار أنهم حقاً من المبشرين بالجنة ، أمّا أن

....

﴿١٧٤﴾ - المستدرك على الصحيحين–الحاكم النيسابوري – الجزء[٤] ص[٤٨٠] - [٨٥٢٨] .

نؤمن أن هابيل وقابيل وموسى وفرعون كُلهم في الجنَّة ، فليس بأماني الأعراب ولا السلفيين دخول الجنَّة ، وما أن تسلم بنو أمية الحكم ، حتى نمت شجرة أمير المؤمنين علي من فاطمة البتول قبالها ، وأصبحت في مواجهة الشجرة الأموية والعباسية ، الأب قبال الأب ، والابن قبال الابن ، والحفيد قبال الحفيد ، لكن الشجرة المباركة لم تواصل هذه المواجهة إلا عن طريق أتباعها ، بعد أن غاب الحفيد الثاني عشر في العهد العباسي ، كما جاءت بذلك الروايات الشيعية ، التي تؤكد أنه هو المهدي القائم ، وهذه هي الحقيقة التي لم ينكرها حتى بعض أعداء الشجرة المباركة ،

وإن هؤلاء الإثني عشر ، كانت سيرتهم كسيرة الأنبياء والمرسلين ، وهم الامتداد الحقيقي لأبيهم علي بن أبي طالب -ﷺ- ، والأجدر لإمارة المؤمنين ، لكنَّهم على مدى حياتهم واجهوا القتل والتعذيب والنفي والسجن ، والطمس لآثارهم ، ومحاولات لا تعد لإطفاء أنوارهم المستمدة من نور الله ، وبذلك يمكننا أن نعقل ، سرّ وعد الله لهم بأن يرثوا الأرض ، ولا يمكن التصديق بأن الصُدفة جمعت اثني عشر حفيداً ، من أبناء عليٍّ وفاطمة -عليهما السلام- ، والروايات اليهودية والمسيحية والإسلامية أشارت لإثني عشر إماماً ، ومن الممكن أن يكونوا غيرهم ، لكنَّ التأريخ خالٍ من أي قرناء لهم ، ولم يتسلسل على مرّ العصور أئمة بهذا العدد ، إلا مقارنة بنقباء بني إسرائيل ، والحواريين من النصارى ، فلا بد للإسلام من أن يحوي مثل هذه المجموعة ، ولا بد لمثل هذه المجموعة من أن تنجب الخليفة الموعود ، فمن عليٍّ نفس الرسول المصطفى ومن فاطمة ريحانة أبيها ، إلى كرم الحسن وعطاء الحسين وإلى خير العابدين وإلى باقر علوم السموات والأرض وإلى الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري ، يتوقّد كوكب المهدي الدرّي ،

أما قضية أن يصلحه الله في ليلة ، فهذا يعني أنه هو لا يعرف أنه الخليفة ، وهو نفسه لم يكن من الصالحين ،

وهذا يعني أن علينا السكوت عن الحاكم الجائر لعلَّ الله يصلحه في ليلة ما ، وهذا ما يريده خدام السلاطين ، فمن ناحيةٍ يدسُّون آراءً على أن الإنسان الصالح ، وإن كانت له كرامات فلا يمكن التسليم به حتى يموت وهو على هدى ، أمّا الطالح فيجب أن نمهله ونصبر على ظلمه أملاً بأن يصلحه الله في ليلة ، وعليك الاختيار ، بين ما روته الشيعة ، وما روته أهل الجماعة ، ومن عدم تحيزك في الاختيار ، ستثبت نيتك الخالصة لله -جل جلاله-.

الخطوة الرابعة عشرة

عِــــصْمَـــــةُ الخلـــــيفة

تعد هذه الخطوة ، مُكمّلة للخطوة الخاصة بشؤون الخليفة ، لكننا فصلناها وأبعدناها ، لكيلا يطال القارئ العزيز الملل ،
ونبحث في خطوتنا هذه ، في المستوى المفترض والمتوقع لخليفة الله ، فهل هو بدرجة عبدٍ صالح أو أمام أو نبي ، أو رُبَّما فوق ذلك ، فهذه المُهمة العظيمة ، يجب أن يقوم بها صاحب منزلةٍ عظيمةٍ ، إذ هو بدور نبي من ناحية التبليغ بشرع الله ، وبدور إمام من ناحية القيام بجمع الناس تحت لوائه ، ولا يخرج عن كونه عبداً صالحاً من ناحية زهده وتواضعه بين العباد ، وما يهمنا الآن ،
هو قضية العصمة ، ونختلف بداية مع مفهوم العصمة التي أوضح العلماء من أنها العصمة من ارتكاب الذنوب ، لأن هذه العصمة عن ارتكاب الذنوب من الممكن أن تكون نوعاً لا ينتمي إلى عصمة الأنبياء والخلفاء ، فتأسيساً على تعريفهم ، بأن العصمة تعني العصمة من ارتكاب الذنوب ، يمكن إيجاد أنواع مختلفة من العصم : -
أولاً – **العصمة الظرفيّة** : - مرَّ عليك السبت والأحد ، دون أن ترتكب أي ذنب يذكر ، لكنَّك في يوم الإثنين ، ولأن فتاة خارقة الجمال دعتك فأجبتها ، فقد انتهكت ما كنت عليه من عصمة ظرفية ، لذا فالعصمة الظرفيَّة ، لا تعد بمكانة العصمة التي نتكلم عليها ، ولربما تمرُّ السنين والسنين ولا يرتكب (س) من الناس أيَّ ذنب ، وإن مر به العمر وانتهت أيَّامه على هذه الوتيرة ، فهو ليس من المعصومين قطعاً ، وخير مثال على العصمة الظرفيَّة هو (إبليس) ، فقد وصل إلى مصاف الملائكة بالعبادة ، لكنَّهُ فسق عن أمر الله حين مرّ بتجربةٍ السجود لآدم ، ولولا هذه التجربة ، لرُبَّما بقي ليومنا هذا بمنزلة رفيعة ، حتى يظهر الله ما في قلبه ، ويكشف حقيقة إيمانه ،
وعليه فإن إبليس كان يمتلك العصمة الظرفيَّة ، والتي انفك عنها بعد حادثة السجود ، وبذلك فإن العصمة الظرفية لا أهمية تذكر لها .
ثانياً – **العصمة السببيّة** : - وهي عصمة العلماء من رجال الدين ، وهي شقّ من العصمة الظرفية ، وأسميناها بالسببيّة ، لأنَّ امتلاك العلماء من رجال الدين للعصمة ، سببه طبيعة عملهم ، ووجوب عدم قيامهم بأي فعل منافٍ للدين ، فهُم لا يرتكبون أي ذنب يُخرجهم عن كونهِم أئمة للهدى والرَّشاد ، خصوصاً أمام

مقلديهم ، فطبيعة عملهُم ، تُملي عليهم الالتزام التام ، بحدود الله ، كما قال تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ﴿١٠٣﴾ آل عمران .
وكقوله تعالى : - (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ..)﴿٧٨﴾ الحج
وقد تصاحبهم هذه العصمة في الخفاء والعلانية ، وقد تستمر معهم إلى آخر العمر ، مع هذا فهم لا يمتلكون عصمة الأنبياء والخلفاء ، ولكنها تعلو عن العصمة الظرفية ، كونها لا تخفي وراءها كفر أو معصية ، كما وقد تتحلّى زوجات الفقهاء والعلماء ، بهذا النوع من العصمة ، لنفس السبب ، وهو الالتزام بعدم ارتكاب الذنوب ، لما يمليه دورهم أمام المجتمع ، ولكونهم ممثلي الدين ، ويعملون به .
ثالثاً - **العصمة المؤقتة** : - وهي من فصيلة العصم السابقة ، لكنَّ كينونتها تقترب من العصمة الظرفية ، لكونها زمانيّة ، وهي كعصمة أم موسى ، إذ أوحت لها السماء ، أن القيه في اليم ، فلأجل اتصال السماء بالمخلوق ، وجب أن يمتلك المخلوق ، ما لا يلقي عليه غشاوة من الذنوب ، وتختلف عن الظرفية ، كاختلاف السببية عن الظرفية ، أي لا تخفي وراءها كفر ، وتتقي مع السببية ، بأنها وجدت لمصلحة معتمدة ، أو لطبيعة عمل ما ، وتختلف عنها ، بأن للسماء تدخل في تحلي صاحبها بها ، وكما أشار الباري -عزّ وجلّ- : -
(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ) ﴿١٧٥﴾ النساء .
رابعاً - **العصمة التبعية أو المستحدثة** : - وهي العصمة التي يتحلّى بها بعض المذنبين ، بعد توبتهم واقلاعهم عن الذنوب ،
وجاءت في قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ﴿١٤٦﴾ النساء .
فهي ليست بالعصمة الأصيلة ، ولا يمكن الإقرار بعصمة صاحبها ، إلا بالإشارة لفترة من فترات حياته ، لأنَّها مستحدثة ، وقد تنقلب إلى ظرفية ، إذا ما عاد المذنب لارتكاب المعاصي ، لأن من أهم شروطها الإخلاص والبقاء على التوبة ، كما صرحت الآية .
والآن ندخل للحديث ، عن حقيقة العصمة ، والتي لو قورنت بما ذكرناه أعلاه ، لما عُدَّ شيئاً منها ينتمي للعصمة ، إذ إن العصم القادمة ، ذات قدسية خاصة ، ونبدأها ، بنوع من أنواع العصمة ولون من ألوانها ، وقبس من أنوارها .
خامساً - **العصمة المنهجية بالاستصحاب** : - وهي ما يطلق عليها الشيعة : (العصمة الصُغْرى) ، وهي أقرب العصم ، إلى حقيقة العصمة ، وتتأتى نتيجة اتخاذ المرء نهج المعصوم ، واستصحابه له على السراء والضراء ، وصاحب هذه العصمة ، يتخذ منهج المعصوم ويتبناه ، كأنه امتداداً لنهجه ، وقبساً من أنواره .

ثالثاً – **العصمة المُتَّصلة** : - وهي النوع الأول من أنواع العصم ، التي ينطبق عليها وصف العصمة ، وهي غالباً عصمة الأنبياء والمرسلين ، فبما أن النبي متصل بالوحي الإلهي ، سيبقى في نطاق العصمة المُتَّصلة ، وبالرغم من أنَّها عصمة تكفي للنبوَّة ، لكنها لا تكفي للخلافة ، وهذا هو الفرق بين النبوة والخلافة ، فالنبي يحتاج الوحي في كل شاردةٍ وواردةٍ ، أمَّا الخليفة ، فهو مخوّل بالقيام بأعمال مختلفة ، على أنها تُمثل إرادة الرب وموافقة لمشيئته ، دون الرجوع إلى الوحي الإلهي ، وذلك عن طريق ، ما سندعوها بالعصمة المُنفصلة .

رابعاً – **العصمة المُنْفَصِلة** : - ومن هنا يبدأ الخلاف والاختلاف بيننا وبين معظم الباحثين الإسلاميين ، فنحن نرى أن النبي لا يحتاج إلى العصمة المُنفصِلة لأغراض النبوَّة ، لأنَّ وظيفته بوصفه نبياً ، تُحتِّم عليه الاتصال الدائم مع الوحي الإلهي ، وإنْ كان يمتلك العصمة المُنفصلة ، فهو لن يتفاعل معها ، ما دام على وظيفته بوصفه نبياً ، مُلهماً من قبل الله ، ونبي الله إبراهيم -ﷺ- بعد أن أصبح إماماً ، فقد امتلك العصمة المُنفصلة وربَّما عمل بها ، وعلى ما يبدو لنا أن النبي محمد -ﷺ- امتلك كذلك العصمة المنفصلة ، فقوله تعالى : (إنَّكَ بالمُؤمنيْن رؤوف رَحِيْم) ، يشير إشارة واضحة لذلك ، أي أن الرسول ، امتلك شخصية مُتصلة ومُنفصلة عن الوحي ، في الوقت نفسه ؛ إذ لم يكُ مأموراً ، بأن يكون بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وإلَّا لمَا وصفه الله بهاتين الصفتين ، وآيات أخرى ، كقوله تعالى : (وإنَّكَ لعَلى خُلُق عَظيم) تعني أنه اتخذ خلقاً خاصّاً به ، ووصفه الله بالخلق العظيم ، وتصرّف بالعصمة المُنفصلة ، وأتى أعمالاً تخرج عن العصمة المُتَّصلة ،

وبعد ما تقدم ، فما يكون تعريف العصمة ؟ ،

العصمة في اللغة : الحفظ والوقاية ؛ لأنّ عَصَمَ يَعصِمُ تعني : حَفِظَ ووقى ﴿+﴾ ، **والعصمة** في المصطلح العقائدي ، وعند علماء الكلام هي مَلَكَةُ اجتناب المعاصي والخطأ ، وهي من المفاهيم القرآنية ، حيث وردت لفظة العصمة ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضع ، يعتقد جميع المسلمين بعصمة الأنبياء بمعنى أن الله حفظ أنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي ، وارتكاب المنكرات والمحرمات . لكن العصمة لدى المسلمين الشيعة لها مفهوم أعم واشمل ، وهي من أهم الأمور في العقائد الدينية عندهم ، حيث إنهم لا يعتقدون بعصمة الانبياء فـحسب ، بل يعتقدون بعصمة الأئمـة الاثنا عشر أيضاً ، بناءً على أنَّهم ، خـلفاء المعصوم ، فهم معصومون من جميع المعاصي ، صغيرها وكبيرها ، من حين الولادة حتى الوفاة ، فلا يصدر منهم المعصية حتى سهواً أو نسياناً .

و ((عَصَمَهُ : اللّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ [يَعْصِمُهُ] مِنْ بَابِ ضَرَبَ حَفِظَهُ وَوَقَاهُ وَ [اعْتَصَمْتُ]

بِاللّهِ امْتَنَعْتُ بِهِ وَالاسْمُ [العِصْمَةُ] و [المِعْصَمُ])) ﴿١٧٥﴾ .
وعرفها الشيخ المفيد بأنها ((لطف يفعله الله تعالى بالمُكلَّف ، بحيث تمنع منه وقوع المعصية ، وترك الطاعة ، مع قدرته عليها)) ﴿١٧٦﴾ ،
لذا فنحن نعتقد أن معنى قوله تعالى : - (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) يعني أن تتمسكوا بالمعصومين وتعتصموا بهم ، فحبلُ الله هو العــصمة نفسها ((كما أن العرب يسّمون الحبل الذي تشدّ به الرحال أو الحمل «العصام» ، لأنّه يمنعها من السقوط والتفرّق)) ﴿١٧٧﴾ ،
وهو خلاف التمسك بعصم الكوافر ، لقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) ﴿١٠﴾ الممتحنة .
العصمة : - هي الامتثال التام لأوامر الله -جل جلاله- ، حتى لا يُمكن معها ارتكاب أيّ ذنب ، صغيرةُ وكبيرةُ ، أو التأخر عن أيِّ عمل صالح ، قليلهُ وكثيرهُ ،
وبقي أمر مهم ، سنتطرق له بشكل مُلخَّص ، على أن نتناولهُ بالتفصيل في الأجزاء القادمة ، وهو أن الرسول محمد -صلى الله عليه وآله- وبموجب الروايات السُنيَّة - لم تصل وظيفته للإمامة ، أما بموجب الروايات الشيعية فهو إمام ، ولا يوجد أدنى شك في إمامته ، فالإمام عليه أن يجعل له وصياً من بعده ، وهذا ما بينته الآية : -
(قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ﴿١٢٤﴾ البقرة .
سؤال إبراهيم -عليه السلام- ، عمَّن سيأتي من ذريته لم يكن على سبيل الاطلاع ، بل كان على سبيل الواجب والتكليف ، وعلينا الوقوف هنا ، والانتباه إلى صيغة السؤال ، ألم تسأل نفسك يوماً ، لِمَ قال الباري -عز وجل- ، لا ينال عهدي الظالمين؟! ، في حين أن الأنبياء جميعاً من ذرية إبراهيم -ع- ، فالمُطّلع على قوله تعالى ، سيستنتج أنَّهُ لا أحداً من ذرية إبراهيم سينال عهد الله ،
جواب هذا السؤال هو الذي سيكشف لنا أموراً بمنهى الخطورة ، وهو الذي دعانا للقول بأن النبي محمد -صلى الله عليه وآله- ، ليس بإمام لدى أهل والجماعة ، فيما هو إمام لدى الشيعة ، ونحن نقصد النتائج ، وسُــؤال إبراهيم الخليل -ع- أوضح مــهام عمله ، وجوابه تعالى يعني أن مُهمَّتك بوصفك إماماً ، تنحصر في أن توصي وتزكّي من هو من بعدك ، ممن سينال عهد الله ، وممن لن يناله ، ومن ثم فلا إمامــة من دون

....

﴿١٧٥﴾ – أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – للرافعي الجزء {١} ، ص [٤١٤] .
﴿١٧٦﴾ - النكت الاعتقادية ، (مصنفات الشيخ المفيد) ج {١٠} ، ص [٣٧] .
﴿١٧٧﴾ - الفكـر الخالد في بيان العقائد ، الشيخ جعفر السبحاني ، ج {١} ، ص [٢٢٣] .

وصاية ، والنبي الذي لا يوصي بالإمامة لمن بعده ، فإنه لا يمتلك أدوات الإمامة ، ولم يستعملها ، وبما إنَّ الشيعة يؤمنون إيماناً قاطعاً بأن النبي محمد -ﷺ- ، أوصى لعلي بن أبي طالب -عليه السلام- بالخلافة والإمامة من بعده ، فالنبي عند الشيعة تسلَّم وظيفة الإمامة ، وعمل بها ، أما عند أهل الجماعة فلا ، مما يشير على أن عهد الله لبني آدم قد انقطع تماماً لدى أهل الجماعة ، فيما يستمر عهد الله عند الشيعة ، خصوصاً في روايتهم عن الإمام الغائب ،

وقوله تعالى : (لا ينال **عهدي**) ، يكشف لنا عن وجود عهد الله ، الذي يسلمه الإمام لوصيِّه ، وبذلك فخلافة الله على الأرض مازالت قائمة ، وقوله تعالى : -

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٣٠﴾ البقرة ،

كان لمدة محدودة لدى أهل الجماعة ، وكأن المعنى إني جاعل في الأرض خليفة ، لمُدَّةٍ محددةٍ من الزمن ، وبخلاف ذلك لدى الشيعة ،

كما أن روايات أهل الجماعة ، تواجه مشاكل أخرى ، وهي أن خليفة الله المنتظر لديهم ، ليس بإمام ، فلم يوصَ إليه عن طريق إمام ، ولا يمتلك بالمُحصلة الوصاية لأحدٍ من بعده ، وهو ما سوف نواجهُ قريباً بعد الظهور ، ومنذ هذه اللحظة وقبل ظهور الخليفة ، فإن أهل الجماعة ، لن يعترفوا بأي خليفة ، للخليفة القادم ، ويبدو أنَّهم سيرجعون لقضية الشورى .

وعلينا أن نسأل الآن ، ما علاقة الإمامة بالعصمة ، وإذا ما كانت الإمامة ترتبط بالعصمة ، فهل يعني هذا أن إبراهيم -ع- ، لم يكن معصوماً قبل أن يكون إمــاماً ، = تخيَّل مدى الأضرار التي يسببها ربُّ الأسرة لأسرته ، إذا ما كان جاهلاً مُستخفاً بقراراته ، أو على أقل تقدير ، غير ملم بعواقب تلك القرارات ،

وعلى غرار ذلك ، فتخيَّل حجم الكوارث التي سيجلبها رئيس دولة ما ، إذا ما كان متهوراً لا يبالي بمصير شعبه ، والشعوب المجاورة ، والتأريخ مليء بأمثال هؤلاء الحكام ،

فأيّ كوارث سيجلبها من يحكم العالم بأسره ، دونما امتلاكه لميزان العدل الإلهي ، والذي لا يحتمل فيه ذرة من الظلم والجور ، فإن لمسنا تلك الذرة من الظلم ، فيعد الدليل على أن هذه الدولة ، لا تنتمي لدولة الخلافة الإلهية في شيء ،

لذا فلا يكفي أن يمتلك خليفة الله ميزان العدل فحسب ، بل عليه امتلاك قدرات خارقة ، لفرض وتطبيق العدل في أرجاء دولة الخلافة كافَّة ، التي قد تمتد حدودها لتشمل العالم بأسره ، وهذه القدرات الخارقة ، تكمن في عظمة إيمانه وإخلاصه لله -جل جلاله- ، هو ومن اتبعه من المؤمنين ،

من هنا ، فعلى من يستكثر عصمة الخليفة ، عليه أن يعلم أن العصمة ، هي أول شرط من شروط الخلافة ، وليس آخرها ، وقوله تعالى : -
(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) الأنبياء .
هو الدليل المؤكد لامتلاكهم العصمة ، أما القول على أن هؤلاء من الملائكة ، فتنافيه أسباب التنزيل ، وما ذكره المفسرون أنفسهم ، فقد جاء في تفسير القرطبي ((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، وكانوا يعبدونهم طمعاً في شفاعتهم لهم)) ، - تفسير القرطبي للآية ﴿٢٦﴾ من سورة الأنبياء ص [٣٢٤] .
وهذا الرأي ينافي بعضه بعضاً ، فقضية اِتهام الملائكة بأنهن بنات الله -ﷻ- ، فقد ذكرها الله تعالى : -
(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾أَمِ اتَّخَذَ مِـمَّا يَخْلُقُ بناتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ) ﴿١٦﴾
(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) ﴿٤٠﴾ الإسراء .
(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) ﴿١٥٠﴾ الصافات .
(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَـادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتـُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) ﴿١٩﴾ الزخرف .
إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ النساء .
فلو كان المقصود هنا الملائكة ، فالآيات التي تكلمت على هذا الأمر ، واضحة وصريحة ، ولم تأتِ أبداً بصيغة المذكّر ، وعلينا هنا أن نفهم الفرق الشاسع بين الإشارة للبنات والإشارة للولد ، فاتهام الملائكة بأنها بنات لله -ﷻ- ، جاء للإشارة للخدمة ، أي إن من يخدم الله -ﷻ- هم من البنات ، وهن الملائكة ، أمّا حين يشير الله إلى الولد ، فالمعنى المقــربة الشديدة ، والمودة الكبيرة لهؤلاء العباد ، ولو تساءلنا ، لماذا جاء الحديث عن الولد في الآية ﴿٢٦﴾ من سـورة الأنبياء ، ومن ثم أصبحت الإشارة إلى العباد المكرمين ، أي بالجمع ، فقد أوضحنا ذلك في مبحث (خليفة أم خلفاء) ،
وفي حال عدم إيماننا ، بامتلاك الخلفاء للعصمة المُنفصِلة ، فعلينا أن نقرَّ لهم بنزول الوحي ، بناءً على قوله تعالى (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) وهذا يعني استمراراً لرسالات السماء ، مما يتعارض مع كون الرسول الأعظم ، خاتماً للأنبياء ،
لذا فالخلفاء مُلهمون من قبل الله ، بما آتاهم من نور سنته ، ويمتلكون العصمة التي تخولهم أن يحكموا بِاسم الله .

الخطوة الخامسة عشرة

مبادئ دولة الخلافة

ومبادئ الامم المتحدة

مرّتْ بنا عبارة (مرَّ بنا الحديث أو سبق أن تحدَّثنا) كثيراً في مطالب هذا المُصنَّف ، لأنَّنا ونحن نطرح أمور قلّ من طرحها ، خشية المساس بالموروث الروائي ، الذي يُقدِّسوهُ كتقديس النصوص القرآنيّة أو أكثر ، وما هي إلّا آراء متضاربة فيما بينها ، لم يأتِ بها حديث موثوق عن نبيٍّ أو ولي ، لذا فعلينا تسليط الضوء على مختلف الأمور المتشعبة نتيجة قراءاتنا الجديدة لها ، ولأنَّ طرح الأفكار الجديدة ، لابُدَّ من أن يكون بشكل تدريجي ومتوالي ، لذا نقول هنا : سبق أن مرّ بنا الحديث عن رعايا الخليفة ، بشكل مبسّطٍ ، لكنَّنا الآن نعرض الموضوع بشكل مباشر وخاص ، لنقول إن رعايا الخليفة ، هم جميع من في الأرض من مخلوقات ، سواءً كانوا أنصاراً أم أعداءً ، موالين أم مناوئين ، حكاماً أم محكومين ،
(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ **مُنْكِرُونَ**) المؤمنون .

لو وجهت هذه الأسئلة للأصحاب الأديان السماويَّة في زمن الظهور ، فهُم جميعاً تدبَّروا القول عن زمن الظهور ، وصاحب الظهور ، وقد أتاهم ما أتى آباءهم الأوَّلين من الرسل ، فمجيء الخليفة ، كمجيء الأنبياء لآبائنا الأوَّلين ،
وبقي السؤال الأهم والأخطر ،
هل سيُنكر المسيحيون نبيهم عيسى -ع- إذا جاءهم ، أو ينكر اليهود عزيراً -ع- ، أو تنكر فرق المسلمين جميعاً إمامهم -ع- ،
الاشكال في أن شخص عيسى النبي -ع- ، لدى فرق النصارى ، يختلف بين فرقة وأخرى ، كما يختلف بين كل هذه الفرق ، وشخص عيسى النبي حقيقة ، فهو ليس اِبناً أو ربّاً -جل جلاله- ، وهكذا الامر لليهود في شخص عُزير ، ولن يعقل أهل الكتاب أن من جعلوهم أرباباً ، سيصلّون خلف إمام المسلمين ، ويكون عليهما قائداً وموجهاً ، هذه الخطوة توجب علينا الاعتقاد التام ، بأنَّنا من رعايا الخليفة ، وإن كُنّا على غير دينه أو مذهبه ، وإن كلّ من حولنا ، هم أيضاً رعاياهُ ، أعداءً وموالين ، غير أن المعادي ، هو من سيخرج عن اِنتمائه لدولة الخلافة ، ليصبح من المناوئين والمحاربين ، وبتفصيل آخر ، أصبح هناك مناصرون لدولة الخلافة ومنتمون لها ، فالمناصرة لا تكون إلا بالجهد والجهاد ، أمّا الانتماء فيطال كل من في المعمورة

وإن كان غير راغب بالانتماء الفعلي ، بل وإن كان معادياً لها ، دون أن يقاتل ضدها ، فما نتوقَّع من الخليفة أن ينهج معهُم من نهج ، سواء كانوا مواطنين ضمن حدود دولته ، أم أجانب عنها ، يقيمون بصفة وقتيَّة أو دائمة ، أو كدول مجاورة لدولة الخلافة ، أو تشترك مع دولة الخلافة بمعاهدات خاصة أو عامة ، وبما أن نهج خليفة الله هو ذاته منهاج الله ، فمن منهاجه تعالى سنتعرف على الجواب : -

في سورة الإنعام في النص القرآني : -

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) البقرة .

وهذا ما نجده ، في أحد أهم مبادئ الأمم المتحدة ، وهو مبدأ المعاملة بالمثل ﴿١٧٨﴾ – القانون الدولي – القاعدة [١٤٠] : -

((في العلاقات الدولية والمعاهدات ، تحدد المعاملة بالمثل الفوائد أو الامتيازات أو العقوبات التي يتم منحها من خلال دولة ما للمواطنين أو الكيانات القانونية في دولة أخرى)) ، وهو عين ما صرح به الباري -عز وجل- ، منذ آلاف ومئات السنين من مبدأ ، وهو مبدأ (المعاملة بالمثل) ، كما نرى ذلك جليّاً في النص القرآني أعلاه ، وعليا أن نجزم ، أن ذلك كلهُ في حدود أحكام الله وشرعه ، فالرسول الأعظم لم يُمثّل بقتلى المشركين في معركة أحُدٍ ، كما فعلوا هم ،

ولو أردنا أن نتحدَّث ، عن إلزام الخليفة لدول العالم ، بما يُقرّهُ من نهج ، بمثل ما ألزموا هُم على أنفسهم ، وألزموا الآخرين به ، فيما جاءوا به من مبادئ : -

إذ نصت المادة [٢] الفقرة [٦] من الميثاق ،

((مبدأ التزام الدول غير الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة بالعمل وفقاً لمبادئها)) ، لكنَّنا قطُّ ، لن نتوقّع قيامه بما قامتْ به الفتوحات الإسلامية ، بإلزام الخلق دون حتّى أن يوضّحوا لهم ، الدين الحق ، وما كان على دول الجوار ، إلا أن تسلم إذا لم تمتلك الجزية ، أو أن تدفعها ، أو تهلك دون ذلك ، وعلى غرار ما تقدَّم ، يمكننا بيان التفريق بين مـبادئ دولة الخلافـة ، ومبادئ الأمم المتحدة .

....

﴿١٧٨﴾ - يسيطر مبدأ المعاملة بالمثل ، على الاتفاقات المرتبطة بتسليم المطلوبين قانونياً للعدالة ، كما يستخدم في تقليل التعريفة الجمركية ، ومنح حقوق التأليف والنشر للكتاب الأجانب ، وتخفيف القيود المفروضة على السعر ومتطلبات التأشيرات .

الخطوة السادسة عشرة

شعب الخليفة

بناءً على صدور أمر الله بجعل خليفة له في الأرض ، فقوله تعالى في الأرض ، يعني جبالها وسهولها ، سمائها وبحورها ، لذا جاءت الآية (في الأرض) ، ولم تأت (على الأرض) ، وينبغي أن يكون كلّ من عليها شعبه وأمته ، من الإنس بمختلف ألوانهم وأشكالهم ومللهم وأحزابهم ، والجن بمختلف أطيافهم وقواهم واعتقاداتهم ،
وقُلنا غير مرّة أن أعداء الخليفة ، هم من ضمن شعبه ، وإن كانوا خارج جمهوريته ، كما إن أعداء الله ، هم من ضمن عباده وإن حاربوه وخالفوه ، فالله جعله خليفة في أرضه ، بما رحُبتْ وما أقلّتْ ، وبما فيها من خلق ، لا بل حتى حاجات الأرض نفسها ، فلم يقُل الله ، إني جاعل للمؤمنين خليفة ، ولا للإنس أو الجن ، أو لأصحاب دينٍ أو مذهبٍ معين ؛ بل أطلق أمرهُ ، على الأرض بالعمومية ، وهذا ما يؤكّده جواب الملائكة كذلك ،
(**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا** مَن **يُفْسِدُ فِيهَا** وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ﴿٣٠﴾ البقرة .

لذا فإن دستور الخلافة ، دستور غير قومي أو طائفي أو تحزبي ، ولا يتميَّز أنصاره بحقوقهم من أعداءه ، إلا بحسن العاقبة ، وهذا ما وعدوا به مُنذُ بدء إيمانهم ، أي منذ أن اتخذوا الله إلهاً لهُم ، وآمنوا بأن الخليفة زعيم وإمام وسلطان عليهم ، ومن هنا فإنَّ شعب الخليفة يختلف عن شعب جمهورية الخليفة ، وحين نقول إن الإنس والجن ، يقسمون على أعداء وأنصار ، فهذا التقسيم غير دستوري ، بل مجرد لائحة تنظيمية تحكم طبيعة العلاقة من الظاهر ، ويمكن أن تتحول إلى قانون من القوانين المقنَّنة ، في حال استتباب حكمه وإعلان جمهوريته ،
ولو أشرنا إلى شعب الخليفة ، من المؤمنين فقط ، فمن هؤلاء الشعب ، وما الذي يميِّزهم من بعضهم بعضا ، أو يميِّزهم من أعداء الخليفة وغير المؤمنين به ،
= ينقسم شعب الخليفة منذ نشأته ، علماً أو أمراً على قسمين : -

أولا : جنود الخليفة : من المفترض عدَّهم من ضمن الهيكل التنظيمي لدولة الخليفة ، ومؤسساتها ووزاراتها ، كوزارة الدفاع أو أعضاءً في السلطة التنفيذية ، وجنود الخليفة هم أوَّل المؤمنين به ، وأوَّل المصدقين على خلافته ، وهم من الملائكة ومن الإنس ومن الجن ، وكذلك ممن لا نعلم مم خلقوا ، وكيف خلقوا ولأجل أيِّ أمر خلقوا ،

ثانياً : الأنصار المقعدين : وهم من الإنس العاجزين على أن يكونوا جنوداً محاربين ، وهم على فئات ، كما كانت عليه الحال أبان انشاء الدولة الإسلامية ، في عهد الرسول محمد -ﷺ-:

الفئة الأولى : هم من العاجزين جسدياً والمقعدين ، وكما أشير لهم في القرآن بـ (القاعدين) ، سواءً كانوا على اتصالٍ مع الخليفة ، أم ليسوا على اتصالٍ معه ،

الفئة الثانية : هم من العاجزين عن الاتصال بالخليفة ، لكونهم يقيمون خارج نطاق النفوذ الإداري لجمهورية الخليفة ، وهم الأسرع انتماءً وانضماماً لجند الخليفة ، في حال احتياجهم ، وتكليفهم بمهام تخص مناطق سكناهم ، أو في حال اتساع الرقعة الجغرافية للجمهورية ،

أما عن شعب الخليفة لا شعب جمهوريتهِ فهم فئات مختلفة : -

الفئة الثالثة : المنافقون وأهل المصلحة في قيام دولة الخليفة ، تخلّصاً من أعدائهم المشتركين ، وهم الأسرع انقلاباً على دولة الخلافة ، في حال تخلصهم من أعدائهم ، أو تضررهم من سياسة الجمهورية لاحقاً .

الفئة الرابعة : أهل الحياد : وهم من يتجنبوا مناصرة الجمهورية أو معاداتها ، وغالباً تشمل الدول الصغيرة والبعيدة أيضاً عن منطقة الصراع .

وهذه الفئات أمامك ، لك من هذه اللحظة ، أن تختار أيّها يشرفك الانتماء لها ، وأيّها لن يشرفك أن تنتمي لها ، ومن هذه الخطوة ، يمكنك التراجع ، أو الاستمرار لوصول بوابة الدولة .

الخطوة السابعة عشرة

دور الشفاعة في دولة الخلافة

(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ) ﴿٢٦﴾ النجم .

لو اطلعت على معظم ما تم تأليفه عن الشفاعة ، ستجد أنَّها ليست كافية لبيان دور الشفاعة ، حتى مع كل ما حدث من نزاع بين الفرق ، حول هذا الموضوع ، خاصة بين الشيعة وبين الفرق الأخرى ،

ويقترب مفهوم الشفاعة من التضامن مع الآخر لتحقيق مسألة أو مطلب ما ، وبذلك يحصل المشفوع ، على فرصة لا ينالها إلا من هو بظروفه نفسها ، لأسباب يقدرها الشفيع ويقبلها من تُقدم عنده الشفاعة ، ألا وهو الله -جَلَّ جَلَالُهُ- ،

وتعترف القوانين الوضعيّة ، بما يعرف بالظروف المخففة للعقوبة ، وهي الظروف التي من شأنها تخفيف العقوبة على الجاني ، ومنها عدم ارتكابه لجريمة سابقة من ذات النوع ، وكونه في مقتبل حياته، أو بخلاف ذلك ، أي كونه في عمر تجاوز السبعين سنة ، أو مصاب بمرض عضال ،

وقد تصل الظروف المخففة لدرجة الإعفاء من الجريمة ، كمن يفجأ زوجته أو احدى محارمه في حالة تلبس بالزنا ، مع ذلك فالشفاعة تفيض عن هذا المقدار ، لأن ما عرضناه مكفول بقوانين عدالة الله تعالى ، التي تصل إلى مقياس الذرة في الميزان ، والشفاعة تغوص أكثر عمقاً حتى تصل إلى شخصية طالب الشفاعة ، كأن يعترف بشفيعه ومنزلة شفيعه عند الله ، وما يراه من حق في طلب الشفاعة ، أي ما يرى من أسباب تجعله مؤهلاً لقبوله من قبل الشفيع ، وتمضي قدما بموضوع الحب والمودة ، فحب الله يهديك إلى سبل رضاه ، وفي الآخرة تُمْنَحُ شفاعتُهُ عن طريق أحباب الله ، ومن أذن لهم الله بالشفاعة ، فالحب والمودة لا يقدران بالحسنات ، ولم يأت نص قرآني يشير لذلك ، بل يشير إلى قبول الحب في الله ومودة أحبابه ، حتى الحزن والدمع على عدم المقدرة على دفع الصدقات والنفقات ، فيتحول هذا الحب في رضا الله إلى باب من أبواب الشفاعة ،

(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا **وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا** أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) ﴿٩٢﴾ براءة .

وبهذا الحب لله ولمن أحبهم الله وقربهم فقط ، يمكنك أن ترشح نفسك لطلب الشفاعة ،
(وَإِذَا سَـــمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ **تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ** مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) ﴿٨٣﴾ المائدة .

قَدرُ هذه الدموع عند الرسول أن يشفع لهم ، وقَدرُ الرسول عند الله أن يقبل شفاعته ،
ومما قدمناه ، علينا أن نفهم ماهية الشفاعة ، أي علينا أن نفهم أن هناك دواعي للشفاعة ، ولا ينالها إلا من يستحقها فعلاً ، لا أن تكون المسألة اعتباطية ، ونحسب أن رجلين بذات الظروف تماماً ، سينال أحدهم الشفاعة ويحرم الآخر ، لا لسبب إلَّا ، لأن بعضهم ، يظن إن الأمور تجري بشكل كيفي ، وليس هناك من ميزان عدل يحكم هذه المنحة العظيمة ، التي تعد من منن الله على عباده ، وباباً من أبواب رحمته ، أو من ظنّ أن الشفاعة طور إلهي لا يصل له حتى الأنبياء ، أو إنه تعالى أعظم من أن يجعل له شفيع ، وأن يكون هناك شفيع بين الله وعباده ،
وما نذكره الآن ليس باستنتاجٍ لأحد فقهاء أهل الجماعة ، بل هو حديث نُسِب للرسول الكريم عن طريق جبير بن مطعم وجاء في سنن أبي داود ، وهذا نص ما جاء في هذا الحديث ((إنَّهُ لا يستشفعُ باللّهِ على أحدٍ من خلقِه ، شأنُ اللّهِ أعظمُ من ذلك)) ، وهذا يعني أن الله لم يجعل أي شفيع بينه وبين عباده ، كما استدلوا بحديثٍ آخر عن الرسول الكريم :
((قال ابو هريرة قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله سلم - حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ : { يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا })) رواه البخاري [٢٧٥٣] ، ومسلم [٢٠٦] ،
وقد أنجبت هذه الأحاديث عتاة في الجرأة على شخصية الرسول ، ومنهم مؤلف كتاب الشفاعة بين الإسلام والمسلمين لأحمد صبحي منصور ، صاحب حركة أهل القرآن أو أهل الكتاب ، وقد لخَّص كتابه هو بنفسه قائلاً :
((يتناول هذا الكتاب ، الشفاعة بين الاسلام وبين المسلمين ، موضحاً وقوع (المحمديين) في الاشراك بالله -جل وعلا-، حين جعلوا محمداً مالكاً ليوم الدين ويوضح

أصولياً وتاريخياً ، نشأة وانتشار أساطير الشفاعة ، عند المسلمين المحمديين ، وأثرها في نشر الانحلال الخلقي بينهم ، مع التركيز على دور البخاري)) ،
وتقديساً لشخص الرسول ، فلم نأتِ بالنص الذي جعله في مقدمة الكتاب ، وما جاء في قول المدعو أحمد صبحي منصور ، الذي يدعي أنه استقال من الأزهر ، لأنه رآهُ مستنقع للجهل ، والمتعب في كتابه ، أنه مليء بالأخطاء الإملائية ، بشكل لا يطاق ولا ينطبق على طالب في الأزهر ، وخلاصة كل ما كتبه ، إنه لا يؤمن بوجود الشفاعة لأنَّها تخُل بعدالة الله ، ويغدو عدم الإنصاف بين الناس طابعاً لحساب الآخرة ، وهو ممَّن فهموا أن الشفاعة كيفية ، ذات ميزان اعتباطي كما ذكرنا ، وهو بذلك يساوي بين المُرائي وبين المُحب لله ورسوله ، ولا يفرّق بين المنافق وبين المُخلص ، فعلى كل من يؤدي صلاته رياءً أو دون أي خشوع ، أن يطلب أجر من يصلي خاشعاً لله ، وهو بذلك يجرد الرسول وآل بيته من أبسط الكرامات التي منّ الله عليهم بها ، وقد كشف عن أنه لا يؤمن بدعائه لأبيه ، أو دعاء أبيه له ،
وبهذا الشكل ، حدد منن الله وحدد رحمته ، والأخطر أنه حدد عدالته ،
المسكين تصور أن العدل ميزان آلي ، وإن الشفاعة تخل بهذا الميزان ، فمشكلته هو فهم عدالة الله ، لا فهم دور الشفاعة ، لأن الشفاعة جزء لا ينفصل عن العدالة ،
وهو من أولئك الذين إذا تزوجوا امرأتين ، فمنتهى عدله ، أن ينام مع الأولى وينفق عليها ، كما ينام مع الثانية وينفق عليها ، ولو كان العدل بهذه الصيغة ، لكلّفنا أجهزة الحاسوب بأخذ دور القضاء ، ولمَا قال تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ،
إذ إن دور الشفاعة لا يختلف أبداً ، عن دور أحاديث الرسول المكملة لتعاليم الله ، فكما أعطى الله لرسوله مقام الحديث بِاسمه ، أعطاه مقام الرحمة والشفاعة بِاسمه ،
ولكي نفهم دور الشفاعة في العدل ، يجب أن نتعايش مع الظروف التي أدت بالمرء لارتكاب ذنبه ، فمن يسرق لسد رمقه ، ليس كمن يسرق ليعيش بثراء ، مع هذا ، فإن دور الشفاعة يبتعد قليلاً عن تلك الظروف ، وسبب ابتعاده دور الباحثين في طرح قضية الشفاعة ،
فهناك من يؤمن بوجود الشفاعة ، إلَّا إنَّه يخصها بالذات الإلهية ، أمثال أحمد صبحي وآخرين ، أي إن مشكلتهم مع الرسول والأولياء الصالحين ، وهناك من لا يؤمن بوجود الشفاعة بشكل مطلق ، وهو من يقرأ حديث الرسول في أعلاه ، دون

أن يقرأ ما جاء في القرآن الكريم ، من آيات تؤكد الدور العظيم للشفاعة ، ولكن بطرائق مشروطة ، يتقدمها الأذن السابق من قبل الله -جل وعلا-:
(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ﴿٢٥٥﴾ البقرة - آية الكرسي .
وكذا قوله تعالى :
(مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ﴿٣﴾ يونس .
وكذا قوله تعالى :
(لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) ﴿٨٧﴾ مريم .
وقوله تعالى :
(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى) ﴿٢٦﴾ النجم .
وقوله تعالى :
(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ﴿١٠٩﴾ طه .
وقوله تعالى : -
(وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ﴿٢٣﴾ سبأ .

وحين يتكلم بعضهم على الشفاعة ، فإنهم يقفزون بعيداً عن هذه الآيات ، ويختارون ما فهموه عن أن الله لا يقبل الشفاعة ، كمثل قوله تعالى : -
(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ﴿٤٨﴾ البقرة .

ولو أنعمنا النظر في قوله تعالى (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) ، لفهمنا أن المعنيين بالآية ، فئة من الضالين ، خصتهم الآية وخاطبتهم بالذات ،
أي إن عليكم يا هؤلاء ، أن تتقوا يوماً لا تجزي نفس منكم عن الأخرى ، ولا تقبل الشفاعة منكم جميعاً ، ولا يأخذ منكم عدل ، ولا من ينصركم ،
ولن يفهم هؤلاء دور الشفاعة ، حتى يؤمنوا بقوله تعالى :
(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ).
إذ علينا أن نتقبل أن للشفاعة شجرة مباركة ، بذرتها الكلمة الطيبة ، والتي ستثمر يوم القيامة بالبركات والحسنات ، التي رُبَّما تكفينا للخروج من جهنم والدخول إلى الجنَّة ، ولو أمضيت عمراً فوق عمرك ، لتبحث عن كلمة طيبة ، فلن تجد أبداً غير الصلاة على محمد وآل محمد ،
كلمة قالها الله وملائكته ، وأمر المؤمنين بقولها :

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ﴿٥٦﴾ الأحزاب .

فحبُّ الرسول وآله ، هو حبٌّ لله ، لأنَّنا لم نرَ الله ، ولم نعرفه ، إلّا بهم ، وعن طريقهم ، والاتصال بهم هو عين الاتصال بالله -جل جلاله- ،
وعليه فإن الشفاعة : مرحمة ينالها المشفوع له من قبل الشفيع ، بناءً على ظروف أحاطت بالمشفوع له ، دوناً عن الآخرين ، ما كان قد أتى الذنب لو لم تحط به ، ومن جهة أخرى ، فهي أقوال وأفعال أتى بها المشفوع له ، أستحق بموجبها نيل الشفاعة ،
فالظروف المخففة تشفع لنا وتخفف من العقوبة ، وما نقوله ونفعله تعبيراً عن حبنا لله ولأنبيائه وأوليائه ، يشفع لنا ويخفف من العقوبة ،
ومن يقل اللهم صل على محمد وآل محمد ، فما جزاؤه غير شفاعة محمد وآل محمد ، فمحمد وآله هم الآباء الروحيُّون ، والذين يدعون لأجلنا ويشفعون لنا ، طالما نطلب من الله أن يصلي على محمد وعلى آله ،
وبذلك فَهُم لم يتوصلوا بعد ، على أن سُنّة الشفيع هي ذاتها سُنة الله ، وأن الشفاعة لا بد من أن تكون من قبل شفيع ، أذن له الله بتلك الشفاعة ، وفي الوقت نفسه ، ليفهم هؤلاء ما معنى أن تكون سُنّة الشفيع هي ذاتها سُنّة الله ،
ونقول في الوقت نفسه الذي لا يقبل الله لتلك الأنفس بالشفاعة ، فالشفيع أيضاً لا يقبل أن يشفع لتلك الأنفس ،
(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) ﴿٢٨﴾ الأنبياء .
فهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، والله لا يرتضي شفاعةً من أحدٍ إلا منهُم ،
ولدى مركز الفتاوى وبتاريخ – الإثنين [٢١ شوال ١٤٢٤]هـ [١٥ -١٢- ٢٠٠٣]م برقم فتوى : [٤١٣٠٤] ، جاء ما نصه :
((الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله أما بعد : فالعبارة المسؤول عنها جزء من حديث طويل رواه أبو داود وغيره ، ومعناها أنه لا يجعل الله شفيعاً أي واسطة إلى مخلوق ، لأن الشفاعة هي التوسط للغير لجلب مصلحة أو دفع مضرة ، **والله أعظم من أن يجعل شفيعاً** إلى بعض مخلوقاته ، ولذلك عقب النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث بعد العبارة المسؤول عنها قائلاً : شأن الله أعظم من ذلك ، أي من أن يجعل شفيعاً وواسطة إلى بعض مخلوقاته ، والله أعلم)) .
استعمال عبارة الله أعلم ، من حسن الكلام والأدب مع الله سبحانه ، واعتاد رجال الدين قولها في كل مسألة وكل فتوى وحكم ، ولكن الواقع يقول أمراً آخر ، وإن ما

جرى من تقتيل وطعن وتهجم على منهج الشيعة مثلاً ، واعتبار أن الاعتقاد بوجود شفيع ، هو شرك بالله الذي لم يجعل له من شفيع ، كل هذا الإصرار لا ينسجم قط وعبارة (الله أعلم) ، فالذي يقول الله أعلم ، يفتح باب الحوار ، ويستمع لمختلف الآراء ، لكن ما فعله بعض من أهل الجماعة ، وما قَدِم عليه أهل السلف ، يعني أنهم هم الأعلم ، ولا عليم من أحدٍ إلا هُم ،

وتعال لحالة غريبة ، أنهم يسببون باسم الرسول حاشاه ، من أنه تعالى أعظم من أن يقبل الشفاعة ، وعلى أن الشفاعة وساطة بينه وبين عبادة ، وبعد ما ذكرناه من آيات تخص الشفاعة إن لم يفقهوها ، فتعال لسيرة الأنبياء :

(قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ **سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**) ﴿٤٧﴾ مريم .

فاستغفار إبراهيم لأبيه شفاعة ، وقوله (حفياً) كمن احتفى بضيفه ، أي استقبله استقبالاً كريماً ، وبيّن استعداده لقضاء حاجته ، وهذه هي الشفاعة المقبولة ، حتى بشكلها كما هي ، أي دون وجود دليل على الاعتراض عليها ، كما ورد الذكر عن الشفاعة المرفوضة لعلة في المشفوع له ،

(ونَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ﴿٤٥﴾ هود .

بالرغم من أن القضية مهولة ، وعلى وشك نزول أمر الله بالطوفان ، فقد تقدم نوح بطلب الشفاعة العارضة ، والتي بين الله سبب رفضها ، ولم يبين أنه تعالى ينكر شفاعة نوح ، فقول نوح (إنّ ابني من أهلي) ، ليس على وجه البيان ، بل على وجه الاستفسار من أن يكون من الناجين أم لا ، أي لم يسأل نبي الله هل ستقبل شفاعته أو لا ، بل سأل مالم يحط به خبراً ، فأجابه الله ، أنه ليس من أهلك ،

وبالعودة للحديث المنسوب للرسول وعبارة (شأن الله أعظم من ذلك) ،

فحاشا للرسول أن يقول مثل هذا القول ، وهو أوّل وأعظم الشفعاء لأمته ، وفات مؤلف مثل هذه الأحاديث أن الحكمة تقول ، إذا أردت أن تكذب فلا تنسَ شيئاً مما قلته ، فأين الحديث الصحيح الذي قالوه عن صحابة النبي ،

((حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي ، فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك] .... رواه البخاري حديث رقم [٦٢١٣] ، وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي

حدثنا يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله -ﷺ- قال : [يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى] رواه البخاري)) ،

فلِمَ يناد الرسول إلا ليشفع لهم ، ولو كان منهاج الله تعالى بعدم الشفاعة ، لمَا نادى الرسول أبداً بأصحابه ، وإن جواب الباري بأنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، ليس رفضاً لشفاعة الرسول لهم ، بل لبيان ما فعلوه حقاً بعد الرسول ، ومن المؤكد أن الرسول بعد اطلاعه على ما أحدثوه ، سيرفض هو أن يكون شفيعاً لهم ،

وما نسوه أيضا : ((أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك من أنّ النبيّ -ﷺ- يُقال له يوم القيامة: [سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ])) ،
وأين جاء هذا الحديث ، جاء لدى أشدِّ الناس بغضاً وحرباً للشيعة ولكلّ معتقدات الشيعة - وهو محمد بن صالح العثيمين [١٤٢٦هـ] - ﴿١٧٩﴾ ،
كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة : (أدْخِلِ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ البابِ الأيْمَنِ مِن أبْوابِ الجَنَّةِ) ﴿١٨٠﴾ .... ،
فتخيل إن الرسول الأكرم ، يُدخلك بلا حساب إلى الجنة ، ما دمت من أحبابه وأحباب أحبائه ، والقضية ليست محسوبيات قط ، مثل أن تعهد لمدرسٍ بمنح درجة نجاح ، لمن يراه أهلاً للنجاح ، من خلال نشاطه اليومي مثلاً ،

لذا فعلينا ألّا نتيه في الخطو ، إنما يرى صلوات الله عليه وعلى آله ، من غلبوا على أمرهم ، ومن صعبت ظروف حياتهم ، وهذا ما يسمى قانوناً لدينا ، بالظروف المخففة ، وروح القانون والعدالة ، والتي يرى فيها القاضي أن ما قام به الجاني من أفعال كانت بدوافع قهرية مثلاً ، أو أتى بأقوال وأفعال تدل على صلاحه ،
ومن ثمّ هل سمعوا بحديث الرسول الكريم :

....
﴿١٧٩﴾ - شرح العقيدة السفارينية ، الدرة المضية في عقد أهل الفرق المرضية (الطبعة الأولى) ، الرياض - السعودية : مدار الوطن للنشر ، صفحة [٤٨٥ -٤٨٦] ،
﴿١٨٠﴾ - رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، ص [١٩٤] ، صحيح ،
سفر ابن عبد الرحمن الحوالي ، شرح العقيدة الطحاوية (الطبعة الأولى) ، موقع الكتروني ، لمكتبة الشاملة الحديثة ، صفحة [١٩٣٣] .
- رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن أنس بن مالك ، الصفحة أو الرقم [١٩٦] صحيح .

(أنا أوَّلُ شَفِيعٍ في الجَنَّةِ ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ ما صُدِّقْتُ ، وإنَّ مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيًّا ما يُصَدِّقُهُ مِن أُمَّتِهِ إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ) ﴿١٨١﴾ .
أم هل فهموا ما قاله -صلى الله عليه وعلى آله- ، من حديث نقلوه هم في أمهات كتبهم ، ومقدمات تفضيلهم من الأحاديث :
(أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ) ﴿١٨٢﴾ ،
ووصل عندهم القول بالشفاعة :
الشفاعة لأقوامٍ يدخلون الجنّة بغير حسابٍ ؛ وهي من أنواع الشفاعة عند القاضي عياض ، وغيره ؛ استدلالاً بما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عباس ، أنّه قِيل للنبيّ -عليه الصلاة وعلى آله- : (هذِه أُمَّتُكَ ومعهُمْ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ) ﴿١٨٣﴾ ،
فهل اكتفينا بما ذكروه هم ، أو علينا الزيادة ، لتجزم بافترائهم على الرسول أنه قال ، الله أعظم شأناً من أن يرضى بشفاعة أحدٍ من خلقه ،
((أخرج البخاريّ في صحيحه عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-أنّ النبيّ - عليه الصلاة وعلى آله - قال : (مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، والصَّلاةِ القائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ ، **حَلَّتْ له شَفاعَتي** يَومَ القِـيامَةِ ، رَواهُ حَمْزَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبِيهِ ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله) ﴿١٨٤﴾ ،

ولو أردت أن أملأ مجلداً بما كتبوه ونقلوه عن الرسول ، بشأن شفاعته لأمته لفعلتُ ، فليقرأ من يدعي بطلان الشفاعة ، شيئاً مما كتبوه هم ، وما يثبت عظمة الشفاعة ،

....

﴿١٨١﴾ – الراوي : أنس بن مالك ، المحدث : ابن خزيمة ،[ص٢- ٦١٨] صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح .
﴿١٨٢﴾ - رواه البخاري ، في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة ، الصفحة أو الرقم [٩٩] صحيح .
﴿١٨٣﴾ - رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عباس ، الصفحة أو الرقم [٢٢٠] ، صحيح .
كما جاء / سعيد حوّى (١٤١٢هـ)، الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية - (الطبعة الثانية) ، موقع إلكتروني : دار السلام ، صفحة [١٣٣٨ ، جزء٣] .
﴿١٨٤﴾ - رواه البخاري ، في صحيح البخاري ، عن جابر بن عبد الله ، الصفحة أو الرقم [٤٧١٩] صحيح .

فأي شأن للشفاعة أعظم من هذا الشأن ، وأعتقد أن مسلم والطحاوي وغيرهم لا يمتون للشيعة بصلة ، كي نتهم الشيعة بهذه الأحاديث ، وخذ منهم ما قالوه في الشفاعة ، وكيف نسي الجميع هذا الحديث ، وإن شأن الله أعظم من أن يجعل له شفيعاً ، ولأهمية هذا الموضوع ، وإنه من فياصل التفريق بين الشيعة والسنة ، فسنتحمل مقالاً مطولاً بعض الشيء ، لما يسمى داعية الإسلام في مصر ، لنرى تجارتهم في الصيف وتجارتهم في الشتاء ، وكيف يقومون بدور ما يسمى بـ(الحاوي) الذي يخرج لك ما يريد من قبعةٍ واحدةٍ ،

قال **د. عمرو خالد** ، الداعية الإسلامي ، إن النبي صلى الله عليه وعلى آله سيشفع للبشرية كلها ، وليس للمسلمين فقط ، موضحًا أنه ستكون له سبع شفاعات يوم القيامة ، وأضاف في ثالث حلقات برنامجه الرمضاني «نبي الرحمة والتسامح»، الذي يذاع على قناة «إم بي سي» ، أن الشفاعة **الأولى** : -

((فللبشريَّة كلها ، مسلم وغير مسلم كافر ومؤمن ، حيث سيأتيه الناس وقتها بينما الشمس تدنو من الرؤوس ، ويغرق الجميع في عرقهم ، فيجتمع على الناس كل أسباب الخوف ، فيطلبون شفاعة النبي بعد أن يتوجهوا إلى سائر الأنبياء والمرسلين ، فيقول : أنا لها فيسجد تحت العرش فيحمد الله بمحامد لم يحمد بها إنسان من قبل ، فيقول الله : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وصل تعطى ، فيقول يا رب اشفع في أن يبدأ الحساب للبشرية كلها ، رحمة عالميّة ، رحمة للعالمين)) .

وأوضح أن الشفاعة **الثانية** : -

((هي شفاعة خاصة بأمته ، فتشرب من يد النبي شربه هنيئة لا تظمأ بعدها أبداً))

، أما الشفاعة **الثالثة** : -

((فهي للعُصاة الذين ارتكبوا معاصي كبيرة في حياتهم عملوا كبائر ، فيشفع لهم أن يخفف عنهم ربنا ، وأن يرحمهم)) ،

وأشار إلى أن الشفاعة **الرابعة** : -

((أن تنجو أمته من النار ، يقول كل نبي يوم القيامة يقول نفسي نفسي ، إلا النبي يقول أمتي أمتي ، أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله ، فلا يبقى في النار إلا العصاة شديد العصيان)) .

ولفت إلى أن ، الشفاعة **الخامسة** : -

((هي لمن بقي في النار من أمته ، يا رب اشفع لأمتي من بقي في النار ، فيقول الله يا محمد اذهب واخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) .

وذكر أن الشفاعة **السادسة** : -
((هي شفاعة لناس مخصوصة تخرج من قبرها على الجنة بدون حساب أو عذاب ، يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله فيقول لي الله يا مُحمد هذه أمتك ومعهم ومعهم [٧٠] ألف ، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، فاستزدتُ ربّي فزادني مع كل [١٠٠] ألف سبعين ألف يعني [٤] مليون وتسعمائة ألف)) ﴿١٨٥﴾ .
.
والقضية ببساطة إن للمسلم حسنات ستمحي سيئاته ، هذه الحسنات سيدفع منها للمجني عليه ، بدل ما لحقه من أذى ، أما الكافر فلا يملك ما يعطيه للمجني عليه ، ولذا سيعاقب على ما اقترفه من إثم ،
وماذا بعد ، إذ بقي رصيد آخر والذي نسميه الشفاعة ، وهو رصيد من الحسنات ، يدفعه الشفيع بدلاً عمن يختاره ، وتعال لنفهم القضية بشكلها العادل ، لا بشكلها الاعتباطي ،
(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ **وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ﴿٢٦١﴾ البقرة .
من هنا قد نرى اختلال ميزان العدل حاشا لله ، ولكن كيف ولماذا ؟ وما سرّ هذه المضاعفات ؟ ...
عندما تمتلك ألف دينار وتتبرع بمائة ، وجارك يمتلك مائتين ويتبرع بمائة ، فقيمة ما دفعته ليست كقيمة ما دفعه جارك ، وحين يتبرع أخوك بمائة وهو يمتلك بقدر ما تملكه ، لكنه معيل بعائلة كبيرة ، ومصاب بمرض مزمن يكلفه الكثير من المال فما تدفعه أنت يختلف عمّا يدفعه أخوك ، لذلك فالعدل والحق ، أن يضاعف الله لجارك وأخيك أضعافاً مضاعفة ، وإلا فما العدل في أنكم جميعاً تأخذون الأجر نفسه ، مع اختلاف قيمة الدينار بينكما ، ولأنه تعالى عهد أن يعطيك[٧٠٠] حسنة لكلِّ دينار مثلاً ، فهل من الممكن ألّا يلتزم الله بما عهد لنا به ، ولا يعطيك [٧٠٠] ضعف ، لقاء ما أنفقته أنت وجارك وأخوك ، كما وعدكم بذلك ، وهل من الممكن أن يعطيكم جميعاً ذات الأجر ،
وليكن القارئ على يقين إنه وحاشا لله ،
لولا ما تبقى من الآية (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، لشرخت عدالة السماء ، ولكن يفاجئك من يبحث بالدبوس ، ليجد ما يعلنه حـرباً عــلى

....

﴿١٨٥﴾ - نشرت في بوابة المصري اليوم بتاريخ الثلاثاء [٣٠ / ٠٥ / ٢٠١٧] . شفاعة النبي للبشرية كلها – عمرو خالد .

عدالة الله تعالى ، كما فعل بعض الإخوة من أهل الكتاب ، إذ اتهموا الله -ﷻ- بالمزاجية في منح الأجر لدى الديانة الإسلامية ، ولو تمعَّنوا قليلاً لاستنتجوا أن ما اتهموه به -ﷻ- ، هو عين عدالته ،

وماذا بعد ، وهو أن نذكر المشيئة المشتركة ، فحين يمنحك الله شرف تمثيله في حربه مع أعدائه ، كما جاء في قوله : -

(قَاتِلُوهُمْ **يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ** وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) ﴿١٤﴾ براءة .

فمشيئة الله لمقاتلة المشركين والمنافقين ، تحققت بقيام المؤمنين بقتالهم ، فماذا عن قوله تعالى : -

(إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ** وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿٢٨٤﴾ البقرة .

في الآية أعلاه يمكن أن تحقق المشيئة المشتركة ، لو طلب العبد من الله أن يغفر له وسعى لذلك ، ويمكن أن يطلب لنفسه العذاب ، من خلال الإصرار على الإثم ، وقد يصعب تقبل إن هناك من يشاء لنفسه التعذيب ، والجواب في قوله تعالى :

(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** ﴿٧٥﴾ البقرة .

فمثل هؤلاء ، يعلمون أنهم يحرفون كلام الله ، لكنهم غير مبالين ، وهذا عين من نتحدث عنهم ،

وبالعودة للآية التي تناولناها أولاً : (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، فلو جاءت المشيئة هنا مشتركة ، أي إن الله يضاعف لمن يشاء من عباده ، في الوقت نفسه الذي يشاء عباده من ربهم ذلك ، ونقصد أنَّ المشيئة هنا متعلقة بالله وعباده ،

وقد يكون الفعل ذات الفعل ، لكنه يختلف ثقلاً في الميزان ، فالميزان ذات الميزان ، لكن ثقل العمل اختلف ، كمن ذكرهم الله بقوله :

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ﴿٩﴾ الحشر .

وفي قوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) ﴿٨﴾ الإنسان .

هذا فعل من يشاء من عباد الله أن يضاعف له الله الأجر ، وبهذا يضاعف الله لمن يشاء من عباده الأجر ،
ولندخل الآن في مفهوم الشفاعة وكيفية حدوثها ، والتي لا تختلف أبداً عمّا ذكرناه ، إلا أننا سنبدل المزايا التي ضاعفت الأجر بالمسوغات ، وتعمدنا اختيار مفردة المسوغات ، بدل الظروف والأعذار ، فهناك الكثير كالذين يطلقون على أنفسهم أهل الكتاب ، يفهمون الكلمة ولا يفهمون النص التي جاءت به الكلمة ، لذا فحين يسمع بالمسوغات ، تراه يمتعض لفهمه إن بالمسوغات مرفوضة عند الله لقوله تعالى :
(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ** مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم **بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**) ﴿١٢٨﴾ براءة .
توضح لنا الآية الكريمة ، أن الرسول وبشكل عام ، عزيز عليه ما تعانونه من ابتلاءات ومشقات ، وحريص على الجميع ، حرصاً أشد من أنفسكم عليكم ، واختص المؤمنين بالرأفة والرحمة ،
ألم يفكر المدعو أحمد صبحي منصور وهو يقول ، إن هناك من يعطون الرسول الألوهية إذ يجعلونه شفيعاً عند الله ، أهذا هو مفهومك عن الألوهية يا هذا ، وعليه فعزرائيل مثلاً مؤلّه من قبل الله ، عندما أعطاه من عظيم أسمائه ووكله من عظيم أعماله ، وكذا جبرائيل وميكائيل ، هل يظن مثل هذا ، إن العمل المسند للرسول أو الكرامة التي يمنّ بها الله على رسوله ، هي من باب الألوهية ، لننعم جيداً بقوله تعالى :
(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ** مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) الأنبياء .
إياك وأنت قرب سلفي أو من حصل على شهادة يرى نفسه في قمة الهرم ، إياك أن تعطي أي كرامة لشخص ، نبيّا كان أم وصيّا ، فالسلفية يجهدون في عبادة الله إلى الدرجة التي لا يرون من فرق بينهم وبين الأنبياء ، سوى ذلك الهمس السماوي ، الذي نسميه بالوحي ، وربما لو أن النبوة لم تنقطع زمن النبي محمد ، لكانوا جميعاً أنبياء هذه الأمة ، وهذا الشعور نفسه الذي يختلج في نفوس بعض أصحاب الشهادات ، فكيف إذا كانوا يعتقدون أن النبي كان لا يقرأ ولا يكتب ، وهم يجيدون لغتين أو ثلاثة وربما أكثر ،
سبب تطرقي للحديث عما تقدم ، هو الآية الشريفة في أعلاه ، فما أن يسمع هؤلاء بكرامةٍ لعباد الله ، إلا وأشاروا بها إلى الملائكة ، فهم لن يسمحوا بشخص يتميز

عليهم عند الله ، بالرغم من أن هذا الأمر ، رفعة وكرامة لبني آدم ، إلا إنهم يفضلون أن تكون للملائكة ، على أن تكون لشخص مثلهم ، فأعد قراءة النص في أعلاه ، ستجد أن تعالى في قوله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) ، بين أنه ولد ، أما الملائكة ، فكانت معروفة بأنها أناث ، وأنه تعالى حاشاه ، جعل لنفسه ملائكة بنات ، (وقد فصلنا الحديث عن ذلك ولكن توجب تكراره هنا) ،

ومن ثم أجاب تعالى بجملة عرضية ، ولكن لم يغيّر الصنف ، بل بيّن أنهم عباد من الصنف نفسه ، أي عباد ذكور ، كرّمهم الله كرامة يظنّها الجاهل بأنها صلة نسب بينهم وبين الله ،

(لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) ، ويتضح لنا في الآية التي تليها ، أنهم يملكون القول ، ولكنهم لا يسبقون الله به ، إذ وهم يمتلكون القول ، فهم لا يستنكفون أن يعملوا بأمر الله ، ولكن ما فائدة امتلاكهم للقول ، وهم لا يسبقون الله فيه ، وإنهم ينتظرون القول من الله ،

العبارة الأخيرة هي العبارة التي فهمت خطأً ، فالمعنى في قوله تعالى ، بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أنهم ، ولأنهم يتّبعون الله اتباعاً تاماً ، ويمثلونه تمثيلاً تاماً ، فهم يقولون في الجزء نفسه من أجزاء الثانية التي يقول بها الله ، أي بذات الظرف المكاني والزماني الذي يأذن به الله بالقول ،

لذا فقوله تعالى لا يسبقونه بالقول ، تعني أنهم يقولون ما يقوله في الظرف نفسه تحديداً ، وبمتابعة الآية :

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) ،

في الفهم المتوسط للإنسان ، فيجب أن نتيقن هنا ، من أن المقصود بهم ، عباد من البشر وليسوا من الملائكة ، لأن أقصى ما يفعله الملاك لبني آدم ، هو أن يرفع دعاءه لله ، وأعمالاً خدمية كلّفوا بأدائها ، ومهما عملت الملائكة فلن تمتلك الشفاعة لأحد ، لأنها تؤمر فتنفّذ ، ولا تقوم بالاستحسان في عملها ، فما يقوم به الملاك (س) ، هو عينه ما يقوم به الملاك (ص) ، ما داموا بالأجنحة نفسها ، أي بالصلاحية نفسها ، وقضية أن تدخل الملائكة إلى الجنَّة ، قضية خرافية ، وتخالف الكثير من الروايات وحتى الأحاديث ،

((أن الملائكة تموت ، وهو قول أكثر أهل العلم ، حتى نقل المنَّاوي الإجماع عليه في (فيض القدير) [٥٦١ / ٣] ، ثم إذا ماتوا ، أحياهم الله تعالى قبل الناس ، استدلالا بقوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا **وَجْهَهُ**) ﴿٨٨﴾ القصص .

قالوا : فقد كتب الله تعالى الهلاك على كل ما سواه ، **ولم يستثن أحدا** من خلقه ، فشمل بذلك الملائكة)) ،

طبعاً من المحال على مثل هؤلاء أن يفهموا أن وجه الله ، هو كل من يُمثله ، من ملائكة وعباد مخلّصين ، لذلك ابتكروا فكرة أن الله سيهلكهم ، ومن ثم يعيد خلقهم ، فإذا كان بنو آدم يموتون لانتهاء أعمارهم ، ولطبيعة أجسادهم البالية ، ولأنَّهم ربما سيأتون بأجساد غيرها للحياة في الآخرة ، فما ذنب موت الملائكة ، لأنهم بذلك يقصدون قتل الملائكة لا موتها ، فالملائكة لا تملك أجساداً أو أجساماً تُبلى ،

وقبل أن نُكمل حديثنا عن هؤلاء العباد ، دعونا نبرهن لكم ، المغالطة التي أوقعوا أنفسهم فيها في تفسير الآية من سورة القصص ، وسيجيبهم كلام الله عمّا توهموا فيه : -

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا **مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) الزمر ،

والآن ما قولهم بمن استثناهم الله من الصعق والهلاك ، ألَا ينبغي لهم أن يعقلوا من هم وجه الله ، ومن أريد بهم وجه الله ،

وما سيحسم لنا أمر هؤلاء العباد ، إن كانوا ملائكة أو لا ، هو قوله تعالى : -

(**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ** مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)

فمن هم الذين يقولون ، وإلى من سيقولون ، أسمعت ملاكاً قال إني إله ، أو قال إني لستُ إلهاً ، وعلى افتراض قولهم هذا ، **فلمن** ومن سيسمعهم ، ومن سوف يؤمن بهم ويتخذهم آلهة ،

كل من كانوا يعبدون الملائكة ، لم يكونوا على اتصال بالملائكة ، بل كانوا مجاميع من الجن ، يعمدون لفعل هذا ،

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ **كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) سبأ .

ولا وجود لأيِّ نص قرآني ، يشير إلى أن الملائكة ، من الممكن أن تتكلم مع غير الله والأنبياء ، فمع من ستتكلم الملائكة ، لتقول نحن آلهة من دون الله ،

وإذا كان من الممكن افتراض ملائكة تتحدث بمشيئتها ، فعلى الدين والدنيا السلام ، وارتباطنا مع هذه الآية يكمن في مسألة الشفاعة ،

الشفاعة ، التي أهدروا أهم شروطها ، بما يدعونه ، فينبغي أن يكون الشفيع والمشفوع له **من الجنس نفسه** ، وإلا عُدنا للعدالة الكيفية ، والاحكام الاعتباطية ، ولا نستطيع القول إن الله أعظم من أن يعطي القصاص بيد أولي الألباب ، وأن يعطي القضاء بيد الرسول ، أو أن يجعل أحداً من خلقه خليفة له ، وفق آرائهم ،

ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوافر لدى الشفيع ، هو امتلاكه لحسنات تفيض عن حاجتهِ ، يمكنهُ من خلالها التشفع ، وأن تعرض على الشفيع أعمال العباد والمؤهلين للشفاعة ، لذا جاء الحديث الشريف موافقاً لهذا الشرط : -
((إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) ﴿١٨٦﴾

وعلى من يريد أن يعرف شيئاً عن كنه الله ، يجب أن يعلّق لوحةً مكتوباً عليها ، إن الله لا يقوم بأي عمل من أعمال الدنيا والآخرة ، وهذه هي العظمة ، وليست ، العظمة في ألّا يستخدم خلقه بأعماله ،
فتعالى الله عن التدخل في حياتنا أو مماتنا قط ، بل قضى الأمور كلها ، وقسمها أعمالا بين مخلوقاته ،
(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ﴿٢٢﴾ الحديد .

هكذا حكم الله (جل جلاله) كل شيء ، وهكذا من المفترض أن تكون العظمة للخالق ، على العكس مما فهموا ، وما نسبوا له ، بأنه أعظم من أن يضع شفعاء ، كأن الرفعة لديهم أن يقوم الله بنفسه بكلِّ الأعمال ، فهكذا يفهمون العظمة ، لذا سنقرأ قضية الشفاعة بشكل مُبسَّط ، ولنأخذ أيَّ آيةٍ من آيات الشفاعة ، كقوله تعالى :
(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ﴿٢٥٥﴾ البقرة .
وهذا يعني أن الشفاعة موجودة ، وذاك الذي يقول ، إنَّ جَعْل الرسول شفيعاً عند الله ، هو ضرب من ضروب الألوهيّة ، لم يفهم لحد هذه اللحظة ، أن الشفاعة علاقة بين ثلاثة ، الشفيع والمشفوع له ، والمشفوع عنده ، أمّا أن يكون الله نفسه شفيعاً لعباده عنده ، فهذه تركيبة شاذّة ، ومختلقة ، ومن المعيب طرقها ، والوسيط كما ذكرنا شخص أكرمه الله ، بما أكرمه من حسنات ، حتى فاضت حسناته عن حاجته ، للحصول على أعلى مقامات الجنة ، ولو تكوَّنت العلاقة بين اثنين ، فهذا يعني انتفاء دور الشفاعة والخروج عن مفهومها ، إلى مفهوم التسامح مع العباد ، وهنا نقف على أمر آخر ،
(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا **شَفِيعٌ** لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ﴿٥١﴾ الأنعام .

....
﴿١٨٦﴾ - رواه أبو داود [١٠٤٧] ، والنسائي [١٣٧٤] ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١ / ٣٤) .

وبقراءة مبسطة للآية في أعلاه ، نعلم أنه تعالى ولي وشفيع ، فهل هذه الآية تعد خرقاً لمفهوم الشفاعة التي يجب أن تتكون من ثلاثة أطراف ،
الشفاعة لا تقف ولا توجد ولا تتحقق ، إلا بثلاثة أطراف ، الشفيع والمشفوع له ومن يقبل الشفاعة ، وقد يتغير شخص الشفيع وشخص المشفوع له ، لكنّ من يقبل الشفاعة ، هو الله وحده ، مهما تغيرت الأطراف ،
وفي الآية في أعلاه ، نرى ظاهرها يؤكد لنا أنه تعالى ، هو الشفيع وهو من يقبل الشفاعة ، فكيف نتفهم الأمر ،
ولعلك لم تؤمن بعد ، أن هناك من يمثل الله بأمور عدة ، كولاية الله ورسوله ، ولننعم في قوله تعالى : -
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ﴿٥٥﴾ المائدة .
لاحظ الدقة المتناهية في قوله تعالى ، إذ لم يقل إنما أولياءكم الله ورسوله والذين آمنوا ، بل قال إنَّما وليّكم ، فمتى ما أشار الله للولي ، فهو يعني ذاته المقدسة ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ....
ثم نعادلها بالآية في أعلاه موضوع هذا المطلب ، معادلةً رياضيةً ، ونرى من هو الولي ومن هو الشفيع ، في قوله تعالى :
(لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) ، وبإجراء العلاقة المتعدية ﴿١٨٧﴾ ، نصل للقول بأن الآية موضوع هذا المطلب ستقرأ هكذا :
فليس لهم من دونه ومن دون الرسول ومن دون الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ولي ولا شفيع ،
فبما أن الله هو الولي وهو الشفيع ، وأن الولي هو الله ورسوله والذين آمنوا ... ، فالشفيع أيضاً هو الله ورسوله والذين آمنوا .....
ولا أعتقد أن هناك من هو أدنى من مستوى فهم وتقبل ما طرحناه ، لذا نكتفي بهذا القدر من بيان مفهوم الشفاعة وطرق استخدامها .
أما من يحاجّ في قوله تعالى :
(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ﴿٤٨﴾ البقرة .

....

﴿١٨٧﴾ - في الرياضيات ، العلاقة المتعدية : هي العلاقة الثنائية في مجموعة ما ، حيث إذا كان العنصر الأول مرتبطاً بالعنصر الثاني ، والعنصر الثاني مرتبطاً بالعنصر الثالث ، فإن العنصر الأول مرتبط بالعنصر الثالث - راجع معنى العلاقة المتعدية في الأنطولوجيا العربية .

على عدم وجود شفاعة ، فهو لم يصل لفهم ما يُسمَّى بالمفهوم المخالف للنص ، وعندها يعلم أن هذه الآية جاءت لتأكيد دور الشفاعة ، زد على ذلك ، فإن الآية تتحدث عن عدم قبول الشفاعة لا عدم وجودها ، كما أنها تخاطب بني إسرائيل ، أي قوم معينين كما أشرنا ، وهم الذين لا يؤمن بالشفاعة ، أي حسبهم أنه تعالى : **يخاطبهم بما يدعون هم به ،**

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) البقرة .

فسواء وجدت شفاعة أم لم توجد ، فأنتم لا تؤمنون بوجودها ، فاتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ، وبصيغة أخرى ، يامن تؤمنون بيوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ، فاتقوا ذلك اليوم حقاً ،

فما تبقى لدينا .... الأمر الأهم ، وهو دور الشفاعة في دولة الخلافة ، وهل هناك شفاعة فيما سيقوم به الخليفة ،

= حين أحيى عيسى المسيح الأموات من قبورهم ، فهو لم يقم بإحياء كل أموات الأرض ، وحزقيال الذي أحيا [٣٥] ألف رجل ، بعد موتهم بستين سنة ، واليسع فعل ذلك وأحيا الكثير من الموتى ، فما الذي كان يميّز هؤلاء الذين أحياهم ، عيسى واليسع وحزقيال عن باقي البشر ، هل كانت لديهم حسنات تزيد عن الآخرين ،

لا بُدَّ من أن يكون الجواب بلا ، فأجر الحسنات لا يقبض في الدنيا ، ولا بطريقة الرجوع إلى الحياة بعد الموت ، وإلا عاد الأنبياء جميعاً للحياة متى شاءوا ، وهذه الأمور العظيمة ، لا تنجز بشكل كيفي ، ولا يمكن أن تقبل من دون شفاعة ، لذا فإنَّ كلّ من أحياهم عيسى وحزقيال واليسع ، كانوا يستحقون الشفاعة ويطلبون العمل الصالح ، وهذا ما ميَّزهم من غيرهم بالرجوع إلى الحياة ،

وربما ظنَّ الكثير ممن يؤمنون بالرجعة ، أن من سوف يعود مع الخليفة ، وترد له الحياة ، يستحق ذلك بما قام به من أعمال وحسنات ، ولو صحَّ ذلك فسنجد كل الأنبياء والصالحين قياماً مع الخليفة كما ذكرنا ،

عليه لا بد من أن يمنحوا شفاعة الخليفة ، لأجل العودة والرجوع إلى الحياة ، ومن دونها فلا سبيل لعودتهم ، ومنحهم الشفاعة ستكون كما ذكرنا في المشيئة المشتركة ، أي برضا الله وخليفته ، وبطلب العبد وما صدر عنه من قول أو فعل ، يدل على طلبه أن يحيا في ظلِّ العدالة السماويَّة ، وتحت سلطان خليفة الله ، وهذا ما نجده واضحاً وموضّحاً لدى الشّيعة ، إذ إن لديهم ما يسمى بدعاء العهد ، الذي يطلب فيه الدّاعي أن يشفع له الإمام ليظهر مسانداً ومحارباً معه ،

ويتوسط لله بحقّ محمدٍ وآله -صلوات الله عليهم أجمعين-، أن يقبل دعوتهُ ، ويعد الدعاء بذلك طلباً للتشفُّع ، والتماساً للحصول على شرف الجهاد مع الخليفة ضد أعداء الله وأعداء دولة الخلافة ،

(وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ﴿١٥﴾ المرسلات .

فهؤلاء الرسل ، أُقِّت ظهورهم ليوم الفصل ، ولا يمكن القول إنه يوم القيامة ، فلا غاية تنشد من بعثتهم يوم القيامة ، إنما أقت خروجهم مع خروج الخليفة ، وهم ليسوا من بني البشر فقط ، بل من الملائكة أيضاً ، وممن تخدم الأمر السماوي ، بخلافة من اختاره الله خليفة له في الأرض ،

وهناك أيضاً من الأحياء ممن يطلب الشفاعة لدخول دولة الخلافة ، فدولة الخلافة قد وضعت شروطاً لدخولها ، سواء من الأحياء أم الأموات :

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) ﴿١٥٨﴾ الأنعام .

هذا هو الشرط الأهم والأكبر ، وهو يتكون من شطرين ، الأول النفس التي لم تكن قد آمنت من قبل اِعلان دولة الخلافة ، والثاني لم تكن قد كسبت في إيمانها خيراً ، والشق الثاني هو ما نعنيه ، وهو من ستكون له حاجة للشفاعة ،

مع ذلك فلن تشملهم جميعاً ، فهو ينقسم على شطرين كذلك ، **الأول** من لم يكسب في إيمانه خيراً بسبب أمور مضللة آمن بها ، ولم يجهد لكشف الحقيقة ، وربما حارب دون ذلك ، كما نرى في منهج السلفية ، **والثاني** بسبب تأخره في الإيمان حتى لم يتمكن بالمدة القصيرة ، التي سبقت اعلان دولة الخلافة أن يجني ما يُرشِّحه لدخولها ، وهؤلاء هم فقط ، من ستشملهم الشفاعة ، بما ندعوه ببركة هذا الإيمان ، فالشفاعة ستكون لمن لم يجنِ خيراً في إيمانه لقرب لحظة إيمانه من لحظة إعلان دولة الخلافة ، كما ستكون لمن اسميناهم بأسرى الخليفة ، وهم من أسرتهم ذنوبهم عن الالتحاق بركب الخليفة ، ما لهم غير الشفاعة من طريق للحاق بما فاتهم ، وهذه كل الصور التي يمكننا عرضها للشفاعة ، ودور الشفاعة في دولة الخلافة .

وقبل أن نختم حديثنا عن الشفاعة ، تخيل دخولك للجنة إن شاء الله ، لكثرة حسناتك ، مقابل ما بدر من سيئاتك ، وسواء عوقبت عنها أم لم تعاقب ، فأنت لا تبرح مكانك في الجنة ، خوفاً من أن ترى من سرقته أو شتمته أو جرحته ، لكنَّك حين تدخل الجنَّة ، ويُعرّفك الرسول بأهلها ، ويكون للكلِّ شفيع في سكناها ، سينطبق قوله تعالى : -

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) ﴿٤٧﴾ الحجر .

أي إنَّنا لا ندَّعي بشفاعة الرسول وآله ﷺ لدخول الجنة ، بل حتى في العيش بها ، وختاماً نقول ، إنَّنا جميعاً نعلم بعدل الله وعظمة ميزانه ، ونؤمن أيضاً بأنه تعالى يفعل ما يشاء وما يريد ، لكنَّنا في كل شيء نزن الأشياء ، بما نشاء وما نريد نحن ، والله الذي جعل جارك أعمى وجعلك بصيراً ، تريدهُ أن يعطي لجارك ما يعطيه لك ، وحاشا الله فهناك من يريد أن يقول كما قال المارقة لرسول الله ، اعدل يا محمد ، ليأتي منهم من يقول اعدل يا الله (استغفر الله) ، والحسد الذي بيننا ، هو أعظم دليل على كلِّ ذلك ، وإن لم ينذرنا الخالق بعقوبة جزاء الحسد ، فمن المؤكد أن الحسد سيولد أفعالاً منكرة ، وآثاماً متكررة ، والتي سنعاقب عليها أعظم العقاب ، ولن تجد أي شفيعٍ لحاسد أو حاقد أو جاحد ، لأن هذه الأنفس ، لابُدَّ وأنَّها تخالف نهج الشفعاء من الأنبياء والصديقين .

هذا وإنَّ من يجعله الله -جل جلاله- ، خليفة له في الأرض ، لا يمنع عليه بأن يكون شفيعاً لمن ناصره ، أو يودُّ مناصرته ، والقضية ليست بمنطق البخل والكرم ، بل بمنطق التوكيل ، كما وكّل ملائكته بأعمال عظيمة ، والشفاعة بالنسبة للشفيع ، ليست مجرد مكرمة ، بل عمل يليق بما يمتلكه الشفيع من أداء الأمانة ، فالشفاعة أقرب تصوَّراً للأمانة التي يؤديها الأنبياء بتبليغ رسالاتهم ، ومن ثم ما يسبغ عليهم من مننه وكراماته تعالى ، كقوله تعالى لرسوله : - (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿٦٢﴾ النور .

ولم يقل الله -جل جلاله- شأني أعظم من أن أهب لرسولي بحبوحة التصرف ، والقرار بموجب رأيه وقناعته ، فيعطي لمن يشاء الأذن ، ويمنع من يشاء ، وهي دور من أدوار الشفاعة ، يؤديه الرسول في حياته ، ومثلما يمثل الدعاء ، اعترافاً من العبد بوحدانية الله وقدرته على تحقيق ما يطلبه العبد ، فتمثل الشفاعة ، اعترافاً من العبد ، بمنزلة الشفيع ومقامهُ عند الله ، وما خصَّ الله شفيعه من مننه ، وبهذا فإن من لا يعترف للنبي وأولياء الله بأنَّهم الشفعاء عند الله ، لا يعترف لأي مقامٍ رفيعٍ لهم عند الله ، وحديث الرسول عن عدم انقطاع العمل ، إذا كان للمرء من ولد صالح يدعو له ، فهو طور من أطوار الشفاعة ، وإن قلت ، لأن الأب هو السبب لصلاح أبنه ، فقد جوزي الأب على ما قام به من أعمال بموجب صحيفته ، ثمَّ هل تنكر أن الرسول وآله ، من سبب صلاحنا ، وهم سبلنا لمعرفة الباري عزوجل ، فكيف لا تنكر للأب ، ما يستحقه لصلاح ابنه ، وتنكر للرسول وآله ، ما حققوه من صلاح الأمة ، تلك إذاً قسمةٌ ضيزى ، فتعطون لأنفسكم ما تمنعوهُ للرسول وآله وهم الآباء حقاً لنا بما أصلحوا فينا ، وما هدونا له من دين وخُلُق .

الخطوة الثامنة عشرة

الحكومات الظالمة وليدة الشعوب الفاسدة

هل تعلم بأنَّهُ ، وقبل ما لا يزيد عن قرنٍ ، خرجت مظاهرات في كل أرجاء أمريكا ، تطالب بمنع الكحول ، بعد ارتفاعٍ مشهود ، في جرائم القتل والسرقة وممارسة العنف ضد المرأة وضد الأطفال .

- بوستر حقيقي يعود إلى أيام الثورة الأمريكية ضد شاربي الكحول -

كتب عليها : (الشفاه التي تلامس الخمور يجب ألا تلمس شفاهنا ، أو لا تلمسنا أبداً)

وأبدع الفنانون ، برسم الإشارات التعبيرية الرافضة للخمر ، والمُحقّرة لكلِّ شاربي الخمور ،

(The lips that touch liquor shall never touch mine)

I found this researching **George W. Young's poem** "The Lips that Touch Liquor," a yellowed copy of which was found my 4th Great-Grandfather Rev. Thomas Harper's belongings. It ran in the "Inquirer" which I believe was Philadelphia Inquirer. He passed Oct. 23, 1900, so the clip predates that .

الترجمة : (الشفاه التي تلامس الخمور يجب ألا تلمس شفاهنا ، أو لا تلمسنا أبداً) ، ((أنا وجدت أن قصيدة جورج دبليو يونغ والتي كانت بعنوان [الشفاه التي تلمس الخمور] تم العثور على نسخة صفراء منها ، في متعلقات جدي الرابع الأكبر ، وهو القس توماس هاربر ، تم تشغيله في { إنكوايرر } وهي كما أعتقد فيلاديفيا ، فهي كانت تسمى قبل [٢٣] أكتوبر [١٩٠٠] بهذا الاسم ، لذا فإن المقطع يسبق هذا التأريخ))

هذا ما نشره حفيد توماس هاربر في احدى الصحف الأمريكية ، سنة [٢٠١٨] وهو يتحدث عن جده الرابع ، مؤلّف القصيدة المشهورة [الشفاه التي تلمس الخمور] ،
خرجت النساء في الشوارع كلّهُن صوتٌ واحد ، ووصل شعارهن : « الشفاه التي لامست الخمر لا يحق لها لمس شفاهنا » ، إلى آذانِ الحكومة الأمريكية وقادتها وأجبروهم على النظر إلى مطالبهنَّ ،
وفي سنة [١٩٢٠] تم حظر الخمور في أمريكا ، بقانون فيدرالي يحظر بيع وتصنيع ونقل المشروبات الكحولية تماماً ، وحمل اسم «**قانون فولستيد**» – قانون رقم [١٨] نسبة لأندروا فولستيد ،،، رئيس مجلس القضاء ، في مجلس النواب ، وأثار القانون جدلًا واسعًا في الولايات المتحدة ، فالمؤيدون وصفوا الحظر بالتجربة النبيلة ، وقدموهُ بوصفه انتصاراً للأخلاق الحميدة والصحة العامة ، فيما اتهم المعارضون مؤيدي الحظر بفرض توجهات بروتستانتيَّة ريفيَّة على أبناء المدن ، ذاك اليوم تحوَّلت الشوارع الأمريكية إلى أنهار من الخمور ، فالأمريكيون يرمون زجاجات الخمر في الشوارع ، والكازينوهات تحمل الفؤوس وتضرب البراميل وتسيلها على الأرض ،
حال دخول قانون رقم [١٨] حيز التنفيذ ، تسبب في نتائج كارثيَّة على الاقتصاد الأمريكي ؛ إذ أُجبرت مصانع المشروبات الكحولية ، على إتلاف منتجاتها وإغلاق أبوابها ؛ وقد أسفر ذلك عن تسريح العديد من العمّال ؛ مما تسبب في تزايد نسبة البطالة ، وهذا كله بسبب اعتمادهم على هذه الصناعة ، وهجرهم للزراعة والصناعات التي يرن أنها متعبة ، ولا يحدون منها ما يحصدوه من معامل الخمر ، وبسبب غياب المشروبات الكحولية ، أفلست العديد من المطاعم الأمريكيَّة وأغلقتْ أبوابها ، وطوال مدة العمل بالقانون رقم [١٨] خسرت الولايات المتحدة الأمريكية حوالي [١١] مليار دولار ، على شكل ضرائب ورسوم جمركية ، كانت تفرض سابقًا على المنتجات الكحوليَّة ، أي ما يعادل هذا المبلغ مضروباً في مائتين أو ثلاث مائة ، لو أردنا قياسه بالوقت الحاضر ، فضلًا عن ذلك أُجبرت الإدارة الأمريكية على إنفاق ما يقرب من [٣٠٠] مليون دولار ، من أجل تدعيم قرار ، حظر المنتجات الكحوليَّة ،
لكن تُجَّار الخمور ، لعبوا مختلف الألاعيب لإرجاع تجارتهم ، ونشــروا فـلسفة (لتحد من ظاهرة الخمر والمخمورين عليك بإباحته أولا) ،
(وأن منع النفس عن شرب الخمرة ، هو ما أراده الله لنا من اختبار ، وإلّا لما خلق تلك البكتريا لصناعتها [بكتريا أيْ أيْ بيْ]) .

وما أن رُفِعَ الحظر عن صناعة الخمر ، حتَّى تمَّ بيعه بأرخص الأسعار ، لتشجيع شراءه وتسويقه ، وبدأ التجار يتدخلون ، حتى في إنجاح ترشيح أعضاء مجلس النواب المؤيدين لصناعة الخمور ، فيما شهد المعارضون اِسقاطاً سياسياً وحتَّى اجتماعياً ، ليتخلَّصوا من فكرة إعادة حظر صناعة الخمور ، ولتغرق أمريكا بآلاف المعامل المنتجة ، والأسواق المستهلكة لكلِّ أنواع الخمور ،

وبهذا انتهت محاولة الشعب ، لتطهير حياتهم من رجس الخمور ، بدافع الطمع والمكاسب السريعة ، من قبل القسم الأكبر منهم ، وبدل أن يجدوا مصادر للعيش والعمل ، الذي يغنيهم عن بيع وإنتاج الخمور ،

وكما استجابت الحكومة لأصوات الداعين لمنع صناعة الخمور ، استجابت بعد ذلك للأصوات الأشدّ قوّة بإعادة صناعته ،

وعليه يمكننا القول ، إن الحكومة لم تستخدم صلاحياتها ، لفرض ما لا ينسجم مع ميول شعبها ، بل استجابت لمطالبهم ، مرَّة بغلق مصانع الخمور ، ومرة أخرى بفتحها والعودة لبيع وتصنيع الخمور ،

نتعلّم من هذه الخطوة ، أنه لا ينبغي أن نؤمن ، أن كل ما يريده الشعب ، هو تعبير ديمقراطي ، ولو كان هذا هو التعبير الديمقراطي ، فالديمقراطية (حكم الغوغاء) ، كما قال سقراط ، وهذا هو السبب ، لو كنت تسأل ، لماذا لم تعترف دولة الخلافة بالديمقراطية ، ولن تجعل من الديمقراطية مفهوم من مفاهيمها ، سواء كان أغلبية مواطني الدولة من مناصري الخليفة أم من أعدائه ، وطبعاً نحن نقصد بدولة الخلافة ، في فترة ما بعد إنشائها ،

ونفهم من هذه الخطوة ، بأن الكثير من الاتهامات التي وجِّهت للحكومات الظالمة ، كان سببها الشعوب الفاسدة ، ومن الطبيعي أن قادة الحكومة هم من أفراد الشعب ، وثقافاتهم ومبادئهم هي من ضمن ثقافات ومبادئ باقي الشعب ، وعلى كل ذلك ، نفهم أن دولة الخلافة ، لا تميل لمطالب الشعب المخالفة لدستور السماء ، لكنَّها قطُّ لن تتخذ من الدكتاتورية والاستبداد نظاماً لها ، لأنَّها لن تختار الشعب المخالف لنهجها ، وبالتالي فلن تدخل الدولة مع شعبها في صراع لتحقيق أي مطلب من مطالب الشعب ، ولا الشعب مع الحكومة لتنفيذ حُكم من أحكامها ، وبما إن الحكومات الظالمة وليدة الشعوب الفاسدة ، فلا بد أن الحكومات العادلة ، تصنع الشعوب المتقدمة ، وهكذا يغير الله ما بقلوب عباده ، باختيارهم للعدل والإنصاف على الفساد والجور ، فأنت ممن يصلح المجتمع ، وأنت ممن يفسده ، ولا تتكل باختيار الشعب وتوجهاته ، في الإقدام والاحجام ، بل اتكل من وكَّلَهُ الله -جل جلاله- بأن يُمثِّلهُ خليفة لهُ .

الخطوة التاسعة عشرة

التقية في نهج الخلفاء

هل سيستخدم الخليفة الأول التقية

قد يُفاجأ بعضهُم حين يعلم ، أنَّ التَّقية باب من أبواب الرحمة لعباد الله المضللين والمخدوعين أكثر من كونها ، أماناً للمؤمنين من الكافرين : -
(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ) الدخان .

من صور التقية ما جاء في سورة الدخان ، ولكن إذا ما كانوا مُغرقين ، فعلام إذاً التقيَّة ، ولماذا لم يخطفهُم البحر وهم في منازلهم ، أو عذاباً آخر مما عزز به الله نبيه موسى -عليه السلام- ، بدلاً من الخروج ليلاً ، خشية آل فرعون ،
الجواب : نقلتهُ الروايات ، مِنْ أنَّ انفلاق البحر بعصى موسى ، أدَّى إلى تراجع المئات وربما الآلاف من جند فرعون ، لما شهدوه من معاجز ، انتهت بالنسبة لهم بانفلاق البحر ، وهذا يعني أن خروجهم ليلاً ، كان له أثر إيجابي للمضللين من جند فرعون ، وهذا يعني أن التقية أسهمت في انقاذ الكثير من العباد ، من أن تكون نهايتهم كنهاية فرعون وجنده المغرقين ، وأعطت حجة أخرى وزمن آخر لفرعون ، وهكذا فإن نوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- بدلاً عن الرسول -صلى الله عليه وآله- ، أدى إلى حماية العرب من أن يكون مصيرهم كمصير أجدادهم من قوم صالح وهود ، فلوا أنَّهم استطاعوا قتل الرسول الكريم ، لخسف الله بالقريشيين الأرض ، وافناهم كما أفنيتْ تلك الشعوب من قبل ،
لذا فإن التقية سُنّة الرحمة على العباد ، وزيادة في أن يملي الله للجاحدين والطاغين ليزدادوا إثماً (آل عمران- ﴿١٧٨﴾) ، بعد أن أعطى فرصة للمضللين منهم ، ليكتشفوا الحق حقّاً ، وحال دون أن يكون الصراع أكثر دمويّة ، بأن اعطى فرصة أخرى للجميع ، فللتقية أثرها حتى على اختبار إيمان الفئة ، التي تدعي الإيمان بالله ونبيهم ، ومن المحال ألّا يكون للتقية أثرها في الأيام الأولى من الظهور المبارك ، حتى مع الإيمان بالكثير من الروايات ، التي تتحدث عن المعاجز المرافقة للظهور ، فالتقية ليست عجزاً أو ضعفاً ، كما زعم خدام السلاطين ، بل من سُنَّة الباري -عز وجل- ، ومن عظيم قدرة الأنبياء والأوصياء ، على القيام بسُنَّة الله ،
ولمّا كُنَّا قد تحدثنا عمّا يسمى لدى الشيعة بالبداء ، فإنَّنا هنا نوضِّح أن **جوهر البداء** هو **التقية** ، فإذ أبدل الله -جل جلاله- ولادة المسيح المُنتظر ، بأمّهِ الصديقة مريم ، فهذا يدل على استعمال التقيَّة ، ولو كان هنالك من يعجب من استعمال

الله للتقية مع خلقه ، فالعجب ألّا نفهم من أن التقيَّة ، هي من أعظم أبواب الرحمة على عباد الله بشكل عام ، وعلى المضللين منهُم بشكل خاص ، ورُبَّما شمل اختبار بعض من المؤمنين وكشف مرضى القلوب والمنافقين ، ممن يدخلون الأديان لتحقيق الأطماع الشخصية ، أمّا لمحاربة الدين من الداخل ، أو للتوصل لمناصب رفيعة في أمّة ذلك النبي ، وسبق وأن مررنا بالسؤال القائل ، كيف للخليفة استعمال التقية ، بالرغم من عظيم المعاجز التي عززه به الله ، لكنَّ هناك من تناسى إن سُنَّة الله لا تتبدَّل ولا تتحوَّل ، ولو لم يستعمل الخليفة التقيَّة ، فكأنه -عليه السلام- خالف منهاج الله ، وبالتالي سيتسبب بهلاك الكثير من العباد ، وهو القادم لإنقاذهم وخلاصهم ،

((روي عن جابر قوله : قال الإمام أبو جعفر -عليه السلام- عن قوله تعالى : -

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) ﴿٢١٠﴾ البقرة .

قال ينزل في سبع قباب من نور ، لا يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة)) ﴿١٨٨﴾ .

وهذا يعني أن الخليفة ، سيُفعِّل التقيَّة ، ابتداءً من اللحظة الأولى لمجيئه ، مع هذه الكوكبة التي هو فيها ، لأنَّهُ سيدخل في صراع مع أكبر القوى العالميَّة ، والتي ستُعْتبر حربها مع الخليفة ، حرب وجود ،

ولدى البحث في قول الباقر -عليه السلام- ، فهناك من قال ، إنها اشارة لطائرات ، لأن الطائرات تُناطح الغمام ، ويمكن أن تكون مُضيئة في السماء ، وقد نحتمل أن المقصود بالقباب السبع ، أضرحة الائمة المعصومين في العراق ، لكونها على شكل قباب من نور ، تسطع كنور الشمس ، لكونها مطلية بالذهب ، ومعنى ينزل أي يحل بها ويسكنها ، خاصة وإن مقامات المعصومين في العراق ، هي سبعة أيضاً ، بما فيها مقام المهدي -عليه السلام- ، ولربَّما عابَ هذا الرأي ، أن السبع قباب جاءت لتفسير قوله تعالى : (فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) ، إلّا إذا اعتبرنا إن ظُلل الغمام ، نوع من الأجهزة الحديثة ، التي تشوش أجهزة الرادار وكاميرات المراقبة ، وبذلك يكون أقرب للقول ، وأكثر علميَّة ودقَّة ، وعلى العموم فالأمر لن يتخطى هذه الآراء ، أو يكون قريباً جداً منها .

وما لا يمكننا تخطيه ، هو دور التقيَّة في نهج الإمام القادم ، ابتداءً من غيبته ، حتى ظهوره ، ومن ظهوره حتى استتباب سلطانه ، فقد روي عن الرضا -عليه السلام-

....

﴿١٨٨﴾ – تفسير محمد بن مسعود العياشي ج{١} - ص[١٠٣] .

: ((لا دينَ لِم لا وَرَعَ له ، ولا إيْمَــان لِمَن لا تقيَّة له ، إن أكرمَكُم عندَ الله أعمَلكم بالتقيَّة ، فقيل له : يا ابن رسول الله إلى مَتى ؟ قــال : إلى يوم الوقت المَعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت ، فمَن ترك التقيَّة قبل خروج قائَمنا فليس منَّا ، فقيل له : يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت ؟ قال الرابع من ولدي ابن سيدة الإمَاء ، يُطهِّر الله به الأرض من كلِّ جور ، ويقدِّسها من كلِّ ظلم . (وهو) الذي يشكُّ الناس في ولادته ، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه . فإذا خرج أشرقتْ الأرض بنوره ، ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يُظلم أحد أحدا . وهو الذي تطوى له الأرض ولا يكون له ظل . وهو الذي ينادي منادي من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول : ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه ، فإنَّ الحقَّ معهُ وفيه . وهو قول الله عز وجل : إن نَشأ نُنزل عليهم من السماء آيةً فظلتْ أعْنَاقهم لهَا خاضعين)) ﴿١٨٩﴾ .

ومن هنا ، قد يتبادر إلى الذهن ، أن التقيَّة ستنتهي بمجيء الخليفة ، لكنَّ الحقيقة ، ومن واقع الروايات ، أنَّها ستنتهي في بعض الأمور ، وتستمر في بعض الأمور ، وتنشأ في أمور أخرى ،

ومن المؤكد ، إن ما جاء من تشديد على ضرورة التقيَّة ، لن يبدلهُ ظهور الخليفة ، بل يؤكِّده ، حتَّى ترتفع شيئاً فشيئاً ، مع استقرار الوضع الأمني في الدولة ، وبعد الحفاظ على ارواح العباد ، من الموالين والمناوئين لخليفة الله ، فالتقيَّة باقية ، بقاء منهاج الله في وجوب الرحمة ، فقد كتبها الله كما كتب على نفسه الرحــمة ، وإن أول ما طبقه الرسول الأعظم من سنة الله مع أعداء الله هي التقية ، إذ بقيت الدعوة سريَّة ، حتى أذن له الله -ﷻ- بإعلانها ، وهذا بالضبط ما فعله عليّ بن أبي طالب -ؑ- ، باستعماله التقيَّة مع من حرقوا باب بيته ، لإرغامه على التنازل عن خلافة الرسول لآخر ، لم يوص له ،

هذا كلهُ من حيث روايات الشيعة وما يؤمنون به ، أمّا أهل الجماعة ، فيرون التقية ضعف ومسكنة ، ولا يناقشون قيام الرسول بالهجرة سراً ، أو كون الدعوة كانت سراً لمدة تقارب [٣] سنين ، لأن أهل الجماعة ليسوا بحاجة للتقية ، بعدما استولوا على مقاليد السلطة ، وكانوا يتمنون تحريم التقية ، ليظفروا بكل شيعيٍّ فيقتلوه ، لكن الجميع يعلم من خلال قصص الأنبياء ما للتقية من مكانة .

....

﴿١٨٩﴾ - كمال الدين : ص [٣٧١] ب [٣٥] ح [٥] - حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني -رض- قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد قال : قال علي بن موسى الرضا -عليهما السلام- .

الخطوة الأخيرة

سمة الدخول

ما يجب وما لا يجب في انتظار الخليفة

كيف لي أن أطلب من الله ظهور الخليفة ، وأنا أعلمُ أن كلَّ شيء بيد الله تعالى ، إن شاء أظهرهُ وإن شاء منعه منّا ، وهل طلبي واجب أو مستحب ، ورُبَّما لا هذا ولا ذاك ، وإذا كان يوم الظهور أشبهُ ما يكون بيوم القيامة ، فهل عليّ بالمحصلة أن أدعو الله بحلول يوم القيامة ،

بدايةً نقول ، لماذا ندعو الله ، ولماذا يطلب منّا الله أن ندعوهُ ، وهو يعلم ما في قلوبنا ،

وقد مرَّ علينا الجواب : فالدعاء اعتراف بالوحدانيَّة ، واعتراف بقدرة الباري -عزّ وجلّ- على أنَّهُ تعالى القادر على تحقيق ما تطلب ، وبأنك كعبدٍ تلجأ إليه ، دون استعلاءٍ منك ، ودون أن تتكبر من أن تتصاغر لتطلب منه ،

وبهذا فالدعاء لظهور الخليفة ، هو إقرار بأيام الله ، وبالتالي فهو إقرار منك بالوحدانيَّة ، وإقرار منكَ بحق الله أن يحكم أرضه من خلال من اختارهُ مُمثِّلاً لهُ ، وإقرار منك ببغض الظلم والجور الذي ملأ العالم ، وإقرار منك بحبك وشغفك للعدل القادم ، على يدي الخليفة ، وإقرار منك بمناصرة الخليفة ، وتعهد منك بمساندة دولته ودعمها ، وإقرار منك بالتبرئة من كلِّ الحُكام الظلمة والطُغاة ، وإقرار بالآيات والأحاديث الشريفة التي أتت ببشارة الظهور ، بعد أن فهمتها كما ينبغي وأدركت حكمتها ، وإقرار بتخليك عن بهرجة الدنيا وملذَّاتها ، وإقرار منك بالالتفات إلى الآخرة والسعي لها ، وأخيراً نرى أهمها ، إقرار وإيمان بالغيب ، فكل الغيب الذي أمرنا الله أن نؤمن به ، لا يُمكن طلبه ، فلم نر من أحد طلب أن يقبل علينا يوم القيامة أو أن يرى الملائكة ، أو ما إلى ذلك من الغيبيات ، لكنَّ يوم الظهور ، **ينفرد** بكونه الغيب الذي يُمكن **أن نطلبه** ، وبالتالي ، فالإيمان والدعاء بالظهور ، هو إيمان بكلِّ الغيب ، الذي سيُمثَّله الظهور .

كلُّ هذا في الدعاء الذي تدعوهُ في الظهور ، ولكنْ عليك أن تفهم ما تقدم وتعقله قبل أن تدعو ، لتعرف ما أهمية دعائك وما ينضوي عليه دعائك من أمور ،

وإن من يرجو مجيء يوم القيامة ، عليه أولاً ، أن يرجو ظهور الخليفة ، لأنَّ ظهور الخليفة ، دليل اقتراب يوم القيامة ، ولأنَّ يوم القيامة لا يمكن أن يحلَّ علينا ما لم نر يوم الظهور ، بدليل قول الرسول الكريم الذي مر بنا مراراً وتكراراً ، أن لو بقي في الدنيا يوم واحد لظهر من ولد الرسول الكريم من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ونعلم أن الفرق بين القيامة والظهور ، فرق عظيم وكبير ، فالقيامة بعد فناء الخلق

، أمّا الظهور ففي حياتنا الدنيا ، وحيث يكون لكلٍّ منّا دوراً ، سلبياً أو ايجابياً ، وذلك في أن تُمْلأ الأرض عدلاً وقسطاً ،
وتأسيساً على ما تقدم ، فيجب أن أرجو الله بأن تُملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ولكن ذلك لن يكون بالدعاء ، فإنَّك لو اكتفيتَ بالدعاء ، أكتفى الله أن يعطيك أجر ما دعوته فقط ، دون أن يجيب طلبك ، لأن شرط إجابة الله لطلبك ، أن تعدل أنتَ في كل شيء وبكل شيء ، مع الزوجة والأولاد ، مع من تحت إمرتك ومن أنت تحت إمرته ،
وهذا القول يخالف قول الفاسدين ، الذين يدَّعون أنَّ بنشر الرذيلة سوف يتحقق الظهور ،
ولكي تُحقق العدل ، يجب أن تفهم العدل ، كأن تفهم حب الله لعباده مع حبه لنشر دينه ، فقضية العدو أمامكم والبحر وراءكم ، يقولها القوم للمفاخرة ، لكنَّها من خصال الجاهلية ، ومن طباع الطواغيت ، فالداعي لهلاك العباد من أجل نشر الدين ، كالداعي لهلاك الدين قبل العباد ،
فما يجب في انتظار الخليفة ، أن ننشر العدل الذي يدعو له هو ، وبالطريقة التي يدعو بها هو ، وبذلك تتخذ وظيفتك في دولة الخلافة ، أي ما يجب عليّ وعليك في انظارنا لخليفة الله ، أن نريه وظيفتنا وقدرتنا على أداء الأعمال التي سيكلفنا بها ، ابتداءً من الاتزان في معاملة الزوجة ، واحترام الأبوين ، ورحمة من هم تحت رعايتنا ، مروراً بالإحسان وعدم خسارة الميزان ، والنظر في كل صغيرة وكبيرة من شأنها ، أن تثبّت عدلك الذي ترجو من الله أن يُنشر ،
فهذا ما أرادهُ الله منّا ، لا الغزو والتكفير والقتل ، فما أهون على الله أن يهلك قرية لو أراد ،
لكنَّه تعالى يحب عباده ، ويريد أن يدعوهم لحبِّه ، ولم يخلقهم ويدر معايشهم ليهلكهُم ، لذا أرسل الأنبياء ، فما لك لا تكون وكيلاً لأنبياء الله ، بأن تهدي عباده له ، لا أن تغزو قرية لتنهب ممتلكاتها ، فلست عند الله بأكرم ممن غزوته ، لولا أن تيسر لك من يهديك ، فبخُلتَ أن تهدي غيرك ، فحين يرزقك الله مالاً وفيراً ، عليك لأجل شكر الله وحمده ، أن تتصدق منه على الفقراء والمحتاجين ، فقد رزقك هداه ودينه الحق وعليك نشره ، بكل رحمة وتواضع ، لا باستعلاء واستكبار ،
ولتترك منهج الزمر الجاهلة ، التي تُصعِّر خدها للناس ، فهكذا جاء في كلام لقمان الحكيم ، الذي ورد كآية قرآنية :
(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) ﴿١٨﴾ لقمان .

((للناس)) هكذا يأمرنا الله ، فما يقوله لقمان هو منهج الأنبياء ، ومنهج الأنبياء هو منهاج الله -جل جلاله- ،
والناس هم المؤمن والكافر ، والكافر هو المؤمن لو أنَّك استطعت هدايته ، إلّا الجاحد والمعاند بعد طول المحاولات ، فما عليك منه في شيء ،
(لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ** يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ﴿٢٧٢﴾ البقرة .
وليس عليك هداهم ، أي لن تحاسب على عدم وصولهم مستوى الهداية ، فقد أنفقت عليهم ما يكفي من الوقت والجهد لتهديهم ،
وطبعاً أهل الشعث من المفسرين ، لمّا رأوا الآية التي تسبقها وتليها ، تتحدث عن النفقات والصدقات ، اتهموا الرسول بأنه كان لا ينفق من مال المسلمين على المشركين ، والله يريده أن ينفق عليهم [أوضحناه في مبحث سابق] ، فلم يفقهوا بعد ، أن [ما تنفقوا من خير] هو بذل الوقت والجهد لهداية الناس ، وما ينفق من كلام طيب ولين في التعامل والرشد ،
فانظر ما جاء في تفسير الطبري ص[٤٦] لهذه الآية :
((قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام ، فتمنعهم صدقة التطوع ، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها ، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له ، **فلا تمنعهم الصدقة** .
[٦٢٠١] - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : **كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين** ، فنزلت - وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله – **فتصدق عليهم** ،
[٦٢٠٥]– حدثنا المثنى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير ، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ، فنزلت **: - ليس عليك هداهم**)) ،
وعلينا هنا الانتباه ، كيف أنهم – جماعة المفسرين – يعرفون جيداً أن أمر الله لنبيه ، يعني أمره لأمَّته ، لكنَّهم في مواضع أخرى ، وحين تكون الإشارة لما يكرهون من أفعال ، فهم يتنصلون عن أن يكون الخطاب لهم ، بل ينسبونه لنبيهم -صلى الله عليه وسلم- كقوله تعالى [عبس وتولى] ، بغض النظر عن قول الشيعة من أنَّه عثمان أو غيره ، أو قوله تعالى [ووجدك ضالاً فهدى] ، فكلّ تلك الخطابات وما دامت تُسيء

لنبيهم ، فهم يوجهونها إليه -ﷺ- ، وما عداها ، فهُم يقرون بأنَّها تعني أمّة الرسول ، وحتَّى هُنا لم ينسبوها دون أن يشركوا الرسول ،
والمهم أن نعلم ، أن منهج الحق لو كان يدرك بهؤلاء ، لما مُلئتْ ظلماً وجوراً ، ولمَا كان هناك من داعي لظهور الخليفة ، فظهوره يؤكّد أن الرسول الأعظم ، ترك فينا الثقلين ، كتاب الله وعترته آل بيته ، لكننا لم نكترث لوجودهم ،
كمن ينشأ مدرسة ، فيها المناهج الدراسيَّة ، وفيها الأساتذة من المتخصِّصين في تدريس تلك المناهج ، ولا نفع بمن يُنشأ مدرسة تخلو من أحد الأمرين ، كما لا نفع في أن تعلم العدل ولا تعمل به ، أو أن تفهم العدل على وفق ما تريدهُ أنت ، أو ما يريده خدم السلاطين ، فما أوقع إبليس فيما هو فيه ، هو عدم اتخاذه لولي له في الدين ، وحين عيَّن له الله الولي من بني آدم ، رأى في جنسه الأفضليَّة ،
وهذا بكل اختصار ما يجب وما لا يجب في انتظار الخليفة ، ما يجب من أن نتخذه من مواقع منذ هذه اللحظة ، وما لا يجب من اتباع من هم أدنى من أن نتبعهم :
(قُـلْ هَـلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ **قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ** أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ﴿٣٥﴾ يونس
والله يهدي للحق تعني أن منهج الأنبياء والأولياء من آل بيت الرسول ، هو منهج الحق ، إذ كيف لنا أن نرى هُدى الله إلّا من خلالهم ، فهُم الله من حيث شريعته ، وهم عباد الله من حيث إنَّهم مخلوقاته ،
وإذ وعدنا الله تعالى أن يلتقينا ، وحاشاه أن يلتقي بنا ، أو يحلّ معنا بذاته ، إنما لقاؤنا به سيكون عن طريق أنبيائه وأوليائه ، وقد مرّ بنا الحديث عن أنَّه سبحانه علم عجزنا عن اِدراكه ومعرفة كنهه ، فتمثل لنا كمنهجٍ للعدل والإنصاف والمثل السَّامية ، وهذا ما يُهمنا بوصفنا خلقاً ، وعن طريق من خلقهم تحددتْ الوجهة الصحيحة والطريق المستقيم الأقرب لمعرفة الله وإدراك رضاه ،
فلنفترض وجودك جنوب الكعبة ، فمن الطبيعي أن تتجه نحو الشمال لتصلي حتى تكون وجهتك للكعبة ، فيكون بعدك عنها مساوياً لبعدك الحقيقي عن الكعبة ، لكنك حين توجه وجهك جنوباً لتصلي ، فتكون الكعبة خلفك ، على أساس أنك بالنتيجة ستكون مواجهاً للكعبة ، أيْ لو مددنا خطاً مستقيماً من نقطة صلاتك حول الكرة الأرضية ، سنصل بالتأكيد إلى الكعبة ، وذلك بعد أن اكتملتْ دورة كاملة تقريباً حول الأرض ، منقوصاً منها بعدك الحقيقي عن الكعبة ،
فالاتجاه الأقرب يمكن تسميته سبيل الله ، وهي وجهتك شمالاً لتكون الكعبة أمامك ، وعكسه هو بُدع السبيل إلى الله ، فمن الناحية العمليَّة كما مرّ بنا ، تكون وجهتك للكعبة صحيحة بما أن الأرض كرويَّة ، ورُبَّما قيل إنك بالاتجاه الأكثر بُعداً ستمر بصلاتك على أقطاب الأرض ، والبقع المباركة ، وبهذا تنشأ البدعة ، وتجد

من يعقلها ، ومن تنسجم وتطلعاته ، فقوم طلب منهم الله فقط ، أن يدخلوا الباب سُجَّداً ويقولوا حطّة ، فلم يفعلوا ، فلا تعجب بعد ذلك من أيِّ انحراف لبني آدم ،

وفي الغالب ما تكون البدعة على أساس الخير والأفضل ، كتفسيرهم قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) ﴿١٨٤﴾ البقرة .

بأنَّ من كان على سفر ، فخير له أن يصوم ، وباستخدام طريقة قياسهم ، فمن صلَّى إقامة ، بدلاً عن قصر صلاته ، فهو خير له ، وصيام الحائض خير لها ، وهكذا تتوالى البُدع ، باسم الخير والأفضل ، كصلاة التراويح جماعة ، والإقرار بدل التبني ،

ولكنه تعالى أردف الآية أعلاه بآية أخرى : -

(وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ﴿١٨٥﴾ .

فأين إن تصوموا خير لكم ، لو كان القصد فعلاً ، يشمل الصيام في السفر ، إنَّما يقول سبحانه ، أريد لكم اليسر ولا أريد بكُم العسر ، وهذا اليسر ، قدّره الله لنا ، وإنْ رأيتَ قدرتك على إتمام الصيام في سفرك ، أمّا لمن لا يطيقه فتقديره لمن لا يطيق الصيام ، وكثيراً ما أسمع امتعاضاً من المسافرين ، ورأيهم بإتمام الصيام ، ولو ألزمه الله علينا لضجرنا ، فما يزعجك أن تلتزم بالسماح ، ما دام مباح ، ومن لا يختار ما يسّرهُ الله لنا ، سيختار لنفسهم العُسر ، في دنياه وآخرته ،

ومن قبيل الالتفاف على النصوص القرآنية ، والأوامر الربَّانيَّة ، فيسوُّل لهُم الشيطان اِتباع أهوائهم ، والتشريع بدلاً عن الله -جلّ جلاله- ، ولو كانوا بدلاً عن إبليس ، لمَا سجدوا لآدم بحجة أنهم لا يسجدون إلّا لله ، وهذا ما نحن فيه ، منذ أوّل الرسالات السماويّة ، وكيف يمهِّد الشيطان للكثير مِنَّا الخروج عن منهاج الله ، حتى بحجة الأتباع الأفضل لمنهاج الله ،

ومن يريد ظهور العدل الإلهي ، فعليه أن يُجنِّد نفسه لنشر العدل ، لا لنشر الرذيلة ، وما أن يجهد ، فسيدخل دولة العدل الإلهية كمواطن فعّال بعدله وإصلاحه ،

وفي اللحظة الأخيرة ، لحظة ما قبل دخول بوابة دولة الخلافة ، عليك أن تخرج من صدرك كُلَّ الممنوعات ، فهناك جهاز لكشفها شبيهاً بجهاز كشف المعادن ،

ما أن يتحسس بوجود أي نوع من أنواع الممنوعات ، ولو بنسبة ضئيلة جداً ، فسيعلن عدم دخولك ، كالقليل من الشرك ، وهو أن تحبَّ عدواً من أعداء الله أو تستهويك أفعاله أو أقواله ، ولو على أساس عدو آخر ، فيعجبك فعل عدو على أساس ما قام به ضد عدو آخر ، كأنْ تعجبك أفعال أو أقوال فرعون أو هتلر مثلاً ، كُرهاً منك للكيان الصهيوني ، أو أن تمجِّد عدواً لله تاريخياً كحمورابي ونبوخذ نصر ، على أنَّهُما يُمثِّلان تقدُّم الحضارة لشعب الرافدين ، فما ترك حمورابي في مسلّته ، إلا أحكام تُعادي الله والبشريَّة ، والقوانين الجائرة التي تركها دليل جبروته واستعلائه ، كذا مودّة أعداء الله بدوافع قوميَّة أو وطنيَّة ، ولرفع اللبس الذي من المُمكن حصوله في حديثنا عن القوميَّة والوطنيَّة ، فكلامنا جدٌّ لا يعني الطعن بالروابط القوميَّة والوطنيَّة ، بل في تقديم تلك الروابط على رابط الدين ،
لذا ستكون شخصيَّة الداخل لدولة العدل ، شخصية المتصالح مع نفسه بعد أن روضها ، والمتخاصم مع أعداء الله بعد أن حددهم ، لا ذلك المتصالح مع كل الناس إلى درجة النفاق ، والمتخاصم معهم إلى درجة الحقد والشقاق ،
ونأتي الآن لأمر في غاية الأهمية ، وهو المُتعلّق بشخص من يريد الدخول لدولة الخلافة الإلهية ، هل ينبغي أن يكون بمستوى العالم المُتفقِّه ، أو المُتعلِّم على سبيل النجاة ، أو يُمكنهُ الدخول وإن كان لا يفقه شيئاً ،
الأساس أن دولة الخلافة ، لا تناصر أو تعادي أحداً من الخلق ، على أساس حصيلة فقهه وتعلّمه ، بل على أساس طلبه للعدل الإلهي ، ومودته لله ولرسوله وآله ، وقدرته على الإنجاز لأمر ما ، من أمور بناء وقيام الدولة ، بعد الدفاع عن طلعتها الأولى ، وحمايتها وتدعيم الأمن فيها ،
ولكن من يريد أن يكون مناصراً لدولة الخلافة ، وجندياً من جنودها ، فلا يمكن قبوله إلا بشرطين لا يمكن الاستغناء عنهما البتة ، على الرغم من تحليه بصفاة العبد الصالح ، وسعيه للوصول للمنهج الحق ،
الأول : وهو تعرفهُ على من عادى الرسول وآل بيته ، ومن ناصرهم ونهج نهجهم ، مع أن سعيه للوصول للمنهج الحق ، لابد وأن بيّن له ذلك ، وإنَّه إن لم يعرف ، فلن يتعرف على الخليفة ابتداءً ، ولن يساير عدله وأوامره ، لأنَّهُ لن يفهمها ، ولن يستوعب الحكمة ولا الأحكام ،

والثاني : أن يكون قد كسب خيراً ، من طول إيمانه بدولة العدل ، وهذا ما قلنا عنه ، تطبيق العدل في حياته ومع من حوله ، وهداية الناس وتنبيههم لأيام الله في الأرض ، وحذرهم من القنوط من رحمة الله ، باليأس من الظهور ،

اهدي كتاباً ، أنشر مقالاً ، تكلَّم بحديث ولو في المقهى ، علّم أولادك ، طوّر جهازاً أو سلاحاً ، صمم مشروعاً ، أو ركَّب دواء ، تدرب لتكون قوياًّ وصبوراً ، أرسم ولو لوحة لتعبِّر عن الظهور المُبارك ، كل هذا وغيرهُ الكثير والكثير ، تحتاجه دولة الخلافة الإلهية ،

لن يأتي الخليفة ليفعل كل هذا بالمعاجز الإلهية ، وإلّا لاكتفى جيش الرسول بخمسة آلاف من الملائكة ، دون أن يخرج ، ولقد تحدثنا ، بأنهم ولولا خروجهم ، ولولا إيمانهم ، لما عززتهم السماء بملاكٍ واحد ،

والعلوم التي سيأتي بها الخليفة ، لن تنتفع بها ، ما لم تكن مفكراً ومكتشفاً ، وعالماً ضمن اختصاص معين ، والمعاجز التي سيأتي بها الخليفة ، لن يستخدمها إلا بعد عجزنا عن مساعدته ، والخير في أن لا يستخدمها ، أو أن يستخدم القليل منها ، لأنَّ كل ذلك من أجورنا ، ولنتذكر الأجر الذي كسبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- ، في قتله لابن ود العامري ، فلولا بسالة الأمير وقوته ، لكان على الملائكة أن تتدخل لتنقذ الموقف ، بريح عاصفة أو سيول جارفة ، وبالنتيجة ، لا أجر لأحدٍ في الخلاص من ابن ود العامري ، لكنَّهُ صلوات الله عليه فاز بالأجر كله ،

ولو لم يهاجر المسلمون إلى الحبشة ، كان على الملائكة حمايتهم ، أو فقدهم منذ بداية الدولة الإسلامية ، لكنَّهم أخذوا الأجر بدلاً عن الملائكة ، وتحمَّلوا عناء السفر ، بدلاً من أن تحميهم الملائكة .

وبهذا ، ولأجل اكمال الخطوة الأخيرة ، فعليك بأمرين ، أمر تمنعه ، وأمر تدفعه ، **الأول** : سمة الدخول ، وهي في أن تمنع هواك أن يميل مع أيِّ عدو لله ولأنبيائه وأوليائه ، أيَّاً كانت دوافعك، حتى ولو صلة قربى ، أو رابطة قومية أو وطنية ، **والثاني** : أن تدفع تعريفة ورسم الدخول ، وهو أن تختار ما تقدمه لدولة الخلافة ، وتجهز به ، فالدولة تحتاج لمناصرين ومشيدين لمجدها ، ولا تحتاج لمجرَّد من يقيم بها ، فما أسوأ حظ من يدرك إعلان دولة الخلافة ، وهو لا يملك ما يقدمه لدولة الخلافة ، لعجزه وتأنيه في فعل ذلك ، لا لعجز قدرته وضف امكانياته ، ولو أن الدولة لا تحتاج قدرات وامكانيات خارقة ، بل ما يدخل ضمن اختصاص عمل كل شخص ، والمهم أن تتهيأ لفعل ذلك .

الفصل الثاني

أطروحة النقد الوظيفي في الأديان

نقد الأنبياء والتابعين

= قبل حوالي (٣٠) سنة من بدء تأليف هذا المصنَّف ، وأنا في بداية سعيي لاختيار الدين والمذهب الحق ، وفق ما يمليهِ عليَّ العقل والمنطق السليم ، كي يحاسبني الله على ما اخترتهُ حقَّاً من دين ، لا ما اختاره لي آبائي وأجدادي ، ومن أجل أنْ لا أكون خصماً لكلِّ الأديان والمذاهب حتَّى أختار الحق من بينهم ، أخترت أن تكون الخطّة عكسية ، أي أقوم بالدفاع عن كلِّ الأديان والفرق ، وعن كلِّ رواياتهم واعتقاداتهم ، فإنْ وجدتُ أنِّي لا أملك الدفاع عنهُم ، وأنَّ ما جاءوا به لا يمكن الدفاع عنه واعتناقه ، فإني أخرجه من دائرة الاختيار ، حتَّى أصل إلى آخر فرقة لا أجدُ فيها ما يصدُّني عن الدفاع عن كل ما جاءوا به ، وفي بدء المشوار ، وأنا في مواقع لحوار الأديان ، وإذا برجل دين يدعي الوصول إلى منزلة علمية كبيرة ، وإذا به يدعو أصحابه للسخرية والضحك من الشيعة ، لأنهم يقولون أن أمير المؤمنين علياً -ع- ، أنتهى الأمر به للانتحار ، وذلك أنَّهُ لمَّا يدعي الشيعة أنَّهُ يعلم بساعة موته ، ويعلم من سيقتلهُ ، ذهب إلى اختيار حتفه بنفسه ، وهكذا كل الأئمة من ولده ، فمنهم من شرب السمَّ وهو يعلم شرابه ، ومن قتل وهو يعلم كيف ومتى وأين سيقتل ، فكان عليَّ إمّا أن اتصدى له ، أو اخرج الشيعة من دائرة اختياري ، فقلت له ، إنك تفهم الأمور خلاف سنة الله ، وأنك بما تقول تستهجن الآيات القرآنية ، فأجاب بغضب متسائلاً عن دليلي ، فقلت اعرض الأمر على القرآن ، وانظر هل كان ما قام به أمير المؤمنين انتحاراً أم استشهاداً ، فقال اعرضهُ أنت وأعطنا نتيجة التحليل (قال ذلك مستهزئاً) ،

ولم يكُ وافياً دفع فضيلة الشيخ آل محسن ﴿١٩٠﴾ ، فمرّة قال بعدم الوثوق من الروايات القائلة بعلم الأئمة بموعد وفاتهم ، ومرّة قال بأن اختيار الأئمة للموت ، كان في سبيل الله ، رغم أنه الأفضل على الاطلاق ، بما بينه من أسانيد ، ولكن هناك ركن ودليل وشاهد ، ينقص القضية ، وما ينقص القضية هو قوله تعالى :

....

﴿١٩٠﴾ - موقع الشيخ علي آل محسن - جواب إشكال حول علم أئمة أهل البيت عليهم السلام بوقت وفاتهم – مقالات بتاريخ [١١ / ٦ / ٢٠١٢] .

تعالى : (**قُلْ** إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ** إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٩٤﴾ .

هذا هو جواب الباري عزّ وجلّ ، ويكفيك التنعّم في الآية ، لتعرف أن من يختار الموت حقّاً ، وهو يعلم بمكانه وزمانه ، فهو من يعلم جيداً ويؤمن أن له الدار الآخرة ، وهو من ذهب لاختيار الموت ، فمن يدخل المعركة وهو لا يعلم هل سيستشهد فيها أم لا ، ليس كمن يدخلها وهو على يقين باستشهاده ، فلا يأبه ولا يكترث ، وهذا هو نهج عليّ منذ ما عرفناه عن نومه في الفراش ، بدلاً عن نبي الرحمة ، وهو لا يعلم ساعتها ، إذا كان سيقتل أم لا ، بل يرجَّحُ قتلهُ من الثائرين لقتل الرسول ، هكذا سادتي ما يجب تفعيلهُ من الآيات والنصوص القرآنية ، لمعرفة النهج الصادق ، وما يكون على نفس الخط المستقيم الذي ما جعل له الله من اعوجاج ، وما جعل له من سبيلٍ آخر ، وهكذا وبعد أن ناخت رحال فكري ، بالمنهج والنهج الذي أصبوا إليه ، توصّلتُ إلى فكرة (أطروحة النقد الوظيفي) ، الجاري طرحها ، وبعد أن دافعتُ عن بعض المبادئ والقيم ، تجمع لديَّ ما يمكن أن أنتقده منها ، ولكن بعد أن أكشف عن صاحب الفكرة الأساس ومن أشار لنا بها ، = للأدب وللعلوم بمختلف أنواعها مناهج نقديَّة ، ينتهجها مجموعة كبيرة من النقاد ، الذين أسهموا في تطّور كافة المجالات التي عالجوها ، فغاية النقد تهذيب وتشذيب الشاذ والمنحرف من النتاج الفكري ، قبل أن يؤثر ويتأثر به المجتمع ، وبذلك يتوصلون لتقديم الحد الأدنى للمستوى المطلوب على أقل تقدير ،

حتى أصبح النقد الأدبي فناً من فنون الأدب نفسه ، وتوسع النقد ليدخل كافة المجالات السياسية والاجتماعية والتجارية ،

أمّا فيما يخص الأديان ، فأمّا تكفير وتنديد ، وأمّا مداهنة وتمجيد ، فتعال نرى ما بينه تعالى ببعض الصبر والتفكّر ، لنكن على يقينٍ من أن الباري -عزّ وجلّ- ،استخدم النقد مع خلقه بشقّيه الإيجابي والسلبي ، حتّى يمكننا القول بأن النقد هو منهاج سماوي ، وأنَّهُ تعالى أوّل من أشار به لنا : -

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن **كُنتُمْ صَادِقِينَ**) ﴿٣١﴾ البقرة .

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ **وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**) ﴿١١٥﴾ طه .

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن **لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**) ﴿١٤﴾ سبأ .

(وَذَا النُّونِ **إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ﴿٨٧﴾ الأنبياء .

(إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ** فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ **إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ** مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) التحريم .

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ **ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**) ﴿٥٨﴾ النحل .

(**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا** ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ﴿١١﴾ الجمعة .

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ **كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ** وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) ﴿٥٤﴾ مريم .

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**) ﴿١٢٨﴾ التوبة .

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ﴿٤﴾ القلم .

وآياتٌ لا حصر لها ولا عدد ، تناولت نقد الخلق على اختلاف اجناسهم ومراتبهم ، من ملائكةٍ ومن إنس وجن ، بغض النظر عن كونه نقداً سلبياً أو إيجابياً أو توجيها ، وهذا ما يدل على أن الله -جل جلاله- أول من أوجد النقد بشقيه السلبي والإيجابي ، سواءً مع ملائكته أم مع أنبيائه أو مع بقية خلقه ، كما بين لنا نقد خلقه بعضهم لبعض ، كنقد الملائكة لبني آدم : -

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٣٠﴾ البقرة .

ونقد الصالحين للصالحين : -

(قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ﴿٧٥﴾ الكهف .

حتى نقد إبليس لبني آدم ، وبيان ضعفهم وانحرافهم : -

(ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ **وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**) ﴿١٧﴾ الأعراف .

أو نقد الشيطان للكافرين من بني آدم : -

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿٢٢﴾ إبراهيم .

كما بيّن لنا النقد الإيجابي : -

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ **وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ** أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ **إِلَّا** عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) الحجر .

فهنا نجد أن إبليس بنفسه ، نقد كل بني آدم نقداً سلبياً بضعفهم أمامه ، ونقد الصالحين نقداً إيجابياً ، وبيَّن عدم قدرته على اغوائهم رغم ما يملكه من قوى ، وما مدَّهُ الله تعالى من تعزيز لأجل ذلك ،

لذا فالنقد كشف لنا الكثير من الضَّالين ، كما كشف لنا الصَّالحين ، وبيَّن لنا سبحانهُ ، كيف نتبع ونطيع الصَّالحين ، وكيف نحارب الطَّالحين ،

وقد جاءت النصوص القرآنية بصيغ مختلفة من النقد ، فمنها ما جاءت على شكل نصح وتوجيه كقوله تعالى : -

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ **كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا** لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا) ﴿٢٧﴾ الأعراف .

فهنا وقع النقد على آدم وزوجه ، بغية تحذير أبناءه مما جرى لهما في الجنة ، كما جاء النقد بصيغة اللوم والاستنكار : -

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) ﴿٢٠﴾ يوسف .

وقد يكون النقد بصيغة التوجيه لأغراض التشذيب والتهذيب ، كقوله تعالى : -

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ﴿٣٣﴾ الأحزاب .

فبموجب هذه الآية ، تعد بمثابة الرجس ، كل من تخرج من نساء الرسول الأعظم من بيتها ، ومن تتبَّرج تبرُّج الجاهلية الأولى ، فلا تنتمي لآل البيت كل من تخرج من بيتها أو لا تطع الله ورسوله ، سواء بالتسمية أو بالنهج ، وكما أسهبنا بتوضيح تبرج الجاهلية الأولى في ﴿﴾،﴿﴾ ، وهو ركوب زوجة الرؤساء سابقاً ، لدواب تميزها في الأسوق والأزقة ، أينما سعت ، أو على أحصنةٍ ، فتلقي الخطابات لتستنهض همم المقاتلين ، كل هذا يعد من قبيل التبرج ، أي ركوب العـالي والمـرتفع كالبرج ، لتتميّز به عن الخلق ،

كما جاء التشذيب والتهذيب في آيات عدة ، كقوله تعالى : -

(لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) ﴿٢٨﴾ آل عمران .

فتكون الغاية من هذا النقد ، التشذيب وافراز الحسن من المسيء ، وهي من تخرج من نساء النبي مقابل من لا تخرج ولا تتبرج وتقم الصلاة .... أو من يتخذ وليَّاً من الكافرين من دون المؤمنين مقابل من يتخذ ولياً من المؤمنين من دون الكافرين وهناك ما يمكننا تسميته بالنقد اللاذع ، ويأتي بصيغة التشبيه بغير العاقل ، كقوله تعالى : -

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ﴿٥﴾

أو قوله تعالى : -

(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث** ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ﴿١٧٦﴾ الأعراف .

ومن الجدير بالذكر ، أن التشبيه ، بالحمير أو الكلاب ، لم يأتِ للإنقاص بتلك المخلوقات ، إنما أن يؤتي العبد فعلاً من أفعال الحيوان ، فليس من المعيب أن تحمل الحمير أسفاراً دون أن تفقه شيئاً منها ، إنما المعيب على الإنسان أن يكون شبيهاً بها ، بأن يحمل الأسفار دون أن يفقهها ،

لعلّنا تيقّنا الآن ، من أن النقد الوظيفي ، طرح جاء بنصوص القرآن قبل أن نتوصل له نحن ، وقبل أن نعده من طرق تطور العلوم والثقافات في المجتمع ،

وهكذا فكثيراً ما احببنا مفاهيم نظنها حديثة في نشوئها ، لكنّ الحقيقة بأنه تعالى نص عليها في كتابه الكريم ، كما رأينا في موضوع النقد ، وما رأيناه في موضوع الديمقراطية ، ومواضيع يطول بنا الحديث عنها ، كالوحدة التي ندعو لها معتقدين بأننا من استحدثناها ، متناسين قوله تعالى : -

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ **تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا **وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا** مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ﴿٦٤﴾ آل عمران .

فماذا بعد هذه الدعوة العظيمة للوحدة ، والاتفاق على الثوابت والأساسيات ، الأمر الذي لم نجده حتى بين الفرق التي تنتمي للدين الواحد ،

= لخّص جورج زيدان حديثه عن النقد في المجال الأدبي قائلاً : أن الإنتقاد يعني إبراز جوانب الِاستحسان والنقص على السواء ، وأن كلمة (إنتقاد) لا تعني إحصاء العيوب وحدها ، ونريد من باب (الانتقاد والتقريض) كلا الجانبين بإبداء رأيهم فيما يسمعونه حسناً أو قبيحاً ﴿١٩١﴾ .

ولمّا كان النقد يشمل مختلف المجالات الحياتية ، فلماذا لا يشمل بالمحصلة الشؤون الدينية ، ومن ضمنها عمل الأنبياء والتابعين لهم من الصالحين ، إذا ما كان سبحانه وتعالى أوّل من استخدم النقد بصيغ مختلفة ومع مختلف خلقه ، لأن إبراز الحسن يؤهلنا للقيام بمثله ، وتشخيص السيء يجنبنا الوقوع فيه ، لذا

....

﴿١٩١﴾ – جاء تعريفه في مقالٍ نشرته مجلة الهلال المصرية ، والتي أسسها جورجي زيدان عام [١٩٨٢] م ، وما زالت تصدر لحد الآن .

نكتشف العناصر المُغْرضة ، والتي تسلَّلتْ باسم الدين بُغية تحقيق تطلّعاتها ومصالحها الشخصية ، ولو تمكن نفر من بني إسرائيل للوصول لمستوى النقد والتشخيص ، لمَا وقعوا ضحيّة مؤامرة السامري ، لذا جاء قوله تعالى : -
(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ﴿١٢٢﴾ التوبة .

فمعنى التفقه في الدين الذي نصت عليه الآية ، قريب جداً لما نحن بصدده من حديثٍ ، أي جاء بمعنى النقد الوظيفي لعمل أنصار الدين ، وهذا ما بينه النص القرآني (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ، مما يشير إلى أنهم يتدارسون طرق تفعيل النصوص القرآنية بشكل عملي ، وعن حادثة نشيد بها دائما ، وهي عن قيام مسلم بن عقيل سفير الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- ، بعدم التعرض لابن زياد ، بعد أن تهيأت له الفرصة للقضاء عليه ، وذلك بالاتفاق مع هاني بن عروة -رضي الله عنه- ، للإيقاع به في أثناء زيارته لهاني ، ولكنه ولتفعيله للنقد الوظيفي ، آثر الالتزام بما كلّفهُ به الإمام الحسين بن علي -عليهما السلام- ، بشكل خاص وعام ، فالوظيفة التي كلّفه بها الحسين ، أن يكون سفيراً له ، يحمل نهج الحسين بكل تصرفاته وأقواله ، كما إنه بوصفه إنسانا مؤمنا ، عليه ألّا يخالف منهاج الباري -عز وجل- ، حتى في أعظم الشدائد والمحن ، فما إن استذكر قول الرسول المصطفى ((الإيمان قيد الفتك ، فلا يفتك مسلم)) ، كما وردت (فلا يفتك المؤمن) ﴿١٩٢﴾ ،

حتى مـرّ بانتقاد مـع نفسه ، اوصلهُ لاتخاذ الخطوة التي تليق بسفير الحسين -رضي الله عنه- أن يقوم بها ،

فتخيل الرقيّ البشري الذي نحن فيه ، لو أننا قمنا بانتقاد تصرفاتنا قبل القيام بها ، أو بعد القيام بها ، إن فاتت الفرصة وتقدم الفعل قبل النقد ، لأجل تصحيح ما بدر منا من مغالطات ،

ويمكننا أن نقول ، إن النقد الوظيفي : - هو ضرب من ضروب التقويم والإرشاد للقول أو الفعل موضوع النقد ، وكشف مواطن الخطأ والانحراف أو مواطن التميّز والرقي ، وقد استعمله الباري -عز وجل- مع خلقه كما مرّ بنا ،

ولصعوبة العمل النبوي وتشعباته ، فقد يتخذ الأنبياء بعض القرارات التي تواجه

....

﴿١٩٢﴾ – روي الحديث في كثير من مصادر الفرق الإسلامية ، كما ورد في المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج [٨] ص [٦٤٤] ، في رواية عن الزبير في معركة الجمل .

نقداً وظيفياً ، بالرغم من ذلك فالحكمة من ذلك النقد هو الخطير في الموضوع ، وقد تعجب الآن حين نفصح ، أن بعضاً من النقد ، كان غايته الإشادة بالقرار وتأييد الفعل ، أو تضليل المشركين وحماية الأنبياء منهم ،

ولتقريب الصورة ، نضرب مثالاً بشكل يقرب لنا الصورة :

وأنت تجلس في دارك ، وإذا بلصوصٍ تسلقوه ، وحاولوا قتلك وسرقة المنزل ، فظفرتَ بهم أولاً ، وأبرحتهم ضرباً وايذاءً ، ولقّنتهم درساً مؤلماً لا يُنسى ، وهنا جاء أبوك قائلاً ، لماذا لم تقتلهم جميعاً ، وتُقطّعهم إلى إرباً إرباً ، فلو ظفروا بك لقتلوك ونهبوا بيتك ، أو لماذا لم تسلمهم إلى الشرطة ليسجنوا ،

وبتحليل المثال في أعلاه ، فأنت لست مجرماً ولست مذنباً ، ولا حتى مخطئ ، لأنك صاحب البيت ، وأنت من تعرض لهذه المواجهة ، وأنت صاحب القرار ، وأبوك حصل على مبتغاه فيما قال ، إذ أوضح للسارقين مغبة تكرار فعلهم هذا مستقبلاً ، وعن شدة غضبه عليهم ، وأوضح لهم الرحمة التي يتحلى بها ابنه في تعامله معهم ، فظاهر قول الأب كان نقداً وظيفياً ، إنما باطنه غايات أخرى ، فكونك تسكن في بيت مستقل عن أبيك ، فهذا يعني أن أباك واثق بقدرتك على تحمل المسؤولية ، ومجابهة الأخطار الحياتية واتخاذ القرارات المصيرية ، وقد تكون قد أخطأت فعلاً فيما قمت به من فعل ، وأبوك إذ يوجهك ، فــهو يجنبك حوادث المستقبل ، وما قد يحدث لك ، وما الواجب منك القيام به من تصرف صحيح ، فيكون وعظه عظة لك ولأبنائك وأحفادك من بعدك ،

وبقليلٍ من التأمل في النصوص القرآنية ، سنجد أن الله سبحانه وتعالى هو أول من استخدم النقد الوظيفي ، وقد يكون للإشادة أو للتنبيه والعظة ، وذلك مع أنبيائه ، ومنذ أول الخلقِ الآدمي الذي خلقه الله ، قبل حتى أن ينزل الأرض ، ويبدو لنا الأمر جلياً من خلال ما جاء في قصة آدم : -

(فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ**) ﴿١٢١﴾ طه .

هنا تجاوز آدم المسار الوظيفي ، والواجب المحدد لوظيفته ،

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**) ﴿١١٥﴾ طه .

ولمزيدٍ من الحفاظ على حياته ووظيفته ، جاء التدخل الوظيفي ، بأن عهد له ما يزيدهُ عزماً ، للحفاظ على واجبه الوظيفي ، لكنه نسي ، فجاء بعد ذلك النقد الوظيفي ، أي إن آدم مرّ بمرحلة الواجب الوظيفي ، ثم التدخل الوظيفي ، ثم جاء النقد الوظيفي ، حتى وإن افترضنا أن ما عُهد لآدم هو ذاتهُ الواجب الوظيفي الذي كلّف به ، وهو عدم الاقتراب من الشجرة ،

(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا **وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ** فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ﴿٣٥﴾ البقرة .
وهذا ما نعنيه بالواجب الوظيفي الذي كُلّفَ آدم وزوجه به ،
فلم يكن من دواعي وظيفة آدم ، أن يقرب الشجرة ، ولكي يتضح الأمر أكثر ، والمثال للتوضيح ، والأمثلة تضرب ولا تقاس ، مع ذلك نستغفر الله سلفاً إذا كان في أمثلتنا ما يسيء لمقام الله تعالى ومقام أنبيائه ،
ولنعطي أيضاً مثالاً مأخوذاً من واقع الحياة العملية التي نعيش فيها ،
فهب أنك مديراً عاماً لدائرةٍ ما ، وأعطاك الوزير خطّةً مستقبليّة للعمل ، كما أعطاك الواجب الوظيفي الملقى على عاتقك ، وبموجب هذه الخطة ، ستكون الدائرة ذات موازنة مالية جيدة ، للتواصل في أداء أعمالها ، لكن هذه الخطة ليست بالتأكيد نصاً من قوانين العقوبات ، بحيث إنك لو خالفتها سوف تعاقب جزائياً ، وتحاكم جنائياً على تصرفاتك ، فبحكم منصبك ودورك في الحياة ، لك أن تختار خطة أخرى تتحمل بموجبها تبعة عملك ، وما ينتج عن تصرفاتك الوظيفية ، ونحن هنا لا نتكلم بالطبع ، على الأخطاء الإدارية الجسيمة ، التي قد تتسبب بإهدار أموال الدائرة ، أو جرائم الاعتداء على المال العام ، فالأنبياء تم اختيارهم بعناية إلهية فائقة ، ومن المحال ارتكابهم فعلاً يؤدي إلى اضرار كبيرة ، حتى وإن كان عن طريق الإهمال الجسيم ،
وبهذا فلا ضير أن أتصرف تصرفاً أراه حكيماً ، فيتصرف غيري تصرفاً آخر ، يرى نتائجه أكثر إيجابيةً ، فكيف إذا كان التصرف صادراً بتوجيهٍ إلهي ، فمن المؤكد أن التصرف الأخير ، سيكون أكثر رقياً ، من كل التصرفات التي تصدر عن قرارات شخصية ،
وعليه فإن آدم أهمل اتباع الخطة الحياتيَّة ، التي قدمها الله لمصلحة حياته ورفاهيتها ، مختاراً لخطةٍ أخرى ، حمّله الله تبعاتها ، بأن يهبط على الأرض ، ليسلك ويعيش على وفق خطته التي اختارها ، وكانت خلاصة الخطة الحياتية التي قدمها الله هي : -
(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة .
وضَّبَ الله لآدم الحياة الرغدة والسعيدة ، مكفولاً بما يحتاجه من طعام ومشربٍ وملبسٍ ، وجوٍ لا هو بالمشمس الحار ، ولا هو بالبارد القارص ، ودون أن يبذل أيّ عناءٍ وشقاءٍ ،
(إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ) طه .

ولم يكلّفه للحفاظ على سير حياته ، إلّا بعدم الاقتراب من الشجرة ، أما الخطة التي اختارها آدم ، فهي الاستيلاء على الملك ، الذي تخيله من خلال اقترابه من الشجرة ، وما يضمن له الخلود ، حتى وإن كان فشله في الاستحواذ على الملك ، أن يهبط إلى الأرض ، ويشقى في استحصال رزقه بنفسه ، ولو اطلعت على بحثنا في الكتاب السابق ، فقد بيّنا أن تصرف آدم كان تعبيراً عن إرادة ما يحمله من ذريات ، فمن ذرياته من أكل من الشجرة ، ومنها من ذاقها ، ومنها من أزلها الشيطان عن الشجرة ،

ومن الطبيعي أن تختلف مُلابسات الحياة الوظيفية لآدم ، عن غيره من الأنبياء ، فهو لم يُكلّف كما كُلّف الأنبياء من بعده ، والعكس صحيح ، إذ لم يكن له أيّ دور مع اسرته ، على وفق ما جاءت به النصوص ، حتى في مقتل ابنه هابيل أو دفنه ، (عن قصة هابيل وقابيل المعروفة) ،

ولأجل استمرار اتصاله بالخالق ، حصل آدم على تدخل إلهي آخر ، وهو أن تلقى كلماتٍ ليتوب الله عليه : -

(فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ﴿٣٧﴾ البقرة .

لكننا حين نقارن هذا التدخل ، بالتدخل الإلهي في قضية يوسف (ع) ،

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا **لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) ﴿٢٤﴾ يوسف .

نجد هنا أن التدخل الإلهي ، جاء قبل الحدث أو متزامناً معه ، وهذا النوع من التدخل ، له اختلاف كبير عن الصور التي سنبحثها لاحقاً ، فلولا هذا التدخل لما انتهى الأمر على مجرد النقد الوظيفي ، وحذارِ أن يفهم بعضهم ، أن التدخل الإلهي ، جاء ليثني نبي الله عن الزنا حاشا لله وحاشا لنبيه ، بل يثنيه عن رد فعلٍ ، قد يؤدي بحياة زوجة العزيز أو إيذائها ، فالهمة التي كانت بها أن يقربها ، أما الهمة التي كانت عند يوسف فعكس ذلك تماماً ، أي إنه تعالى بيّن ما همّ كل منهما بفعله الذي اختاره في تلك اللحظة ، أمّا قارئي الفنجان من المفسرين ، فقد جاءونا بقصة لا ذكرت في حديث ولا حتى في روايات كعب ، إنما خيالات كاتب مبتدأ ، لمَا فيها من ركّة ،

جاء في تفسير الطبري :[١٩٠١٣] – ((حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي (ولقد همّت به وهمّ بها) ، قال : قالت له : يا يوسف ، ما أحسن شعرك ! قال : هو أوَّل ما ينتثر من جسدي ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ، قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمَّت به وهم بها ، فدخلا البيت ، وغلَّقت الأبواب ، **وذهب ليحلّ سراويله** ، فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت ، قد عضَّ على إصبعه ، يقول : [يا يوسف لا

تواقعها ، فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يُعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النَّمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه] ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدُّ ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته ، حتى أخرجته منه وسقط ، وطرحه يوسف واشتدَّ نحو الباب)) ﴿١٩٣﴾ .

نتمنى والله أن نعرف ، من أين ابتدع هذا المفسر كل هذه الأحداث ، التي لم تأتِ بقرآن أو حتى حديث منسوب للنبي ، **من أين له بكل هذه التفاصيل ، فهل حدثه يوسف** ﷺ **أم حدثته زليخة ،** ثم ما هذا النص البليد المنسوب ليعقوب النبي ﷺ ، إنه والله لمن المضحك أن تتخيل ، أن يوسف ﷺ في ذلك الموقف الحرج ، ويرى أباه ليقول ما نسب له من قول ، وعَلامَ قولها وقوله عن شعره وحسن وجهه الذي سيأكله التراب ومن ثم نتفاجأ بيوسف حاشاه ينزع سراويله ،

وعن ابن عباس ، سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : **حَلّ الهِمْيان** ، وجلس منها مجلس **الخاتن** ، لفظ الحديث لأبي كريب ،

ومجلس الختان : هو الذي يختن الفتى أو الفتاة ،

ونترك التعليق للقارئ الكريم حول مسألة جلوس يوسف منها مجلس الخاتن ، وهل يمكن تقبل مثل هذا الافتراء ، وهناك الكثير من التفاسير التي تبدو كالأفلام التجارية ، التي تسلط الضوء على الجنس لجذب المشاهدين ،

وقبل أن نورد أمثلة حول بعض الخطابات التي جاءت بنصوص قرآنية ، ظاهرها النقد والعتاب على أفعال وأقوال الرسول ، وربما تتولد لديك قناعة أولية ، بأننا نحاول تحميل النص مقاصد تخالف ظاهره ، إذ إنه ومن خلال تتبعنا للمسك الوظيفي للرسول ، ستختلف قناعتك بشكل عكسي ، وتكون على يقين ، أن من يقرأ النص خلافاً للصورة التي سنطرحها ، هو من يحاول تحميل النص إلى مقاصدَ تخرجه عن علة نزوله وذكره ،

في خطابه تعالى للنبي محمد ﷺ : -

(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) ﴿٤٣﴾ التوبة ، لم يكن على سبيل اللوم مطلقاً ، لأنَّ النبي وبحكم وظيفته كان له أن يأذن لهم ، ولكن الله أراد أن يبين لهؤلاء ، أن بينكم من الكاذبين الكثير ، وإن ما حصل عليه

....

﴿١٩٣﴾ - الأثر : [١٩٠١٣] - رواه أبو جعفر في تاريخه[١ : ١٧٣] .

الكاذب منكُم من إذنٍ ، سوف لن يحميه عن المساءلة يوم القيامة ، وذلك عن تخلفهم في نصرة النبي ، ورغم سبق حديثنا عن هذا الأمر ، لكن محله خصب الآن وتكراره مما هو جدير ، ونأتي مرّة أخرى لقوله تعالى : -
(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ **فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ** وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿٦٢﴾ النور.
وكان قرار الرسول صائباً ، وموافقاً لمنهاج الله مائة بالمائة ، فبما أنهم من المنافقين ، فهذا يعني ، أنهم لو خرجوا مع الرسول ، لأصبحوا خير عونٍ ، لمن أرادوا قتل النبي ، في أثناء عودته من المعركة ، والتي لم تقع مطلقاً ، وما هي إلا كيد ومكر ، خُطّطَ له لقتل الرسول ، وخلاصته ، أن المنافقين أشاعوا بأن جيش الروم قادم لقتال المسلمين ، فاشتعلت المدينة بالفوضى والاضطراب ، وكانت خطتهم أن يقتل الرسول في مسجد ضرار ، وأن يقتلوا أهل بيته في أثناء مسيرهِ لملاقاة الروم ، فلما علموا بأن الرسول جعل علي بن أبي طالب (ع) في المدينة ، كان لابد لهم من رجال قادرين على قتال علي (ع) ، ومن ثم القضاء على أهل بيت الرسول (ص) ، فتخلفوا عن الذهاب مع الرسول ، الأمر الذي أضعف العصابة ، التي تنوي قتل الرسول في مسجد ضرار ، ولمّا كشف الرسول خُطّتهم ولم يصلّي في المسجد ، ولم يدع جيشه يشرب من الآبار المسمومة ، كان عليهم أن يستعينوا بخطة أخرى ، وهي إسقاطه صلوات الله عليه وعلى آله ، ورمي الدباب عليه في أثناء طريق العودة ، ولو كانت العصابة كاملة العدد ، ولم يتخلف منهم في المدينة من تخلف ، لكان قتل النبي كان احتمالاً وارداً ، لأننا وإن كنا نؤمن أن من المحال أن يقتل النبي قبل أن يتم رسالته ، لكن ذلك يجب أن يكون بتخطيط وتدبير عملي ، لذلك خاطبه الله مبيناً ، أنهم في ميزان العفو ، فلن يعفو عنهم ، إنما أعفى اللهُ رسولَه من عفوهِ عنهم ، لا من إذنه لهم ، إذ إن من يأذن لهم الرسول ، سيترتب عليه العفو عنهم في الآخرة ، ولكن ولكونهم من المنافقين والكاذبين ، وأرادوا الشر بالرسول والإسلام ، فلن يَتْبع الإذن لهم ، أن يعفو عنهم الله في الآخرة ،
وبذلك صوّر الله ورسوله لنا ، أعظم صورة لحفظ الأمانة بخير مكرٍ ، وبأعظم تفاصيلٍ للعدل الإلهي ، وأفضل الطرق لإتمام الرسالة السماوية ،
ودعنا الآن نعيد قراءة الأحداث بتفاصيلها ، لنعلم ما حدث بالفعل ، ولماذا إذن الرسول لهم ، ولماذا جاءت الآية بصيغة العتاب ، بالرغم من أنه تعالى وفي سورة النور ، التي سبقت سورة التوبة ، كما سيمر بنا ،
إذ أعطى الله لرسوله الصلاحية التامة ، بالإذن للمسلمين في كل شيء ،

(فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُم) ﴿٦٢﴾ النور .
لذا فلنعد لطرح الأحداث مرة أخرى بكل دقّة ،
هناك مجموعة من المنافقين سندعوها بالمجموعة (أ) ، تتفق على نشر إشاعة ، لإخراج الرسول وأصحابه الموالين ، حتى يدخلوا مسجداً ، أعدّ لإسقاطه على أصحاب الرسول ، بينما يشرب الباقون من المياه المسمومة في الآبار المعدة سلفاً ، وتقوم مجموعة صغيرة ، سندعوها بالمجموعة (ب) ، بالقضاء على آل بيت الرسول ، والنساء المواليات له ولدين الله في المدينة ،
يقوم الرسول بتكليف زوج ابنته البتول علي بن أبي طالب -ع- ، للبقاء في المدينة ، خلفاً له عليها ،
فيتحسس المنافقون علم الرسول بخطتهم ، فهذه المرة الأولى التي يعمد الرسول إلى ترك عليّ في المدينة ، فيتفق المنافقون على زيادة عدد المجموعة (ب) ، المكلفة بالقضاء على أهل بيت الرسول ، لما يعرفونه عن بسالة عليّ وشجاعة ، واستحالة القضاء عليه بنفرٍ قليل ،
وبذلك توزع المنافقون بين من سيجابه عليّ ، ومن يجابه الرسول وأصحابه الموالين ، في ضمن مجموعتين متساويتين تقريباً (أ) و (ب) ،
وعند وصول جيش المسلمين إلى أرض تبوك ، منع أصحابه الشرب من الآبار ، التي وضع فيها عصبة المنافقين السمَّ ، كما أمر بهدم مسجد ضرار إذ أرادوا هدَّ المسجد والرسول وأصحابه بداخله ، ففشلتْ كلّ خُططهِم ، وما كان لديْهم ، إلّا أن يتَّفقوا على اسقاط الدباب وإلقائها على الرسول المصطفى -ص- ، لكنَّهم فشلوا أيضاً ، برعاية الله لرسوله ، وعندها تعرَّف إليهم الرسول ، وعرفهم من رحالهم ، وسبب حديثنا عن هذه الواقعة هو أن نتفهّم جيداً ، سبب عفو الرسول للمنافقين ، بالرغم من قعودهم عن نصرته ،
وبهذا الشكل الذي طرحناه ، والمؤيد والمسند في كل كتب الفقهاء ، ومن قبل كل المذاهب والفرق الإسلامية ، (كما سنورد بعضاً منها) ،
وقد تفهمنا الآن أنه تعالى لم يكن عاتباً على الرسول ، في الآية موضوع البحث ، إنما كان كاشفاً لهم ومُبلغاً ، بأن عفو الرسول عن خروجهم ، لن ينال الكاذبين ، وبهذا فلا يمتلك الكاذب يوم القيامة ، أن يحتج بعفو الرسول له ، عن عدم خروجه ، لأن الرسول عفا عنهم ، دون أن يميّز الصادق من الكاذب ، ومن سيتضح يوم القيامة بأنه كان كاذباً ، لن يشمله عفو الرسول ،
أما ابن كثير وزمرته ، وكأنهم يترصدون كل ما يمكن فهمه ، على أنه إساءة لرسول الله ، وهذا ما نجده في كل الآيات التي جاءت على غرار هذه الآية ،
وسنطرح موضوعاً آخر ، على هذه الشاكلة ، بعد أن نرى ما جاء بتفسير ابن كثير

وغيره : ((القول في تأويل قوله : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ .

((قال أبو جعفر: وهذا **عتاب** من الله تعالى ذكره ، **عاتبَ به نبيَّه** صلى الله عليه وآله وسلم في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه ، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ، من المنافقين ،

ويقول جل ثناؤه (عفا الله عنك) يا محمد ، ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك ، وفي التخلف عنك ، من قبل أن تعلم صدقه من كذبه ، [١٦٧٦٣])) .

((ويقول : ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلُّف عنك إذ قالوا لك (لو استطعنا لخرجنا معك) ، حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون أذنك له على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم نفاقاً وشكّاً في دين الله)) ،

كما وجاء فيه - [١٦٧٦٤] – ((حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة عن قوله تعالى ، {... الآية ...} ، عاتبه كما تسمعون ثمَّ أنزل الله التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال : [فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم])) .

[١٦٧٦٥] – ((حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودي قال : اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لم يؤمر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى)) ﴿١٩٤﴾ .

ألم يتوقف المفسرون الخمسة ، لحظة تفكير وتأني ، بأنهم يتكلَّمون عن آخر واقعة ، وأنَّها لم تحدث قط ، فلماذا يا ترى ، عاتب الله رسوله -ﷺ- على حد قولهم ، والمعركة لم تحدث قط ، ولم يكن بحاجة لأيِّ جندي ، أي إن واقع الحال ، وما آلت إليه الأمور ، يقتضي الثناء على قرار الرسول الأعظم ، لأنه لم يك بحاجة إلى أيِّ واحدٍ منهم ، سواء كانوا من الصادقين أو الكاذبين ، ويبدو أنهم شعروا بأن الرسول علم من الله على أن المعركة لن تقع ، وأنها مجرد كمين أعده المنافقين من الصحابة لقتله صلوات الله عليه وعلى آله ، بعد أن أشاعوا كذباً ، أن جيش الروم قادم لغزو المدينة ، وأدخلوا الرعب في المدينة ، ليجبروا الرسول

....

﴿١٩٤﴾ - تفسير الطبري ص [١٩٤] ، كما جاء عن النضر بن شميل المازني وموسى بن سروان العجلي .

للتحرك صوب تبوك ، حيثُ أعدوا العُدَّة للقضاء على الرسول والمخلصين ممن معه ، كما يدلنا على أن الرسول كان يعلم بأن الحرب لن تقع ، إذ ترك ابن عمه وحامل لوائه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ﷺ- ،

وقد أخذ أهل التأويل الغفلة ، في رأيهم أن صلاحية الإذن كانت ممنوعة ، ومن بعد ذلك أُبيْحَتْ للرسول ، كما أَطَّلعْنا عليه من رأي ابن كثير ، بل إن الإذن للمنافقين غير مشمول بالعفو الإلهي ، والدليل نراه واضحاً في سورة النور ، والقول إن سورة النور جاءت بعد سورة التوبة ، قول مغالط للحقيقة ، إذ تحدَّث العلماءُ إنّ سورة النور نزلت في العام الخامس من الهجرة ﴿١٩٥﴾ ، أما سورة التوبة ، فالمسألة واضحة ، لا لبس في أنَّها جاءت بعد معركة تبوك ، ومعركة تبوك حدثت في العام التاسع ، وهي آخر المعارك التي خاضها الرسول في حياته ﷺ ﴿١٩٦﴾ ، ونحن لفي غاية الدهشة ، لقول ابن كثير ((ثم أنزل الله بعد ذلك في [سورة النور] : فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم)) [١٦٧٦٦] ، وكأنّ الله لا يعلم أن تبوك ستكون آخر المعارك التي سيخوضها النبي في حياته ، أي ما فائدة أن يعطي الله صلاحية الإذن للرسول ، بعد أن انفضَّتْ الحروب ، عـلى وفق ما يقوله ابن كثير ، بأن سـورة التوبة ، نزلت (ثمَّ) جاءت الآية المذكورة ، في سورة النور ، ((وكانت غزوة تبوك هي الغزوة التي خرج يقودها الرسول -صلى الله عليه وعلى آله- ، وكان ذلك في شهر رجب ، من عام[٩]هـ ، بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر ، حيث تُعد غزوة تبوك هي آخر الغزوات التي خاضها الرسول)) ﴿١٩٧﴾ ، وحديثنا الآن حول ما جاء في مطلع سورة التحريم : -

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ﴿١﴾ .

فالمغزى خطاب الله لزوجات النبي ، فهُنَّ من ظنّتا أن الرسول بتحريمهِ لزوجته ماريّا رضوان الله عليها ، يريدُ مرضاتهُنَّ ، فقوله تعالى (والله غفور رحيم) ، يجعل ما قبله بدلالة عكسية ، أي (إنك من المحال أن تبتغي مرضاة أزواجك) ، فبتحريمك هذا بالغتَ في مخافة الله تعالى ، والله غفور رحيم ،

وإنهُنّ من سبب تحريم النبيّ ما أحلّ الله لهُ ، إذْ يُردنَ مرضاتهُنّ على حساب ما أحلّ الله لهُ ، والدليل ما تلتها من الآيات : -

....

﴿١٩٥﴾ - أحمد الجوهري عبد الجواد = مقاصد سورة النور

﴿١٩٦﴾ غزوة تبوك دروس وعبر، أمير بن محمد المدري، ص [٨] .

﴿١٩٧﴾ - صحيفة سبق الإلكترونية - أحمد البراهيم – الرياض - تبوك آخر غزوة للرسول معركة ونصر بلا قتال [٥ - مايو - ٢٠٢٠] .

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) ،

فليس من المنطق أن يعاتب الله نبيه ، ثم يوجِّه النقد والتوبيخ لزوجتيه ، وقوله تعالى خيرا منكُنَّ ، تعادل قوله تعالى :-
(وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) ﴿٢٢١﴾ البقرة .
ثم يورد جملة من الصفاة وكأنَّهُ ينفي عنهُنَّ صفات الإسلام والإيمان والقنوت والتوبة والعبادة بالصلاة أو الصيام ،
لقد كلّم الله هاتين الزوجتين ، بما لم يكلّم أحداً من الخلق ، فإبليس وهو يهدد باحتناك بني آدم ، أجابه تعالى : -
(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) ﴿٦٢﴾ .
..........إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ **وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا)** ﴿٦٥﴾ الإسراء .

وكذا الحال مع فرعون والنمرود ، أمّا أن يكون ((**الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة**)) ، كلهُم في مواجهة امرأتين ، فأيُّ إشارة يريد الله أن يرسلها إلينا ، وأيُّ جرائمٍ استحقَّ هذا التعنيف لهتين الزوجتين ، وإن ظاهر النص يشير إلى تعديات سافرة لهاتين الزوجتين ، كانتا قامتا بها ، وحان وقت ايقافهن عند حدودهنّ ،
لذا فالرسول اختار بين أن يستمرّا بالتظاهر عليه ، فتتلقيا حرب السماء والأرض ، أو أن يقفا على ما اكتسبتاه من إثم ، فتقبل الرسول ما حرَّمتا عليه زوجاته ، مُقابل أن يكُفّا عن التظاهر عليه صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ،
- جاء في الطبري : ((واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جلّ ثناؤه أحلَّهُ لرسوله ، فحرَّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ، فقال بعضهُم : كان ذلك مارية مملوكته القبطية ، حرمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طلبًا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته ، لأنَّها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم في يومها وفي حجرتها)) ﴿١٩٨﴾ ،
= اختلاف أهل العلم لدى أهل الجماعة ، هو من بديهيات تفاسيرهم ، ولكن فيما اختلفوا هذه المرة ، اختلفوا في الحــلال الذي حرّمه الرسول ، ويذكر أن بعضهم

....
﴿١٩٨﴾ - جامع البيان – ابن جرير الطبري – {٢٨} – الصفحة [١٩٨] .

قال إن ذلك جاء عن قضية ماريًّا ، وما فعلته حفصة ، ولننتبه لقول بعضهم ، ثم نتابع الروايات التي جاء في بيان أسباب نزول الآية ، فنجد أن هناك (٥١) صحابيَّاً ، بين من ثنى وبين من نقل وحدّث وحسب التسلسل الذي أورده الطبري ، فما هي الرواية التي يمكن أن نقول إنها رويت عن الجمع الآخر من الصحابة .....

((حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أَبو داود ، قال: ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، قال : نزلت هذه الآية في شراب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أَبو قَطن البغدادي عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد مثله)) .

المتحدث نفسه والمصدر نفسه ، ثم يختم بمصدر ثالث ، وهو عن ابن أَبي مَليكَة ، ولكن بالمتحدث نفسه ، وهو ابن المُثنَّى ، أمّا ما هو الشراب ، ولماذا تظاهرت زوجتا الرسول على ذلك الشرب ، فلا أحد يفصح عن ذلك ، وكيف عقل هؤلاء القوم ، أن كل هذه الآيات والتظاهرات ، وتهديد الله لزوجتي الرّسول ، بما لم يهدده لأحدٍ من الخلق (كما جاء في أعلاه) ، كل ذلك بسبب شراب مجهول ، حرمه الرسول على نفسه ، ولا تعجب ممَّا ذُكر ، فهناك حادث آخر لهاتين الزوجتين ، بأنهما اتهمتا الرسول بأنه شرب شراب قبيح الرائحة (ﷺ) ، يسمى بالمغافير ، والحقيقة أنه قد شرب العسل من يد زينب بنت جحش ، لكن عائشة وحفصة اتفقتا أن تكذبا ، وتدعيا أن فيه ريح مغافير (والرسول روحي له الفداء يحرم ويحرم ، مرة زوجته ومرة ما يشرب) ، وعائشة وحفصة مرة تتظاهران عليه ، ومرة تكذبان ، ومرة يقسم على حفصة ، فتحنث في قسمها وتخبر عائشة ، ومرة تلقي عائشة الطعام أمام الرسول لغيرة غارتها ، وبحجة الغيرة ، كان الرسول يعيش حياة الحرب التي لا تختلف عن حربه مع المشركين ، إن لم تكن تزيد عنها ، لأنَّنا نعلم جيداً ، مدى تأثير الحياة الزوجية على الرجل ، فما بالك بمَن كُلّف بمهام النبوة ، أعداء من المشركين ، وأعداء من أهل الكتاب ، وأعداء من المسلمين المنافقين ، وأعداء من الحاسدين والفاسدين ، ثم مشاكل بيتية ، انشغل حتى القرآن بذكرها . وجاء في الطبري ص [٥٦٠] : -

((حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثني ابن أَبي مريم ، قال : ثنا أو غسان قال : ثني زيد بن أسلم أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم أصاب أمَّ إبراهيم في بيت بعض نسائه ، قال : فقالت : أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ، فجعلها عليه حراما ، فقالت : يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال ، فحلف لها بالله ألا يصيبها ، فأنزل الله عزّ وجل : [ا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ] ، قال زيد : فقوله أنت عليّ حرام لغو)) .

(وحاشا لله وحاشا رسوله من أن يقول لغواً ، إنما تفاسيرهم هي اللغو بعينه) ، وهو يريد أن يقول ، أنْ لا أثر لتحريم زوجته عليه ، على الرغم من أنَّهُ ذكر مطالبة الرسول أن يكفر يمينه ،
كما نلاحظ سُنّة السلف ، بأن ينسبوا نزول الآيات ، بناء على قول بعض الصحابة ، إذ قالت يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال ، فحلف لها بالله ألا يصيبها ، فأنزل الله عزّ وجل الآية ،
بعد أن قالت له كيف تحرم عليك الحلال ، حلف لها مرة أخرى ألّا يصيب زوجته الأخرى ،
الزوجة التي تسببتْ بهذا الحدث ، تعاتب الرسول على تحريمه لزوجته الأخرى ، فيُنزل الله آية على وفق ما قالتهُ ، وكأن الرسول بتحريمه من الاقتراب من ماريًّا القبطية ، كان يريد أن يرضي نفسه ، ولا يريد أن يرضي عائشة وحفصة ، وهما في حالة تظاهر على الرسول ،
((حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) ، كانت لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم فتاة [أم المؤمنين ماريّا] ، فغشيها ، فبصُرت به حفصة ، وكان اليومُ يوم عائشة ، وكانتا متظاهرتين ، فقال رسول الله صَـلَّى الله عَلَيْهِ وَآله سَـلَّم ، [اكتمي عليّ ولا تذكري لعائشة ما رأيتِ] ، فذكرت حفصة لعائشة ، فغضبت عائشة ، فلم تزل بنبيّ الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها أبداً ، فأنزل الله هذه الآية ، وأمرهُ أن **يُكفِّر** يمينه ، ويأتي جاريته)) .
وكالعادة ، نخرج من تفسير الآيات ، ونحن لا نعلم هل نزلتا في شراب حرَّمهُ الرسول على نفسه ، أو لزوجةٍ حرَّمها على نفسه ، أم القضية أكبر مما ذكروه ،
وبهذا يحاولون تحويل القرآن من كونه خطاباً للأمَّة ، يكشف ما كان يتعرض له الرسول من حياةٍ قاسية ، إلى مجرد مساجلات بين الرسول وزوجاته ، وهذا عين ما فعله المنافقين ، وهنا تكمن الغاية التي ننشدها من كل ما تقدم ، فكما وثقنا من أن النقد الوظيفي ، ليس بالإهانة أو الإساءة ، ولا حتى فيه من التجريم ما يدعو للانتقاص من يقع عله النقد ، بدليل استعمال الله له مع أنبيائه وملائكته ، بالرغم من أنَّهم زادوا مستوى آخر من الحديث ، وصل إلى مستوى العتاب واللوم من قبل الله لأنبيائه ، فليتهُم أعطوا هذه البحبوحة من الحديث لنا ، مع بعض الصحابة ، لكن القضية على ما يبدو باتت كالمحاصصة ، لن أعطي ما يمس بأسيادي ، ما دام سيدكم فوق مستوى النقد والشبهات ،
فحادثة واحدة مثل حادثة كلاب الحوأب ، تدلنا على ما كان يعلمه رسول الله من الغيب ، وما حدّث به ، وما وقع بالفعل ، لكن احترامهم لأبطال هذه الحادثة ،

جعلتهم يخفون آثارها ، ويبتعدون عن التحدّث بها ، بالرغم من مالها من أبعاد إيجابية ، من أنَّهُ تعالى أخبر رسوله بما سيقع ، وما وقع بالفعل ،
فهل يمتلك أهل الكتاب وغيرهم ، من حجج للتشكيك في رسالة النبي ، لو أن مثل هذه الحوادث ، سُجلتْ ونُقلتْ بشكلٍ صحيح ومتاح ، ومن يتكتَّم على هذه الحادثة وغيرها ، كأنَّما يتكتمَّ على دليل من أدلة النبوة ، ومن ثم فهو دليل حتى من أدلة الألوهيَّة ، كما عَدَّ أهل الكتاب الروايات التي جاءت عن طريق انبيائهم ، وهي تخبرهم عن الغيب ، من أهمِّ أدلتهم على نبوتهم ، أو ما نسبوه لأنبيائهم من مقامات ومنازل ، وهذا ما سنجدهُ في ما يسمى بالدُرر السنية ، التي تحدثت عن رواية أبي أمامة [ذكرت الرواية كاملة في الصفحة {٢٤٣}] ، على أنها علامة من علامات النبوة : ((وفي الحديثِ : علامَةُ مِن دَلائلِ نُبوَّتِه الشَّريفةِ صَلَّى اللهُ عليه وآله سلَّمَ ؛ حيث وقَعَ ما أخبَرَ به)) .
حيث جرى ما أخبرنا به الرسول ، فلِمَا تُستثنى الكثير من الأحاديث للغاية نفسها والغرض نفسه بما أن ذلك من أسمى الغايات وأعظم الأغراض ،
ونحن لا نبغي من النقد الوظيفي ، إلا اِظهار ما خُفي من روايات ، لها الأثر الكبير على بيان التدخل الإلهي ، وعلوم الغيب التي جاءت مع تلك الأحداث ، ونحن حينما ننتقد مسؤولاً كبيراً في الدولة ، إنَّما نقصد أن نشكوه إضافة إلى وظيفته ، لا التشكي من شخصه بالذات ، ولا التعرف إلى صفاتهم ، سيئة كانت أم حميدة ، وإن أودى الأمر لذلك ، ولمّا كان هناك من يعبُد بعضاً ، من صحابة الرسول وتابعيهم ، إلى الدرجة التي نُحكم بها بالموت ، وما يسمى بازدراء الأديان ، فعلينا أن نُقدِّم طرحاً للتفاعل معهُم ، لأنَّ الصراع يسبِّب بالنتيجة أن نعاملهم بالمثل ، فلا يكون هناك من فرقٍ بيننا وبينهُم ، لذا فإنَّ النقد الوظيفي لأعمال وأقوال شخصيات التأريخ الإسلامي ، سيكشف لنا ما تركوهُ من أثرٍ سلبي وايجابي ، وفي الوقت نفسه ، فإنّا نرجو أن ذلك لن يثير حفيظة المغالين والمبالغين في تقديس بعض الشخصيات ، كما إن هذا لا يعني إقرارنا بتكفير من يتصدى بالنقد الجارح ، كونه يبقى مكفولاً بالرأي الحُر ، الذي ضمنتهُ الشريعة الإسلاميَّة ، لكنَّنا نقول إن هذا اللون من الوان التهجم ، لا ينتمي كلّيّاً للطرح الذي نحن بصدد تقديمه ، لعل الآخر يعلم ، أنَّنا لا نبغي من وراء ما نقدمه ، إلا رضا الله جل جلاله ، وبيان أسباب اتجاه الإسلام ، إلى مساراتٍ مغايرة لما رسمها الله ورسوله ، وما أقرّها كتابه الكريم ، على أنَّنا مهما بالغنا في كشف ما يخزي الآخر ، فلن نصل إلى معاملتهم بالمثل ، فيما يجرمون ويسفكون الدماء الطاهرة ،
وحينما نلقي اللائمة على أهل الكتاب ، ونقول لهُم ، تعالوا أن في ديننا لخيراً كثيراً ، وهو الدين الذي أراده الله لخلقه ، بعد أن حُرّفتْ وزُيّفت الأديان التي سبقتهُ ،

فما هو دورنا لدعوتهم ، إذْ كان من المؤسف أن هناك الكثير منهُم من اطلعوا على الإسلام وغادروه ، لأنَّهم لم يجدوا فيه ما يدفعهُم ، لترك دينهم ودخول دين الإسلام ، خصوصاً بعد أن استطاع أعداؤه ، الالتفاف حوله ، ليرتدوا أقنعة المسلمين ، ويطيحوا فتكاً بالأبرياء والعزَّل ، بحجة محاربة الحكومات الظالمة ، وإن كان ذلك الالتفاف وتلك المؤامرات ، لا تخلو من أيدي الحكومات الظالمة أنفسها ، مع ذلك فهذا هو المتوقَّع من كيد إبليس وأتباعه ، وعلينا مواصلة الوقوف إلى جنب الله ، وإعادة الصورة النضرة والهالة النورانيَّة لوجه الإسلام ، في أذهان أهل الكتاب طبعاً ، وإلا فالإسلام بهالة النور منذ الأزل وإلى الأزل ،

وما أجمل التأريخ الإسلامي ما لم ندخل في حناياه ، ونستكشف ما خفي من حقائقه ، لكنَّنا دون كشف ما خفي ، لن نعالج ما أصيبَ وما خَبُث ، وما أجمل ما حققه الأجداد من بطولات وانتصارات وفتوحات ، ولكنَّك حين تمتلك القلب الذي حرّكه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -ع- فينا ، في قوله (النّاسُ صِنْفانِ إمّا أَخٌ لَكَ في الدِّيْنِ، أو نَظِيرٌ لَكَ في الخَلْقِ) ، سيعتصر قلبك حزناً على من قُتل من الأبرياء ، باسم الإسلام وفتوحاته ، وستفهم قوله تعالى (ألّا إنَّ حزب الله هُم الغَالبُوْن) ، بأن الغلبة ليست في السيف ، الذي نقطع فيه رأس من لم يعترف بالإسلام ، ولم ينطق بالشهادتين ، بل الغلبة في أن تدعوه بالحُسنى ، فيستجيب لك بالحسنى ، مالم يرفع سيفه لصدِّك أو يتآمر لقتلك ، وينكث المواثيق بينه وبينك ،

والغلبة في الوقوف ضد الحاكم الظالم ، والأقلام التي تكتب لحراسة عرشه ، والصبر على ما نكره من بلاء الدنيا ، وهذا هو الفوز والغلبة التي عاشها الأنبياء مع أممهم ، ولم يستخلصوا من تلك الأمم إلا ثلّة ، وقليلاً من الصالحين ، أما الشريحة الأكبر ، فراحوا ينزون على الكراسي والعروش ، ، فما إن توفي الرسول ، تشكّل الإسلام مذاهباً بدوافعِ التحزّب لهؤلاء وهؤلاء ، كما مرّت الأديان من قبل بذلك ، وحَسِبَ الشيعة ، أنَّهم وبمناداتهم بأقوال عليّ بن أبي طالب (ع) وأفعاله ، فإنَّهم هكذا أصبحوا يعملون بنهجه ، ويحملون صفاته ، ويحترفون مبادئه ، وهذا ما حسبته مذاهب أهل الجماعة ، في أن أبا بكرٍ بما نُسب لهُ من أحاديثٍ طيبةٍ ، سيتجسد في كل حاكم يحكمهم ، والعجب أن زعماء هذه المذاهب والفرق ، لم يتصدوا بأنفسهم للحكم ، كي نطمئن على أنهم هم من سيفعلون ما يقولون ، ويعملون بما يعرفون ، كما مرَّ بنا حديث الرسول في ذلك ، إنَّما يكون صاحب المذهب في الظل ، ويتصدَّى صاحب السيف لتولي الحكم ، وخير مثال ما زال ينتمي للعصر الحديث ، ما قام به محمد عبد الوهاب التميمي ، زعيم الحركة الوهابيَّة ، والتي تتفرّعُ منها السلفيّة ، وهم امتداد للمذهب الحنبلي ، إذ آزر محمد

بن سعود بن محمد بن مقرن ، في توليه للحكم ، وجعل الخروج على حكمه خروجاً على الله ورسوله ، فيما لم يفكِّر هو أن يتولّى الحُكم بنفسه ، بموجب ميثاق بينهما سمي بميثاق الدرعية (١١٥٧هـ -١٧٤٤م) ، ويُعد الميثاق الأساس الذي نشأت بموجبه الدولة السعودية ،

وأهم ما جاء بهذا الميثاق أن يقوم ابن مقرن بحماية عبد الوهاب ، وبالمقابل يحرّم عبد الوهاب خروج الرعية على ابن مقرن ، وألّا يكفِّرهُ في أخذ المال بموجب قانون ابن مقرن ، لقاء حمايته لأهل الدرعية ﴿١٩٩﴾ ، وكذلك الأراضي التي ستدخل في حكمه لاحقاً ، وهي ما تسمى بـ (الأتاوات) ، لدى البلطجية والفتوات ، وكان لقاؤهما في بيت ابن سويلم ، لقاءً حافلاً بتبادل التهاني بينهُما ، فهذا يبشرهُ بالدعم الإلهي ، وذاك يبشره بالعزة والمنعة ﴿٢٠٠﴾ .

وهذا كان ظاهر الميثاق ، ولكن عن طريق متابعة الأحداث فإن فكرة الميثاق تتلخص ، في أن يعطي عبد الوهاب الحجة لابن مقرن بغزو القرى والمدن المحيطة بهم ، بدعوى التكفير ومحاربة البدع ، وما كان على عبد الوهاب إلَّا أنْ يرصد طقوس المدينة التي ينوي ابن مقرن غزوها ، فيدخل تلك الطقوس في (أجندة) التكفير والبدع ، وبذلك يعطي الضوء الأخضر لحليفه الجديد لاحتلالها ولقاء ذلك ، سيكون عبد الوهاب شيخ الإسلام ، والمفتي الأعلى في بلاط الدولة القادمة ، ويكون بمأمنٍ ممن يريدون قتله لاتهامه بالرده ونشر البدع ، وبذلك التقت أحلام الرجلين ، **فأنجبا الدولة العربية السعودية ،**

وتحول أبن مقرن من قاطع للطرق إلى زعيم دولة ، وتحول عبد الوهاب من مرتد إلى شيخ الإسلام ،

كما اتَّحد موقفهما في تكفير الدولة العثمانية ومحاربتها ، وعلى أثر هذه الحرب اغتيل عبد العزيز ابن الحاكم محمد بن مقرن ، والذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، ومن ثم تولى سعود بن عبد العزيز الحكم ، وكانت نهايته الاستسلام للقوات

....

﴿١٩٩﴾ - ميثاق الدرعية وتأسيس الدولة السعودية الأولى ، مقاتل من الصحراء ، منقول بتصرف .

﴿٢٠٠﴾ - موسوعة تاريخ العالم منذ توحيد القطرين وحتى أحداث [١١] سبتمبر ، أنور محمد زناتي الجزء {١} صفحة [٧٤] .

العثمانية ، مع ذلك ، فقد سيق وأعدم في إسطنبول ﴿٢٠١﴾ - ﴿٢٠٢﴾ ، وقد أسبغ عبد الوهاب منصب الإمام على ابن مقرن ، فظلَّ يعرف بالإمام أو الأمير ، حتى جرى ذلك على أولاده من بعده ، ليكون هناك تصوّر على أنه خليفة المسلمين ، ويكون نظيراً لخليفة المسلمين العثماني ،

وبعد كل ما تقدم ، فإن خلاصة القول في تعريف أطروحة النقد الوظيفي ، هو طرح ينتقد أفعال أهل الدين وأقوالهم من الصحابة والتابعين ، إلى يومنا هذا ، نقداً إدارياً ووظيفياً ، دون الإساءة لهم ولشخصهم ، إلّا بقدر ما هو معروف عنهُم تاريخياً ، والهدف منه ، التفريق بين العمل الوظيفي الذي قام به الصحابة ومن تبعهم ، بمناسبة توليهم المناصب الرئاسية والقضائية والإدارية ، وبين نهج الحق ، للإسلام وسنة الله ورسوله ﷺ ، سواء كان هناك ما يسوُّغ تلك الأفعال والتصرفات ، أو لم يكُـن ، فـمنهج النبوَّة ، مـنوط بالأنبياء والأولياء والأوصياء وآلهم ، وغير محتمل ممن هُم دونهم ، ومن اجتهد على أن يحتذي بمنهج النبي ، لن يكون نبيَّاً مهما بالغ في ذلك ، لكنّ من خالف منهج النبي قيد شعرة حتَّى لو كان من أهل بيته ، فقد انفكت عنه ، رابطة التأسي بالنبي ، ولم يعد من آله ، كما هي الحال بابن النبي نوح مثلاً ،

وهذا لا يعني أبداً ، أنَّهُ ما كان على الصحابة والتابعين ، أن يجتهدوا للتأسي بعدل الرسول ومنهجه ، بل على العكس تماماً ، كما نعني أن عثورنا على الشوائب محتمل جداً ، ولا بد من أن يكون متاحاً ، فيا عُبّاد السلف ، دعونا نُخرج ما شاب اسلامنا من شوائب ، ونراه ناصعاً ، كما أراده الله ورسوله ناصعاً ، وانشغلوا أنتم بتخليد أسلافكم ، في تأريخ لطالما خلّد الفُجّار ، أكثر من تخليده الأحرار ، فأنتُم أمام أمرين ، إمّا أن تنسبوا طواغيت الفساد كحُكام الدولة الأموية والعباسيَّة والعثمانية إلى الإسلام ، فتشلُّوا حركة العدل في دين الله ، أو أن تجعلوا للإسلام من يُمثِّله من الطاهرين والصالحين ، دون أن تتعرضوا للفاسدين من أحبابكم ، وهذا هو أضعف الإيمان ، ونصف الحقيقة ،

ولو كنتَ مشتاقاً لمعرفة الحقائق ، وهي تنزع جلباب التعصب والتزويق ، الذي حاكته أقلام أهل الحميَّة للعروبة والقوميَّة ، فعليك أن تجعل حميتك لدينك ولشخصياته المُنزَّهـة عن الأطماع الدنيويَّة ، وتخيل أن فرعـون مــصر ، وبدل أن

....

﴿٢٠١﴾ - الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ، دارة الملك عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، [٢٠٠٤] م .

﴿٢٠٢﴾ - عبد الله الصالح العثيمين (١٩٩٩م) تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، صفحة[٨٠] .

يختار قتال موسى ، اختار الحل الأكثر مكراً ودهاءً ، وهو أن يعتنق الدين الذي جاء به موسى ، ومن بعد ذلك يطعن الدين من الداخل ، وهذا التخيل ليس بعيداً عن الواقع ، ولا هو بالفرضيَّة المستحيلة ، فالسامريُّ حقَّق ما لم يستطع تحقيقه فرعون ، لو كان قد آمن بما جاء به موسى ، وأراد أن يحارب موسى من الداخل ، فبدل أن يعبدوا فرعون عبدوا العجل ،

ونرى شديد حرص الرسول محمد ﷺ على إتمام رسالته ، والحفاظ على مسلكه الوظيفي ، إذ يطلب هو التدخل الإلهي الدائم في حياته الوظيفيَّة ، حتَّى في دعائه وابتهالاته ، كدعائه صلوات الله عليه وعلى آله : -

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) ﴿١١٤﴾ طه .

أي زد علم الناس بي ، ليزدادوا أتْبَاعي من جميع القوميَّات والأقاليم ، وكأنَّ معنى (علماً) في هذه الآية جاء كمعنى العَلَم ، إذْ إن دعاء الأنبياء يختلف عن دعائنا نحن الذين نقدِّم أنفسنا وأهلينا بالالتماس إلى الله ، وإن وجدت من يقترب لأخلاق الرسل ، ستراه يدعو لأمة الإسلام أو اليهود أو المسيح ، أما الأنبياء فطموحهم رضا الله رب الناس أجمعين ، لذا كان الرسول يود تعجيل ابلاغ القرآن ، ولكن الله تعالى بين له ضرورة عدم التعجيل ، فحين يعجل بالقرآن ، فالآية ستخصُّ مجموعة أقل من المجموعة التي ستدخل لاحقاً ، فتخصُّهم الآية ، وبهذا فإن الله يعطي لنبيه خُطَّة وظيفيَّة ستزيد من مناصريه ، بالرغم من الحرص الشديد للنبي على القيام بذلك ، فمثلاً (س و ص) شخصان يريدان أن يدخلا الإسلام غداً ، فكل يوم من أيام البعثة الشريفة كان يزداد أتباع الإسلام عشرات ومئات ، أو يريدان أن يقوما بأيِّ فعلٍ من الأفعال ، التي ذكرها القرآن سلباً أو ايجاباً ، لكن حُرص الرسول لتبليغ الآية أو الآيات المنزلة يجعلهُ مُحبّاً لتبليغها اليوم قبل الغد ، فإذا ما أبلغ اليوم فإن (س و ص) سيخرجان عن سياق الآية ، أو يَظُنَّان هكذا ، وبذلك يشعران أنَّهما غير معنيين بمن أشارت لهم الآية سلباً أو ايجاباً ، ولأخذ بعض الآيات لتفعيل مثالنا ، نذكر ما جاء في سورة الحجرات : -

(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الحجرات .

فلو أبلغ الرسول قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) ،

لكان فعل أولئك فعل غير فطري ، بل بموجب الأمر الإلهي بأن يغضّوا أصواتهم ، وهذا الأمر غير مُنكر ، ولكن حين يفعلهُ (س) فسيعرف كل المسلمين أنَّهُ من المتقين ومن أصحاب الأجر العظيم ، ويعلم (س) أن الله لم يبخس حقَّه بما تقدَّم منهُ من خُلق رفيع ، على العكس من أولئك الذين يرفعون أصواتهم وينادون الرسول من وراء الحجرات ،

ولا بأس أن نستعرض أمثالاً أخرى مهمة ، ومنها الآية التي اجمع معظم الفقهاء أنها اختصت بعلي بن أبي طالب -ﷺ-: -

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون) ﴿٥٥﴾ المائدة .

وهذا الآية نموذج فريد من نوعه كمثالٍ لما نحن بصدده ، لأنَّ هناك بالفعل من الصحابة من حاولوا وحاولوا أن يدفعوا الزكاة وهم راكعون ، لكنَّ شيئاً لم يأت بشأنهم ، لأنَّهم قاموا بفعل الزكاة بعد نزول الآية ، وطمعاً بأن يكونوا أولياءً للذين آمنوا ، وهنا أصبح التأخر في ابلاغ القران هو المحذور ،

وهناك من الأنبياء من طلب إضافة عمل إلى عمله الوظيفي ، كما فعل سليمان النبي ذلك ،

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي **وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي** إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) ﴿٣٥﴾ ص .

فقد تصدى نبي الله سليمان للعمل الوظيفي ، الذي يرى في نفسه الكفاءة للقيام به ،

وهناك من الأنبياء من طلب زيادة في عمله الوظيفي ، وإن لم يكن طلبه من الله ، ولكنه بالمُحصلة ينصب في رضا الله ، وفي بيان قدراته للقيام بما يرضي الله ، وهذا ما فعله يوسف النبي : -

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ **مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ** نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يوسف .

كل ذلك بياناً لقدرات الأنبياء ، والتي إن اختلفت في الخطط الوظيفية ، فإنَّها تلتقي بنتائج مشتركة ،

فلو كان النبي عيسى بُعث لقوم موسى ، وفي الزمان والمكان الذي بُعثَ فيه نبي الله موسى ، لفعل عين ما فعله نبي الله موسى ، واستصحب معه المعاجز التي جاء بها ، ولحلّ بقوم موسى ما حل بهم من هدى ومن ضلال ، إلا بعض من الحراك الوظيفي ، وكذلك الحال في قوم عيسى لو جاءهم نبي الله موسى ، أو أيّ نبيٍ آخر ، ولا يشرط أن يعش كلٌّ منهم حياة الآخر بحذافيرها ، وهذا ما يجعل

الفرق بين الأنبياء وبين باقي البشر فرقاً كبيراً وشاسعاً ، لأن الأنبياء وبفضل التدخل الإلهي يمتلكون علم التبليغ وعلم التأويل ، واللذين افترضناهما فرعين من فروع علم الخلافة ، وهو ما يعطيهم القدرة على ترجمة الكتب السماوية ، والمَلَكَة على تأويل كل آية من آيات الكتاب إلى أي لغة ، وبالطبع لا نعني الترجمة الحرفية ، بل الترجمة حتى وفق أخلاقيات الشعوب وطباعهم ،

وقبل أن نغادر بحثنا حول أطروحة النقدي الوظيفي ، فعلينا أن نشير لتقسيمه على أنواع مختلفة ، كما ورد في الكتاب السابق – (المعقول والمقبول فيما نسب للرسول) ، ومن أهم تلك الأنواع ، النقد الصوري ،

فما إن تطّلع على كتب التفسير ، حتى تصطدم بأقوال أهل التأويل ، ولن تغادر آية من آيات القرآن ، حتى تجد عبارة (اختلف أهل التأويل) ، ولن تجد لهُم اتفاقاً على مفردة واحدة من مفردات النصوص القرآنية ، وبالرغم من العدد الكبير في الطروحات ، لكنَّك ستقف بعد طروحاتهم وأنت تزيد عليها طروحات أخرى ، وستكون متأكداً بأن ما يطرحوه مجرد تصورات ، وكل منهُم يعرض الصورة التي يرسمها خياله ، وعلى وفق المستوى الاجتماعي الذي يعيشه ،

لماذا شجرة آدم هي التفاحة أو التمر أو الزيتون أو الخوخ ،

فمن كان يعيش منهم في قصور الحُكَّام ، قالوا عن شجرة آدم إنها شجرة التفاح ، ومن كان فقيراً قال عنها إنَّها النخلة ، ومن كان أشد ضنكاً قال إنها الحُنطة ،

ولكنَّنا في هذا الطرح لن نزيد تصورات أخرى لتصوراتهم ، بل نقف حيث تصوراتهم ، وحيث لم يدخل في حساباتهم من التساؤلات ، لماذا لم يفصح الله عن نوع الشجرة ، ولم يذكر لنا نوع ثمرتها ، بل لماذا أحاط الله تلك التفاصيل بالغموض ، هل لعدم أهميتها ، أو للأهمية الكبرى لها ، ولنعثر على الإجابة ، يجب أن نبحث عن حقيقة الشجرة ، فإذا كانت شجرة كباقي الأشجار التي نعرفها ، فليست بالأهمية التي تدفعنا لنقف عندها ، وإذا كان المقصود بها الشجرة بالمفهوم المعنوي ، كشجرة بني آدم وشجرة المنتهى ، فهذا ما سيفتح لنا أبواباً متعددة ، وطرقاً مختلفة لاكتشاف ما اغفله اهل التأويل ، بسبب النمطية التي اتبعوها في تأويل النصوص القرآنية ،

لذا فإن أطروحة النقد الصوري يعرّف : بأنه الطرح المقارن بين ما صوَّرهُ أهل التأويل من السلف ، وبين ما طرحه أهل الاختصاص ، على وفق ما توصّل له العلم والتصورات الحديثة ، لكلِّ الأمور التي استعرضتها النصوص القرآنية ، بينما يتوقف النقد الوظيفي ، عند أثر أي صحابي قـياساً بما نعرفه عن منهاج القرآن ، أو منهج الرسول ، ولنعد الآن لما ذكرناه في خطوة التعرف إلى يوم الظهور ، وقد أسلفنا ، بأننا سنوسعها بحثاً ، وهي بخصوص قوله تعالى : -

(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴿١٠٧﴾ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**) الصافات .

لكن للآخر رأي آخر ، وصراع من أجل تحريف الكلم عن مواضعه ، فمثلما وضع لنا الله الإشارات والبيانات لإخبارنا بيوم الظهور ، وضع لنا اِشارات أخرى تدلنا على أصحاب الظهور ، وأئمة الظهور ،

وبمرور سريع ، على ما جاء من تفسير ابن كثير والقرطبي وغيرهم من النمطية ، ((قال الثوري في تفسير وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كبش **قد رعى في الجنة أربعين خريفا ،** وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا داود العطار ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه ، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء ، فذبحه ، **وهو الكبش الذي قرَّبه ابن آدم فتقبل منه ، فكان مخزونا حتى فدي به إسحاق ،**

وروي أيضا عن سعيد بن جبير أنه قال : **كان الكبش يرتع في الجنة** حتى تشقق عنه ثبير ، وكان عليه عهن أحمر)) ،

لا أعرف إذا كان تفسيرهم هذا أحجية أم مزحة ، ليتحدثوا عن كبش قربه ابن آدم فتقبل منه ، فيعود للجنة ليرعى أربعين خريفاً ، ليكون بعد ذلك قرباناً لإسحاق ، فهل سمعتم عن خريف في الجنة ، أم عن أربعين سنة تفصل ابن آدم عن إسحاق ، هذه المعلومة العظيمة التي يقدمها الثوري عن أن للجنة خريفاً ، وأن الكبش المبارك الذي قدّمه ابن آدم يرعى في الخريف ، وهو على ما يبدو ، من النوع الذي يأكل الأوراق الميتة والنفايات كالخنازير ، ولتعلم أن المتحدث بهذه الرواية ، ينطق عن يقين وعلم عظيم ، بيّن أن عليه عهن أحمر ، فهل بعد هذا التفصيل الدقيق ، من شك في صدق الرواية ، فدليله أن عليه عهن أحمر ، كوصف موسى للبقرة ، ووصف بني إسرائيل لثورهم ذي البقع الحمراء ، وزاد الأمر يقيناً ما قاله الحسن البصري من أن اسم الثور **جرير** ،

ويا حبذا أن يطلع القارئ العزيز بنفسه على كم الروايات التي كُتبتْ عن قضية الكبش وقرني الكبش ، كل ذلك ليثبتوا أن الذبح العظيم كان كبشاً ، ولم يذكروا لنا أيَّ رواية عن رسول الله قط ، بشأن هذا الذبح ، ولكن لم يفتهم أن يذكروا اسم الرسول المصطفى في الحكاية ، للتمويه والتحايل على من يطّلع ، ليؤمن أن الذبح العظيم هو الكبش ، أمّا كيف قاموا بدس رواية عن النبي -ص وآله- ليوهموا القارئ بأن الرسول ، هو من قال بأن الذبح العظيم هو الكبش ، فذلك عن طريق ما نقله أصحاب التفاسير ، واخترنا ما جاء بابن كثير في تفسير الآية : -

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٠٧﴾ .
((وعن الحسن أنه كان يقول : ما فدي إسماعيل إلا **بتيس من الأروى** ، أهبط عليه من ثبير ،
وقد قال أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور ، عن خاله مسافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم - ولدت عامة أهل دارنا - أرسل رسول الله ﷺ - إلى عثمان بن طلحة - وقال مرة : إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال : ((إني كنتُ رأيت قرني **الكبش** ، حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي)) ﴿٢٠٣﴾ ،
مثل هذه الرواية ، ألم يسأل المُفسِّر نفسه عن سبب ذكرها لنا ، إلّا ليدخل اسم الرسول في مُجمل حديثه عن قصة الذبح العظيم ، حتَّى أنَّهُ ذكر الكبش معرّفاً بالألف واللام (إني كنتُ رأيتُ قرني الكبش) ، أي إن قرني الكبش يعودان لزمن النبي إبراهيم -ع- ، إذ ذكر بعد القصة في أعلاه : -
((قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين حتى احترق البيت فاحترقا)) ، وبذلك ضاع الدليل وانتهت اسطورة الكبش الذي أدخله ابن آدم للجنة ، ليرعى أربعين خريفاً ، ثم نحره إبراهيم ، وبقيت قرناه معلقين حتى احترق البيت ، وبموجب رواية ذُكرتْ ، عن ابن عباس ﴿٢٠٤﴾ ، يتحدث عن الفترات الزمنية بين الأنبياء ، يكون عمر القرنين حتى احتراقهما أربعة آلاف وثمانمائة عاماً ، أمّا عمر الكبش حتى ذبحهُ إبراهيم ، فيقدر بألفي عام ، لذا تكون القرون التي عاشت أكثر من ألفي وثمانمائة عام ، من أثمن الآثار لولا احتراق البيت ،
غير أن الراوي يا سادة يا كرام ، لم يخبرنا ، هل بُني البيت زمن النبي إبراهيم ، فعلّق القرنين على بابه ، أو كان على باب أخرى ،
كل هذا للإصرار على أن الذبح العظيم كان كبشاً ، ولم يكن غير ذلك ، وسبب اهتمامنا بما تقدم من حديث ، هو أننا نفقد الإشارات والعلامات التي وضعها الله لنا ، لنتعرف على علامات الظهور وعلى أئمة الهدى في الظهور ، بسبب التعصب لبعض الروايات المنقولة ، وهنا لن نحاول الاجتهاد لتفسير الآية ، أو حتَّى نقل الروايات المتواترة عن بعض الفرق ، إنما نُريك سيدي القارئ ، ركَّة الأسانيد في التفاسير ، واضمحلال الفكر والاستنتاجات ، والتعامل مع القرآن ، على أنه جاء بقصص وروايات للاستمتاع بسرد الاحداث ، لا للعظة والموعظة العظيمة ،

....

﴿٢٠٣﴾ - تفسير ابن كثير – جلد {٤} – صفحة [١٩] .
﴿٢٠٤﴾ - التاريخ الديني للأرض .. أحمد إبراهيم الشريف - [٧ / أبريل / ٢٠٢٠] .

الخـــــــاتمــــــــة

مرّت بنا مباحث مُتعدِّدة ، كان لها [٢٠٤] مصدراً ذكرت في الهامش ، و[١٠٩] مصدراً ذكرناها في المتون ، أي [٣١٣] مصدراً ، فهل ما زلت تشكُّ إن دولة الخلافة ذات نظام جمهوري ، وإن كنت تشك بنظام الحكم ، فهل تشُك أنّنا ننتظر خليفة الله ، وخليفة الله يعني مُمثل الله في نهجه ، وما نرى من تعامل الله الجاري معنا ، هل يعترف إلّا بمن يُؤمن به ، أنَّهُ من عباده ، أي إنَّ نظام حكم الله ، بأن يقرّ بمن يؤمن به ، ويزهدُ بمَن يرغب عنهُ ،

عليه فلو أسَّس الله تعالى دولةً له ، فسيدخل من آمن به في دولته ، ويمنع من لا يُؤمن بهِ ، وإنْ كان يرزقهُم ويتولّى أمورهم جميعاً ، إذ هُم في ملك الله ، أي إن مملكة الله ، نعني بها كل هذا الوجود ، لأنَّ كل هذا الوجود مِنْ صنعهِ ، أمّا كدولة لعباده ، فهي جمهورية ، أنتخبهُ عبادهُ ، ووجدوهُ خير ربٍّ لهم ، وخيرُ وليٍّ ، فأدخلهُم دولتهُ ، وإن لم نرَ حدوداً لها ، أو فواصل تفصل عباده ممن لا يؤمنوا به ، لأنّ دولته الحقيقية ، هي الجنَّة ، التي نحتاج لدخولها ، أن ندفع شيء من ثمنها ، ومن الزمن الذي سنعيشه بها ، والباقي يسدده لنا جلَّ وعلا من جودهِ وكرمهِ ، ويشفع لنا من أجل ذلك أنبياءه وأولياءه .

= لولا ما يعرف بالبداء ، وما نقل من روايات تنالُ من المحددين لتوقيت الظهور ، لأوردت وبشكل معادلة رياضيَّة ، تبيّن تاريخ الظهـــور ، بالسنة والشهر واليوم ، والجميل في هذه المعادلة ، أنك تحصل على نفس التأريخ ، وفق الأحداث الإسلاميَّة لدى الشيعة أو لدى أهل الجماعة ، فعند الشيعة ندخل الفترات التي تولّاها الأئمة المعصومين لديهم ، في حسابات خاصة لنحصل على نفس النتيجة التي نحصل عليها من العهود التي مرّت بها الدولة الإسلامية ، وهما الأموي والعباسي ، وتدخلهما في حسابات خاصة بالعهد العثماني ، وبذلك تحصل على أن ما مـرّ من عـهود ، كان ضمن حسابات السـماء لظهور دولة العـدل الإلهية ، وبالرغم من أن هناك فرقة ناجية واحدة لا أكثر ، إلّا إن السماء كلّمت كل منهُم وأشارت لهم ، بما يعتقدوه ويفهموه ، علّهم يبحثوا ويتفكّروا في أيام الله -جلّ جلاله- ، ولو أردت أن تتعرف على يوم الظهور ، من حيث الحدث الأول لمعرفة الظهور ، فدعك من الأعداء وفتِّش عن الأنصار ، أي لا تكترث للسفياني وقصصه المطوّلة ، وهذا ما جعلنا ، لا نولي اهتماماً ، حتى ليستقل موضوع السفياني بفرع واحد من مطلب ما ، فعليك أن تُفتِّش عن الفرقة الناجية ، فإذا ادركتها ، فاعْلَم أن موعد الظهور ، متى ما فقدت الفرقة الناجية زعيمهم ، وتفرقوا واصبحوا مجموعات

تكاد تكون متساوية ، كل منها تتبع زعيماً ، في خلافٍ مع آخر ، وسعوا لطلب الوحدة مع أشد الفرق خلافاً معهم عبر التأريخ ، فبمجرد حدوث هذه الأحداث والتي قد تحدث في أقل من أسبوع واحد ، فاعلم إن الظهور قد بدأ بالفعل ، وكان في نفس السنة التي طلبوا بها الصلح مع من كانوا ألد الخصام ،

ونذكر أنَّ هناك الكثير ممن تكهنوا بموعد الظهور ، من دون أي دليل علمي أو روائي ، ولكيلا يكون في مأزق ، صرّح بأنه تعالى : -

(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ﴿٣٩﴾ الرعد .

وهو اِسلوب اعتدناه من قبل بعض المشعوذين ، كالشيباني وغيره ، فإذا ما خابت تكهناته ، يخرج الورقة الرابحة ، على أنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت ، وحاشا لله ، أن نقصد المساس بالآية ، بل المساس بالوسائل المستخدمة ، في تفعيلها ، لأنَّ التوقيت ، إمّا أن يكون على أساس علمي ، وقاعدة علميَّة ، أو على أساس حديث نبوي أو قدسي ، أو رواية للأئمة الهداة ، من أسباط الرسول ،

= بعد صدور الكتاب الأول والثاني ، والملحقات التابعة لهُما ، كنتُ عازماً أن أبدأ أملي بتأليف سلسلة من المصنَّفات ، تدرس الظهور في اليوم الآخر ، بعناوين مختلفة وبتخصصات متنوعة ، في شتى الميادين والعلوم ، التي تتداخل مع قضية اليوم الآخر ، منذ النشأة الأولى حتى حلول موعد الظهور ، وما يليه من أحداث ، وقمتُ بدعوة لمئاتٍ من الكتاب والباحثين الإسلاميين ، أملاً أن يجتمع منهم ، [٣١٣] باحثاً ، تيمناً بعدد أنصار داوود النبي وبعدد المسلمين في معركة بدر ، فهو يعد من الأرقام المُباركة ، على مرّ التأريخ الخاص بالرسالات السماويّة ، وما أن بدأتُ التفاعل مع الأخوة الباحثين حتى اخشوشنتْ الطلبات والشروط ، التي بدأوا يضعونها من أجل اِخراج موسوعة الظهور في اليوم الآخر ، أو كما حبّذ بعضهُم أن يطلق عليها اسم موسوعة الإمام المهدي ، ومن هنا بدأ الخلاف والاختلاف ، أي بدءً من العنوان ، ومن ثم الاعتراف بالروايات الخاصة بأيّ موضوع ، أو عدم الاعتراف بها ، حتى انهمر سيل من الخطوط الحمراء ، ولم أجد في الكثير منهم ، تلك الشعارات الأخرويّة السامية ، ومنهم من لا يودّون ، أن تختلط مع آرائهم ، آراء معاكسة أو مغايرة ، ناسين أن هدفنا من السلسلة ، هو الخروج بالمعقول عن المنقول ، وتقبُّل كلَّ ما هو محتمل للقبول ،

لكنَّني أعلم جيداً ، أني لم أحط بكلِّ أصحاب القلم ، ورُبَّما لم أضع الخطة المناسبة لجمعهم ، خصوصاً وأنا أبحث عن الكيميائي والفيزيائي والطبيب ، مثلما أبحث عن رجال الدين ، لذا قررتُ أن أرسم كلّ مرّة أطلّ بها ، وأفتح نافذة جديدة للبحث في جمهورية النبأ العظيم ، أو جمهورية اليوم الآخر ، حتى يتحقق الأمل الأعظم ،

وتصدر السلسلة المؤمّل أن تكون مرجعاً ، لمن يريد أن يتعرَّف ، على أيِّ شأنٍ يخصُّ جمهوريَّة خليفة الله -عزّوجلّ- ،

ولمّا كان بحثنا في هذا الجزء عن جمهورية الخليفة ، فسيكون بحثنا القادم عن النبأ العظيم واليوم الآخر ، الذي اختصَّ بظهور الخليفة ، ولا بأس من أن نفتح نافذةً لبحثنا القادم ، من هذه الخاتمة ، فنحن نمر بعدة أيام منذ خلقنا ، حتى استقرارنا حيث منازلنا في الآخرة ، وهي سبعة أيام ، ولبعضنا ستكون ستة فقط ، **فاليوم الأول** - كان في عالم الذر ، وهو النشأة الأولى لبني آدم قبل أن يتصوَّروا بنيَّ لآدم ، وقبل أن يدخلوا ظهر آدم : -

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ) ﴿١٧٢﴾ الأعراف

واليوم الثاني - هو تصورنا أبناءً لآدم ، بدخولنا ظهر آدم ، وذلك قبل نزولنا للحياة الدنيا بوصفنا معشرَ الإنس : -

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ **ثُمَّ** صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) ﴿١١﴾ الأعراف .

فالآية صريحة ، بأننا خُلقنا ، ومن ثم تمّ تصويرنا ، أي اتخاذنا الشكل الذي أبدعه الخالق في آدم ، ويعلم الله الزمن الذي تشير إليه (ثمَّ) ،

ومن ثم ، نزولنا للحياة الدنيا بأجسادنا ، التي أخذت شكل أبينا آدم وطبيعته ،

(يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) ﴿٢٧﴾ الأعراف .

أمّا **اليوم الثالث** ، فهو اليوم الذي نحن فيه الآن ، وهكذا فقد بقيت لبعضنا أربعة أيامٍ من أصل سبعة أيام ، وثلاثة ، من أصل ستة لبعض ، مرّ علينا ثلاثة منها ، **واليوم الرابع** هو اليوم المشابه لليوم الثالث ، وما أسميناه ، أو هكذا ناداه الله (اليوم الآخر) ، حيث يشتركان ، بمكانٍ واحد ، ألا وهو الأرض ، وزمانٍ يلي زمن اليوم الثالث مباشرة ، ومن بعد ذلك ، يأتينا **اليوم الخامس** ، وهو يوم القيامة والحساب ، وأخيراً وليس آخراً ، **اليوم السادس** ، وهو يوم المستقر ، الذي سنلقى به ونجزى بما قدمته أيدينا ، إمّا الجنة وإمّا الجحيم ،

هذه الأيام تختلف عن بعضها بعضاً اختلافاً زمانياً مبيناً ، فمنهم من نقل رواية تشير ، على أن دخول آدم للجنة وهبوطه منها ، لم يكن إلا في نهارٍ واحد من ذات اليوم ، أو ما يعادل سبع ساعات ، بقياس ساعتنا ، والتي تمر علينا الآن ، أمَّا يوم المستقر فهو لا يقاس بزمن ، كما لا يحد بمكان ، وهذا يعني أن اليوم السادس

يختلف بعدة أمور ، عن بقية الأيام ، فلا يوم يليه أبداً ، إلا ما يخص انتهاء عقوبة بعض المذنبين ، وانتقالهم لمنزلة كريمة من بعد العذاب ، إذ فيما يخص هؤلاء ، يكون يوم المستقر هو **اليوم السابع** ، بعد انتهاء اليوم الذي انفردوا به ، لتلقي جزاء أعمالهم ، والتي أبقتهم أحقاباً في جهنم ، لذا فاليوم السابع ، سيكون لفئة محدودة ، هو يوم الختام ، كما أن اليوم الأخير ، لم يغلقه الله بزمانٍ أو بمكان ، وبما إنَّنا في طريقنا للبحث عن اليوم الآخر ، فما هو الفرق بين اليوم الثالث واليوم الرابع ،

وعن طريق ما مررنا به مِنْ مباحث ، يُمكنُنا اِجمال أهمِّ الفُروقات بينهُما ، وهي أن اليوم الرابع ، هو ما خصصه الله بأيامه وحكومته ، أمَّا اليوم الثالث ، فما تركهُ الله لبني آدم ، باختيار من يتولّاهم ، وما خصصه الباري -عز وجل- ، لنشر رسالات السماء عن طريق انبيائه ،

كما أن يومنا الرابع ، لن يشهد أي ضبابية في الرؤيا ، وأيّ اِملاءٍ للمشركين والكافرين ليزدادوا اِثماً ،

كما يمكن تسمية اليوم الآخر بيوم الدين ، إذ سيطّلع العالم بأجمعه على دين الله من غير تحريفٍ وتزوير ، كما يطّلع على ما حُرّف وما زيّف من دين الله الواحد ، حتَّى غدتْ أدياناً ومذاهبَ متعددة : -

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) الانفطار .

فمن هنا يبدأ يوم الدين ، فالأمر يومئذٍ لله المتمثّل بخليفتهِ ، وحكومة خليفته ، وإذا ما اجتمعت الآراء والروايات ، بأن يوم الظهور ، سيقتل فيه إبليس على يد خليفة الله ، فهذا يفسّر لنا أيضاً سبب تسمية يوم الظهور بيوم الدين : -

(قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الحجر .

فإذا جاء يوم الدين فلا داعي للعن إبليس غائباً ، بل سيكون قتله حاضراً : -

(وَقَالُوا **يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴿٢٠﴾ هَذَا **يَوْمُ الْفَصْلِ** الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى **صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) الصافات .

فهو يوم الفصل ، لنبذ المُدَّعين كذباً على دين الله وسُنَّته ، حتَّى وإن كانت الآية تشير إلى يوم القيامة ، لأن يوم الظهور ، هو جزء من أجزاء يوم القيامة ، وهو المُقدِّمة لها ، وهو جزء من يوم الدنيا ، لذا يعد **المفصل** بين اليومين ، وكما جاء بنفس التسمية في سفر رؤيا يوحنا ((لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ **دَيْنُونَتِهِ**)) [راجع الصيحة] فالدينونة هي الدين كما عبّر عنه بالساعة ، التي سيكون حديثنا عنها في الجزء [٢]

، وفي قضية جائحة كورونا ، كشف الله لنا عمّا وصلنا لهُ من فساد ، وكانت النتائج تشير إلى فساد خرافي ، قد وصلتْ له البشرية ، الأمر الذي يُرينا أن بقاءنا في البيت خير من خروجنا منهُ ، ونحن لا نعني بعدم الخروج حفاظاً على الصحة العامة ، بل نعني أن النتائج أثبتت أن نسبة الفساد بخروجنا من البيت ، تساوي أضعافاً لا حصر لها قياساً ببقائنا فيه ، وهذا يعني إنَّنا وصلنا إلى قمَّة الفساد ، الذي يستحق من الإصلاح أن يثأر ، ويمكنُنا القول إن حكومة العالم ، هي أسوأ ما مرّ به العالم من الحكومات ، منذ أن حلَّ أبناء آدم على الأرض ،
وبالرجوع لقوله تعالى : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، فإنَّنا ، لو تتبعنا سير كلَّ الظالمين والمفسدين ، سنجد أن من يفسد هو نفسه من سيتحول ليسفك الدماء ، كسيرة النمرود وفرعون ، وغيرهم من الظالمين ، وهذا يعني أن الفساد الذي نحن فيه يضم الظلم والجور ، وسيؤدي إلى سفك الدماء ، كما حصل في الحرب العالمية الأولى والثانية ،
لذا ينبغي القول إن ما وصل العالم له من فساد وإفساد في يومنا هذا ، لم يصلهُ أبداً في الخوالي من الأيام ، ولا يمكن السؤال بعد ذلك ، إذا ما كانت الأرض مُلئت ظلماً وجوراً أم لا ،
وهذا يعني أنَّنا دخلنا فعلاً في اليوم الآخر ، ونحن على مشارف الأفق الواضح لظهور هلال طلعته البهيّة النديّة ، وقضية الأفق الواضح ، أو ظهور العلامات الخاصة بمجيء الخليفة ، لا ترتبط فقط ، في أن الأرض مُلئتْ ظلماً وجوراً ، لأنَّ الظلم بدأ منذ بداية نزول البشرية إلى الأرض ، وإذا كان قابيل قد قتل أخاه هابيل ، فإن البشرية شهدت ما فاق هذا الجرم بكثير ، فهناك من قتل أباه ومن قتل ابنه ، ومن قتل أسرته كلَّها من أجل شيء أو لاشيء ، ولكن الظلم الحقيقي ، هو ظلم تركة الأنبياء والأولياء ، وما تركوه من شرائع خُنّاها ، وأحاديثٍ زيفناها ، ووصايا أغفلناها ، ومحرومات استبحناها ، ومظالم أهدرناها ،
أمّا ما جعل الأرض مُعدَّة لاستقبال الخليفة ، فهي أمور مختلفة ومتعددة ، أهمَّها صيرورة الأرض كقرية واحدة ، إذ أصبح التحدّث مع العالم بأجمعه ، من أيسر الأمور ، ويمكن للصغير والكبير والضعيف والقوي القيام بذلك ، حتى مع تعدد اللغات ، وإن التحول الكبير الذي جاء نتيجة لدخول ما يسمى بالشبكة الإلكترونية العنكبوتية ، ينسجم مع الروايات القائلة بتحدث الخليفة مع العالم أجمع وبكل لغاتهم ، وبغضِّ النظر عن موافقة حكوماتهم ، فعن طريق تلك الشبكة ، يمكننا الآن التعرف إلى آراء كلِّ أهل المعمورة في ساعاتٍ معدودة ،
فضلاً عن ثبوت حدود الدول ، فلثبوت حدود دول العالم أهميَّةٍ كبيرة ، في تعامل الخليفة ، مع تلك الدول بشخصياتها المعنوية ، وثُمّ تعاملهُ معها ، بموجب

البروتوكولات المعترف بها عالمياً ، وعليه يمكن فهم سياسة كل دولة ، بموجب ما نصّ عليه دستورها ،
أمّا ما يخص العلامات التي ذكرتها الكثير من الروايات ، كشروق الشمس من الغرب ، والسفياني والدجال ، وتعرض الشام والعراق إلى الحصار الاقتصادي من قبل الدول الكبرى في العالم ، وهو ما جرى عليهما بالفعل ،
فإنَّنا في هذا الجزء حصرياً ، لم نكثّف بحثنا على يوم الظهور لدولة الخلافة بقدر ما كثفناهُ ، لمعرفة نهج الخليفة والنظر لدولته بمنظار علمي وقانوني ، وإعادة طرح المفاهيم الأساسية بشكلها الحقيقي والصادق ، وإلى كيفية الوصول لدولة الخلافة ، مُنْذُ هذه اللحظة التي نحن فيها ، ومن مكان كلِّ شخص منَّا ، فبوصولك لدولة الخلافة ، سـينهي ترقبك لكلِّ العلامات ، ويتحول الغيب إلى يقين ثابت ، وإن لم تسهم خطواتنا الفكريَّة لوصولك دولة الخلافة ، فهي بالتأكيد لن تعيدك إلى ما كنت عليه من بُعْدٍ عنها ، ويعلمُ الله أنَّنا لم ندّخر جُهداً قط ، في سبيل ذلك ، ونأمل منهُ سبحانهُ أن نكون قد أسهمنا ، ولو بكشف ما زيّف من الحقائق ، لِنُكتب وإيّاكم من جنود خليفة الله القادم وأنصاره ،
ومع كلِّ ما نرجوه من الهدى والتوفيق ، فإنَّنا حاشا لله أن ندعي بقدرتنا على الهداية المُطلقة لأيِّ عبدٍ من عباده ، لأنَّنا نؤمن سلفاً بأن الهداة قد اصطفاهم الله قبل خلق الخلق ، ونصّبهُم خلفاء في الأرض قبل أن نسكن الأرض ، وكل ما علينا من واجبات ، هو الكشف عنهُم والسعي وراء خُطاهُم ، بعد الاعتراف بحقِّهم الأقدم لحكم الأرض بِاسم الله ، والتبرؤ ممن عاداهم ، وممن سلبهم هذا الحق أو عارض تسلمهُم خلافة الأرض ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، فليس هناك من داعٍ أن نرى بأعيننا امتناع هتلر مثلاً ، من تسليم سلطانه للخليفة ، لنجزم أنَّهُ من أعداء الله وأعداء خلفائه ، فنهجه يشير لنا بوضوح عن موقفه من الخليفة ، لو صادف مجيء الخليفة آن ذاك ، كذا فلان وفلان من السابقين أو من هُم في الحكم حالياً ، ومودتنا لأيٍّ منهم معاداة للخليفة ، أمّا منهج حب القاتل والمقتول والظالم والمظلوم ، فهو منهج الضلالة والخسران ، وبهذا أشار تعالى : -
(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ﴿٤﴾ الأحزاب .
فأمّا أن تحبَّ كلّ أحباب الله وتعادي أعداءه أو تختار العكس لتعادي الله ، أمَّا المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فهم نفر من المنافقين كما أشار الله تعالى:
(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) ﴿١٤٣﴾ النساء .

وباختيارك الجاد والواضح من السبيل ، تُحرز دخول دولة الخلافة بعد أن تخطو الخطى الفكريَّة والعقائديَّة ، التي ستعطيك سمة الدخول إلى حيث العدالة التَّامة ، والحق الذي ليس من بعده حق .

= ((روي عن أحدِ رجالِ الدين ، أنّهُ لم يكُن معروفاً بورع ، ولا متميز بعلم ، حتَّى قرُبتْ أيَّامهُ ودنى أجلهُ ، فاشتدّتْ عزيمتُهُ على أن يقوم بتأليف كتاب في الفقه ، كعلم يُنتفعُ به ، ولكي يكون الكتاب ، باباً لطلب العفو والرضا منهُ جلَّ جلاله ، عمَّا تقدم منه من ذنب وتقصير ،

وبعد أن أتمَّهُ وأنهى طباعته وتوزيعه ، استند على أريكةٍ مستريحاً من يوم شاق ، فإذا به يرى نفسَه في المنام ، راكضاً صوب جُنينةٍ ، يجلس فيها الرسول الأعظم -ﷺ- ، ورأى نفسَه وهو مُمسكاً بنسخةٍ من كتابه ، فمَا كان منه إلّا أن صرخ قائلاً : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، هل بلغتُ رضا الله ورضاك عني ، وهل أحظى بشفاعتك يوم الدين ، بما سطرته من علم وموعظة في هذا الكتاب ،

فأجابه الرسول الأكرم -ﷺ- ، فيما يخص ما تقدم من ذنبك وتقصيرك ، فإني بإذن الله سأكون شفيعاً لك ، أمّا فيما يخصّ ذنبك بتأليف هذا الكتاب ، فلا تنفعك شفاعتي)) ،

مثل هذه الأقاصيص ، التي نسمعها من رواد المنابر ، أرى فيها جانباً كبيراً من التشابه راويها وبين بطل القصة ، فراوي مثل هذه الأقصوصة وغيرها ، يظنُّ أنَّهُ يحسن عملاً ويحسن قيلاً ، وأنا على يقين بأنّ أغلبهم حسن النية ، لا يريد إلا وجه الله ورسوله ، لكنَّه يجهل أن هذه فرية على الله ورسوله ، وتُجرّد الإنسان من بصيرته وفراسته كمؤمن ، لتصوره كبهيمة لا يفقه إذا ما كان قد كتب حقاً أم باطلاً ،

كما إن الباري -عزوجل- ، أوضح لنا ، كذب مثل هذه القصة ، فهو تعالى يعطينا الرؤيا نحن دون الأنبياء والأولياء ، غير واضحة المعالم ، وتحتاج من يؤوّلها لنا ، أمّا الأنبياء فتكون واضحة لديهم تماماً ، ولا تحتمل اللبس ، كرؤية سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- : -

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ﴿١٠٢﴾ الصافات .

أمّا قول يوسف الصديق –عليه السلام- ، فلم يك لفهم الرؤيا بل لإثباتها : -

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ) ﴿١٠٠﴾ يوسف .

إذ إن قوله (هذا تأويل رؤياي من قبل) ، لا تعني أبداً ، أنه فهم معنى الرؤيا ، وأنَّها كانت غامضة عليه ، والدليل قوله (قد جعلها ربي حقاً) ، أي حققها مثلما هي ، ومثلما رآها من قبل ،
ونتذكر رؤيا الرسـول الأعظم ، التي تخبره عن القادم من الأيام في سورة الإسراء :
(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) ﴿٦٠﴾
أمّا رؤى من هم دون الأنبياء والأوصياء ، فلا تكون ، إلا بإشارات وشفرات ، كما حصل لصاحبي يوسف في السجن ، وكالملك الذي رأى سبع بقراتٍ ، والتي عجز الكهنة عن فك ألغازها ،
والسبب في ذلك ، إنَّه تعالى ربط حاجاتنا للأنبياء والأولياء حتى بتفسير الرؤيا ، أيْ بالعلوم التي علمها لهم ، فما بالك بتفسير الكتُب السماويَّة ، وتأويلها ، فيما لم يجعل رؤيا الأنبياء والأولياء غامضة ، لانتفاء العلّة من الغموض ، ولأنَّ رؤيا الأنبياء ، أوامر سماويَّة أو أنباء غيبيَّة ، يجب أن تكون واضحة وصريحة ،
ولتكن واثقاً عزيزي القارئ ، إذا ما خلا الكتاب من أقاصيص وأحداث مفتراه ، كالتي ذُكرت أعلاه ، ويرفع مِنْ علميَّة القارئ ، ويكشف علميّة القرآن ، فمبارك من الله -جل جلاله- ورسوله وآل بيته -صلوات الله عليهم أجمعين- ، ويخلّد نوراً ما بقي أثرهُ ، وما دام ذكرهُ ، وهو عند الله من أعظم المجاهدين ، عسى الله أن يكتبنا منهم .
= وقد يتهمني بعضهُم بغلظتي في الحوار ، مع بعض الأفاضل من رجال الدين ، وهذه التُهمة ، أقِرُّ بها وأعترف بارتكابها ،
فكم أعجب ممَّا أراهُ من فحوصات واختبارات ، وشروط صعبة ، لقبول طُلَّاب كلية الطيران ، لأنَّ قائد الطائرة ، سيكون مسؤولاً عن حياة مئات الركاب ،
فما بالك برجل الدين ، الذي قد يؤدي بحياة الملايين ، لا بل بحياتهم جيلاً بعد جيل ، وسلالةً إثر سلالة ، ولم أر من يعتني باختبار خلق ومبادئ وعلمية المتقدم لدراسة الدين ، لدى أي فرقةٍ من الفرق الإسلامية ، إلا ما تسمّى بالتزكية ،
وأقسمُ بكلِّ المُقدسات ، إن من يكتب سطراً ، يرفع به باطلاً نسب للدين وأهل الدين ، فقد وقع أجره على الله وكلِّ الأنبياء والأولياء والمرسلين بكامل عددهم ، فرسالة السماء لم تأتِ لغزو البلدان والعباد ، بل لغزوهم بالفكر والحجج ،
(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) ﴿٥٢﴾ الفرقان .
أتمنى أن تضع ألف خطٍّ ، تحت (به) ، وطبعاً المقصود هنا القرآن ، كما جاء في كل كتب التفسير ، وهذا الدليل ، يدمغ أنوف مصاصي الدماء البشرية ، الذين يجاهدون بالتزييف والتحريف ، لقلب صورة الإسلام ، إلى حركة إرهابيَّة دمويَّة ،

وبالرغم من وضوح المعنى ، فراجع بنفسك ما جاء في تفسير القرطبي ﴿٢٠٥﴾ لهذه الآية : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) ﴿٧٨﴾ الحج .

فحق جهاده ، تعني إعطاء القرآن حقه في الشرح والبيان ، من خلال القراءة والبحث ، ومن ثم الكتابة والنشر لأكبر عدد ممكن من الخلق - سورة آل عمران : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ﴿١٤٢﴾

ولو كان هناك من يدعي أن مفردة (جاهدوا) هنا بمعنى قاتلوا ، فهذا يعني أن الجنة لن يدخُلها من لم يحارب ، وعلى مثل هذه التفاسير ، استطاعت داعش لمْلمَتْ أنصاراً لها ، يجهلون بلاغة القرآن ، ليظنُّوا أنَّ الحرب هو السبيل الوحيد لدخول الجنَّة ، فيصطنعون حرباً ، ضد المذاهب المسالمة ، والتي تنتهج نهج التبليغ والإرشاد ، بدلاً عن سفك دماء العباد ،

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) ﴿٢٠﴾ التوبة .

(....وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ....) ﴿٩٥﴾النساء.

(لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ﴿٨٨﴾ التوبة .

وستجد أولاً أنه تعالى فضّل الجهاد بالأموال على الأنفس ، وربَّما يعتقد الكثير أن سبب ذلك ، هو أن المال حين تفقده ، فإنك تعاني من فقده ما بقي من عمرك ، أمّا الجهاد بالنفس ، فأنت ستتخلّص من حياتك دفعة واحدة ،

لكننا نرى أن نأخُذ المعنى على صورته الحقيقية ، فحقيقة المعنى ، تقديم المال على النفس ، وأنهُ سبحانهُ ، فضّل الجهاد بالمال على النفس ، لأنَّهُ تعالى يريد حياة عباده ، فلأجلهم خلق العظيم من الخلق في هذا الوجود ،

والمُـهم في الموضوع ، أن الجهاد بالمال ، لا يقتصر على المال الذي تعطيه ، بل المال الذي تفقدهُ ، ومعنى المال الذي تفقدهُ ، هو الوقت الذي تقضية في القراءة والبحث والكتابة ، فرجل الدين يجاهد في كل ساعات حياته ، بالمال الذي يفقده في القراءة والبحث ، ولو اتجه للعمل ، لحصل على مال لقاء هذا الوقت ، والمال الذي يفقدونه ، خير ألف مرَّة ، من المال الذي يُدفعُ للصدقات والزكاة ، لأنَّهم بالقراءة والبحث ينفعون أمّة بأكملها ، فيما ينتفع من الصدقة والزكاة شخص أو مجموعة قليلة من الأشخاص ،

....

﴿٢٠٥﴾ - تفسير القرطبي – ص [٣٦٤] ، تفسير الآية ﴿٥٢﴾ من سورة الفرقان .

= في عام [٢٠٠٤] م ، وإثر سقوط النظام البعثي ، توقفت المحاكم لفترة ليست بالقليلة ، وضعفتْ السلطة التنفيذيّة ، لدرجة أن من لديه أمر قبض على أيِّ مُتَّهم ، لا يتمكن تنفيذه خوفاً من العشائرية ، والأحزاب التي انشرت كالجراد الموسمي ، وبرغبة منّي لخوض العمل الإداري ، كانت وزارة الصحة خير ما يمكنني العمل فيها ، وكانت دائرة صحة النجف مقراً لعملي كمشاور قانوني ،
ولأنَّهُ الأمريكان جاءوا بلعبة جديدة اسمها الديمقراطية ، لشعبٍ لاقى ويلات الدكتاتوريّة بأبشع صورها ، بدأ تنصيب المدير العام بالانتخاب ، وهذا يعني ، اختيار الموظفين أكثر الناس تواطئاً وتساهلاً معهم ، وبالفعل جاء المدير على قياساتهم ، وهو رجل من الريف ، يحسن استقبال الضيوف ، واختيار نوع القهوة التي يقدّمها لهم ،
وعلى غرار وزارة الصحة ، أصدرت وزارة العدل قراراً بإعادة القضاة المفصولين لأسباب سياسية ،
وبهذا حصلت المدينة على ما نسميهم بـ(وافق شن طبق) ، مدير يحسن الوصوليَّة ، وجاءته الإدارة دون جهد ، وقاضي يريد أن يعوّض ، ما فاته من أيام سجنه ، وليجمع الله بينهما ، بدأت عصابة من موظفي دائرة الصحة بسرقة سياراتها ، لكنَّ ما يشغل القاضي ، قيام مهندس الدائرة بقطع التيار الكهربائي عليه ، بعد أن توصَّل لسحب خط كهربائي من مولداتها ، فترك اللصوص ، واتجه للمهندس ، ولكوني أنا الشخص المكلف بالتحقيق ، عرفتُ أنَّ أحد السائقين ، جاء ليلاً بسيارته الشخصية ، مع أثنين من أصدقائه يختبؤون في الجانب الخلفي ، وبعد أن ترك السيارة في موقف الدائرة ، خرجوا ليلاً ، واستولوا على السيارة ، وخرجوا من الباب الخلفية ،
وفي تلك الليلة التي جاءني فيها قاضي التحقيق ، وهو يريد اقناعي بخطته للقضاء على العصابة بشتَّى الوسائل ، وتوصل لتوقيعي على ورقة تُثبتُ اهمال مهندس الدائرة ، في بناء الجدار الحاجز لموقف السيارات ، ليصدر في اليوم التالي قراراً بتوقيفه ، خلافاً لاتفاقنا بالضغط عليه للتعرف على المشتركين في جرائم السرقات ، وتتوالى الأحداث لأرى بأم عيني سبب بقائنا تحت الحكم البعثي ثلاث عقود ، ونحن نحارب دول الجوار ، والشعب الكردي دون أي قضية ، غير بقاء أحد أكبر عملاء الأمريكان في السلطة ،

مع ذلك كان لجوئي السياسي لأمريكا ، أهون بكثير من البقاء مع شعبٍ ، سيجاهد في سبيل اختيار كلَّ فاسدٍ على رأس السلطة ،

أنا وأنت عزيزي القارئ ، نظنُّ أنَّهُ تعالى سيقدم لنا أسئلة تحريرية أو شفوية لاختبارنا ، لأنَّنا ما أن نقع ببتلاءٍ ، فسنتحرك وفق سجيتنا للدفاع عن أنفسنا ، حتى على أساس هلاك الآخرين ، أو خسارتهم ،

فالمشكلة إذاً في تطبيع السجية ، بالصفات والخُلق ، التي يمكن أن تتفاعل مع ردود أفعالنا ، إذا ما ابتُلينا ،

ومن هنا وهناك ، قررت أن أبدأ مشواري ، وأدوّن يوميات الفتى الأواب ، ومثلما أهجر وطني ، سأهجر كل معتقداتي ، لأعيد اختيار الأصدق ، ولا حتَّى الأقرب لسُنَّة الله ، بل الذي يمثِّلُ سنَّة الله ويحيي شعائرهُ ،

واخترتُ يومَها ، تأليف الكتاب الأول ، مِنْ يوميّات الفتى الأوَّاب : (حقيقة آدم والخليفة القادم) ، لأنَّني بدأت تحقيقاتي من أبيْنا آدم ، حتَّى وصلتُ اليوم إلى الخليفة القادم ، وبين ذاك الكتاب إلى هذا ، صدر كتاب (الإسلام على جرفٍ هارٍ) ، **ولم أفقد الأمل** ، بدعوة مجموعة من الباحثين والأكاديميين ، لإنجاز موسوعة الإمام الصالح ، أملاً بأن نجتمع أمام خليفة الزمان ، بالكلمة والبحث ، إن لم نجتمع بعدُ بالكتف واليد . وكم شعرتُ بالبهجة ، حين لبَّى دعوتي ، المفكّر الكبير (سالم الصباغ) من مصر ، هذا الرجل الذي ارتقى سُلّم الحقيقة وترك كل المذاهب والأديان ، وبحث عن المنهج الصادق ، فأعلن تشيَّعهُ قائلاً (لقد أسلمت الآن) ، وسيكون إن شاء الله ، على رأس قائمة الباحثين ، في موسوعة الإمام الصالح ، والتي ستنجز ما أن يكتمل العدد المطلوب ، ويأذن ربّ القلوب .

= وبهذا نختتم هذا الجزء ، آملين من الله تعالى أن نكون قد وفِّقنا لبلوغ رضاه ، وأنْ يتقبَّل منَّا ومنكُم ما رجوناه من عملٍ صالح ، وأن يوظِّفنا دائماً وأبداً ، في الدعوة لدولة الخلافة ، والدفاع عنها وعن منهج الحق الذي تُمثِّلهُ ، ونهج العدل الذي تسلكه ،
وفي أي زمانٍ ومكانٍ أنت فيه ، سنلتقي حقاً وصدقاً ، في دولة الخلافة الإلهية .

الملحق الخاص بالنصوص القرآنية

أسباب غموض النصوص القرآنية

المطلب الأول

أسبابُ الغموض وأشْكَالِه

السبب الأول – طريقة لحفظ القرآن من التزييف والتحريف .
ليس الله -جل وعلا- من يحتاج لطريقةٍ لحفظ كُتبه السَّماويَّة ، لكننا نحنُ من نحتاج لذلك ، كي لا يعمد فريق منّا لفعل ما فعله الكتابيّون من قبلنا ، ولا تَقُل لي إن القرآن حفظه الله وملائكته دون الكتب السابقة ، فكلُّ الكتب هي كتب الله ، وكل الآيات آياته ، لكنَّهُ سبحانه ، جاء بآيات مشابهة للآيات التي سبق وأن حُرّفتْ في التوراة والإنجيل ، وأضفى عليها الغموض ، كي لا تقم أمّة الرسول محمد -ﷺ- بما قامت به أمّة مــوسى وعيسى -عليهما السلام- من أفعال ، لتحريف الكلم عن مواضعه ، وهذه الآيات هي ما دعاها الله **بالمتشابهات** ، أي متشابهات مع الكتب السابقة ،
وخلاصة القول إن القرآن حُفِظَ عن طريق الآيات ، لا عن طريق الشخصيات ، فلا حافظة القرآن ، ولا أمين سر الوحي ، ولا حبر الأمّة ، ولا عشرات المناصب والألقاب ، يُمكنُها حفظ الكتاب السماوي وعلى مدى التأريخ ، لولا آيات الله التي أضفى عليها الغموض ، لكيلا يعمد اليهود ومن لفّ لفّهم لِفعلِ ما فعلوه قديماً ، وما لأحدٍ من فضلٍ على الله بحفظ القرآن ، وهذا الغموض في المُفردات والنصوص خيرُ دليل على عدم ثقة الله بنا من جديد ، لهذا جاءت الآيات التي أطلق الله عليهن بـ(المحكمات و المتشابهات) كما جاءت الآيات (الناسخة) ، والتي نسخت بعض الآيات للكتب السابقة ، ولأهمية الموضوع سنتنَاوله بشيء من التفصيل ، في مطلب خاص بـ(شبهة المحكم والمتشابه والناسخ والمتكرر) ، ولهذا الغموض أرقام سرية سنتوصل لها ، لئن أردْنا حقاً بذل شيء لأُخرانا ، فسبحانه لم يجعل القرآن طلاسم ذات شفرات غيبية ، بل ترك لعقولنا ولمن يريد الوصول والتبصر بآياته ، أوسع الأبواب وأعظم الأنوار لفهمها ،
وقوله تعالى : - (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ﴿٧٩﴾ الواقعة ... أي الذين تطهروا من الأطماع والأرجاس والنية بتحريف مفاهيم القرآن ،
لذا فالنصوص أتت على منوال مدرسة الفن للناس ، ولم تأتِ كمدرسة الفن للفن ، إلّا حين وجدَ الله فينا انحراف الذمَّة ، ولنا التبصر والوصول إليها ، خاصة بعد انتفاء العلة والغاية من الغموض ، فقد ثَبُتَ القرآن في الأذهان والكتب ، وسائر الأدوات والآلات الحديثة ، ومن المحال أن يتسنى لشخصٍ بل لأممٍ أن يحوز تزويره ، وكل هذا بفضل ما

علّمه الله سبحانه للإنسان من علومٍ ما كان مدركها إلا بفضله ، (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ﴿٥﴾ العلق .
وبفضل ما وضعه لنا من مواد أولية لصنع ما صنعناه ، واكتشاف ما اكتشفناه ، وبالرغم من كل ذلك ، فهم سلكوا الطريق القديم ، لتحريف الكلم عن معانيه الحقيقية ، أي إنهم بالمكر ، سبقوا الاكتشافات العلمية بكثير ، والله -جل جلاله- المستعان .
الفرع الثاني - عدم اكتمال الأحداث في القصص التي جاء بها القرآن .
وهذا السبب تشترك فيهِ باقي الكتب السماوية ، فحين ذكَر الله -جل جلاله- لنا قصص الأولين من الأنبياء ومن عاداهم والصالحين ومن جار عليهم ، أقتطف من تلك القصص الحكمة والموعظة ، فهما أساس اختياره لتلك القصص ، ومن ثم اختطف مقوّمات القصّة وباعد بينها ، أي عناصرها وخصائصها التي نعرفها ، ولم يسرد مكمّلات الأحداث وتفاصيلها ، إلا في آيات وسور أخرى ، لكيلا يكون كِتَاب الله محض قصص وروايات ، كما أن هناك الكثير من قصص الأنبياء ، لم تذكر في القرآن ، كما بيّن الله -جل جلاله- ذلك : (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ﴿١٦٤﴾ النساء .
لأنه سبحانه وتعالى لم يرَ مدعاةً لذكرهم ، أمّا لتشابه الحكمة والموعظة فيمن ذكروا في القرآن ، أو لأنّ ما مرّ بهم ، لا ينسجم وما مرّ به رسولنا الكريم مع قومهِ ، كأنْ يكونوا قد أدّوا رسَالاتهم ، دون أن يُتّهموا من قومهم بالكذب والجنون والسحر ، وهذا ما عناه تعالى بأحسن القصص : -
(نحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) ﴿٣﴾ يوسف .
أي أقربها لما تمرّ به مع قومك من معاناةٍ ، إذ مرّتْ بها الأنبياء من قبلك : -
(وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) ﴿١٢٠﴾ هود .
وعـلى هذا الأساس ، ذُكر موسى مرّات عديدة ومتعددة [١٣٦] في القرآن لتشابه ما مرّ به الرسول من أذى ، مع ما مرّ به موسى النبي ، وكذلك لأنّ اليهود كانوا الأكثر تمرّداً ومحاربةً لنبينا ، وبالرغم من هذا التكرار والكثرة ، في ذكر الأحداث التي مرّت بموسى ، لكنك تجد الغموض يزداد كلّما ذُكرت أحداث وتفاصيل أكثر ، وهذا ما جعلهم يعتقدون بأنها فجوات لا بد من سدها ، في قصص الأنبياء أو الأحداث والمفردات الغامضة ، حتى التي تخاطبهم بها ، وهو السبب نفسه ، الذي دفع رجال الدين من تلك العهود لسدّها ، باختلاق حكايات تكمل الصورة ، ليبيّنوا لرعاياهم أنهم الأعلم بالكُتُب السماويّة ، فلا يقعون في حرجٍ إذا سألهم من سائل ، لكنّ تصرفهم هذا أدى لنتائج وخيمة جداً ، أهمها انفلاق مذاهبَ جديدة من تلك الأديان ، وفرق من تلك المذاهب ، إذ اختلفوا حتى على الإفك الذي اختلقوه ، ومن ثم جاءت لنا جاهزة من اليهود وغيرهم ، ونحن من نأثم إذ نعمدُ لتفسير القرآن العظيم ، على أساطير اليهود وآراء الأعاجم ، والحقيقة أن ما من فجوةٍ أو خلّةٍ أو عوزٍ في كل القصص ، التي جاءت بها الكُتُب السماوية ، إنما جاءت

كاملة مترابطة من حيث الحكمة والموعظة ، وبصورة لا تكون بها محض قصص للمؤانسة ، كذا ما سيمر بنا من قصة آدم وإبليس ، من أنها جاءت متكاملة وغير متكررة ، كما ظن من ظن ذلك .

الفرع الثالث - وضع مفاتيح الكثير من الآيات بيد الرسول .

بما إن الله سبحانه قطع علاقته ببني البشر ، وختم سفراءه إلينا بالرسول الكريم ، وأنهى كتبه إلينا ، بكتابهِ الأخير ، ومن أجل أن يحفظهُ أشدّ الحفظ كما ذكرنا ، وضع مفاتيح الكثير من الآيات بيد الرسول دون غيره ، لذا فإن هناك الكثير من الآيات التي لا يمكن تناولها بالتفسير ، إلا نقلاً عن الرسول -ص وآله- خشية التحريف ، وخصوصاً سبب نزول تلك الآيات ، أي يمكننا القول إن هناك صورة أخرى من الغموض ، لا تتعلق بالمفردات ولا بالنصوص ، بل إن كل شيء واضح في النص القرآني ، لكنّ سبب نزوله ينقله إلى معنى آخر ، ربما خلاف المعنى الظاهر في النص ، كما أن هناك صورة أخرى ، ووجهاً آخر من الآيات يختلف تماماً عن كل ما تقدم ، وهي الآيات التي لا يمكن فهمها لا مفردةً ولا نصاً ، فتلك النصوص غامضة بشكل مطلق ، من حيث المفردات ومن حيث النصوص ، ومن حيث أسباب النزول ، وفي ما اعتقده أنها من تركة النبي الأعظم ، فإذا كان لكل نبيّ تركةٌ من المعجزات التي أعطاها الله له ، فلِرسولنا الكريم ، القرآن الذي سيتركه لخليفة الأرض ، وفيه آيات لا يحل شفراتها إلا خليفة الله -جل جلاله- ، ليس أقلها الأحرف الموجودة في مقدمة السور القرآنية .....

ك(الم والر والمر وكهيعص ون وق وغيرها) ، وكل تركة الأنبياء محفوظة في تابوت العهد ، إذ إن لكل نبيٍ أثراً فيه ، إلا تركة الرسول الأعظم من القرآن ، فهي محفوظة في القرآن : -

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ﴿٢٤٨﴾ البقرة

راجع كتابنا (هوية يهودي) الجزء الثاني هيكل سليمان ، أو راجع مطلب الشريك المجهول بخصوص التابوت .

وبعد .... فبالمقابل ، سحب المفاتيح من المنافقين وأهل الأغراض الدنيوية ، لذلك تراهم كلما أخذوا من غير ما جاء به الله ورسوله -ص وآله- ، للتخلص من غموض النصوص القرآنية ، يصلون لأحكام تخالف وتعاكس ما أنزله الله تماماً ، فكم ادعى العثمانيون أنهم أهل السنة الصحيحة ، وأسموا سلاطينهم مختلف الأسماء ، لكي يداهنوا المسلمين بتلك الأسماء ، على أنهم رموز العدل والمساواة ، لكننا نراهم وصلوا لأسوء العهود ضلالاً وظلاماً ، حتى قتل الحكّام بعضهم بعضاً ، وجاءوا بأحكام الخازوق وفقع العيون ، التي أخذوها من قوانين حمورابي اللعينة ، و هو ذات ما فعله اليهود وغيرهم ، لكشف الغموض ، ولا نعني هنا غموض المفردات ، بل الغموض الناتج عن عدم تفصيل القصص التي تخص ما سبق من أنبياء .

المطلب الثاني

خصائص النصوص الإلهية

إن من أسباب غـموض النصـوص القرآنية - هي : خصائصها بوصفها نصوصاً إلهيةً .
لا جدال في أن كلام الله -عز وجل- يرتقي عن كلام البشر مراتٍ ومراتٍ ، وإن أراد سبحانه من كلامه مخاطبتنا بمستوى ما نفهم ، فيبقى علاء الله لا ينقص منه استخدامه للغةٍ ما أو تعبير معين ، المشكلة تبقى على من يريد أن يفهم آيات الله كيف له أن يرتقي لفهمها ، فلا غير الرُسُل يعقلون علّيته ، ولا غير الأنبياء يفهمون ما يريدهُ كما يريدهُ ، لا كما يريدهُ كلّ طامحٍ وطامعٍ من عباده ، لكنَّنا في موضع العتمة ، حيث لا نصّ لرسوله ولا قرينةً من علمائه ، يمكننا الاستدلال بما آتانا الله -جل جلاله- من مدارك ، فما أن نسمو بفكرنا ، فلسوف ندنو ولو بقَدْرٍ بسيطٍ ، يعيننا على تدبر بعض من آياته ،
ومن سلسلة يوميات الفتى الأوّاب أمكننا أن نرصد الشيء القليل من تلك الخواص ، وهي : -

أولا – خاصيَّة التشريـع وخاصيَّة التنفيذ .
لعزة الله في حديثه مع خلقه خواص ، فسبحانه لا يجابهُ العبد بردّ فعل مباشر حال قيامه بأيِّ تصرُّف ، ما لم يُبيِّن له سِبقَ التشريـع ،
وبما إنَّهُ سـبحانه يأمر ، فتقوم ملائكته بتنفيذ الأمر ، ترى أن الآيات التي تأتي بالفعل (قال) مضافاً له الضمير (نا) أي (قلنا) تعني التنفيذ للأمر (أي ملائكته) ، أمّا لو جاء بالفعل (قال) مجرداً ، فهذا يعني التشريـع الأسبق للفعل ، وبماذا سيعاقب ، أو ماذا سيكون الرد ، ولنا أمثلة ستمر بنا في المحور الثاني والحوار الذي دار مع إبليس .

ثانيا – القول البليغ في الصّور البلاغية على وفق المعيار الصادق .
عُرِّفتْ الصـورة البلاغية قــديماً بأنها [استعارة قائمة على التماثل والتشابه بين الطرفين المشبه والمشبه به] ﴿١﴾ .
وتُعْرف الآن بمفهومها العام [تمثيلا للواقع المرئي ذهنيا أو بصريًّا ، أو إدراكاً مباشرا للعالم الخارجي الموضوعي تجسيدا وحسا ورؤية] ﴿٢﴾ .
والقول البليغ هو القول الذي يصل القلوب ، ويترك أثراً عميقاً في النفس لدى الآخرين ، وجاء في الآي الكريم (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) ﴿٦٣﴾ النساء .
لكنّ الأدباء بجميع الوانهم الأدبية ، حين يأتون بصورةٍ بلاغية ، فلا يعنيهم صدق المعيار في التشبيه والمحاكاة ، حتَّى قالوا (أعذبه أكذبه) ، وما يهمُّهم هو وصول القول بصورة جديدة وملفتة للانتباه ، لأنَّ الصورة البلاغيَّة غالباً ما تعاكس مطلوب القول الصادق ، أمّا عندما يصوّر الباري لنا صورة بلاغية ، فسبحانه يختار القول البليغ والمؤثر في النفس

وبصورة متناهية في الصدق ، أي إن الصدق يجب أن يحكم القول والصورة ، لذا تكون المفردات التي ينتقيها في الآية ، مفردات نعجز عن الإتيان بمرادفاتٍ لها ، وينبغي أن تكون هذه الخاصّية ، مما يساعدنا على فهم النصوص بدقّة متناهية ، لكنَّنا وضعنا معايير ، سببتْ زيادة في غموض النصوص كمعيار فهم القرآن بالقرآن ، وسوف نتحدث قليلاً عن هذا المعيار في الفصل الخاص بضرب المرأة ، وعلينا أن نعرف أن هذا الإشكال وقع فيه أول من وقع اليهود ، ومثال ذلك قياسهم لفعل الشيطان بفعل إبليس ، وقالوا إن الشيطان هو إبليس ، وكم خلق اليهود من أكاذيب بسبب كذبةٍ لم يبالوا بها ، فبعد ذلك احتاجوا أن يدخلوا إبليس في الجنة فكذبوا وكذبوا ، حتى غدت أسطورة مضحكة ، وهذه الخاصية تدلنا على أن كل المنقول عن كلام إبليس أو الكافرين او المنافقين ، هو عن لسان حالهم ، لا عن نص كلامهم بشكل مباشرة كما نوُّهنا ، وذلك لسببين : -

أ – أصبحت الآية منسوبة لإبليس أو للكافرين والمنافقين ، وليست من كلام رب العالمين ، فكيف نتقبل أن يكون النص الذي قاله إبليس هو نفسه النص الذي جاء في القرآن .

ب – من المؤكد أن يقول الكافر والمنافق على لسانه ما ليس في قلبه ، وهذا ما يخالف الصدق في القول ، وحتى حين يقول أحد منهم الصدق نادماً أو متحسراً ، فلا ينقله سبحانه أيضاً بشكله المباشر ، لأن لسان القرآن لا يخاطب لسانهُم ، بل ما معناه وما خلاصته (لسان حالهم) .

ثالثا - القول بما ندّعي ، وبما نعتقد .

وهذه الخاصيّة أيضا من الخواص التي ينبغي أن تعطي معنى أقرب لفهم النص ، لا لمزيد من الغموض ، سواء ما ندعي أم ما نعلم ، ومثال ما ندّعيه ، قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) ﴿١٣٦﴾ النساء . (تم تكرار هذه الفقرة في هذا الجزء) .

فيعني سبحانه : يا أيها الذين تدّعون أنكم آمنتم بالله ، آمنوا حقاً بالله ، وكذلك حين يخاطب أهل الكتاب فيعني : يا من تدعون أنكم أهل الكتاب ، و يا من تدعون أنكم من بني إسرائيل ، كما نادى اليهود مريم يا اخت هارون ، أي يا من تدعين أنكِ أخت هارون ، راجع (المطلب الثاني الفرع الثاني) ، وكثيراً ما خاطب أهل الكتاب بما يدعون من أرقام و أعداد ، وبما أنهم قاموا بتزييفها ، فلن يكررها الله(جل جلاله) علينا لأنَّنا سنقوم بما قامت به اليهود نفسه ، أي من المُحال أن نجد في القرآن أرقاماً واعداداً حقيقيةَ مرّت على اليهود وقام اليهود بتحريفها ، ثم يعيدها لنا في القرآن ، لأنّ الأرقام لا تختفي بالغموض ، الذي نَشَدَهُ الله -جل جلاله- في القرآن ، ولو تأمَّلنا في نصوص القرآن لوجدنا ، أنَّهُ تعالى نادانا كذلك بأهل الكتاب ، فسبحانه يتعامل معنا على حدٍ سواء ، وإلّا ما نفع أن يضرب لنا مثلا ،

ولمّا كان مشركو قريش يدعون بأن ما يقومون به من تعبّد للأصنام هو دينهم ، الذي وجدوا آباءهم وأجدادهم عليه ، فخاطبهم في سورة الجحد بأن لكم دينكم ولي دين ، لذا فان مناداة الله لهم بـ(دينكم) ، ما هو بإقرار منه بأنّ لهم دين أنزله سبحانه ، إنما بموجب ما يدعون من مراسيم التعبد ،

أمّا تسمية الأسماء والأشياء بما نعلمها ونفهمها ، فالأمثِلَة كثيرة ، منها أسماء الأنبياء ك(عيسى المسيح) ، فلم يعرف النصارى اسم عيسى ولم يَرِد في الكتاب المقدس مطلقاً ، إذ كان النصارى يعرفونه بـ(يسوع) ، والعرب كانوا فقط من يعرفونه بهذا الاسم ، ويعرفون أن ابن مريم الصّديقة يسمّى عيسى ، ولربما كان السبب اختلاف اللغة ، فلمّا كانت اللغة اليونانية التي كتب فيها الإنجيل قبل البعثة الشريفة ، هي من اليسار إلى اليمين والعربية من اليمين إلى اليسار ، فلاحظ جيداً حين يُقرأ اسم (يسوع) من اليسار إلى اليمين سيصبح (عوسي) أي حين يكتب يسوع باليونانية ، فإن اليونانية لا تعتمد المزج بين الأحرف ،

ولمزيد من التوضيح أكتب اسم (يسوع) بأحرف إنجليزية ثم اقرأها من اليمين إلى اليسار ، ستكون وبشكل واضح عيسى ،

فضلا عن أن كل الديانات السماوية الإبراهيمية ، كتبتْ أول ما كتبتْ ، بلغات تبدأ من اليمين إلى اليسار ، لكنها سرعان ما كتبت بلغات متعددة ، كان أخطرها التي لا تعتمد المزج بين الأحرف ، لأنهم سيعمدون لتحريف الأحرف عن مواضعها ، وليست الكلمات فقط ،

فيما حافظ القرآن على اللغة التي أُنزل بها ، وحين خاطبنا الله سبحانه ، ومن أجل أن نفهم من الذي يعنيه بخطابه ، خاطبنا بما هو معروف لدينا ومفهوم عندنا ، كما أن آدم وزوجه لمّا هبطا للأرض وسكناها ، فقد أصبح لديهما اسم آخر عرفته اليهود ، وهكذا بقيّة الأنبياء من قبل ، أما أن نقوم بترجمة الاسم العبري لمفهوم عربي ، فهذا غير مقبول ، كمن يقول إن (إبليس) سُمّي بـ(إبليس) لأنه أبْلَس من رحمة الله ، أو أن نوح سمّي بنوح لأنه بكى وناح ، فهي وإن كانت أسماء معرّبة ، لكنها تبقى أسماء أعجمية ، عُرفتْ عند العرب بهذا الشكل وهذا المعنى ، فهناك من يُشكل على أن القرآن وردت فيه أسماء أعجمية ، لكنه تعالى ذكر أن القرآن أُنزل بلسانٍ عربي ، وهذا هو الفرق بين لسان العرب واللغة العربية ، فاللسان العربي ، أقدم من قواعد اللغة بمئات بل بآلاف السنين ، أما قواعد اللغة العربية ، فوضعتْ بعد القرآن ﴿٣﴾ ، وما أعنيه أن القرآن جاء مطابقاً للسان العرب وما يفهمونه ، سواء بالأسماء أم حتى بالصور البلاغية ،

وبالرغم من محاسن الغموض التي أرادها الله -جل جلاله- ، لكن الجاهلية واليهود لم يَفُتْهُم استغلال ذلك ، فالجاهليّة جلدوا المرأة ووضعوا السياط بيد القرآن ، وكفّروا وقتلوا ووضعوا بصمات القرآن على كل السيوف ، أما اليهود فلعبوا أعظم أدوارهم في زج رواياتهم المختلقة ، كما زجّوها في كتابهم وكتاب النصارى (الكتاب المقدس العهد القديم والجديد) .

والقول بما ندّعيه من أسماء وما نفهمه من علوم ، بينه الرسول بما نسب له من حديث -صلى الله عليه وآله- ، {نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلّم الناس على قدر عقولهم} ، وهو خير تأكيد لقولنا المذكور آنفا ، لكنه حاشاه أن يخبر الناس ، ما يخالف الشرع ولو بذرّة واحدة ، على أساس أنهم لا يستطيعون فهمَها إلا بهذا النحو ، فتفسير

الآي وضعه الله بيد رسوله ، لنعرف نحن من سينهج نهجه بالتفسير ، ومن ينحدر للتغيير ، ومن يريد للإسلام العيش ، ومن يريد قيادته كالجيش .
رابعا – أزليّة الآيات وأزليّة الأحكام .
نعني بالأزلية اللا بداية واللا نهاية ، وهذا ما لا يمكننا الوصول بالفكر إليه ، لأننا خلقنا من الفناء وإلى الفناء ، ولكن كان علينا دائماً ، أن نعي الأزلية ، في دين الله وفي آياته وفي أحكامهِ ، فما لآياته مَوات ، ولا لأحكامه تغيير ولا تبديل ولا تحويل ،
(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ﴿٢٣﴾ الفتح .
(فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) ﴿٤٣﴾ فاطر .
وسوف نقف على أن الأحكام ما تغيرت ، بل تغيّرت أحوالنا ، ووصولنا إلى شرف التعرف إلى أحكامه سبحانه ، وهذا الشرف ما ناله الكثير من الأقوام البائدة والسالفة ، لا بل والمعاصرة أيضاً ، لأنهم كانوا أدنى من الوصول والحصول على النظام السماوي الطّاهر ، وكان فريق من الأعراب من أولئك الذين ما استحقوا الوصول إلى طهارة الأبدان والنفوس ، فجاء قوله تعالى فيهم – سورة التوبة : -
(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۗ..) ﴿٩٧﴾ .
وبالتأكيد طَفِق العرب يتهمون أهل البادية ، و أهل البادية يتهمون البدو الرحّل ، والحقيقة المُرّة التي لا أحب الوقوف عليها كثيراً ، أن الأعراب هم المتمسكون بالعروبة على الدين ، أي يفضّلون القومية العربية على الدين الإسلامي ، فلفظ الأعراب والأحباش و الأتراك ، يطلق حين نُرجِع الناس للقومية التي ينتسبون لها ، ثم أسرعنا لتقسم العرب على هالكة و عاربة و مستعربة ، للخلاص من أصولنا المعيبة ، وما فعلناه بالأنبياء قديماً ، فـ(هود وصالح) نبيان عربيان ، من قومين عربيين (عاد و ثمود) ونحن من أصولهم ، وإن هلكا فقد بقي منهم من ناصر صالح و هود -عليهما السلام- ، ومن لم تلحقه الهلكة ، وترى الحدود التي فرضوها من رجم المرأة ، وضربها والانقاص من قدرها ، حدود كذّب من نسبها لله ورسوله ،
وقوله تعالى (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ﴿١٠﴾ يس .
والآية (مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) ، جاءت للإنكار إنكاراً توبيخياً ﴿٤﴾ ، وفي الاصطلاح ، الإنكار هو : أن تنكر على المخاطب وتستهجن منه ما حدث ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ويرتدع ويعي الجواب ﴿٥﴾ ،
أي أحقّاً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون ، أم تدعون ذلك ، لأن الله تعالى أنذر كل آبائنا من آدم ونوح وهلمّ جراً ، فكيف عاش بينهم إسماعيل النبي (عليه السلام) ، وكيف عاش النصارى واليهود حولهم ، ولم يؤمن من بينهم من أحدٍ بالله الواحد ،

ثم كيف حكم الله علينا بحكم الكفر بأنّ (حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) قبل أن يختبرنا وينذر آباءنا ، لكننا اخترنا أن نبدأ من جديد ، وقد عَامَلَنا الله على هذا الأساس ، عسى الله ألّا نصل ، إن لم نكن وصلنا فعلاً ، لمثل نهاية الآباء من عادٍ وثمود ،
وأهم ما نشير له في هذه الخاصيّة ، هو أن كل الآيات التي جاءت في القرآن بخصوص تعامل أمّته سابقا معه ، كالتعدي على الرسول الكريم ، وعدم إعطائه التوقير المناسب لشخصه ، آيات حدثت وما زالت تحدث ، أي إن من يرفع صوته على صوت الرسول ، مازال وإلى يوم موجوداً بيننا ، فمن الجحود أن نقول إن الآية ماتت مع من مات ، لأن من قصدهم الله تعالى بهذه الفعلة قد ماتوا ، فلوا كان قصده سبحانه عليهم فقط ، لما أوردها كآية سماوية تتعايش معنا إلى يوم الدين ، وهذا شأن كل الآيات وكل الأمثال والعبر التي جاءت في القرآن الكريم .
خامسا : استخدام ذات المفردة ، لمعانٍ مضادّةٍ ومرادِفَةٍ .
كل الذي سنبينه من احتلال الجاهلية لآيات الله سبحانه ، كان في عدم فهمهم لهذه الخاصية ، فسبحانه وتعالى له جناحان في إيراد المفردة ، بل ثلاثة وأربعة ، فمفردة ضرب ، لها معنى الحجب والاقتطاع والقطع و(اللكم) أي الضرب بالحركة ، **وكلٌ يرى الآيات في عين طبعه** ، كذلك مفردة سلطان وهي من أهم المفردات التي أستعملها الله -جل جلاله- ، كما سيمر بنا في التفريق بين الكافر والمشرك (شبهة الشيطان) ، أو في مفهوم الإشراك ،
وكما وردت كلمات ثابتة في معناها ، لكنّه سبحانه وتعالى زاد عليها ما يخالفها ، ليعكس معناها كـ(الشجرة) ، مثل قوله تعالى عن الشجرة المباركة والشجرة الملعونة ، والأمثال على هذه الخاصية كثيرة ووفيرة جداً ، بل تكاد لا تخلو آية منها ، علاوة لاستعماله المباشر للمضادات ، من الأفعال والأسماء ، وكما نرى في أسمائه الحسنى ، ما هو للعقوبة وما هو للرحمة ، راجع (شبهة أجنحة الملائكة) ....
ختاماً نقول بعد ما أوضحناه ، إن القرآن جاء بصيغة الفن للفن ، حتى يفسر من قبل الرسول وآل بيته ، فيكون بصيغة الفن للناس ،
لكنّ هناك من منع دون وصول تفاسير الرسول وآل بيته ، وحرف أحاديث مغالطة ، ولعلمه تعالى بما سيقوم به المنافقون ، فقد وضع لنا إشارات تكشف لنا حقيقة كل ما تم تحريفه ، وما علينا إلا دراسة الأحداث ، والتأمل في النصوص القرآنية ، وكسبل لتحقيق كل ذلك ، يمكننا وضع فرضيات نرى أنها عوامل مساعدة لما نروم تحقيقه ، وهنا سنعرض مطلبين ، نرى أنهما من تلك السبل ،

مَـــــصَادِرُ المُــــــــــــلْـحَق

﴿١﴾ – أرسطو : الخطابة ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى سنة : [٢٠٠٨] م ، ص : [١٩١] .

﴿٢﴾ - قدور عبد الله ثاني : سيميائية الصورة ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيـع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى سنة [٢٠٠٧] م ، ص : [٢٤] .

﴿٣﴾ - محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشـهر النُحَّاة (الطبعة الثانية) القاهرة .

﴿٤﴾ – دلائل الإعجاز ؛ عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة الخانجي ، ومطبعة المدني ، ص : [٩٤] .

﴿٥﴾ – المغني ؛ ابن هشام الأنصاري ، تحقيق وشرح : عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط [١] ، السلسلة التراثية ، الكويت سنة [٢٠٠١] ، {١/٩١ } .

فرضية تعادل الآيات

في مطلع هذا المصنف ذكرنا أن هنالك منظاراً قانونياً يحكم الآيات بالآيات ، مما يجعل بينهما ترابطاً حتميًّاً ، لا ينفكُّ أبداً ، وسنتطرق لهُ بشيء من التلخيص ، ومن أجل أن نستوثق من هذا الارتباط ، علينا أولاً اجراء ما نسميه بتعادل الآيات ، وهو النظر في تفسير الآية إذا ما كان مرادفاً لآية أخرى أو مكملاً لأحكامها أو تابعاً لها ، وقد يدخل المنظار القانوني لتعادل الآيات ، فيتحول الارتباط المكمّل أو التبعي إلى الارتباط المرادف ، وتحتفظ كل آية باستقلاليتها ، قوله تعالى : -

(....لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ﴿١٢٣﴾ النساء .

تدلّ هذه الآية على حتمية العقوبة لمن يعمل سوءاً ، وبمقارنتها بآيةٍ أخرى ، فإننا قد نجد أن بينهما ترابطاً تبعي جاء بصيغة الاستثناء :

(....إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ **يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** وَكَانَ ا للَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ﴿٧٠﴾ الفرقان .

فحين تقرأ الآية من سورة النساء وتواصل قرأتها مع قراءة الآية من سورة الفرقان ، ترى أن من الظاهر أن تكون الآية الأخيرة مكمّلة للأولى بصيغة الاستثناء من حكم السورة الأولى ،

لكننا باستخدام فرضية تعادل الآيات ، سنحصل على نتيجةً أخرى ، وهي أن قوله تعالى في الآية من سورة النساء ، لا يستدعي أبداً ارتباطها بالآية من سورة الفرقان إلا بالشكل المرادف لحكمها ، فالجزاء في قوله تعالى (فمن يعمل سوءاً يجز به) لن يكون بالضرورة ، تلك العقوبة التي نتخيلها في الآخرة ، بل من الممكن أن يكون الجزاء هو ما يقوم به المذنب من طلب التوبة والرقي في ايمانه والقيام بالعمل الصالح ، أي يكون الجزء من الآية (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) مرادفاً للجزء من الآية الأخرى ،

(مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) ، وبذلك يكون الجزاء في الدنيا لمن يريد أن يحصل عليه في الحياة الدنيا ، هو التوبة والإخلاص والعمل الصالح ، أما الجزاء في الآخرة ، فهو العقوبة المقترنة بأعماله المختلفة ، وعليه لا يمكننا القول إن الآية من سورة الفرقان جاءت استثناءً للآية من سورة النساء ، لأن من يعمل سوءًا سيجز به حقاً دون أي استثناء ، ولكن في الدنيا أن يتوب ويؤمن ويعمل صالحاً وفي الآخرة عذاب النار ، خلاصة القول إن فرضية تعادل الآيات التي نتحدث عنها الآن تثبت لنا أن الآية من سورة النساء هي ذاتها الآية من سورة الفرقان ، وهما متعادلتان في المفهوم ، وفي شبهةٍ

سبق وأن تطرقنا لها في ﴿﴾،﴿﴾ ونوردها الآن للتعرف إلى فرضية تعادل الآيات ، وهي حول الآية في قوله تعالى : -
(قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ﴿٥٣﴾ الزمر .
فهنا يذكر سبحانه أنه يغفر الذنوب جميعاً دون أي استثناء أما في قوله : -
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ **يُشْرَكَ** بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ...)........ ﴿٤٨﴾ النساء .
كذا ما جاء في سورة النساء أيضاً : -
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ **يُشْرَكَ** بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) ﴿١١٦﴾ .
ولكن اللبس واضحٌ فيما نسبوهُ من شُبهةٍ ، ففي الآية من سورة الزُمَّر ، فإنَّ الله يخاطبُ عبادَهُ ، أي غير المشركين به قطعاً ، فلا داعي أن يذكُر أنَّهُ لا يغفر لمن أشرك ، لأنَّهم تخلَّصوا من ذنب الإشراك بالله تعالى ، إلى ذنوبٍ أدنى من الإشراك ، وهذا يعني أن الآيات الثلاثة في أعلاه مترادفة في الحكم ، لا يوجد فيها أي اختلاف أو استثناء .

سيرة المؤلف

....

الاسم : علاء عبد الأمير علي الصائغ المرعبي .
مواليد : العراق .... : ١٩٧٠ .
الإقامة : هاجر العراق عام ٢٠٠٦ إلى لبنان حتى ٢٠٠٩ ، ودخل الولايات الأمريكية عام ٢٠٠٩ واستوطنها حتى اليوم .
العضويات : عضو الملتقى الأدبي عام ١٩٨٤ ، وعضو منتدى الأدباء عام ١٩٨٩ .
عضو الإتحاد العام للأدباء والكتاب .... ١٩٩٢ .
عضو نقابة المحامين العراقيين .... ١٩٩٨ .
عضو جمعية حقوق الإنسان .... ٢٠٠٠ .
رئيس مجلس الأمناء لحركة يتدبرون الإسلامية في الولايات المتحدة عام ٢٠١٠ .
الإصدارات :
= الأدبية : رواية مسلة إبليس ... ٢٠١٠ ، حينما تصرخ الأوراق (شعر) ... ٢٠١١ .
قصص قصيرة من خوفها جداً (قصص) .... ٢٠١٢ .
الشاكري والسامري (قصة) باللغة الإنكليزية .... ٢٠٢٠ .
= القانون : قانون انضباط موظفي الدولة (نقد وتحليل) .... ٢٠٠٧ .
نطاق جرائم النساء والأحداث .... ٢٠٠٧ .
= الشريعة والقانون : حقيقة آدم والخليفة القادم .... ٢٠١٠ .
هوية يهودي ... ثلاث ملاحق .... ٢٠١١ .
الشريك المجهول .... ٢٠١٤ .
الإسلام على جرفٍ هارٍ .... ٢٠١٩ .
المعقول والمقبول فيما نسب للرسول .... ٢٠٢٠م .

....

تحت الطــبع : فِـقْدَانُ الحَـميَّة لدَى الفِـرَقِ الإسْلامِيَّة .
و (جمهورية النبأ العظيم – الجزء الثاني – عصر الظهور) .

تمَّ بعون الله سبحانه وتعالى ، وبركات المصطفى وآله الأبرار -صلوات الله عليهم أجمعين-
بتاريخ [٣٠ – ٩ –٢٠٢١] م - المصادف [٢٢] صفر [١٤٤٣] هـ .
ويليه الجزء الثاني من [جمهورية النبأ العظيم] بعنوان [عصر الظهور] .

يسمح ببيع النسخة للتبرّع بأعمال الخير فقط ،
وبمبلغ لا يتجاوز [٦] آلاف ديناراً عراقياً .